

تراثنا

نَهْائِيَةُ الْاَدَبِ

في

فَنُونِ الْاَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

٦٧٧ - ٧٢٣ هـ

السُّفْرُ الْخَامِسُ عَشَرَ

نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهلس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للأدب والتأليف والطباعة والنشر

مطابع کوستانو ماس و شرکاه
• شارع تون الماروطى بالظاهره ٩-١١٨
القاهره

فهرست

السفر الخامس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

صفحة

ذكر أخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه من المدن، وما أقاموه من المزارع والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني، وما وضعوه بها من العجايب والظلمات والحكم، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها	١
ملوكها قبل الطوفان	١
ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها	٢٢
ذكر حركات مصر وحالهم مع الملوك	٤٠
ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك	٤٣
ذكر خبر هاروت وماروت	٥٢
ذكر أخبار أثموني ومن ملك من بعده	٦٩
ذكر أخبار أريب الملك	٧٥
ذكر أخبار صان قبطيم بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام	٨١
ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها	١١٥
ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته	١١٩
ذكر بدء من أخبار من ملك مصر بعد عرق فرعون	١٣٨

صفحة

الباب الثالث من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ، وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ، والمملوك الساسانية واليونان والسرمان والكلوانيين والروم والصقالبة والنوكرود والإفرنجية والحلافة وطوائف السودان ١٤٢	١٤٢
ذكر أخبار ملوك الفرس وهم الفرس الأول ١٤٢	١٤٢
ذكر أخبار مختصر ١٥٨	١٥٨
ذكر أخبار ملوك الطوائف ١٦٤	١٦٤
ذكر أخبار المملوك الساسانية ١٦٦	١٦٦
ذكر قطعة من سير كسرى أنوشروان وسيلسته ١٩٥	١٩٥
ذكر خطبة أنوشروان ٢٠٧	٢٠٧
ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم ٢٢٣	٢٢٣
ذكر سبب هلاك أبرويز وقته ٢٢٦	٢٢٦
ذكر أخبار ملوك اليونان وأناسيهم ٢٣٤	٢٣٤
ذكر شيء من مكابذ الإسكندر وجله في حروبه ٢٣٨	٢٣٨
ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما أنفق له مع ملكي الهند والصين ٢٤٣	٢٤٣
كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر ٢٥٢	٢٥٢
ذكر أخبار ملوك السريمان ٢٥٥	٢٥٥
ذكر أخبار ملوك الكلوانيين وهم ملوك السط ملوك بابل ٢٥٨	٢٥٨
ذكر أخبار ملوك الروم وأناسيهم ٢٦٣	٢٦٣
ذكر مع أصحاب الكهف ٢٦٦	٢٦٦
ذكر أخبار ملوك الروم المنصورة وهم ملوك القسطنطينية ٢٧٣	٢٧٣
ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام ٢٧٩	٢٧٩
ذكر أخبار ملوك الدغالبية والنوكرود ٢٨٤	٢٨٤
ذكر خبر ملوك الإفرنجية والحلافة ٢٨٥	٢٨٥

صفحة

٢٨٧	ذكر طوائف السودان وثىء من أخبارهم ونسبهم
	الباب الرابع من القسم الرابع من الفرق الخامس في أخبار ملوك العرب
٢٩١	ويتصل بهذا الباب خبر سيل العرم
٢٩١	ذكر أخبار ملوك قحطان
٣٠٩	ذكر خبر سيف بن ذى يزن وعود الملك الى حير
٣١١	ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان
٣١٥	ذكر أخبار ملوك الحيرة وهم من آل قحطان
٣٣٢	ذكر خبر سد مأرب وسيل العرم
	الباب الخامس من القسم الرابع من الفرق الخامس في أيام العرب ووقائعها
٣٣٨	في الجاهلية
٣٣٩	ذكر واقعة طسم وجديس
٣٤٤	ذكر حروب قيس في الجاهلية يوم منيح لغنم على عيس
٣٤٦	يوم التغراوات لبني عاصد على بني عيس
٣٤٨	يوم بطن عاقل لذبيان على بني عاصر
٣٤٩	يوم دحرمان لعاصر على تميم
٣٥٠	يوم شعب جبلة لعاصر وعيس على ذبيان وتميم
٣٥٣	يوم الحريبة وبيه قتل الحارث بن ظالم
٥٦	ذكر حرب داحس والغبراء، وهي من حروب قيس
٥٨	يوم المريقب لبني عيس على بني ذبيان
٥٩	يوم دى حنى لذبيان على عيس
٦٠	يوم اليريرة لعيس على ذبيان
٦٠	يوم لمباغة لعيس على ذبيان
٦٢	يوم العروق لبني عيس
٦٣	يوم قنط

صفحة	
٣٦٣	يوم غدیر قلبي
٣٦٤	يوم الرقة لطفان على بنی عامر
٣٦٤	يوم التثاءة لعيس على بنی عامر
٣٦٥	يوم شواخط لبني عمارب على بنی عامر
٣٦٥	يوم حوزة الأول لسلیم على غطفان
٣٦٧	يوم حوزة الثاني
٣٦٨	يوم ذات الإمل
٣٦٩	يوم اللوی لطفان على هوازن
٣٧٠	يوم الطعينة بین درید بن الصمة وریعة بن مکدم
٣٧٣	يوم الصلحاء لموازن على غطفان
٣٧٣	ذكر حرب قيس وكانة . يوم الکديد لسلیم على كانة
٣٧٤	يوم فزارة لكانة على سلیم
٣٧٤	يوم الفبفاء لسلیم على كانة
٣٧٥	ذكر حرب قيس وتميم . يوم السؤبان لبني عامر على بنی تميم
٣٧٧	يوم أقرن لبني عبس على بنی دارم
٣٧٧	يوم المزوت لبني العنبر على بنی قشير
٣٧٨	يوم دارة ماسل لتميم على قيس
٣٧٩	ایام تميم على بكر . يوم الوقيط
٣٨١	يوم النباح وثبتل لبكر على تميم
٣٨٣	يوم زروود الثاني لبني ربوع على بنی تغلب
٣٨٣	يوم ذی طلوح لبني ربوع على بكر
٣٨٥	يوم الحارود وهو يوم ملهم لبني ربوع على بنی بكر
٣٨٥	يوم الفحجح وهو يوم الله لبني ربوع على بكر
٣٨٦	يوم رأس العين لبني ربوع على بكر

صفحة	
٣٨٦	يوم المظالم لبني يربوع على بكر
٣٨٨	يوم الفيض لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم محط لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم جدود
٣٩٠	يوم سفوان
٣٩١	يوم نفا الحسن وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيان
٣٩١	أيام بكر على تميم • يوم الزورين
٣٩٣	يوم الشيطان لبكر على تميم
٣٩٣	يوم صمفوق لبكر على تميم
٣٩٤	يوم مياض لبكر على تميم
٣٩٥	يوم فيحان لبكر على تميم
٣٩٥	يوم ذي قار الأول لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الحاجر لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الشقيق لبكر على تميم
٣٩٦	ذكر حرب البسوس • وهي حرب بكر وتغلب آخى وائل
٣٩٨	ذكر مقتل كليب وئيل
٤٠٠	يوم الهوى
٤٠٠	يوم الدائب
٤٠١	يوم واردات
٤٠١	يوم عيرة
٤٠٢	يوم قصة
٤٠٤	يوم تحلاق اللحم
٤٠٦	الكلاب الأول
٤٠٧	يوم الصفة وهو يوم الكلاب الثاني

صفحة	
٤١٣	يوم طخنة
٤١٤	يوم فيف الريح
٤١٥	يوم زرود الأول
٤١٦	يوم غول الأول وهو يوم كتهل
٤١٧	يوم الجيابات
٤١٧	يوم الشعب
٤١٨	يوم غول الثاني
٤١٨	يوم الخندمة
٤١٩	يوم التهياء
٤٢٠	يوم خزاز
٤٢١	يوم النصار
٤٢١	يوم ذات الشقوق
٤٢٢	يوم خسو
٤٢٣	أيام الفجار - الفجار الأول
٤٢٤	الفجار الثاني
٤٢٤	الفجار الثالث وهو بين كثانة وهوازن
٤٢٥	الفجار الآخر وهو بين قرين وكثانة كلها وبين هوازن
٤٢٧	يوم شمتلة وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
٤٢٨	يوم العلاء
٤٢٨	يوم شرب
٤٢٩	يوم الحرية
٤٣٠	يوم عين أمانع
٤٣١	يوم دى قاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده ، وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني ، وما وضعوه بها من العجايب والظلمات والحكم ، وما أثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة ، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها .

فأما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر كتاب العجايب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن يوسف شاه . قال : أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان تَقْرَؤُس^(١) ، ومعناه ملك قومه وعظيمهم . وذلك أن بني آدم لما بنى بعضهم على بعض وتماسدوا وتقلب عليهم بنو قابيل ثمحل تَقْرَؤُس^(٢) الجبار ابن مصرام بن براكيل بن زراييل بن غرئاب بن آدم في نيف وسبعين رجلا من بني غرئاب جبارة ، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بني آدم . فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية ، وقالوا : هذا بلد زرع^(٣) ، [وبني تَقْرَؤُس^(٤) مصر] وسموها بأسم أبيه مصرام ثم تركها . وكان تَقْرَؤُس^(٥)

(١) ورد هذا الضبط بالقلم هكذا في نسخة ب .

(٢) اختلقت المراجع في ذكر هذه الأسماء كما كتبتها بها ورد في الأصول .

(٣) الكلمة من خط المخرنزي (ج ٣ ص ٦ طبع فينت) .

(٤) كذا في خط المخرنزي . وفي الأصل : « تيركا » .

جباراً له أيدياً وبسطة، وكان مع ذلك كاهناً عالماً، له معاون من الجن، فلك
 بنى أبيه ولم يزل مطاعاً فيهم. وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زراييل علماًها
 من آدم. قال: فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الأعلام، وأقاموا الأساطين العظام،
 وعملوا المصانع، ووضعوا الطلسمات، وأستخرجوا المعادن، وقهروا من ناوهم
 من ملوك الأرض ولم يقطع طامع فيهم. وكل علم جليل في أيدي المصريين إنما هو
 من فضل علم أولئك القوم، كان مرموزاً على الحجارة. يقال إن فليمون الكاهن
 الذي كان ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسر لها لهم وعلمهم كتابتها،
 وسندكر إن شاء الله تعالى خبر فليمون في موضعه.

قال: ثم أمرهم نقرأوس حين استقر أمرهم ببناء مدينة فقطعوا
 الصخور والأحجار من الجبال، وأثأروا معادن الرصاص وبنوا مدينة وسموها
 أمسوس، وأقاموا بها أعلاماً، طول كل علم مائة ذراع، وعمروا الأرض،
 وأمرهم ببناء المدن والقرى، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر. وهم
 الذين حفروا النيل حتى أجروا ماء الهم، ولم يكن متدل الحفر إنما كان ينسطح
 ويتفرق في الأرض. قال: ووجه إلى بلد النوبة جماعة حتى هندسوه وشقوا منه
 أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها، وشقوا نهراً عظيماً إلى مدينتهم
 أمسوس يجري في وسطها وغرسوا عليه الفروس، فكثرت خيرهم وعزت أرضهم
 وتجبّر ملكهم. قال: وبعد مائة وعشرين سنة من ملكه أمر بإقامة الأساطين
 العظام وزر عليها ذكر دخولهم البلد، وكيف نزلوا به، وحبسهم لمن حاربوه من

(١) أمسوس، وردت مضبوطة بالقلم هكذا في نسخة ب وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل
 الطوقان. وموضعها خارج الاسكندرية تحت البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) كما ذكره بعض
 المؤرخين، وشق لها نهراً يتصل بها من النيل (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩).

الأمم . ثم أمر ببناء قبة على أساطين مثبتة في الرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل على رأسها امرأة من زبرجد أخضر ، قُطِرَها سبعة أشبار ، ترى حُضْرَها على أمد بعيد . قال : وفي مصاحف المصريين أنه سأل الذي كان معه أن يعترفه مخرج النيل ، فحمله حتى أجلسه على جبل القمر خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزرقى ، وأراه النيل كيف يجري فوق ذلك البحر الأسود مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج إلى بطائح هناك . ويقال : إنه عمل بيت التماثيل هناك ، وعمل فيه هيكلًا للشمس . ورجع إلى أمسوس فقسم البلد بين فيه ، فجعل لنقارس الجانب الغربي ، ولسورب الجانب الشرق ، ولأبنة الصغير وهو مصرام مدينة سماها برسان وأسكنه فيها ، وأقام فيها أساطين وشق لها نهرًا وغرس بها غروصا . وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها صورة طائر على أسطوانة طالية ، يصير كل يوم مرتين عند طلوع الشمس وعند غروبها صغيرا مختلفا ، فيستدلون به على ما يكون من الحوادث فيتأهبون لها ، ويخزن لئلا المقسوم على جئاتهم مائة وعشرين قميا لا يقدر أحد أن يحوز ما ليس له . وعمل وسط المدينة صنمين من حجر أسود ، إذا تقدم السارق لم يقدر على الزوال عنها حتى يسلك بينهما ، [فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ] .

(١) المراد بخلف هنا شمال خط الاستواء .

(٢) هذه التسمية وردت هكذا أيضا في خطط المقریزی (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) أثناء كلامه على نقراوس والسلة في هذا أن النوري والمقریزی يقلان عن مرجع واحد وهو ابن وصيف شاه . ولم نوفق إلى تحقيقه في مرجع آخر .

(٣) كرم المؤلف هنا عبارة « البحر الأسود الزرقى » ولا معنى له واكتفينا بما ورد في خطط المقریزی .

(٤) المراد بالطائح هنا منابع النيل .

(٥) ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣١٩) هذه المدينة على أنها القاعدة الثانية من

نواصع مصر قبل الطولان ثم قال : « ولم أف على مكانها » .

(٦) الزيادة من المقریزی (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) . وفي الأصلين مكانها : « يسقطان عليه » .

وله أعمال كثيرة سوى هذه . قال : وعمل في برسان صوراً من أنحاس مذهب على منار
 طال لا تزال عليها محب تظللها ، من استمرها أمطرت عليه ماء ، فهلك في الطوفان .
 وعمل على حدود بلادهم أصناماً من نحاس مجوف وملائها ناراً وكبريتاً وجلب إليها
 روحانية [النار] ، فإن قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهاها ناراً
 أحرقتهم . وكان حد بلادهم إلى داخل الغرب مسافة أيام كثيرة عامراً كله
 بالقصور والسائين ، وكذلك في المشرق إلى البحر ، ومن الصعيد إلى بلاد علوة .
 وعمل فوق جبال بطرس منارا يغور بالماء يسقى ما تحته من المزارع . وملكهم
 مائة وثمانين سنة . فلما مات لطفوا جسده بالأدوية الخمسة ، وجعلوه في تابوت
 من ذهب ، وعملوا له تابوتاً مصقلاً بالذهب ، وجعلوا معه كنوزاً من أنواع
 الجواهر وتماثيل الزبرجد ، وكثيراً من الصنعة المسولة ، وأواني الذهب ، والعطاسات
 التي تدفع الهواء وغيرها ، وزبروا عليه تاريخ الوقت .

ولما مات ملك بعده أبنيه نقارس بن نقراؤوس ، فتعبر وعلا أمره ، وبني
 مدينة يقال لها خلجة ، وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصنفاخ الذهب والحجارة
 الملونة ، وغمرس فيها أصناف الفواكه والفروس الحسنة ، وأجرى تحتها الأنهار ،
 وأمر بإقامة الأساطين والأعلام ، وركب عليها أصناف العقاقير والأدوية وجميع
 العلوم . وكان معه شيطان يعمل له التماثيل العجيبة . وهو أول من بني بمصر هيكلًا

(١) الرواية من القزويني . والمبارة فيه : « وكلها روحانية النار » .

(٢) بلاد علوة : هي من بلاد النوبة ، وتقع على خفة النيل أسفل من مدينة دنقلة ، وبينها مسيرة
 أيام في النيل (راجع المغرب وأرض السودان ص ١٩ طبع مدينة ليدن) .

(٣) في القزويني (ج ٣ ص ١١ طبعة فينت) « خلجة » وأشير في الخامس إلى أنها في السيلوى « خلجة » .

(٤) لعله « وكتب » .

وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وزَّبر على رأس كل كوكب عمارته وما يعمله
 من المنافع والمضار، وألبسه الثياب الفاخرة وأقام له كاهنا وسدنة . وخرج منربا
 حتى بلغ البحر المحيط وعمل عليه أعلاما ، وجعل على رأس كل علم أصناما تُسرج
 عيونها بالليل كأنها مصابيح ، ورجع على بلاد السودان الى النيل، وأمر ببناء حائط
 على جانب النيل، وجعل له أبوابا يخرج الماء منها . وبني في صحراء الغرب وراه
 الواحات ثلاث مدن على أساطين ، وجعل شرفها من الحجارة المقلوبة التي تُشَف ،
 وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة ، وهي أول عجائب الأرض، جعل الدخول
 الى هذه المدائن من الأساطين التي بنيت عليها . ففي إحدى هذه الخزائن صنم الشمس
 الذي هو أعظم أصنامهم ، وهي معلقة عليه في بيت شرفها، وعلى رأسه إكليل فيه
 كواكبها الثابتة . وفي إحداهما صنم للشمس رأسه رأس طاووس في جسد إنثائي من
 ذهب أزرق، وعينه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مفتطيس، وفي يده
 مصحف العلوم . وفي إحداهما صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصورة
 امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفي يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب،
 وهي رافعة بالمرأة الى وجهه، ومطهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط
 بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضا ، وصورة شيخ من حجر الفيروزج، وبين يديه

(١) الحارة : المكان الذي يحور أو يحار فيه (المدار) . والهارتان : رأسا الورك المستديران
 اللذان يدورنهما رموس الفخزين . والمعروف أن لكل كوكب محور يدور فيه . وقيل له محور : الدوران ،
 لأنه يرجع الى المكان الذي زال عنه ، فالمراد بالحارة هنا الهاترة التي يدور فيها الكوكب .

(٢) بيت شرفها : أي محل مزها وطوقها وصناديقها وحولها في الحمل وهو محل قوة الكوكب ، فالشمس
 من أجل أنها إذا حلت الحمل تصاعدت في الشياخ وظهرت قوتها وصار شرفها فيه (راجع شرح العلامة
 الخنصري على متن الفقه ورقة ٨٧ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨ مقيات) .

(٣) كذا في القرطبي . وفي الأصل : « صورة أجدع » .

(٤) كذا في القرطبي . وفي الأصل : « والآخر » .

- صَيِّبَةً بِعَلَمِهِمْ ، وهم من أصناف العقيق والجواهر . وفي الخزانة الثانية صورة هِرْمَسَ
 [يعني عطاردا] وهو مُكَبٌّ ينظر الى مائدة بين يديه من فُوشَادٍ على قوائم كبريت أحمر ،
 وفي وسطها مثل الصُّحُفَةِ من جواهر أحمر فيها دواء أخضر من الصنعة ، وصورة عَقَابٍ
 من زُرْمَدٍ أخضر عينا من ياقوت أصفر ، وبين يديه حية من فضة قد لوت ذنبها
 على رجليه ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه ، وفي ناحية منها صورة المِوَيْخِ ٥
 راجعا على فرس وبيده سيف مسلول من حديد أخضر ، وعمود من جواهر أخضر ،
 عليه قبة من ذهب فيها صورة المُشْتَرَى ، وقبة [من أدرك] على أربعة أعمدة من جَزَعِ
 أزرق في سقفها صورة الشمس والقمر متحاذين في صورة امرأة ورجل كأنهما يتحدان ،
 وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزُّهْرَةِ على صورة امرأة مُسَكَّة بضعفيتها وتحتها رجل
 من زُرْجَدٍ أخضر ، في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها . وجعل في كل ١٠
 خزانة من بقية الخزائن من السجائب ما لا يحصى ، وعلى باب كل مدينة بِلْسَمَاتٌ تجمع
 من دخولها في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، وفي كل مدينة من الجواهر
 النخس والذهب والفضة والكبريت الأحمر والتربة الصنعية في البراق الملوثة ، وصنوف
 الأدوية النخسة الملوثة والسوم القتالة . وعلم كل باب من الأساطين بعلامة
 يعرف بها يصعد إليها من مسارب تحت الأرض . قال : وجعل بين هذه المدائن ١٥

$$\frac{106}{12}$$

(١) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبع فيت) .

(٢) زيادة من المقرئ (طبع فيت) . والأدرك : البحر الأحمر . وفي طبعه بلاق « من آنك »
 والآتك : التقدير .

(٣) كذا في المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبع فيت) وفي الأصول : « ... وكأنهم يقرعون طيه » .

(٤) يريد : وجعل بين أول هذه المدائن وبين مدينة خلجة ، وهي التي عمل فيها البلعة ، سجة أسيال الى
 الغرب ، ومن مدينة خلجة وبين الثانية أربعة عشر ميلا ، وبينها وبين الأخيرة واحد وعشرون ميلا .
 في العبارة هنا قصور .

و بين مدينة خلجة، وهى التى عمل فيها الجنة، سبعة أميال الى الغرب، وبينها وبين
الأخرى أربعة عشر ميلا، وبين الأخرى واحد وعشرون ميلا. وكان له من
مدينته الى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها اليها، وكذلك من بعضها
الى بعض. وعمل عجائب كثيرة أزالها الطوفان، وركبت هذه الأرض الرمال فازالت
طلسماتها. قال: ونلك نقارس مائة سنة وسبع سنين ثم هلك فُصِّل له ناووس،
وَجُعِلَ معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر بذكره.

ثم ملك بعده أخوه مصرام بن نقراوس، فبنى للشمس هيكلان من المرمر الأبيض
ومؤهه بالذهب، وجعل وسط الهيكل كالعرش من جوهر أزرق عليه صورة الشمس
من ذهب أحمر وأرجح عليها كلال الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الأدهان،
وجعل فى الهيكل قنديلا من الزجاج الصافى، وجعل فيه حجرا مذهباً بضئى، كما بضئى
السراج وأكثر منه ضوئا، وأقام له سدة، وعمل له سبعة أعياد فى السنة، وقيل: إن مصر
سميت به. وتسمى به مصرام بن بيسر بن حام بن نوح بعد الطوفان لأنه وجد
أسمه منبورا على المجارة. وكان فليمون الكاهن أخبرهم أخبار هؤلاء الملوك. وكان
مصرام هذا قد ذلَّ الأسد فى وقته فكان يركبها. وصحبه الروحاني الذى كان مع أبيه
لما رأى من حرصه على لوازم المياكل والقيام بأمور الكواكب، وأمره أن
يحتجب عن الناس. وألقى على وجهه بسحره نورا عظيما لا يقدر أحد أن يتمكّن من
النظر إليه. فأدعى أنه إله، وغاب عن الناس ثلاثين سنة، وأستخلف عليهم رجلا من
ولد غرناب وكان كاهنا. ويقال: إن مصرام ركب فى عرش وحملته الشياطين حتى
أتى الى وسط البحر الأسود، فصلى فيه القلعة الفضة وجعل عليها صفيين من
النحاس وزبر عليها: أنا مصرام الجبار، كاشف الأسمار، الغالب الفقهار، صنعتُ

- الطَّلَبَاتِ الصَادِقَةِ ، وَأَقْبَتُ الصُّوَرِ النَاطِقَةَ ، وَنَصَبْتُ الْأَعْلَامَ الْهَائِلَةَ عَلَى الْبَعَارِ السَّائِلَةِ ، لِيَعْلَمَ مِنْ بَعْدِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَلِكِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّعَادَةِ .
- وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِي جَنَّتِهِ شَجَرَةٌ مُؤَلَّدَةٌ يَزْكُلُ مِنْهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهَ ، وَقَبَّةٌ مِنْ زَجَاجٍ أَحْمَرٍ عَلَى رَأْسِهَا صَنْمٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ ، وَوَكَّلَ بِهَا شَيَاطِينٌ إِذَا آخِطَلَ الظَّلَامُ نَادَوْا : لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ مَقَرِّهِ حَتَّى يُصْبِحَ وَالْأَهْلُكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ .
- وَأَصْرَمَ أَنْ يَخْتَمِعُوا لَهُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ عَالٍ مَزِينٍ بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ وَتَجَمَّلَ لَهُمْ فِي صُورَةٍ هَائِلَةٍ وَمَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ رَغْبًا ، فَخَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَدَعَوْا لَهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ بَعْدَ . وَبَلَغَ بِكَهَانَتِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آيَاتِهِ .
- ١٠ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عِزِّقَامُ الْكَاهِنِ بِفَضْلِهِمْ ، وَعَمِلَ مَدِينَةً مَحْبِيَّةً قَرِبَ الْعَرِيشِ جَعَلَهَا لَهُمْ حَرَمًا . وَقِيلَ : إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَفَعَ فِي زَمَانِهِ . قَالَ : وَيَحْيَى عَنْهُ أَهْلُ مَعْرِ حِكَايَاتٍ كَثِيرَةٌ تَخْرُجُ عَنِ الْعُقُولِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي عِلْمِهِ كَوْنَ الطُّوفَانِ ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَصْحَبُهُ أَنْ تَبْنِيَ لَهُ مَكَانًا خَلْفَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ الْفَسَادُ ، فَبَنَى لَهُ الْقَصْرَ الَّذِي فِي سَفْحِ جَبَلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ قَصْرُ النَّحَاسِ الَّذِي فِيهِ التَّنَائِيلُ ، وَهِيَ نَحْمَةُ وَثَنَاتُونَ تَمْتَلَأُ ، يَخْرُجُ مَاءُ النَّيْلِ مِنْ حُلُوفِهَا وَيَنْصَبُ إِلَى بَطِيحَةٍ .
- ١٥ وَلَمَّا عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ الْقَصْرَ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَهُ ، فَجَلَسَ فِي قَبْتِهِ وَحَمَلَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَلَى اعْتِاقِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى حِكْمَةَ بَيْتَانِهِ وَزُخْرَفَةَ حَيْطَانِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْقُشُوفِ وَصُورِ الْأَسْلَافِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْبَهَائِبِ — وَكَانَ يُسْرِجُ بَغِيرَ مَصَابِيحَ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ مَوَائِدُ يُوجَدُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْأَطْعِمَةِ وَلَا يُنْزَى مِنْ يَسْمَلِهَا ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَبَةُ فِي أَوَانٍ ، يُسْتَمَلُّ مِنْهَا وَلَا تَنْقُصُ . وَفِي وَسْطِهِ ^(٢) [بِرْكَةٌ]
- ٢٠ (١) ضبط مكدًا بالقلم في نسخة ب . (٢) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٢ طبعة فيث).

من ماء جامد الظاهر تُرى حركته من وراء ما جدد منه ، وأشياء كثيرة من هذا النوع وإن كانت تنبو عن العقول - أعجبه بارأى ، ورجع الى مصر فأستخلف ابنه عِرْنَاق وأوصاه بما يريد وقبّله الملك ، ورجع الى ذلك القصر فأقام به حتى هلك هناك .
والله يُعزى مصاحف القبط التي فيها تواريخهم وجميع ما يجرى الى آخر الزمان .
قالوا : ولم تطل مدة ملكه .

ثم ملك بعده ابنه عِرْنَاق بن عِرْنَاق . ملك بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة منها شجرة صُفْر فيها أغصان حديد بخطاطيف حادة اذا تقرب منها الظالم والكاذب تقربت اليه تلك الخطاطيف فصُلقت به وشكّت بدنه ولم تفارقه حتى يُصلّت عن نفسه بالصدق ويسترف بظلمه ويخرج عن علامة خصمه . وعمل صنما من صَوَان أسود وسماه عبد فزويس ، أى عبد زحل ، فكانوا يحضكون اليه ، فن زاع عن الحق ثبت في مكانه فلم يقدر على الخروج منه حتى يُنصف من نفسه ولو أقام سنة أو أكثر . ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا بخر الصنم ليلا ونظر الى الكواكب وذكر اسم عِرْنَاق وتضرّع فيصيح وقد وجد حاجته على باب منزله . قال : وكان عِرْنَاق ربما حملته أطيار عظام وتزبه وهم يرونه . وكان ربما غضب على ناس بفعل ما هم مرّا لا يُدّاق ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوائها . قال : ويجزأ على صيد السباع والوحوش ، وعمل عجائب ، منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان لطنخها بدواء مدبر ، فكانت تجلب كل صنف من الوحش . قال : وفي كتب المصريين أنّ هاروت وماروت كانا في وقته وملا أهل مصر أصنافا من

(١) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٢) في نسخة أ : « عبد فزويس » .

- السحر، وقيلاً بعد الطوفان الى بابل. وكان عرنانق يجتلب النساء بسحره ويتنصبن، وكان يسكن الجنة التي عملها تقارس، فأحتالت عليه امرأة من المنصوبات فسمته فهلك وبقي مدة لا يعرف خبره. وكان من رحمته - إذا خلا بنفسائه - لا يقربه أحد، فلما تأخر خبره عن الناس عجم عليه فتي من بنى قراوس^(١) يقال له لوخيم ومعه نفر من أهله، فوجدوه ملقى في فراشه جيفة، فأمر أن توقد له نار فأحرقه فيها. وجمع النسوة اللواتي كن في الجنة، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المنصوبات سرحها الى أهلها، ففرح الناس بذلك وبما نزل به.

- وملك بعده لوخيم وجلس على سرير الملك وليس تاج أبيه، وأمر بجمع الناس وقام فيهم وتكلم وذكر ما كان عليه عرنانق الأثم من سوء السيرة وأغتصاب النساء وسفك الدماء ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة الى أن هلك، وأنه أحق بتراث أبيه وجده. وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ودفع كل أذى عنهم. فرضى الناس به وأطاعوه وقالوا: أنت أحق بالملك، ولا زلت دائم السعادة طويلاً العمر قائماً بتجويد الهياكل وتعظيمها. فركب الى هيكल الشمس فقتل له بقراً كثيراً وصار في الناس بالعدل. قال: وكانت الفرائيق قد كثرت في زمن عرنانق فأهلكت زروع الناس. فعمل لوخيم أربع منارات من نحاس في أربعة جوانب أمسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب في فيه حية قد آثت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور، فكانت كذلك حتى أزالها الطوفان.

(١) في القريزي (ج ٣ ص ١٤ طبع فيت): «لوخيم» بالجمع المحببة.

(٢) في ١: «أخيه».

(٣) الفرائيق: المذكور من الطير واحداً غرنوق وغرنيق، وهو طائر مائي طويل القوائم والعتق أسود وقيل أبيض (راجع شرح القاموس مادة غرنق).

قال : ومن ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياسا لزيادة الماء ، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة فعملوا بيتا من رُخام على حافة النيل ، وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون ، وعلى حاقِي البركة تمثالُ عقابين من نحاس ذكر وأنثى . فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء فتح باب البيت وحضر الكُهان وأمناء الملك وتكلموا بكلام لم يسمع حتى يصفر أحد العقابين ، فإن صَفَرَ الذَكَر كان الماء زائدا ، وإن صغرت الأنثى كان الماء ناقصا ، ثم يعتبرون الماء فكلَّ إصبع يكون في تلك البركة فهو ذراع من زيادة النيل ، وكل إصبع ينقص فهو نقصان ذراع . فإذا علموا ذلك حفروا الترع وأصلحوا الجسور . وعمل على النيل القنطرة التي هي ببلاد النوبة . وكان له ابن سماء هِرْصَال ، أى خادم الزُهرَة ، (١) لرؤيا كانت رأتها أخت الملك أن الزُهرَة تخاطبها ، وكفلت الغلام غمته ، وأسمها خرداقة ، وأدبته أحسن التأديب ، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك والعظماء ، وبنت له مدينة فيها عجائب كثيرة ، احتفلت بها وزينتها بأحسن النقوش والزينة والمهارة ، وعملت فيها حماما معلقا على أساطين يرتفع الماء إليها حازا من غير وَقْدٍ . ولما هلك خصليم دُفِنَ في ناووس .

ثم ملك بعده ابنه هِرْصَال بن خصليم فتحول إلى المشرق وسكنه ، وبني مدينة هي إحدى المدائن ذوات العجائب ، وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورَها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا . ويقال : إنه عمل من تحت النيل سربا . وهو أول

(١) كذا في الأصول . وفي المرقري (ج ٣ ص ١٤ طبع فيت) : « النيل » .

(٢) صُيِّلَتْ هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٣) صُيِّلَتْ هكذا (بكسر الحاء المعجمة) بالقلم في نسخة ب .

(٤) في نسخة (ب) : « وزوجته امرأة ... » .

(٥) الوجه . ما توقعه به الارب من الخطب ونحوه .

- مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَ مَتَنَكًا يَشُقُّ الْأَنَمَ إِلَى أَنْ يَلُغَ بَابِلَ ، وَرَأَى مَا عَمِلَ الْمَلُوكُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَعَلِمَ حَالَ مَلِكِهَا فِي الْوَقْتِ وَسِيرَتِهِ وَمَجَارَى أُمُورِهِ . وَيُقَالُ : إِنَّ نَوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلِدَ فِي وَقْتِهِ . قَالَ : وَوُلِدَ لِمَرْصَالٍ عَشْرُونَ وَلَدًا ، جَعَلَ مَعَ كُلِّ وَلَدٍ مِنْهُمْ قَاطِرًا (١) وَهُوَ رَأْسُ الْكَهْنَةِ . وَتَزَعُمُ الْقَبْطُ أَنَّهُ بَعْدَ مِائَةِ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ لَزِمَ الْهَيَاكِلَ وَتَعَبَّدَ لِلْكَوَاكِبِ فَخَافَتْهُ عَنْ أَصْنَانِ النَّاسِ . وَأَقَامَ بَنُوهُ عَلَى حَالِهِمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ الَّذِي أُعْطَاهُ إِيَّاهُ يَدَبُّهُ وَلَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَأُمُورُ النَّاسِ جَارِيَةٌ عَلَى سَدَادٍ ، فَأَقَامُوا كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ . ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ تَشَاوُجٌ ، وَأَجْتَمَعَ رَأْيُ الْكَهْنَةِ عَلَى أَنْ يَمْعَلُوا أَحَدَهُمْ مَلِكًا ، وَيَقِيمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ . فَاجْتَمَعُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي دَارِ الْمَلِكَةِ ، وَقَامَ رَأْسُ الْكَهَنَانِ فَتَكَلَّمَ وَذَكَرَ مَرْصَالَ وَسَعَادَةَ أَيَّامِهِ وَمَا شَمَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَأَخْبَرَ بِمَا رَأَتْهُ الْجَمَاعَةُ مِنْ تَقْلِيدِ أَحَدِهِمُ الْمُلْكَ . فَإِنْ كَانَ مَرْصَالَ لَمْ يَمُتْ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَنْكُرُوا مَا فَعَلُوهُ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ حِفْظَ مَلِكِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ جَرَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ قِيَامِ مَلِكٍ بَعْدَ مَلِكٍ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَكْبَرِ وَلَدِهِ وَهُوَ :

- نَدَشَانُ بْنُ مَرْصَالَ . فَلَمَّا وَسَارَ سِيرَةَ أَبِيهِ وَحَمِدَ النَّاسُ أَمْرَهُ . وَعَمِلَ قَصْرًا مِنْ خَشَبٍ وَقَشَّهَ بِأَحْسَنِ النَّقُوشِ ، وَصَوَّرَ فِيهِ صُورَ الْكَوَاكِبِ وَنَجَّدَهُ بِالْفَرَشِ وَحَمَلَهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَانَ يَتَوَقَّعُ فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِيهِ إِذْ زَادَ الْبَيْلُ زِيَادَةً عَظِيمَةً وَهَبَّتْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَنْكَسَرَ الْقَصْرُ وَغَرِقَ الْمَلِكُ . وَكَانَ قَدْ نَفَى إِخْوَتَهُ إِلَى الْمَدَائِنِ

(١) فِي الْقُرَيْزِيِّ : « قَاطِرًا » .

(٢) فِي الْقُرَيْزِيِّ (ج ٢ ص ١٥ طبع في بيروت) وَحَسَنُ الْمَخَاضَةِ لَلْبَيْهَقِيِّ (ج ١ ص ١٩) « قَدْرَسَان »

وَعِبَارَةُ الْقُرَيْزِيِّ : « ... وَكَانَ اسْمُهُ قَدْرَسَانُ وَقِيلَ قَدْرَسَان » . وَفِي صَحِيحِ الْأَعْمَشِيِّ (ج ٣ ص ٤١١) : « قَدْرَسَان » .

الداخلية في الغرب . وأقتصر على امرأة من بنات عمه ، وكانت ساحرة ، فتزود بها . واستخلف بعض وزرائه على الملك وأقبل على لذته ولموه . فلما هلك كتمت أمراته الساحرة موته ، وكان أمرها ونهبها يخرجان إلى الوزير عن الملك . وأقام الناس تحت طاعته سبع سنين لا يعلمون بأمره . فلما رأى إخوته طول غيبته جموا جموعاً كثيرةً وقدموا على أنفسهم أهدم وهو شمروذ الجبار . وساروا إلى أمسوس . وبلغ ذلك امرأة نَدَّسان الساحرة فأمرت الوزير بالخروج إليهم ومُحاربتهم ، ففعل ذلك ولقيهم فزقوه وقتلوا كثيراً ممن كان معه ، ودخلوا مدينة أمسوس ، وأتوا دار الملكة فلم يروا نَدَّسان وأيقنوا بهلاكه .

وملك شمروذ بن هرصاك فسر للناس به ، ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتغيير ما كانوا يُنكرونه على أخيه . وأستولى على كنوزة ونزائنه ففرقها على إخوته ، وأعطاهم جميع ما كان في يد نَدَّسان . وطلب أمراته الساحرة وأبناها ليقتلها ، فانتقلت إلى مدينة أهلها من الصعيد ، وكانوا كلهم كُفَّهاً سحرة ، فأمنت بهم ، وأرسلت إلى الناس وعرفتهم أن أبنا الملك في وقته ؛ لأن أباه قلدّه الملك وأمرها أن تدبر أمره حتى يكبر ، فصعدوها وأجابوها وقالوا : إن الغلام منصوب على ملك أبيه ، وإن شمروذ متغلب . فأجتمعت في ناحيتها جماعة من أهل البلد وزحف أبى الساحرة وقد عمل له السحرة أصنافاً من التنايل المسائلة والثيران المحرقة ، فقامت الحرب بينهم أياماً ، فانهزم شمروذ وإخوته وتلقوا ببعض الجبال .

وملك ثوميدون بن ندسان وهو أبى الساحرة . ودخل دار الملك وجلس على السرير وليس التاج الذي كان لأبيه وأطاف به بطلانة أبيه ، وهو يومئذ حدث السن ،

- (١) في القرطبي (ج ٣ ص ١٦ طبع فيت) «نمرد» وقال : ويقال له «شمروذ» .
(٢) في القرطبي : «يوسيدون» وراجع تعليقه عليه (ج ٣ ص ١٦ طبع فيت) . وفي صحيح الأعمى (ج ٣ ص ٤١١) : «فريدون» .

وكانت أمه تدبر أمره، قتل كل من كان مع شمرود . وطلب شمرود حتى ظفيره،
 واجتمع الناس لينظروا ما يصنع به، فشُدَّ رأسه برأس أسطوانة قائمة، ورجلاه برأس
 أسطوانة أخرى. وكان طوله فيما يذكر القبط عشرين ذراعا، ووكَّلت الساحرة به حرما
 لتقتله يوم عيدها، وكان قريبا . فصاح بالليل صبيحة مات منها بعض الحرس وهرب
 الباقيون . فلما اتصل بها ذلك أوقدت نارا وأمرت بإزالته وجعلت تقطع منه عضوا
 ١٠ عضوا وتزميه في النار . قال : وخرج ابنها كاهنا متجها، وعملت له الشياطين قبة
 الزُّجاج الكبيرة الدائنة على دوران الفلك ، وصوّروا عليها صور الكواكب، وكانوا
 يعرفون الطالع منها وما يحدث بطولوه بعد ستين سنة . ثم ماتت أمه الساحرة
 وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر فإنه يخبرهم بالمعاجب وما يسألون عنه
 ففعلوا ذلك . وذل الناس لأبنها وهابوه، وكان يتصوّر لهم في صور كثيرة، وملّكهم
 مائة سنة وستين سنة . ولما حضره الموت أمرهم أن يعملوا له صنما من زجاج
 على شقين ويطبق على جسده بعد أن يُعطى بالأدوية المُخسكة ويُطعم ويقام في هيكل
 الأصنام، ويُحْمَل له عيد في السنة ويقرب له قربان، وتُدْفَن علومه وتكونه تحته،
 ففعلوا ذلك كله .

١٥ ولما مات ملك بعده أبنيه شرفاق بن توميدون، فعمل بسيرة أبيه وجدته،
 واجتمع الناس عليه . وزَّخَف رجل من بني صرا يمس بن لام من ناحية العراق، فغلب

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبع فيت) : «... وقام يوميدون بن قذرشان بالملك في مدينة
 أسوس، وكان عالما فاضلا، قوّى بصره وعملت له أعمالا عجبة، منها قبة من زجاج على هيئة
 الكرة تدور بدوران الفلك، وصورت فيها صور الكواكب . فكانوا يعرفون بها أسرار الطالع وعلم العالم .
 فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التلّ والحشرات، ودفن تحت صنم القمر .
 ويقال إنها كانت بعد موتها تسمع من عدها صوت بعض الأرواح فتخبرهم بمعاجب وتجيّب عما تسأل عنه .»

(٢) في المقرئ : «سرباق» ويقال فيه شرباق . وقد أوردت هذا الاسم عدة مصادر بصور مختلفة .

(٣) في المقرئ : «من بني فراشي بن آدم» ويقال من بني صرائيق بن آدم . وقد أوردت هذين
 الاسمين عدة مصادر بصور مختلفة .

على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل إليها لسحر أهلها، فأراد
 أن يدخلها متكرراً ليقتل على أحوالها، فخرج في نفر حتى بلغ الحصن الذي كانوا بنوه على
 مصر. فسلموا الحرس الموكلون به عن أمرهم، فعرفهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه،
 فحبسهم وطالوا الملك بنجرهم. وكان الملك قد رأى في منامه كأنه قائم على منار لهم
 عال، وكان طائراً عظيماً انقضَّ عليه ليخطفه، فقاد عنه حتى كاد يسقط عن المنارة
 بغاوزه ولم ينشرو، فأتته مرعوباً، وبعث إلى رأس الكهنة فقص عليه رؤياه، فعرفه
 أن ملكاً يطلب ملكه فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما
 وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم، فوجه جماعة من أصحابه فاستوتفوا
 منهم وحملهم إليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم في أعمال مصر كلها ليرى فيها من
 الطلقات والأصنام المتحركات والعجائب المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية،
 ثم ماروا بهم إلى أسنوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سير بهم إلى الجنة التي عملها
 يصرام، وكان الملك مقياً بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخايل، فجلسوا
 يتعجبون مما رأوا إلى أن وصلوا إلى شرفاء الملك والكهنة نحوه وقد أظهروا
 صنوف العجائب، وجلسوا بين يدي الملك فآرا عظمة لا يصل إليه إلا من خاضها
 ولا ينز إلا من أضمر لللك غائلة، وأمر بدخولها، فشققوها واحداً واحداً لم ينلهم
 منها أدنى، وكان الملك آتريهم، فلما دنا من النار أخذته فوئى هاربا. فأقْبى به شرفاء
 فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام،
 فقتل وزير عليه: هذا فلان المتطلب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل
 إليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقيين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب
 عليكم القتل لصنحتكم من أراد الفساد في الأرض، ولكن الملك عفا عنكم. فكانوا
 لا يمتزجون على أحد إلا حذثوه بما رأوا من العجائب، فأقطعت أطماع الملوك عن

الوصول الى مصر والتعرض اليها - وعُملت في أيامه عجائب كثيرة ، منها أنه عمل على باب كل مدينة بطة نحاس قائمة على أسطوانة ، فإذا دخل الغريب من الباب صققت يمتاحها وصرخت ، فيؤخذ ويكشف عن أمره . وشق الى مدائن الغرب نهرا من النيل ، وبني على غير منازل وأعلاما وغرس بينها غروما ، وكان اذا خرج اليها سار في عمارة متصلة . وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات .

- ١٠ . وملك بعده أبنيه سهلوق بن شرناق ، وكان كاهنا متجبا ، فافاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ، صرف الى كل ناحية قسمها ، ورتب المراتب وجعلها على سبعة أقسام : فالطبقة الأولى الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عهده ورأس الكهّان والوزير الأكبر وقائد الجيش الأكبر وصاحب خاتم الملك وصاحب خزائنه . والطبقة الثانية مراتب العمال والمتولين جباية الأموال والإشراف على التفقات في أملاك المملكة ومصالح البلد والعمارات وقسمة المياه . والطبقة الثالثة الكهّان وأصحاب الهياكل وخدمتها ومتولو القرايين والمشرفون على جميع ما يتقرب به من بواكير القواكه والرباحين وقبيّ البقر والفراريج الذكور ورموس خواصي الشراب . والطبقة الرابعة المتجّمون والأطباء والفلاسفة . والطبقة الخامسة أصحاب عمارة الأرض ومتولّو أمر الزراعة . والطبقة السادسة أصحاب الصناعات والمهّن في كلّ فنّ ، والمشرفون على أعمالهم ونقل ما يستحسنون منها الى خزائنه الملك . والطبقة السابعة أصحاب الصيد من الوحش والسمك والطير والهاوّم والنخّاش ، والمشرفون على أخذ دماثها ومرائرها وشحومها وحملها الى الأطباء لإصلاح العقاقير وتأليف الأدوية . وتقدم ألا يدخل أهل مهنة ولا صناعة في ضيهم ، ومن قصر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جُوزى بقدره . وكانت رتبة الألحان والملاحى في قسمة الملك : وتقدم في استنباط المعادن وبناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات وإبداع الصناعات وجر المياه وتوليد غرائب

الاشجار . وأقام على أعلى الجبال شجرة يقسمون الرياح ويعتصمون من يقصدهم ويقصد
 بلادهم بأذى ، وكذلك كل مفسد من طائر وسبع ووحش وهوام ، وأجرى أمر البلاد
 والناس على سداد ، وجعل في كل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم
 الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى . ويرفع كل صنف منهم ما يجري من أمر
 ما يتولونه الى الملك في كل يوم . وعمل البيت ذا القباب النورية الثلاث ، وأوقد
 فيه النار الدائمة تعظيما للنور . والقبط ترمم أنه أول من وضع بيتا لتعظيم النار .
 وقيل : إن جم الغارمى إنما بنى بيت النار . وهو أول من عمل ذلك للغرس - اقتداء
 بهلوق مصر . وكان السبب في عمل هلوق بيت النار أنه رأى أباه في نومه
 يقول له : انطلق الى جبل كذا من جبال مصر فإني فيه كوة من صفتها كذا وكذا ،
 وإنك واجد على باب الكوة أنقى لها رأسا ، وإنها إذا باتت كشت في وجهك ، فليكن
 معك طيران صغيران ، فإذا رأيت الألقى فأذبحهما لها وألقهما إليها ، فإنه يأخذ كل رأس
 من رأسيما أحد الطيرين وتنسجى الى سرب قريب من الكوة فتدخله ، فإذا غابت عنك
 فأدخل الكوة فإني تنتهى الى آخرها الى صورة امرأة جميلة الخلق . وهى من نور
 حار يابس ، وسوف يقع عليك وجهها وتغرس بحرارة شديدة ، فلا تهرب منها فتحترق ،
 وقب وسلم عليها فإنها تخاطبك فأسكن الى خطابها ، وأنظر ما تهوله لك فأعمل به ، فإنك
 تعرف بذلك . وهى حافظة كنوز جنت مصرام التي رضعها الى مدائن السجائب المعلقة
 وهى تدلك عليها . وتنال مع ذلك شرفا في بلدك وطاعة في قومك ، ثم مضى وتركه .
 فلما أنبته هلوق جعل يفكر فيما رأى ويتعجب منه ، ورأى أن يتخذ ما أخبره به أبوه ،
 فمضى الى الجبل وحمل الطيرين معه وفضل جميع ما أمره أبوه الى أن وقف حذاء
 المرأة وسلم عليها ، فقالت له : أنصرفي ؟ قال : لا ، لأنى ما رأيته قبل وقبى هذا .

(١) كذا في الأصلين ، ولله : « في آخرها » .

قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية ، وقد أردت أن تُحيى ذكرى وتُحَدِّثَ
 بيتا وتوقد فيه نارا دائمة بقدر واحد ، وتُحَدِّثَ لها عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك
 فلأنك تُحَدِّثُ بذلك عندى يدا وتنازل به شرفا وملكا الى مُلْكِكَ ، وأمنع عنك وعن
 بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جنك مصرام . فلما سمع
 ذلك منها ضمن لها أن يفعل ، ودلته على الكنوز التي كانت لجنه تحت المدائن المطلقة ،
 وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الملوكة بها وما يقهرها به . فلما فرغ من ذلك
 قال لها : كيف لي بأن أراك في الأوقات وأسالك عما أريده ، أصير اليك في هذا
 المكان أو غيره ؟ قالت : أنا هذا المكان فلا تتدر بعد وقتك هذا عليه ، لأن الأفعى
 التي رأيته في قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها في وقتنا هذا ، ولكن إن أحببت
 أن ترائي فدعني في البيت الذي تعمله لي بكتنا وكذا : أشياء ذكرتها له ، منها : عظام
 ما يقتره له من القرابين والذبايح والصمغ ، فإني أتحيل لك وأخبرك بكل حق وباطل
 مما يكون في بلدك . فلما سمع ذلك منها سر به وظابت عنه ، وظهرت الأفعى وخرج
 هاربا وجعل على الكوة سدا ، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جنه .

$$\frac{111}{12}$$

وعمل من العجائب بأسوس وغيرها ما يطول شرحه . وعمل القبة المركبة على
 سبعة أركان ، ولها سبعة أبواب ، على كل باب صورة معمولة ، وكان يقال لها قبة القصر .
 وكان السبب في بنائها أن بعض الكهّان جار في قضية قضى بها ، وذلك أن بعض العامة
 اتهم يشكو أمراته - وكان يحبها والمرأة تُبغضه - وسأله أن يقومها له ، وكانت المرأة من
 أهل بيت الكاهن ، فالأها على زوجها ، وأمره بتخليتها فلم يفعل ، فحبسه وشدت عليه ،
 وكان من أهل الصناعات ، فاجتمع جماعة من أهل صنعته ممن كان قد عرف حال
 المرأة معه وأنها له ظلمة وهو لها منصف ، فوقفوا على ظلم الكاهن فاستعدوا عليه
 عند خليفة الملك . فاحضر الكاهن وسأله ، فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب . فاحضر

ورؤساء الكهنة والقوم الذين شهدوا للرجل، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل
 وحبس الكاهن مكانه، وأمر بقبوة المرأة ورددتها إلى زوجها ورفع ذلك إلى الملك،
 فأمر بإخراج الكاهن من رسم الكهانة، وأن يُعاقب ويحبس إلى أن يرى فيه رأبه.
 وأهتم الملك لذلك وخشى أن يجرى من غير ذلك الكاهن في أمر الرعية مثل ما جرى
 منه، فبات مهموما. ثم فكر في أمر النار، فأقّى إلى بيت النار ودخن بالدخنة التي
 أمرته بها، فأنثته وخاطبته، فسألها أن تعمل له عملاقف به على حقيقة أمر المظلوم من
 الظالم، فأمرته أن يعمل بيتا مرتجا على سبعة أركان ويعمل له سبعة أبواب في كل
 ركن باب، ويعمل في وسطه قبة من صُفْر، ويصوّر عليها صور الكواكب السبعة،
 ويعمل تحت القبة مظهر من جوهر ملون، ويعمل فيها سبعة أدهان من أشجار
 مختلفة؛ وتكون القبة معلقة على سبعة أساطين، ويعمل على الباب الأول تمثال أسد
 رابض، وحذاء من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صُفْر ويخرب لها جرو أسد
 ويخربها بشعره. وعلى الباب الثاني صورة ثور وقرة ويذبح لها عجلا ويخربها
 بشعره. وعلى الباب الثالث صورة خنزير وحذاء خنزيرة ويذبح لها خنوصا ويخربها
 بشعره. وعلى الباب الرابع صورة فرس ويخرب لها مهرا ويخربها بشعره.
 وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحذاء ثعلب ويذبح لها جرو ثعلب ويخربها
 بوبره. وعلى الباب السادس صورة حمار وحذاء أتان ويذبح لها عيرا ويخربها
 بشعره. وعلى الباب السابع صورة ديك وحذاء دجاجة ويذبح لها فروجا ويخربها
 بريشه. ويطلع وجوها جميعا بدم ما يذبح. ثم يحرق بقية القربان ويعمل تحت عتب
 أبوابها وتعلق الأبواب، ويقام للبيت سذنة يؤقدونه ليله ونهاره. فإذا فرغ ذلك

(١) الخنوص : وله الخنزير . (٢) الحجر (بالكسر) : الأذن من الحمار .

(٣) كذا في الأصلين، وله : « فإذا فرغت من ذلك شكلم ... الخ » .

- يَتَكَلَّمُ عَلَى بَابِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ ، فَإِنِ سَوَّفَ أَلْقَى رُوحَانِيَّةَ الْكَوَاكِبِ عَلَى تِلْكَ الصُّورِ فَتُطْلَقُ . وَإِذَا فُرِغَتْ مِنْ ذَلِكَ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي قَسَمْتَهَا بِأَبَا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَلِيَكُنْ بَابُ الْأَسَدِ لِأَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكَةِ ، وَسَائِرِ الْأَبْوَابِ لِسَائِرِ الْمَرَاتِبِ . فَإِذَا تَقَدَّمَ الْخَصِمَانِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ أَتَصَقَّتْ بِالظَّالِمِ وَشَدَّتْ عَلَيْهِ شِدًّا عَنيفًا يُؤَلِّمُهُ حَتَّى يَخْرُجَ لَخِصْمِهِ مِنْ حَقِّهِ ، الذِّكْرُ لِلذِّكْرِ ، وَالْأُنْثَى لِلْأُنْثَى ، فَيُعْرِفُ بِذَلِكَ الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ قَبْلَ أَحَدٍ حَقٌّ وَدَعَا إِلَى تِلْكَ الصُّورِ فَلَمْ يَجْعَلْ مَعَهُ فَأَتَاهُ الْمَظْلُومُ ، وَقَدْ عَرَفَ الصُّورَةَ ذَلِكَ ، أَتَمَّدَ الظَّالِمُ مِنْ رَجْلِهِ وَتَحَرَّسَ لِسَانَهُ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ . فَاسْتَرَحَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ . عَلِمَ تَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَزَالَهَا الطُّوفَانُ مَعَ مَا أَزَالَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَطَلْسَمَاتِهِمْ وَعِجَابِهِمْ . وَتَمَلَّتْ فِي أَيَّامِ سَهْلُوقِ أَعْمَالُ كَثِيرَةٍ ، وَتَكْثُرَتْ سِيرَتُهُ وَمَا عَمِلَ مِنَ السَّبَائِبِ فِي مَصْخَفٍ . وَعَمِلَ حَقَائِرَ كَثِيرَةً وَتَمَائِيلَ ١٠ وَعِزَّكَاتٍ وَمَصْنَعَةٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يُجَلَّ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَاوُوسِ عَمِلِهِ نَفْسُهُ فِي الْجَبَلِ الْغُرْبِيِّ وَتَقُلَّ إِلَيْهِ حِكْمُهُ . وَهَلَكَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ ثَمَانًا وَسِتِينَ سَنَةً وَجَمَلَ إِلَى نَاوُوسِهِ ، وَأَقَامَ أَهْلَ الْمَلِكَةِ وَوُجُوهَ الْمَدِينَةِ وَنَسَائِلَهُمْ عِنْدَ نَاوُوسِهِ شَهْرًا يَكُونُ عَلَيْهِ وَيَتَوَجَّحُونَ عِنْدَهُ ، وَأَعْتَمُوا عَلَيْهِ غَمًّا لَمْ يَتَّبِعُوهُ عَلَى مَلِكٍ قَبْلَهُ ، وَأَقَامُوا لَنَاوُوسِهِ سِدْنَةً يُخَدِّمُونَهُ .
- وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ سُورِيدُ بْنُ سَهْلُوقٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قَتَلَهُ الْمَلِكُ قَبْلَ مَهْلِكِهِ ، ١٥ فَلَمَّا وَاقَفَتْ سِيرَةُ أَبِيهِ فِي الْعِيَارَةِ وَمَصَالِحِ الْبَلَدِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأَخْذَ لَمْ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَعَمِلَ الْحَيَاكِلَ وَبَنَى الْمَنَارَاتِ ، وَنَصَبَ الْأَعْلَامَ وَالطَّلْسِمَاتِ فَاجْتَبَاهُ النَّاسُ . وَبَنَى بِالصَّمِيدِ ثَلَاثَ مَدَائِنَ وَعَمِلَ فِيهَا عِجَابًا كَثِيرَةً . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَبَى الْخُرَاجَ بِمِصْرَ ، وَأَزْلَمَ أَهْلَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الزَّيْنِيِّ وَالْمَرْصُوقِ مِنْ خَزَائِنِهِ . وَعَمِلَ مَرَاةً مِنْ أَخْلَاطِ كَانَ يَنْظُرُ مِنْهَا جَمِيعَ الْأَقَالِمِ مَا أَخْصَبَ مِنْهَا ٢٠ وَمَا أَجْلَبَ وَمَا حَدَّثَ فِيهَا ، وَكَانَتِ الْمَرَاةُ عَلَى مَنَارَةٍ مِنَ النَّحَاسِ وَسُفْهُ مَدِينَةِ أَمُوسَ ،

وكان يعلم من المرأة مَنْ يقصد مدينته من جميع النواحي فيتأهب له . وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه وما يعمل و يرفع إليه ، ثم يُخلد في نِزائته يوما بيوم . وإذا مضى الشهر نُقلت إلى مصحف الملك وختمه بخاتمه ، وما صلح أن يُزبر على المجارة زَبَره : وكذلك ما عمل من الصنائع وما أُحدث منها . وكان يُعطي الرغائب على الصِّناعات الحسنة والحكم الغريبة . وعمل في المدائن صورة امرأة جالسة في حجرها صورة صبي كأنها تُرضعه ، فن أصابتها علة يجسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فيزول عنها ما تجسد ، وكذلك إن قل لبها مسحت ثديها ، وإن أحببت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجهها مسحت وجهها بدهن طيب وقالت افعلي كذا وكذا ، وإن قلت حيفتها مسحت فوق رَكيها ، وإن كثرت دمعها وزفت مسحت تحت رَكيها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي . فسرأ ، وإن عزت ولادتها ومسحت رأس الصبي سهلت ويسهل اقتضاؤها ، وإذا بخرته ومسحته بدهن طيب منع جميع التوابع . وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن زناها . وما كان من أعمال الليل يُجتر ليل ، وما كان من أعمال النهار يُجتر نهارا . وكانت تعمل أعمالا كثيرة إلى أن أزالها الطوفان . قال : وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان وأنهم استعملوها وعبدوها .

وصورتها مصورة في جميع البرابي ، وأسمها نسلوية ، والذي دُعم عليها قزاة فليمون الكاهن . قال : وعمل سوريد عجائب كثيرة ، منها الصنم الذي يقال له ^(٢) تكرس المعمول من علة أخلاط كان يعمل أعمالا كثيرة في الطب ودفع الأسقام

(١) عبارة القريري (ج ٣ ص ٢١ طبعة فييت) : « وإن عسرت ولادة امرأة مسحت رأس

الصبي الذي في حجر الصورة خضع حملها » .

^(٢) في القريري (طبعة فييت) : « فليمون » وفي معجم البلدان وبعض نسخ القريري : « قليبون »

بالفأف . . . (٣) في ب « تكرس » بالثا . . .

والعلل ، ويعرفون به من ثمره الأدوية فيعيش ، وإن كان يموت فله علامات فيُصَيرون عن علاجه ، وكانوا يفسلون المواضع التي يباذء أعضاء العلل منه ويسقوا لصاحب الداء فيزول عنه . وهو أول من عمل الأفروشات^(١) وزبر فيها جميع العلوم . وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين .

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها

- قال : كان بناء الأهرام قبل الطوفان بنحو ثلاثمائة سنة . وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا^(٢) هذا نبذة من خبر الأهرام في الباب الثالث من القسم الخامس من الفقه الأول ؛ وذلك في السُّقْرَ الأول من هذه النسخة . ونحن الآن نذكر من خبرها خلاف ما قدمناه مما أورده إبراهيم بن القاسم الكاتب مما اختصره من كتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه . قال : كان سبب بنائها أن الملك سُوريد رأى رؤيا أفزعته ؛ رأى كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكانت الناس يمشون على رؤوسهم ، وكانت الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفرعة ، فغمه ذلك ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم . ثم رأى بعد ذلك [بأيام]^(٣) كأن الكواكب الثابتة [زلت إلى الأرض] في صور طيور تنصب ، وكأنها تتحطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأن الجبلين انطبقا عليهم ، وكانت الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ، فأنتبه أيضا مذعورا فزعا ، فدخل إلى هيكل الشمس وجعل يمرغ خديه ويكي . ولما أصبح أمر

$\frac{113}{12}$

(١) الأفروشات : لقط يوتاني معناه القيور . وفي معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٦٣ طبع أردب) : « الأفروشات » .

(٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٨) من هذه الطبعة .

(٣) التكله من خطط : المبريزي (ج ٢ ص ١١٣ طبعة بيروت)

(٤) في خطط المبريزي : « ... طيور ينصب » .

يجمع رؤسَاء الكهنة من جميع أعمال مصر فأجتمعوا ، وكانوا مائة وثلاثين ، فغلبهم وقص
 عليهم رؤياه ، فأعظموه وأكبروه وأزولوه على أمر عظيم يحدث في العالم . فقال لهم
 فليمون - وكان من كبارهم وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس كهنة
 أمسوس - : إن في رؤيا الملك لسجيا وأمرأ كبيرا ، والملوك رؤياهم لا تجري على
 فساد ولا كذب لعظم أخطارهم ، وكبر أقدارهم . وأنا أخبر الملك عن رؤيا وأيتها منذ
 سنة لم أذكرها لأحد من الناس . فقال له الملك : قصها علينا . قال : رأيت كأني
 مع الملك على رأس المنبار الذي في أمسوس ، وكانت الفلك قد انحطت من موضعه
 حتى قارب سمت رموسنا ، وكان علينا كالقبة المحيطة بنا ، وكانت [الملك قد
 رفع يديه نحو السماء وكواكبها] ^(١) قد خالطتنا في صور مختلفة ، وكان الناس يستغيثون
 بالملك وقد انضموا إلى قصره ، وكانت الملك رافع يديه ليدفع الفلك أن يبلغ
 رأسه ، وأمرني أن أفعل فعله ونحن على وجل شديد ، إذ رأينا منه نورا مضيفا
 طلعت علينا منه الشمس ، فكاننا استغنينا بها ، فخالطتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا
 مضت ثلاثمائة دورة ، وكانت الفلك لصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه ، ثم أنتهت فزعا .
 فعند ذلك قال لهم الملك : خذوا أرتفاع الكواكب فانظروا هل من حادثة تحدث .
 فنظروا فأخبروه بأمر الطوفان وبعده يذكر النار [التي تخرج من برج الأسد تحرق
 العالم] ^(٢) ، فذكروا له أن ذلك يكون في وقت عبثه له من مقارنات النجوم وزوالها
 في الأبراج على ما حرروه من الدقائق ، وشرحه إبراهيم في كتابه مما لا فائدة لنا
 في ذكره . قال : فلما تبين ذلك له أمر بقطع الأساطين العظام وفشر البلاط

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ١١٤ طيبة نيت) وفي الأصلين : « كالكنية » .

(٢) التكملة من خط المقرئ . وفي الأصول : « وكان كواكب » .

(٣) الزيادة من خط المقرئ .

- الكبير المصنّف، واستخراج الرصاص من أرض المغرب ، وإحضار الصنخور
السود التي جعلها أساسا من ناحية أسوان ، وكانت تُحْمَلُ على أطواف ^(١) . وقيل :
كانت لم فراقل من خوص لها عَدَبٌ وعليها كتابة منقوشة ، فكأنوا إذا ضربوا بها
الجمارة حُدَّتْ على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات .
- وأمر أن يُزَيَّرَ على البلاط المنشور المهندم جميع طومهم . ثم بنى الأهرام
- الثلاثة الأول : الشرقى ، والغربي ، والمقوّن ، فكانوا يحملون في وسط البلاطة
قلب حديد قائما ويركّون عليه بلاطة أخرى منقوبة الوسط ، ثم يُدْخَلُ ذلك القلب
الحديد في ثقب البلاطة التي تُطَبَّقُ عليه ، ويذاب الرصاص ويُسَبَّبُ حول البلاطة
بعد أن تُوَلِّفَ الكتابة التي عليها . وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا
في الأزج ^(٢) مبنية بالجمارة في الأرض ، طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا . قال : فاما
- باب الهرم الشرقى فإنه من الناحية الجنوبية على قياس مائة ذراع من وسط الحائط
الهرم الى الناحية الجنوبية ، ويحفر حتى يترد الى باب الأزج ثم يدخل اليه منه .
وأما باب الهرم الغربي فن الناحية الغربية يُقاس أيضا من وسط الحائط الغربي
الى الغرب مائة ذراع ، ويحفر حتى يترد الى باب الأزج المبنى ويدخل منه اليه .
- وأما باب الهرم المقوّن فن الناحية البحرية يُقاس أيضا من وسط الحائط البحري
- مائة ذراع ، ويحفر حتى يترد الى باب الأزج . وجعل طول كل واحد منها أربعمائة

(١) الطوف : خشب يشد يسه الى بعض ويركب عليه في الماء .

(٢) الأزج بالتحريك : بيت بنى طولا ، وقال له بالقاهرة : « أوسان » وانظر الكلام على

في شرح القاموس والسان والصاح والمصباح وكتاب الألفاظ القارية المهرية لأدى شير .

(٣) في معجم البلدان لابنوت (ج ٤ ص ٩٦٤) : « الناحية البحرية » . وفي خطط المهربرى :
« الناحية الشرقية » .

(٤) في معجم البلدان لابنوت : « الناحية القليلة » . وفي خطط الفريرى : « الناحية الجنوبية » .

ذراع بالملكى، يكون خمسمائة بذراعاً . وجعل تربيعة كل واحد أربعائة ذراع . وبناتها
 فى الاستواء الى أربعين ذراعاً ثم هزمتها^(١) . وكان أول بنائهم لها فى أوقات السعادة ،
 فلما فرغ منها كساها ديباجاً ملوناً من أعلاها الى أسفلها ، وعمل لها عيدا عظيماً لم يبق
 فى المملكة أحد إلا حضره . ثم أمر بعمل ثلاثين جرنياً من حجارة الصوان ملونة^(٢)
 فجعلت فى الهرم الغربى ، وقفل إليها من الكتوز والأموال والجواهر المعدنية ، والجواهر
 المسبوكة الملونة ، والآلات الزبرجد ، والتمائيل المعمولة ، والطلسمات ، والحديد الفاخر ،
 والسلاح الذى لا يصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ، والنواميس والمولدات
 والدخن وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات والسموم وغير ذلك شيئاً كثيراً
 لا يدرك وصفه . وقفل الى الآثر وهو الشرق أصنام الصكوك والتباب
 الفلكية ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التى يتقرب بها لها ومصاحفها ،
 وما عمل لها من التواريخ والحوادث التى مضت ، والحوادث التى تحدث ،
 والأوقات التى تحدث فيها ، ومن يلى مصر من الملوك الى آخر الزمان ، وتكون
 الكواكب الثابتة وما يحدث بتكونها وقتاً وفتاً ، وجعل فيها المظاهر التى فيها^(٣)
 المياه المدبرة والبودقات الذهبية وما أشبه هذه الأشياء . وجعل فى الهرم الآثر
 أجساد الكهنة فى توايت من الصوان الأسود ، وعند كل كاهن منهم
 مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل فى وقته . وكانوا سبع مراتب .
 فالمرتبة الأولى القاطرون ، وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة لكل كوكب

(١) يلاحظ أن هذا الوصف ينطبق عما كان فى عصر المؤلف . وقد كشف العلم الحديث عن أشياء كثيرة تدل على عظمة بناء هذا الأثر الخالد .

(٢) عبارة المقرئى : « ثم عمل فى الهرم الغربى ثلاثين جرنياً من حجارة صوان ملون وملئت بالأموال الجدة والآلات والتمائيل المعمولة من الجواهر النفيسة ... الخ » . (٣) كذا فى خط المقرئى . « الذى لا يطوى » . (٤) كذا فى خط المقرئى . وفى الأصلين « والمظاهر » .

- سبع سنين ، ومعنى القاطرون جامع العلوم . والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم الاحقون بالدرجة الأولى . ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد بأسم ، بفعل في كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب ، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب . وجعل في الحيطان^(١) من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل^(٢)] بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها ، وصفة كل صنعة وعلاجها . وما يصلح لها ، وكذلك أصحاب النوايس ومن عالج شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة . وجعل لكل هرم منها خادما ، تفران الهرم الشرق صنم من جزع أسود [مجزع بأسود^(٣)] وأبيض له عيان مفتوحتان [برافتان ، وهو^(٤)] جالس على كرسى^(٥) ، ومعه شبيه بالحربة ، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفرع قلبه ، فيهم على وجهه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه . وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصوان المجزع ، معه شبيه بالحربة ، وعلى رأسه حية تطوق بها ، من قرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوقت في عنقه فقتلته [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا من حجر البهتة على قاعدتيه ، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك حصنها بالأرواح وذبح لها

- (١) كذا في خط المقيزي (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فينت) وفي الأصلين : « في حيطان البري ما يدور » .
 (٢) الزيادة عن خط المقيزي (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فينت) .
 (٣) في خط المقيزي كلمة « خادم » بدل « خازن » في هذا المقام .
 (٤) كذا في خط المقيزي . وفي الأصلين « مطوقة » .
 (٥) حجر البهتة ، ويقال له البهت والباعت ، يوجد في المحيط الأطلنطي وكانت له شهرة في أفريقيا الغربية حيث يباع بمن غال . وقد نسب إليه أهل اسرت خصائص عجبة . (عن فاموس درزي باختصار) .
 (٦) كذا في المقيزي . وفي الأصلين : « صدها » .

الذبايح تُنَمِّعُ عَنْ نَفْسِهَا [من أرادها] إلا من قَرَّبَ إِلَيْهَا وَعَمِلَ لَهَا أَعْمَالَ الْوَصُولِ فإنه يصل إليها . قال : وذكر القبط أنه كُتِبَ عليها اسم الملك والوقت الذي بناها فيه ، ويقول : إنا بنيناها في ست سنين فقل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستانة سنة فإن الهدم أهون من البُنيان . وإنا كسوناها التَّيْنِجَ الملقون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتي بعدنا يكسوها حصيرا . فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطيع ذلك ولا يُقَدِّرُ عليه .

قال : وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها ، منها أن المامون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، ف قيل له : إنك لا تقدر على ذلك . فقال : لا بد من فتح شيء منه . ففوجئت الثَّامَةُ المفتوحة منه فأفقى عليها مالا كثيرا لنار توقد وخلق يُرْسُ ومتجنقات ترى بها ، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما آتوها إلى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير ، وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، وكان مددها ألف دينار ، فحبسوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه ، ثم أتى المامون بالذهب والمطهرة بفصل يتعجب من الذهب وحسنه وجوده وحرته ، فقال : ارفعوا لى حساب ما أنفقتموه على هذه الثَّامَةِ ففعلوا ، فوجده بإزاء المال الذي أصابوه لا يزيد ولا ينقص . فسحب المامون من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتحونه من ذلك الموضع بعينه ، ومعرفتهم بمقدار ما يُنْفَقُ عليه وتركهم مقداره

(١) في الأصلين : « نسمع » والتصويب من خط المقرئ .

(٢) في الأصلين : « في ستة أشهر » .

(٣) وكان ذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما في صحيح الأضنى ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٤) بهام نسخة ما نصه : « الأوقية هي سبعة مثاقيل زنتها أوبون درهما فيما مضى . وأوقية الأطما عشرة دواهم وخمسة أسباع درهم وهو أستاذ وثلاثة أستاذ ، وأوقية بزوالقر إنا عشرة درهما » .

في موضعه ، فقال : كان هؤلاء القوم من الموم بمنزلة لا ندرکہا نحن ولا أمثالنا .
وقيل : إن المطهرة التي وُجد فيها الذهب كانت من زبرجد ، فأمر المأمون بجعلها
إلى خزائنه ، وكانت أحد ما حمل من عجائب مصر .

- ومن عجائب أخبارها أن المأمون لما فتح الحرم أقام الناس سنين يقصدونه
ویدخلون فيه ويتولون الزلافة التي فيه ، فنهى من يسلم ومنهم من يهلك .
• وأن جماعة من الأحداث أعتصموا ، وكانوا عشرين رجلا ، على أن يدخلوا الحرم
ولا يبرحوا منه حتى ينفوا على منتهى أمره ، فأخذوا معهم من الطعام والشراب
ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا السكك والحبال والشمع والوقيد والنفوس والقفاف
ودخلوا الحرم ، ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا في أرض الحرم فرأوا
فيه خفافيش بقدر العقبان تضرب وجوههم ، فأتوا إلى لصب في حائط تخرج
• منه ريح باردة لا تقتر ، فذهبوا ليدخلوا فأنطفت سرجهم ، فجعلوها في زجاج وذهبوا
ليدخلوا فكاد اللصب ينطبق عليهم فها بؤه فقال أحدهم : اربطوا ويطي بجبل وأنا
أدخل ، فإذا كاد اللصب ينطبق بخزوني إليكم ، وكان على باب اللصب أجرة فارغة
فعلوا أن أجساد موتاهم داخل ذلك اللصب ، فربطوه بالحبل ، فلما تقحم اللصب
انطبق عليه فجرح أصحابه فلم يقدروا على تزيهه وسمعوا عظامه تتكسر ، وسمعوا صيحة
• هائلة فسقطوا على وجوههم لا يقولون . فلما أفاقوا طلبوا الخروج فأنزعهم
أصحابهم بشدة ، وسقط بعضهم في وقت صعودهم من الزلافة قتل ، وخرجوا من
الحرم بغلسوا في سقعة متعجبين ، فلأنهم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم

١١٥
١٢

(١) اللصب (بالكسر) : الثوب المنير في الليل .

(٢) أجرة : الأجرة مع جن بالضم وهو حجر مقود لاء .

(٣) تقحم اللصب : دخل فيه .

يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَاهِنِي قَسْرَهُ لَمْ يَمُضْ أَصْحَابُ الدِّيَارَاتِ بِالصَّعِيدِ: هَذَا جِزَاءٌ مِنْ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ؛ ثُمَّ سَقَطَ مَيْتًا، غَمَلُوهُ وَتَطْلَنَ بِهِمْ فَأَخَذُوا وَأَتَى بِهِمْ إِلَى الْوَالِي فَخَذَنُوهُ بِالْخُسْبِرِ.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا الْمَرْمَ وَأَتَتْهُوَ إِلَى أَسْفَلِهِ وَطَوَّفُوهُ فَعَرَضَ لَهُمْ
 ٥ مِثْلُ الطَّرِيقِ فَسَارُوا فِيهِ فَوَجَدُوا قَبَّةً تَحْتَهَا كَالْمَطْهَرَةِ يَقَطُرُ فِيهَا مَاءٌ ^(١) فَيَشْرَبُ ثُمَّ يَبْغِضُ ^(٢)
 وَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ، وَوَجَدُوا مَوْضِعًا كَالْمَجْلِسِ الْمَرْبِ حِيطَانُهُ كُلُّهَا بِمِجَارَةٍ مُلَوَّنَةٍ عَجِيبَةٍ،
 فَقَلَعَ أَحَدُهُمْ مِنْهَا حَبْرًا وَجَعَلَهُ فِي كَفِّهِ فَأَنْسَدَتْ لَذَائِهِ مِنَ الرِّيحِ، وَلَمْ تَزَلْ تُصِرُّ وَهُوَ
 مَعَهُ، وَوَجَدُوا مَكَانًا كَالْقَوَارِ الْعَظِيمَةِ فِيهَا ذَهَبٌ مَضْرُوبٌ كَثِيرٌ يَكُونُ الدِّينَارُ مِنْهُ
 زَهْدًا مِائَةً مُتَقَالًا، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمْشُوا وَلَمْ يَقْضُوا حَتَّى تَرَكُوهُ مِنْ بَيْنِ
 ١٠ أَيْدِيهِمْ. وَوَجَدُوا فِي مَكَانٍ آخَرَ كَالشَّيْءِ فِيهَا شَيْخٌ مِنْ حَتْمٍ أَخْضَرَ كَأَنَّهُ مُشْتَمَلٌ بِشَمْلَةٍ،
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمَثِيلُ صِغَارٍ فِي صُورِ الصَّبِيَّانِ وَكَأَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَقْدِرُوا
 أَنْ يَقْضُوا فَرَقُوهُ، وَمَشُوا أَيْضًا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَوَجَدُوا بَيْتًا مَسْدُودًا فِيهِ دَوَى
 هَائِلٌ وَزَمْزَمَةٌ فَلَمْ يَقْضُوا لَهُ، وَمَضُوا فَوَجَدُوا كَالْمَجْلِسِ الْمَرْبِ فِيهِ صُورَةُ دِيكٍ
 مِنْ جَوَاهِرٍ مَعْمُولَةٍ، قَائِمٌ عَلَى أَسْطُوَانَةٍ خَضْرَاءَ، وَلَهُ عَيْنَانِ يُسْرَجُ مِنْهُمَا الْمَجْلِسُ،
 ١٥ فَلَمَّا قَرَبُوا مِنْهُ صَوْتُ بِصَوْتٍ مَفْرُوعٍ وَخَفِقَ بِمِجَانِيهِ، فَتَرَكُوهُ وَمَضُوا حَتَّى لَفَعُوا صَمًّا
 مِنْ حَبْرٍ أَيْضًا فِي صُورَةِ أَسْرَافَةٍ مُنْكَسَةٍ عَلَى رَأْسِهَا وَمِنْ جَانِبَيْهَا أَسْدَانٌ مِثْلُ مِجَارَةٍ
 كَأَنَّهُمَا يَرِيدَانِ نَهْمًا، فَبَطَلُوا يَتَوَقَّعُونَ وَيَقْرَبُونَ إِلَى أَنْ جَاوَزُوهُ. قَالَ: وَقِيلَ
 لَهُمْ مَشُوا حَتَّى لَاحَ لَسَمُ نَوْرٍ فَاتَّبَعُوهُ فَلَمَّا بَقُوهُ مَقْتُوحةً فَعَرَجُوا مِنْهَا فَلَمَّا هَمُّ

(١) يَشْرَبُ: يَأْخُذُ مَائِهِ فِي الصُّبُوبِ. (٢) يَبْغِضُ: يَتَقَبَّضُ. (٣) تَصِرُّ: تَصَوْتُ

صَوْتًا شَدِيدًا. (٤) الْحَتْمُ: جِوَارِ خُسْبِرٍ تَقْرُبُ إِلَى الْحَمْرَةِ.

(٥) نَهْمًا: يُقَالُ نَهَمَ الْكَلْبُ وَالذَّبَّ وَالسَّحَابُ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَةَ، وَنَهَشَتْ الْحَيَّةُ بِالسَّيْنِ الْمَعْجَةَ.

في صحراء، وإذا على باب تلك القوْهة تماثلان من حجر أسود معهما كالمزراقين فسجبوا من ذلك . ووجدوا أجرة متقورة وأسطوانات مغروطة ، فساروا منها بُعْدًا فَأَتَتْهُوا إلى ماء وجدوه في نَقَارِ حِذَاءِ تِلْكَ الْقَوْهَةِ^(١)، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوما حتى وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا إلى مصر بنحبرهم ، فوجه معهم من يدخل من تلك القوْهة ، فطافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها . ووجد الآخِذُ لِلْجَرِّ الْحَجَرِ جوهرًا نفيسا فباعه بمال .

قال : وحكى أن قوما في زمن أحمد بن طولون^(٢) دخلوا الهرم فوجدوا في طاق في أحد بيوتِه أستاذانة زجاجا نَحِيَّةً فأخذوها ونرجوا ، ففقدوا رجلا منهم فدخلوا في طلبه ، إذ خرج عليهم الرجل عُرْيانا يَضَعُك ويقول : لا تتعبوا في طلبي ، ورجع هاربا إلى أن دخل ، فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم ، فأخذوا الأستاذانة منهم ومنع الناس من الدخول إلى الهرم ، ووزنت الأستاذانة فكانت أربعة أرتال زجاجا أبيض صافيا ، فأنتبه رجل من أهل المعرفة لها وقال : لم تعمل إلا لشيء ، وملاها ماء ووزنها فوجد وزنها وهي ملأى مثل وزنها فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة .

وحكى أن قوما دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يبيتون به ، فلما هموا بذلك خرج عليهم غلام أسود أَمْرُدٌ في يده عصا فأخذ في ضربهم ، فخرجوا هارين وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم .

وحكى أن رجلا دخل بأمرأة ليفجّر بها فصرعا جميعا ولم يزالا مجنونين مشهورين حتى ماتا .

(١) قار : القار جمع قرة بالضم ، الوهدة المستديرة في الأرض غير كيرة .

(٢) في عقد الجمان المعنى : « طولون بضم الطاء اسم تركي مناء : البلد الكامل » .

قال : وفي بعض مصاحف القبط أن سُوريد لما أخبره كهنّته بخبر النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم، عَمِلَ في الأهرام مَسَارِبَ موجهة الى آزاج ضيقة تجتلب الرياح الى داخل بصوت هائل . وعَمِلَ فيها مَسَارِبَ يدخل منها ماء النيل الى مكان ينتهي الى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملا تلك الأسراب عجائب وطلّسمات وأصناما تنطق .

قال : وحكى بعض القبط أن سُوريد لما أخبره منجموه قال : انظروا لبلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا فقالوا : يلحقه طوفان ويلحقه حراب يُقيم فيه عدّة سنين وتقلب عليها التناين . قال : كيف يكون خرابها ؟ قالوا : يقصدها ملك فيقتل أهلها ويقيم ماله ويهدم مصانيعها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم تكون عمارتها من قبله . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها ، فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام .

قال : وذكر رجل من أهل الغرب ممن يختلف الى الواح ويميل الشمار على جعل له أنه بات في بعض الليالي قُرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والمطمطة فهاله ذلك وتباعد عنه بجملة ، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق ، فلم يزل مرعوبا الى أن سرقته عيناه فنام وأصبح وهو في الموضع الذي جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله ، فتعجب من ذلك وشدّ شماره على جملة ورجع الى القسطنطين وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك .

(١) الشمار : هو الراز ياتج تحريب راز يانه وهو الأيسون ، وأنواعه ثلاثة : بستاني وبري وشامي .

قال: والقبط يذكرون أن روحانية الهرم التري في صورة امرأة عريانة مكتوفة
الفرج حسنة لها ذؤابتان ، فلما أرادت أن تستفر الإنسي صمكت إليه فاختلسته
الى نفسها فدون منها قستويه ويزول عقله . قال : وقد رأى جماعة هذه المرأة
تدور حول الهرم وقت القافلة وعند غروب الشمس . وروحانية الهرم الشرق
غلام أمرد أصفر عريان له ذؤابة . قال : وقد راوه أيضا يطوف حوله . وروحانية
الهرم المثلون في صورة شيخ يرى عليه برطلة^(١) وفي يده نجسة من مجامر الكنائس وهو
يغير كذلك في جميع الأثروثات .



وأما روحانيات البراي : فربا إخم روحانياتها غلام أسود عريان . وروحانية
ربا^(٢) فقط في صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا . وروحانية ربا
دندرة في صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان . وروحانية ربا^(٣) بوسير في صورة شيخ

(١) برطلة ، البرطلة (بضم الباء ، وقع الهم وتشدد) : المظلة الصغية ، نبطية وقد استعملت
في لغة العرب .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٠ من هذا الجزء .

(٣) إخم : من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقي لليل . وكانت إخم في عهد القراطة
قاعدة قسم « إخم » وفي عهد الرومان قاعدة قسم « بانوس » وفي عهد العرب قاعدة كورة الإنجية ،
واستمرت كذلك الى آخر حكم دولي الممالك . وفي العهد العثماني أنشيت الإنجية وأضيفت بلادها الى ولاية
برجا وأضيفت إخم إحدى بلاد مركز سوحاج . وفي سنة ١٩٠٣ م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد
الواقعة شرق النيل من مركز سوحاج وجعلها مركزا باسم إخم وهي قاعدة المركز من تلك السنة الى اليوم .
(راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية)

(٤) فقط : مدينة بالصعيد الأمل ، اسمها القديم « قوبلى » ومنه اشتق اسم قبلى وأقبل للصربين .
وهي وطن الوزير صاحب بحال الدين القبطي الملقب بالقاضي الأكرم وزير حلب المتوفى سنة ٨٦٤ هـ .

(٥) سيد كرها المؤلف فيما بعد أثناء كلامه على قطيريم بن قطيريم .

(٦) هي بوسير سمود ، وكانت قاعدة شهيرة قبل الاسلام .

أبيض عليه زى الرهبان ومعه مصحف يحمل . وروحانية يربا سمندوفى صورة شيخ آدم طوال أشيب صغير الخفية . وروحانية يربا عدى فى صورة راج عليه كساء ومعه عصا . وهذه البريا فى أعمال المُرَاحِيَةِ من عمل أشمون طَنَاح يقرب تلبانة عدى . قال : ولكل من هذه الأهرام والبراي قرابين ومُجُورات تظهر كنوزها وتؤلف بين الناس والروحانيين الذين بها .

- (١) سمندوف : مدينة شهيرة بالوجه البحرى بمصر، واسمها القروى تينوتير واليونانى سينطوس .
- (٢) المُرَاحِيَةِ : هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى ، وكان يقال لها : كورة المُرَاحِيَةِ ثم الأعمال المُرَاحِيَةِ . وكان إقليم المُرَاحِيَةِ واقفا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركى المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية ، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذلك الوقت واقفا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكز فارسكور ودكنس والمنزلة بمديرية الدقهلية . وفى زمن حكم دولى المالك جسرل هذان الإقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى عهد الحكم الثمانى اختصر باسم الدقهلية ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى تاحتها مدينة المنصورة . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٣ ص ٣١٢ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .
- (٣) أشمون طَنَاح ، ويقال لها «أشموم طَنَاح» ، وهى من المدن المصرية القديمة واقفة على الشاطئ الشرق للبحر الصغير الذى كان يسمى بحر أشموم نسبة إلى هذه المدينة ، وكان اسمها المصرى شمون أَرمان ، والروى بانيفوسوس ، وسماها العرب أشموم طَنَاح نسبة إلى كورة طَنَاح التى كانت تقع أشموم فى دائرتها ، وتعرف اليوم باسم أشمون الرمان ، وهو اسمها القديم محرفا .
- ولما تكلم عليا ابن دقاق فى كتاب الانتصار قال : « وتصرف بأشموم طَنَاح وأشموم الرمان ، وهى نعمة كورة الدقهلية ومدينة ذات حمامات وأسواق وبوارج وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية والمُرَاحِيَةِ إلى آخر عهد المالك . وفى أوائل الحكم الثمانى نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة ومن ذلك الوقت اضطلعت أشمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعمران ، وأصبحت اليوم قرية عادية من قرى مركز دكنس بمديرية الدقهلية . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس طبع دار الكتب المصرية) .
- (٤) تلبانة عدى : بلد بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية . وقد ورد فى المشترك والتحفة السنية لابن الجيعان : أنها من أعمال الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى مساحة سنة ١٢٢٨ هـ وردت مختصرة باسمها الحال .



- ولنرجع الى أخبار الملوك قال : وأقام سُوريد في الملك مائة سنة وسبع سنين ، وقد كان متجموه عرفوه الوقت الذي يموت فيه واليوم والساعة ، فأوصى الى أبنه هرجيب وعرفه ما يعمل ، وأمره أن يدخل جسده الهرم ، وأن يجعله في الجرن الذي أعده لنفسه ويفشيه بكافور ، ويحمل معه ما أعده من فاجر الثياب والسلاح والآلات ، فأمتل جميع ما أمره به .

(١)

- ولما مات ملك بعده أبنه هرجيب بن سُوريد فسار بسرعة أبيه في العدل والعمارة والرأفة بالناس ، فأحبوه . وبني الهرم الأول من أهرام دهنشور وحمل اليه من المال والجواهر . وكان غرضه جمع المال وعمل الكيمياء واستخراج المعادن ودفن ماتتيا له من الكنوز في كل سنة . وكانت له أبنة أفسدت مع بعض خدمه فنفها الى ناحية الغرب ، وأمر أن تبني لها مدينة هناك ويقام عليها علم ويُرَبَّر عليها اسمها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته . قال : وشج رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، ووجد سارقا من العاقبة فللك رقه الذي سرق منه ، وعمل منارات ومصابيح وطلسمات ، وملكهم نيفا وسبعين سنة .

- وملك عليهم بعده أبنه منقوش بن هرجيب وكان نجارا أنيا فآذى الناس وسفك الدماء وأغضب النساء واستخرج كنوز آبائه ، وبني قصورا بالذهب والفضة [وأجرى] فيها الأنهار ، وجعل حصباءها من صنوف الجواهر ، وتخزق في الهبات وأغفل الهارات فأغضبه الناس ، وأباح أصحابه غضب نساء العاقبة ، وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، وكان يفتزع النساء قبل أزواجهن ، وأمتنع عليه قوم

(١) في خطط القريري : « هوجيت » .

٢٠

(٢) التكلة من خطط القريري . (٣) تخزق في الهبات = توسع فيها .

في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسلط رجلا من الجبارين اسمه قرناس^(١) من ولد ورايس بن آدم على الناس ووجهه لمخاربة الأعمى الغربية فقتل منهم أمما . وكان أشجع أهل زمانه ثم هلك، فأغتم عليه الملك وأمر أن يدفن مع الملوك في الحرم . ويقال : بل عمل له نأوسا وأقام عنده أعلاما وزبر عليها اسمه وما عمله في وقته . وملك متقاولش ثلاثا وسبعين سنة ومات ، فجعل في الحرم مع أجداده في حوض مرمر مصفح بالذهب والجوهر ، وحمل معه كثير من ذخائره وأمواله وسلاحه ومجائبه .

وملك بعد أبنه أقروش^(٢) بن متقاولش ، وكان عاقلا يخالف آثار أبيه وعدل في الناس ورد النساء الآتي غصبت متقاولش إلى أهلته . وعمل في وقته فؤارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا ، وركب في جميع جوانبها أطيارا تصغر بأصناف اللغات المطربة لا تقتر . وعمل في وسط المدينة منارتين من صغر عليهما صورة رأس إنسان من صغر كما مضت ساعة من النهار صاح ذلك الرأس صياحا عاليا، وكذلك الليل، فيعلم به دخول الساعات، وجعل فيه علامة لكل ساعة تسمى تعرف بها عنتها . وعمل منارا آخر جعل على رأسه قبة صغر مُذهب ولطخنها بلطوخات، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا^(٣) يضيء بها أكثر المدينة لا تطفئها الأمطار ولا الرياح، فإذا كان النهار قل ضوءها بضوء الشمس . ويقال : إنه أهدى الدرسميل [بن محويل] الملك بيايل مائة من الزبرجد قطرها خمسة أشبار، وكان استهزاء ذلك ليجعلها في بيت القربان . ويقال إنها وجدت بعد الطوفان . ويقال أيضا : إنه عمل على الجبل

(١) في خط المقيري «قرناس» بالميم . (٢) في خط المقيري : «أفراوس

ابن مانوس» . (٣) في خط المقيري : «نورا» . (٤) التكلفة من خط المقيري .

(٥) في خط المقيري : «مدهنا» .

- الشرق- صنبا عظيما قائما على قاعدة^(١) [وهو] مصبوغ ببطوخ أصفر مصور بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى يحاذي الشمس مع الصبح، فلم يزل الى أن سقط في أيام فرغان^(٢) الملك فتهم . وكان نصبه تمظيلا للشمس . ويقال : إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة امرأة يفتنى الولد منهن فلم يكن ذلك . وقيل : إن في عصره عَقِمَت الأرحام لما أراد الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، وعَقِمَت أرحام البهائم ووقع الموت فيها . وقيل : إن الأسد كثرت في وقته حتى كانت تتحلل البيوت، فأحتالوا لها بالطلسمات السامة والحيل المضرة لها، فكانت تنيب وقتا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال: هذه علامة مكروهة ، وأمر أن تُعمل أحاديث وتُملأ نارا وأجرتوا إليها الأسد بالدخن التي تجلب روحانيتهما وألقوها على تلك التيران، فأجلبتها تلك الدخن فتهاقت في تلك التيران فأحترقت . وبتى في وقته مدائن في ناحية الغرب تَلَفَت بالطوفان مع أكثر مُنْهُمْ .

- قال : وأرتفعت الأمطار عنهم وقل الماء في النيل فأجدبوا ، وهلك الزرع بالنار والريح الحارة وضيروها ، فأضرت ذلك بهم ، فأحتالوا لدفع النار بطلسماتهم فكانت تذهب وتعود . وقيل : إن الذي فعل بهم ذلك ساحر من سمحرتهم كان متقاوش غصبه أمر أنه فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا في إفساد طلسماتهم ؛ لأن لكل طلسم شيء تبطل به روحانيته . وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسي مصر وقد كانت ممتلئة من جميع الملوك . فلما أفسد ذلك الساحر الطلسمات ، سَلَط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسمات التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبهم عذابا كبيرا الى أن

٢٠ . (١) التكلة من خطط المقرزي . (٢) في خطط المقرزي : « حتى يحاذي الشرق مع الفجر » .
(٣) في خطط المقرزي : « فرغان » بالعين المهملة .

٤-

- فطنوا به من قِيلَ تلاميذه؛ وذلك أن أحدهم لأمه على فعله فبصره وبصره في وجهه فأظلم عليه بصره، فجاء الى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها الى الملك، فأمر الملك بإدخاله عليه فأدخل، فسأله عن الخبر فعزفه بفعل الساحر، فأنفذ اليه جيشا ليأتوه به، فلما نظر الساحر الى القوم وقد أقبلوا دخن دُخنة أغشت أبصارهم وأرفعت منها عجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم، فهلم ذلك، فرجعوا الى الملك وعرفوه ما جرى فأمر بجمع السحرة، وكان من رسم السحرة أن يماهدوا ملوكهم على أن يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا ينالهم منهم مكروه ولا ينفونهم الفوائل، فمن فعل ذلك سلب علمه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده، وكانوا مع الملوك على هذه الحال يُوقنون بهودهم. فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر، وكان يقال له: أختاليس، وبما عمله وقال: تمحضرونه إلى وإلا أهلكمكم؛ فسأله النظرة^(١) فأنظروهم، فأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هارين، فلما خرجوا عنه تكلموا بينهم وقالوا: إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره، وما نرى لنا به طاقة، ومتفاوض الملك الذي نقض عهده وتمدى عليه وأخذ أمراته غصباً، فأحتالوا لخلاصكم منه؛ فاجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم، ويستأذنون في الذهاب اليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أماناً منه ويحشد العهد بينه وبينه.
- فمضوا الى الملك وصدقوه عن أنفسهم، فاجابهم الى ما سألوهم من ذلك، ثم مضوا الى أختاليس فلفطوا به ووعظوه الى أن أجابهم الى ما أرادوا، فكتبوا الى الملك بذلك، فكتب للساحر أماناً وعهداً، فرجع ورُدَّت اليه أمراته، فأكرمها وردّها الى دار الملك، وعرفهم أنه لا يرى في ذمته أن يلبس امرأة لابسة الملك على حال من الأحوال لما كانوا يراعونه من حقوق الملك، فمُتَّ الناس بذلك وعجبوا من عقله

١١٨
١٢

(١) النظرة: التأخير والإمهال في الأمر.

وحكته ، وصَلَحَ أمر الناس ، وعمل اختاليس طَلَمِيَّاتٍ وعجائب كثيرة . قال :
ومَلَكْتَهُمْ أَقْرُوشَ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَهَلَكَ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا أَخٌ ، فَذُنُفُنٌ فِي الْمَهْرَمِ
وَجُعِلَتْ مَعَهُ أَمْوَالُهُ وَذَخَائِرُهُ وَجَوَاهِرُهُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي تُعْمَلُ فِي وَقْتِهِ ، وَأَجْتَمَعَ
النَّاسُ عَلَى تَمْلِكِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ .

- فَلَمَّا كَانُوا عَلَيْهِمْ أَرْمَالِيْنُوسَ ، فَلَمَّا مَلَكَ أَمْرَ يَجْمَعُ النَّاسَ وَقَالَ : أَرَى الْأُمَمَ الْغَرِيبَةَ
قَدْ تَطَرَّقَتْ إِلَيْكُمْ فِي نَوَاحِيكُمْ ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكُمْ ، وَأَنَا مَانِعٌ لِبِلَادِكُمْ وَدِمَائِكُمْ مِنْهُمْ
بِزُورِهِمُ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ وَتَحْوِيلِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَأَحْتَاجُ إِلَى مَعُونَةٍ مِنْ حُكَّائِكُمْ بِالْأَعْمَالِ
الْمَاهِلَةِ وَالتَّخَابُلِ الْعَجِيبَةِ ، فَشَكَّرُوهُ وَدَعَّوْا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاةُ : نَحْنُ نَخْرُجُ
مَعَ الْمَلِكِ إِذَا خَرَجَ وَنَبْلُغُ لَهُ بِمَجَابِهِ أَوْ يَقِيمُ وَنَحْنُ نَخْرُجُ مَعَ الْجَيْشِ مَكَانَهُ وَنَسُدُّ
أَنْفُسَنَا دُونَهُ . فَأَمْتَنَ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَحَارَبَ تِلْكَ الْأُمَمَ وَنَكَأَ فِيهَا
أَعْظَمَ نَكَايَةٍ ، وَرَجَعَ غَانِمًا وَخَلَّفَ فِي وَجُوهِهِمْ جَيْشًا ، فَأَجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ فَهَزِمَتْ
جَيْشَهُ وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ مَقْلُوبِينَ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَكَانَتْ أَصَابَتُهُ عِلَّةً مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَا
فَانْقَضَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ فِرْعَوْنُ بْنُ مَسُورٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ لَا يَطَاقُونَ ،
وَهُوَ أَوَّلُ فِرْعَوْنَ تَسْمَى بِهَذَا الْأَسْمِ وَمِنْ سُمِّيَ بِصَدِّهِ سُمِّيَ تَسْبِيحًا بِهِ ، فَأَفْضَذَهُ الْمَلِكُ^(١)
أَرْمَالِيْنُوسَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فَأَجْلَى تِلْكَ الْأُمَمَ وَنَفَاها إِلَى أَطْرَافِ الْبَحْرِ ، وَعَادَ وَمَعَهُ
خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْرَى وَالرَّعُوسِ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِنَصْبِ تِلْكَ الرَّعُوسِ حَوْلَ مَدِينَتِهِ وَقَتَلَ
جَمِيعَ الْأَسْرَى . وَكَانَ مِنْهُمْ كَاهِنٌ فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُوشَرَ بِمَشَارِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ

(١) نكأ : قتل فيهم ورجع وأنخن .

(٢) وكذا ورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٢) أنه أول من لقب بلقب القراعة .

(٣) يوشر ، يقال : وشرا الخشب بالمشار إذا نشرها .

ذلك ، فأعلم الملكُ فرعانَ والهسه خَلْعًا منظومًا بالجواهر ، وأمر أن يطاف به
ويذكر فضلُه ، وأمر له ببعض قصوره .

وأخفق أن امرأة من نساء الملك عشقته وراسلته فأمتنع فرعان من ذلك وفاءً
للك ، ولأن التحطى الى نساء الملوك كان من الأمور العظيمة عندهم . فلما طال
ذلك عليها أحضرتُ ساحرةً ولاطفنها وذكرت لها حالها ووجدتها بفرعان ، فضمنت
لها بلوغ ما ربهها منه وتحرره لها ، فأحتاج اليها وتدم على ردها وجعل يدس اليها الى
أن اجتمعت معه ، وتمكن حب كل واحد منهما من صاحبه ، الى أن ذاكرته امر
الملك وأنها لا تأمن أن يتصل به خبرها وقالت : أنا أعمل الحيلة في قتله وتكون
أنت الملكَ وأكون لك وتأمين على أنفسنا . فن شدة ما عنده من حبها حسن لها
ذلك ، فسمت الملكَ في شرابه فمات لوقته وحمل الى الهرم .

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك فلم ينازعه أحد ، وفرح
الناس بمكانته لشجاعته . وهو الذي كان الطوفان في وقته . قال : ولما ملك علا في
الأرض وتجبر وأغصب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم ، وعمل ما لم يعمل ملك قبلة ،
وأسرف في القتل وهابته الملوك وأقربوا له . وهو الذي كتب الى الدرمسيل ملك بابل
يشير عليه بقتل نوح عليه السلام . وذلك أن الدرمسيل بن محويل كتب الى الأقاليم
يسألهم : هل يعرفون آلهة غير الأصنام ؟ ويذكر قصة نوح وأنه يريد تغيير ذلك ،
وأن له إلها غيرها ، فكل أنكر ذلك . ولما أخذ نوح في بناء السفينة كتب فرعان
الى الدرمسيل يشير عليه بإحراقها ، وكان عند أهل مصر خبر الطوفان ولكنهم
لم يُقَدِّروا كثرتهم وطول مقامه على الأرض ، فاتخذوا السرايب تحت الأرض

وصفحوها بالزجاج وحبسوا فيها الرياح بتليدهم ، وأخذ فرعان منها عتة له ولأهل بيته . وكان فرعان قد أقصى الكهّان وبعدهم ، وكانوا مع الملوك على خلاف ذلك . ولنصل هذا الخبر بخبر الكهّان وما كانوا عليه .

ذكر خبر كهّان مصر وحالهم مع الملوك

- ٥ قال : وكهّان مصر أعظم الكهّان علما ، وأجلّهم في الكهانة حديثا . وكان حكماء اليونان يصفونهم بذلك ، ويشهدون لهم به ويقولون : أخبرنا حكماء مصر بذلك فأستفدناه منهم . وكانوا يتخون في كهاتهم نحو الكواكب ، ويرعمون أنها هي التي تُفيض عليهم العلوم وتُخبرهم بالقيوب ، وهي التي مآستهم أسرار الطبائع ، ودلتهم على العلوم المكتونة ؛ فعملوا الطلّسات المشهورة ، والنواميس الجلييلة ، وولدوا الولادات الناطقة ، والصّور المتحركة ؛ وبنوا العالى من البنيان ، وزبّروا علومهم في الصلب من الصّوّان ، وأنفردوا بعمل البرابي ، ومنعوا بها الأعداء من بلدهم ، وعجائبهم ظاهرة . وكان الذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة ، لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه الرتبة سُمّي قاطرًا ، وكان يجلس مع الملك في المرتبة ويصنّد الملك عن رأيه ، وإذا وآه قام له .

- ١٥ وكان من رّسمهم في كل يوم أن يدخل القاطر إلى الملك فيجلس إلى جانبه ، ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات فيقفوا حذاء القاطر ، وكلّ واحد من الكهنة منفردًا بكوكب يخدمه لا يتعدّاه إلى سواه ، ويسمّى عبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تُسمّى عبد شمس ، فيقول القاطر للكاهن : أين صاحبك ؟ فيقول :

(١) القاطر : معناه جامع العلوم ، وهو الذي يعبّد الكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، كما ذكره

المؤلف أيضا فيما سبق (ص ٢٣) من هذا الجزء .

في البرج الفلاني في الدرجة الفلانية في دقيقة كذا ، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال للملك : ينبغي لك أن تعمل اليوم كذا ، وتضع بيان كذا ، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا ، وتُجمع في وقت كذا ، وتأكل في وقت كذا ، وجميع ما يراه صلاحا له في أموره كلها ، والكاظم قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر ، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول : انقش أنت صورة كذا على حجر كذا ، وأغرس أنت كذا ، وأصنع أنت كذا ، حتى يزعج أهل الصناعات ، فيخرجون إلى دار الحكمة ويقسمون أيديهم في تلك الأعمال ، ويستعمل الملك جميع ما يأمره القاطر . ويُشرح ذلك اليوم في الصحيفة وتطوى وتودع في خزانة الملك ، فعلى ذلك كانت تجري أمورهم .

وكان الملك إذا نابه أمر جمعهم وأصطف الناس لهم في شارع المدينة ، ثم يدخلون رُكباناً يقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين أيديهم بطلب الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة : فمنهم من يعلو وجهه نور كنور الشمس فلا يقدر أحد على النظر إليه ، ومنهم من يكون عليه بدنة^(١) جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج . ومنهم من يدخل رابكا أسدا متوتعا بجيات عظام . ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر في صنوف من العجائب كثيرة . ويصنع كل واحد منهم ما يلد عليه كوكبه الذي يعبد ، فإذا دخلوا على الملك قالوا : أرادنا الملك لأمر كذا وقد علينا ، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا . فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك قرقان فأبعدهم . وكان فليمون^(٢) رئيس الكهان ، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد أنقلبت بأهلها ، وكان الأصنام

(١) بدنة : البدنة البقرة ، وهي قيص لا كين له ، تلبسه النساء .

(٢) في خط المخطوط : « فليمون » .

- تهوى على ربوسها ، وكانت ناسا يتزلون من السماء معهم مقامع فيضربون الناس بها ، وكأنه قد تلقى بأحدهم وقال له : ما لكم تفعلون بالخلق هذا ! أما ترحمونهم ؟ فقال : لأنهم كفروا باللهم . قال : أفألم من خلاص ؟ قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليلق بـ صاحب السفينة ، فأنبى وهو يخاطبه ، فبقي مرعوبا مما رآه . وكان له امرأة وولدان ذكر وأنثى ومعه تلاميذه ، فأجمع على أن يلقى بنوح عليه السلام ، ثم نام أيضا فرأى كأنه في روضة خضراء ، وكانت فيها طيورا بيضاء تفوح منها رائحة طيبة ، وكأنه تستجب من حسنها إذ تكلم بعض الطيور فقال لأصحابه : سيروا بنا نتبع المؤمنين . قال له فليمنون : ومن هؤلاء المؤمنون ؟ قال : أصحاب السفينة . فأنبى مرعوبا وأخبر أهله وتلاميذه بذلك ثم نام .

- ١٠ فلما كان الندى أتى الملك فقال : إن رأى الملك أن يُنفذنى إلى درمسيل لأهرف حال هذا الرجل الذى عمل السفينة فأشاهده وأناظره على ما جاء به من هذا الدين الذى أظهره وأثبت حقيقة أمره . فليعمل ؛ فإنى أرجو أن يكون ذلك سببا لملاكمه ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك ذلك منه وأذن له فى الخروج ، فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل وقصد نوحا وسأله أن يشرح له دينه ففعل ذلك ، فأمن به وجميع من معه ، فقال نوح عليه السلام : من أراد الله عز وجل به الخير لم يصدِّقه أحد عنه . فلم يزل فليمنون مع نوح عليه السلام يخدمه هو وولده وتلاميذه إلى أن ركبوا السفينة .

وأما فرعان الملك فإنه أقام منهما فى ضلاله وظلمه ، مقبلا على هوه ، واستخف بالكهنة والهيكل ، وضاعت الدنيا بأهلها ، وكثر الهرج والظلم ، وفسدت الزروع ،

وأجذبت النواحي ، وظلَّ الناس بعضهم بعضاً ، ولم يكن أحدٌ ينكر ذلك عليهم ،
وسُدَّتْ المياكل والبرابي ، وطُبِّتْ أبوابها ، وجاءهم الطوفان وأقبل المطر عليهم ،
وكان فرعان سكان فلم يَمُ إلا ببحر الماء ، فوثب مُبادراً يريد [الهرب إلى] الحرم^(١)
فتخلَّصَت الأرض به ، وطلب الأبواب نفاثته رجلاه وسقط على وجهه وجعل
يُخَوِّد كما يُخَوِّد الثور ، إلى أن أهلكه الله تعالى بالطوفان ، ومن دخل الأسراب منهم
هلك بغمها ، ولحق الماء من الأرض والأهرام إلى آخر التبريع ، وهو ظاهر عليها
إلى الآن ، وأقرضت ملوك الدنيا أجمع بالطوفان ولم يسلم إلا أصحاب السفينة كما
تقدم . فعندة من شئى لبنا من ملوك مصر قبل الطوفان على هذا السياق تسعة عشر
ملكاً ، ثم ملكها بعد الطوفان من نذكره .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك

قال إبراهيم بن القاسم الكاتب : قال إبراهيم بن وصيف شاه : أجمع أهل الآثار
أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ،
وذلك بدعوة سبقت له من جده . وكان السبب في ذلك أن فليمون الكاهن سأل نوحاً
عليه السلام أن يخلطه بأهله وولده وقال : يا نبي الله ، إني قصدتك رغبة في الإيمان بالله
سبحانه وتعالى وتصديقك يا نبي الله ، وتركت وطني وبلدي فأجعل لي رفعةً وقدرًا
أذكر بهما من بعدى ، فزوج نوح^(٢) عليه السلام بيصر بن حام بنت فليمون الكاهن
فولدت له ولداً سماً فليمون مصرم باسم بلده ، فلما أراد نوح قسمة الأرض بين
بنيه قال له فليمون : ابعت منى يا نبي الله ابني حتى أمضى به إلى بلدي وأظهره
على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه ، فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته ، وكان

(١) الكلمة من خط المقرئ (ج ٣ ص ٢٥ طبة نيت)

(٢) في خط المقرئ (ج ١ ص ٧٣ طبة نيت) : «مصرم» .

فلما مرّاهقا ، فلما قُرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في الموضع مدينة ومماها دُرّسان ، أى باب الجنة ؛ فزرعوا^(١) وزرعوا^(٢) وسوا الأشجار والأجنّة من درسان الى البحر . [فصارت هناك] زروع وأجنّة وعمارة وكان الذين مع مصرم جبارة ؛ فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش .

- ونكح مصرم امرأة من بنات الكهنة فولدت له ولدا سماه قبطيم ، ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر ، وهم : قُطُوريم ، وأشمون ، وأترب ، وصا ، وكثروا وعمروا الأرض وبُورك لهم فيها . وقيل : كان عدد من وصل مع مصرم ثلاثين نفرا فبنوا مدينة سَمَّوها ماقه ، ومعنى ماقه ثلاثون بلغتهم ، وهى مَنب ؛ وكشف أصحاب فليمون عن كنوز مصر وعلموهم خط البراني ، وأغاروا^(٣) لهم المعادن من الذهب والبرجد والقيروذج والأسباد ثم وغير ذلك ، ووصفوا لهم عمل الصنعة ، فجعل الملك أمرها الى رجل من أهل بيته يقال له مقبطام ، فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقى فسَمَّى به المقطّم ، وعلموهم أيضا عمل الطلسمات . وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وأجنّتهم وبنانهم فعملوا لها الطلسمات ففابت ولم تعد ، وبنوا على حبر البحر مدنا منها : رقودة مكان الإسكندرية ، وجعلوا^(٤) في وسطها قبة على أساطين من نحاس مُذهَّب والقبة مُذهَّبة ، ونصبوا فوقها مرآة من أخلاط شتى قُطرها خمسة أشبار ؛ وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ؛ فكانوا اذا قصلهم قاصد من الأمم التى حولهم ، فإن كان عما يهيمهم أو من البحر عملوا تلك المرآة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته ؛ فلم تزل على حالها الى أن ظب عليها

(١) درسان : هى مدينة الریش . (٢) التكة من خط المقرئى (ج ١ ص ٧٣ طبع فيت) .

(٣) فى مرجع الذهب السعودى (ج ١ ص ١٨٠ طبع بلاق) : « الأشباد بشم » وذكر أنه نوع من الجواهر تنفذ منه النور ويغيرها .

البحر ففسها . وقيل : إن الإسكندر إنما عمل المطارة تشبها بها . وقد ذكرنا خبر المطارة فيما تقدم من كتابنا هذا .

وقال : لما حضرت مصرم الوفاة عهد إلى ابنه قبطيم بن مصرم ، فقسم قبطيم مصر بين بنه الأربعة : فجعل لابنه قُطَطِيم من قُفَط إلى أسوان إلى الثوبة ، ولأشمون من أشمون إلى مَنَف ، ولأثريب الخوف كله إلى الشجرتين إلى أيلة من الججاز ، ولصا من ناحية صا البعية إلى قُرب برقة ، وقال لأخيه فارق : لك من برقة إلى المغرب ، فهو صاحب إفريقيا . وولده الأفارق . وأمر كل واحد من بني أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه . وأمر مصرم عند موته أن يحفروا له في الأرض سربا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفنوا معه جميع ما في خزانته من الذهب والجوهر ، ويذبروا عليه أسماء الله تعالى الماسة من أخذه . وحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصقعا بصفاق الذهب ، وجعلوا له أربعة أبواب ، على كل باب منها تمثال من ذهب طوله تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد ، وذبروا في صدر كل تمثال آيات عظاما مانعة ، وجعلوا جسده في جُرن من المرمر مُصَقَّع بالذهب وذبروا على مجلسه : مات مصرم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ، ومات ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هَرم ولا سقام ، ولا حُزن ولا اهتمام ، وحصنه بأسماء الله العظام ، لا يصل إليه إلا ملك ولده سبعة ملوك مدين بدين الملك الديان ، ويؤمن بالبعث والفرقان ، الداعي إلى الإيمان في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف

بَرْنِيَّة [مملوءة^(١)] من الدر الفاخر والصَّنعَة الإلهية ، والمعايير السَّبعة ، والطلسمات
العجيبة ، وسبائك الذهب مكدَّسة بعضها على بعض ، وسَقَفُوا ذلك بالصخور العظام
وهالوا فوقها الرمال [بين جيلين^(٢)] .

وَأَسْقَلَ قُبْطِيمَ بِالْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ .

- وَيَقَال : إِنَّ قِبْطَ مِصْرَ مَنسُوبُونَ إِلَيْهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الْعِبَابَ وَأَثَارَ
المعادن ، وشقَّ الأنهار . وَيَقَال : إِنَّهُ لَحَقَّ الْبِلْبِلَةُ وَخَرَجَ مِنْهُمْ هَذِهِ اللُّغَةُ
الْقِبْطِيَّةُ ، وَعَمِلَ مَا لَمْ يَعْمَلْهُ أَبُوهُ مِنْ نَصَبِ الْأَعْلَامِ وَالْمَنَارَاتِ وَالْعِبَابِ
وَالطَّلِسمَاتِ . وَمَلَكَهُمْ قِبْطِيمَ [أربع مائة و^(٣)] ثَمَانِينَ سَنَةً وَمَاتَ ؛ فَأَعْتَمَ عَلَيْهِ بَنُوهُ
وَأَهْلُهُ وَدُفِنَ فِي الشَّرْقِ فِي سَرَبٍ تَحْتَ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ الدَّاخِلِ ، وَصَفَّحُوهُ بِالْمِصْرِ الْمُؤَنِّ
وجعلت فيه منافذ للرياح ؛ فَهِيَ تُنْفِزُ فِيهِ يَدْوَى عَظِيمٌ هَائِلٌ ، وَجُمِلَ فِيهِ مِنَ الْكِبَرِيَّاتِ
الْأَحْمَرِ وَأَكْرَمَ مِنْ نَحَاسٍ مَطْلِيَّةٍ بِأَدْوِيَةِ مُشْمِلَةٍ لَا تُطْفَأُ ، وَلَطَعُوا جَسَدَهُ بِالْمَرْ وَالْكَافُورِ
وَالْمُؤْمِيَا ، وَجَعَلُوهُ فِي جُرْنٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ثِيَابٍ مَنسُوجَةٍ بِالْمَرْجَانِ وَالذَّرَى ، وَكَشَفُوا عَنْ
وَجْهِهِ وَجَعَلُوهُ تَحْتَ قَبَّةٍ مَلُونَةٍ ، فِي وَسْطِهَا دَوَّةٌ مَمْلُوءَةٌ نُضْيَاءً كَالْمِرْجَاحِ ، وَالْقَبَّةُ عَلَى
أَعْمَدَةٍ بَيْنَ كُلِّ عَمُودَيْنِ تَمْتَلَأُ فِي يَدِهِ أَعْجُوبَةٌ ، وَجَعَلُوا حَوْلَ الْجُرْنِ تَوَابِتَ مَمْلُوءَةً
جَوْهَرًا وَذَهَابًا وَتِمَاطِيلَ وَصَنَمَةً وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَحَوْلَ ذَلِكَ مَصَاحِفَ الْقِبْطِ وَالْحِكْمَةِ ،
• وَسَدُّوا عَلَيْهِ بِالصَّخُورِ وَالرِّصَاصِ وَزَبَرُوا عَلَيْهِ كَمَا زَبَرُوا عَلَى نَاوُوسِ أَبِيهِ .

- وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ قُفْطَرِيمُ بْنُ قُبْطِيمَ ، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِيهِ ؛ وَكَانَ جَبَّارًا عَظِيمًا
الْخَلْقِ ، وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ أُسَاسَاتِ الْأَهْرَامِ الدَّهْشُورِيَّةِ وَغَيْرَهَا لِيَعْمَلَ مِنْهَا كَمَا عَمِلَ
الْأَوَّلُونَ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى دَنْدَبَرَةَ وَمَدِينَةَ الْأَصْنَامِ . وَدَنْدَبَرَةُ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ إِقْلِيمِ
قَوْصَ ، وَهِيَ فِي الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ مَشْهُورَةٌ هُنَاكَ . قَالَ : وَأَثَارَ مِنَ الْمَعَادِنِ مَا لَمْ يَثَرِ غَيْرُهُ ،

(١) التَّكْلَةُ مِنْ خُطِّ الْمَقْرِيزِيِّ (ج ١ ص ٧٥ طَبْعَةُ فَيْت) . (٢) الْبِلْبِلَةُ : اِسْتِغْلَاظُ الْأَلْسَنِ .

(٣) التَّكْلَةُ مِنْ خُطِّ الْمَقْرِيزِيِّ (ج ٣ ص ٣٣ طَبْعَةُ فَيْت) .

وكان يجر من الذهب مثل حجر الرحي، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسباد شم
في صحراء القرب كالقلة، وعمل من العجائب شيئا كثيرا. وتبنى منارا عاليا على جبل فقط
يرى من البحر الشرق، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها
هناك إلى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال: إنه بنى المدائن
الداخلية وعمل فيها عجائب كثيرة، منها: الماء الملقوف القائم كالعمود لا ينحل
ولا يذوب، والبركة التي تسمى فلسطين، أي صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط
فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر
إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرّة من تلك المدينة صغر صغيرا عاليا فترجع
تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس
لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى
يأتيه أهل المدينة وينفضون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند
الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى
رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالقوس كأنه يرمى غنها، فإن
عابنه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى يُنحى أهل المدينة. وكان ذلك الصنم
يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

قال وقيل: إن هذا الصنم على حاله إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك
المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم
أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال: وكان بعض الملوك
عمل على قلعه قبا أمكنه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال: إنه عمل في بعض
المسكن الداخلية امرأة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غريبة
البلد. قال: وعمل خلف الواحات الداخلية مدنا عمل فيها عجائب كثيرة

ووتكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها ؛ فإستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها أو يعمل قرايين أولئك الروحانيين فيصل إليها حينئذ ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر . قال : وأقام قفطريم ملكا أربعائة سنة . وأكثر العيبات عملت في وقته ووقت ابنه البودسير .^(١) وكان الصعيد أكثر عجائب من أسفل الأرض . قال : وفي آخر أيام قفطريم هلكت عاد بالريح العقيم .

- ولما حضرت قفطريم الوفاة عمل له ناووس من الجبل الغربي قرب مدينة الكهنة، كان عمله لنفسه قبل موته في سرب في الجبل كهيئة الدار الواسعة وجعل دورها خرائن منقورة، وجعل في سقوفها مسارب للرياح، وبني ذلك بالممر، وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفعا بالزجاج الملون المسبوك، وجعل في سقوفه جواهر ومجارة تسرج، وجعل في كل ركن من أركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالقوق، وجعل تحت القبة دكة مصفعة بالذهب، وجعل لها حواف زبرجد، وفرش فوق الدكة فرش الحرير، وجعل عليها جسده بعد أن لُطخ بالأدوية المسكة، ومن جوانبه آلات الكافور المخروطة، وسُدت عليه ثياب منسوجة بالذهب، ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج ملوكه، وعن جوانب الدكة أربع تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك مثل صور النساء والوانين، بأيدين كالمرآح من ذهب، وعلى صدره من فوق الثياب سيف صاعق قائمه من الزبرجد، وجعل في تلك الخرائن من الزبرجد وسبائك الذهب والتيجان والجواهر وبراني الحكيم وأصناف العقاقير والعطومات، ومن المصاحف الحاوية لجميع العلوم، مالا يحصى قدره كثرة، وجعل على باب المجلس ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين مزبور عليه آيات عظام مائة، وجعل على مدخل كل أزج صورتين من نحاس مشوهتين بأيديهما

(١) في خطط القريري : « البودشير » بالثين المعجمة .

سيفان كالبرق ، ووراءهما بلاطة تحتها لوالب فن وطنها ضربه بأسيافهما فقتلاه ،
وفي سقف كل أَرْج كرة عليها لَطُوحٌ مَدْبَرٌ يُسْرَجُ ، وسُدَّ باب الأَرْج بالأساطين ورصوا
على سقفه البلاط العظيم ورددوا فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأَرْج : هذا
الداخل إلى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الأَيْدِ والقهر ،
والغلبة والقهر ، أَقْلَ نَجْمَةٍ وَيَقَى ذِكْرَهُ وعلمه ، فلا يصل أحد إليه ، ولا يقدر بحيلة
عليه ، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ، ودورات مضت من السنين .

قال : ولما مات قُفْطَرِيمُ ملك بعده أبنته البودسير بن قفطريم ؛ فتجبر وتكبر
وعمل بالسر وأحتجب عن العيون ، وقد كان أعمامه أشمون وأتريب وصاموكا على
أجبارهم إلا أنه قهرهم بجهوده وقوته ، فكان الذكر له كما كان لأبيه . ويقال : إنه
أرسل هِرْمَسَ الكاهن المصرى إلى جبل القُمر الذى يخرج النيل من تحته حتى
يحمل هناك هيكل التماثيل النحاس ، وعمل إلى البطيحة التى ينصب إليها ماء النيل .
ويقال : إنه الذى عمل جاني النيل وقد كان يفيض [فى مواضع وينقطع
فى مواضع ^(١)] ، وأمره البودسير أن يسير مغربا فينظر إلى ما هناك ، فوقع على أرض
واسعة متخزفة بالمياه والعيون كثيرة العُشْب ، فبنى منائر ومتزهات ، وحول إليها جماعة
من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة ،
وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فقتلوا ؛ ثم إنهم تحاسدوا وبنى بعضهم
على بعض ، وكانت بينهم حروب تغرب البلد وباد أهلها إلا بقية منازل تسمى
الواحات هى موجودة إلى وقتنا هذا .

ويقال : إنه عمل عجائب كثيرة فى وقته ، منها : قبة لها أربعة أركان
وفى كل ركن منها كوة يخرج منها كالدخان المثلث فى ألوان شتى [يستدلون بكل

(١) الشكلة من غلط القرطبي (ج ٣ ص ٣٧ طبع فيت) .

لون على شيء^(١)؛ فما خرج منه أخضر دلّ على العماره وحسن النبات والزرع وصلاحه، وإن خرج الدخان أبيض دلّ على الجذب وقلة الزكاء، وإن خرج أحمر دلّ على الدماء والحروب وقصد الأعداء، وإن كان أسود دلّ على كثرة الأمطار والمياه وفساد بعض الأرض بذلك، وإن كان أصفر دلّ على النيران وآفات تحدث في الفلك، وما كان منها غلطاً دلّ على مظالم الناس وتعدّي بعضهم على بعض وإهمال ملوكهم لهم، وأشياء من هذا الضرب، وكانت هذه القبة على منار أقام زمناً طويلاً ثم هدمه بعض الملوك البربر؛ لأنه أراد غزو قوم بتلك الناحية فعملوا بحاله فانتقلوا عن ذلك الموضع إلى قرب النيل فلما جاء ولم يجد هدمه.

ومما عُمل له في الصحراء التي تقرب منه — وكُنيت الوحش قد كثرت وأفسدت عليهم زرعهم وكذلك خنازير الماء — شجرة من نحاس عليها أمثال تلك الوحوش ١٠ مُلجمة أنواعها بجيوط من نحاس، فما يجوز بها من الوحش لا يستطيع الحراك ولا البراح من عندها حتى يُؤخذ قبضاً ويُقتل؛ فاشبع الناس في لحوم تلك الوحوش وانتفعوا بجلودها زمناً طويلاً إلى أن اترعها بعض ملوك الغرب سرّاً من أهل مصر وقدّر أن ينصبها في بلدهم فتعمل له مثل ذلك، فلما عملها بطلت؛ لأنهم كانوا يعملون ما يعملون بطالع يأخذونه له، فلا يزال عمله مستقيماً إلى أن تغير عن مكانه ١٥ فبطل عمله.

ومما عُمل في وقته أن غراباً تقتر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها، فعمل شجرة من نحاس عليها أمثال غراب من نحاس في منقاره حربة بادية الطرفين، منشور الجناحين، وكتب على ظهره كتاباً؛ فكانت الغربان تقف على تلك الشجرة

(١) الكلمة من خط المبرزى. (٢) الزكاء: الثناء، يقال زكاه الشيء، يزكو زكاه، وزكوا، نما. ٢٠

ولا تبرح حتى تؤخذ فتقتل، ففني أكثر الغربان وزالت عن تلك الناحية إلى ناحية الشام . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن أصاب بعض ملوكهم علة^(١) ووصف له فيها لحْم غراب يطبخه ويأكله ويشرب من مرقه فلم يوجد، فوجه إلى آخر العمل الذي بمصر من ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ عليه، فأمر بترع الشجرة فرجع الغربان وأخذ منها ما عولج به الملك قبل أن يرجع رسوله .

وبما عمل في وقته - وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ظهرت على زروعهم - فعمل لذلك صنفاً من صوان أسود على قاعدة منه وعلى كتفه شبه الفقة فيها كالسماعة، ونقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه حروفاً، وأقامه الكاهن بطالع أخذه له ووجهه إلى الغرب؛ فأنكشفت تلك الرمال ورجعت إلى ورائها . فلك الأكادس العالية في صحراء الغرب منها . ولم تزل الرمال تندفع عنهم إلى أن زال ذلك الصنم عن موضعه . قال : وأقام البودسير مدة واحتجب عن الناس، وكان يحتمل لهم في صورة وجه عظيم، وربما خاطبهم ولا يرونه، ثم فبر مدة^(٢) وهم في طاعته إلى أن رآه أبنه عديم وهو يأمره بالجلوس على سرير الملك .

فجلس عديم بن البودسير على الملك وكان جباراً لا يطاق، عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ليحمل هراً كما عمل الأثولون . قال : وكان في وقته الملكان اللذان

(١) غير : مكث وبق .

(٢) في خط المقرئ (ج ٣ ص ٣٨ طبع فينت) ما نصه : « فلما مات ملك بعده آبه أرقليون، وكان كاهناً ساحراً، فعزل أعمالاً عظيمة، منها : أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة على ذلك، ثم إنه غاب عن أهل مصر وصاروا يغير ملكاً، ثم رآوا صورة بجاء جرم الشمس عند حلولها أزل برج الحمل، فأمرتهم أن يقتلوا الملك عديم بن قفطريم : وأعلمهم أنه ما بقي يعود إليهم . فلو أن عليهم ملك مصر عديم بن قفطريم، وكان جباراً عظيماً ... إلخ » .

هبوطاً من السماء، وكانوا في برّ يقال لها أفنوه، وكانا يعلّمان أهل مصر السحر. ويقال:
إن عديم استكثر من علمهما ثم قُتلا إلى بابل.

قال: وأهل مصر من القبط يقولون إنهما شيطانان يقال لهما: مُهَلَّة ومَهَالَّة،
وليس هما الملكين. والملكان ببابل في برّ هناك يفشاها السحرة إلى يوم الساعة.
ولنصل هذا الفصل بنجر هاروت وماروت وإن لم يكن به، وإنما الشيء.
بالشيء يذكر. والله أعلم.

ذكر خبر هاروت وماروت

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيَّانٍ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾

- الآية. قال أبو إسحاق الثعلبي في تحصيله: وكانت قصتهما — على ما ذكره ابن عباس
رضي الله عنه والمفسرون — أنّ الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة
وذنوبهم الكثيرة؛ وذلك في زمن إدريس عليه السلام فيعبرونهم بذلك، ودعت طيهم
الملائكة وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض وأخترتهم فهم يصوتك؛ فقال الله
عز وجل لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض ورُكبت فيكم ما رُكبت فيهم لركبت ما أرتكبوا؛
فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك؛ قال الله تعالى: فَأَخْتَارُوا مُلَكَيْنِ
من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فَأَخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وكانا من أصلح
الملائكة وأعبدهم. قال: وقال الكلبي: قال الله لهم: اختاروا ثلاثة فَأَخْتَارُوا
عَزَاً وَهُوَ هَارُوتَ، وَعَزَايَا وَهُوَ مَارُوتَ، وَغَيْرَ آمَمَهُمَا لَمَّا قَارَفَا الذَّنْبَ، وَعَزَايِلَ؛
فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بني آدم وأهبطهم إلى الأرض، وأمرهم أن يحكموا

١٢٤
١٢

بين الناس بالحق ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق ، ونهاهم عن الزنا وشرب الخمر . فلما عزابيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرضه إلى السماء فأقاله ورضه ، فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه . ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياءً من الله تعالى . وأما الآخريان فإنهما بقيا على ذلك ، وكانا يقضيان بين الناس يومئذيا فإذا أسيا ذكرا أسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة : فما مرة عليهما أشهر حتى افتنا .

قال الثعلبي : قالوا جميعا : وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أجل النساء . قال علي رضي الله عنه : كانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فلما رآها أخذت بقلوبهما ، فراوداها عن نفسها فأبت وأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك ، فأبت وقالت : لا ! إلا تبدا ما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وقتلا النفس ، وتشربا الخمر . فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء ، فإن الله عز وجل نهانا عنها ، فأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من مخروف في أنفهما من المليل إليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه . قال الربيع بن أنس : وعجدا للصنم فسحق الله عز وجل الزهرة كوكبا .

وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي رضي الله عنهم : إنها قالت لهما : لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بأسم الله الأكبر . قالت : فما أنما بمدركاني حتى تملأانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علبها ! قال : إنني أخاف الله . قال الآخر : فأبر رحمة الله ! فملأها ذلك . فحككت به وصعدت

إلى السماء . فسبحها الله تعالى كوكبا . فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها ، وقيدوها فقالوا : هى هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية «ناهيد» ، وبالنبطية «بيدخت» . قال : ويدل على صحة هذا القول ما رواه التلمبى : بسنده إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سُهيلًا قال : " لمن الله سُهيلًا إنه كان عشارًا باليمن ولعن الله الزهرة فلما فتنت ملكين " .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما ذات ليلة فقال لى : ارمق الكوكبة فإذا طلعت فأيقظنى ، فلما طلعت أيقظته ، بفعل ينظر إليها ويسبها سبًا شديدًا . فقلت : رحلك الله تسب نجما سامعا مطيعا لله ؟ ما له يسب ! فقال : إن هذه كانت نبياً تلقى الملكان منها ما لينا . وقال نافع : كان ابن عمر رضى الله عنهما إذا رأى الزهرة قال : لا مرحباً بها ولا أهلاً . وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن المرأة التى قُتِن بها الملكان مُسِحَتْ ، فهى هذه الكوكبة الحمراء ، يعنى الزهرة .

قال التلمبى : وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله قواماً للعالم ، وإنما كانت هذه التى قُتِنت هاروت وماروت امرأة ، كانت تسمى زهرة من جمالها ، فلما بفت جعلها الله تعالى شهاباً ،

(١) المشار : الذى يخفى عشر الأموال .

(٢) ويؤيد هذا ما قاله الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة (ج ٢ ص ٢٠٤) : وهذا ذهب ضيف وبعد ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أماء الله على وجهه ، وسفراءه إلى رسله (لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) . وأما العقل فلا ينكر وقوع المصيبة من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويتحقق فيهم الثبوت ؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء الطيباء ، لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع ولم يصح . وما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ؛ ففى التفسير : -

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الكافرين فلعلها ، وكذلك سهيل السَّار . والله أعلم .

قالوا : فلما أَمسى هاروت وماروت بمد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما ، فعلمتا ما حلَّ بهما فقصدتا لإدريس عليه السلام فأخبراهما بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل ففعل ذلك ، فغفَّرَهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فأختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع ، فهما يبابل يعذبان . واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال قتادة : يُجَلَّأ من أقدامهما إلى أصول أنفاهما . وقال مجاهد : إن جُبا ملئ ناراً فجعل فيهما . وقال حصيف : معلقان منسكان في السلاسل ، وقال عُمر بن سعد : منكوسان يُضربان بسياط الحديد . وروى أن رجلاً أراد تعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدتهما معلقين بأرجلهما ، مُزِرَّة أعينهما ، مُسوِّدة جلودهما ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلَّا قدر أربع أصابع ، وهما يعذبان بالمطش ، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله ، وقد نهيَّ من ذكر الله هناك . فلما سمعا كلامه قالا : مَنْ أنت ؟ قال : رجل من الناس . قالا : من أى أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قالا : وقد بُعث ؟ قال نعم . قالا : الحمد لله ! وقد أظهرنا الاستبشار . فقال الرجل : ومـ استبشارك ؟ قالا : إنه نبي الساعة ، وقد دنا آتقضاء عذابنا .

== "إن البلاء لما خلقت خلقاً فيها سبعة دوائر زحل والمشتري وهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر" . وهذا معنى قولها تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فثبت بهذا أن الزهرة وسيلة قد كانا قبل خلق آدم ، ثم إن قول الملائكة : ما كان ينبغي لنا عوده ، لا نقدر على قتلنا ، وهذا كفر شؤم بالله منه ومن نسبته إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وقد نهضهم وهم المزهونون عن كل ما ذكره وقسله المفسرون ، سبحانه وبك رب البرية عما يصفون ..

قال : وأنا كيفية تعلم السحر ، فقد روي فيه خبر جامع ، وهو ما رواه أبو إسحاق بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدمت على أمراءه من أهل ثومة الجندل جاءت تبثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به ؛ قالت عائشة رضي الله عنها لعروة : يا بن أختي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تبكي حتى إنى لأرحمها ! تقول : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ؛ قالت : كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت : إن فعلت ما أمرك به فعمله يأتيك ، فلما كان الليل جاءني بكبشين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل ، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أعلم السحر ، قالوا : إنما نحن فتنه فلا تكفري وأرجعي ، فأبيت فقلت : لا ، فقالا : اذهبي إلى ذلك الثور فبولى فيه ، فذهبت ففزعته فلم أقبل ، فرجعت إليهما فقالا : فعلت ؟ قلت نعم ، قالوا : هل رأيت شيئا ؟ قلت : لم أر شيئا ، فقالا : لم تفعل ، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري ، قالت : فأبيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك الثور فبولى فيه ، فذهبت فأقشعز جلدي فرجعت إليهما فقلت : قد فعلت ، فقالا : هل رأيت شيئا ؟ فقلت : لم أر شيئا ، فقالا : كذبت لم تفعل ، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك ؛ قالت : فأبيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك الثور فبولى فيه ، فذهبت إليه فلبتُ فرأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه ، فلفتهما فقلت : قد فعلت ؛ قالوا : فما رأيت ؟ قلت : رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء حتى ما أراه ، قالوا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ؛ اذهبي . فقلت للراة : والله ما أعلم شيئا ، وما قال لي شيئا . فقالت : لن يزيد شيئا إلا كان ؛ خذي هذا القمح فأبذري ،

فَبَدَّرْتُ ، قلت : أَطْلَيْ ، فَأَطْلَمْتُ ، فَقُلْتُ ، أَحْطَلُ ، فَأَحْقَلْتُ ، ثم قلت : أَفْرَكِي ،^(١)
فَأَفْرَكْتُ ، ثم قلت : أَطْحَنِي ، فَأَطَحَنْتُ ، ثم قلت : أَخْزِي ، فَأَخْبَزْتُ . فلما رأيت
أَنِّي لَا أُرِيدُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ ، سَقَطَ فِي يَدِي وَنِدِمْتُ . وَاللَّهِ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا فَعَلْتُ
شَيْئًا قَطُّ ، وَلَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا .

قال : وقال بعضهم : إنهما لَا يَتَعَمَدَانِ تَعْلِيمَ السَّحَرِ وَلَكِنَّهُمَا يَصِفَانِهِ وَيَذْكُرَانِ
بَطْلَانَهُ وَيَأْمُرَانِ بِاجْتِنَابِهِ ، فَيَتَعَلَّمُ الشَّقَّ مِنْهُمَا فِي خِلَالِ صِفَتِهِمَا وَيَتْرَكُ مَوْعِظَتَهُمَا
وَنَصِيحَتَهُمَا ، فَلَا يَكُونُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ كَفَرًا وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَمَلُ بِهِ كَفَرًا . وقد أنكر
بعضهم أَن يَكُونَا مَلَكَيْنِ قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَا مَلَكَيْنِ . وقرئ في الشَّوَادِ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ (بِكسر اللام) . وقيل : كَانَا عِلْمَيْنِ بِبَابِلَ . حكاه القاضي هياض
فِي كِتَابِ الشُّفَا . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .



وَنَرْجِعُ إِلَى أَخْبَارِ عَدِيمِ بْنِ الْبُسُودِيِّ الْمَلِكِ . قَالَ : وَعَدِيمٌ أَوَّلُ مَنْ صَلَبَ ،
وَذَلِكَ أَنَّ أَمْرَأَةً زَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ ، وَكَانَ لَهَا زَوْجٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَمَرُ

١٢٦
١٢

- (١) أَطْلَمْتُ : أَطْلَعُ الزَّوْعَ ، بَدَأَ . (٢) أَحْقَلْتُ : أَحْقَلُ الزَّوْعَ ، تَسَمَّى وَرَقُهُ قِيلَ
أَن تَقْلُظُ سَوْفَهُ . (٣) أَفْرَكِي : يُقَالُ أَفْرَكُ الزَّوْعَ إِذَا بَلَغَ أَن يَفْرَكَ بِالْيَدِ . ١٥
(٤) وَرَدَ بِهَامِشِ نَسْخَةِ بَ هَذِهِ الْحَاشِيَةِ وَفِيهَا : « وَالصَّحِيحُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ ، وَأَمَّا
الَّذِي ذَكَرَ أَوَّلًا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْمَقَالِ الرَّابِعِ الصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ يَقُولُ الْعُلَمَاءُ الْأَقْدَمِينَ
الَّذِينَ دَرَسُوا الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ الْحَقِيقِيَّ وَالْمَعَارِفَ الْعَقْلِيَّةَ ، وَهُمْ الْقَلَاسِفَةُ الْعِظَامُ الَّذِينَ هُمْ فِي مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ
الْعِظَامُ مِثْلَ آدَمَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَسُورَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ وَيَسَى وَعِدَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِأَنَّ
الْمَلَائِكَةَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَةً غَيْرَ خَلْقَةِ ابْنِ آدَمَ وَجَعَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْقُوَّةِ ، يَتَصَوَّرُونَ بِكُلِّ مَسْوُورَةٍ
أَرَادُوا ، وَهُمْ شَبَابٌ لَمْ يَمُوتُوا وَلَمْ يَتَغَيَّرُوا وَلَمْ يَجْبُرُوا وَلَمْ يَرْمِ بِشَرٍّ إِلَّا إِنْ أَرَادُوا ذَلِكَ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ
هَارُونَ وَهَارُونَ لَيْسَا مَلَكَيْنِ وَإِنَّمَا كَانَا عِلْمَيْنِ ظَالِمَيْنِ فَأَهْلَكَهُمَا اللَّهُ سِجَانَهُ وَضَرَبَ بِهِمَا الْمَثَلَ » .
(٥) رَاجِعْ صَفْحَةَ ١٧٢ طَبِيعَ الْأَسَاسَةِ . (٦) بِمَعْنَى لِأَجْلِ الزَّوَانِ .

- بصلبهما على منارتين، وجعل ظهر كل منهما إلى ظهر صاحبه، ووزر على المنارتين
 آتمهما وما فعلاه وتاويخ الوقت الذي عُيِّلَ ذلك بهما فيه، فأتهى الناس عن الزنا.
 قال: وبنى أربع مدائن وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الأعمال والظلمات
 وغير ذلك، وكثر فيها كنوزا كثيرة. وعيِّل في الشرق منارا وأقام على رأسه صنفا^(١)
 موجها إلى الشرق، ماذا يذبه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده، وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه؛ ويقال: إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا؛
 ولولاه لقلب الماء المالح من البحر الشرقى على أرض مصر. وعمل فطرة على النيل
 في أول بلاد النوبة ونصب عليها أربعة أصنام موجهة [إلى أربع جهات الدنيا]
 في يدي كل صنم جرس يضرب به إذا أتاها آت من تلك الناحية؛ فلم تزل بحالها
 إلى أن هدمها فرعون موسى. وهو الذي عمل البريا على باب النوبة؛ ويقال: ١٠
 إنه عُيِّل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوءا ماء
 لا ينقص على طول الدهر ولا يتغير؛ وكان أهل تلك الناحية يشربون منه ولا
 ينقص ماؤه؛ وإنما عمل ذلك لبعدهم عن النيل وقربهم من البحر المالح. وقد
 ذكر بعض كهنة القبط أن ذلك لقربهم من البحر المالح، لأن الشمس فيها ذكروا
 ترفع بجوها بخارا فيحصل من ذلك البخار حر بالهندسة، وقيل بالسحر. وملكهم ١٥
 عديم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن سبعمائة سنة وثلاثين سنة. وقيل:
 إنه دفن في إحدى المسدائن ذات العجايب في أريج من رخام ملون بزرقة، مبطن
 برخام أصفر، وطلى جسمه بما يحسكه، وجعل حوله كثير من ذخائره، وذلك
 وسط المدينة، فهي محروسة بما يمنع منها من الروحانيين.

(١) كذا في المقرئى. وفي الأصل: «منارا عليه صنفا».

(٢) الكلمة من خط المقرئى.

قال : وذكر بعض القبط أنّ عديماً هذا عمل لنفسه في صحراء فقط على وجه الأرض قبة عظيمة من زجاج أخضر برّاق، معقودة على ثمانية أراج من صنفها، على رأسها أكرة من ذهب، عليها طائر من ذهب، متوّج بجوهر، مفشور الجناحين، يمنع من الدخول إليها، وقطرها مائة ذراع في مثلها، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه، وعليه ثياب منسوجة بذهب مفروزة بجوهر منظم، والآراج مفتحة، طول كل أراج ثمانية أذرع، وارتفاع القبة أربعون ذراعاً تلقى الشّمس على ما حولها من الأرض، وجعل حوله في القبة مائة وسبعون مصحفاً من مصاحف الحكمة، وسبع موائد عليها أوانيها، منها : مائدة من أدرك ومائتي أحر وآيتيها منها، ومائدة من ذهب فيلوموني يخطف البصر، وهو من الذهب الذي تعمل منه تيجان الحكماء، وآيتيها منها، ومائدة من حجر الشمس المضي بآيتيها. ومائدة من الزبرجد المخروط الذي يتخالطه شعاع أصفر بآيتيها، قال : وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاقي سألت عينونها. ومائدة من كبريت أحر مدبر بآيتيها. ومائدة من ملح مدبر برّاق يكاد نوره يخطف الأبصار بآيتيها. ومائدة من زئبق معقود وقوائمه وحافاتها من زئبق أصفر معقود مضى، وعليها آنية من زئبق أحر معقود. وجعل في القبة جواهر كثيرة ملونة ورائي صنعة مدبرة، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية وأتراس من حديد أبيض مدبر، وجعل معه تمائيل أفراس من ذهب، [عليها سروج من ذهب] وسبعة توابيت من الدنانير التي ضربها وصوّرها عليها صورته، وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية في برّاني الحنتم، ومن أصناف الأحجار شيء كثير.

٢٠ (١) كذا في خط المقيزي، وفي الأصول «فلزق»، وفي هامش خطط المقيزي طبعه فيت «فلوق». (٢) التكلة من المقيزي. (٣) الحنتم : جوار خضر تضرب إلى الجرة

قال : وقد ذكر من رأى تلك القبة وأقاموا عليها أياما فما قدروا على الوصول إليها ، وأنهم إذا قصدوها وكانوا منها على مقدار ثمانية أذرع دارت القبة عن أيانهم وشمالهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما ذكروا أنهم كانوا يحاذون أزاجها أزجا أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ، ولحيته كبيرة مكشوفة ، وقدرها طول بدنه عشرة أذرع وزيادة ، وأنهم لما تبيا أن يصلوا إليها فتي مأوهم وخافوا على أنفسهم فرجعوا ليمتاروا ما يكفيهم من الزاد ففعلوا ، ثم رجعوا فأقاموا أياما يطوفون تلك الصحراء ، ثم أخبروا أنهم رأوا بها عجائب كثيرة وصنونا من الوحش لم يروا مثله .

قال : وفي كتبهم أنهم لا يصلون إليها إلا بأن يذبح لها ذك أفرق ويغريه من بعد ، ثم يسأل من المُرَّج الوصول حتى يصل ، وتكون الكواكب النيرة على مثل ما كانت عليه وقت نصيبها من اجتماعها في البروج : يكون زحل والمشتري والمُرَّج في بُرج واحد ، والشمس والقمر في بُرج واحد ، والزهرة وعطارد في بُرج واحد ، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فإذا وصل إليها لطف حاطها بدم الديك الذي قرب لها ويأخذ ما شاء من المسال والتماثيل ولا يكثر المقام فيها ولا يقيم غير ساعة واحدة .

$$\frac{127}{12}$$

قال : وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم لم يكونوا من تلك الناحية وإنما خرجوا يطلبون غيرها ، فإنهم سألوا أهل قِطط عنها فلم يجدوا من يعرفها ولا رآها غير رجل شيخ منهم ، فإنه ذكر أن أبنا له خرج في بعض الأمور معه حمل له فراها ولم يصل إليها ، وبحث عن أمرها فرف أن قوما من الشرق جاءوا في طلبها وأنهم أقاموا يطوفون بقطط أياما وخرجوا إليها فارجع أحد منهم ولا يعرف لهم خبر .

قال : وكان عديم قد أوصى إلى أبنه شدّاث عند موته أن ينصبّ في كل
حيّز من أحياز عُمومته منارا ويزرّ عليه اسمه ، فأخذوا إلى الأشْثونين فعمل منارا
وزرّ عليه اسمه وعمل بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا وأقام عليه صففا
ذا رأسين بأسم كوكبين كانا مقتنين في الوقت . وخرج إلى أتريب وبنى فيها قبة
عظيمة خمرضة على عمّدة وأساطين بعضها فوق بعض ، وجعل على رأسها صففا
صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلًا للكواكب . وكان أبوه البودسير أول من أقام
للكواكب فأخذ ذلك عنه . ومضى إلى حيّز ما فعمل فيه منارا على رأسه امرأة من
أخلاق توري الأقاليم ، ورجع إلى أبيه فعهد له بالملك .

فلك شدّاث بن عديم وهو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي
قُطعت في زمان أبيه . قال : من أنكر أن يكون المادية دخلوا مصر إنما غلطوا بأسم
شدّاث بن عديم فقالوا شدّاد بن عاد لأنه أكثر ما يجرى على ألسنتهم ، وقلة ما يجرى
على ألسنتهم شدّاث بن عديم ، وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى
على أهلها غير بُمْت نصر . وشدّاث الذي عمل مصاحف النارنجيات ، وعمل هيكل
أرمنت وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ونحاس

- (١) عبارة المقرئ : « كانا مقتنين في الوقت التي خرج فيه إلى أتريب ، وبنى فيها ... الخ » .
(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصول : « مرية » .

- (٣) كذا في الأصل وكتاب الانتصار لابن دقاق (ج ٥ ص ٣٨) . وفي المقرئ (ج ٣ ص ٢٩)
طبعة فييت : وصح الأثنى (ج ٣ ص ٤١٣) : « شدّاث » بالشين المعجمة والناء المثناة .
(٤) كذا في الأصل . وفي القاموس « النيرج » قال شارح القاموس : « هكذا
في سائر النسخ ، والمنقول من نص كلام البت « النيرج » بإسقاط النون الثانية . وكذا ورد
في لسان العرب لابن منظور . وهو أخذ كالسحر وليس به ، إنما هو تشبيه وتطيس . » (٥) أرمنت :
بلدة بصعيد مصر الأعلى ، بينها وبين الأقصر في سمت الجنوب بعض مرحلة ، وبينها وبين أسوان مرحلتان
(راجع معجم البلدان والانتصار لابن دقاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « أصنام
الكواكب » .

- مذهب، رصاص مُصْقَى وزئبق معقود. وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب وفي قسمتها . فلما فرغ منه زينه بأحسن زينة ونقشه بأحسن النقوش من الجواهر الملوّنة والزجاج المعمول الملوّن وكساه الوشى والديباج ولم يترك شيئاً من التحف إلا عمله، وكذلك عمل في المدن الداخلة من أنصنا هيكلاً^(١)، والقبة التي أقامها بأتريب وهيكل شرق الإسكندرية، وأقام لزلل صفا من صوّان أسود على عبر النيل من الجانب الغربي . وبني شدّات من الجانب الشرقي مدائن وجعل فيها صورة صنم قائم له إحليل إذا أناه المعقود والمسحور ومن لا ينشتر نفسه بكلتا يديه أزال عنه ذلك وانتشر وقوي على الباء، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما المرأة التي آنقدها لبها دق وصلح أمرها .
- ١٠ وفي أيامه بُنيت قُوص العاليسة، بناها لأكرين له كان يخط على أمه فخولها إليها وأسكن معها قوماً من أهل الحكمة وأهل الصناعات . وقيل : إن شطب بُنيت في أيامه، وعمل الصوريين المتصقطين لكثرة النسل . وكانت الحبش والسودان عاثوا في بلده فأنجرح لهم أبنة متقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي وأستعبد الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم، واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك
- ١٥ (١) أنصنا : بلدة بالصعيد الأوسط، وبها آثار عظيمة أولية، وهي على شط النيل من البر الشرقي قبالة الأشوين من البر الأكر، ولها مزدوع كثير، وهي المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جلم فرعون (راجع تقويم البلدان) . (٢) أتريب : كورة في شرق مصر، بناها أتريب بن قطيم بن مصر، وقد وصفها المقرئ وشرح ما فيها من آثار ومجائب (راجع ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) .
- (٣) قوص : أعظم مدائن الصعيد وهي على شط النيل الشرقية، سميت باسم قوص بن قطيم بن أنعم، وهي باب مكة والمين وسواكي، وقد وصفها المقرئ في خطه (ج ١ ص ٢٣٦) وأين دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٣٨) ووصفها الأذوق كذلك في كتابه الطالع السعيد (ص ٨) وصفاً بديها وذكر كثيراً من الأشياء التي قيلت فيها . (٤) شطب : مدينة من المدن التي أنجرها بخت نصر وأمرها، وهي بالقرب من أسيوط . (راجع كتاب الانتصار ج ٥ ص ٢٤ ومعجم البلدان لياقوت) .

السبي يعملون فيه ويعملون الذهب إليه ؛ وهو أول من أحب الصيد وأتخذ الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرية وما تمالج به النواب ، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة ، وجمع التماسيح ، بطلم عملها ، إلى بركة بناحية أسبوط فكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فتقتلها ، وتستعمل جلودها في السفن وغيرها ، وتستعمل لحومها في الأدوية والمقاقير المؤقتة . قال : وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتى عشرة ألف أعجوبة وطلسمات ، ولم يعمل في بلد كما عمل فيها ولا تنبأ لأهله ماتبها لهم من ذلك . قال : وأقام شذات في الملك تسعين سنة ونرج بطرد^(١) فأكب فرسه في هذه فقتله . وفي بعض كتبهم : أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في أمر من الأمور ، فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فقتل جسده ، وندم على فعله ذلك فرأى في منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه ، وآلى على نفسه ألا يعلو جبلا ، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ، ويرز عليه : ليس ينبغى لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له فعله ، وهذا ناووس شذات بن عديم بن قفطريم الملك ، عمل ما لا يحل له فكوفي عليه بمثله .

قال : ولما هلك عمل له سرب في سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صُنع بالفضة وجعل فيه على سريره ملكه ، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل وأصناف الحكيم والمصاحف شيء كثير . وكان له أربع مائة وأربعون سنة . وملك بعده ابنه متقاوش بن شذات^(٢) ، فلك بجزم وحكمة وأظهر مصاحف الحكيم وأمر بالنظر فيها ، وأن ينسخ منها لم بخط العامة ليفهموها ، وردد الكهنة إلى

(١) يطرده : يصطاده . (٢) في المقرئى : « متقاوش » بالسين المهملة .

- مراتبهم . وهو أول من عمل له الحمام من ملوك مصر . وكان كثير النكاح ؛ تزوج عدة نساء من بنات عمه وبنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا يجمع ما يصلحه من البنيان العجيب والصور المثقنة والغروس الحسنة والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها . وقد قال بعض أهل الأثر : إنه الذي بنى منف لبناته وكُنَّ ثلاثين بنتا وتلقهن إليها . وعمل مدنا غيرها ومصانع ، وعمل هيكلا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراعص من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وعجائب أغرب فيها بفضل حكمة أبيه وجده ، وعمل في السنة اثني عشر عيدا لكل شهر عيدا يعمل فيه من الأعمال ما كان موافقا لبرج ذلك الشهر ؛ وكان يُطعم الناس في تلك الأعياد ويوسع عليهم ، ففرح الناس به ورأوا معه ما لم يروه مع غيره ، وتفتح عليه من المعادن ما لم يفتح على أحد ، وأزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لا يفترون ليلا ولا نهارا ؛ فأجتمع عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج نفيس مسبوك وغير ذلك ، فأحب كثرة فداها أخاله فقال له : قد ترى كثرة هذا الذهب والجوهر ، وما تحمل من هذه القنابل الكثيرة ، ولست آمن أن يتسامع بنا الملوك فيغزونا من أجله ، فأمن في أرض الغرب ثم انظر مكانا حريزا خفي الأثر ثم أحرزه فيه ثم أسرته بعلامات وأكتب صفة المكان وطريقه وعلامته . قال : ويقول أهل الأثر : إنه حمل معه اثنتي عشرة ألف عجلة ، ١٥ منها من الجوهر ثلاثمائة عجلة ، وسائرها من الذهب الإبريز الصفائح والمضروب ، ومن آلات الملوك وطرائفهم وسلاحهم وأوانيهم ؛ فسار في الجنوب يوما ثم أخذ مغزبا اليوم الثاني وبعض الثالث ، فأتته إلى جبل أسود مُنِيف ليس له مصعد بين جبال مستديرة حوله ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاور ودفن فيها ما كان معه وردمها وزر عليها ورجع ؛ فكثت أربع سنين ييمت كل سنة عجلا عظيمة ٢٠ تدفن في نواح شتى

وهو الذى عمل فى أنديس المدينة يتناوبه تماثيل لجميع السال (وكتب
على رأس كل تمثال ما يصلح له من العلاج ، فأنتفع الناس بها زمانا إلى أن
أفسدما بعض الملوك ضنًا بالحكمة . وعمل فى هذه المدينة صورة امرأة منسمة
لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه ، وكان الناس يأتونها ويطلبون حولا
ثم عبدوها من بعد . وعمل تمثالا روحانيا من صفر مذهب يجتاحين زان
ولا زانية إلا كشف غوره بيده ، وكان الناس يمتحنون به فامتنعوا ففقا
منه ، واستمر كذلك إلى زمن كلكن الملك ، وذلك أن بعض نساءه ، وكانت حظية
عنده ، عشقت رجلا من خدم الملك وخافت أن ينتهى إليه خبرها فيمتحنها بذلك
الصنم فيقتلها . فأحاثت لذلك فخلا بها الملك فى بعض الليالى ، وهما بشران ،
فاخذت فى ذكر الزواني وجعلت تسبهن وتدمهن ، فذكر الملك ذلك للنسب بما فيه
من المنافع للناس ، وما يستحق من عمله من الثناء والذكر الجليل ، فقالت المرأة :
إنه كذلك وقد صدق الملك ، غير أن نقاوش لم يُصب الرأى فى أمره ؛ قال الملك :
وكيف قلت ذلك ؟ قالت : لأنه أُنصب نفسه وحكامه فيما جملة لصلاح العامة
دون نفسه ، وهذا أكبر العجز ؛ وإنما كان حُكم هذا التمثال أن يُنصب فى دار
الملك حيث تكون نساؤه وجواريه ، فإن أقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادما
لمن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة ؛ لأن شهواتهن أغلب وأكثر من شهوات
الرجال ؛ ولو حدث — وأعوذ بسعد الله الأعلى — فى دار الملك شيء من هذا فأحب
امتنعانه فضح نفسه وشاع فى الخلق والعامة أمره ، وإن عاقب بنير أمر يتحققه كان
متديا آتما ، وإن لم يتمحه صبر على المكروه . قال الملك : صدقت ، فكيف الوجه
فى هذا الأمر ؟ قالت : يأمر الملك بتزع هذا الصنم من مكانه ونقله إلى داره ففعل
فبطل عمله ، وأمتحن فلم يصنع شيئا ، فعلمت المرأة ما كانت همت به وأتممكت فيه .

قال : ويقال : إن متقاوش بنى هيكلًا للسحرة على جبل القصير وقدم عليه رجلا منهم يقال له مسيس ، فكانوا لا يطلقون الرياح للراكب المقلعة إلا بضريرة يأخذونها منهم للأك . وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التماثيل العجيبة ، فيجتمع الناس إليهم ويعجبون من أعمالهم ، وأمر أن يُبنى لهم هيكل للعبادة يكون لهم خصوصاً ، وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناماً وعجائب ، وكان الملك يركب إليه ويقم سبعة أيام ، وجعل فيه عمودين زر عليهما تاريخ الوقت الذي عمل فيه ، وهما بين شمس ، ونقل متقاوش إلى عين شمس كنوزاً وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها .

قال : وكان متقاوش قسم نجاج البلاد أرباعاً : فربع منه للأك خاصة يعمل منه ما يريد ، وربع لأرزاق خدمه ، وربع ينفق في مصالح الأرض وما يحتاج إليه من حفر ترعها وعمل جسورها وتقوية أهلها على العبادة ، وربع يدفن لحادثة تحدث وحاجة تنزل . وكان نجاج البلد في ذلك الوقت مائة ألف وثلاثة آلاف دينار . وهو مقسوم على مائة وثلاث كور بعمدة الآلاف . وأقام ملكاً إحدى وسبعين سنة ، ومات من طاعون أصابه ، وقيل : من سمَّ جعل له في طعامه ، وعمل له ناووس في صحراء المضرب ، وقيل : في غربي قوص ، ودفن معه من مصاحف الحكمة والصنعة المعمولة وتماثيل الذهب والجواهر . ومن الذهب المضروب شيء كثير ، ودفن معه وروحاني الشمس من ذهب يلمع ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على صورة أمراءه التي كانت أحظى نساءه عنده وكان يحبها ، فأمر أن تُعمل صورتها

(١) التماثيل : هي التماثيل بالحديد ، وهو أن يفعل الساحر أشياء وسعاً ، فيخيل للناس أنها بخلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وكذا كعب السفينة السائرة سيرا حقيقياً يخيّل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

في هياكلهم جميعا، فعمل له تماثلا من ذهب بذؤابتين من ذهب أسود، وألبست
حلة من جواهر منظومة وجعلت جالسة على كرسي، فكانت تجعل بين يديه في موضع
تجلس فيه يتسلى بذلك عنها، فدفنت معه عند رجله .

وملك بعده أبوه مناوش بن منقوش؛ ملك بوصية من أبيه، فطلب الحكمة
على عادة أبيه وأستخرج كتبها وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز وطلب الإغراب
في عمل العجائب، وكان كل واحد من ملوكهم يجهد جهده في أن تعمل له غريبة
من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة في توار يخفهم .
قال : ومناوش هذا أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه
اعتل علة يؤس منه فيها، وأنه رأى في منامه صورة روساني عظيم يخاطبه ويقول له :
إنك لا يخرجك من تلك إلا عبادة البقر لأن الطالع كان وقت حلولها بك في صورة
ثور بقرنين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبيض حسن الصورة، وعمل له مجلسا
في قصره وسقفه بقبة مذهبة، فكان يتغره ويطلب موضعه، ووكل به سادنا يقوم
به ويكنس تحته، وكان يتعبد له سرا من أهل مملكته، فبرا من عتته وعاد إلى
أحسن أحواله .

ويقال : إنه أول من عمل الصلج وضبيها بالذهب، وعمل فيها قببا من
الخشب المذهبة وفُرشت بأحسن العرش، وكان يركب عليها مع من أحب . وقيل :
إنه عمل له ذلك في عتته لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجزه فإذا مرّ
بالمكان التره أقام فيه، وإن مرّ بالمكان الخراب أمر بملأته . وقيل : إنه نظر إلى
ثور أبيض من البقر الذي يميز بجلته فأعجبه حسن بشرته فأمر بتربيته وسوقه بين يديه
إلى كل موضع يسلكه إعجابا به، وجعل عليه جلا من النسيج المنسوج بالذهب، فلما
كان في بعض الأيام—وقد خلا في موضع متفرد عن أتباعه والثور قائم بين يديه—

إذ خاطبه النور وقال: لو رَفَعْنِي الملك عن السير معه وجعلني في الهيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كعبته جميع ما يريد ، وعلوته على أمره ، وقوته في مُلكه ، وأزلت عنه جميع عِلَّاه ؛ فَأَرْتَاعَ لذلك وأمر بالثور أن يُنْسَلَ وبطبيب وينظف ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته . وعُبد ذلك الثور مدة وصارت فيه آية أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرتين ، فَأَتَتْنِ ١٣٠
الباس به وصار ذلك أصلاً لعبادة البقر . ١٢

قال : وابتنى متاوش مواضع وكثر فيها كنوزا وأقام أعلاما . وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا . قال : ويقال : إن هذه المدينة قائمة ، وإن قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد أضلوا الطريق فسمعوا بها عَزِيفَ الجحش وراؤا أضواء نيرانهم . قال : وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ، ويؤخذ من رأسه هو شعرات ، ومن ذنبه ومن نحاعة قرونيه وأظلافه ، ويُجَمَّلُ ذلك في التمثال ، وعرفهم أنه ^(١) يُلْحَقُ بآلمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جُرْنٍ من حجر [أحمر] ^(٢) ويدفن في الهيكل ويُصَبَّ تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزُحَل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث والقمر في الزيادة ، ويُنْقَشُ على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك ، وعملت الصورة من ذهب مائع على شبه الثور ، وجعل له قرنان من ذهب وكُلَّا بأصناف الجواهر ، وجعلوا عينيهِ جَزَعَتَيْنِ سَوَادَا في بياض ، ودفن جسد الثور في الجرن الأحمر .

قال : وجعل في المدينة شجرة تُطْلِعُ كل لون من الفاكهة ، ومنارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا ، وعلى رأسه قبة تثنون في كل يوم لونا حتى تمتضى سبعة أيام . ٢٠

(١) كذا في المقرئ (ج ١ ص ٢٢٨ طبع بلاق) . وفي الأصل : « وعرة » .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « بآله فيجعلوا » . (٣) التكلة من المقرئ .

ثم تعود إلى اللون الأول فيكسو المدينة من تلك الألوان، وجعل حول النار ماء شقّه إليه من النيل ، وجعل في ذلك الماء سمكا من ذلك اللون ، وجعل حول المدينة طلسمات رعوها رعوها قردة وأبدانها أبدان الناس ، كل واحد منها لدفع مضرة أو اجتلاب منفعة، وعمل على أبواب المدينة، وهي أربعة أبواب^(١)، على كل باب صنما، ودفن تحت كل صنم كتزا من الكتوز؛ وباب كل واحد منها على قياس مائة ذراع منه إلى الجهة التي وجهه منصرف إليها، وكتب على كل واحد منها قُرْبَانَهُ وبُخُورَهُ والوصول إليه ، وأسكنها السحرة فكانت تعرف بمدينة السحرة ، ومنها كانت أصناف السحرة تخرج .

قال : وأقام تناوش في الملك سبعا وثلاثين سنة وهلك ، وعُمل له ناووس تحت الجبل الغربي ، وجعل وصيته إلى أبنه من بعده هيرميس بن متقاوش ، فلك إحدى عشرة سنة لم يبن بنا ولا نصب منارا ولا عمل في أيامه أعجوبة حتى إنه لم يكن يذكر في عداد ملوكهم . فهذا ما أورده في أخبار قبطريم بن قبطيم وبنه على توالٍ وآساق فلنذكر أخبار أشمون .

ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيهِ

هو أشمون بن قبطيم بن مِصْرِيم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام . وهو أخو قبطريم أبي الملوك الذين قتلنا ذكرهم . كان مُلْكُهُ من أشمونين إلى سب ، ومن الشرق إلى البحر المسالخ ، ومن الغرب إلى حدود بركة، وهو آخر ملوك مصر .

(١) وفي المتن (ح ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) في كلامه هل أشمون بن قبطيم : أنها في نسخة الجليل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب ، فكل الباب الشرق صورة عقاب ، وعلى الباب ، الشرق صورة نور ، وعلى الباب التالي صورة أسد ، وعلى الباب الجنوبي صورة كلب ، وفي هذه الصور ورموزها : تنطق . إذا عدم عريب لا يتغير على الدحول إليها إلا بإذن الموكنين بها ودفع تحت ... الخ .

- ومن الصعيد إلى حدّ أنعيم . وكان ينزل مدينة الأشمونين وله بُليت وبأسمه
سُميت ، وكان طولها أثنى عشر ميلا في مثلها . قال إبراهيم : وأشمون أول من اتخذ
الملاعب ما بصنا والبهنسا وغيرها ، وبني القصور وغرس الغروس ، وبني مدينة تُعرف
بِقَمَطَر ذات العجائب ، وهي بالقرب من مدينة السحرة التي تقدّم ذكرها في أخبار
مقاوش . قال : وفي وسط هذه المدينة قبة تُمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا ، وتحت
القبة مطهرة فيها ماء أخضر يُتداوى به من كل داء فيبرمه ، وفي شرقها سَرَب لطيف
له أربعة أبواب ، لكل باب منها عِصادة صورة وجه يخاطب كل واحد منها صاحبه
بما يحدث في قومه ، ومن دخل تلك البريا على غير طهارة فغصوا عليه فأصابته علة
فظيمة لا تفارقه إلى أن يموت . وكانوا يقولون إن في وسطه مهبط النور وهو
في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانيات ، ويسمع
كلامهم ويرى ما يعملون ، وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
في يده مصحف فيه علوم الكهنة ، فمن أحبّ ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها
بسيديه وأمرهما على صدره ، فثبت ذلك العلم في صدره . ويقال : إن هاتين
المدينتين قنطر ومدينة السحرة بُنيتا على أسم هرّمس وهو صُطارد ، وأنهما بجالهما .
- قال : وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان ، وهو على مصر ، فعرفه
أنه تاه في صحراء الشرق وأنه وقع على مدينة خراب ، وأنه وجد فيها شجرة تحمل من
كل فاكهة ، وأنه أكل منها وتروّد ، فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتي
هرّمس وفيها كنوز كثيرة ، فوجه عبد العزيز معه جماعة وحمل معهم زادا وماء ،
فأقاموا يطوفون شهرا في تلك الصحارى فلم يبقوا لها على أثر . ويقال : إن أشمون
عمل في وقته على باب الأشمونين إوزة من نحاس ، فكان الغريب إذا دخل المدينة
صاحت الإوزة وخفقت بجناحيها فيعلم به ، فإن أحبوا منعه ، وإن أحبوا تركوه .

قال : وفي أيامه كُثِرَت الحَيَّات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدَّرِياقات ، ثم سافوها بسحرهم إلى وادى الحَيَّات في جبال لوبسة وصراقية فمَجَّنوها هناك . قال : وهو أول من جمل التوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدمنون فيها الأكل والشرب واللهو . وفي زمانه نُبِتَ البهنا وأقام بها أسطوانات ، وجعل فيها مجلسا من زُجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، فكانت الشمس إذا طلعت على القبة ^(١) أَلْقَتْ شعاعها على المدينة . وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها .

قال : ويقال إن أئشون كان أول إخوته ملكا ، وكان أصل بنى أبيه وأرغهم في صنعة تَبَقٍّ وبيقَ ذكرها . وهو الذى بنى المجالس المصَفَّحة بالزجاج الملون في وسط النيل . وتزعم القبط أنه بنى سَرَّبا تحت الأرض من الأئشونين إلى أئصنا تحت النيل . وقيل : إنه عمله لبناته لأنهن كنَّ يَمُضِينَ إلى هيكل الشمس . وكان هذا السَّرْب مبلط الأرض والجيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون . وقيل : إنه كان أطول إخوته مُلُكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد اترعوا منه المُلْك بسد سقانة سنة من مُلكه وأقاموا تسعين سنة وأستو بَنُوا البلد فَأَتَقَلَّوْا [إلى الدَّيْنَةِ من طريق الخجاز إلى وادى القرى فعمروها] ^(٢) واتخذوا ^(٣) [بها] المنازل والمصانع فسَلَطَ الله عليهم الدَّرَّ فَأَهْلَكَهُمْ ، وعاد ملك مصر إلى أئشون بعد تروجه من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ودُفِنَ في أحد الأنهرام الصَّغار القليلة . وقيل : بل عُمل له ناووس في غربى الأئشونين ودُفِنَ معه فيه من الأموال والعجائب شئ كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت في هيكل المرأة التى تُرى منها الأقاليم ، ودُفِنَ معه ألف سَرَج من ذهب وقضبة ، وعشرة آلاف

(١) في القريزى (ج ١ ص ٢٢٨ طبع بلاط) : « فيها غوها » .

(٢) التكملة من القريزى (ج ١ ص ٢٢٩) . والدَّيْنَةُ : ناحية بين الجند وعدن .

سبعة أيام وهو يُشرف عليهم في مجلس قد بُني له على عمد قد طُوِّقَت ذوات الستة
فأمر النصب المنسوج، وعليه قبة مصفحة من داخلها وخارجها بالدخيل، وبها باب
المسيوك، وكان يعطى كل قوم قسطهم من النظر ثم يُكثرون الدعاء له ويتصبرون إلى
مواضعهم .

وفي أيامه بنيت سَنترية^(١) في صحراء الواحات، عملها من حديد، وكانت
مربعة على تقدير واحد، وجعل في كل حائط من حيطانها باباً من حديد، فإذا
يقبى إلى الحائط المجاور له من الجهة الأخرى، وجعل في كل باب من أبوابها
و يسرة تنهى طرقاتها إلى داخل العينة، وجعل في وسط هذه الدائرة باباً يفتح
به من كل ناحية سبع درج، وجعل عليه قبة من خشب مدهور، وكان عليه
من رخام، وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من سؤان أسود، وكان
بدورها، وبساتير نواحي القبة صور حلقة تصغر وتصيح بلغات، وكان
الملك يجلس على الدرجة العالية من الماسب وحوله بنوه وأقاربه وأداء الجند، وكان
الدرجة الثانية رؤساء الكهنة [والوزراء]^(٢)، وعلى الثالثة رؤساء الجند، وعلى الرابعة
أصحاب الفلسفة والمتبحرون والأطباء وأصحاب العلوم، وعلى الخامسة أصحاب
العمارات، وعلى السادسة أصحاب المهن، وعلى السابعة العاقرة، فكانت الملائكة
منهم : انظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم، فإنكم لا تحصونهم، فكانت في هذا
ضرب من التأديب .

قال : وكان لملك عدة نسوة، وكان يحبّ منهنّ أمرأته، وكان يخطبها أو يحج
بينهما في مجلس واحد، فقال لإحديهما في بعض الأيام دون الأشراف : قد أوتيت

(١) سنترية، مدينة في غربي القويم دون قرآن السودان وهي آخر أعمال مصر .

(٢) كذا في القرطبي . وفي الأصل : « على خشب عليه من زجاج » وهو تحريف .

(٣) الكلمة من القرطبي .

وَحَرَّبَ عَظْمًا وَتَنَاوَلَتْ سَكِينًا وَدَخَلَتْ إِلَى الْمَلِكِ وَهُوَ مُتَوَلِّكُ الْمَرْأَةِ جَالِسَةً إِلَى جَنْبِهِ فَضْرِبَتَهَا بِالسَّكِينِ ، وَقَامَ الْمَلِكُ فَوُتِنَا لِيُغْنِمَهَا مِنْهَا فَضْرِبَتْهُ عَلَى قَوَادِهِ فَنَفَرَ صَرِيحًا ، وَتُبَّضَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَهُسِتْ ، وَمَاتَ الْمَلِكُ . وَقَدْ أَوْصَى بِقَتْلِ الْمَرْأَةِ وَوَضَعَ رَأْسَهَا عَلَى نَابُوسِهِ . وَمَدَّةَ مُلْكِهِ سِتُونَ سَنَةً .

- وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ مَرْقُورَةُ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْعُظَمَاءُ وَهَشَوْهُ وَدَعَوْا لَهُ بِدَوَامِ الْمُلْكِ وَالنِّعْمَةِ ، وَكَانَ حَازِمًا عَظِيمًا ، فَآخَذَ فِي حُسْنِ التَّدِيرِ وَقَوَّيْمِ الْعِبَارَةِ وَتَرْتِيبِ الْمَرَاتِبِ ، وَجَعَلَ لِرَأْسِ الْكُتَّانِ الْحُكُومَةَ فِي أَمْرِ الدِّينِ . قَالَ : وَفِي كِتَابِهِمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ذَلَّلَ السَّابِغَ بِمَصْرٍ وَرَكِبَهَا . قَالَ : وَبَنَى [الْمَدِينَةَ وَغَمَّرَ^(١)] الْمِيَاكِلَ وَأَقَامَ الْأَصْنَامَ الَّتِي ضَرَبَ مِنْهَا ، وَكَانَ مُلْكُهُ نِيفًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَعَمِلَ لَهُ نَابُوسٌ عَلَى طَرِيقِ الْقُرْبِ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ .

- وَقَدْ أَبْنَاهُ بِلَاطُسُ بْنُ مَرْقُورَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ وَهُوَ صَبِيًّا . وَكَانَتْ أُمُّهُ تَدَبَّرُ الْمَلِكَ مَعَ الْوُزَرَاءِ وَالْكَهَنَةِ ، وَكَانَتْ حَازِمَةً مَجْزُوبَةً ، فَاجْتَرَتِ الْأُمُورَ عَلَى مَا كَانَتْ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ ، وَأَحْسَنَتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ ، وَعَدَلَتْ فِي الرِّعْيَةِ ، وَوَضَعَتْ عَنْهُمْ بَعْضَ الْخُرَاجِ فَاحْبَبُوهَا . وَعَمِلَتْ فِي وَقْتِهِ الْبَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ فِي صَحْرَاءِ الْقُرْبِ ، وَجُعِلَ فِي وَسْطِهَا عُمُودٌ طَوِيلَةٌ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، فِي أَعْلَاهَا قَصْعَةٌ مِنْ حِجَارَةٍ يَفُورُ مِنْهَا الْمَاءُ فَهِيَ لَا تَنْقُصُ أَبَدًا ، وَجُعِلَ حَوْلَهَا أَصْنَامٌ حِجَارَةٌ مَلُوقَةٌ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ عَلَى صُورِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ ، وَكَانَ كُلُّ جَنْسٍ يَأْتِي إِلَى صُورَتِهِ وَيَأْلَفُهَا فَيُؤَخَذُ وَلَا يَدْرِي .

• قَالَ : وَلَمَّا تَزَهَّرَ الْمَلِكُ أَحَبَّ الصَّيْدَ وَلَحَجَّ بِهِ ، فَفَعِلَتْ لَهُ أَنَّهُ مَنَازِلُهُ فِيهِ بِجَالِسٍ مُرْتَكِبَةً عَلَى أَسَاطِينٍ مِنَ الْمَرْصَرِ مَصْفُوحَةً بِالْقَهَبِ ، عَلَيْهَا قِبَابٌ مَرْصُوعَةٌ بِالتَّصَاوِيرِ

(١) التَّكْفَةُ مِنَ الْقَهْرِ (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاق)

العجيبة والنقوش المؤلفة، يطلع من تحتها الماء في فوارات وتنصب الى أنهار مصفحة
بالفضة تُغضى الى حدائق فيها بدائع الفروس، عليها تماثيل تصغر بأصناف اللغات،
وتُضدّت بأنواع الفواكه، وأرخت عليها ستور اللّيباج المنسوجة بالذهب، واختارت
له من بنات الملوك الحسان وأزوجته منهنّ، وبنت حول تلك الجنة مجالس يجلس
فيها الوزراء والكهنة وأشراف أهل الصناعات يرضون اليه ما يعملونه، فكان أكثر
مقام الملك في تلك الجنة، فإذا فرغوا من أعمالهم نُقِل اليهم الطعام والشراب من
مطبخه، ولا يزالون في أكل وشرب بقية يومهم وليلتهم، وأقاموا على ذلك والأمر
جارية على السداد .

وكانت أيامه سعيدة كثيرة الحُصْب والسعة للناس والعدل فيهم والإحسان
اليهم . وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لمن معه بالجوائز
والأطعمة والأشربة، ويجلس يوما للناس فينظر في أمورهم ومصالحهم ويقضى
حوادثهم، ويجلس يوما لمخلوعة بفسائه، ثم جُدر قنات، وعُمل له ناووس في جنته
وجعل فيه من الأموال والجواهر والصنعة والتماثيل كما كان يعمل لأبيه . وكان
ملكه ثلاث عشرة سنة، وانتقل الملك الى اعمامه .

ذكر أخبار أتريب الملك

هو أتريب بن قبطيم بن مصرم بن يحيى بن حام بن نوح عليه السلام . قال:
وكان أتريب قد انتقل الى حيزه بعد وفاة أبيه قبطيم، وهي المدينة التي كان أبوه
بناها له، وكان طولها اثني عشر ميلا، ولها اثنا عشر بابا، وفي شارعها الأعظم
ثلاث قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض، منها قبة في وسط المدينة، وقبتان
في طرفيها، وجعل على كل ركن منها مرقبا كبيرا يُوقد ليلا، وعلى كل باب من أبوابها

- حرما كثيرا، وجعل في كل جانب منها ملعبا ومجالس ومتزهات أشرف من تلك المجالس عليها، وشق في عرضها نهرا وعمل عليه قناطر معقودة، وبني فوقها مجالس يتصل بعضها ببعض، وجعل حوله منازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض مزروعة وخلفها الأجنّة والبساتين؛ وعلى كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام ينبع الماء من أذانها، ومن داخل كل باب صورة شيطانيين من صُفَر، فكان إذا قصدوا أحد من أهل الخير فهقه الشيطان الذي عن يمينه الباب، وإن كان من أهل الرب بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب، وجعل في كل متزه منها من الوحوش الآفة والطير المنزدة كل مستحسن، وجعل فوق قباب المدينة صورا تصغر إذا هبت الرياح، ونصب له فيها مرابيا ترى البلدان البعيدة والعجائب الغريبة، وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأصناما بارزة كثيرة في خلق مختلفة، وجعل في وسطها بركة إذا مر بها الطير سقط عليها فلا يروح حتى يؤخذ، وتجعل لها حصنا [بأجنى عشر بابا] (١) وجعل على كل باب من أبوابها تماثلا يعمل أعجوبة وعمل حولها أجنّة، وجعل ما يقرب منها من ناحية الشرق مجلسا متقوشا على ثمانى أساطين، وفوق المجلس قبة عليها طائر منشور الجناحين يصغر كل يوم ثلاث صَفَرَات : بركة، ونصف النهار، وعند الغروب، وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة، وبني مدنا كثيرة وأكثر من العمارات، وأقام رجلا يقال له برسان يعمل الكيمياء، وضرب منها دنانير، في كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته، وعمل منها تماثيل كثيرة. وعاش أتريب في الملك ثلاثمائة سنة وستين سنة،

(١) في القريزي (ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) : « غريبا » .

(٢) في القريزي : « الشر » .

(٣) الكلمة من القريزي (ج ١ ص ١٧٦ طبع بلاق) .

وكانت سنة خمسمائة سنة . وعمل له ناووس في جبل بالشرق حُفر^(١١) [له] نَحْمَه سَرَب
بُطْن بالزجاج [والمَرَص^(١١)] وجُعل على سرير من ذهب [مرصع^(١١)] ومُجَلَّتْ إليه ذخائره،
وجُعل على بابه صورة تين لا يدنو منه أحد إلا أهلكه، وزبر عليه اسمه وتاريخ
وقته، وسقوا عليه الرمال .

وملكت بعده أبنته [تدرورة^(١٢)] قد برت الملك وساسته بأيد وقوة نحسا وثلاثين
سنة ثم ماتت .

فقام بالملك بعدها أخوها فليحون بن أتريب^(١٣)؛ فرد الزراء إلى مراتبهم،
وأقام الكهان [على مواضعهم^(١٤)] ولم يخرج الأمر عن رأيهم، وجد في المهارات وطلب
الحكم وعمل بها . وفي أيامه بُنيت تنيس الأولى التي غرقها البحر، وكان بينها وبين
البحر شيء كثير، وحولها الزروع والأشجار والكروم والفُرى ومعاصر الخمر وغيرها
وعمارة لم يكن أحسن منها، فأمر الملك أن يُبنى له [في] وسطها مجالس، ويُنصب
له عليها قباب، وتزين بأحسن الزينة والقش، وأمر بفرشها وإصلاحها، وكان
إذا بدأ النيل في الزيادة انتقل الملك إليها فأقام بها إلى التوروز ورجع . وكان للأك
بها أماء يقسمون المياه ويُعطون كل قرية قسطها، وكان على تلك القرى حصن
يدور بقناطر، وكان كل ملك يأتي بأمر بمبارتها والزيادة فيها ويعملها له متراً .

(١) التكلة من المقرئ (ج ١ ص ١٧٦) . (٢) التكلة من المقرئ (ج ١ ص ١٢٨)،
وصف هذه الملكة بقوله : « وكانت كاهنة ساحرة، فساست الملك أحسن سياسة، وديرت الملك أجود
تدير، وعملت طلبات عجبة، منها طعم منع الوحش والطي أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشاً،
ورفعت في زمانها صيحة ارتجت لها الأرض فهلكت » . (٣) في المقرئ (ج ١ ص ١٧٦) :
« ابن أختها » . (٤) في المقرئ : « قليون » . بالقاف . (٥) التكلة من المقرئ
(ج ١ ص ١٧٦) .

ويقال: إن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه كانتا لأخوين من أهل بيت الملك أقطعهما الملك ذلك الموضع . وقد تقدم ذكر خبرهما عند ذكرنا لبحيرة تَنيس^(١)، وهو في الباب السادس من القسم الرابع من الفن الأول في ذكر البحار والجزائر وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

- قال : وفي زمان فليمون بُنيت دمياط على أسم غلام له كانت أمه ساحرة لقليمون . قال : وملك فليمون تسعين سنة ، وعمل لنفسه ناووسا في الجبل الشرقى ، وحول إليه من الأموال والجواهر وسائر الذخائر شيئا كثيرا ، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف فن دخلها قطعته بسيوفها . وجعل عن يمينه ويساره أَسَدَيْن من نحاس مذهب بلوالب أيضا فن دنا منهما حطله ، وزبر على الناووس : هذا قبر فليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصريم ، عمر عمرا ، وبقي دهرًا ، وأناه الموت فما أستطاع له دفعا ، فن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ، وليأخذ مما بين يديه .

- وصار الملك بعده إلى ابنه قرسون بن فليمون ، وجلس على سرير الملك ، ودخل إليه عظه أهل البلد والنحاص والعام فهشوه بالملك ، فتقدم في أمر الهياكل والكهنة وطلب الحكمة ؛ وكان حَدَثًا جميلًا فعشقتة إحدى نساء أبيه ، وكانت تتولى طيبة^(٢) وتزعم أن أباه أمرها بذلك ، ثم بعثت إلى ساحرة من أعلم السحرة بمنف^(٣)

(١) راجع (ج ١ ص ٢٥٢ من هذه الطبعة) .

(٢) طيبة : هي ثنية عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المائة باب ، وفي بعض مكانها الآن مدينة الأقصر أو قصود أبي الجحاح (راجع قاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكى باشا) .

(٣) منف : هو الاسم العربي لعاصمة مصر في أيام الفراعنة ، وتسمى عند اليونان منفيس ، وعند قدماء المصريين مانوفرى ، وفي بعض مجلها الآن قرية ميت دهية بالجزيرة . (راجع قاموس الجغرافية القديمة) .

فسألها أن تسحره لها وبذلت لها على ذلك أموالا ، وإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها ، فسَمَت بأمرأة أبيه وعزفته ما بذلت لها على ذلك ، فأبعدها عن مجلسه ومنعها من الدخول إليه .

وبلغ ملكا من ملوك حِمْيَر أن مُلْك مصر صار إلى غلام حَدَثَ غَرَّ نَطْمَع فِيهِ
 ٥ وصار إليه في جموع عظيمة ، فخرج قرسون نحوه فالتقوا بأيلة واقتتلوا قتالا شديدا حتى
 نفأى الفريقان ، فأتت تلك الساحرة إلى الملك فقالت : ما جعل لي إن أعنتك على صدقك
 حتى تقض جموعه وتظفر به ؟ قال حُكْمُكَ ؟ فأخذت عليه بذلك اليهود والمواثق ،
 وأصبحوا للحرب فدخلت الساحرة بدخن عجيبة وأظهرت تخاييل هائلة ، فهرب
 الحيرى في نفر يسير من قعائه ، وقتل بقية أصحابه ، وحاز جميع ما كان في خزائهم ، وعاد
 ١٠ الملك إلى منف بالظفر والفتيمة ، فأنته الساحرة فسأته الوفاء بالشرط فقال :
 احتكى ما أحببت ، فهذه الأموال والخزائن بين يديك ، فقالت : ما أريد غير
 الملك ، فقال : ويحك ! إنك لست من أهل بيت الملك ، وقد علمت ما في هذا
 على الملك ؟ فقالت : قد كان الملوك قبلك ينصبون نساء الناس ويهدن منهم
 ولا يسألون عن ولاداتهم ، وأنا أبنة فلان رئيس الكهنة ، ويوشك أن يحتاج
 ١٥ الملك إلى بعد هذا . ولم تزل به حتى انصرف قلبه إليها ، ف تزوجها وأحبها وحظيت
 عنده . فضاقت الأرض بأمرأة أبيه فأخذت في أعمال الجيلة عليها ، فدمت
 جارية لها عاقلة لطيفة حل ساق الملك الذى يتولى شرابه ، فاخذت بطواريه حتى

(١) أيلة : نزل على خليج العقبة ، سميت باسم أيلة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ، كانت مابنة
 شيرة في الأزمان الخالية ، وفيها قلعة شيدتها أحد بن طولون صاحب مصر ، وفي جنوبها على ساحل بلاد
 العرب كانت مدينة أزويجهاير القديمة . وخليج أيلة ، أو العقبة ، يسرى في كتب اليونان باسم :
 ٢٠ « إلانيك » . (راجع معهم التريفة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين راصف بك) .

تمكنت من إناء كان فيه شرابٌ تلك فألقت فيه سماً وعادت في الوقت إذ مولاتها وأخبرتها ، فدخلت إلى الملك فسجدت له وقالت : قد كنتُ للملك ناصحة ، وعليه مشقة ، فأقصاني وأخص هذه الساحرة الفاجرة ، وقد ستمت شرابه في إناء من صفته كذا وكذا ، فليسقها الملك منه ليعلم صدق ، فدعا الملك بالإناء فوجده على ما ذكرت ، فأحضر الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربته ولم تعلم ما فيه فسقط لحمها عن عظامها . فأمر بدفنها في ناووس وزير علبا أسما وما همت به وما صار أمرها إليه ، وهاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسنت حالها عنده .

قال : في أيامه عمل المنار على بحر القلزم ^(١) وجعلت على رأسه امرأة من أحرار ^(٢) تجتذب الزكك على شاطئ البحر ، فلا يمكنها أن تفرج أو تعشر ، فإذا عسرت سرت المرأة فتجوز المراكب .

قال : وأقام قرسون ملكا مائتين وستين سنة ، وقد كان يحمل سنه ناووما خلف الجبل الأسود الشرقي ، وجعل في وسطه قبة فيها اثني عشر بيتا ، في كل بيت عجوبة لا تشبه الأخرى ، وزير عليها اسمه ومدة ملكه . قال : وملك بعده ثلاثة ^(٣) أو أربعة . فهؤلاء الذين ستمهم من أولاد أترسب ممن ملك منهم . والله أعلم .

(١) هو الآن البحر الأحمر .

(٢) ما يقبى السمران عشر من هذا الكتاب من بحرمة الأصل من السجين الماحوتين بالتصوير الشس المخطوشين بدالكب المصرية تحت وفي ٥٤٧ ٥٥١ معارف عامة . وصورة ماجا ، في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأدب في فنون الأدب للقوري في أواسط شهر ربيع الأول من شهر سنة سبع وستين وتسعمائة على يد كاتبه أقصر الحلق إلى دحة الحق نور الدين بن شرف الدين العسلي » بهذا الشاعري مدحا غفر الله له ولوالديه ولن يقرأ له الفاتحة ويهديها النبي ثم له آمين .
(٣) وصورة ماورد في النسخة الثانية : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأدب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري القيسي القرشي المعروف بالقوري عفا الله عنهم .
يشلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث عشر منه ذكر أخبار ما من قصصين بن مصرم بن يعصر ابن حام بن نوح عليه السلام .

والله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كبيرا .

والله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كبيرا .

ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصر يم بن بيسر بن حام

أبن نوح عليه السلام

قال: ولما قسم قبطيم الأرض بين بني الأربعة كما تقدم وانتقل كل واحد منهم إلى حيزه، خرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه، وهو بلد البصرة وما يليها إلى برفة، ونزل مدينة صا، وذلك قبل أن تُبنى الإسكندرية. وكان صا أصغر ولد أبيه وأبيه إليه، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارة، وبني المدائن والبلدان والمياه ^(١) في إظهار العجايب كما صنع إخوته، وطلب الزيادة في ذلك. وكان ^(٢) صاحب بانيه، بنى له من حد صا إلى حد لوبية ره رافيه على صر أنشجر ^(٣) وجعل على رموس تلك الأعلام مرايا من أخلاط حتى: فكان منها ما يشع دواب البحر وأذاهم، ومنها ما إذا قصدهم علق من الجزائر الداخلة وأصابها الشمس ألفت شمعها على مراكبهم فأحرقها، ومنها ما يرى المدائن التي تجاورهم من البحر وما يعمل أهلها، ومنها ما ينظر منها إلى إقليم مصر فيعلم ما يخص به وما لا يدب منه في كل سنة. وجعل فيها حمامات تُوقد من نفسها ومستشرفات. وكان في يوم في موضع منها بمن يخصه من حشمه وخدمه، وجعل حولها بساتين وسور ^(٤) الطيور المفتردة والوحش المستوحش والمستأنس والأنهار المطردة والرياض النابتة.

(١) أول الجزء الثالث عشر من بحرته الأصل. وكتب المرحوم أحمد زكي باشا في أول هذا الجزء من نسخة ب ما ص: « يظهر لي أن هذا الجزء كتب في أيام المؤلف، وفي آخره عبارة: أنشأ. » بلغ مؤلفه مقابلة بأهله والخدمه. « وهي بخط المؤلف كما يظهر من مصاحفها بالأيدي الأخرى المكتوبة بخطه. »

(٢) كذا في القرطبي (ج ١ ص ١٨٢ طبع بلاق) ونسخة (ب). وفي نسخة (أ): « مرعوب. »

(٣) كذا في الأصل والقرطبي. وفي تعليقات القرطبي (ج ٣ ص ٢١٨ طبع فيت): « البند: »

(٤) في القرطبي طبع فيت: « صاحب باه. »

وجعل شرف القصر من حجارة ملونة تلمع إذا أصابتها الشمس فتتشر شعاعها على ما حولها ؛ ولم يدع شيئا من آلة النعمة والزفاية إلا استعمله . فكانت العمارة ممتدة إلى بركة في رمال من رشيد إلى الإسكندرية إلى بركة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ، ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس . وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروبا ، وساق إليها من النيل أنهارا . وكان يسلك من الجانب الغربي إلى حد الغرب في عمارة متصلة .

قال : فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى ونحرت تلك المنازل وباد أهلها . قال : ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رأى فيها من الآثار والعجائب .

قال : ومن ملوكهم مرقونس^(١)، وكان [فاضلا] حكيما، محبا للنجوم والحكمة، فعمل في أيامه درهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن ين له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة، فيغتر البائع بذلك ويقبل الشرط، فإذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أروطال كثيرة تساوى عشرة أضعافه، وإن أحب أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأروطال دخل. قال: وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم في أيام بنى أمية، فكان الناس يتعجبون منه. وقد كانوا وجدوا درهما آخر قيل إنه عمل في وقته أيضا يكون في سيزان الرجل، فإذا أراد أن يتاع حاجة أخذ الدرهم من ميزانه وقلبه^(٢) وقال : اذكر المهد، ومضى فأبتاع به ما أراد، فإذا أخذ السلعة ومضى إلى بيته

(١) الكلمة من القرطبي (ج ١ ص ١٣٩ طبع بلاط) .

(٢) في القرطبي (ج ١ ص ٣٤) « وقيلة » .

وجد الدرهم قد سبقه إلى منزله ، ووجد البائع حيث وضعه ورقة آس أو قرطاس أو مثل ذلك بدور الدرهم ^(١) .

وقيل : إن في وقته عملت الآنية الزجاج التي توزن ، فإذا ملئت ^(٢) [خم] وزنت لم ترد على وزنها الأول شيئا ، وهي تحمل من الماء بوزنها . وعمل أيضا في وقته الآنية التي إذا جُعل الماء فيها صار حمرا في لونه ورائحته وسكره . قال : وقد وجد من هذه الآنية بإطفيح في إمارة هارون بن ثمارويه بن أحمد ابن طولون شربة ^(٣) جزع ^(٤) بصورة زرقاء بياض . وكلف الذي وجدها أبو الحسن [الصائغ] الخراساني هو ونفر معه ، فجلسوا لياكلوا على صبر النيل وشربوا الماء بها فوجدوه حمرا فسكروا منه ورقصوا ، فوقعت الشربة فأتكسرت على عتبة قطع ، فاقتم الرجل وجاء بها إلى هارون مكسورة ، فأسف طيبا وقال : لو كانت صحيحة لأشتريتها ببعض ملكي .

وفي أيامه عملت الصورة الحتمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات ، فكانت إذا جُعلت في موضع من المواضع آجتمعت إليها ذلك الجنس بعينه ولا يقدر أن يفارقها حتى يُقتل . وعمل في محصر الغرب ملعب من زجاج ملون ، وجعل في وسطه قبة من الزجاج خضراء صافية اللون ، وكانت إذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على المواضع البعيدة . وعمل من أربع جهاته أربعة مواضع عالية من الزجاج ، كل مجلس منها بلون ، ونقش كل مجلس منها بما

(١) كذا في الأصل والمقرئ . وفي تعليقات المقرئ (ج ١ ص ١٥٠ طبع فييت) : « بد » .

(٢) التكلة من المقرئ : (٢) إطفح : هي الآن إحدى بلاد مركز الصف بمديرية البصرة .

هارون بن ثمارويه ولي مصر في اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

(٤) سمى جزعا لأنه مقطع بألوان مختلفة ، أي قطع سواده بياضه وصفرته . (٥) التكلة من

المقرئ (ج ١ ص ٣٤ طبع بلاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « الدبابات » .

- يخالف لونه من الطلسمات العجيبة والقروش الغريبة والصور البديعة ؛ كل ذلك من زجاج مطابق يَشَف . وكان يقصد هذا الملعب ويُقيم فيه الأيام الكثيرة . وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكانوا يَحْتَوْنَ إليه ويذبحون له ويقيمون فيه سبعة أيام ؛ فلم يزل ذلك الملعب بحاله تقصده الأمم لتتظر إليه لأنه لم يكن له نظير ولا شكل ، ولا عَمَل [في العالم] ^(١) مثله إلى أن هدمه بعض الملوك لأنه تعاطى مثله . فلم يقدر على ذلك .

- وكانت أم مرقوس ابنة ملك النوبة ، وكان أبوها يسجد نجا يقال له السها ، ويسميه إلهما ، فسألت أبنها أن يعمل لها هيكلا ويفردها به ، فعمل لها وصفتها بالذهب والفضة [وأقام فيه صنما] وأرخت عليه ستور الحرير ، فكانت تدخل إليه مع جواريا وحشيما وتسجد له كل يوم ثلاث مرات . وعملت في كل شهر عيدا ١٠ تقرب له فيه القرابين وتغيره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنا من النوبة فكان يقوم به ويغير ^(٢) [ه] ويقرب [له] ، ولم تزل بآبئها حتى سجد له ودعا الناس إلى عبادته .

- قال : ولما رأى الكاهن أن الأمر قد أحكم له من جهة الملك في عبادة الكواكب ، أحب أن يكون له مثالا في الأرض على صورة شيء من الحيوان يتبعده لكون حذاء عينيه ؛ فأقام يعمل الحيلة في ذلك إلى أن آتفق بمصر كثرة العقبان حتى أضرت بالناس ، فأحضره الملك وسأله عن كثرتها فقال : إن إلهك أرسلها لتعمل له نظيرا يسجد له . فقال الملك : إن كان ذلك يرؤيه فأعمله ، فعمل تمثال عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من ياقوتتين ،

(١) التكلفة من القرينى (ج ١ ص ٣٥ طبع بلاق) .

(٢) كذا في القرينى - وفي الأصل : « ويهرده » .

وعمل له وشاحين من ثؤلؤ منظوم على أنابيب جوهر ^(١) [أخضر] ، وجعل في منقاره
 كرة معلقة وسروله بأدوك أحمر ، وأقامه على قاعدة ^(٢) [من] فضة منقوشة ، وركبها
 على قائمة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ،
 وجعل [له] دُخنة معمولة من جميع الأفاويه والصمغ ، وقرب له بسجل أسود وبكارة
 الفرايح وبواكير الفواكه والرياحين . فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود له
 فاجابوه . ولم يزل [الكاهن] ^(٣) يُجهد نفسه في عبادته ، وعَمِلَ له عيداً دعاهم فيه إلى
 أن يقرّره في أنصاف الشهور بالمتدل وترش الحياكل بالخر العتيقة [التي تؤخذ]
 من رموس الجوازي ، وتطلق لهم العقاب وعرفهم أنه أزال عنهم العقبان وضررها ؛
 وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون ؛ فسر الكاهن بذلك ووجهه إلى أم الملك فعزفها
 ذلك فصارت إلى الهيكل ، فلما سمعت كلام العقاب سرّها ذلك وأعظمته ، وبلغ
 الملك خبره فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه ، فسجد له وأقام له سدنة
 وأمر أن يزین بأصناف الزينة ، وكان الملك يقوم بذلك الهيكل ويسجد لتلك
 الصورة ويسألها عما يريد فتخبره .
 ١٠

وعمل من الكيمياء والذهب ما لم يعمله أحد من الملوك . فيقال : إنه دقن
 في صحراء الغرب خمسمائة ذفين . ويقال : إنه عمل على باب صا عمودا وجعل
 عليه صنما في صورة امرأة جالسة وفي يدها امرأة ينظر فيها العليل [أو ينظر له
 أحد فيها] ^(١) فإن كان يموت رآه ميتا ، وإن كان يعيش رآه حيا ؛ والمسافر ، فإن كان
 مُقبلا بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآه موليا علموا أنه متاد ، وإن كان مريضا
 أو ميتا رأوه كذلك . وعمل بالإسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى
 ١٥

٢٠ (١) التكلفة من القرينى (ج ١ ص ٣٥) - (٢) في القرينى : « دقة » . (٣) كذا في القرينى .
 وفي الأصل : « الخوازي » . (٤) كذا في القرينى . وفي الأصل : « أحب » .

رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاكز إذا مر به رجل تاجر جعل من يديه شيئاً من الذهب على قدر بضاعته، وإن حاذاه عن بُعد ولم يفعل ذلك لم يقدر على الجواز وببيت قائماً مكانه ، فكان يجتمع من ذلك مالٌ عظيم يفتقر في الزمنى والفقراء.

وعمل في وقته كل أعجوبة طريفة، وأمر أن يُزرَّ آسمه عليها وصل كل علم وكل
 طَلسَم وصنم. وعمل لنفسه نلوسا في داخل أرض الغرب عند جبل يقال له سلفم،
 وعمل تحته رَحَى طوله مائة ذراع في ارتفاع ثلاثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا،
 وصقعه بالمرمر والزجاج الملون المسبوك وسقفه بالججارة الصليقية، وعمل فيها دار به
 مصاطب لطافا مبطلة بالزجاج، وعمل على كل مصطبة فيها أعجوبة وتعللما عمل
 في وقته، وعمل في وسط الأزج دكة من زجاج ملون، على كل ركن من أركانها
 صورة تمنع من الدخول إليها، وبين كل صورتين كلمارة عليها حجر مُضَيء، وجعل
 في وسط الدكة حوضا من ذهب يكون جسده فيه بعد تضيئيه بالأضوية المسكة،
 ونقل إليه ذخائره من الجواهر والذهب وغير ذلك، وأمر أن يُسَدَّ باب الأزج
 بالصخور والرصاص ويُهال عليه الرمال. وكان مُلكه ثلاثا وسبعين سنة، وعمره
 مائتين وأربعين سنة، وكان جبلا ذا وقرة حسنة فنسكت طائفة نسله بعده ولز من
 الميكل.

وعهد بالملك إلى أبنه أسد بن مرقوس ، فلك بعد أبيه وهو غلام
 ابن خمس وأربعين سنة ، وكان مُعجبا جبارا طامح العين ، فتكح امرأة من نساء
 أبيه وانكشف أمره معها ، وكان أكبر همه اللهو واللعب ، ففجع كل من له كان
 في مملكته وقصده كل من هذه سبيله ، وجعل تدمير الملك للمعوز يله يقال له

(١) كذا في المقرئ . وفي الأصل: « كالرش » .

(۲) فی المقرری : « تجاوزہ » .

مسرور ، ورفض العلوم والمياكل والكهنة والنظر في أمور الناس . وعمل
 قصورا من خشب عليها قباب من خشب منقوشة بمؤهة وجعلها على أطواف
 في النيل ، فكان يشرب عليها مع من يجبه من نسائه وخدمه ومن يليه .
 وعمل عجلا في البر وحمل عليها الأروقة المذهبة وفرشها بفائر الفرش ، فكان يتره
 عليها ويمر بها البقر ويقيم في ترته شهورا لا يتر بموضع تره إلا أقام فيه أياما . وولد
 من الشجر توليدا كثيرا . وأستفد أكثر ما في خزائن أبيه لجواثر الملهين والنفقات
 في غيره وجه . فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا عليه حاله رسالوه
 مسائله والمشورة عليه أن يقع عما هو عليه فضمن لهم ذلك ، وفارضه فيه فلم يثته
 عنه ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضرروا بهم . وخرج في بعض الأيام
 إلى منته كان له قد صنف مجالسه بصفايح الذهب والفضة ، وغريب الزجاج الملون ،
 والجواهر المخروطة ، والصناريج المرتحة الملونة ، وأمال إليه المياه ، وغرس فيه
 الراحين والتار ، وفرش مجالسه بأصناف الفرش ، وكان إذا أحب أن يخلو بأمرأة
 من نسائه خلا بها هناك ؛ فإنه في ذلك المكان ، وقد أقام به أياما ، إذ خرج غلام
 لبعض حرمه فأتى بعض التجار في حاجة أراد أخذها بغير ثمن ، فتمنه التجار منها ،
 فوشب بهم فضربوه حتى أسالوا دمه وحمل ، وأتصل الخبر بالوزير وصاحب الجيش
 فركبا إلى الموضع وأنكرا على الناس فأغلظوا لها ، فأفصرقا وعرفا الملك الخبر ،
 فأراهما أنه لم يجهل بذلك ، وأمر بالتداء في الناس من تعترض لكم من خدم الملك
 وأصحابه بأذى فاقتلوه ، فشكره الناس وحملوا فعله على ذلك ، وتواصوا بالوثوب
 على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الملك إلى الوزير وصاحب الجيش
 ففزعهما أنه قد عزم على الركوب إلى صحراء الغرب يتصيد هناك ؛ وأمر أن يركب
 معه الجيش ويترقدوا لثلاثة أيام ففعلوا ، وخرج إلى البرية فسار حتى إذا اختلط

الظلام رجع الجيش حتى وافى باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا السيوف في الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، ثم أمر أن ينادى : هذا جزء من أقدم من أنتم ، رعاياهم وأصحاب منهم ، وأخرب الموضع الذي ضرب فيه الغلام ، فأتاه الناس ، فتقدم إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ، فذهب إليهم وقال : من عاد إلى مثل ما كان فقد حل لنا دمه ، فدعوا له وأنصرفوا . ثم أتاهم عن الناس واستخف بالكهنة والمياكل فأبغضته العانة والخاصة ، فماتت له أمة فأحتال عليه خاصته بطباخه وساقه فسأه وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وصار الملك من بعده إلى ابنه صا بن أنساد بن مرقنس .

قال : وأكثر القبط تزعم أن صا بن مرقنس أخو أنساد ، فملك وهناك أنصار . فوعدهم بالعدل فيهم ، والإحسان إليهم ، وحسن النظر لهم ، وسكن منف ، وحجم الأحيار كلها ، وعمل بها عجائب وطلسات ، ورد الكهنة إلى مراتبهم ، ونظم أنسابهم وأهل الشر من كان يصحب أخاه ، ونصب العقاب الذي كان أبوه ينادي به . فمات هيكلة ودعا إليه . وعمل في منف امرأة كان يرى منها ما يخصب من بلاد وادي النيل . وبني بداخل الواحات مدينة غرس حولها نخلا كثيرا . ونصب قُرْبُ الدسم . وكثيرة . وعمل خلف المقطم صمما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من سار إلى بلاد يأتية فيبحره فيستتر عليه ذلك الأمر . وجعل على أطراف مصر أبوابا . يرفعون إليه ما يبحر في حدودهم . وتعل على غربي النيل منائر يوقد عليها إنذارا . فاقصد أو نابهم أمر . ويقال : إنه بنى أكثر منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية .

قال : وكان لما ملك البلد بأمره جمع الحكماء إليه ونظر في النجوم — فوجد

حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تبنى بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تبنى

(١) ورد في المقرئ (ج ١ ص ١٥٥ طبع في بيت) بعد هذا ما نصه : « وجعل بحافة ... منارها يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه من أقبح ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام وهو أول من أنبأ ... »

يدعون إلى من ناحية الشام ، فجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح
الأقصر مشد سبل طول حصنها في الارتفاع تحسين ذراعا وأودعها جميع الجكم
والأموات .

٢٢) وبني المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية ، وكان قد أخذ
على الواح الأقصى ، وكان عنده علم منها ، وأقام سبعة أيام يسير في رمال وصحارى
سمت الشرق والجنوب إلى أن ظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب حديد . فاصعد
إليها الرسل . ندفوا على ما فيها لما لم يمكنه فتح أبوابها ، ولغلبة الرمال على ما حولها ؛
فكانوا إذا غزوا الحصن وأشرفوا عليها وشبوا إليها ؛ وعرض حصنها عشرون ذراعا ؛
فلما أعياء أمرها تركها ومضى ، فهلك في تلك الطريق جماعة من أصحابه . فلم يُسمع
بأحد بعد موسى بن نصير ولا قبله وقع عليها .

قال : وفي تلك الصحارى أكثر متزهاتهم ومدائنهم العجيبة ؛ إلا أن الرمال غلبت
عليها . ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل للرمال دفعا ثم تفسد طلسماتهم على تقادم الأيام .

(١) الكلمة من المفريزي (ج ٣ ص ٤٨ طبع فيت) .

(٢) هذه المدينة تسمى « مدينة النحاس » ويقال لها « مدينة الصغر » وتقع في بعض مفاوز الأندلس .
قال ياقوت في معجمه : « ولها قصة بعيدة من الصحة لغارتها العادة وآثارها من عهدها ، إنما أكتسب
ما وحده في الكتب المشهورة التي دونها القسلا . ومع ذلك فهي مدينة مشهورة الذكر فذلك ذكرتها »
ثم ذكر بن ابن المقبة أن ذا القرنين ساءها وأودعها كنوزها وطلسمها بها فلا يقف عليه أحد ،
وبني داخلها بحجر البتة وهو مفاتيس الناس ، وذلك أن : إسمان إذا نظر إليها لم يتأكد أن يضحك
ويبقى نفسه عليها فلا يرايها أبدا حتى يموت . ولما بلغ عبد الملك بن مروان خبرها وخبر ما فيها من الكنوز
والعلوم وأن إلى جانبها بحيرة بها كنوز عظيمة كتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب بأمره بالسبر إليها
والحرص على دخولها وأن يعرف ما فيها ، ودفع الكتاب إلى طالب بن مدرك فحمله وصار حتى انتهى إلى
موسى بن نصير وكان بالقنبروان ، فلما أوصله إليه تجهز وسار في ألف فارس يحومها فلما رجع كتب إلى
عبد الملك بن مروان . . . وساق الكتاب الذي وصف فيه رحلته إلى هذه المدينة وما صادف فيها (راجع معجم
البلدان في كلامه على مدينة النحاس) .

وقال : وحكى قوم من التَّائِه في ضياع الغرب : أنَّ عاملاً من عمالهم عَنَّفَ بهم
فهربوا ودخلوا في صحراء الغرب وحلوا معهم زادا إلى أن يصلح أمرهم ويرجعوا
إلى بلادهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر قد هَجَّوْا ^(٢) في سفح الجبل ، فوجدوا صِيراً
أهلياً قد خرج من بعض شِعباه ، فقبَّعه ففر منهم ، فأخرجهم إلى مساكن وأشجار
ونخل ومياه تَطَرَّدَ ^(٣) وقهم يسكنون هناك ويزرعون ، فغاطبهم وعجبوا منهم وسألوهم
عن حالهم فزفَّوهم أنهم منذ كانوا يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون
ولا يظالهم أحدٌ بخراج ولا يُؤفِّهم ، وأنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب قط ، وقالوا
لهم آتفلوا إلينا ؛ فخرج القوم بعد أن صلحت أمورهم واجتمعوا على الرجوع إلى
ذلك الموضع والسكنى فيه بأهلهم ومواشيهم ، فخرجوا يطلبون الطريق مدة فـ
صرفوا الطريق ولا تأتي لهم الوصول إليه بعد ذلك فأسفوا على ما فاتهم منه .

وحكى أيضاً عن آخرين ضلُّوا الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة ،
كثيرة الناس والمواشى والغنم والشجر ، فأضافهم وأكلوا عندهم وشربوا ، وباتوا
في طاحونة يعمل فيها الخبز ، فسكروا من الشراب وتاموا ، فلم يفتبها إلا عند طلوع
الشمس ، فوجدوا أنفسهم في مدينة كبيرة خراب ليس فيها أحدٌ ، فأرتاعوا لذلك
ونخرجوا على وجوههم كالحارين ، وصاروا يومهم على غير تَمَتَّ حتى قرب المساء ،
فظهرت لهم مدينة أخرى عظيمة أكبر من الأولى وأعمر ، وأكثر أهلاً ودوابً
ومواشىً وغيراً ونحلاً ، فأَسْوَأَ بهم وأخبرهم بخبر المدينة ، فغسلوا يعجبون منهم
ويضحكون ؛ وإذا ببعض أهل المدينة لئمةً فأنطلقوا بهم معهم ، فأكلوا وشربوا

(١) التَّائِه : القبيحون ؛ يقال : تنسأ بالبه يترنوا أقام به وقطعه . ويقال : هو من بناء تلك

الكورة ، أى أصله منها . (٢) هَجَّوْا بالمكان : لزمه . (٣) تَطَرَّدَ : تهرى .

(٤) كذا في نسخة ب وفي نسخة أ : « الخمر » .

وغثوم بأصناف الملامى ، وسألهم عن حالهم فحدثوهم أنهم ضلّوا عن الطريق
 في هذه الصّعاري ، فقالوا لهم : الطريق بين أيديكم واضح مستقيم لا يمكن أن تملطوا
 فيه ، فإن أحببتم المسير وجهنا معكم من يؤفّقكم على سنن الطريق الكبير الذى
 يوصلكم إلى منازلكم ، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا رفدناكم وكنتم إخواننا وأحبابنا .
 ٥ قالوا : فسررنا بذلك من قولهم ، وأجمع بعضنا على المقام معهم ، وأجمع من كان
 له منا أهل وولد على أن يسير إلى منزله ويحمل أهله وولده ويعود إليهم . قال : وبنا
 عندهم في خير مبيت ، فراحين بما ساق الله إلينا . فلما كان من الغد انتبهنا فوجدنا
 أنفسنا في مدينة عظيمة ليس فيها أحد من الناس وقد تشعب بعض حصنها ، إلا أن
 حولها نخلا قد تساقط عمره وتكدّس حوله ، فليحقتنا من الخوف لذلك والأرتياح
 ما استوحشنا له ، ونرجعنا على وجوهنا هارين مفكرين فيما حايّنا من أهلها ، وإنّا لنجد
 ١٠ روائح الشراب منا وبطاني الخمار ظاهرة ، فلم نزل نسير يوما أجمع وليس بنا جوع
 ولا عطش ، حتى إذا كان المساء رأينا راعيا يرعى غنّا فسألناه عن المارة وعن الطريق
 فدلتنا على الطريق وقال : إنّ المارة هذاؤكم ، وإذا يتّار من ماء المطر فشربنا منه
 وبتنا عليها ، ثم أصبحنا فإذا نحن في خلاف موضعنا الذى تكّنا فيه ، وإذا آثار المارة
 ١٥ والناس فما سرنا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشموخين بالصعيد ، فكنا نحدث
 الناس ولا يقبلون منا .

قال : وهذه ملئّن الخوم القديمة قد غلب عليها الجلق ، ومنها ما قد سترته عن
 العيون فلا ينظر إليها أحد .

قال : وذكر بعض القبط أن رجلا من بنى الكهنة الذين قتلهم أنساد سار إلى
 ٢٠ ملك الإفرنجية فذكر له كنوز مصر وعجائبها وخبرها ، وضمن له أن يوصله إلى ملكها

- وأموالها، ويدفع عنه أذى طَلَمَاتِها حتى يَبْلُغَ جميع ما يريد، ويعترفه مواضع الكنوز.
- فلَمَّا أَتَصَلَ بِصَا الملك أَن صاحب الإِفْرَنْجِيَّةَ يَجْهَزُ إِلَيْهِ، عَمَدَ إِلَى جَبَلٍ بَيْنَ الْبَحْرِ
 الْمَالِحِ وَشَرْقِ النَّيْلِ فَأَصْعَدَ إِلَيْهِ أَكْثَرَ كَنْوزِهِ وَمَا فِي خَزَائِنِهِ، وَبَنَى عَلَيْهَا قِبَابًا وَصَفَّحَهَا
 بِالرَّصَاصِ، وَأَمَرَ فَفْتَحُوا جَوَانِبَ الْجَبَلِ إِلَى مَنْتَهَى خَمْسِينَ ذِرَاعًا، وَجَعَلُوا فِي أَتْنَاهُ
 الْمُنْحَوْتِ مِنْهُ شِبْهَ الطَّرْرِ الْبَارِزَةِ خَارِجَةً مِنَ النَّحْتِ بِقَدْرِ مِائَةِ ذِرَاعٍ وَهُوَ بَيْنَ جِبَالٍ .
- وَعَرَةً، فَخَصَّنَ أَمْوَالَهُ هُنَاكَ . وَجْهَزَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فِي أَلْفِ مَرْكَبٍ، فَكَانَ
 لَا يَمُتُّ شَيْءٌ مِنْ أَعْلَامِ مِصْرَ وَمَنَاوِلَاتِهَا وَأَصْنَامِهَا إِلَّا هَدَمَهُ وَكَسَرَهُ بِعَمُونَةِ الْكَاهِنِ لَهُ .
- حَتَّى أَتَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ الْأُولَى فَهَاتَ فِيهَا وَهْدَمَ كَثِيرًا مِنْ مَعْلَمِهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ النَّيْلَ مِنْ
 نَاحِيَةِ رَشِيدٍ وَصَعِدَ إِلَى مَنْفٍ لِحَارِبِهِ أَهْلَ النَّوَاحِي، وَجَعَلَ يَنْهَبُ مَا مَرَّ بِهِ وَيَقْتُلُ
 مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ طَلَبَ الْمَدَائِنَ الْدَاخِلَةَ لِیَأْخُذَ كَنْوزَهَا فَوَجَدَهَا مُمْتَنِعَةً بِالطَّلِيسَمَاتِ .
- الشَّدَادِ وَالْمِيَادِ الْعَمِيقَةِ وَالْخَنَادِقِ الشَّنَاخَاتِ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً يَبَاحُ أَنْ يَصِلَ
 إِلَيْهَا، فَلَمَّا لَمْ يُمَكِّنْ ذَلِكَ قَتَلَ الْكَاهِنَ، وَهَلَكَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَجْتَمَعَ أَهْلُ
 النَّوَاحِي عَلَى مَرَآكِبِهِ وَأَصْحَابِهِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خُلُقًا وَأَحْرَقُوا بَعْضَ الْمَرَآكِبِ . وَلَمَّا تَيَقَّنَ
 أَهْلُ مِصْرَ تَلَفَ الْكَاهِنِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ سَحَرَهُمْ وَتَهَاوَلَهُمْ، وَأَتَتْ مَعَ ذَلِكَ
 رِيَّاحٌ غَرَقَتْ كَثِيرًا مِنْ مَرَآكِبِهِ، وَكَانَ جَبَلُ مِرَامِهِ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ فَا عَادَ إِلَى
 الْإِفْرَنْجِيَّةِ إِلَّا وَقِيدًا بِمِجْرَاحَاتِ أَصَابَتِهِ، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرَاهِمَ، وَرَجَعَ
 صَا إِلَى مَنْفٍ فَأَقَامَ بِهَا وَتَرَكَ مَا كَثُرَ عَلَى حَالِهِ .
- قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَغْزُو بِلَادَ الرُّومِ وَأَهْلَ الْجَزَائِرِ وَيَخْزِبُهَا فَهَابَتِهِ الْمُلُوكُ،
 وَتَبَعَ الْكَهْنَةُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خُلُقًا، وَأَقَامَ سَبْعًا وَمِائَتَيْنِ سَنَةً، وَكَانَتْ سَنَةٌ مِائَةً وَسَبْعِينَ
 سَنَةً وَهَلَكَ، فَدُفِنَ بِمَنْفٍ فِي نَاوُوسِ عَمَلِهِ وَسَطَ الْمَدِينَةِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ

المدخل إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل إليه أموالا عظيمة
وجواهر كثيرة، وتمائيل وطلسمات وغير ذلك كما فعل أجداده. وكان فيه أربعة
آلاف تمثال ذهب على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر
جعل عند رأسه ، وتمثال تين من ذهب مشبك عند رجليه وزر عليه اسمه وسيرته
وظليته للولك .

وعهد إلى ابنه تدارس بن صا ، فلك الأخياز كلها بعد أبيه وصفا له
ملك مصر . وكان عنكا مجزبا ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر العدل ،
وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا . وبني غرى منف بيتا عظيما للزهرة وزر
جميع الأخيار - وكانت صنم الزهرة من لازورد مذهب متوجا بذهب -
وسوره بسوارين من الزبرجد الأخضر ، وكان في صورة امرأة لها صغيرتان من
ذهب أسود مدبر، وفي رجليها خلخالان من حجر أحمر شفاف ونعلان من ذهب ،
وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسامة على من في الهيكل ، وجعل
حذاءها من الجانب الآخر تمثال بقرة ذات قرنين وضريعين من نحاس أحمر نؤد
بذهب موشحة بحجر اللازورد ، ووجه البقرة محاذيا لوجه الزهرة ، وجعل بينهما
مطهرة من أخلاط للأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر يستشفى به
من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون في كل سبعة أيام ،
وجعل فيه كرامى للكهنة مصقعة بذهب وفضة، وقرب له ألف رأس من الضان
والمزر والوحش والطير، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وكانت فرش الهيكل
وستوره عن يمين تمثال الزهرة ويساره. وكان في قبة صورة رجل راكب على فرس
له جناحان وله حربة في سنانها رأس إنسان معلق، وبقي هذا إلى زمان فحُت نصر

وهو الذى هدمه . ويقال : إن تدارُس الملك هذا هو الذى حفر خليج سخا ، وأُرتفع مال البلد في أيامه مائة ألف ألف [دينار] ونحسين ألف [ألف] ^(١) دينار . وقصده بعض عمالقة الشام نخرج إليه وأمتباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا وسي بعض حكائما وأسكنهم مصر وهابته الملوك .

- قال : وعلى رأس ثلاثين سنة من مُلكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه فماتوا وأفسدوا ، فأمر بجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له : بلوطس في ثلثمائة ألف ، وقائدا آخر في مثلها ، ووجه في البحر ثلثمائة سفينة في كل سفينة كاهنٌ يعمل أعجوبة من العجائب [ثم نخرج في جيوش كثيرة ، فلقى جموع السودان] وكانوا في زهاء ألف ألف فهزموهم ، وقتلوا أكثرهم أبحر قتل ، وأسر منهم خلقا كثيرا ، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذ منها عدة من النصور والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر . وعمل على حدود بلده منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه . ولما وصل إلى مصر اعتل ورأى رؤيا تدل على موته ، فعلم لنفسه نأووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك ؛ فحمل إليه وزُبر عليه أسمه وتاريخ الوقت الذى هلك فيه ، وجعل عليه طلمبا تمنع منه .
- وعهد إلى ابنه مالىق بن تدارس ؛ فلك بعد أبيه . وكان غلاما كريما حسن الوجه ، مجتربا ، عقالا لأبيه وأهل بلده في عبادة الكواكب والبقر .

(١) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ٢٨٨ طبعة فييت) .

(٢) فى المقرئى : « فى النيل » .

(٣) التكملة من المقرئى . وفى الأصل : « وتوجه هو » .

(٤) بلاد الزنج هى الآن بلاد الصومال والحبيشة وبلاد زنجبار (راجع معهم الخريطة التاريخية) .

ويقال : إنه كان موخداً على دين أجداده قبطيم ومصر يم ، وكانت القبط تذمه
لذلك . وكان سبب إيمانه فيما حكى أنه رأى في منامه أن رجلين لهما أجنحة
أتياهما فأختطفاه وحملاه إلى الفلك ، فأوقفاه بين يدي شيخ أسود أبيض الرأس
والحية ، فقال : هل عرفتنى ؟ فذكرته فزعه الحداثة ، وكانت مسنة نيفاً وثلاثين
سنة ، فقال له : ما أعرفك ! فقال : أنا قرويس ، يعنى زحل ، فقال :
قد عرفتك ، أنت إلمى ، فقال : إنك وإن كنت تدعونى إلمى فإنى مرئوب
مثلك ، وإلمى الذى خلق السموات والأرض وخلقنى وخلقك ، فقال : وأين هو ؟
فقال : هو فى العلو لا تراه العيون ، ولا تلحقه الأوهام ، وهو الذى جعلنا سبباً لتدبير
السالم الأسفل . قال له مالىق الملك : فكيف أعمل ؟ قال : تُضمر فى نفسك
ربوبية طينا . وتخلص فى وحدانيته وتعرف بأزليته . ثم إنه أمر الرجلين فأتياه
فأنتبه وهو مذخور ، فدعا رأس الكهنة فقص عليه رؤياه فقال : قد نهاك عن عبادة
الأوثان فإنها لا تنفع ، ولا تنفع ، فقال له : من أعبد ؟ قال : الله الذى خلق السموات
والكواكب التى فيها والأرض ومن عليها . فكان الملك يحضر الهيكل فإذا صعد
انحرف عن الصنم وأضمر السجود لخالق السموات والأرض دون غيره ، ثم أخذ
فى الغزو والغلبة عن أهل مصر وجال فى البلدان .

قال : وقال بعض أهل مصر : إنا الله تعالى أيده بملك من الملائكة يستصده
ويرشده ، وربما أتاه فى نومه ، فأمره أن يأمر الناس باتخاذ كل فائده من الخيل ،
واتخاذ السلاح وما يصلح للأسفار ، وإعداد الزاد ، واتخذ فى بحر القرب ماثنى سفينة ،
ونخرج فى جيش عظيم فى البر والبحر ، فقيه جموع البرى فى جموع لا تُحصى فلهزمهم
وأستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وسار منها ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن
عذى من ناحية الأندلس يريد الإفرنجية ، وكان بها ملك عظيم يقال له : أرقبوس ، فأقام
يحاربه شهراً ثم طلب صلحه وأهدى له هدايا كثيرة فسارع عنه ، ودوخ الأثم المتصلة

بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها . ومرت بأمة عُرأة لهم حوافر في أرجلهم ، وقرون
مسنار ، وشعور كشعور الدواب ، ولهم أنياب بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتالا
شديدا حتى أمتنهم ، فقتلوا منه إلى غيران لهم مظلمة عظام .

- والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة ، وعمل أعلاما على البحر وزبر عليها اسمه
ومسيره ، ونحرب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ورجع ، فلقاه
ابن مصر بأصناف اللهو والطيب والراحين ، وفُرشت له الطرقات ولقوه بأبنه
بلفانس وكان ولد بعد مسيره فُسِّر به . واتصل خبره بالملك فهابوه وحملوا إليه
اشدايا من كل وجه ومكان .

- قال : وبلغه أن قوما من البربر صخرة لهم تخاليل عجيبة وبخورات يدلون بها ،
وأنهم في مدينة لم يقال لها : قريمة ، في الغرب من مصر ، قد ملكوا عليهم امرأة
ساحرة يقال لها : اسطافا ، فاتصل به كثرة أذاهم للناس ففزعهم ، فلما قرب منهم
ستروا عنه مدينتهم بسحرم فلم يرها ، وطمؤا مياهم فلم يعرفها ، فهلك أكثر أصحابه
عطشا . فلما استروا عنه البلد صعد إلى ناحية الجنوب ، ثم رجع على غير الطريق التي
سار إليهم فيها ، فترهبكل كان لم يحضرونه في أعيادهم ، فهدم بعضه وسقط منه
موضع على جماعة ممن تولى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وأنصرف ، ونرجوا
إلى هيكلم فبنوا ما سقط منه وحرسوه بطلميات محكمة ، ونصبوا فوق قبته طلمبا
من نحاس مذهب ، وكان إذا قصده أحد صباحا صباحا متكررا يرتد منه من سمعه
ويبهت فيخرجون إليه ويصطلمون . وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالت :

- (١) البحر الأحمر - ويقال له بحر الطلمات : هو المحيط الأطلنطي ، ويسمى أيضا : بحر الطلبة
أو بحر أقيانس أو البحر الأعظم ، ويقرأ في بعض الكتب « بحر أقيانس » وهو تصحيف ظاهر (راجع
معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين وأصف بك) . (٢) الثيران : جمع غار ،
وهو ما يثقت في الجبل شبه المارة فاذا اتسع قيل كهف . (٣) يصطلمونه : يستأصلونه .

إني أعمل الحيلة في إفساد مصر وأضرب وأذى أهلها، فعملت أشياء وأرسلتها مع من
ألقاها في النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح
والضفادع، وكثرت السبل في الناس، وأنبتت فيهم التعابين والمقارب، فأحضر
ماليق الكهنة والحكماء وقال: أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا
ما هي؟ ولم لم تشرحوها في طالع السنة؟ فاجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا
حتى علموا أنه من ناحية القرب، وأن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلم أنه من
فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهلوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها،
فاجتمعوا للهيكلك الذي فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم
فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى ليس سحبا واقترش ومادا واستقبل مصلاه
وأقبل على الأبهال إلى الله والتضرع وقال: يا رب يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق
الخلق، ولا يكون شيء إلا بقضائك، أسالك أن تكفيني أمر هؤلاء القوم، وعلبه
السهر فأغنى في مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرعك، وأجاب
دعاءك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدبر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد
والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غفوا عليه وسألوه حضور هيكلكم، فقال لهم:
قد كفيتكم أمر عدوكم وأهلكتهم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم،
ولن تروا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا:
قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الاستهزاء به والتكذيب له، ومضوا إلى
دار الحكمة فقال بعضهم: الرأي ألا تقولوا في هذا شيئا، فإن كان حقا وقفتم
عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه، وسيتبين لكم أمره.
فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد، وهلكت تلك الدواب المضرة،
فعلموا أن الذي أخبرهم به حق، وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمضوا

- حتى يملأوا علم هؤلاء القوم، فأتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا أجمعهم واحترقوا وأسودت وجوههم ؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم ، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها ؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والفضة والتماثيل ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة ، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم ؛ ووجدوا صورة روحاني من ذهب ، ورأسه من جواهر أحمر، وله جناحان من دُرّ، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دَين مرصعين بجواهر ملون ؛ ووجدوا مطهرة من باقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء اللطيف لأصنامهم ، وفرسا من فضة من عزم عليه بزائمه ودخنه بدُخنة وركبه طار به فيما يزعمون، وغير ذلك من العجائب والأصنام ؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر ، وسأل الملك ذلك الرجل : ما أعجب ما رأيت من أعمالهم ؟ فقال : نعم أخبرك أيها الملك ؛ إنه قصدهم بعض ملوك البربر، وكان جبارا من أهل بيت سمير، بغيا بالجنوع الكثيرة وتخاذيل هائلة ، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولحقوا إلى أصنامهم يخضعون لها ويتضرعون إليها ، وكان لهم كاهن عظيم الشأن، فسار إليه رؤساؤهم وشكروا إليه ما دهمهم من عدوهم ، فأتى إلى بركة عظيمة بيضة القعر كانوا يشربون منها ، فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك حتى فار الماء وفاض ، ونجست من وسطه نار نتاج ، وظهر من وسطها وجه كدارة الشمس وعلى صورتها وضوئها ، فخر الجماعة ومجدوا لذلك الوجه ، وتجللهم نور؛ وجعل يظم حتى ملأ البركة ، وصعد حتى نرق سقف القبة ، ثم ارتفع إلى رأسها وسمعت يقول : قد كفيتم شر عدوكم ، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا

ذلك ، وهَلَكَ الملك الذي قصدهم وجميع من كان معه ، وأنصرفوا ؛ فأقبلوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة : لقد رأيت عجبا من ذلك الوجه فما هو ؟ فقال : تلك الشمس تبقت لنا في صورتها وأهلكنا عندنا ، صاحبت بهم صيحة أحرقهم فأصبحوا خامدين .

قال : وكان هذا الرجل مطلقا فاتخذ مالىق وزيرا . ولم يزل مالىق على التوحيد ؛ وهو مع ذلك يسائر أهل البلد خوفا من اضطراب مملكته ، وأمر أن يعمل له ناووس ، فكان يقصده ويتعبد فيه ، وأمر ألا يدفن معه ذهب ولا جواهر ، فلم يدفن معه شيء سوى الطيب ومصحف مكتوب بخطه فيها : هذا ناووس ملك مصر مالىق ، مات مؤمنا بالله العظيم لا يعبد معه غيره ، بريثا من الأصنام وعبادتها ، مؤمنا بالبحث والحساب والمجازاة على الأعمال ، عاش كذا وكذا سنة ، ملك فيها كذا وكذا ، فرب أحب النجاة من صفاب الآخرة فليدين بما دان به . وأوصى ألا يدفن معه في ناووسه أحد من أهله ، وكان قد كثرت كنوزا عظيمة وزير مليها أن تخرجها أمة النبي المبعوث في آخر الزمان .

وأستخلف ابنه حرما بن مالىق . قال : وكان ليثا سهلا الخلق ، لم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد ، وأمره أن يدين به ، ونهاه عن عبادة الأصنام ؛ وكان معه على ذلك في حياته ، ثم رجع عنه بعد وفاته إلى دينهم . وكان سبب رجوعه إلى عبادة الأصنام أن أنه كانت من بنات بكور الكهنة ، فقتله بعد موت أبيه إلى دينها وغلبته على رأيه ، وأمرت بتجديد الهياكل وتشدت في عبادة الأصنام . وتزوج حرما امرأة من بنى عمته فأحبها حباً شديدا وهام بها ، فأفسدته على جميع نساها ،

فاشتد ذلك على أمه، وكانت له قهرمانة من أهل سُوط ساحرة لا تطاق، وكانت تميل الى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها، فزادت في محبتها لتلك المرأة فأوحشت ما بين الملك وأمه حتى رفضها واستغف بأميرها، وزاد الأمر حتى حلف ألا يحاورها، وأنه يغزو وينصرف فلا يرجع الى مصر أو يتصل به موثها، ففعل ذلك وغزا بلد الهند وأرض السودان .

- وكان سبب خروجه الى الهند أن ملكا من ملوكها يقال له مسور خرج في عدد كثير وسأيرته مرآكه في البحر ففتح بلدانا وجزائر، واكثر القتل والسبي؛ وذكرته له مصر فقصدتها وأجتل فرجع من طريقه، فأمر حرم الملك بعمل مائة سفينة على شكل سفن الهند، وتجهز وزكب وحمل معه المرأة ووجوه أصحابه وقواده، واستخلف أبنة كلكن على مصر وكان صبيا، وجعل معه وزيرا يقال له لاون، وكاهنا يقال له ويسموس، وخرج فسر على ساحل اليمن وعات في مدائنه . وكان لا يمر بمدينة إلا أقام صفا وزر عليه اسمه ومسيره ووقته، وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها، وغنم منها مالا وجوهرا كثيرا، وحمل معه حكما لم، وبلغ جزيرة بين الهند والصين بها قوم سمح طوال يجزون شعورهم، ورأى لهم الدواب والطيور وشجر الطيب والتارجيل والقواكه التي لا تكون إلا عندهم، فاذعنوا له بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم . وأقبل ينتقل في تلك الجزائر عدة سنين، فقليل : إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة، ورجع الى مصر بالطفر والقيمة، ووجد أمه قد هلكت، ووجد أبنة على الملك كما استخلفه؛ فسر بذلك وهابه من حوله من الملوك . وبقي عدة هياكل وأقام فيها أصنام الكواكب؛ لأنها - فيما زعم - هي التي أبدته في سفره حتى ظفر بما ظفر به وغنم ما غنمه . وقد كان حمل

معه من الهند حكما وطيبا ، وكان معهما من كتبهم وحكمهم ما أظهرها به في مصر عجائب مشهورة ، وحمل معه صنما من أصنام الهند من الذهب مقرطا بالجواهر ، فنصبه على بعض الهياكل التي عملها . وكان حكيم الهند يقوم به ويخبره ويقرب له . وكان يخبرهم بما يريدون منه .

٥ قال : وأقام حرما بعد مُنْصَرَفِهِ من الهند مدة ثم غزا نواحي الشام فاطاعه أهلها وهادؤهُ ورجع إلى مصر . ثم غزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه له ، ورفع أقدار الكهنة وزاد في تعظيم دينهم ؛ فصوّروه في هياكلهم ومضاجعهم ، وملكهم خمسا وسبعين سنة . وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وعمل برفودة مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات وأبنته كلكن بمنف ، فضمّد جسده بالموميا والكافور والمزّ ، وجعل في تابوت من ذهب ، وجعل معه مالٌ كثير ، وجوهر نفيس ، وسلاح عجيب ، وتماثيل وصنعة وعقاقير ، ومصحف الحكمة . وصوّر في جانب الناووس صورا وزر عليها ذكر السفن التي سار فيها ، والبلدان التي فتحها ، وسدّ باب الناووس وزر عليه اسمه ومذته وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وقتل جماعة من نسائه أنفست عليه . وكان جيلا سمح الأخلاق ، وأعتم عليه الكهنة لإكرامه لهم ، وأهل المملكة لاتباعه لهم .

١٥ وملك بعده أبنته كلكن بن حرما ، وعقد التاج على رأسه بالإسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع إلى منف . وكان أصناميا على دين أبيه وأستبشر به أهل مصر . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل الكيمياء في مدة ملكه ؛ فغزن أموالا عظيمة بصحارى الغرب . وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان مكتوما . وكان الملوك قبله

- أمروا بترك صنعتها لئلا تجتمع ملوك الأمم على غزوهم ، فعملها كلكن ومسلا
 دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج ؛
 لأنه كان في وقته - فيما حكاه القبط - مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف
 مثقال . قال : وكان المثقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة فيصبنها ،
 فاستغنوا عن إثارة المعادن لقلّة حاجتهم إليها . وعمل من الحجارة المسبوكة الملوّنة
 الصمّ التي تشبّ شيئا كثيرا لم يعمل مثله أحدٌ ممن تخطّمه . وعمل من الأدرك^(١)
 الملون والفيروزج أشياء تخرج عن العقول ، حتى كان يسعى حكماء الملوك . وطلب
 جميع الكهنة في علومهم ، وكان يخبرهم بما يضيّب عنهم ، فهاجوا وأحتاجوا إلى علمه .
 وكان نمروذ بن كتمان الذي أهلكه الله تعالى على يد إبراهيم الخليل عليه السلام
 في وقته ، فيقال : إنه لما اتصل بنمروذ خبر حكمته استتراه فوجّه إليه أن يلقاه
 منفردا من أهله وحشمه بموضع كذا ، ففعل النمروذ ذلك وسار إلى الموضع الذي
 ذكره ، وأقبل كلكن على أربعة أفراس تحمل ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور
 كالنار ، وحوله صورٌ هائلة قد خيل بها ، وهو متوشّح بشبان محترما بيمضه ، والشبان
 فاغرّ فاه ، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك الشبان رأسه ضربه بالقضيب . فاما
 رآه النمروذ هاله أمره وخاطبه ؛ فاعترف له بجليل الملك والحكمة ، وسأله أن يكون
 ١٥ ظهوراً له .

- وتقول القبط : إن كلكن الملك كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة
 تلوح على رأسه . وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم . ويقولون :
 إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، ثم استر عنهم مدة حتى
 توهّموا أنه هلك . وكان يحول في الأرض وحده حتى طمست الملوك التي حوله
 ٢٠

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

في ملكه ؛ فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له «سادوم» في جيش عظيم ، وأقبل من ناحية المغرب من نحو وادي هيب ليكبس البلد ، فأقبل حتى واثقهم ، ثم جلاهم بشيء من سمه كالغمام شديد الحرارة ، فأقاموا تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون ، فطار إلى مصر فاستأنس الناس لمقدمه ، فزفهم ما جرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم ، فوجدوهم ودواهم أسوانا فعجبوا لذلك ، وهابه الكهنة هيبة لم يهابوها أحدا قبله ، وصوروه في جميع الهياكل ، وملكهم زمانا .

١١
١٣

وبنى في آخر عمره هيكلا لرحل من صوان أسود في ناحية الغرب ، وجعل له عيدا ، وجعل في وسطه ناووسا ، وحل إليه ما أراد من ذهب وجوهر ، وحكم وعقاقير ، وعرفهم بموته ، وجعل على باب الناووس طليعات تمنع منه ، وغاب عنهم فلم يفتوا على موته .

١٠

وكان قد أوحي إلى ابنه ماليا بن كلكن فلك بعد أبيه . وكان شريفا كثيرا الأكل والشرب ، منفردا بالرفاهة ، غير ناظر في شيء من الحكمة ، وجعل أمر البلد إلى وزير له . وكان معجبا بالنساء ؛ وكان له ثمانون امرأة ، ثم اتخذ امرأة من بنات الملوك التي بمنف وكانت عاقلة سدينة الرأي ، وكان بها متعجبا فحمته النساء . وكان له بنون وبنات ، وكان أكبر بني به يقال له : طوطيس ، فكان يستجمل أباه فاعمل الحيلة في قتله ، وإنما حملته على ذلك أمه وجماعة نساءه وبعض وزراء أبيه ؛ فهجم عليه في وزرائه وهو سكران وتلك المرأة عنده فقتله وقتل المرأة وصلبها .

١٥

(١) وادي هيب : هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم ، يجلب

من الملح والنفرون . عرف هيب بن محمد النفاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . شهد فتح

٢٠

مصر (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ١٨٦ طبع بلاق) .

ملك بعده آبنه طوطيس بن ماليا وجلس على سرير الملك . وكان جبارا جريئا شديد البأس مهيبا ؛ فدخل عليه الأشراف وهشوه ودعوا له ، وأمرهم بالإقبال على مصالحهم وما يبتغيهم ، ووعدهم بالإحسان .

- والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام .
- ويقولون إن الفراعنة سبعة هو أولهم . قال : ثم تذكر الناس ما فعله بأبيه وأنكره .
- وأستعجبوا صلبه المرأة فأنزلها ودفنها ، وأستخف بالكهنة والهاكل .

- ولذلك ذكر خبره مع إبراهيم الخليل عليه السلام في أمر سارة^(١) ، ونورد من ذلك ما أورده أهل الأثر وما ورد في الحديث الصحيح النبوي من هذه القصة . قال إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقه أخباره : لما فارق إبراهيم عليه السلام قومه والنمرود بن كتمان ونزل الشام ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته وخلف ابن أخيه لوطا بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ، ويقال إن يوسف الصديق ورث جزءا من حسناتها لأنها جدة أبيه . قال : فلما سار إبراهيم إلى مصر وأتى الحرم المقيمون على أبواب المدينة فرأوا سارة وعجبوا من حسناتها ورفعوا خبرها إلى طوطيس^(٢) . وقد رويناه في ذلك حديثا بسندنا الذي قدمناه إلى أبي عبد الله البخاري رحمه الله قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك

(١) سارة : بتخفيف الراء . وقيل بتشديد ها .

(٢) في شرح البخاري للقسطاني (ج ٤ ص ١٢٢ طبع بلاط سنية ١٢٩٣ هـ) أن اسم هذا الملك

صاروق ، وقيل سنان بن طوان ، وقيل عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر .

(٣) في شرح البخاري للقسطاني : « هي مصر . وقال ابن تقيية : الأردن » .

من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل : دخل إبراهيم بأمرأة هي من أحسن النساء؛ فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذبة التي معك؟ قال : أختي . ثم رجع إليها فقال : لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك ؛ فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت تَوْضاً وتصل ، فقالت : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على هذا الكافر ، ففط حتى ركض برحله .

قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قالت : اللهم إن يمت يقال هي قتله فأرسل ، ثم قام إليها فقامت تَوْضاً وتصل وتقول : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على هذا الكافر ، ففط حتى ركض برحله . قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة : قال أبو هريرة : فقالت :

اللهم إن يمت فيقال هي قتله فأرسل في الثانية أوفى الثالثة . فقال : والله ما أرسلتم إلى إلا شيطانا ! إرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها أجر ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم ولده . هذا ما روينا من صحيح البخاري . وقد ورد في أخبار طوطيس زيادات نذكرها ؛ وهو أن الملك لما أطلقته في المرة الثالثة قال لها : إن لك رباً عظيماً لا يُضِيعُك ؛ وأعظم قدرها وسبأها عن إبراهيم فقالت : هو فريزي وزوجي . قال : فإنه ذكر أنك أخته . قالت : صدق أنا أخته

في الدين ، وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا . قال : نعم الدين دينكم ؛ ووجهها إلى ابنته حوريا ، وكانت من المقل والكمل بمكان كبير ، فآلى الله تعالى محبة سارة في قلبها فمظمتها حوريا وأضاعها أحسن ضيافة ، ووهبت لها جوهرها ومالا ، فأت

(١) إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية بمعنى « ما » . (٢) فط : يضم الفين المعجمة وتشديد الطاء المهملة ، أي أخذ يجاري نفسه حتى سمع له عطيط . (٣) يقال هي قتله : بـإثبات الألف في « يقال » على أن جواب الشرط المحذوف تقديره « ... أعذب ويقال ... » . (٤) هي هاجر أم اسماعيل كما سيأتي بعد . (٥) راجع (ج) ٣٥ طبع بـ ١٢٩٠ .

به إبراهيم عليه السلام فقال لما : رُدِّيْه فلا حاجة لنا به فردته ؛ فذكرت حوريا ذلك لأنها فنجب منها وقال : هؤلاء من قوم كرام ومن أهل بيت طهارة فتعَلَّى في برها بكل حيلة ، فوهبت لما جاريةً قبطيةً من أحسن الجوارى يقال لها آجر ، وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وعملت لما سِلَالا من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد. وجعلت تحت الحلوى جوهرًا نفيسًا وحليًا مصبوغًا مكلَّلًا ، فقالت :
 ٥ أَسْأُور صاحبي ؛ فأتت إبراهيم عليه السلام فساوَرته فقال : إذا كان ما كولا نخذيهِ ، فقبضته منها ونخرج إبراهيم عليه السلام . فلما أَمِنُوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابها الجواهر والحلي ، فعرّفت إبراهيم ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل ونزق بعضه في وجوه البَر . وكان يُضَيِّف كل من مرَّ به .

قال : وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة فعزّفه أنها بمكان
 ١٠ جذب وتستغيثه ، فأمر بحفر نهر في شرق مصر يمتد بسفع الجبل حتى ينتهي إلى مرفأ السفن في البحر المسالخ ، فكان يحمل إليهما الحنطة وأصناف الفلّات فتصل إلى جُمْدَة وتملأ من هناك على المطايا ، فأحيا بلد الحجاز مدة . ويقال : إن كل ما حُلِّيت به الكعبة في ذلك العصر هو مما أهداه ملك مصر . ويقال : إنه لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سمّته العرب «جُرْمُ العبادق» وكذلك يسمّيه كثير
 ١٥ من أهل الأثر . وقد تقدّم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام أن اسم الملك صادوق ، ويقال : إنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده ، فدعا بالبركة لمصر ، وعزّفه إبراهيم أن ولده سيملكها ويصير أمرها إليه .

قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر ؛ وذلك أنه أكثر القتل حتى قتل قراباته
 ٢٠ وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه ، وأكثر الكهنة والحكماء . وكان حريصا على الولد

فلم يرزقه الله ولدا غير أبنيه حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يده كثيرا وتمنه من سفك الدماء، فأبغضته وأبغضه الخلق : انفاص والعام . فلما رأته أمره يزيد خافت على زوال ملكهم فسحته فهلك . وكان ملكه سبعين سنة . ولما مات اختلفوا فيمن يملكوه عليهم بعده فقالوا : لا يملك علينا أحد من أهل بيته، وأرادوا تملك بعض ولد أتريب ؛ فقام بعض الوزراء ودعا إلى تملك أبنته لصنيها فيه، ولما كانت تنكر عليه، وتبعه أكثر القواد وللوجوه قتم لها الأمر .

وبلكت حوريا بنت طوطيس وجلست على سرير الملك، ووعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وحفظها، فاجتمع لها من الأموال والجواهر والحل والخيل والطيب ما لم يجتمع لملك، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الحياكل وتعظيمها . وسار من لم يرضها إلى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أنداخس ؛ ففقد على رأسه تاجا وأنضم إليه جماعة من بني عمه وأهل بيته، فأنفذت إليه جيشا غاربا ؛ فلما رأى أنه لا طاقة له بهادها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وقال لها : إن الملك لا يقوم بالنساء ، وخوفها أن يزول ملكهم بمكائنها ؛ فعملت صنعا وأمرت أن يحضره الناس على منازلهم ، فحضروا وأكلوا وشربوا وبذلت لهم الأموال وعزفتهم ما جرى من خطبتها، فبعض صوب الرأي، وبعض امتنع وقالوا : لا يتولى علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وحكمتها، وهى واردة الملك ؛ ووثبوا على نفر ممن خالفها فقتلوه، وخرجوا في جيش كثيف فلقوا جيش الخارج بأتريب فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه، فهرب إلى أرض الشام وبها الكتفانيون من ولد عمليق، فاستقوا بملكهم وضمن له أخذ مصر وفتحها، فجهز بجيش عظيم إلى مصر، فاجتمع الناس كلهم إلى حوريا، ففتحت خزائن أيها وفوت ما فيها على الناس فأحبوها، وقوت السحرة بالمال ووعدهم الإحسان .

- فلما تقدم أنداخس بالجيش أمرت السحرة أن يعملوا له عملاً ، وكان على جيوشهم قائدٌ من عظماء قواد ملكهم يقال له جيرون ؛ فلما تزلوا أرض مصر بعثت ظمأ لها من عقلاء النساء إلى جيرون سرّاً من أنداخس تمزفه رغبته في تزويجه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه إن قتل أنداخس تزوجت به وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه . فرغب في ذلك وسمّ أنداخس بسم أنفذته إليه . فقتله ؛ فوجهت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تُظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجيبة — وكان اقتناهم حينئذ بالبنيان وإقامة الأعلام وعمل العجائب — وقالت له : انتقل من موضعك هذا إلى غربي بلدي فمّا أنار لنا كثيرة فاقفت تلك الأعمال الغريبة وآبن عليها ، ففعل ذلك وبني لها مدينة بصحراء الغرب يقال لها تندومة^(١) ، وجرّ إليها من النيل نهراً وضمّ من عليها غرواً كثيرة ، وأقام بها مناراً عالياً ، وعمل فوقه منظرًا وصفّحه بالذهب والفضة والصفّر والرخام المأون والزجاج المسبوك وأبدع في عمله . وكانت تمدّه بالأموال وتكتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم . فلما فرغ من بناء المدينة قالت له : إن لنا مدينة حصينة كانت لأوائنا وقد تحربت منها أمكنة^(٢) [فامض إليها واعمل في إصلاحها إلى أن أنتقل إلى هذه المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما يحتاج إليه ، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة فأنفذ إلى جيشا حتى أصير إليك وأنظر ما صنعته ، وأبعد عن مدينتي وأهل بيتي فإني أكره أن أتيك بالقرب منهم . فضى وجدّ في عمل الإسكندرية الثالثة . قال : وأهل التاريخ يسوقون شيئا من أخبار أنداخس ويذكرون أنه الذي قصد الوليد بن دوعم العملي ، وهو ثاني الفراعنة . وكان سبب قصده له أنه كانت به حلة فوجه إلى المواضع ليحمل إليه من مياهها حتى يعرف ما يلائم جسده ، فوجه
- (١) في خطط القريري (ج ٣ ص ٧٤ طبة فيث) : « أندرة » . وأشار في الماشي إليها وردت أيضا باسم « تندومة . قندومة . قندرة » . (٢) الزيادة من القريري .

علاما له فأتى مملكة مصر ووقف على كثرة خيراتها وحمل إلى صاحبه من مائها والطائنا وعاد إليه ، فمزقه حال مصر فقصدها في جيش كثيف حتى حط عليها ، وكتب الملكة وخطب إليها نفسها ، فوجهت إليه من أشرف على حاله فوجد قوما عظاما لا يقوم بحربهم ، فأجابته إلى التزويج والطفقة وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يظهر فيها أيده وقوته ويحملها مهرا لها ، فأجابها ودخل مصر وآتته إلى ناحية القرب لىبني لها المدينة ناحية الإسكندرية ، فأمرت أن يُتلى بأصناف الرياحين والفواكه ويُخلق وجوه الخيل ، فضى إلى الإسكندرية . وقد خربت بعد خروج العادية منها . فنقل منها ما كان من حجارها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث إليها مائة ألف فاعل ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، وكان كلما بنى بناء خرجت من البحر دواب تحملها فإذا أصبح لم يجد منه شيئا فاهتم لذلك .

١٤
١٣

وكانت حوريا قد أخذت إليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها في مطبخه ، وكانت مع راع يثق به ، وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاه هناك ، فكان إذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسناء فتوق نفسه إليها ، فإذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فإن صرعه كانت له وإن صرعته أخذت رأسين من المعز ، فكانت على طول الأيام تصرعه وتأخذ من الغنم حتى أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشغلها بحب تلك الصورة عن رعيها ، وتضير هو أيضا في جسمه وتحمل ، فزبه صاحبه وسأله عن حاله وحال الغنم فخره الخبر خوف سطوته فقال : أى وقت تخرج ؟ قال : قرب المساء . فلبس ثياب الراعى وتولى رعية الغنم يومه إلى المساء ، وخرجت الجارية فشرطت عليه كما شرطت على الراعى ، فأجابها وصارعها فصرعها وقبض عليها وشدها فقالت له : إن كان لا بد

(١) كما في المقرئ . وفي الأصول : « نجاتها » . (٢) كما في الأصول والمقرئ .
والعادية : نسبة إلى قبيلة عاد البائدة . (٣) رمية : بكسر الراء ، اسم من رمى الماشية برماها .

- من أخذنى فسلمنى لصاحبى الأول فإنه ألطف بى، وقد عذبتُه مرةً بعد مرة، فودعها إليه وقال له: سلها عن هذا البنيان الذى بنيتُه ويزول من ليلته من يفعل به ذلك؟ وهل فى بناءه من حيلة؟ فسالها الراعى عن ذلك فقالت: إن دواب البحر التى تترع ببنائكم. قال: فهل فيها من حيلة؟ قالت: نعم. قال: وما هى؟
- قالت: تعملُ تواييت من زجاج كثيف بأغطية وتجعل فيها قوماً يحسبون الصناعة فى التصوير، وتجعل معهم مصفاً وأحاشاً وزاداً يكفهم أياماً، وتجعل التواييت فى المراكب بعد أن تشدّها بالحبال، فإذا توسّطوا الماء صوّر المصوّرون جميع ما سربهم وترفع تلك التواييت من الماء، فإذا وقفتم على تلك الصور فأعملوا لها أشباهاً من الصُّفْر أو من الحجارة أو من الرصاص وأصبوها أمام البنيان الذى تبنونه من جانب البحر، فإن تلك الدواب إذا خرجت وراّت صورها هربت ولم تعد.
- فعرّفه الراعى ذلك ففعله: وتمّ بناء المدينة.

- وقال قوم من أهل التاريخ: إن صاحب البناء والنعم جيرون [المؤتسكى]^(١) وكان قصدهم قبل الوليد، وإنما أتاهم بعد حوريا وقهرهم جيرون وملك مصر. وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدة ولم يتم البناء، فأمر الراعى فسأل تلك الجارية فقالت: إن فى المدينة التى تحريت ملعباً مستديراً حوله سبعة عمود على رؤوسها تماثيل [من]^(١) صُفْر قِيَام، فقرب لكل تمثال منها نورا سميّاً ولطّخ العمود الذى عليه التمثال من دم الثور، وبخره بشعر من ذنبه وشىء من نخاعة فروه وأظلافه، وقل له: هذا قربانك فأطلق لى ماعنك، ثم قس من كل عمود إلى الجهة التى يتوجّه إليها وجه التمثال مائة ذراع وأحفر، وليكن ذلك فى وقت أمتلاء القمر واستقامة زحل، فإنك تنهى بعد خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فلطّخها بمرارة الثور وأفلحها فإنك تنزل منها إلى سرب طوله خمسون ذراعاً فى آخره نخانة مقفلة ومفتاح

القفْل تحت عتبة الباب نفذه واطّخ الباب ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بختانة قرونة وأظلافه وشعره، وأدخل الباب بعد أن تخرّج الرياح التي فيه، فإنه يستقبل صم في عنقه لوح من صُفْر مطّاق مكتوب فيه جميع ما في الخزانة من مال وجوهر وتمثال وأعجوبة، نفذ منه ما شئت ولا تتعرض لميت تجده ولا لمسا عليه؛ وكذلك فافعل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد في تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم. فلما سمع ذلك سرّ به وفعله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا؛ فتم بناء المدينة. وأتصل ذلك بحوريا فسماها؛ وإنما كانت أرادت إتمامه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال: إنه فيما وُجد من العجائب درج ذهب غنوم بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعهما عرق جوهر أحمر، من اكتمل من ذلك الثرور وكان أشيب عاد شابا وأسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى أصناف الروحانيين، ووُجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوّت وأجاب عنه. ويقال: إنه كان في كل خزانة عشر أعجوبات.

- قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعلمها ذلك ويحثها على القدوم.
- ١٥ فعملت إليه قرشا فاعتره وقالت: إسقطها في المجلس الذي تجلس فيه، وأقم جيشك أثلاثا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا جرت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقي، ويكونون من ورائي ثلاثا يراني أحد إذا دخلت عليك، ولا يكن عنك إلا صبية تتق بهم يخدمونك فإني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة ولا أحشمهن؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها استترطهم جوارها وحشمتها وأقبلوا عليهم بتلك الأطعمة والأشربة والطيب والكساء
- ٢٠

- واللهو فلم يصبح منهم أحديهم ، ولقيها التلث الثاني والثالث بعده ففعلت بهم كذلك ، وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها وملكها يحفظونه . إلى أن دخلت عليه هي وظلها وجواركن معها ، فقصفت ظنرها في وجهه ففخه بهت إليها رشت عليه ماء كان معها فأرتعدت مفاصله فقال : من طن أنه يقلب النساء فقد كذبته نفسه وغلبته النساء ، ثم فصدت عروقه وأسالت دمه وقلبت : دماء الملوك شفاء .
- وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فيصيب عليه وحملت تلك الأموال إلى منف . وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها وآسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت .
- قال : ولما اتصل خبرها بالملوك الذين يتاجرون بلدها ، هابوها وأذعنوا لها وهادوها . وعملت بمصر عجائب كثيرة ، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطاعا كثيرة ، وأمرت أن يبنى على حد مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها . وأعلت حوريا فاجتمع إليها أهل مملكها وسألوها أن تقدم عليهم ملكا ، ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقالت عمتها دليفة بنت مامون ^(١) ، وكانت عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فمهدت إليها وأخذت لها المواثيق على أهل مصر ألا يسلموها وأن يقبوا أمرها ، وسلمت إليها مفاتيح خزانها ، وأطلعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمّد جسدها بالكافور وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقلت إليه أصنام الكواكب ، وزينته بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من المارة إلى أن خربها بختنصر وحمل بعض كنوزها .

(١) في القريزي : « مامون » بالون .

وجلست دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنّت إلى الناس ووضعت عنهم خراج سنة، وقام عليها أئمين يطلب بنار خالة انداخس، واستنصر ملك العالقة فوجه معه قائدا من قواده في جيش كثيف، فأخرجت إليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش، وجعل سمرة الفريقين يظهران التغايل المائلة والمعائب العظيمة والأصولات التي تفرع الأسماع وتولمها، فاقاموا مدة يتكاثرون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير، ثم أنهزم أصحاب دليفة إلى منف وسار أصحاب أئمين في آثارهم، ومضت دليفة في جمع من جيوشها إلى ناحية الصعيد فزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وخلق أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم، واستنجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فخاربوا أصحاب أئمين حتى أزالوهم عن منف، وكانوا قد ظفروا بها وعاثوا فيها، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا إلى ناحية الخوف، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سَفَر السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قِسْمَةً بينهم فأجاب كل منهما إلى الصلح، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأئمين وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها في الناس، وكان بعضهم قد لامها في الصلح، فرجعت إلى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر أئمين عليها وهزمها إلى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة، فلما رأت ذلك سَمَت نفسها فهلكت .

وملك بعدها أئمين، فتجبر وقتل خلقا كثيرا ممن كان حاربه . وكان الوليد بن دوعم العمليقي قد خرج في جيش كثيف ينتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن

(١) العالقة : من ولد عمليقي بن لاذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ما يوافقه منها؛ فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبادت ملوكها ، فوجه غلاما له يقال له عون ، فسار إلى مصر وفتحها وحوى أموالا ، ومولاه لا يعرف خبره ولا يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي معه ، لمّا كان يسمع محمّا بمصر من العظماء والسحر ؛ ثم اتصل به خبره فساد إلى مصر فتلقاء عون وعرفه أنه كان عزم على المسير إليه وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحه فقبل قوله ودخل .

وملك مصر الوليد بن دوعم العمليقي ، واستباح أهلها وأخذ أموالها وقتل جماعة من كهنتها ، ثم سح له أن يخرج فيقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم ويفزوم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه ، وأصلح ما يحتاج إليه ، واستخلف عونا على البلد وخرج في جيش كثيف فلم يتر بأمة إلا ألبدها . فيقال : ١٠ إنه أقام في سفره ستين كثيرة ، وأنه مر على أمم من السودان وجاوزهم ، وصر على أرض الذهب وفيها قضبان ثابتة ؛ ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر^(١) ، ثم سار حتى بلغ هيكल الشمس فدخله . ويقال : إنه خوطب فيه . وسار حتى بلغ جبل القمر ، وهو جبل عال . وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لخروجه عن خط الاستواء . ونظر ١٥ إلى النيل يخرج من تحته . وقد تقدم خير النيل^(٢) .

(١) توجد بالجهات الاستوائية في المصوّرات الجغرافية القديمة ومنها « الخريطة المنسوبة إلى الإدريسي على ملر » ثلاث بحيرات هي التي تسمى : البطيحة الغربية ، والبطيحة الشرقية ، وبينهما البطيحة الكبرى ، وهي التي يخرج منها « النيل المصري » ، ونهر النيل السودانى الذى يطلق عليه اسم النيجر ، وإلى الجنوب من هذه البطائح توجد سلسلة جبال القمر ، ويظن أن البطيحة الكبرى هي التي تسمى الآن « فيكتور يانيانز » وهي التي أشار إليها التوانز ، ها (أناذيه الأستاذ الجليل الشيخ محمد نضر الدين بك) . ٢٠

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والتقات منهم على أنه يضم القاف وسكون الميم (أعز تقويم البلدان ص ٦٤ طبع باريس) . (٣) راجع (ج ١ ص ٢٦٢ من هذه الطبعة) .

قال : ودخل الوليد القصر الذى فيه تماثيل النحاس التى عملها هُرمس الأول
فى وقت البوديسير الأول بن قفطريم . قال : ولما بلغ الوليد جبل القُمر رأى جبلا
عاليا فاعمل الحيلة وصعد عليه ليرى ما خلفه ، فاشرف على البحر الأسود الزنقى
المتن ، ونظر إلى النيل يجرى عليه كالأنهار الرقاق ، وأنته من ذلك البحر رواثع
منته هلك كثير من أصحابه من ريحها فأسرع التروى بمد أن كاد يهلك .

قال : وذكر قوم أنهم لم يروا شمس ولا قرا وإنما رأوا نورا أحمر كنور
الشمس عند مغيبها . وأقام الوليد فى غيبته أربعين سنة . وأما عون الذى استخلفه
بمصر فإنه فعل فى غيبة الوليد ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر عون وما فعله فى غيبة الوليد وخبر المدينة التى بناها

- قال : ولما مضت من غيبة الوليد بن دوع سبع سنين تجمر غلامه عون بمصر ،
وآذع أنهُ الملك ، وأنكر أن يكون غلاما للوليد ، وأنه أخوه وقَّده الملك بعده ، ووثب
على الناس وغلَّبهم بالسحرة وأسنى جوائزهم ولم يمنهم محابهم ، فقالوا إليه ووقفوا
أمره ، فلم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل
صاحبه . وكان مع ذلك يلزم الهياكل ويُكرم الكهنة ، فكانوا يُسكون عنه إشفاقا
منه وخوفا من السحرة الذين معه ؛ إلى أن رأى فى منامه الوليد بن دوع وكأنه
يقول له : من أمرك أن تسمى بأسم الملك ، وقد علمت أنه من فعل ذلك
استحققت القتل ، ونكحت بنات الملوك وأخذت الأموال بغير واجب ، ثم أمر
بقدر فلكت زينا وأحيت على أنه يفر فيها ، فلما غلب أمر بترع ثيابه فأتى طائر
فى ضورة عُقاب فاخطفه من أيديهم وحلق به فى البحر وجعله فى هوة على رأس
جبل ، وأنه سقط من رأس الجبل إلى واد فيه حية ، فأنقذه مرعوبا طائر العقول . وقد

كان في فعله ذلك وتملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة كاد عقله يزول، خوفاً منه لِمَا يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته . ولم يتيقن هلاكه وأضمر في نفسه الحرب من مصر بما معه من الأموال .

قال : ولما رأى الزُّوايا لم يشك في حياة الوليد وأنه سيعود ، فاطلع بعض السَّحرة ممن يثق به على أمره وقال : إني خائف من الوليد وقد عزمت على الخروج من مصر ف الوجه عندكم ؟ قالوا : نحن نُحْيِيكَ منه على أن تقبل منا . قال : قولوا ، قالوا : تعمل عُقاباً وتعبد به ، فإن الذي حصنك منه أحد الروحانيين وهو يريد ذلك منك . قال عون : أشهد لقد قال لي وأنا معه : أعرف لي هذا المقام ولا تنسَ . قالوا : قد بينا لك . فاجابهم إلى ذلك وعمل عُقاباً من ذهب وعمل عينيه جوهريتين ووثقته بأصناف من الجواهر ، وعمل له هيكلاً لطيفاً وجعله في صدره وأرعى عليه ستور الحرير ، وأقبل أولئك يتخرونه ويقربون إليه وَيَسْحَرُونَ إلى أن نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ودعا الناس إليها فأجابوه .

فلما مضى لذلك مدة أمره العقاب ببناء مدينة يحوله إليها وتكون مَعْقِلاً له وحرزا من كل أحد . فأمر عون أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب و يطلبوا كل أرض سهلة حسنة الاستواء ، ويكون المدخل إليها بين هُجُول صعبة وجبال وعرة ، ويتوخَّأ أن تكون قريبة من ناحية مَنِيضِ الماء التي هي اليوم القيوم . وكانت مغيضا الماء النيل حتى أصلحها يومسف عليه السلام على ما ذكره إن شاء الله . وإنما أراد عون بذلك ليجرَّ الماء منها إلى مدينته التي بينها ؛ فخرج أصحابه وأقاموا شهراً يطوفون الصحارى حتى وجدوا له بغيته ، ولم يبق فاعل ولا مهندس ولا أحد ممن

(١) هجول : جمع هجل (فتح فسكون) ، وهو المطنن من الأرض .

يُصْرُ البناء ويقطع الصخور ويختها إلا وجه به عون إليها، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعمائة ساحر يماونونهم بالروحانيين الذين في طاعتهم، وأخذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل؛ وطريق العجل على القيوم واضحة في صحراء الغرب وخلف الأهرام — وهي التي يقصدها أصحاب المطالب — مشهورة.

- ٥ قال : فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار خَطَّوا المدينة فرمضين في فرمضين ، وحفروا في الوسط بئرا وجعلوا في تلك البئر تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق ، وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وملامته من المتضادين له في شرفه ، وأخذوا خنزيرا فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره ، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته ففعلوه في جوف ذلك الخنزير النحاس ، وجعلوا في أذنيه شيئا من مرارته ، وأحرقوا بقية الخنزير ، وجعلوا وماده في قلة نحاس بين يدي الخنزير النحاس ، ونفخوا عليه آيات زحل ، ثم شقوا في البئر أخذودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومدوا تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة ، وعملوا على أفواهاها مسارب تجتلب الرياح إليها ، ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة ، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهي إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل ، وجعلوا حول القبة تماثيل قُرمَازٍ من نحاس بأيديها حِرابٌ ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب ، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر ، وفوق الجميع أبيض يشق ، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب بين الحجارة ، وقلوبها أعمدة من حديد على وضع بناء الأهرام ؛ وجعل طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، ونُصب على كل راس باب من أبوابها في أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاق ناشر الجناحين أجوف ، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حربته ووجهه

١٨
١٣

إلى خارج المدينة؛ وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقى يخطر في صَبِّ إلى الباب الغربى ويخرج إلى صهاريج هناك، وكذلك من الباب الجنوبى إلى الشمالى، وقرب تلك العقبان عينا ذكورا، واجتذب الرياح إلى أنواء التماثيل، فكانت الرياح إذا دخلتها سمعت لها أصوات شديدة لا يسمعا أحد إلا هلهله، وصمدها بغاريت تمنع الداخل إليها إلا أن يكون من أهلها، ونصب العُقاب الذى كان يبده تحت القبة التى فى وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان فى كل ركن منها وجه شيطان، وجعلها على عمود يدبرها، والعقاب يدور إلى كل الجهات الأربع، ويقم فيها ربع السنة، يقرب إليه من جهتها .

- فلما فرغ من ذلك كله حل إليها جميع الأموال والجواهر المضمونة بمصر وما وجده فى خزان الملك، ومن التماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والصلاح وغير ذلك، وحول إليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار، وقسم المساكن بينهم لا يختلط أهل صنعة بغيرها، وعمل لها ربضا يحيط بها، وبني فيه منازل لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يمر عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الربض؛ ونصب عليها أعلاما وحرما، ثم فرس وراء ذلك بالبرية النخل والكروم وأصناف الأشجار، ومن وراء ذلك مزارع الغلات من كل جهة، وكان يرتفع لها فى كل سنة ما يكفيه لعشر سنين، كل ذلك خوفا من الوليد .
- قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام؛ فكان عون يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ثم يسود إلى منف، وكان لها أربعة أعياد فى السنة؛ وهى الأوقات التى يتحول العُقاب فيها . فلما تم ذلك كله لعون أطمان قلبه، وسكنت نفسه .

(١) فى مخطوط المقرئى (ج ١ ص ٢٤١ طبع بلاغ) : «وركل بها أدراما تمنع الداخل إليها...» .
(٢) الربض هنا : سور المدينة .

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال : ثم وأما كتاب الوليد بن دؤيب من نواحي التوبة إلى عون يأمره أن يُنفذ^(١) إليه الأزواد وينصب له الأسيواق؛ فوجه إليه ذلك في المراكب وعلى الظهر، وحول جميع عياله ومن أصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة ، حتى إذا قرب دخول الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدي الوليد ، ودخل الوليد مدينة منف وتلقاه أهل مصر وشكروا إليه عوناً وما حل بهم منه . قال : وأين هو؟ قالوا : نرمنك . فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف ينفذ إليه ، فمزفوه أن الجيش لا يصل إليه ، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه . فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذره التخلف عنه ، ويقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضع لمح بصمًا . فردّ جوابه يقول : ما على الملك مني مؤنة ، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أحيث فيه ؛ لأني عبده ، وأنا له في هذا الموضع أردّ كل عدو يأتيه من نواحي الغرب ، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه ، فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه إليه ما يلزمني من الخراج والمهدايا . ووجه إليه بأموال جليظة وجوهر نفيس . فلما رأى ذلك كفّ عنه . وأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها وأستباح حريمهم وأموالهم . وملكهم مائة وعشرين سنة فابنضوه وسفحوا أيامه . واتفق أنه ركب في بعض الأيام إلى الصيد فالتقاء فرسه في وهدة فهلك . وكان أبنيه الريان يُنكر عليه فعله ولا يرضاه . فلما هلك عمل له ناووسا قرب الأهرام . وقيل : بل دفن في الهرم .

(١) الظهر : الركاب التي يحمل الأمتثال في السفر، حملها إليها على ظهرها .

١٩
١٣

ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد بن دوع، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهراوش^(١)، وجلس على سرير الملك. وكان عظيم الخلق، جميل الوجه، عاقلاً متمكناً، فتكلم ومضى الناس وضمن لهم الإحسان وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فأشوا عليه وشكروه، وأمر بفتح الخزان ونزق ما فيها على الخاص والعام، وتمكنت منه أريحية الصبا فللك على الرعية رجلا من أهل بيته يقال له أطفين، وقيل في اسمه: قطفير، وقيل: قوطيفر، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وكان من أولاد الوزراء. وكان عاقلاً أديباً متمكناً صاحب الرأي كثير النزاهة مستعملاً للعدل والمهارة والإصلاح. وأمر الريان أن ينصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه ويدنو ويروح إلى باب الملك، ويخرج بجميع الوزراء والعلماء والكُتّاب بين يديه، فكفى الريان ما خلف سريره وقام بجميع أمره وأخلاه للذات؛ فأقام الريان متمكناً على قصفه وهو متغمساً في لذته لا ينظر في عمل ولا يظهر للناس ولا يخاطبهم، فأقاموا بذلك حيناً. هذا والبلد عاصر.

وبلغ الخراج في وقته سبعة وتسعين ألف ألف مثقال بطلها أقساماً، فما كان للملك وأسبابه وموائده حُل إلىه، وما كان في أرزاق الجيش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصالح البلد وأهل المهنة صُرف إليهم، والملك مع ذلك غير سائل عن شيء؛ قد عملت له مجالس من الزجاج الملون وأجرى حولها الماء وأرسلت فيها الأسماء المقتطعة، فكانت الشمس إذا وقعت على المجلس منها أرسل شعاعاً عجيباً يهر العيون. وعملت له عدة منزهات على عدد أيام السنة، فكان كل يوم في موضع منها، وفي كل موضع منها من الفرس والآنية والآلات ما ليس في غيره.

(١) هو أحد الملققة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظم ملكاً. والمهاقة: ولد عمليق بن لاذ بن سام بن نوح (راجع المقرئ). (٢) في المقرئ: «ما خلف سريره».

فلما اتصل بملوك النواحي تشاغل الريان بلبائنه وتدير العزير لأمره، فقصده رجل من الهائلة يقال له حاك بن يعقوب وكنيته أبو قابوس، وقصد مصر حتى نزل على حدودها، فأخذ إليه العزيز جيشا كثيفا وجعل عليه قائدا يقال له برافس، فأقام ثلاث سنين يحاربه، ثم ظفربه العمليق ودخل من الحدود وهدم أعلاما ومصانع كثيرة، وتمكن طمعه في البلد فأعظم أهل مصر ذلك واجتمعوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم حتى سمعها الملك فقال: ما بال الناس؟ فأخبر خبر العمليق وأنه قد دخل عمّل مصر وعات وأفسد المزارع والمصانع والأعلام، وأنه سار يمشيه إلى قصر الملك، فارتاع الريان لذلك وأنف منه وأنتبه من غفلته وعرض جيوشه وأصلح أمره وخرج في ستمائة ألف مقاتل سوى الأتباع، فالتقوا من وراء الأحواف في تلك الصحراء، واقتتلوا قتالا شديدا فأهزم العمليق وأتبعه الريان إلى حدود الشام وقتل من أصحابه خلقا وأفسد زرعهم وأكثر أشجار الفواكه والزيتون، وأحرق وصبب وأصاب أعلاما على الموضع الذي بلغه وزبر عليها: إلى أين يماز هذا المكان بالمرصاد. فلما تم له هذا الظفر هابت الملك ولاطفوه وأعظموه. وقيل: إنه بلغ الموصل وضرب على الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشعبها هي وتلك الناحية بالرجال، ورجع إلى مصر فحشد جنوده من جميع الأعمال، وأستعد لغزو ملوك الغرب فخرج في تسعمائة ألف واتصل بالملوك خبره، فنهزم من تتجى عن طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته. ومصر بارض البربر فاجلب كثيرا منهم، ووجه قائدا يقال له مريطس في سفن فركب البحر من ناحية رقودة. ومصر الريان بجزائر بني يافث فمات فيها وأصطلم أهلها، وخرج من ناحية أرض البربر فقتل بعضهم وصالح بعضهم وحملوا إليه الأموال، ومضى إلى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه على أموال

- والطاف كثيرة حملوها إليه ، وتمر حتى بلغ مصب البحر الأخضر وهو موضع الأصنام
 النحاس ، فأقام هناك صنفا وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي خرج فيه ، وضرب
 على أهل تلك النواحي خراجا ، وعدى إلى الأرض الكبيرة وصار في الإفريقية ، والأندلس
 في حوزهم وعليها لدرىق الأصغر ، فخاربه أيا ما وقتل من أصحابه خلقا وصالحه بعد ذلك
 على ذهب مضروب ، وعلى الأيترو مصر وينع من رام ذلك من جميع أهل النواحي ،
 وأنصرف مشرقا فشق بلد البربر فلم يمر بموضع إلا خرج أهله بين يديه وأهملوا له
 ودخلوا تحت طاعته . ثم أخذ نحو الجنوب وصرب بلد الكوسانيين فخاربوه فقتل
 خلقا كثيرا ، وبست قائدا إلى مدينة على عبر البحر الأخضر فخرج إليه ملك المدينة^(٢١)
 وأهلها فعرّفهم حال الريان ومصالحة الملوك له فقالوا : ما بلغنا أحد قط ، وسألهم هل
 ركب هذا البحر أحد ؟ فقالوا : ما يستطيع أحد أن يركبه ، وأخبروه أنه ربما أظله
 الغمام فلا يرونه أيا ما ، وآتى الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها الموز ، وجماعة سود
 فإذا جعلت في المساء صارت بيضاء ، ثم تركهم وسار إلى أم السودان حتى بلغ ملك^(٢٢)
 الدلميم الذين يأكلون الناس ، فخرجوا إليه عُرّة بأيديهم العمد الحديد ، وخرج ملكهم
 على دابة وهو عظيم الخلق له قرون ، وكان جسيا أحمر العينين ، فظفّر بهم فانهزموا
 إلى أوحال وأدغال فلم يتعبوا له اتباعهم فيها ، وجازهم إلى قوم على خاق القروء لهم
 أجنحة صغار يثبون بها من غير ريش . وصار على عبر البحر المظلم ففتشهم منه غمام
 فرجع شمالا حتى انتهى إلى جبل يقال له وسن ، فرأى فوقه شمالا من حجر أحمر يوى

$$\frac{20}{13}$$

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٦ من هذا الجزء .

(٢) في القرطبي « على البحر الأسود » .

(٣) كذا في الأصل - وفي مسالك الأبحار لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٤٩) « تميم » وكتب

بالهامش ما نصه : « ولعلها تميم » .

بيده : إرجعوا ، وصل صدره مزبور : ما ورائي أحد . فتركه وسار راجعا فأتتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها . ومضى حتى بلغ الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أعداء لشدة ظلمته . وسار حتى أتتهى إلى وادى الرمل ورأى على عبّره أصناما عليها أسماء الملوك قبله فأقام معها صنما وزير عليها اسمه . فلما أسبت^(١) الرمل جاز عليه إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود ، وسمع جلبة وصياحا هائلا فخرج في شجبان أصمابه حتى أشرف على السباع المقرنة الأنوف ، فإذا بعضها تهزّز وأكل بعضها بعضها ، فلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع ، وعدى وادى الرمل ومصر بأرض المقارب فهلك بعض أصمابه ورفضوها عنهم بالرقى التى يعرفونها ، ثم جاوزهم حتى أتتهى إلى مكان صلوفة وهى حية عظيمة ، فهجموا عليها ولم يعرفوها وظنوا أنها جبل ، ثم عرجوا عنها وتوقدوا منها بالرقى . قال : ويضم القبط أنه منعها من الحركة بسحره وتركها فهلكت . وقيل : إن تعريج هذه الحية يبلّ وأنها كانت تبتلع السباع هناك .
وسار حتى بلغ مدينة الكند ، وهى مدينة الحكماء ، قتها ربوا منه إلى جبل صعدوه من مواضع يعرفونها من داخل مدينتهم لم يعرفها غيرهم ، ولم يجد الريان ومن معه إلى الصعود إليها سبيلا ، فأقاموا عليها أياما وكادوا يهلكون من العطش ، فقل إليهم من الجبل رجل يقال له مندوس ، كان من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده ، فقال : أين تريد أيها المغرور الممدود له فى الأجل ! المرزوق الكفافية ! أتبت نفسك وجيشك ! إلا اقتنعت بما تملكه وأتكلت على خالقك [وويصت الراحة] وتركك العناية والغرور بهذا الخلق . فغضب الملك من قوله وسأله عن الماء فقله عليه ، وسأله عن

(١) أسبت هنا : سكن ولم يترك .

(٢) فى عاشر خطط القرطبي طبعة فييت : « الكهنة » .

(٣) الكهنة من القرطبي .

- موضعهم فقال : موضع لا يصل إليه احد ولا بلنه قبلك أحد . قال : فما عيشكم ؟ قال : من أصول نبات لنا نعتصم به ونقنع بأكله ويكفينا اليسير . قال : فن أين تشرقون ؟ قال : من نِغار الماء من الأمطار . قال : فلمَ هربتم منا ؟ قال : رغبة عن خلطكم وإلا فليس لنا ما نخاف عليه . قال : فكيف تكونون إذا حَمَيْت عليكم الشمس ؟ قال : في غَيْرَانٍ تحت هذه الجبال . قال : فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم ؟ قال : إنما يريد المال أهلُ البذخ ونحن لا نستعمل منه شيئا ، آسفينا عنه بما قد اكتفينا به ، وعندنا منه ما لو رأيته لحقرت ما عندك . قال : فأرنيته ، فانطلق به مع نسر من أصحابه إلى أرض في سفع جبلهم فيها قضبان الذهب نابتة ، وأراهم واديا حافاه حجارة الزبرجد والفيروزج ، فأمر الزيان أصحابه أن يأخذوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ، وأراهم الحكيم يصلون إلى صنم يحملونه معهم ، فسألهم ألا يقيموا بأرضهم خوفا من عبادة الأصنام ، فسأله الملك أن يدلّه على الطريق ففعل ، وودّع الحكيم وسار على السمت الذي وصفه له . فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثر فيها إلى أن بلغ بلد النوبة ، فصالح أهلها على مال يحملونه إليه ، ثم أتى دُثْقَلَةَ فأقام بها علما وزرطيه اسمه ومسيره . ومرت يريد منف ، فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والطيب والرياحين والملاهي إلى أن بلغ منف ، فلم يبق أحد من أهلها إلا يخرج إليه مع العزير وتلقوه بأصناف الطيب والبخورات والرياحين .
- وكان العزير قد بنى له مجلسا من الزجاج الملون وفرشه بأحسن الثُرُش المذهبة ، وغرس حوله جميع الأشجار والرياحين ، وجعل فيه صهريجًا من زجاج سمائي ، وجعل في أرضه شبه السمك من زجاج أبيض وأنزله فيه ، وأقام الناس يأكلون ويشربون أياما كثيرة . وأمر بمرض جيشه فوجد أنه قد قُتِدَ منهم سبعون ألفا ، وكان قد نرحج في ألف ألف ، ووجد من أنصاف إليه من الغرباء والمساورين نيفا

ومحسن ألفا، وكان سيره وغيبته إحدى وعشرين سنة . فلما سمع الملك بذكره
وما فتح من البلاد وما أسرها به ، وخافوا شدة بأسه وعظم سلطانه . وتجبّر
وبنى بالجانب الشرق قصورا من الرخام ونصب عليها أعلاما ، فكان يقيم بها الأيام
الكثيرة . وكان الخراج قد بلغ في وقته سبعة وتسعين ألف ألف فأحب أن يجه
مائة ألف ألف دينار ، فأمر بوجوه العمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط
الأراضي حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

ثم كان من خبر يوسف الصديق عليه السلام وبيعه بمصر وخبره مع امرأة العزيز
وبحنه وقصته مع صاحبي الملك ورؤيا الملك وتبنيها وتولية الريان بن الوليد يوسف
عليه السلام رتبة العزيز وخبر القحط ، ما قدّمنا ذكره في أخبار يوسف عليه السلام ،
وهو في السفر الحادي عشر من نسخة الأصل . فلا فائدة في إعادته . إلا أنه قد
وردت زيادات أخر لم ترد هناك نحن نذكرها الآن . وهو ما حكاه مؤلف هذا
الكتاب الذي قلنا منه إبراهيم بن القاسم الكاتب عن إبراهيم بن وصيف شاه قال : إن
يعقوب عليه السلام لما قدم مصر بأهله وولده ، خرج يوسف عليه السلام في وجوه
أهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك ، وكان يعقوب عليه السلام مهيأ جليلا فقربه
الملك وعظمه وقال له : يا شيخ ، كم سنوك وما صناعتك وما تعبد ؟ فقال : أما سئ
فعمشرون ومائة مسنة ، وأما صناعتي فلنا غنم نرعاها ونفنع بها ، وأما الذي أعبد
فرب العالمين ، وهو الذي خلقني وخلقك ، وهو إله آبائي وإلهك وإله كل شيء .

قال : وكان في مجلس الملك فنيامين ، وهو كاهن جليل القدر ، فلما سمع كلام يعقوب
ضاق به ذرعا وقال للملك بلغتهم : أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا .

- فقال له الملك : فأق لنا خبره ^(١) فقال الكاهن : أرنا إلهك أيها الشيخ . قال :
إلى أعظم من أن يرى . قال : فأتنا نحن نرى ألهتنا . قال : لأن ألهتكم ذهبٌ
وفضة ونحاس وخشب ، وما يعطيه بنو آدم عبيدُ إلهي الذي أحجب عن خلقه
بمزربوبيته ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . قال له فيامين : إن لكل شيء دليلاً ،
وكل شيء لا تراه العيون فليس بشيء ، فضضب يعقوب وقال : كذبت يا صدو الله
وطغيت في هذه الدنيا ، إن الله سبحانه وتعالى شيء وليس كالأشياء ، وهو خالق كل
شيء ، لا إله إلا هو . قال : نصفه لنا . إنما يوصف المخلوقون ولا يوصف
الخالق عز وجل ، لأنه يرتفع عن الصفات ، لأنه واحد قديم مدبر للأشياء في كل
مكان يرى ولا يرى ، ثم قام يعقوب مُنْضَبِياً ، فاجلسه الملك وأمر فيامين أن يكف
عنه ويكون بين يديه ويأخذ في غير هذا . ثم قال الملك : كم سنة من دخل معك إلى
مصر ؟ قال ستون رجلاً . قال الكاهن : كذلك نجد في كتبنا ، إن خراب مصر يمرى
على أيديهم . قال الملك : فهل يكون في أيامنا ؟ قال : لا ، ولا إلى مدة كبيرة . والصواب
أن يقتله الملك ولا يستبق من نذريته أحداً . قال الملك : إن كان الأمر كما تقول فما
يمكننا أن ندفعه ولا تقتل هؤلاء ، وإن لم إلماً عظيماً ، وقد قبل إلهي هذا الشيخ ، وما لي
إلى قتله من سبيل ، فغاطبه بالين الكلام ، بغرت بينهما بعد ذلك مخاطبات ألان
له فيها القول .

٢٢
١٣

- قال : ثم إن يعقوب عليه السلام أحب أن يعرف خبر مصر ومدانها وكيف
بُنيت وخبر طسباتها وعجائبها . فسأله عن ذلك وسأله بحق الملك ألا يكتبه شيئاً من
أمرها فأخبره . قال : وأقام يعقوب عليه السلام مع الريان بن الوليد الملك بعظمه
ويجبّه إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يُجمل إلى مكانه من الشام ، فحُمِلَ في تابوت
٢٠

(١) كذا في خط المخرزي ، وفي الأصل « أين » .

ونخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه مصر حتى بلغ إلى موضعه ورجعوا . وقيل : إن عيصو منهم من دفنه هناك لأن إسماعيل عليه السلام كان قد وهبه الموضع فاشتره يوسف عليه السلام منه . ويقال : إن الريان آمن بيوسف وكنم إيمانه خوفا من فساد ملكه .

- ٥ . وملك الريان مائة وعشرين سنة . وفي وقته عمل يوسف عليه السلام القيوم لأبنة الملك ، وكان أهل مصر قد وشوا به وقالوا : قد كبر وقص فضعه فأخبره . فقال له الملك : قد وهبت هذه الناحية لأبني ، وكانت مفايض لاء ، فدبرها . قال : فقلع أدغالها ، وصاق المنهى ، وبنى اللاهون^(٢) ، وجعل الماء فيه مقسوما موزونا ، وفرغ من ذلك كله في أربعة أشهر ، فسيجوا من حكمة يوسف عليه السلام .
- ١٠ . قال : ولما مات الريان بن الوليد ملك بعده أبنة دزيموس بن الريان ابن الوليد ويسميه أهل الأثر دارم ، وهو الفرعون الرابع عندهم . قال : ولما ملك خالف سنة أبيه ، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه ، وذلك بأمر الريان . وكان يوسف يستدنه فرمما قبل منه ور بما خاطفه ، وظهر في وقته معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأبان^(٣) منه شيئا عظيما ، وعمل منه صنما على أسم القمر ؛ لأن طالعه كان بالسرطان ، ونصبه على القصر الرخلم الذي كان أبوه بناء في شرق النيل ، ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل لها عيدا في كل سنة^(٤) ، وهو إذا نزل القمر السرطان .

(١) المتى : اسم فم التبر الذي احتفزه يوسف الصديق بغض إلى القيوم مأخذه من النيل .

(٢) اللاهون : هو الشكر الذي بناء (ل) الماء إلى القيوم .

(٣) كذا في نسخة «ب» والمقرئى . وفي نسخة «أ» ديمورث بالثين المجبة .

(٤) أمان : ضل .

(٥) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب «شهر» .

وكان ينتقل الى مواضع شتى يتتره فيها ، وإذا أراد أن يضرب الناس بشيء منه يوسف عليه السلام ودفعه عنه إلى أن توثق يوسف عليه السلام ، كما تقدم في خبر وفاته ، فاستوزر الملك دارم بعده بلاطس بن منسا الكاهن ، فكان بلاطس يطابق له ما كان يوسف يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ منهم كل مبلغ . وعمل الوادى المنحوت بين الجليلين في الناحية الغربية وكثر الأموال فلا يوصل إليها ، وجعل صقالة من الوادى إلى باب الخباء ، وجعل له بابا من الحديد يتوصل إليه من تلك الصقالة ، وصمده بجماعة من العفاريت يمتعون من ذلك الخباء ، فمن رامه من الناس سقط في الوادى . وقال آخرون : كثرت في موضع منه يدخل إليه ويُنظر إلى الأموال مكشوفة مضروبة ، في كل دينار عشرة مثاقيل عليها صورته ، فإن أخذ الداخل منها شيئا انطبق عليه الباب فلم يقدر على الخروج ، فإذا رده إلى موضعه انفتح له الباب . وهو بحاله إلى هذا الوقت كما زعموا .

قال : ثم زاد دارم في التجبر إلى أن أختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها ، ولا يسمع بأمرأة حسنة في ناحية من النواحي إلا وجهه لحملت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله وشق عليهم أمره إلى أن شغبوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق ففسدا على جماعة منهم قتلهم . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه ، فخاف بلاطس الوزير أن يفسد أمر المملكة فدخل على الملك وأشار عليه أن يتوعد إلى الناس ويعتذر إليهم ويرد نساءهم فأبى إلا مخالفته ، وهم أن يخرج إلى الناس في خاصته ويقتل منهم وقال : إنما هم عبيدى وعبيد آبائى . فلم يزل يرفق به إلى أن سكن غضبه ، فأمره أن يعتذر إلى الناس عنه ، ففعل الوزير ذلك وذكر عنه جيلا ، فأبى الناس أن يقبلوا منه دون مخاطبتهم الملك فقصم لهم ذلك وخاطبه وأشار به عليه ، فأمره أن ينادى في الناس بالحضور في يوم عيته ،

ثم لبس أرفع ثيابه وأكبر تيجانه وجلس ودخل الناس عليه فذكروا ما حل بهم من أخذ أموالهم ، وعذوه أنه لم يحسر عليهم من ملكٍ قبله مثل هذا ، فاعتذر إليهم ووعدهم الإقلاع عما شكوا منه وأسقط عنهم نراج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب على أساطين خشب ممدودة بأضلاع مسطرة ينتزه فيه ، فعمل ودُهن بالأدهان والأصباغ الملوّنة المذهبة ، وضُيّب بالفضة والنحاس المذهب ، وعُمل فوقه قبة من الفضة المذهبة مصوّرة بالزجاج الملون وعلّق فيها الحجر المضيء الذى أتى به أبوه من المغرب . فلما فرغ القصر فرشه بأحسن الفرش وجعله طبقتين : طبقة له يجلس فيها مع من يحبّه ، وطبقة لحشمه ، وجعل حول ذلك أروقة ملصقة بالمجلس يجلس فيها من يريد ؛ فكان يركب فيه بمن أحبه من خاصته ونسائه ويُبصّد فيه في المساء إلى ناحية الصعيد وتنبه المراكب فيها أصحابه وعلماؤه بالعدد والسلاح ويخدر إلى أسفل الأرض ، فإذا مرّ بمكان يستحسنه أقام فيه أياما .

وأنفق أنه خرج في بعض الأيام مُصعّداً فوثب رجل من الإسرائيليين على رجل من سدنة الهياكل فضر به حتى أدماه وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط لذلك وخطبوا خليفة الملك أن يُخرجهم من مصر فامتنع دون مشاورة الملك ، وكتب إليه يمزقه ذلك ، فكتب إليه ألا يُحدث في القوم حادثة دون موافاته ، فشَنّوا وأجمعوا على خلعهم وتعليك غيره ، وتعرض بعضهم إلى ذكر الملك فحشد أهل الصعيد وأتحدروا إليهم ، فخار به فهلك بينهم خلق كثير . وعاونته امرأة أبيه ، وكانت ساحرة ، فاظهرت من سحرها وتعايلها ودّخنها ما أعماهم عن النظر ، وأضعف حواسهم وأسكرهم ، فقتل خلقا منهم وصلب خلقا على عبر النيل ، ورجع إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط ومن بنى إسرائيل ؛

فأجمع الكل على ذمه . وكانت الساحرة لا تُحْلِيهِ من معوتها الى أن ركب
في ذلك التصريف بعض الليالي وقد أحلق النيل بالبلد ، وهو من الجبل الى الجبل ،
وامتد القمر على الماء ، فأراد أن يمدى من المِدْوَةِ الى العِدْوَةِ الأخرى فلم يتبها له
سَوْقُ القصر بسرعة لعظمه ، فركب مركبا لطيفا مع ثلاثة من خدمه والساحرة ، فلما
توسط البحر هاجت ريح عاصف فنزح هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين
في أمره لا يعلمون ما نزل به ، الى أن وجدت جثته بَسَطُوفٌ^(١) فُيرَف بجناحه وبجوهر
كان يتقلد به فحمل الى منف .

وملك بعده أبوه معا ديوس بن دريموس ، ويسميه أهل الأثريين
أبن دارم ، وهو الفرعون الخامس . وذلك بتدبير الوزير ، فأجلسه على سرير الملك
وبايه الجيش ، وكان صبيبا فكرهه الناس ثم رَضُوا به ، فأسقط عن الناس
الخراج الذي كان أبوه أسقطه ، وزادهم سنة وأحسن إليهم فاطاعوه ، وأستقام له
الأمر ورد نساءهم . وكان ينكر على أبيه فعله ولا يرضاه ، فلذلك رَضُوا به .

قال : وفي زمانه كان طوفانٌ أضرت ببعض البلد فلزم الملك الإقبال على الهياكل
والتعبد ، وطلب القاطر ووجوه الكهنة بالحضور معه ، وأنصف بعض الناس من
بعض . وكثر بنو إسرائيل وعابوا الأصنام وتلبوها . وكان الوزير قد هلك
فأستوزر كاهنا يقال له املاده ، فلما رأى ما فعله بنو إسرائيل أنكره وأمر أن
يُفردوا بناحية من البلد لا يختلط بهم أحد غيرهم ، فأقطعهم موضعا في قبلي منف ،
واجتمعوا إليه وعملوا لأتقمهم معبدا كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام ،
وأنفق أن رجلا من أهل بيت الكهنة عشق امرأة من بنى إسرائيل كانت قد جاءت

٢٤
١٣

(١) سَطُوف : بدة - مركب أحمر - مديرية الحنفية .

لثشتكى أخاها أنه غصبها ميراثها، وأرادت أن يستنى بأمرها عند وزير الملك، فقرأها
أبسه فأحبها وسأل والده أن يزوجه منها، فخطبها من أهلها فأبوا ذلك، فانكر
الناس فعلهم وأجمعوا إلى الوزير وقالوا: هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عنا،
ولا نحب أن يحاورونا إلا أنت يئسونا بدينا. فقال الوزير: قد علمت إكرام
الريان الملك لجدهم يوسف عليه السلام، وقد وقفتم على بركة جدهم يوسف
عليه السلام حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانباً مصر بمكانه فلا تموضوا
في هذا، فامسكوا.

قال: وتطلب أحد ملوك الكنعانيين على الشام وأمتع أهله أن يحملوا الضريبة
التي كانت عليهم ملك مصر، فانكر أهل مصر ذلك وأشفقوا من غلبة صاحب
الشام على بلدهم، فغضبوا الملك على غزو الشام فقال: إن رام أحد حدود بلدنا
غزواته، ومانسا في ذلك البلد من حاجة، فاستقصوا رأيي. وأقام على ملازمة
الهيكل والتعبد فيها، فزيم القبط أنه بينا ذات يوم قائم في هيكل زحل هذا
صورته، وقد أجهد نفسه في التعب، إذ تشاء النوم فتجلى له زحل وخاطبه وقال:
قد جعلتك رباً على أهلك وأهل بلدك، وجوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم، وسأرضك
إلى فلا تخل من ذكرى؛ فمظم عند نفسه، وأتمصل خبره بأهل البلد، وأخبرهم
سدة الهيكل أنهم رأوا النور وسموا الخطاب، وأعظم الناس أمره، فتعجبوا في نفسه
وأمر الناس أن يستموا رباً، وترفع أن ينظر في شيء من أمر الملك، وأحضر
الناس وقال: قد وقفتم على ما خصصت به دون الملوك، وهذه موهبة يلزمني
الشكر لواجبها عليها، ولست أفرغ للنظر في أموركم، وقد رأيت أن أجعل الملك
إلى آجي أكسامس، وأكون من ورائه إلى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت، وقد
أبدته بالقاطرين، فأنظروا كيف تكونون، ولا تظالموا فإنكم مني بمرأى ومسمع،

فرضوا بذلك وقالوا : نحن عبيد الملك ومن رضىته الآلهة لحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفونه .

- فلك ابنه أكسامس بن معاديوس ؛ ويسميه أهل الأثر كاسم
 ابن معدان ، وهو الفرعون السادس ، وجلس على سرير الملك وتوج بتاج أبيه
 وقام القاطرون بين يديه ، بفعل لكل واحد منهم رتبة ، ورتب الناس مراتب ،
 وقسم الكور والأعمال ، وأمر باستنباط العبارات وإظهار الصناعات ، ووسع على
 الناس في أرزاقهم وعلى حاشيته وحاشية أبيه ، وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد
 لباسها وأوانها ، وزاد في القرابين ؛ وكسا آتى شيط من ذلك لم تخالفه الكهنة
 وفتدروا أن ذلك عن أمر أبيه برضى الكواكب ، وأحتجب أبوه عن الناس . وأقام
 كاسم أعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها أساطين يمر عليها من بعضها إلى بعض .
 وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد وأسفل الأرض مدنا كثيرة وأعلاما ومناثر للوقود
 والطلسمات . وعمل كوة من الفضة على عمل البيضة الفلكية وقش عليها صور
 الكواكب النابتة ودهنها بدهن الصبني وركبها على منار في وسط منف . وعمل
 في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر . وعمل في وقته الميزان الذي
 يتبر به الناس ، وجعلت كفتاه من ذهب وعلائقه من فضة وخيوطه سلاسل ذهب ،
 وكان معلقا في هيكل الشمس ، وكتب على إحدى كفتيه حق ، والأخرى باطل ،
 وتحته فصوص قد قش عليها أسماء كل شيء من الكواكب ؛ فيدخل الظالم
 والمظلوم ويأخذ كل واحد منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليها ما يريد ،
 ويعمل أحد الفصين في كفة والآخر في الأخرى ، فتنتقل كفة الظالم وترتفع كفة
 المظلوم . وكذلك من أراد سفرا أخذ فصين فذكر على واحد أمم السفر ، والآخر
 اسم الجلوس ، ويعمل كل واحد في كفة ، فإن لم يرتفع أحدهما على الآخر جلس ،

وإن ارتفعوا خرج ، وإن ارتفع أحدهما مكث شهرا . ومن نحو هذا من غائب
ودين وفساد وصلاح . ويقال إن ^{فريسي}مجتصر لما ظفّر بمصر حمله في جملة ما حمل
إلى بابل وجمعه في بيت من بيوت النار .

قال : وطالب كلهم الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع ، فعملت كل
• غريبة منها : التور الذي يشوى من غير نار فيه ، والقدر التي يطبخ فيها من غير
نار ، والسكين التي تُنصب فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها ،
والماء الذي يستحيل نارا ، والزجاج الذي يستحيل هواء ، وأشياء من ذلك .

قال : فأقام في أول ولايته ثلاث سنين بأهل أمر وأصلح حال ، ومات وزير
أبيه الذي كان معه فاستخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له طلما ، وكان
• شجاعا فارسا كانها كاتبها حكما دهايا متصرفا في كل فن ، وكانت تقضه تنازعه الملك
فصلح أمر المملكة بمكانه وأجبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر خرابا وبني مدنا من
الجنانيين . ورأى في نجومه أنه ستكون شدة فاستعمل ما استعمله نهراروش ، وبني
بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع . وشكا القبط إليه حال الإسرائيليين
فقال : هم عبيد لكم ، فكان القبطي إذا أراد حاجة سحر الإسرائيل ، وكان القبطي
• يضرب الإسرائيل فلا يُنكر عليه أحد ، وإن ضرب الإسرائيل القبطي قُتل ، فكان
أول من أذى بني إسرائيل ، وفعل نساء القبط نساء بني إسرائيل ما يفعل الرجال
بالرجال من السحر والضرب .

قال : وفي أيام أكسامس بُنيت منارة الإسكندرية . وفي زمانه حاج البحر
المالح ففترق كثيرا من القسرى والجنان والمصانع . وحكى أن أكسامس تئيب عن
الناس مدة . وقيل : مات وكنتموا موته . وكانت مدة ملكه إلى أن غاب إحدى
• وثلاثين سنة ، وأقام طلما إحدى عشرة سنة يدبّر المملكة ثم اضطرب الناس على

- طلما وتغيروا وانصل بهم أنه قتل الملك باسم مقام إياه فأجمعوا وقالوا : لا بد لنا من النظر إلى الملك ، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لا طس فلم يقبلوا ذلك .
- فأمر طلما الجيوش فركبت في السلاح وأجلس لا طس بن أكسامس على سرير الملك وليس التاج ، وكان جريشا معجبا فوعده الناس جميلا وقال : أنا مستقيم لكم ما استقيم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وأمر ونهى وألزم الناس أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما عن خلافة المملكة وأستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الملك ودفع إليه خاتمه ، وأنفذ طلما عاملا على الصعيد وأنفذ معه جماعة من الإسرائيليين ، وعمل الأعلام وأصلح المياكل وبني قرى كثيرة ، وأثيرت في أيامه معابد كثيرة وكنوز في صحراء المشرق ، واستعمل آنية كثيرة من الجوهر الأخضر وأصناف الزجاج . وكان محبا للحكم ثم تجبر وعلا ، وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك من الكهنة وغيرهم ، بل يقومون على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم منع الناس فقبول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم وطلب النساء فانتزع كثيرا منهم ، وفعل في ذلك أكثر من فعل من تقدمه من الملوك ، وقهر الناس بالسطوة واستعبد بني إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام .
- وكان طلما لما صرفه لا طس عن خلافته وجد في نفسه وأضمر القدر به . فلما خرج إلى الصعيد احتجز الأموال فلم يعملها ، وحال بين الملك وبين المعادن ، وأراد أن يقيم ملكا من ولد قبطليم ويجلسه في الملك ، فأشار بعض الكهنة على طلما أن يطلب الملك لنفسه وعرفه أنه سيكون له حال . فلما شجعه الكاهن وجزأه على

(١) أثبت : من الإثارة ، وهي الإتراج من تحت الأرض .

(٢) وجد بالتحريك : غضب .

ذلك دعا إلى نفسه وكاتب وجوه أهل البلد ، فبعض أجابه وبعض توقف ، ورفع كل واحد من ولد الملوك رأسه وطمع في الملك .

قال : وفي بعض كتبهم أن بعض الرواحيين ظهر له وقال : إني أطيعك إن أعطيتني ، وأقعدك مصر زمانا طويلا ، فأجابه إلى ماساله وقوب له أشياء . ذكرها له ، منها غلام إسرائيلي ، فعاونه حيثذ وكان له رسولاً إلى رؤساء مصر ، فكان يتصور بصور بعضهم ويشير بملكه عليهم إلى أن استقام له الأمر ، قال : ولما منع طالما لاطس من مال الصعيد كتب بصرفه عن العمل فأبى أن ينصرف ، فوجه إليه قائدا من أهل بيته وقتله مكانه وأمره أن يجعله إليه ، فخاربه وأعانه الرواحي فظفر به طالما وأعتقه ثم خلّاه وقوبه وأدخله في جملته ، وأتصل الخبر بلاطس فأنفذ إليه قائدا آخر فهزمه طالما وسار في أثره يبعث كثيف ، وكاتب جميع القواد وأهل البلد وبذل لهم الأموال ، وخرج إليه لاطس فخاربه طالما وعاونوه الرواحي فظفر به طالما وقتله وسار حتى دخل منف وعاث فيها .

وملك طالما بن قومس ؛ ونزل قصر الملكة وجلس على سرير الملك ونجاز جميع ما كان في خزانته . قال : وطالما هذا هو ابن قومس ، وهو الذي يذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يسمونه الوليد بن مصعب وأنه من العالقة . وذكروا أن الفراعنة سبعة فأولهم : طوطيس بن ماليا ، ثم الوليد بن ديمع ، ثم ابنه الريان بن الوليد ، ثم ديموس بن الريان ، ثم معاديوس بن ديموس ، ثم أكسامس بن معاديوس ، ثم طالما .

قال : وكان طالما فيها زعموا قصيرا . قيل : كان طوله أربعة أشبار ، طويل الخلية ، أشمل العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة . ويقولون : إنه

كان أعرج . وزعم قوم أنه من القبط . قال : والليل على ذلك ميله إليهم
ونكاحه فيهم ؛ ونسب أهل بيته مشهورٌ عندهم .
وقد اختلف الناس في سبب ملكه وعمن تلقى الملك ، ف قيل ما ذكرناه ،
وقيل ما قدمناه في قصة موسى بن عمران عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

قال : ولما جلس طالبا على سرير الملك اضطرب الناس عليه فبذل الأموال
وأرغب من أطاعه ، وقتل من خالقه ، فاعتدل الأمر له . وكان أول ما عمل أن
رتب المراتب ، وشيد الأعلام ، وبني المدن ، وخندق الخنادق ، وعمل بناحية
العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، وأستخلف هاما ، وكان يقرب منه
في نفسه ونسبه ، فأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدن والعمارات ، وحفر
خلجانا كثيرة . ويقال : إنه الذي حفر خليج المردوس^(٢) ، وكان كلما عرجه
الى قرية من قرى الحوف حمل إليه أهلها مالا ؛ فاجتمع له من ذلك شيء كثير ،
فأصر برقه على أهله^(٣) .

- (١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٥ من هذه الطبعة) .
(٢) ذكر ابن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٤٧) هذا الخليج أثناء كلامه من مدينة قلوب
فقال : « وبها خليج السردوس وهو أحد زحرات الدنيا وهو خليج يسار فيه بين بساتين مشبكة وأشجار
ملفة نفاكه دانية ... الخ » . ورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٠٤) بعد وصفه لهذا الخليج
ما نصه : « قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وظل الخليج وعوض عنه بجران المنجا » .
(٣) هذا ما رواه ابن وصيف شاه . وذكر المقرئ بعد هذا ما قاله ابن عبد الحكم عن عبادته بن
عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو متعمم لهذه الرواية ونصه :
« إن فرعون استعمل هاما على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه
أن يجرى الخليج تحت قرىهم ويسطونه مالا . قال : وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم
يرده الى أهل قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده الى قرية في الغرب ثم يرده الى أهل قرية في القبلة و يأخذ
من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فألقى بذلك بجملة الى فرعون فسأله عن ذلك
فأخبره بما فعل في حفره ، فقال له فرعون : ويحك ! إنه ينبغي لسيد أن يعطى على عبادته ويقضى عليهم
ولا يرغب فيما بأيديهم ، رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم . فردّه كله على أهله » (راجع أيضا خروج
مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٦ طبع أوروبا) . اهـ .

وأنهى الخراج في وقته الى سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، وكان يُنزل
الناس على مراتبهم . وهو أول من عرّف العُرّاء على الناس ، وكان ممن صعبه
من الإسرائيليين رجل يقال له إمرى ، وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، وهو
أخو مزاحم لأبويه ، ومزاحم أبو آسية ، فهي آبنة عم موسى وبنت خالته ،
بفعل فرعون عمران حارسا لقصره يتولى حفظه وفتح وإغلاقه . وكان رأى
في كهنته أن هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين ، فمنهم المناكحة ثلاث سنين ؛
لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها . ثم كان من خبر موسى في حمل أمه به
وولادته وغير ذلك من أمره ما قدّمنا^(١) ذكره في قصة موسى عليه السلام فلا فائدة
في إعادته .

وقد نقل أن موسى عليه السلام لما كبر عند فرعون عظم شأنه ورد فرعون
إليه كثيرا من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ؛ ثم وجهه فرعون لفزوة
الكوثانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف فرزقه الله
عز وجل الظفر ، فقتل منهم خلقا وأسر خلقا وأنصرف سالبا فُسّر به فرعون
وآسية . قال : وأسئولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون وأراد أن
يستخلفه حتى قتل رجلا من أشرف القبط فكان من أمره ما تقدّم ذكره .
والله أعلم .

هذا ما أورده إبراهيم في كتابه ؛ ولم يذكر من أخبار ملوك مصر بعد غرق فرعون
شيئا ولا ذكر من ملك بعده . وقد أشار المسمودي في مروج الذهب الى نبذة من
أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون نحن نذكرها . وأما سياقة أخباره فيما كان
قبل فرعون فهذا الذى ذكرناه أتم منه وأكثر استيعابا .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٣ — ٢٣٢ من هذه الطبعة) .

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن
الجوهر : لما أهلك الله تعالى فرعون وقومه بالفرق خشى من يبق بمصر من
الذراري والنساء والعبيد أن ينزولهم ملوك الشام والمغرب ، فلكوا عليهم امرأة يقال
لها دُلُوكَة ، فبنت على أرض مصر حائطا يحيط بجميع البلاد من حد أرض رفح
الى برقة ، وجعلت الخراس على مسافة كل ميل منها يصل أخبار بعضهم الى بعض ،
فإذا حدث أمر في أول ملكها ببلد رفعت النيران في وقت حدوده فعمل في آثار المملكة
بالخبر من ليلته ، وإن كان بالتهار دخن . وهذا الحائط موجود الى حين وضعنا
لهذا الكتاب ويسمى حائط المعجوز . وقيل فيه : حائط المعجوز . وقيل : إنها بنت
هذا الحائط من خوفها على ولدها .

واتخذت دلوكة بمصر البرابي وصورت فيها العصور ، وأحكمت آلات السحر ،
وجعلت في البرابي مَسُور من يرد في البر ودوابهم إبلا كانت أو خيلا ، ومن يرد

(١) راجع (ج ١ ص ١٧١ طبع بلاق) .

(٢) ذكر الخلف نياسى (ج ١ ص ٣٩٢ من هذه الطبعة) ما نصه :

«وهذا الحائط من البريش (وهو حد مصر من جهة الشام) الى أسوان (وهو حد مصر من جهة التوبة)
شاملا للدار المصرية من الجانب الشرقى» .

وقد وصف ابن فضل الله العمري جزءا من هذا السور في كتابه مسالك الألبار (ج ١ ص ٢٣٩) فقال :

«وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، يمتد على جانب المزدحج بها ، كأنه قد جعل حاجزا بين الرمل
والمزدحج . على أنه غير على القري .

مشيت معه الى دندرا ، من الصعيد الأعلى ، ورأيت قد دثر غاليه ، ومقطعه أكثر من متصله ، وهو مبنى
من طوب ، ليس به ريش السلك ولا على الجدار وأنه يصل الى ما بين الريش ورفح ، انتهى الخندق
الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر» .

في البحر من التراكب من بلاد القرب وسراجل الشام، وأحككت إصبع تلك الحركات
فكلفتها فكان إذا فزرو عليها عدو من نحو البحار، وأيمن عورت تلك الحركات
التي في البرابي من الإبل ونحوها فحسست القوت في ذلك فحسست تلك وتوهمت
وكذلك كل من يهدم عليها من البرز البحر إذا بلغها غير معدة من في تلك الصور
ما يحدث مثله في ذلك فحسست من الآفات، فها هنا خاتمة تلويح الألف، وخبر هذه الخرافة
مشهور، وأكثر هذه البرابي باقي وقتها هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها.

وقيل قيل في البرابي في انبساط الخدود مع الأظفار من العطفان من البرابي فالحق أعلم.

وقيل أيضاً: إن تحت إنشاء هذه المرأة عبارة الإشكالية، وقد علمت في
خبرها في الباب القديمة وهو في الشعر الأول من كتابه هذا من هذه السبعة
قال: «ولم تترك هذه المرأة نحواً من ثلاثين سنة»، وقيل أقل من ذلك.

ولما حكمت دولة ملك بعدها دركوس بن بلوطس، ثم ملك بعده بورش.
ثم ملك بعده بغاش بن بورش نحواً من خمسين سنة، ثم ملك بعده دنبا
ابن بورش نحواً من عشرين سنة، ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة، ثم ملك بعده
بلوطس بن متاكيل أربعين سنة، ثم ملك بعده مالمس بن بلوطس، ثم ملك

(١) رابع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة).

(٢) في القرزي: «دركون» وفي صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤١٦): «دركون بن بلوطس».

وقال: دركوس بن بلوطس.

(٣) في القرزي: «بورس» وفي صبح الأعشى: «نودس».

(٤) في القرزي: «فلس» (٥) في القرزي: «مرتبان مريوس».

(٦) في القرزي: «متاكيل» وفي صبح الأعشى: «مياكيل».

(٧) في القرزي وصبح الأعشى: «مالوس».

- (١١) بعده بوليه بن متنا كيل ؛ وكانت له حروب وسير في الأرض وهو فرعون الأعرج (١٢) الذي غزا بني إسرائيل وخزب بيت المقدس . ثم ملك بعده وينوس بن مريئوس (١٣) ثمانين سنة . ثم ملك بعده قوميس بن بقاس (١٤) عشر سنين . ثم ملك بعده مكابيل وكانت له حروب مع ملوك الغرب ، وهو الذي غزاه بختنصر فقتله وقتل رجاله وخزب أرض مصر ، فقبل أنها خزبت مدة أربعين سنة . وانقرض ملك الفراعنة .



- وملك الروم أرض مصر فقتصر أهلها ؛ ولم تزل بيد ملوك الروم الى أن ملك كسرى أنو شروان فارس فغلبت جيوشه على الشام وصارت نحو مصر ، فلك الفرس أرض مصر ، وغلبوا عليها . نحو من عشر سنين . وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة ، فصار أهل مصر يؤدون نراجين : للروم وللفرس ، ثم انجلت الفرس عن الشام ومصر لأمر حدث في بلادهم ، فغلبت الروم على مصر والشام وأظهروا النصرانية ، واستمر ذلك الى أن جاء الله تعالى بالإسلام . وكان المقوقس ينوب عن ملك الروم ، وهادى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم تزل الديار المصرية

٢٨
١٣

- (١) في المقرئى : « بولة » .
(٢) ورد في المقرئى (ج ٣ ص ٦٢ طبعة فيث) مانعه : « وقيل له الأعرج لأنه لما غزا بيت المقدس ونهبها وسبي ملكها يوشيا بن آمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان ابن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار الوبل على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل يجمع بها الى أن مات فذلك معنى الأعرج » .
(٣) في المقرئى : « مريئوس بن بولة » ثم ذكر أن الذي استخلف بعده ابنه « قرقورة » وبكت ملكة ستين سنة . ثم توفى واستخلف أخاه « قناس بن مريئوس » . وانهدم البراب في زمته لم يقدر أحد على إصلاحه . ثم توفى قناس واستخلف ابنه « قوميئوس بن قناس ... » .
(٤) في المقرئى : « قوميئوس » .
(٥) في المقرئى : « قناس » . وفي صبح الأعشى : « بناش » .

والشام بيد ملوك الروم الى أن قُصحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في خلافة عمر في الباب الثاني من القسم الخامس من هذا الفن، وهو في السفر السابع عشر من هذه النسخة .

قال المسعودى رحمه الله : والذي اتفقت عليه التواريخ ، مع تباين ما فيها ، في عدد ملوك مصر الى آخر أيام الفراعنة أنهم اثنتان وثلاثون ملكا . قال : فن ملوك بابل الى آخر أيام أبنة ماموم — يشير الى دليفة — أحد عشر ملكا وملكة . ومن الهاليق أربعة ملوك . ومن الفراعنة من لئذ الوليد بن مصعب فرعون موسى بن عمران عليه السلام ، والى أن خرج بجنصر الفارسي على مكابيل وقتله سبعة عشر ملكا بما في ذلك من ملك دلوكة ، وهو إنما يشير الى من ملكها بعد الطوفان . وأما من ملكها قبل الطوفان فإنه لم يتعزى الى ذكرهم . قال : وملكها من الروم سبعة ملوك . ومن اليونان عشرة ملوك . قال : وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلام . قال : وملكها أناس من الفرس فكانت مدة من ملكها من الفراعنة ومن بعدهم والهاليق والفرس والروم واليونان ألفى سنة وثلثمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف
من الفرس ، والملوك الساسانية ، واليونان ، والسرديان ، والكلوانيين ، والروم
والصقالية ، والتوكيرية ، والإفرنجية ، والحلافية ، وطولانية ، السودان .

ذكر أخبار ملوك الفرس

وهي الفرس الأول

وقد اختلف الناس في الفرس وأسابهم وكثرت دولته كانت لهم . وسندكر
ها هنا مقالاتهم في ذلك واختلافهم . فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن ياسور
ابن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد . ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من زعم أنهم من ولد هدرام
ابن أرغشيد بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلاً كلهم كان فارساً
شجاعاً ، فسما الفرس لفروسيتهم ، وفي ذلك يقول حطّان بن المعلى الفارسي :
وبن سمي الفوارس قوساً _____ ناومت مناجب الفتيان^(١)

وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من أبنائه رشا ورغوشا . وذكر آخرون .
أنهم من ولد بؤان بن أران بن الأسود بن سام بن نوح ، وليؤان هذا ينسب لشعب
بؤان وهو أحد متزهات الدنيا . وقد تقدم ذكره في باب الرياض من الفن الرابع .

(١) في مرجع القصب للسعودي (ج ١ ص ١١٣ طبع بلاط) (... صاحب الفرسان) رحمه الله :

وكهول طوام الركب والكـ * كركل الكرات يوم الطمان

(٢) راجع (ج ١١ ص ٢٥٧ من هذه الطبعة) .

ومن الناس من يرى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، ولا خلاف بين الفرس أجمع أنهم من ولد كيومرث^(١) وهو الأشهر ، وإليه يرجع جميع الفرس الأول و ملوك الطوائف والملوك الساسانية .

وأما التنازع في دولهم فن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف ، وأن الصنف الأول منهم كان من كيومرث إلى أفريدون وهم الجرهانية ، وقيل الجهدانية . والصنف

الثاني من كان إلى دارا بن دارا وهم الكيانية . والصنف الثالث ملوك الطوائف . والصنف الرابع الساسانية . ومن الناس من جعلهم صنفين : فجعل الصنف الأول من كيومرث إلى دارا بن دارا . والصنف الثاني من أردشير بن بابك إلى يزيدجرد ابن شهريار المقتول في خلافة عثمان رضى الله عنه . فدة ملكهم في الدولة الأولى ثلاثة آلاف سنة وثلاثة وستة وعشرون سنة . وعدة ملوكهم عشرون ملكا فيهم امرأة واحدة .

فأول ملك ملك من الفرس الأول كيومرث وقيل فيه جيو مرث .

وقد اختلف في نسبه ، فن الناس من قال : إنه ولد آدم لصلبه . ومنهم من قال : إنه ولد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . وقد قيل : إنه أول ملك ملك من بني آدم . وكان السبب في ملكه أنه لما كثر البنى والظلم في الناس اجتمع أكابر أهل زمانه ورأوا أنه لا يقيم أمرهم إلا ملك يرجعون إليه فيما يأمر وينهى ، فأتوه وقالوا : أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبنائنا ، والناس قد بنى بعضهم على بعض ، وأكل القوى الضعيف ، فقم أمرنا إليك وكن القائم بصلاحتنا . فاخذ عليهم اليهود والمواثيق بالسمع والطاعة له وترك الخلاف عليه . فصنعوا له تاجا ووضعوه على رأسه . وهو أول من وضع التاج على رأسه . فاستولى له الأمر وقام

(١) كذا في مروج الذهب للسعدي (ج ١ ص ١٠٥ طبع بلان) وغير أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتالي (ص ٢) رقي الأصل : « كيومرث » بالهاء المثناة . (٢) وق مرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « وزعم علماء الفرس أن كيومرث هو آدم عليه السلام » .

بأمر الناس وحسنت سيرته فيهم . وكانت مدة ملكه عليهم أربعين سنة . وكان ينزل إصطخر من أرض فارس حتى مات . وأختلف في مقدار عمره ، فقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- فلما مات قام بالأمر من بعده أوشهنيج ابنه وقيل : أخوه ، وقيل : أوشهنيج ابن فيشداد بن كيومرث . وفي الناس من يزعم أنه أول ملك ملك من الفرس ، وهو الذي جمع الإقليم السبعة ، ورتب الملك ونظم الأعمال ، ولقب بفيشداد ، وتفسيره بالعربية أول سيرة العدل . ويقال : إن أوشهنيج هذا كان بعد الطوفان بمائتي سنة ، وهو أول من قطع الحجر وبني به ، واستخرج المعادن ، وبني مدينتي بابل والسوس . وكان فاضلاً حسن السياسة محمود الأثر . قال : ونزل الهند وتسلق في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير . وكان من حسن سياسته أنه نفى أهل الفساد والدعارة من البلدان وأبغاهم إلى رؤوس الجبال وجزائر البحر ، وأستخدم منهم من كان يصلح لخدمة وسمّاهم الشياطين والعفاريث ، وقرب أهل الخير والصلاح . وكانت مدة ملكه أربعين سنة . ولما مات ملك بعده طهمورث^(٢١) وقيل فيه طهورث بن أنوجهان بن أوشهنيج ، وقيل بل بينهما عدة آباء . قال : ولما ملك سار في الناس سيرة جدّه أوشهنيج . وكان ينزل نيسابور . وقيل إنه الذي أنشأها ثم جدها بعد ذلك سابور . وقيل : إنه أول من كتب بالفارسية ونفى أهل الدعارة والشر واستقام له نظام الملك . قيل : وفي أيامه ظهر بوداسف الذي أحدث دين الصابئة . وكان ملكه ثمانين سنة . وقيل ثلاثين سنة .

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢٠٧ من القسم الأول طبع أوردبا) : « أوشهنيج بن فرلاك » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « أوشهنيج بن سيامك بن كيومرث » . (٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٧٤ من القسم الأول طبع أوردبا) ومروج الذهب للسعودي وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وفي الأصول : « طهمورث » . (٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ١٠٠) : « الفهرية » . (٤) كذا في الأصول ، وفي الطبري (ص ١٧٦ من القسم الأول) : « بوداسف » . بابا الموصدة : وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) : « أيوداسف » .

ولما مات ملك بعده أخوه جمشيد^(١)، وتفسير شيد : الشعاع ، سمي بذلك
لوضاءة وجهه . قال : ولما ملك سلك سيرة من تقدم وزاد عليها بأن صنف
الناس وطبقهم ورتب منازل النكّاب وأمر لكل واحد وظيفة وأمره أن يلزمها .
وعمل أربعة خواتم : خاتماً للحرب والشرط^(٢) وكتب عليه الأمانة ، وخاتماً للخراج
وجباية الأموال وكتب عليه العارة ، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتماً للظالم
وكتب عليه العدل . فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الإسلام .

وكان ملكه ستمائة سنة . وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر . وقيل ألف سنة
إلا عشرين . وفي أيامه أحدث النيروز وجعله عيداً ، وأمر الناس أن يتمتعوا
فيه . ثم بقل سيرته بالبحر بعد الإنصاف ، والظلم بعد العدل ، والإساءة بعد
الإحسان ، فنقلت وطائفة على الناس . ثم أظهر الكبر على وزرائه ونكّبه وقواده .
ثم أنهك على لذاته وترك مراعاة كثير من السياسة الملوكية التي جرت عادة الملوك
أن يتولّوها بنفسه . وقيل : إنه آذع الإلمية نفرج عليه بيوراسب ، وكان من
جملة عماله ، وأستجلب الناس وجمعهم عليه وأستصلحهم لنفسه ، وقصد جمشيد بعد
أن كثرت أتباعه وقويت شوكته ، فهرب منه فأبغمه حتى أدركه وظفّره ونشره بمنشار .
وملك بعد جمشيد بيوراسب ؛ وهو الذي يسمّيه العرب الضحّاك . قالوا :
وهو بيوراسب^(٣) بن أرونداسف بن بناداس بن طوخ بن قروال بن ساعل بن فرس
أبن كيومرث ، وهو الدّهّاك ، فزب اسمه فقليل الضحّاك . وقيل : إنه ملك
ألف سنة . وزعم قوم أنه نمروذ . وزعم قوم آخرون أنه كان من عمال بيوراسب
على كثير من أعماله .

(١) راجع معناه فيما تقدم (ج ١ ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٢) الشرط ها : أول كنية
تهد الحرب وتثبأ الموت . (٣) تقدم الكلام عليه في الجزء الأول (ص ١٨٥ من هذه الطبعة) .
(٤) ورد هذا السب في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) باختلاف في الأسماء .

- قال : ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وبخور كثير ، وملك الأرض كلها ، فسار فيها بالبحور والسفوف وسفك الدماء والصلب ، وهول على الناس ومحا سيرة من تقدمه من الملوك ، وسنّ الأعشار وأخذ الملاهي والفناء . وكان على منكييه سلعان يحركهما إذا شاء كما يحرك يده ، فأدعى أنهما حيّان تهويلا على ضعفاء الناس . وقد تقدم ذكره في الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الأول ، وهو في السفر الأول من نسخة الأصل في أخبار أعياد الفرس ، فلا حاجة إلى إعادة ما قدّمنا ذكره من أمره .

- قال : ولما عم الناس جورهم كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بأصبهان رجل يقال له كابي^(١) من عوام الناس . ويقال : إنه كان حدّادا . وكان الضحك قتل لكابي آئين ، فبلغ به الخزع على ولديه مبلغا عظيما ، فقام وأخذ عصا وعلق عليها جرابا . وقيل : بل علق النّطع الذي كان يشده على وسطه يتّقى به النار إذا صنع الحدادة . وقيل : بل كان جلد أسد . وقيل : بل جلد نمر ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ، فحمل الناس ما كانوا فيه من البلاء إن آتبعوه وأطاعوه ، فاستفعل أمره ، وكثرت أتباعه ، واجتمع عليه أشراف الناس وأكابرهم ، فقصده بيوراسب . فلما أشرف عليه هرب عن منزله ، فبّاه أشراف الناس إلى كابي الأصبهاني واجتمعوا عليه . لمّا كوه ، فاستمتع من ذلك وقال : إني لست من بيت الملك ، ولكن التمسوا من هو من بيت الملك فتولّيه علينا . وكان أفريزبون بن ائفيا^(٢) قد استخفى من الضحك

(١) سلعان : مثنى سلعة بالكسر ، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الفتة تمر بين الجسد والهم إذ انضطت ، وتكون من قدر حصة إلى بطيخة . (٢) راجع (ج) ص ١٨٨ من هذه الطبعة .
(٣) في غير أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٣٢) : « كورة » .
(٤) كتاب في تاريخ الطبري (ص ٢٥٣) من القسم الأول وغرر أخبار الفرس وسيرهم (ص ٣٥١) وعطط القرطبي (ج ٣ ص ١٠٣ طبعة نيت) . وفي الأصل : « أفريزون » بالذال المهملة .

في بعض النواحي، فجاء إلى كافي الأصماني ففرج الياس به وأستبشروا بقلبه،
وكان من شغل الملك فيكون عليهم، وصار كافي من جملة أعوان أفريدون،
وقال: ويقابل الفرس وتبركوا بذلك العلم الذي كان قد رضى كافي الأصماني
وعظموه ووصفوه بعد ذلك بالموافق، وسموه العرفس، ويعلموه علمهم الأكبر الذي
يتبركون به، وهو الذي صار إلى المسلمين في وقعة القادسية^(١)، وكانت الفرس
لا ينشرون إلا في الأمور الخطيمة.

قال: ولما هرب بيوراسب ملك بعده أفريدون، وهو التاسع من ولد
جشيد، قال: فأول ما بدأ به أن أتبع بيوراسب فأدركه بدشتاوند^(٢) وقتله. وفي يوم
قتله أحدث المهرجان على ما قد سناه. قال: ثم رد أفريدون مقام الناس وأمر
بالإنصاف وبسط العدل، ونظر إلى ما كان بيوراسب قد أغصيه من أموال الناس
وأملأهم وأراضهم، فرد ذلك على أهله، وما لم يجد أهله وقفه على المساكين
ومصالح العامة. وكان مؤثرا للعلم وأهله. وكان صاحب طب وفلسفة ونجوم.
وزعم بعض الفرس أن بيوراسب الضحاك هو الفروز، وأن أفريدون هو إبراهيم
عليه السلام. قال: ودام ملكه خمسمائة سنة. وقال: هو أول من قسمي بكى،
فكان يقال له: كنى أفريدون، وهي كلمة يزد بها التبريه، أي روحاني متبرع متصل
بالروحانية. وهو أول من دُلَّ القيلة وقاتل بها الأعداء. قال: وكان لأفريدون

(١) القادسية: بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا، وبينها وبين المدية أربعة
أميال، وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦
من الهجرة. وهذه الوقعة من أعظم رقائق المسلمين خيرا وبركة. (٢) دشتاوند: جبل من نواحي
الري، وهو جبل عال مشرف شاهق شاخ لا يفارق أعلاه تلج شتاء ولا صيفا، ولا يقدر أحد من الناس
بطول ذروته ولا بقاربها، ويعرف بجبل البيوراسب يراه الناس من مرج القلعة ومن عقبه هذان، والناظر
إليه من الري يظن أنه مشرف عليه. وأن المسافة بينهما ثلاثة فراسخ أو أكثر... وهذا الجبل عيون كبريتية
(راجع معجم البلدان لياقوت). (٣) رابع الجزء الأول (ص ١٨٨ من هذه المطبعة).

(١١) ثلاثة أولاد وهم : سَرَم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإيرج وقيل فيه إيران ؛ فغشي أفريدون ألا يتفقوا بعده وأن يبنى بعضهم على بعض ، وظن أنه إذا قسم الملك بينهم في حياته بقي الأمر بعده على انتظام واتساق قسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإيرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففى ذلك يقول شاعرهم :

وَقَسَمْنَا مَلَكَنَا فِي دَهْرِنَا * قَسَمَةَ الْحَمِّ عَلَى ظَهْرِ الْوُضْمِ
بِجَعْلِنَا الرُّومَ وَالشَّامَ إِلَى * مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَلِكِ سَرَمِ
وَلَطُوحِ جُعِلَ التُّرْكُ لَهُ * فَبِلَادِ الصِّينِ بِمُحْيَا أَبْنِ عَمِ
وَلِإِيرَانَ جَعَلْنَا عُنُودَ * فَارِسَ الْمَلِكِ وَفَسْرَنَا بِالنَّصَمِ

١٠ فلما مات أفريدون وشب طوخ وسرم بأخيها إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما ، ولذلك نشأت المداواة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيها وتغلبها على ملكه أن نشأ ابن إيران بن أفريدون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منواتجهر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

١٥ وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشأ ابن لطوخ الترك فبنى منوجهر عن بلاده وجرت بينهما حروب ، ثم ظفر منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أمره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته . ويقال : إنه أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحروب ، وأول من وضع الدهقنة ، وجعل لكل قرية دُهقاناً ، وجعل أهلها عبيدا وخولا وأيسمهم لباس

(١) في تاريخ الطبرى (ص ٢٣٠ من القسم الأول) : « طوج » . وفي عرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « توز » . (٢) الوضْم : حشبة الجزاء يقطع عليها اللحم . (٣) الدهقنة : مصدر راس من دهقن ، والدهقان (بالكسر وضم) هنا : رئيس الإقليم ، مربز دهمان . (عن محيط المحيط للبناني) مادة دهقن .

المثلة . ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه قتل عمه اللذين قتل
آياه ، وأدرك ثاره وأنصرف الى بلاده .

ثم نشأ فراسياب بن ترك من ولد طوخ بن أفريزون وإليه ينسب الترك ، فخارب
منوهر وحاصره بَطَرِستان^(١) ، ثم اصطلعا وضربا بينهما حدًا لا يحاوزه واحد منهما ،
وهو نهر بلخ ، فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوهر . وكان لمنوهر هذا خُطْبُ
تدل على سداد رأيه ، ووفور عقله ، وجودة فهمه ؛ قد ذكرنا بعضًا في الباب
الرابع من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . قال : وفي أيام منوهر
ظهر موسى بن عمران عليه السلام .

قال : ولما مات منوهر تغلب فراسياب على إقليم بابل آنثى عشرة سنة ،
وأكثر الفساد ، وخرّب البلاد ، وطم الأنهار ودفن القُني ، فقحط الناس الى أن
ظهر زو بن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان .

وملك زو بن طهماسب وقيل فيه : زاع ، وقيل فيه : زاب ، وقيل : راسب ،
وهو من أولاد منوهر ، وبينه وبين منوهر عدة آباء . قال : ولما ملك ابتدأ
في عمارة ما خرّبه فراسياب ، وأمر ببناء ما هدم من الحصون ، وحفر الأنهار
والقُني ، حتى عادت البلاد الى أحسن ما كانت عليه ، ووضع عن الناس الخراج

(١) كذا في نسخة (١) ومروج الذهب للسعدي (ج ١ ص ١٠٨) . وفي نسخة (ب) وتاريخ الطبري
(ص ٤٣٤ من القسم الأول طبع أوروبا) : « فراسيات » بالفاء الختلة .

(٢) طبرستان : ناحية واسعة الأجزاء ببلاد الفرس بين جريان والديلم ، على بحر قزوين التي
يسمى أيضًا باسمها « بحر طبرستان » وأشهر مدنها : أمل ، أو عامل ، والداسقان ، وقومسان (وهي
الآن إقليم ما زندان) من مملكة إيران ، فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(راجع معجم الطريقة الإسلامية للرحوم أمين وأصف بك) .

(٣) في الأصل « الباب الثالث » وما أتيته هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) ،
وقد راجعنا هذا الباب فلم نجد تلك الخطب أثرًا ، ولعلها سقطت من الأصل .

سبع سنين، قُصِّرَت البلاد في أيامه، وُدِّرَت معاش الناس، واختُفِرَ بالسواد شهرًا^(١)
وسماه الزاب، وبنى على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكوَّزها
كورًا، وجعلها ثلاثة طُساويج: الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل،^(٢)
ونقل إليها بنور الرياحين، وأصول الأشجار.

٣٢
٣١

وزوهذا أول من اتخذ ألوان الطيخ، وأنواع الأطعمة، وقسم القنائم على
حده. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين.

ثم ملك بعده كرشاسب بن أسباس، وأمه من سبط يامين بن يعقوب عليه
السلام. قال: وكان مسكنه سابل. ومدة ملكه عشرون سنة. وبعض المؤرخين
لم يذكره في الملوك. وقال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم
بتيارب الأمم: إن كرشاسب كان وزيرًا لزق بن طهماسب، وأنه من أولاد طوخ
ابن أفرينون. قال: وقد حكى أن زقًا وكرشاسبًا اشتراكًا في الملك. قال:
والصحيح من أمره أنه كان وزيرًا لزق ومعينًا له، والذي أثبت كرشاسب في الملوك
الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشلي في كتابه المترجم بكلمة
الزهر وصدفة الدرر، وقال: ولم يذكره بعض المؤرخين.

ثم ملك بعده كيقباز بن زق، وقيل فيه: ابن زاب بن تور، وسلك سبيل
أبيه فكُتِرَ الكور، وتبين حلودها، وأمر الناس بالعارات، وأخذ العشر من
الغلات لأرزاق الجند. وكان حريصًا على الهابة، مانعًا لخوزته، والملوك^(٣)
الكية من نسله. وكان بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكانت إقامته في الحد

(١) يريد بالسواد العراق. (٢) طساويج: جمع طسوج بالتشديد، وهي الناحية.

(٣) الكية: الذين يتبعون أسماؤهم بلفظ (كي) وهي كلمة يراد بها الكية.

الذى بين مملكة الفرس والترك بناحية بلخ . وكانت ملكه مائة وعشرين سنة ثم مات .

وملك بعده كيقابوس بن كينة بن كيقباز الملك . قال : ولما ملك شدد على أعدائه ، وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن بلخ ، وولد له ابن لم ير مثله في عصره جمالا وتام خلفة ، وسماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن دستان من ولد كرشاسب . وكان أصهبذا بسجستان وما يليها من قبل كيقابوس وأمره بتربيته . فضى به رستم الى سجستان وتخير له الخواضن والمراضع الى أن عقل ، فجمع له المعلمين ، ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها ، فقدم به على أبيه وهو كامل الصفات من العقل والأدب والفروسية ، فأمتحنه والده فوجده فوق ما يجب .

قال : وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت فراسياب ملك الترك ؛ ويقال : إنها ابنة ملك اليمن ، فهويت سياوخش وهويتها ، ويقال : إنها كانت ساحرة فسحرته ، وآل أمرهما الى أن انكشف لأبيه كيقابوس وأطلع على ما كان من أمر ابنه وزوجته ، فاشفق سياوخش على نفسه وخشى عاقبة أبيه فتلطف في البعد عنه ، فسأل رستم أن يُشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت بين فراسياب وكيقابوس وحشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضم إليه جندا كثيفا وأختص سياوخش الى بلاد الترك ، فسار حتى التقى بفراسياب فانتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب سياوخش الى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والاتفاق ، فكتب إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناهضته ومناجزته الحرب ، فرأى سياوخش

(١) كذا في نسخة (١) و(ب) . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) :

« كيقابوس بن كينة » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « كيكابوس » ويقال له بالبرية قاپوس .

- أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب ونقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب نقضها ، يكون ذلك عارا عليه ومَنْقَصَةً ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيَه على الحرب منه ، فكتب الى فرامياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه ، وعرفه أنه آثر المحاق به فأجابه الى ذلك . وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران . فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وأنصرف من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه . قال : ولما وصل سياوخش الى فراسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته ، وهى أم كيخسرو الذى ملك الفرس . ولم يزل على إكرامه الى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وبهيل تطفه ما أشفق منه وخشى على مُلكه ليل الناس إليه فقتله . وكانت أبنه الملك قد اشتملت من سياوخش على حبل ، فقصده أن يسقطه وتحيلوا فى ذلك فلم تسقط ؛ ثم جاء قيران ، وهو الذى كان ١٠ السفير فى الصلح بين الترك وسياوخش ، وأكرما كان من فعل الملك وحدّره عاقبة الغدر والطلب بالتأر ، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده الى أن تضع وقال : اذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله ؛ فأجابه الملك الى ذلك وسلم إليه أبنته ، فكانت عنده الى أن وضعت كيخسرو ؛ فلما وضعته امتنع قيران من قتله وسرّ أمره ، فكان عند قيران حتى بلغ ، ثم احتال جدّه كيقابوس الى أن أخرجه هو وأمه من بلاد الترك . ١٥

- قال أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه فى كتابه المترجم بتجارب الأمم : وللفرس فى أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها : أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه ، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك فى خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة : من الصعود الى السماء ، وبناء مدينة كنيكر بأسوار من ذهب وفضة ٢٠

وحديد ونحاس وأنهار، وأنها ما بين السماء والأرض؛ وأشياء ذلك مما تحمله العقول
السليمة؛ لأن ذلك ليس في قدرة البشر .

قال : ولما تمّ لكيقابوس أكثر ما كان يقصده سار من خراسان ونزل بابل
وترك ما كان يتولاه بنفسه من السياسات، واحتجب عن الناس وتعاظم عليهم،
وأثر الخلوة، فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه ملكه وغزته الملوك؛ فكان بعد ذلك
يغزوهم فيظفروهم مرةً ويُنكَبُ أخرى، إلى أن غزا بلاد اليمن ، والملك بها يومئذ
ذوالأذمار بن أربعة بن ذى المنار . فلما أناه كيقابوس خرج إليه ذوالأذمار
في جموعه من حير وولد قحطان، فظفر به ذوالأذمار وأسرّه وأَسْبَحَ عسكره وحبيه
في بئر وأطبق عليه طبعا، فخرج رستم الشديد من مجستان في جموع كثيرة من الفرس؛
فالفرس تزعّم أنه أوغل في بلاد اليمن واستخرج كيقابوس من محبسه، واليمن تقول غير
ذلك، وأن ملكهم ذوالأذمار لما بلغه إقبال رستم خرج إليه في جموعه وجنود
عظيمة، وخنق كل منهما على نفسه وعسكره، وأنها أشفقا على جندهما من البوار،
فاثقا على أن دفع لهم ملك اليمن كيقابوس وانصرف رستم من غير حرب ورجع
بكيقابوس إلى بابل ، فكتب له كيقابوس كتابا بالعتق وأقطعه مجستان . ونسخة
الكتاب الذى كتبه : من كيقابوس بن كيقاذ إلى رستم . إلى قد أعتقتك من
المبودية ، وملكك بلاد مجستان ، وأجلس على سرير من فضة ممّزة بالذهب ،
والبس قلنسوة من الحرير منسوجة بالذهب متوجة . قال : وما يدل على صحة ما نقل
من أمر كيقابوس قول الحسن بن هانئ :

وقاظ قابوس في سلاسلنا * ستين سبعا وقت الحاسبا

- ولما مات كيكاوس ملك بعده ولد أبنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس . قال : ولما ملك عقد التاج على رأسه وخطب رجته خطبة بليغة أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قَبِلَ فراسياب ملك الترك ، وكتب إلى جودرز بأصبهان — وكان أصهبذا على نراسان — يأمره بالمسير إليه ، وأمره أن يمرض جنده وأن ينتخب ثلاثين ألف راجل ويضمهم إلى طوس [بن نوذران^(١)] وكان فيمن اشخص معه برزافره [بن كيكاوس^(٢)] عم كيخسرو وابن جودرز وجماعة من إخوانه ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ، وأمره أن يقصد فراسياب وطراخته^(٣) وحذره من ناحية بلاد الترك فيها أخ له من أبيه سياوخش يقال له فروز ، وكان قد رُزقه من بعض نساء الأتراك ، كان سياوخش قد تزوجها لما سار إلى فراسياب فولدت له فروز ، وأقام بموضعه إلى أن شب ، فسار طوس وكان من غلظه الذي فعله أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروز حاربه فقتل فروز في الواقعة . فلما اتصل الخبر بكيخسرو غضب لذلك وشق عليه ، فكتب إلى عمه برزافره ذلك كتابا غليظا يخبره بما ورد عليه من خبر طوس ومخالفته له وعما ربه لأخيه فروز وقته لإياه ، وأمره بإشخاص طوس إليه مقيدا مقلولا ، وأن يتقدم هو على العسكر ويتوجه . ففعل برزافره ذلك وتولى أمر العسكر ، وسار وصبر النهر المعروف بكاشرود ، وانتهى خبره إلى فراسياب فوجه للقاءه وجره جماعة من إخوانه وطراخته ، فالتقوا وفيهم قيران وإخوانه ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وظهر من برزافره عم كيخسرو في ذلك اليوم قتلًا اشتدت الحرب ، فهرب وأنحاز بالعلم إلى رموس الجبال ، واضطرب على ولد جودرز الأمر ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة

٣٤
١٣

٢٠ (١) الزيادة من تاريخ الطبري .
(٢) طراخه : الطراخنة جمع طرخان (بالفتح) ، والطرخان : زعم القوم المسمى من الضرايب (فارسي) .

واحدة سبعون رجلاً، وقبل خلق كثير، وأنصرف برزافره ومن أفلت معه إلى كخسرو،
فرميت الكتابة في وجهه وأمتنع عن الطعام والشراب أياماً، ثم أتاه جودرز وشكا
إليه عمو برزافره وأنه كان سبب الهزيمة، ولأطفه كخسرو وقال : إن حلفك لازم
لنا نعلمتك إيماناً، وهذا جندنا ونزائنا مبذولة لك فاطلب يرتك^(١) واستعدّ ونجهز
للتوجه إلى فراسياب . فنهض جودرز وقبل يده وقال : نحن رعيك وعبيدك
أيها الملك ، فإن كانت آفة أو نازلة فتكن بالعبيد دون الملوك ، وأولادى الذين قتلوا
فداؤك ، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاستيفاء^(٢) من الترك . فكتب
كخسرو إلى وجوه عساكره وأكابر أجناده يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه
اسطون من كورة بلخ في وقت وقته لهم ، فوافقوه في ذلك الوقت ، وشخص كخسرو
بأصبهذيته وأصحابهم وفيهم برزافره عمو وجودرز وولده ، فمرض كخسرو الجند
بنفسه حتى عرف عذتهم وأطلع على أحوالهم ، ثم أحضر جودرز وثلاثة نفر معه
من القواد فأعلمهم أنه يريد إدخال العساكر على الترك من أربعة وجوه ليحيطوا بهم
من جميع جهاتهم ، وقود على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جودرز ،
ودفع إليه يومئذ درفس^(٣) كايان ، ولم يكن يدفع قبل ذلك لأحد من القواد ، بل مع
أولاد الملوك .

قال : وأمر أحد القواد بالدخول مما يلي الصين وضم إليه ثلاثين ألف رجل ،
وأمرهم بالدخول من ناحية الخزر من طريق بين جودرز وبين القدي دخل من
طريق الصين ، ودخل جودرز من ناحية خراسان وبدأ بجيران والتحمت بينهما

(١) الزة حنا : الثار . (٢) في تاريخ الطبرى : « والاشفاء » .

(٣) في تاريخ الطبرى (ص ٦٠٩ من القسم الأول) : « درفس كايان » بالشين المجمة وقال :

إنه العلم الأكبر الذى كانوا يحملونه .

الحرب واشتد القتال ، فقتل جودرز أخا قيران ، ثم قتل قيران مبارزة ، ثم قصد فراسياب وألتحمت عليه السراكر من كل جهة ، وأتبع كيخسرو القوم بنفسه وقصد الوجه الذي كان فيه جودرز ، وقد أثنى في القتال وقتل أصبهذ فراسياب والمرشح لذلك بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته وأولاده ، وأمر برويز وهو الذي قتل سباوخش .

- قال : ولما جاء كيخسرو وجد جودرز قد أحصى الأسرى والقتلى وما غنم من الكراع^(١) والأموال ، فوجد ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونييفا وستين ألفا على ما تزعم الفرس ، وحاز من الكراع والأموال مالا يحصي كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يحمل أسيريه ورأس قتيله [عند علسه^(٢)] لينظر إلى ذلك كيخسرو عند موافاته . فلما وافى ١٠ كيخسرو موضع الملحمة تلقاه جودرز وعرض عليه الأسرى والقتلى ، فرأى قيران قتिला ، وأتى بقاتل أبيه الذي مثل به بعد قتله . فقتله كيخسرو شر قتلة ، فقلعه عضوا عضوا ثم ذبحه ، وأحسن صلة جودرز وفوض إليه الوزارة التي يقال لها بزر جفرمذار وجعل إليه مع ذلك أصبهان وجرجان ، وأحسن لكل من أبى من قواده ورجاله ، ثم أئنه أخبار قواده الثلاثة الآخر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقى من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكرين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه

٣٥
١٣

(١) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل واللاح . (٢) التكلة من تاريخ الطبرى (ص ٦١٢ من القسم الأول) والعبارة في الأصل مضطربة . (٣) في تاريخ الطبرى أن اسم هذا القاتل « بروا بن فتنجان » . (٤) كذا في الطبرى وفي نسخة (١) « بزرع فرمدار » وفي نسخة (ب) « بزرع فرمدار » .

الحرب معه ، ثم أقبل فراسيا ب في جمع عظيم من الأتراك وألحق هو وكيخسرو ونسبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلاً قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وأنهم فراسيا ب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به وأستوثق منه بالحديد ووثقه على ما كان منه من قتل سياوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم أنصرف . وقد غم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بثاره .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التحل والافتراق وترك الملك ، فخرجوا من ذلك وسأله ألا يفعل ، فأبى عليهم . فلما أسوا منه سأله أن ينصب في الملك من يراه له أهلاً ، فأشار بسده إلى لمراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل لمراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وقُدد كيخسرو . ففهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تُسلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده لمراسف^(١) ، وقيل فيه بهراسف بن تنوف بن كيمش وهو ابن أنحى كيقابوس ويلقب بكى لمراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريراً من ذهب مكللاً بالجوهر للجلوس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة ، وسماها ببلخ الحسناء . قال : وهو أول من دُون الدواوين ، وقوى ملكه باختيار الجنود ، وعمر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فقتل ببلخ لقاتلتهم ، ووجه بختنصر

(١) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (١) « كهراسف » وفي تاريخ الطبري : « كى لمراسف »

وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٩ طبع بلاق) : « لمراسف » .

أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربي الفرات . وسذكر أخباره
إذا انتهت أخبار لهراسف .

قال : وكان لهراسف بعيد الهمة ، طويل الفكرة ، شديد القمع للوك المجبلة
لإيران شهر . وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يؤتون إليه إتالة معلومة في كل
سنة ، ويُقرون له أنه ملك الملوك هيئة له ، واستمر في الملك إلى أن كبرت سنه .
وأحسن بالضعف فاعتزل الملك ونصب ابنه بشتاسب . وكان ملكه فيما ذكر
مائة وعشرين سنة .

ذكر أخبار بختنصر

ويقال في اسمه بالفارسية بختنصره ، وكان مَرزبانًا للهراسف ، ومعنى المَرزبان
أنه مَلِكٌ على ربع من أرباع المملكة . وقد قُتِلَ أن الملك لهراسف كان قد
جعله أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم . قال : فسار حتى أتى دِمَشق
فصالحه أهلها ، ووجه قائدا له فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو
رجل من بني داود النبي عليه السلام ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية
وثب بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه وقالوا له : إنك هادنت أهل الكفر وخذلنا
واستمددوا للقتال ، فكان عاقبة ذلك أن قائد بختنصر — لما بلغه ما كان من بني
إسرائيل — كتب إليه يخبره بقتلهم ملكهم ، فأجاب بختنصر أن يقيم بموضعه حتى
يوافيه ، وأمره بضرب أعناق الرهائن الذين معه . وسار بختنصر حتى أتى بيت

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي فهر أخبار ملوك الفرس : « بشتاسف » وفي نسخة (أ) ، ب :

« بشتاسف » .

(٢) كذا في تاريخ الطبري : (ص ٦٤٥ من القسم الأول) وقرر أخبار الفرس وسيرهم للتالي

(ص ٤٤ طبع بارس) . وفي نسخة (أ) هكذا « نخت زسي » وفي نسخة (ب) « بخت زسي » .

المقدس فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وهرب الباقون إلى مصر ، فكتب بختنصر إلى ملك مصر : أن عبيدا لي هربوا مني إليك فسرّحهم إلى - وإلا غزوتك وأوطأت خيلي بلادك ، فكتب إليه ملك مصر : إنهم ليسوا عبيدك ، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار ، وأمتنع من إفاذهم إليه ، فغزاه بختنصر وقتله وسبي أهل مصر ، ثم سار في أرض المغرب حتى بلغ أقصى نواحيها .

قال صاحب كتاب تجارب الأمم : وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر بختنصر أقوالا مختلفة ، فذكروا منها : أن بختنصر لما خرب بيت المقدس أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ثُرسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ، فحذفوا فيه من التراب ما ملأه . قال : ولما أنصرف إلى بابل اجتمع معه سببايا بيت المقدس من بنى إسرائيل وغيرهم ، فاختر منهم سبعين ألف صبي ، فلما فوق الغنائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان ، فقسمهم في الملوك منهم ، فأصاب كل رجل منهم أربعة ، وكان من أولئك الغلبة الذين سباهم ، دانيال النبي وحنين ومنشايل ، وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا من سبط بشرين يعقوب . ثم غزا بختنصر العرب ، وذلك في زمن معد بن عدنان .

قال : وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة ، ثم قام أبن له يقال له أومروذ ثم ^(١) [هلك ، وملك مكانه أبن له يقال له ^(٢)] بختنصر ، وذلك في زمن بهمن ، فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش ، وتقدم إليه بهمن أن يرقى بني إسرائيل ويمكّنهم من التزول حيث سألوا ، أو الرجوع إلى أرضهم ، وأن يوفى

(١) في تاريخ الطبري : « أولردوخ » .

(٢) الكلمة من تاريخ الطبري . وفي نسخة (١) هكذا : « ثم بن بختنصر » . وفي نسخة (ب) :

« ثم ابن يقال له بختنصر » .

عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال فولاه أمرهم . فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة . وقيل غير ذلك . ولترجع إلى أخبار الفرس .

ولما أمّرتل لهراسف الملك كما ذكرناه ، ملك بعده كي بشتاسف ^(١١) بن كي لهراسف . قال : ولما ملك بنى مدينة فسا ، وهو أزل من بسط دواوين الكتاب لا سيما ديوان الرسائل . وكان له ديوانان أحدهما : ديوان الخراج ، والآخر ديوان النفقات ، فكل ما يرد في ديوان الخراج ، وكل ما يصرف من ديوان النفقات . وكان له كاتب موكل بدار المملكة ، فإن وقع تقصير بأحد في منزلته ، أو حُط من درجته رجع إلى ذلك الكاتب ليبن له حال مرتبته فيجربى على رسمه وعادته .

- ١٠ وفي أيامه ظهر زرادشت [بعد ثلاثين سنة من ملكه فأدعى النبوة ^(١٢)] فأرادته على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه وقيل دعواه ، وأتاه بكتاب يكتب في جلد أثني عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود وقشا بالذهب ، فصير بشتاسف ذلك الكتاب بإصطخر ووكل به الموابدة ^(١٣) ، ومنع من تعليمه العامة . وبنى بيلاد الهند بيوتا للثيران ، وتتمك واشتغل بالعبادة ، وهادن كي خراسف بن كي سواسف ^(١٤) ابن أنسى فراسياب ملك الترك على ضروب من الصلح ، وفي جملة شريطة الصلح ألا يكون

(١) في تاريخ الطبري : « كي بشتاسف بن كي لهراسف » .

(٢) فسا (بالفتح والقصر) ويقال لها فسا (بالياء) : مدينة فارس أزده مدينة بها نيا قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي مدينة واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز ، وهي اسمع هوا منها .

(٣) الكلمة من تاريخ الطبري (ص ٦٧٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٤) الموابدة جمع المربة (بالكسر) : هم خدام النار . وقيل : حكام الجيوش الذين يصلون بهم . (راجع المربز للجوالق ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٥) في تاريخ الطبري : « أنسى » .

ببلاد خرزاسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك ، وغير ذلك مما وقعت عليه المهادنة ، فأشار زرادشت على بشتاسف بنقض الهدنة ومفاسدة ملك الترك ، فبلغ ملك الترك ذلك ، فغضب وكتب إليه كتابا غليظا من جلته أن يوجه إليه زرادشت ، وأقسم إن امتنع أن يفزوه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته ، فأجابه بشتاسف بجواب أغلظ من كتابه وأذنه بالحرب وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أسك هو . فسار كل منهما إلى الآخر ، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على الترك ، وقتل إسفنديار بن بشتاسف يسدرفش الساهر مبارزة^(١) ، وقُتِلَ التركُ قتلا ذريعا ، وهرب ملكهم خرزاسف ورجع بشتاسف إلى بلخ .

قال : فلما مضت تلك الحرب سنون سعى رجل يقال فروخ^(٢) بإسفنديار إلى بشتاسف ونسبه أنه تطاول لللك ، وزعم أنه أحق به ، فأفسد بذلك قلب بشتاسف عليه ، وصدق مقالة فروخ ، فأخذ في التدبير على إسفنديار وجعل يرسله إلى حرب بعد حرب ، وهو يظفر ويخجج ويرجع بالفنائم ، ثم أمر بتقييده فقيد ، وصيره في الحبس في حصن من حصونه ، وسار بشتاسف إلى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه والتفكير هناك ، وخلف أباه لهراسف في مدينة بلخ ، وقد كبرت سنه وهرم وعجز .

قال : فاتفق هذا الخبر بخرزاسف ملك الترك ، فجمع من الجنود مالا يحصى كثرة ، وتخص من بلاده نحو بلخ حتى [إذ] انتهى إلى تخوم ملك فارس قدم أمامه

(١) كما في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « بتدرفش » بالنون .

(٢) في تاريخ الطبري : « قرزم » .

(٣) زيادة يقتضيه السياق .

جوهر من أخيه، وكان مرشحاً لذلك، في جماعة كثيرة من المغاللة، وأضرهم أن يُفدوا
 السير حتى يتوسطوا المملكة : ثم يوقعوا بأهلها ويشتتوا البائرة على المدن والقرى .
 فقتل جوهر من ذلك وسفك الدماء وأستباح الحرم : وسبي ما لا يحصى ، وأتبعه
 خراساف ملك الترك حتى انتهى إلى مدينة بلخ ، فأحرق الدواوين وقتل لهراسف
 والهوابذة ، وهدم بيوت التيران ، واستولى على الأموال والكنوز ، وسبي أبنتين
 لإشتاسف وأخذ درقس كايان ، وسار في طلب إشتاسف فتحصن منه في جبل
 طميدر ؛ فعند ذلك ندم إشتاسف على ما كان منه في حق ابنه إسفنديار ؛ فيقال :
 إنه وجه من استخرجه من محبسه ، وجاء به ؛ فلما دخل عليه اعتذر منه ووعده
 عقد التاج على رأسه ، وأن يفعل معه كما فعل لهراسف به . وقطعه أضر عساكره
 وندبه لحرب ملك الترك . فطابت نفس إسفنديار بكلام أبيه له ، وتأهب لوقته ،
 وسار بالجنود صبيحة النهار نحو الترك . فلما قُرب منهم تبادلوا الحربة ؛ فكان
 من خرج إليه منهم جوهر من واندريمان ، فالتقوا والتحمت بينهم الحرب ، فانقض
 إسفنديار على عساكر الترك بنفسه واختلط بهم ، وقاتل حتى نل فيهم ثلثة عظيمة ،
 وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من محبسه ، وأنه هو الذي يقاتلهم ، فانهمزوا
 لا يلوون على شيء . واسترجع إسفنديار من الترك الدرقس وعاد إلى أبيه ، فاستبشر
 وأمره باتباع القوم وقتل خراساف وقتله — إن ظفر به — بيده لهراسف ، وقتل
 جوهر من واندريمان بمن قُتل من ولده . وأن يهدم حصون الترك ويحرق مدنهم
 ويقتل أهلها بمن قتلوا من أهل بلاده ، ويستنفذ من سبوه من بناته . فدخل
 إسفنديار بلاد الترك ورأى ما لم يَره أحد قبله ، واعترض الصفاء ورمأها على ما يزعم
 الفرس ، ودخل مدينة الصفو عنوة ، وقتل ملكها وأخوته ومقاتلته ، واستباح

أمواله وسي ذراريه ونسائه واستغذ أخيه، وكتب بالفتح الى أبيه . ولم يستقل إسفنديار هذا الملك .

والذي ملك الفرس بعد بشتاسف أردشير بهمن^(١) بن إسفنديار بن بشتاسف . وتفسير بهمن بالعربية : الحسن النية .

قال : ولما ملك أردشير انبسطت يده وتناول الممالك حتى ملك الإقليم . وكانت ملوك الأرض تحمل اليه الإتاوة، وأبقي بالسواد مدينة وهي المعروفة بيمينيا، وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان . قال : وكان بهمن كريما متواضعا . وكانت تخرج كتبه : من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمرهم . ويقال : إنه غزا رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل . ومن المؤرخين من ذهب الى أن بهمن هذا هو الذي جهز بختنصر لفزو العرب وغيرهم . وكانت مدة ملك أردشير [مائة^(٢) وأنتى عشرة سنة .

ولما مات ملكت بعده أخته جهاز هر ازاد، وهي جماني أم أبنته دارا . قال : وكانت قد حملت منه بدارا الأكبر وسأله أن يصفد التاج الذي في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل أردشير ذلك . وكان أبنته ساسان يتصنع للكل ولا يشك أنه يكون هو الملك بعد أبيه . فلما رأى ما فعل أبوه شق ذلك عليه، فليحق بإصطخر ورثه، ونخرج عن حلية الملوك، وأخذ غنيمة وكان يتولأها بنفسه، فاستنشق الناس ذلك

٣٨
١٣

(١) كذا في نسخة (ب) وتاريخ الطبري . وفي نسخة (١) « أردشير » بالزاي المعجمة .

(٢) هينيا ويقال لها هانية : قرية كبيرة كالبلدة بين جنداد والتهامة في وسط البرية ليس بقربها

شيء من المرات وهي في ضفة دجلة . (٣) الكلمة من تاريخ الطبري .

(٤) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (١) « جماني » بالحاء المعجمة . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٨٨

من القسم الأول) : « جماني » بالحاء المعجمة . (٥) استنشق الناس ذلك : استنشقوه واستهجنوه .

من فعله وقالوا : صار ساسان راعيا ، ولم تزل جماني قائمة بأمر الملك ، ضابطا له ، وأغزت الروم جيشا [بمسد جيش^(١)] وأوتيت ظفرا ، فقمعت الأعداء وشغلهم عن التطرق الى شيء من بلادها ، ونال رعيّتها بتدبيرها رفاحية وأمن الى أن كبر آبنها .

فلما دارا بن أردشير بهمن . قال : ولما كبر حول التاج الى رأسه ونزل بابل . وكان ضابطا للملك ، قاهرا لمن حوله من الملوك ، يؤدون اليه الخراج . وأبقى بفارس مدينة وسمّاها دارا بيجرد . ورتب دواب البريد . وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة .

وملك بعده آبنه دارا بن دارا بن أردشير ، وكان دارا هذا حقودا جبّارا ، فله قومه . وغزاه الإسكندر بن فيايس اليوناني ، والتقاوا واقتلوا قتالا شديدا ، فقتل دارا بن دارا . وسنذكر خبر مقتله في أخبار الإسكندر .

فهؤلاء ملوك الفرس الأول . ثم تبدد ملك الفرس وأنتزل قتل دارا بن دارا ، واستقل الإسكندر بالملك . وملك بعده من نذكره من ملوك اليونان ، وتفترق ملك الفرس أربع مائة سنة الى أن عاد الى بني ساسان . وهأنا ذا ذكر خبر ملوك الطوائف ما بين دارا بن دارا وأردشير بن بابك .

ذكر أخبار ملوك الطوائف

وملوك الطوائف هم الذين ملكوا بلاد فارس ما بين دارا بن دارا وأردشير ابن بابك الذي جمع ملك الفرس بعد تبدده ، ونظّمه بعد انتشاره . وكان من خبرهم أن الإسكندر لما قتل دارا بن دارا وغلب على بلاد الفرس هم بقتل أكابرهم ، فكتب الى معلمه أرسطاطاليس يستشير في ذلك ، فنهاه عن قتلهم وقال : هذا

من الفساد في الأرض ، وإذا قتلهم أنبتت أرض بابل امثالهم ؛ وأشار عليه أن يفترق المملكة بين أولاد الملوك ، فإنهم يتنافسون الملك فلا يجمعون على ملك واحد منهم ، فتي خالفك واحد كانت مؤنته عليك خفيفة ؛ ففعل ذلك ، وفترق الملك حتى أمكنه أن يتجاوز أرض فارس الى بلاد الهند والصين . فكانت ملوك الطوائف في إقليم بابل لا يدين بعضهم الى بعض .

فكان من ملوكهم الذين ملكهم الإسكندر : أشك بن دارا الأكبر ، فقوى أشك هذا وعظمته الملوك وقدموه على أنفسهم ، وبدأوا به في كتبهم إليه إجلاله ، وبدأ في كتبه اليهم بنفسه ، وسموه ملكا ، وأهدوا اليه من غير أن يطلبوه أو يستعمل أحدا منهم أو يعزله ، وكثرت جموعه وسار الى أنطيوخس ، وكان مقيا بسواد المراق من قبل الروم ، وتقدم أنطيوخس اليه وألقيا ببلاد الموصل وأقتلا فقتل أنطيوخس ، وطلب أشك على السواد ، وصار في يده من الموصل الى الرى وأصفهان ، ولذلك عظمته ملوك الطوائف .

ثم ملك جوذر بن أشكان . وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ؛ وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فسلطه الله تعالى عليهم فأكثروا فيهم القتل فلم يمد لهم جماعة بعد ذلك ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم القتل .

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانية ، فأولم أشك بن أشكان ، ثم ساور بن أشكان ، وفي أيامه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأرض فلسطين . ثم ملك جوذر بن أشغان الأكبر . ثم ملك يزن الأشغانى . ثم ملك جوذر الأشغانى . ثم رسي الأشغانى . ثم هرمز . ثم أردوان الأشغانى . ثم كسرى الأشغانى . ثم بلاش الأشغانى . ثم أردوان الأصغر .

الأشغاني . ثم اردشير بن بابك . فكانت مدة هؤلاء ، الى أن وثب أردشير بن بابك على الأردوان فقتله ، مائتين وستين سنة .
وفى أيام ملوك الطوائف اصططبت طهم وجطيين . ^(١) ومسند ذكر إن شاء الله خبرهم .

ذكر أخبار الملوك الساسانية

وهم الفرس الآخر . وأول من ملك منهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وكان من أعظم ملوك الطوائف وملوك الأشغانية ، فوثب بالأردوان وقتله واستولى على الممالك وقاد الملوك الى طاعته رغبة ورهبة . وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه : بسم الله ولي الرحمة . من أردشير المستأثر دونه بحقه . المغلوب على ثراث آبائه ، الداعي الى قوام دين الله وسنته ، المستنصر بالله ، الذي وعد المحققين ^(٢) الفلاح ، وجعل لهم العواقب ؛ الى من بلغه كتابي هذا من ملوك الطوائف . سلام عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق ، وإنكار الباطل والجور . ودعاهم الى الطاعة : فمنهم من أقبل له بالطاعة ، ومنهم من تریص حتى قدم عليه ، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والمهلك ؛ حتى استوفى له الأمر . فكانت طائفة الأشكانية ممن أمنت من طاعة أردشير ، فأقسم أنه لأيق منهم — إن قدر عليهم — رجلا ولا امرأة . فلما غلب عليهم ما نجا منهم إلا من أخفى اسمه ونسبه . وقد كان أخذ في جملة من أخذ منهم ابنة ملكهم ، وكانت بارة الجال . وافرة العقل . فلما رآها قال لها : أنت من بنات ملوكهم ؟ قالت : بل من خدمهم . فاصطفأها لنفسه ، فحملت منه . فلما علمت بالحمل شعرت نفسها وقالت : أنا ابنة ملكهم .

(١) اصططبت : أيدت .

(٢) الفلاح (حركة) : الفوز بما ينتبط به وفي صلاح الحال .

فبعد ذلك أمر شيخا من رجاله الذين يشق بهم يقال له هرجند^(١) [بن سام] بأن يودعها في بطن الأرض إشارة الى قتلها . فقالت : أيها الشيخ ، اني قد حملت من الملك فلا تُبطل زرعَه . ففعل لما سَرَباً تحت الأرض وجعلها فيه ، ثم عمد الى مذاكيره فجلبها ووضعها في حُقّ وختم عليه ورجع الى الملك وقال : قد اودعتها بطن الأرض ؛ ودفع له الحُقّ وقال : إن فيه وديعةً وأحب أن يكون عند الملك الى أن أحتاج اليه ، فاستودعه الملك ؛ وأقامت الحاربية في السَّرَب حتى بكت مدة حملها ، فوضعت غلاما فسماه الشيخ : شاه بور ، أي ولد الملك ؛ فسماه الناس سابور . وبقى أردشير هذا دهرًا لا يُؤَدُّ له ، فراه الشيخ في بعض الأيام وقد ظهر عليه الحزن ، وكان خاصا به ، فقال له : ما هذا الحزن سرتك الله أيها اذلك وعمرك ، فقال : من أجل أنه ليس لي ولد يرث ملكي . فقال له الشيخ : إن لك بندي ولدا طيبا فأدع بالحق . وأمر أردشير بإحضاره فأحضر ، ففَضَّ ختمه فإذا فيه ما اكبر الشيخ وكتاب فيه : إنه لما أمرني الملك بقتل المرأة الأشكانية التي علقَتْ من ملك الملوك أردشير لم أر أن أبطل زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الأرض كما أمرني ، وتبرأت اليه من نفسي لئلا يبعد عائب الي عيبها سيلا ؛ فسمي أردشير بذلك ، وأمر الشيخ أن يجعل الغلام بين مائة غلام من أشباهه في الهيئة وأقرانه في السن ، ثم يُدخلهم عليه ، ففعل ذلك ، ففرقه أردشير من بينهم وقبلته نفسه ، ثم أمرهم أن يلعبوا في حجرة الإيوان بالصوالج ، فدخلت الأكرة الإيوان ، فأحجم الغلمان عن دخولهم وأقدم سابور . فأمر أردشير عند ذلك بعقد التاج له .

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ٨٢٣ من القسم الأول طبع أوروبا) . وفي نسخة أ : « جندان » .

وفي نسخة ب : « جند » . - والتكلمة منه

(٢) كذا في الطبري ، وفي نسخة (ب) « برك » ، وفي نسخة (أ) « برك » .

وكان أردشير من أهل العقل والمعرفة وحسن التدبير، وله وصايا ومكاتبات صدرت عنه تدل على حكمة ورعاية عقل . وقد تقدم إيرادها في الباب الرابع^(١) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر .

- ٥ ثم ملك بعده أبنه سابور بن أردشير ، والعرب تسميه سابور الجنود . وسابور هذا هو الذي حصر القيص^(٢) ، وملك حصن الحضر ، وهو من مباني العرب المشهورة . وقد تقدم ذكره في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول ، وهو في السفر الأول . فلا حاجة الى إعادة ذكره .

- وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ قاردون وقال بالاثني ، فرجع سابور الى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ، ثم عاد الى دين الميوسية وترك المانيوية ، وهو المسمى عندهم بدين الثنوية . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة . وقيل إحدى وثلاثين سنة ونصف سنة وثمانية عشر يوما .

- ثم ملك بعده أبنه هرمز بن سابور ، وهو الذي يدعى هرمز البطل ، ويلقب أيضا بالجرى . وبني مدينة رامهرمز بين كور الأهواز . وكانت مدة ملكه سنة وعشرة أشهر .

- ١٥ ثم ملك بعده أبنه بهرام بن هرمز . قال : ولما ملك جاءه ماني الزنديق فعرض عليه مذاهب الثنوية فأجابه الى ذلك احتيالا منه عليه ، الى أن أحضره دعائه للمتفرقين في البلاد الذين يدعون باسم ماني مذاهب الثنوية . فلما أحضرهم اليه قتلهم وقتل ماني وساحه .

(١) في الأصل « الباب الثالث » وما أتبعه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة)

(٢) هو الخيزر بن صديقة من العبيد من قبيلة قضاعة و يلقب بالباطرون .

(٣) راجع (ج ١ ص ٣٩١ من هذه الطبعة) .

وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذين أضيفت إليهم الزندقة . وذلك أن
الفرس كان لم يكتب يسمونه السنا ، وكان له شرح يسمى الزند . فكان من أئامهم
بزيادة على ما في كتابهم يسمونه زنديا . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من
الفرس فعرّبته وقالت زنديق . فالثنوية هم الزنادقة ، فألحق هذا الاسم بسائر من
اعتقد القِدَمَ وأبى حدوث العالم وأنكر البعث .

والذي أتى الفرس بهذا الكتاب زرادشت في زمن الفرس الأول . وقد قدّمنا
ذكره في أخبار بشتاسف . وهذا زرادشت هو الذي تزعم المجهوس أنه نبيها الذي
أرسل إليها . وكان زرادشت خادماً شعيماً فلما شعيأ عليه قهرص . وكان صاحب
يُربَجات^(١) وصهر . وكان يحزُّ بعض الكواثر قبل أن تقع مما كان قد سمعه من شعيأ
وقت خدمته له ، وأدعى النبوة في المجهوس وعمل لم الكتاب الذي قدّمنا ذكره ،
وزعم أنه أنزل عليه من السماء ، وجعل كلامه فيه يدور على نيّف وسبعين حرفاً ،
فلم يقدر أحد منهم على قراءته فأختره لم وصي مختصره الزند .

فلما قام ماني بدين الثنوية سمّته المجهوس "زندين" وسمّوا أصحابه الزنادقة لأنه
زاد في شرعهم الذي شرعه لم زرادشت ، فقتل بهرام هذا مانياً وصلبه على باب^(٢)
من أبواب مدينة من مدنه بالعراق ؛ فيُدعى ذلك الباب إلى آخر وقت باب ماني .
وكانت مدة ملك بهرام ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثاً شهر .

ثم ملك بعده أبنته بهرام بن بهرام . قال : ولما ملك أقبل في أهله ملكه على
اللهم والصيد والثروة ، وترك ملكه لا يفكر فيه ولا في رعيته . فترك البلاد وتقصت

(١) البرجات : جمع برج . والبرج : أحد كالمرو ليس بسمر ، إنما هو تشبه وتليس .
(٢) مرالشي : قدومه بالحدس . (٣) في تاريخ الطبري (ص ٨٣٤) من القسم الأول
طبع أردب . « عامر يقتله وبلغ جلد ، وحشوه بئاً وتعليقه على باب من أبواب جنديسابور يدعى باب
المان » . (٤) في تاريخ الطبري : « ثلاث سنين » .

- بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأحيان ركب الى بعض متفرعاته وحيداً
 بفتح الليل وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قراء . فدعا بالموبذ لأمر خطر به ،
 والموبذ عند الجوس كالقسيس عند النصارى ، فجعل يحادثه فتوسطا في مسيرهم
 بين خرابات كانت من أمهات الضياع غربت في ملكه ، وإذا بوم يصبح وآخر
 يجاوبه ، فقال الملك : أترى أحداً من الناس أعطى قَهَمَ ما يقول هذا الطائر ؟
 فقال الموبذ : أنا أيها الملك ممن خصه الله تعالى بذلك . قال : فما يقول هذا
 الطائر ، وما يقول الآخر ؟ فقال الموبذ : هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى ويقول :
 متعنى من نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى . فأجابته البومة :
 إن الذى دعوتنى اليه هو الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر ، إلا أننى أشترط عليك
 شروطاً . فقال : وما هى ؟ فقالت : أن تُعطى من خرابات أمهات الديار عشرين
 قرية مما تحريت في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذى قال الذكور ؟
 قال الموبذ : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف
 قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد ، فتقطع كل
 واحد من الأولاد صبغة . فقال الذكر : هذا سهل ما حَيَّيَ الملك .
- ١٥ فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذ عمل في نفسه وفكر فيما خطب به ،
 فزل من ساعته وخلا بالموبذ وقال له : ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به ؟ فقد حركت
 منى ما كان ساكناً . فقال : صادفت من الملك وقت سعيد بالعباد والبلاد ، فجعلت
 الكلام مثلاً وموقظاً على لسان الطائر عند سؤال الملك إياى . فقال له الملك :
 أيها الناصح لللك ، [المنبه على] ما أغفله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمور بلاده
 ورعيته ، اكشف لى عن هذا الغرض ما المراد منه . فقال له : أيها الملك ! إن الملك

لا يَتَمَّ إلا بالشرعية والقيام به بطاعته ، ولا قِوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عزَّ للالك إلا بالرجل ، ولا قيام للرجال إلا بالمال . ولا سبيل للال إلا بالمهارة ، ولا سبيل للمهارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين البرية . نصبه الرب وجعل له قِيَّاً وهو الملك .

قال : أما ما وصفت فحق ، فَأَيُّ لِي عما إليه تقصد ، وأوضح لي في البيان .
 قال : نعم أيها الملك ! عمدت إلى الضياع فأقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعملوا المنفعة وتركوا المهارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومعوا في الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمَّار الضياع فأقبلوا عن ضياعهم ، وقلت الأموال ، وهلكت الجند والرعية ، وطِمَع في ملك فارس من طمع فيه من الملوك والأئمة ، لعلمهم باقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام . وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب العواوين ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية ورُدَّت إلى أربابها ، وحِيلوا على رسومهم السائلة ، وأُخِذوا بالمهارة ، وقَوِيَ من ضعف منهم ، وعمَّرت البلاد ، وكثرت الأموال ، وقويت الجند ، وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد ، لما عمَّ الناس من الخصب ، وشملهم من العدل . وكان ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك أبنته بهرام بن بهرام بن بهرام البطل ، وكان يدعى سكان شاه ، وهو الذي يقال له شاهنشاه . فكان ملكه أربعين سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك بعده أخوه ترسي بن بهرام الثاني فكان ملكه تسع سنين . وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك . (٢) في تاريخ الخبزي : « أربع سنين » .

ثم ملك بعده هرمز بن هرمي . قال : وكان فظا إلا أنه كان يرفق بالربة ، وكان حسن السيرة فيهم . وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر .

ثم ملك بعده سابور بن هرمز ، وهو الملقب بذي الأكتاف . وكان هرمز قد تركه حملا في بطن أمه ، فقددوا التساج على بطنها ، وقام الوزراء بتدبير الأمر مدة حملها ، وفي مدة رضاع سابور وطفولته وصغره حتى كبر ، فكتب إليه الناس الكتب من الآفاق وأجابهم ، ووجه البريد إلى الآفاق والأطراف ، ورتب الوزراء والكتاب وقصر المال .

قال : وكان قد شاع في الممالك أن ملك الفرس صغير السن ، وأنه يتدبر برأى وزرائه ، ولا يدرى ما يراد منه ، ولا ما يكون من الأمر ، فطمع في مملكة الفرس الترك والروم والعرب . وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى الفرس بلاد العرب . وكانت العرب من أحوج الأمم إلى تناول شيء من المعاش لسوء حالهم وشظف عيشهم ، فانبسطت أيديهم في البلاد وغلّبوا أهلها عليها وآتست حالهم وكثرت مواشيهم ، وأفسدوا في بلاد فارس ، ومكنوا كذلك حيناً ، وقد أمنوا جانب الفرس وأطمأنوا من قتالهم لقلة هيبتهم . وكان الذي غلب على سواد العراق من العرب جمره العرب ولد إيباد بن نزار . وكان يقال لها طبق لإطباقتها على البلاد ، ١٥ ولمّا فيها يومئذ الحارث بن الأغبر الإيادي . قال : ولما ترعرع سابور جعل الوزراء يعرضون عليه أمر الجنود الذين في الثغور ، وأن الأخبار وردت عليهم أن أكثرهم قد أحلّ ، وعظموا عليه الأمر وهزلوه ، فقال لهم : لا يؤولنكم ذلك ، فالخطب فيه غير جسيم ، والحيلة في ذلك يسيرة . وأمر الكتاب أن يكتبوا إلى أولئك الجنود أنه قد انتهى إلى طول مكثكم في النواحي التي أتم فيها ، وعظم حنائكم وذبحكم عن ٢٠ إخوانكم وأوليانكم ، فمن أحب منكم الانصراف إلى أهله فليصرف ما فؤاده في ذلك ،

ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرفنا له ذلك ؛ وتقدم الى من اختار الانصراف منهم بلزوم أهله وولاده الى وقت الحاجة إليه . فلما سمع الوزراء قوله ورأيه استحسونه وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور وسياسة الجنود مازاد على ما سمعناه . ثم نتابعت آراؤه في تقويم أصحابه وقع أحداثه ؛ حتى إذا تمت له ست عشرة سنة جمع أساوره وأمرهم بالاستعداد لقتال العرب . وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط^(١) ، فكتب الى إياد شعرا ينذرم وهو :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث آتيكم دليفا^(٢) فلا يحبسكم سوق النقاد
أناكم منهم سبعون ألفا^(٣) يزجون الكائب كالجسراد

١٠

(١) هو لقيط بن بكر ، شاعر جاهل قديم نقل ، كما ورد في كتاب الأغاني (ج ٢٠ ص ٢٣ طبع بلاق) .
وفي المثلث والخلف في أسماء الشعراء وكتاتم للأندلس (ص ١٧٥ طبع مصر) وكتاب الاشتهاق لابن دريد (ص ١٠٤ طبع أوروبا) : « لقيط بن معبد الإيادي » . وفي كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب »
لمحمد بن المبارك المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش خمس وثلاث
(من ص ٣٥٠ — ٣٥٩) كتب في أولها : « ديوان شعر لقيط بن يسر الإيادي » ، وتشتمل هذه
الورقات على الأبيات المذكورة هنا وقصيدته الغنية المشهورة التي مطلعها :

١٥

بإدار عسرة من محتلها الجرها هاجت لي الهم والأحزان والريسا

(٢) كذا في شرح القاموس مادة « دلف » والمثلث والخلف . وفي الأصول : « يأتيكم دلائنا »

وهو مخريف . وورد هذا البيت في الأغاني ومنتهى الطلب هكذا :

بأن الليث كسرى قد أناكم فلا يشلكم سوق النقاد

٢٠

وقوله : « آتيكم دليفا » يريد : يأتي شئ انتريد . والنقاد : الغنم .

(٣) في المثلث والخلف ومنتهى الطلب :

* أناكم منهم ستون ألفا *

فلم يسيثوا بكابه ، وسراياهم تَكَرَّحُوا المَراقَ وتُفِيرُ على السواد . فلما تَجَهَّزَ القوم نحوهم ظَفَر بهم سابور فَمَتَّهم بالقتل ، وما أَثَلت منهم إِلَّا تَفَرَّقُوا بِأَرْض وَبَارٍ^(١) ، وخَلَعَ سابور أَكْثافَ كثير منهم ، فَذلِكَ سُمِّيَ ذَا الْأَكْثَافِ . وكان سابور في مسيره أتى البحرين وفيها بنو تميم فَهَرَبُوا ، وَشِيعَها يَوْمَئِذٍ عمرو بن تميم بن مرة وعمره ثلثائة سنة ، وكان يُعَلِّقُ في عمود البيت في قَفَّةٍ ، فَأَرَادُوا حمله فَأَبَى عليهم إِلَّا أَنْ يَتْرَكُوهُ في ديارهم وقال لهم : أَنَا هَالِكُ الْيَوْمِ أَوْ غَدًا فَتْرَكُوهُ . فلما صَبَحَتْ خَيْل سابور الدِّيارَ لَقَوْها خَالِيَةً ، فلما سَمِعَ عمرو صَيْلَ الْخَيْلِ جَعَلَ يَصِيحُ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، فَعَمِلَ إِلَى سابور ، فلما نَظَرَ إِلَى دَلَائِلِ الْحَرَمِ وَصُرُورِ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْفَانِي ؟ قَالَ : أَنَا عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ بِنِ مَرَّةٍ ، قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ مَا تَرَى ، وَقَدْ هَرَبَ النَّاسُ مِنْكَ لِإِسْرَافِكَ فِي الْقَتْلِ ، فَآثَرَتِ الْفِتْنَاءُ عَلَى يَدَيْكَ لِبَيْعٍ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قَوْمِي ، وَلَمَلِ اللَّهُ يُجِيرِي عَلَى يَدَيْكَ فَرَجَهُمْ ، وَأَنَا سَائِلُكَ عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَذْنْتُ فِيهِ ؟ فَقَالَ سابور : قُلْ نَسْمَعُ ، فَقَالَ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى قَتْلِ رَعِيَّتِكَ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ ؟ فَقَالَ سابور : أَقْتَلَهُمْ لَمَّا ارْتَكَبُوا فِي بِلَادِي وَأَهْلِ مَمْلَكَتِي ؟ فَقَالَ عمرو : فَضَلُّوا ذَلِكَ وَلَسْتَ بِقِيَمٍ عَلَيْهِمْ ؟ فَلَمَّا مَلَكَتْ وَقَفُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ هَيْبَةً لَكَ ؟ قَالَ سابور : وَأَقْتَلَهُمْ لِأَنَّا نَجِدُ فِي مَغْزُونِ عَدَدِنَا وَمَا سَلَفَ مِنْ أَنْبَاءِ أَوَائِلِنَا أَنَّ الْعَرَبَ مُسْتَبَالٌ عَلَيْنَا . فَقَالَ عمرو : هَذَا أَمْرٌ تَظُنُّهُ أَمْ تَحْقِيقُهُ ؟ قَالَ : بَلْ أَتَحْقِيقُهُ وَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ ؟ فَقَالَ عمرو : فَلِمَ تَسْمَى إِلَيْهَا ؟ وَاقِهُ لَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهَا وَتُحْسِنَ إِلَيْهَا لِيَكْفُتُونَ قَوْمَكَ عِنْدَ إِدَالَةِ الدُّوَلِ إِلَيْهِمْ بِإِحْسَانِكَ ، وَإِنْ أَنْتَ طَالْتَ بِكَ الْمُدَّةَ كَافَتُوكَ عِنْدَ مُصِيرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ إِنْ كَانَ حَقًّا ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَلِمَ تَسْجِلُ الْإِثْمَ وَتَسْفِكُ دِمَاءَ رَعِيَّتِكَ ؟ فَقَالَ

(١) في مروج الذهب لعمري (ج ١ ص ١٢٢) «أرض الزوم» ، و«و بار» على وزن فطاء .
وحذام : أرض واقعة ما بين الشحر إلى تخوم صنعاء . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

سابور : الأمر صحيح وإنشأ ما قلت ، وتحمّد صدقت في القول ونصحت .
فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف . ويقال : إن عمر أبق بعد هذا
الوقت ثمانين سنة .

ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن وقتل خلائق من الروم وقال لمن

معه : إني أريد أن أدخل بلاد الروم متنكرا لأتمتّف أحوالهم وسيروهم ومسالك^(١)

بلادهم . فإذا بلغت من ذلك حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود ،

فخدروهم التفرير بنفسه فلم يقبل قولهم . وسار متنكرا إلى أرض الترسطانية فصادف

وليمة لقيصر اجتمع فيها الخاض والعاسم ، فدخل في جملةهم وجلس على بعض

موائلهم . وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره وجاء إلى قيصر

بالصورة ، فأمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى^{١٠}

بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة

التي على الكأس ، وسابور مقابل له ، فانطبعت مثالا لصورة سابور . فقام إلى

الملك فأخبره ، ففشل بين يدي الملك . فسأله عن خبره فقال : أنا من أساورة

سابور وهربت منه لأمر يخفته منه . فلم يقبل ذلك منه ، وقُدّم إلى السيف فأقر^(٢)

بنفسه ، فجعل في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنود حتى توسط العراق ، فافتتح^{١٥}

المدن ، وشن الغارات ، وعقر النخل ، وانتهى إلى مدينة نيسابور ، وقد تحصن بها

وجوه فارس ، فقتل عليها وحضر عبدا للنصارى فأغفل الموكلون بسابور أمره ،

وأخذ منهم الشراب . وكان بالعرب من سابور أسارى من الفرس ، فرأطهم بالفارسية

أن يحلّ بعضهم بعضا ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا . فلأن عليه

(١) كذا في كتاب المصنف لابن قتيبة (ص ٣٢٤ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « عاك » .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٤ طبع بلاق) . وفي الأصل : « إليه » .

(٣) الزقاق : جمع زق (بالكسر) ، والزق جند يجر زنة ينفخ يستعمل للشراب وغيره .

الجلد وتخلص، وأتى المدينة فراعطنهم فرغموه بالحبال، ففتح خزائن السلاح ونزع على الروم فكبح جيشهم عند ضرب النواقيس، فانهزم الروم، وأتى بقبصر أسيرا، فأتى عليه وضم إليه من أسير من أصحابه، وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التي عقروها، ولم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك. وفي فعل سابور ودخوله الى أرض الروم يقول بعض شعراء الفرس:

وكان سابور صفوا في أرومته * اختير منها فاضى خير غمار
إذ كان بالروم جاسوسا يحول بها * حوم المنية من ذى كيد مكار^(١)
فاستأسره، وكانت كبوة عجبا * وزلة سبقت من غير عشار
وأصبح الملك الرومي مفتربا * أرض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالأبواب فافتروا * كما تجأوب أسد الغلب بالنار^(٢)
بخذ بالسيف أصل الروم فامتحقوا * لله درك من طلب أوتار
إذ يفرسون من الزيتون ماعضدوا * من النخيل وما حقوا بمنشار^(٣)
وسابور هذا هو الذي بنى الإيوان المعروف بإيوان كسرى، وبنى السوس
الكرج ونيسابور. قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وبنى بالسواد مدينة

- رحس سابور، وبنى الأنبار. قال: وبنى مدائن أخر بالسند ومجستان، ونقل
١٥ (١) كذا في مروج الذهب. وفي الأصل: «جزل البرية». (٢) كذا في مروج الذهب.
١٠. الأصل: «الغار». (٣) السوس: مدينة قديمة بمخوزستان فيها قبر داهان التي ولها بائين
وردد في معجم ليدان لياقوت أن أول من بنى كور السوس وحفر أنهرها وديري بن نهجن. (٤) الكرج:
وتسمى قديما أيرا، وهي بين جبال القجج من الشمال وأرمينية وأران من الجنوب، وأخير مدنها: تغليس
وباكور. وأسم الكرج مشتق من نهو الكر الذي يجري هناك، وهي إقليم القوقاز الآن. (٥) نيسابور:
حاضرة خراسان، واسمها أيضا «نساور» وكانت قاعدة الدولة الظاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ).
٢٠ (٦) الأنبار: هي «فيروز سابور» مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ١٠ فراسخ على نهر الفرات
قرب محصر نهر عيسى. واختلف المؤرخون فيمن بناها، فقيل هو سابور بن هرمز (ذو الأكتاف)
كما أورده المؤلف هنا. وقال ابن الأثير: بنيت الحسيرة والأنبار أيام بختنصر. وخصت هذه المدينة
في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ من الهجرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه.

طيبيا من الهند وأسكنه السوس ، فورث طِبَهُ أهلُ السوس . وهلك سابور بعد اثنتين وسبعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أردشير بن هرم وهو أخو سابور بن هرم هذا . قال : ولما ملك ظهر منه شر كثير وقتل من العظماء وذوى الرئاسة خلقا كثيرا ، فاجتمع الناس على خلعه فخلعوه بعد أن ملك أربع سنين .

ثم ملكوا عليهم بعده سابور بن سابور . قال : ولما ملك استبشرت الرعية برجوع ملك أبيه إليه ، فأحسن السيرة ورفق بالرعية . وكانت له حروب كثيرة مع إياد بن زادر وغيرها [من العرب ^(١)] ، وفيه يقول شاعر إيادى :

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

وكان ملكه خمس سنين وأربعة أشهر ، وسقط عليه فسقاط كان ضرب عليه فمات .

وملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف ، وهو الملقب بـ كُرمان شاه ، لأن سابور كان ولّاه كُرمان . قال : وكان حسن السيرة ، جميل السياسة ، محمود الأثر ، محباً للرعية . وكان ملكه عشر سنين . وقيل إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما .

وملك بعده ابنه يزيد جرد بن بهرام المعروف بالأنيم . قال : وكان فظاً غليظاً ، ذا صيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وهيبته ما آتاه الله من ذكاء ذهن وحسن أدب في غير موضعهما ، وذلك أنه كان كثير الروية في المضامير الأمور ، واستعمل الذى أوتيته في الدهاء والخيل ، واستخف بكل علم كان عند الناس ، واحتقر آدابهم ، وتعاظم عليهم واستطال بما عنده . وكان مُعجِباً بنفسه سيئ الخلق ، حتى بلغ من شدته وحذته أنه كان يستعظم صغار الزلات ، ولا يرضى في عقوبتها إلا بما لا يُستطاع .

(١) الزيادة من مروج الذهب .

- وكان لا يقدر أحد من بطائنه — وإن كان لطيف المترلة منه — أن يشفع عنده لمن أتبل به وإن كان ذنب المبتلى به يسيرا، ولم يكن يأمن أحدا على شيء أبته، ولا يكافئ على حسن البلاء . وكان يتشد بالخسيس من المعروف اذا أولاه ويستجزل ذلك ، فإن جسر على كلامه أحد في أمر قال له : ما قدر جمالك في هذا الأمر الذي كلفتنا فيه ، وما الذي يدل لك بسببه ؟ وما أشبه ذلك . فلما اشتدت بلية الناس به ، وكثرت إهانتهم للعظماء ، وأكثر من سفك الدماء ، واستعمل الضعفاء في الأعمال الشاقة ، وحملهم مالا طاقة لهم به ، تضرعوا الى الله عز وجل وسأله أن يقيضهم منه . فزعم الفرس أنه كان ذات يوم مطلعا من قصره إذ رأى فرما عاترا لم ير مثله قط في الخيل من حسن الصورة وتمام الخلقة حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس من ذلك ، فأمر يزدجرد أن يسرج ويحجم ويدخل عليه به ، فحاول السؤاس وأصحاب المراكيب أن يلجموه أو يسرجوه فميجزوا عن ذلك ، ولا مكثهم الفرس من نفسه ، فخرج يزدجرد بنفسه الى الفرس وتقدم اليه وأسرجه وألجمه ولبيبه وهو لم يتحرك ، فلما استدار ورفع ذنبه ليثفره رعه الفرس على فؤاده رجة فهلك منها لساعته ، ثم لم يمان الفرس بعد ذلك ، فأكثر الفرس في حديثه فظنوا الظنون . وكان أحسنهم مذهبا وأمثلهم طريقة من قال : إنما استجاب الله عز وجل دعاءنا . فكان ملكه الى أن هلك لإحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وعثمانية عشر يوما . وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين .

قال : وكان أبنته بهرام جور في حجر النعمان بن المنذر بن ماء السماء أسلمته أبوه اليه ليربيته بالحيرة لصحة هواها . وقد تقدم خبره في ذكر بناء الخورنق والسدير .

(١) أقهره : وضع الفرس تحت ذنبه . والفرس (بالتحريك ويسكن) السير الذي يوضع في مؤنر الرحل ونعت ذنب الدابة . (٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٥ من هذه الطبعة) .

فعدل الفرس عنه لسوء أثر يزدجرد فيهم ومذكرو عليهم كسرى، وهو رجل من عترة ساسان، فاستعان بهرام جور بالعرب وأرسل في الفرس وأعلمهم إنكاره سيرة أبيه، ووعدهم بإصلاح ما فسد. وأنه إن مضى للملك سنة ولم يَفِ لهم بما بذل تبرا من الملك طامعا، قال إليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى، قراضوا أن يوضع تلج الملك بين أسدين مُشْبِلَيْن فن تناوله فهو الملك. وكان بهرام جور شجاعا بطالا، فلما وقف هو وكسرى إلى جانب الأسدين هابهما كسرى، فوثب بهرام جور فإذا هو على ظهر الأسد وعصر جنبه بضمه، فلما تمكن منه قبض على أذنيه، ولم يزل يضرب رأس الأسد برأس الآخر حتى قتلهما. فكان كسرى أول من هتف به وأذعن له.

فلك بهرام جور بن يزدجرد، فأحسن السيرة، وجلس سبعة أيام متوازية للجد والريّة، يَدْمُهُم الخير من نفسه ويَحْضُمُهُم على تقوى الله وطاعته. وكان جلوسه على سرير الملك وهو ابن عشرين سنة، فَنَبْرُ زمانا وهو يحسن السيرة، وَيَعْمُرُ البلاد، ويدُرُ الأرزاق، ثم أَمَرَ اللهو على ذلك وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي حتى كَثُرَتْ عليه الملامة من أرباب دولته، وطَمِعَ مَنْ حوله من الملوك في استباحة بلاده والغلبة على مُلْكِهِ. وكان أول من سبق إلى مغالبتته ومكاثرتِه خاقانُ ملك الترك، وغزاه في مائتي ألف وخمسين ألفا من الأتراك، فبلغ الفُرس إقبالَ الترك في هذه الجموع العظيمة فهالهم ذلك، ودخل على بهرام جور جماعة من عظماء الفرس وأهل الرأي والتجدة وقالوا: أيها الملك، قد أَرَهَقَكَ مِنْ بَأْتِئَةِ عَدُوِّكَ مَا يَشْغَلُكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ اللهو والتلذذ، فتأهب له لئلا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار. وكان بهرام لثقتَه بنفسه ورأيه يجيب القوم بأن يقول: الله ربنا قوت ونحن أوليائُه. ثم يقبل على ما هو عليه من اللهو والصيد:

قال: ثم أظهر بهرام جور التجهز الى أذربيجان ليتنفسك في بيت نارها، ويتوجه
 منها الى أرمينية ويتصية في آجامها، وسار في سبعة رَهْط من غطاء الفرس وأهل
 البيوتات، وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس وشدة ونجدة، واستخلف أخاه له يقال له
 نرسي على ملكه، فهاشك الناس - لما بلغهم ذلك - أنه هرب من خاقان، فتأمر
 الفرس في مراسلة خاقان والاقبياد الى طاحته والإقرار له بالخراج، غفافة منه أن
 يستطيع بلادهم، فاتصل هذا الخبر بخاقان فاطمان وترك التحفظ والاستعداد وآثر
 المسالمة. وتعرف بهرام خبر خاقان وحال جنده وما هم عليه من العظماءينة والفتور
 وعدم الاستعداد، فسار بمن معه وبیت خاقان وقتله بيده. فلما علم الإثراك أن
 ملكهم خاقان قد قتل انهزموا لا يلبثون على شيء وخلفوا أبقالم وأموالم. فكثر
 بهرام فيهم القتل وأمن في طلبهم، وحاز غنائم لم يسمع بمثلا، وسي من فزيتهم كثيرا.
 وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاد الترك وانصرف بالظفر والغنائم،
 وكتب الى أهل مملكته يعلمهم بما حصل له من الظفر بخاقان وجموعه بمن كان معه
 من أولئك القوم الذين استصحبهم معه.

وكان بهرام يتكلم بلغات كثيرة، منها اللغة العربية. ومما حُفِظَ من شعره
 يوم ظفّره بخاقان:

أقول له لما فَضَضْتُ جموعه * : كأنك لم تسمع بصولات بهرام
 وأنى حاشى مُلْكَ فارس كلها * وما خير مُلْكٍ لا يكون له حاشى
 ومن شعره أيضا:

لقد علم الأنام بكل أرض * بأنهم قد أضمحوا الى عبيدا
 ملكت ملوكهم وقهرت منهم * عنزهم المسود والمُسودا

فصلك أسودهم تبغى حذارى * وترهب من غنائى الورودا
وكتت إذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكتائب والجندودا
فيعطىنى المقادة أو أواق * به يشكو السلاسل والقيودا

قال : ولما قُتل خاقان بث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر فزاهم
وأقروا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية . قال : وأسقط بهرام جور عن رعيته إثر
هذا الظفر نراج ثلاث سنين ، وترك ما كان قد بقى من الخراج ولم يُستخرج من
قسط تلك السنة ، وكان سبعين ألف ألف درهم ، وقسم في الفقراء مالا عظيما
وقى أهل البيوتات والأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وتحمل بيت النار
بأذر بيمان جميع غنمه من الترك من البواقيت والجواهر والتاج والإكليل .
ويقال إن بهرام دخل إلى أرض الهند متنكرا فكث حين لا يُعرف حتى بلغه أن
فيلا قد هاج وقطع السبل وأهلك الناس ، فسألم أن يدلوه عليه ، فرفع أمره إلى الملك
فأرسل معه رسولا ، فلما انتهى إليه أوفى الرسول على شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل ،
فصرخ بالفيل فخرج إليه ، فجعل يرميه ويثبت النشاب بين عينيه ، ثم دنا وأخذ يمشفوه
وجذبه جذبة ختر منها الفيل ، ثم أحتر رأسه وأقبل به إلى الملك فباه وأحسن إليه .
ثم إن ملكا من أعداء ذلك الملك أقبل لغزوه فجزع ذلك الملك من كثرة
جنود الملك الذى أتى نحوه ، فقال له بهرام : لا حول لك أيها الملك أمره ،
فركب بهرام وقال لأساورة الهند : احوا ظهري ، وانظروا إلى حملى ، وكانوا لا يحسبون
الزى ، وأكثرهم رجالة ، فحمل عليهم حملة هدم بها ، ثم جعل يضرب الرجل فيقطعمه

(١) في مروج الذهب للسعدي « تحق » والإفهام : أن يلقى اليه بالأرض . ينصب ساقه

ويضع يده على الأرض . (٢) تشاوس اليه ، نظر اليه بمؤثر العين تكبرا .

(٣) أوفى : أشرف عليها .

- مصفين ، وباتى الفيل فيضرب مشفره ويكبه ويأخذ من عليه فيقتله ، وياخذ العارس فيدبجه على قريوس سرجه ، وبتلول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان جميعا ، ويرى فلا تفع له ثمنه إلا فى رَجُل ، فولوا أمانة منهزمين ، وحمل الذين كانوا يحرسون ظهورهم فأكثروا القتل فيهم ، فزوجه ملك الهند بنته ونمَّله الديبل^(١) ومكران وما يليهما من أرض الهند وأشهد له بفلك ، وأنصرف بهرام جور إلى مملكته وضمَّ ذلك إلى بلاده وحمل نراجها إليه ، ثم أغزى بهرام جور أخاه نزيى إلى بلاد الروم فى أربعين ألفا فدخل التسطنطينية وهادن ملك الروم على إتابة يجهلها إلى أخيه ، ثم مضى بهرام جور إلى أرض السودان على طريق اليمن فأوقع بهم وعاد إلى مملكته وهلك بسد ذلك فى ماء . وذلك أنه توجه إلى الصيد فشذ على غير وأمن فى طلبه ، فارتطم فى ماء فى سبخة ففرق فيه ، فسارت أمه إلى ذلك الموضع بمال عظيم ونزلت بالقرب منه ، وأمرت بإتفاق تلك الأموال على من يخرجها ، ففعلوا طيئا عظيما وحماة كثيرة حتى صار من ذلك آكاما عظاما ولم يقدرُوا على [استنقاذ^(٢)] جثته . وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة .

- وحكى عنه فى صفوه ما يدل على نباهته ، وجسوة فكره وجميل رأيه . فن ذلك أنه قال للنعمان بن المنذر لما بلغ عمره خمس سنين : أحضر لى مؤدبين ليعلمونى الكتابة والفقه والرأى والفروسية . فقال له المنذر : إنك بعدُ صغير السن ، ولم يَأْن لك ذلك بعدُ . فقال له بهرام : أما تعلم أيها الرجل أنى من ولد الملوك ، وأن الملك

- (١) الديبل (فتح) الدال المشددة وسكون الياء التحتية وضم الباء الموحدة) : بلد صغير شديد الحر على شط ماء الهند ، وهى من أكبر قرىه وأشهرها ، وبها حمم كثير ، ويجب إليها القتر من البصرة ، ويجب منها المتاع الديبل . ومكران (بضم الميم وسكون الكاف) : بلدة من بلاد كرمان وهى ناحية واسعة عريضة والغالب عليها القانوز والقنط وقنط الضيق . ملخصا من كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء ، طبع باريس .
- (٢) الزيادة عن كتاب غرر ملوك القرس وسيرهم للتمالي (ص ٦٨ • طبع أوروبا) .

صائر إلى ، وأولى ما كلف به الملوك وطلبوه صالح العلم ، لأنه زين لهم وركن ، وبه يعرفون . أما تعلم أن كل ما يتقدم في طلبه ، ينال في وقته ، وما لم يتقدم فيه ويطلب في وقته ، ينال في غير وقته ، وما يقترط فيه وفي طلبه يغوت ولا ينال ؟ تجل على بما سألتك . فبعث المنذر من ساعته إلى باب الملك من أتاه برهط من المعلمين الفقهاء والرماة ، وجمع له حكام الروم وفارس وغيرهم ، وألزمهم إياه ، ووقت أوقافا لكل منهم ؛ فتعلم بهرام من كل علم أحسنه ، وسمع الحكمة ووعى ما سمع منها ، وتقف كل ما علم بأسر شيء ، وبلغ أربع عشرة سنة ، وقد فاق معلميه ، وحفظ للنعمان حق التربية ، فلما علم على العرب لما صار الملك إليه .

ولما هلك بهرام جور ملك بعده أبنته يزدرجرد بن بهرام جور ، فسار بسيرة أبيه ، ولم يزل قائما لعنوه ، كثير الرقى برعيته . وكان له أبنان أحدهما يسمى هرمز ، والآخرفيروز . ودام ملك يزدرجرد تسع عشرة سنة ، وقيل ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم هلك .

فتقلب على الملك بعده ابنه هرمز بن يزدرجرد . ولما ملك هرمز هرب منه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة^(١) ، وأخبر ملكها بقصته وقصة أخيه هرمز ، وذكر أنه أحق منه بالملك ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل به أخاه ، فأبى عليه ملك الهياطلة وقال : سأعلم خبره ثم أمرك بعد ذلك بما تفعل . وكشف ملك الهياطلة عن خبر هرمز وتعرف أحواله فبلغه أنه غشوم ظلوم ؛ فقال عند ذلك : إن الجور لا يرضاه الله تعالى ، ولا يصلح عليه الملك ، ولا تقوم به سياسته ؛ وأمد فيروز بالعساكر ودفع له الطالقان^(٢) ، فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان وطوائف خراسان ، فظفر بأخيه فحبسه .

(١) الهياطلة : الهند ، وهم بين بخارى ومرو .

(٢) طالقان : بلدة بخراسان بين مرو الريز وبلغ فيها دين مرو الريز ثلاث مراحل وهي أكبر مدينة بطخارستان . عن (معجم البلدان لياقوت) .

وملك فيروز بن يزدجرد . ولما ملك أظهر العدل وحسن البيرة ، وكان يتدين إلا أنه كان مشغوما على رعيته ، فقيحط الناس في زمانه سبع سنين ، فأحسن فيها إلى الناس ، وقسم ما في بيوت الأموال . ويقال : إن الأنهار غارت في مدة القحط ، وكذلك الفنى والعيون ، وحلت الأشجار والنباض ، وهلكت الوحوش والطير ، وجاءت الدواب حتى كادت لا تطيق الحموله ، وعم أهل البلاد الجهد والمجاعة ، فبلغ من حسن سيامة فيروز لهذا الأمر أن كتب إلى جميع الرعية : أنه لاخراج عليكم ولا جزية ولا سنيرة ، وأنه قد ملكهم أنفسهم ، وأمرهم بالسعى فيما يقوتهم ويصلحهم ، وكتب بإخراج ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس ، وترك الاستئثار عنهم وتساوى بهم ، وأخبر أهل النفى والشرف ، بكل مدينة وقرية ، أنه إن بلغه أن إنسانا مات جوعا عاقب أهل تلك المدينة أو الجهة التي يموت بها ، ويتكفل بهم أشد التكفل . فليل أنه لم يهلك في هذا القحط والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رستاق^(١) .

قال : ثم أغاثه الله فأمطرت السماء ، وجرحت الأنهار ونبتت العيون ، وصلحت الأشجار ، وسمنت المواشى ، فاستوثق له الملك ، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم . وبني مدنا إحداها بين جرجان [و باب صول^(٢)] وأخرى بتاحية آذر بيجان . ثم سار بجنوده نحو خراسان لقصده حرب أخشنوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه ، ولأن الهياطلة كانوا يأتون الله كران ويركبون الفواحش فدأر اليهم ، فلما

(١) رستاق (بضم الراء) : مدينة بفارس من ناحية كومان .

(٢) النكة من الطبرى (ص ٨٧٤ من القسم الأول) .

(٣) كذا في تاريخ الطبرى وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٧) . وفي الأصل « اخشنوار » .

بلغ أخشنوار ملك الهياطلة خبره خافه وأشتد رعبه منه ، وعلم أنه لا طاقة له به ، وأن
جيشه يضعف عن مقابلة الجيوش التي أقبل بها فيروز فخاف في أمره ، فتنقذ اليه
رجل كبير السن من أهل بلاده وقال : أنا أفدى الملك وأهل مملكته بنفسى ،
فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر في جسدي آثار العقوبة بضرب السياط ،
ويؤلفني في الطريق التي يمر فيروز بها ، ويحسن إلى ولدي وعيالي الذين أحلقهم ؛
ففعل به ذلك وأمر بإلقائه في الطريق . فلما مر به فيروز أنكر حاله ، فأخبره أن
أخشنوار فعل به ذلك ، لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار بعبوديته ،
وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يرضيه ، فرق له الملك فيروز ورجله وأمر
بحمله معه ، فنهاه أكابر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم ، ثم قال له ذلك الأقطع
كالتمنح^(١) له : أنا أدلك الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد
أخشنوار ، فتصادف غيخته ، وسأله أن يشتري له منه . فاعتر فيروز بذلك ، وأخذ
الأقطع بفروز ومن معه وصل بهم عن الطريق الحادة وشرع يقطع بهم مفازة
بعد مفازة . فلما شكوا العطش متألم بقرب الماء وقطع المفازة . ولم يزل يتقدم
بهم حتى بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرُونَ فيه على التقدّم ولا الرجوع ، فتبين لهم
أمره ، ففندما سقَطَ في أيدي القوم وقالوا لفيروز : ألم تنهك عن هذا الرجل فلم
تنه ؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش ، ومضى على وجهه بمن نجا معه ، فوافق أخشنوار
وقومه ، وهو ومن نجا معه على أسوأ حال ، وقد أجهدهم العطش ، فدعوا أخشنوار
إلى الصالح على أن يُعْطِيَ سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم ، وطاهدوه على ألا يفزّوهم
أبدا ، فرضى أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يعمل بينهما حدا لا يتجاوز
واحد مئمتما ، ووضَعَ عند الحد حجر ، وحلقه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر ،

(١) التمنح : الذي يشتبه بالنصح .

خلف له وأخذ عليه اليهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار ، فعاد فيروز إلى بلاده .

- فلما سار إلى مملكته داخلته الجيئة وحملته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به ، فنهاه أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه تقصّ اليهود والمواثيق ، فلم يرجع إلى أقوالهم وأبى إلا غزوه . وسار يميوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والبحر الذي حلف أنه لا يتجاوز به إلى بلاد المياطة ، فأمر فيروز بالبحر أن يصمد فيه خمسون فيلا وثلاثمائة رجل ، بفسره أمامه وأمر المسكر ألا يتجاوز ذلك البحر ولا يتقدم الفيلة ، وزعم أنه يكون قد وفى بيمينته ولم يتجاوز ما عاهد عليه . فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه يقول : إن الله عز وجل لا يُخادع ولا يُؤاكَر ، ونهاه عن الغدر وقبحه عليه ، وهو لا يكثر بقله ، وأحجم أخشنوار عن محاربة فيروز وكرهها ، ثم أعمل الفكرة وأخذ يفكر في وجوه المكاييد والمكر والخذاع ، فحفر حول عسكره خندقاً عرضة عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغطاه بخشب ضعيف وألقى عليه التراب ، ثم ارتحل بمن معه ومضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار فيجند من معسكره ، فاشك أنه انهزم منه ، فركب في طلبه وأخذ السير يجنوده — وكان مسلحهم على الخندق — فلما صروا عليه ردّى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف عليهم أخشنوار وأحتوى على كل شيء كان في معسكر فيروز ، وأسر موبدّان موبدّ وجاعة من نساء فيروز منهنّ دخت أبنة فيروز ، فكان هذا عاقبة مكره . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ولما هلك تنازع الملك بعده أبناء قباذ وبلاش ، فملك بلاش بن فيروز ابن يزيد جرد . وكان حسن السيرة حريصاً على العارة ، وبلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن يتأخّر وجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك

البيت على تركهم إناش أهله وسد فاقهم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن
أوطانهم . ثم هلك بعد أربع سنين .

وملك بعده أخوه قباذ بن فيروز . قال : وكان قبلاذ ملك أخوه بلاش
سار إلى خاقان يستنصره على أخيه ويدكر أنه أحق منه بالملك ؛ فقتله بذلك
أربع سنين ثم جهزه بجيش ، فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش . وكان
قباذ في مسيره إلى خاقان مر على نيسابور متكررا وترقج بها بأبنة رجل من الأساورة
واقامها ، فغلبت منه بانوشروان وتركها بنيسابور ، فلما عاد في هذا الوقت سأل
عن الجارية فأتي بها وأبنة منها أنوشروان ، فتركها بهما وفرح بابنة ، ثم عاد إلى بلاد
فارس وبني مدينة أذربان وحلوان وعدة مدن أخر .

قل : وكان قباذ خال يقال له سونرا وقيل فيه : ساخورا ، وكان يحلف فيروز
والد قباذ على مدينة الملك بالمداين ، فجمع جوما كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار
ملك الهياطلة وحاربه وأنتقم منه وأستغذ جميع من كان أمره من الفرس ومن
سباه من نساء فيروز ، وأكثر ما كان قد أحتوى عليه أخشنوار من خزائن فيروز ؛
فعظم قدره عند الفرس ، وحسن فيهم أمره ، وكبرت منزلته عند بلاش وقباذ إلى
أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة ، وتولى سياسة الأمر بحكمتة وتجربة ؛
ومال إليه الناس وأطاعوه ، وأستحقوا بقباذ ولم يعاؤا بأمره ، وهان عندهم فإ

حلت نفسه هذه الإهانة والذل ، فأخذ في التدبير على ساخورا وكتب إلى سابور
الرازي ، وهو الذي يقال له اللبيب ، وهو أصيبذ البلاد ، في القدوم عليه بن قبلة
من الجند ، فقدم بهم سابور فخطبه قباذ في أمر خاله ، فوافقه سابور عليه ، فأمره

(١) كذا في نسخة أ وتاريخ الطبري . وفي نسخة ب « سوجرا وقيل فيه ساجورا »
بالحميم المصبة .

قباد بالتلطف في هذا الأمر وكتابه ، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه ، فعدا
سابور على قباد فوجد خاله ساخورا عنده ، فتقدم سابور إليه وهو آمن ، فألقى
وَهَقًا في عنقه وأجذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن ، وقتله قباد وخافته^(١)
الفرس بعده .

- وفي أيام قباد ظهر مَرْدَق — ويقال فيه : مَرْدَك ، وتفسيره : حديد الملك ؛
وإليه تضاف المزدقية ، ويقال لهم العدلية — وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق
في الأرض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ؛ واستأثر
بعضهم على بعض ، فانضم إليه جماعة وقالوا : نحن نقيم بين الناس بالسوية ونرد
على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء
والتناع وغير ذلك فليس هو له ولا أولى به من غيره ؛ فانقرض السُّفلة ذلك واغتنموه
وأتبعوا مَرْدَك وأصحابه ، فقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره
فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردم عنه ولا يدافعهم . ورأى
الملك قباد رأى مَرْدَك وأصحابه وتابعهم فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى
صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت
العدلية قباد في مكان لا يصل إليه ضيئهم ، فاجتمعت الفرس على خلع قباد من
الملك ففعلوا ذلك .

ولمكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز . وهو أخو قباد . وقيل :
إن المزدكية هم الذين أجلسوه . قال : ولما ملك جاماسف قبض على أخيه قباد
وحبسه فاحتالت أخت قباد في خلاصه . وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو

(١) الوحق (بحريك الماء وتسكينها) : الحبل في طريقه أنشودة يطرح في عنق الدابة والإنسان

- فيه وحاولت الدخول الى أخيها ، ففتحها الموكِّل به من الدخول اليه ، وطُبع أنه يقضحها ، وأعلمها أنه لا يَمَكَّنُها من العبور إليه إلا إن وافقته على قصده ، فأطعمته في نفسها وقالت : إني لا أخالفك في شيء مما تنواه مني ، فمَكَّنُها من الدخول الى السجن والاجتماع بأخيها قباز ، فدخلت اليه وأقامت عنده أياما ، ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمله حمله على طاقه ، فلما مر الغلام بالموكِّل بالحبس سألته عن حمله فاضطرب الغلام فلحقته وقالت : إنه فراش كنت أفرشه تحتي وعَرَّكْتُ فيه ، وأنها خرجت لتتطهر وتعود ، فصَدَّقَها ولم يَمَسَّ البساط ولم يَنْدُ منه استفذارا له على مذهبه في ذلك ، فغضب الغلام به وخرجت أخته في أثره ، وهرب قباز فلحق بأرض الهياطلة يستمد ملكها ليده يجهش يحارب من خالفه ، ويقال : إن زواجه بأُم كمرى أنوشروان كان في هذه السفرة لا في تلك ، وأنه تزوجها بأبرشهر ، وهي ابنة رجل من عظمائها ، وأنه رجع به وبأمه عند عودته من بلاد الهياطلة . قال : وسار قباز الى ملك الهياطلة فأقام عنده مدة سنتين ، ثم عاد الى بلاده بأمداده ، فغلب على أخيه ونزعه من الملك بعد أن ملك ست سنين .
- ثم عاد قباز الى الملك ثانيا ، ولما عاد الى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من أصحابه على مَرْدَك قتلته ، فُسِّىَ به الى قباز فقتله بمزدك . قال : ثم غزا الروم واقتنع أمد ، ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته . وهلك قباز إثر ذلك .

٥٠
١٣

وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن أصرى القيس ، وملك العرب وما كان ملكه النعمان ، فبعث قباز بن فيروز

(٢) عركت المرأة : حاضت .

(٢) كذا في تاريخ الطبري ومعجم البلدان لياقوت وذكر أن شهر بالقواسية هو البلد ، وأبر : النعم ، وما أراهم أرادوا إلا خصه . وأبرشهرى نيسابور . وفي الأصل : « أبرشهر » .

- ٥ إلى الحارث بن عمرو يقول : إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد ، وإنني أحب لقاءك ، ونخرج لقائه في عدد وعدة . وجاء الحارث والتقى بكان ، فأمر قباد بطبق من تمر فترع نواه ويطبق آخر على خاله ، فوضعا بين أيديهما ، وجعل المزعج بين يدي قباد ، والذي هو بنواه بين يدي الحارث ، فجعل الحارث يأكل التمر ويأكل النوى ، وقباد يأكل التمر ولا يحتاج إلى لقاء شيء . فقال للحارث : مالك لا تأكل كل كما آكل ؟ فقال الحارث : إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا ، وعلم أن قباد يهزأ به . ثم أفرقا على الصباح على ألا يماوز الحارث وأصحابه الفرات ، إلا أن الحارث استضعف قباد وطمع فيه . فأمر أصحابه أن يعبروا الفرات وينبروا على قرى السواد ففعلوا ذلك ، فجاء الصريح إلى قباد وهو بالمدائن ، فكتب إلى الحارث بن عمرو أن لصوصا من العرب قد أغاروا على السواد ، وأنه يحب لقاءه فلقبه ، فقال قباد ١٠ كالماتب له : قد صنعت صديما ما صنعت أحد قبلك ، فطعم الحارث فيه من لبن كلامه وقال : ما علمت بذلك ولا شعرت به ، وإنني لا أستطيع ضبط لصوص العرب ، وما كل العرب تحت طاعتي ، ولا أتمكن منهم إلا بالمال والجنود . فقال له قباد : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تعطيني من السواد ما أتخذ به ١٥ سلاحا ، فأمر له بما يل جانب العرب من أسفل الفرات ، وهو ستة طساسيج ، فشد ذلك زاد طمع العرب فيه ، وأرسل الحارث بن عمرو إلى ثبج وهو باليمن : إنني قد طعمت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فأجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ، لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل ٢٠ هراقة الدماء ، وله دين يمنع من ضبط الملك ، فيأدر إليه بجندك وعدتك ، وأطعمته في الفرس . فجمع ثبج جنوده وسار حتى نزل الحيرة ، وقرب من الفرات ، فأكاده ٢٠ البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الحيرة ففعل عليه ، ووجه ابن أخيه

شيراً إذا الحناخ إلى قبّاذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

وملك بعده أبنته كسرى أنوشروان بن قبّاذ بن فيروز . ولما ملك استقبل الأمر بحجة وسياسة وحزم . وكان جيد الرأي ، كثير النظر ، صائب التدبير ، طويل الفكر ، بفتد سيرة أردشير وعمل بها ، ونظر في عهده وأخذ نفسه به ، وأدب رعيته وبطانته ، وبحث عن سياسات الأمم فاستصلح لنفسه منها ما رضىه ، ونظر في تدابير أسلافه المستحسنة فاقتدى بها . وكان أوّل ما بدأ به أن أبطل ملة زرادشت الثاني الذي كان من أهل قسّاء ، وأبطل ملة المزدكية وقتل على ذلك خلقا كثيرا ، وسفك من الدماء بسبب إبطال هذين المذبحين مالا يحصى كثرة ، وقتل قوما من المانوية ، وثبت نسلة الجبوسية القديمة ، وكتب في ذلك كتابا بليغة الى أصحاب الولايات والأصبيذين ، وقوى ملك الفرس بعد ضعفه بإدامة النظر وتجر الملائد وترك اللهو ، وقوى جنوده بالأسلحة والأمتعة والكراع ^(١) ، وعمر البلاد وحفظ الأموال وثمرها ، وسد الثغور واستعاد كثيرا من الأطراف التي غلب عليها الأمم .

قال : وأما تديره في أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه فإنه ضرب أصناف رؤسائهم ، وقسم أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة من حُرّف من الذين كانوا يدخلون على الناس في بيوتهم ، ويشاركونهم في أموالهم وأهاليهم ، وردّ الأموال الى أربابها . وأمر بكل مولود اختُلف فيه أن يلحق بمن هو في سيانته ، وأمر بكل امرأة قُلب عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى يقرّم لها مهر مثلها ، ثم تخير المرأة بين الإقامة عنده وبين تزويج غيره ؛ إلا أن يكون لها زوج أوّل نُتِرَ إليه . وأمر بكل من أضرّ رجلا في ماله أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق ، ويقاقب الظالم

(١) الكراع (بالعم) : اسم يجمع الخيل والصلاح .

بعد ذلك بقدر جرمه . وأمر بئال قوى الأوصاب الذين مات قيمهم فكُتِبوا له
فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح بينهم من بيوتات
الأشراف وأغنياهم . وأمرهم بملازمة بابه ليستعين بهم في أعماله ، وخير نساء والده
أن يقمن مع نساءه فيواسين ويصيرن في الأخرار ، ويتنقن لهن الأكفاء من البعول ،
ثم أمر بكبرى الأنهار وحفر القنى . وأمر بإعادة كل جسر قطع ، أو قنطرة تحريت
أن تزد إلى أحسن ما كانت عليه ، وتحير الحكام والعلم وأمرهم أن يسيروا بسيرة
أردشير ووصاياه .

فلما انتظمت له هذه الأمور وأستوفى له الملك ووثق يمينه سار نحو أنطاكية
فافتتحها ، وأمر أن تصور له المدينة على هيئتها وقدرها وطرقها ومدة منازلها ،
وأن تُبنى له مدينة على صفحتها إلى جانب المدائن ، فبليت المدي ، المعروفة بالرومية ،
ثم نقل أهل أنطاكية إليها . فلما دخلوا باب المدينة مضى إلى أهل بيت إلى ما يشبه
منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية . وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية ، ثم أخذ نحو
الخرز ، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم بغيروز ، وصاهر خاقان ملك الترك ، وتجاوز
بلغ وأزل جنوده قرقانة ، وبنى باب الأبواب . وقد ذكرناه في المباني القديمة ^(١) .

ولما بنى هذا الصور هابته الملوك ورأسلته وهادته ، فورد عليه رسول ملك
الروم بهديا فنظر إلى إيوانه فرأى في ميزانه أعوجاجا ، فقال : ما هذا الأعوجاج ؟
فقال له : إن عجوزا لها منزل في جانب هذا الأعوجاج فأرادها الملك على بيعه
وأرغبها في الثمن فابت ، فلم يُكرهها وبقى الأعوجاج على ما ترى . فقال الرومى : هذا
الأعوجاج أحسن من هذا الاستواء . وكتب إليه ملك الصين : من تقفور ملك ^(٢)

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٩ من هذه الطبعة) .

(٢) كتاب في الأصل : وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاط) : « بيور » .

الصين ، صاحب قصر الدر والجوهر ، الذى يخرج من قصره نهران ينقيان العود والكافور ، والذى توجد رأتخته على فرسخين ، والذى يخدمه بنات ألف ملك ، والذى فى ممرطه ألف قبل أبيض ، الى أخيه كبرى أنوشروان . وأهدى إليه هدايا عظيمة . وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق ، وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الباقوت والدر ، الى أخيه كبرى أنوشروان ملك فارس ، صاحب الساج والزاية . وأهدى إليه هدايا ، منها ألف من من العود ينوب على النار كالشمع ، ويختم عليه كما يختم على الشمع . وجاء من الباقوت الأحمر فحته شبر معلو دزا ، وحشرة أمان كافور كالفسق ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشغال حنينا خنسا ، وكأن بين أجفانها لمعان البرق مع إتهان شكلها ، مقرونة الحاجبين ، لها ضفائر تجرها ، وفراش من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى . وكان كتابه فى لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوبا بالذهب . وكتب إليه ملك التبت : من ملك التبت ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند ، الى أخيه كبرى المحمود السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة فى الأقاليم السبعة ، أنوشروان . وأهدى إليه أنواعا مما يحمل من عجائب أرض تبت ، منها مائة جوشن ومائة ترس تبتية مذهبة ، وأربعة آلاف من المسك من نوافج غزلاية . وأستغاث به آبن دى زين يستصرخه على الحبشة فيعت معه قائدا من قواده . وسنورد ذلك إن شاء الله فى خبر سيف بن دى زين .

(١) المني : لغة فى المنا الذى يوزن به وهو رطلان . وجمعها أمان ، وأبناء .

(٢) الهاء : ما على النسا من قشرها ، يد ويقصر . والكاذى : نوع من النباتات عجيب ، طلاه

أرق من الورق الصينى تتكاثب فيه ملوك الصين والهند . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين . (راجع

مروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلانق) .

- ولما استنبه له الأمر ووظف الوظائف على الترك والخزر والمهند والروم وغيرهم ، نظر في الخراج وأبواب المال . وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاع ، ومن بعضها الربع والخمس والسادس على حسب العهدة . وكان قباذ أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ، فجمع أنوشروان أهل الرأى فاتفقوا على أن جعلوا على كل بحر من الحنطة والشعير درهما ، وعلى البحر من الكرم ثمانية دراهم ، وعلى الرطاب تسعة دراهم ، وعلى كل أربع تحلات فارسية درهما ، وعلى كل ست تحلات ^(١) دقل مثل ذلك ، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ، ولم يضعوا إلا على نخل في صديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا نيا سوى ذلك من الغلات السبع ، وألزموا لبأس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرايضة والكتّاب ، ومن كان في خدمة الملك ، وصيروها على طبقات : اثني عشر درهما ، وثمانية دراهم ، وستة دراهم ، وأربعة دراهم ، على قدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يلزموا الجزية من كان آتيا له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا هذه الضرائب إلى كسرى فرضتها وأمر بإمضاها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة ، وبماها ابراسيار . ومعنى ذلك الأمر المتراضى به .
- وكان أنوشروان — لما أراد أن يضع هذه الضرائب — أمر بإتمام المساحة التي بدأ بها قباذ ، وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك ، والجماجم ، ثم أمر الكتّاب فأنجزوا بحمل ذلك غير تفصيله ، وأذن للناس إذا عابوا ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم . ثم قال كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أخصى من حيران ^(٢) تحلات دقل : الدقل (بالضرب) أردا المتر .
- (١) تحلات دقل : الدقل (بالضرب) أردا المتر .
(٢) حيران : جم جريب ، والجريب ثلاثة آلاف وسمائة ذراع . وقيل : عشرة آلاف ذراع .

هذه المساحة وضائع ، ونامر بإنجامها في السنة ثلاثة أنجم ، ونجم في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أنانا عن ثمر من الثغور أو طرف من الأطراف فتح أو ما نكره وأحتجنا الى تداركه أو حسسه بذلك الأموال التي عندنا ولم نحتاج الى استئجاب جبايتها ، فما الذي ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يشر عليه أحد منهم بمشورة ، ولا نطق بكلمة . فكرر كسرى عليهم القول ثلاثا ، فقام رجل من عرضهم وقال : اتضع أيها الملك — عمرك الله — خالدا من هذا على الفاني ؟ من كرم يموت ، وزرع يبيح ، ونهر يفيض ، وعين أوقنة ينقطع ماؤها . فقال له كسرى : ياذا الكلفة المشثوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ فقال : من الكلاب . فقال كسرى : اضربوه بالدوى حتى يموت ، فضربه الكلاب خاصة تبرؤا منهم الى كسرى من رايه ، وما صدر من مقاتله حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون بما أئزتنا أيها الملك به من خراج . ثم اجتمعت الآراء على وضع ما ذكرناه من الوضائع ، فاستقرت على ذلك إلى أن جاءه الإسلام ، وبها أخذ عمر رضى الله عنه لما فتحت بلاد فارس .

ذكر قطعة من سير كسرى أنوشروان وسياسته

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم : إنه قرأ فيما كتبه أنوشروان من شيرة نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته : قال كسرى : كنت يوما جالسا بالدسكرة وأنا سائر الى همذان لتصفيف هناك ، وقد أعد الطعام للرسل الذين بالباب من قبيل خاقان والحياطلة والصين وقيصر وحقفور ، ودخل رجل من الأساورة غطوطا سيقه حتى وصل الى السد في ثلاثة أماكن ، وأراد الدخول حيث نحن والثوب علينا ، فأشار على بعض خدمي

أن أخرج إليه سيفي ، فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه ، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يفتي شيئا ؛ فلم أخف ولم أتحرك من مكاني ؛ وأخذ بعض الحرس فإذا هو رجل رازي من حشمتنا وخاصتنا ، فلم يشكوا أن على رأيه كثيرا من الناس ، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر للشرب حتى يستبين الأمر ، فلم أجبهم إلى ذلك لئلا ترى الرسل متى جئنا ، فخرجت لشربي ، فلما فرغنا هدأت الرازي بالمقوبة وقطع اليمين ، وسأله أن يصدقني عن الذي عمله على ذلك ، وأنه إن صدقت لم تسله عقوبة بعد ذلك ؛ فذكر أن قوما وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً ، وذكروا أنه من عندهم ، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتله وإن قتلتني أدخل الجنة . فلما خضعت عن ذلك وجدته حقاً ؛ فأمرت بتغليته الرازي وبرد ما أخذ منه ، وتقدمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم أدمع منهم أحدا .

٥٣
١٣

وقال أنوشروان : إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه ، بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث ، حتى إني سألت أفضلهم رجلاً على رموس الناس عن استحلاله قتل ، فقال : نعم ؛ استحل قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا ؛ فلم أصر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن يُحمس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام ، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما ذكر ؛ فاجاب الرسول إن ذلك حق ، ولكن سألتني الملك أن أصدقته عن ذات نفسي ولا أكرمه شيئاً مما أدين به ، وإنما أدين بما أخذته من مؤدبي .

قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذلَّ وطلب الصلح وأنفذ إلى بéal وأقر بالخراج والفدية، تصلَّقت على مساكن الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعهم بما بعث به قيصر بعشرة آلاف دينار، وذلك فيها وطئته من أرض الروم دون غيرها.

وقال: لما أمرت بتصفح أمر الرعية بنفسى ورفع البلاء والظلم عنهم؛ وما ينبوهم من ثقل الخراج؛ فإن فيه مع الأجرتين [أهل] المملكة وغناهم وقدره الوالى على أن يستخرج منهم إن هو احتاج إلى ذلك. — وقد كان في آبائنا من يرى أنك وضع الخراج عنهم السنة والسنتين والتخفيف أحيانا مما يقوهم على عمارة أرضهم — جمعت العمال ومن يؤدى الخراج فرأيت من تخليطهم ما لم أره حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورُستاق رُستاق، وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة فى نفسى، وجعلت فى كل بلد مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضى القضاة بكل كورة النظر فى أهل كورته، وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إلينا إلى القاضى الذى وليته أمر كورهم حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئا، وأن يؤدوا الخراج بمشهد من القاضى، وأن تعطى به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يزداد الخراج ممن لم يندرك من الأحداث، وأن يرفع القاضى وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعامل محاسبتهم إلى ديواننا وقت الكتُب بذلك.

وقال: رفع إلينا موبدان موبذ أنك قوما ستمهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهدا وبعضهم ببيلاد آخر، دينهم مخالف لما رويناه عن نينا وعلمائنا، وأنهم يتكلمون بدينهم سرا ويدعون إليه الناس، وأن ذلك مفسدة للكل، وحيث

لا تقوم الرعية [إلا]^(١) على هوى واحد، فيحزبون جميعا ما يحزّم الملك، ويستحلّون ما يستحلّ الملك في دينه؛ فإنّ ذلك إذا اجتمع للآل قويّ يجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فأستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يحاصموا حتى يقفوا على الحقّ ويقرّوا به، وأمرت أن يقصّوا عن مدينتي وعن بلادى ومملكتي، ويبتع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك .

- وقال : إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة ، وأنهم لا يبعدون بدا — إن لم تعطهم شيئا — من أن يفزونا، وسألوا خصالا إحداها أن تقضهم في جندنا ، ونجري عليهم ما يعيشون به ، وأن نعطهم من أرض الكرج^(٢) وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون به ، فرأيت أن أسير في ذلك الطريق الى باب صول^(٣)، وأجبت أن يعرف من قبلنا من الملوك هناك نشاطنا للأستفار وقوتنا عليها متى هممتا ، وأن يروا ما رأوا من هبة الملوك وكثرة الجنود وتمام الصدة وكمال السلاح ما يقوون به على أعدائهم، ويعرفون به قوة من خلفهم إن هم احتاجوا إليه، وأجبنا بمسيرنا أن نجرى لهم على أيدينا الجوائز والحلن، والقرب من المجلس واللفظ في الكلام ليزيدهم ذلك مودة لنا ورغبة فينا، وحرصا على قتال أعدائنا ، وأجبت أيضا التمهّد لحصونهم ، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا .

٥٤
١٣

فسرت في طريق مهران وأذر بيجان، فلما بلغت الى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يمت تلك المحدثات العتيقة، وتلك الحدود، وأمرت ببناء حصون أخر . فلما بلغ

- (١) زيادة مقتضيا السياق . (٢) الكرج : مدينة بين مهران وأصبان في نصف الطريق وال مهران أقرب . (٣) بلنجر : وراء مدينة بيلاد الخزر خلف باب الأبواب ، فيها عبد الرحمن بن ربيعة وقال البلاذري : سلمان بن ربيعة الباهل .

٢٠

- (٤) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الهرند . (٥) الحلان (بالضم) : ما يحمل طيه من الغواب في الهبة خاصة .

خافان الخَزَر نزلنا هناك نَحْوَف أن نغزوه، فكتب أنه لم يزل — منذ ملكت — يحب
موادعني، وأنه يرى الدخول في طاعتي، ورأى بعض قواده — أتأ شاهد حاله — تركه
وأنا في ألفين من أصحابه بآفلهاء وأئزلهاء في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه
الرزق، وأمرت لهم بمحضن هناك، وأمرت بمصلى لأهل ديننا، وجعلت فيه موبدا
وقومنا نسكا، وأمرتهم أن يعلموا من دخل من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاة
من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الأخرى، وأن يحثوهم على المودة
والصحة والعُدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا أحداثهم رأينا ومذهبنا،
وأقتلهم في تلك النخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت السكك، ونظرنا
فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فإذا هو بحيث لو كان بوسط فارس لكان
مزلنا بها قابضلا .

وقال : فلما أتى الملكا ثمان وعشرون سنة جددت النظر في أمر المملكة
والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظالمهم، وإنصافهم . وأمرت
موبد كل ثغر ومدينة وبلد وجند بإنهاء ذلك إلى . وأمرت بعرض الجند، من
كان منهم بالباب بمشهد مني، ومن غاب في الثغور والأطراف بمشهد من القائد
وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا . وأمرت بجمع أهل كُور الخراج في كل ناحية
من مملكتي إلى مصرها مع القائد وقاضي البلد والكتاب والأمين . وسرحت من

(١) في الأصل : « السنة » والسياق يقتضی ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : « طروسم » وهو تحريف ، والسياق يقتضی ما أثبتناه .

(٣) كذا في الأصول . ولعلها « باداسيان » وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين باد (بالا، الفارسية)
ومعناها الكورة وتختف بحذف الألف، يريد حاكم الجهة (راجع القاموس الفارسي الانجليزي لاستنباس
ومقدمة قاموس الأمانة والبقاع للرحوم علي بهجت بك) .

(٤) كذا في الأصول .

قِيلَ مَنْ عَرَفْتُ صَاحِبَتَهُ وَإِنَانَتَهُ وَسُكَّهَ وَعَلِمَهُ، وَمِنْ جَرَبَتْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مَنْصَرٍ وَمَدِينَةٍ حَيْثُ أُولَئِكَ الْعَالَمُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِيَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ أَرَاضِيهِمْ وَبَيْنَ وَضِيْعِهِمْ وَشَرَفِهِمْ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى حَقِّهِ وَصَدَقَهُ، فَمَا نَفَذَ لَهُمْ فِيهِ أَمْرٌ أَوْ صَحَّ فِيهِ الْقَضَاءُ فَرَضَى بِهِ أَهْلُهُ فَرَعَوْا مِنْهُ هُنَاكَ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفْعُهُ إِلَى .

وَبَلَغَ اهْتِمَامِي بِتَفْقِيدِ ذَلِكَ مَا لَوْلَا الَّذِي أُدَارِي مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالنُّفُورِ لِبَاسْتَرْتِ أَمْرَ الْخُرَاجِ وَالرَّجْعَةِ بِنَفْسِي قَسْرِيَّةً قَرْيَةً حَتَّى أَتَمَّهَدَهَا وَأَكْمَلَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي، خَيْرَ أَتَى تَخَوُّفُ أَنْ يَضِيعَ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَمْرٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُبْنَى فِيهِ أَحَدٌ غَنَائِي وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِهِ غَيْرِي، وَلَا يَكْفِيهِ كَافٍ، مَعَ الَّذِي فِي الشَّخْصِ إِلَى قَسْرِيَّةٍ قَرْيَةٍ مِنَ الْمَثُونَةِ عَلَى الرَّجْعَةِ مِنْ جَنْدَنَا، وَمَنْ لَا نَجِدُ بَدَأَ مِنْ إِخْرَاجِهِ مَعَنَا. وَكَرِهْنَا أَيْضًا إِغْطَاصَهُمُ الْبِنَا مَعَ تَخَوُّفِنَا أَنْ يَشْتَغَلَ أَهْلُ الْخُرَاجِ عَنْ عِمَارَةِ أَرَاضِيهِمْ، أَوْ يَكُونُ فِيهِمْ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَثُونَةٍ فِي تَكْلُفِ السَّيْرِ إِلَى بَابِنَا، وَقَدْ ضَيَّعَ قَرَاءَهُ وَأَنْهَارَهُ وَمَا لَا يَجِدُ بَدَأَ مِنْ تَمَهَّدِهِ فِي السَّنَةِ كُلِّهَا فِي أَوْقَاتِ الْهَلَاةِ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ وَوَكَّلْنَا مُوَبِّدَانِ^(١) مُوَبِّدَ ذَلِكَ، وَكُنْتِنَا بِهِ الْكُتُبَ وَسَرَحْنَا مِنْ وَفَقْنَا بِهِ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَانَا وَأَخْضَعْنَا وَقَدَّرْنَا ذَلِكَ .

قَالَ: وَلَمَّا أَتَمَّنَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِنَا مِنَ الْأَعْيَاءِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِي رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلِ الَّذِينَ حَسَرُ التَّحَاكُ حَصُونَهُمْ لَصُوبَةِ الْجِبَالِ عَلَيْهَا، لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَتَمَّعَ لِمَمْلَكَتِنَا مِنْ أَنْ نَضَحَّصَ عَنْ الرَّجْعَةِ، وَأُولَئِكَ الْأَمْنَاءُ الَّذِينَ وَصَّيْنَاهُمْ بِإِنْصَافِ أَهْلِ الْخُرَاجِ. وَكَانَ بَلَفْنَا أَنْ أُولَئِكَ الْأَمْنَاءُ لَمْ يَبَالِغُوا عَلَى قَدَرِ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ،

(١) مُوَبِّدَانِ مُوَبِّدٌ: تَأَمَّنَ الْقَضَاءُ فِي دَوْلَةِ الْقُرْسِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ بَقِيََتْ وَطْلِفَةُ الْمَرْبِطَةِ (الْقَانِصِ) إِلَى أَرَاخَرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، الْقِيَامُ بِأُمُورِ الْمَجُوسِ الْقَبْرِينِ دَخَلُوا فِي الْقَدَمَةِ .

فلما حضر واجلس للناس واذنت لهم بمشهد من عطاء أرضنا وملوكهم وقضاةهم وأحرارهم وأشرفهم، ونظرت في تلك الكتب والمظالم، فأية مظلمة كانت من العمال

ومن وكلائها ، أو من وكلاء أولادها ونسائها وأهل بيتها ~~طغفانها~~ عنهم بغير بينة ،
لعلمنا بضغف أهل الخراج منهم ، وظلم أهل القوة من السلطان لهم ، وأية مظالمه
كانت لبعضهم من بعض ووثقت لنا ، أمرت بإنصافهم قبل البرأح ، وما أهكل
وأوجب التمسك عنه شهود البلد وقاضيا سرتحت معه أمينا من الكتاب ، وأمينا
من فقهاء ديننا وأمينا بمن وثقنا به من خدمتنا وحاشيتنا ، فأحكمت ذلك إحكاما
وثيقا . ولم يحصل الله لنوى قرباننا ورحمتنا وخدمتنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق
والعدل ، فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيلاوا بمرتزته وقوته ، فإذا أهمل
السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأدب بأدب ملكه ، محافظ على
دينه ، شفيق على رعيته ، وأولئك قليل ، فدعانا الذي أطلعنا عليه من ظلم أولئك
ألا نطلب البيئة عليهم فيما ادَّعى قِيلَهم . ولم نزل نرد المغالمة ، ولم نرد أيضا ظلم أحد
من كان عزيزا بنا ، متعبا . كان . تزلته عندنا ، فإن اتقى واسع للضعفاء والأقوياء
والفقراء والأغنياء ، ولكنا لما أسكلت الأمور في ذلك علمنا كان الخجل على خواصتنا
وخدمتنا أوجب لنا من أن نعمل على ضعفاء الناس ومساكينهم ، وأهل الفاقة والحاجة
منهم . وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدرون على ظلم من حولنا . وعلما مع ذلك

أن الذين أعدبنا عليهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا الى ما لا يرجع اليه أولئك . ولعمري إن خواصنا البنا ، وآثر خدمتنا في أنفسنا الذين يحفظون سيرتنا في الرعية ، ويرحون أهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم ؛ فإنه قد ظلمنا من ظلمهم ، وجار علينا من جار عليهم ، وأراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم وملجأهم .

- قال : ثم كتّبت البنا على رأس سبع وثلاثين سنة من ملكنا ، أربعة أصناف من الترك من ناحية الخزر ، ولكل صنف منهم ملك ، يذكرون ما دخل عليهم من الحاجة ، وما لم من الخلف في عيودينا ، وسألوا أن نأذن لهم في التصدوم بأصحابهم لخدمتنا ، والعمل لما نأمرهم به ، ولا نجهد عليهم ما سلف منهم قبل ملكنا ، وأن نتعلم منزلة سائر عبيدنا ، فإننا سنرى في كل ما نأمرهم به من قتال وغيره كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا ، فرايت في قبولى إياهم عدة منافع ، منها : جلدهم وبأسهم ، ومنها : أنى تخوفت أن تحملهم الحاجة على إتيان قيصر أو بعض الملوك فيقووا بهم علينا ، وقد كان فيما سلف يستأجر منهم قيصر لقتال ملوك ناحيتنا بأعلى الأجرة . وكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك ؛ لأن الترك ليس عندهم لذة للحياة ، فهو الذي يجرئهم مع شقاء معاليهم على الموت ، فكنت اليهم أنا نقبل من دخل في طاعتنا ، ولا نبخل على أحد بما عندنا ، وكنت الى مرزبان^(١) السبب أمره بأن يدخلهم أولا أولا ، فكتب الى أنه قد أتاه منهم خمسون ألفا يطالبهم وأولادهم وعبادهم . ولما بلغني ذلك أحببت أن أقر بهم الى يعرفوا إحسانى إليهم ، وأعظمهم ليطمئنوا الى قوادنا ، حتى إذا أردنا تسريحهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه وانقأ ، فشخصنا الى أذربيجان ، فلما نزلنا أذنت

(١) أعدبنا عليهم : ظلمناهم .

(٢) المرزبان : الرئيس من الفرس .

لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان
 الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند،
 والداور، وكابل شاه، وصاحب سرتديب، وصاحب كله، وكثير من الرسل، وتسعة
 وعشرون ملكاً في يوم واحد، وانتهيت إلى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفاً
 فأمرت أن يصفقوا هناك وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي ومن قدم عليَّ
 ومن دخل في طابعتي وعبوديتي من لم يسمعهم مرج كان طولهم عشرة فراسخ، فحمدت
 الله كثيراً وأمرت أن يصف أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب،
 ورأست عليهم منهم، وأقطعهم وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق،
 وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي بالان، وقسمتهم
 في كل ما احتجنا إليه من الثغور، وضممتهم إلى المرزبان، فلم أزل أرى من مناصحتهم
 واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها.

- (١) الداور : وأهل تلك الناحية يسمونها زندآورد وسماء أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات
 بلدان وتقرى مجاورة لولاية رنج وبست والثغور. قال الاصطخرى : الداور : اسم إقليم ضيق، وهو
 ثغر الثغور من ناحية مجستان، ومدينة الداور، تل، ودرغور، وهما على نهر هند متدة (راجع معجم البلدان لياقوت).
 (٢) كابل وملكها يقال له الشاه : ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، وقيل : هي من ثغور
 طخارستان. ولها من المدن : واذان، وغواش، وخشك، وخبر، وبها القود والتارجيل والضرخان
 والأهليج لأنها متاخمة للهند (راجع معجم البلدان لياقوت وتقوم البدال لأبي الفدا).
 (٣) سرتديب : هي جزيرة سيلان الآن.
 (٤) كله : فرسة بالهند وهي في منتصف الطريق بين عمان والصين، يسكنها المسلمون والهند والفرس،
 وبها معادن الرصاص ومنابت الخبز والتمر والكافور (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت).
 (٥) الان : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للفرز، والعامة يغلطون
 فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عيد أجداد. (راجع معجم البلدان لياقوت).

- قال : وكتب إلى خاقان الأكبر يعتذر إلى من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز ، وذكر في كتابه ورسالته أن الذي حمله على عداوق وغزو أرضي من لم يُنظر له ، وناشدني الله أن أتجاوز عنه ، وتوثق لي بما أطمئن إليه . وذكر أن قيصر قد أرسل إليه وزعم أنه يستأذني في قبول رسله ، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما أمره ، ولا يجاوز أمرى ، ولا يرغب في الأموال ولا في المودات .
- لأحد إلا برضائي ، وكان دسيس لي في الترك يكاتبني بندم خاقان وندم أصحابه حل غدرة وعداوته إياي ، فأجبتة : إني لعمري ما أبالي إن طيعة نفسك وضريزتك غدرت بنا أم أطمعت غيرك في ذلك ، وما ذنبك في طاعة من أطمعت في ذلك إلا كذبتك فيما فعلته برأى نفسك ، وإني قد استحيقت أشد العقوبة . وكتبت أني لا أظن شيئا من الوثيقة نفي لكم إلا وقد كنت ضيعته ، ولا أظن شيئا وثقت لنا به من قبل اليوم ثم غدرتم ، فكيف نطمئن إليك ونثق بقولك ؟ ولست نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر ونقض العهد والكذب في اليمين . وذكرت أن رسل قيصر عندك ، ووقفنا على استئذانك إيانا فيهم ؛ وإني لست أنهلك عن موقعة أحد . وكرهت أن يرى أني أتخوف مصادقته وأهاب ذلك منه وأجبت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما . ثم سرحت لمرة المدائن والحصون التي بخراسان وجميع الأطمعة والأعلاف إليها ما يحتاج إليه الجند ، وأمرت أن يكونوا على استعداد وحذر ، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح .

- قال : وكان شكرى لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلا بنعمه الأول التي وهبها لي في أول خلقه إياي ؛ فإعما الشكر والنعمة لا كفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الأخف إلى أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم
- (١) الدسيس : من دسه لئليك بالأخبار (الحاسوس) .

- كثيرة وأشكو قليلا انقطع الجمل وهلك ظهر الحامل ، وإذا كان ذلك مستويا استقر الحامل . وكثير النعم يحتاج صاحبها إلى كثير الشكر ، وكثير الشكر يجلب كثير النعم . ولما وجدت الشكر بعضه بالقول ، وبعضه بالعمل ، ونظرت في أحب الأعمال إلى الله وجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض ، وأرسي به الجبال ، وأجرى به الأنهار ورأى به البرية . وذلك الحق والعدل فزيتهما . ورأيت نعمة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها معاش الناس والدواب والطير وسكان الأرض . ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل الهارة ، ووجدت أهل الهارة أجراء المقاتلة ، فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمداقتهم عنهم ، ومجاهدتهم من ورائهم ، فحق على أهل الهارة أن يوقوهم أجورهم ، فإن عمارتهم تتم بهم ، وإن أبطأوا عليهم بذلك أو ههناهم ففوى مدوهم ، فرأيت من الحق على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معاشهم ، وعسروا به بلدانهم ، ورأيت ألا أجتاحهم وأستفرغ ذات أيديهم مخزائن والمقاتلة ، فإني إذا فطنت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج ، وذلك أنه إذا فسد العامر فسد المعمور ، وكذلك أهل الأرض والأرض ، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلك المقاتلة الذين قوتهم بعمارة الأرض ، فلا عمارة للأرض إلا بفضل ما في يد أهل الخراج ، فن الإحسان إلى المقاتلة والإكرام لهم أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم ، وأدع لهم فضلا في معاشهم ، فأهل الأرض وذوو الخراج أيدي المقاتلة والجنود وقوتهم ، والمقاتلة أيضا أيدي أهل الخراج وقوتهم . ولقد ميزت ذلك بجهدي وطاقتي ، وفكرت فيه لما رأيت أن أفضل هؤلاء على هؤلاء إذ وجدتهما كالبلدين المتعاونتين والرجلين المتراذفتين .

(١) في الأصل : قصد ، والسياق يقتضي ما أبتناه .

ولعمري ما أفعى أهل الخراج من الظلم من أضر بالمقاتلة ، ولا كُفَّ الظلم عن المقاتلة من تعدى على أهل الخراج . ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل على ضيمته التي منها معيشته وحياته وقوته ، ولولا جهال أهل الخراج لكفّوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إيثارا للمقاتلة على أنفسهم .

- قال : ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبره الله العظيم خلافة به ، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في أداء حقه على مواهبه ، وأحكمتنا أمر المقاتلة وأهل الخراج بيسط العدل ، وأقبلنا بعد ذلك على السير والسّنن ، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا ، والأكبر فالأكبر مائدا على جندنا ورعيّتنا ، ونظرنا في سير آبائنا من لَدُنْ بستانف إلى مُلْك قُبَاد أقرب آبائنا ، ثم لم تترك لإصلاحها في شيء من ذلك إلا أخذناه ، ولا فسادا إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا حبّ الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن ، ولجئنا أثرنا حبّ الله وشكره ومطاعته .

- ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم ، وكانوا أحق بذلك ، فلم ندع حقا إلا أثرناه ، ووجدنا الحق أقرب القرابة . نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها ، وجعلنا عيار ذلك عقولنا ، وميزانه بأحلامنا ، فأخذنا من جميع ذلك ما زَيْنَ سلطانتنا ، وجعلناه سنة وعادة ، ولم تنزعنا أنفسنا إلى ما تميل به أهواؤنا ، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به ، وكتبنا إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقدمنا إليهم فيه ؛ غير أننا لم نُكْرِه أحدا على غير دينه وملة ، ولم نحسبهم ماقبلنا ، ولا منع ذلك آتقباض بسلم ما عندهم ، فإن الإقرار بمعرفة الحق

(١) عيار : القياس والمقياس ما جعل نظاما لشيء يقاس به ويسوى .

والعلم والاتباع له من أعظم ما تزيّنت به الملوك . ومن أعظم المضرة على الملوك
الأنفة من العلم والحجة من طلبه ، ولا يكون عالما من لا يتعلم ،
ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة ، ووضعت
بين مكارم أسلافى ، وما أحدثته بالرأى ، وأخذت به نفسى ، وقبلته عن الملوك الذين
لم يكونوا منا ، وثبت على الأمر الذى تلت به الظفر والخير ، ورفضت سائر الأمم
لأنى لم أجدهم رأيا ولا عقولا ولا أحلاما ، ووجدتهم أصحاب بقى وجسد
وكلب وحرص وشم وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافاة . وهذه أمور
لا تصلح عليها ولاية ، ولا تنتم لها نعمة .

قال ابن مسكويه : وقرأت مع هذه السير فى آخر هذا الكتاب الذى كتبه
أنو شروان فى سيرة نفسه أن أنو شروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع
إليه الأساورة مع القواد والعطاء والمرازبة والنسك والموازنة وأماثل الناس معهم
فخطبهم فقال :

ذكر خطبة أنو شروان

قال : أيها الناس ، أحضرونى فهمكم ، وأرعونى أسماعكم ، وناصحونى أنفسكم ،
فانى لم أزل واضعا سيفى على عنق منى منذ وليت عليكم غرضا للسيوف والأسنة ،
وكل ذلك للدافعة عنكم ، والإبقاء عليكم ، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق ، وتارة
فى آخر المغرب ، وأخرى فى نهاية الجنوب ، ومثلها فى جانب الشمال ، وتقلت الذين
اتهمهم إلى غير بلادهم ، ووضعت الأوضاع فى بلدان الترك ، وأقت بيوت النيران
بقسطنطينية ، ولم أزل أصعد جبلا شامخا وأنزل عنه ، وأطأ حزنه بعد سهوله ،
وأصبر على المخصصة^(١) والخفاة ، وأكابد البرد والحر ، وأركب هول البحر وخطر المغازة ،

(١) المخصمة : غلاء البطن جرما .

- لإرادة هذا الأمر الذي قد آتاه الله لكم ؛ من الإثخان في الأعداء ، والتمكن في البلاد ،
والسعة في المعاش ، وترك العز ، وبلغ ما نلتكم ؛ فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على
الشرف الأعل من النعمة ، والفضل الأكبر من الكرامة والأمن ، وقد هزم الله
أعداءكم وقتلهم ؛ فهم بين مقتول هالك ، وحي مطيع لكم سامع ؛ وقد بقي لكم عدو
مدمم قليل ، وبأسهم شديد ، وشوكتهم عظيمة ؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندي
عليكم ، وأحرى أن يزيوكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم ، وأصحاب
السيوف والرماح والخيول ؛ وإن أتم أيها الناس عظيم عدوكم هذا الباقي ، غلبتكم
لعدوكم الذين قاتلتم وحاصرتهم ، فقد تم الظفر والنصر ، وتمت فيكم القوة ، وتم بكم
العز ، وتمت عليكم النعمة ، وتم لكم الفضل ، وتم لكم الاجتماع والألفة والصحة
والسلامة ؛ وإن أتم قسرتهم وهنتم ، وظفر هذا العدو بكم فأين الظفر الذي كان
منكم ، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقي مثل ما قاتلتم من ذلك العدو الماضي ؛
ولكن جدكم في هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحرز وأعزم وأصح وأشد ،
فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم ميكة ، وأشدهم شوكة ، وليس الذي كنتم
تخافون من عدوكم الذي قاتلتم بقريب من هؤلاء الذين أمركم بقتالهم الآن ؛ فاطلبوه
وصلوا ظفرا بظفر ، ونصرا بنصر ، وقوة بقوة ، وتأيدا بتأيد ، وعزما بعزم
وعزما ، وجهادا بجهاد ؛ فإن بذلك اجتماع إصلاحكم ، وتتمام النعمة عليكم ، والزيادة
في الكرامة من الله لكم ، والفوز برضوانه في الآخرة .

- ثم اعلما أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا ليلبثوا منكم
— إن ظهورا عليكم وظلواكم — مثل الذي يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر
عليكم ؛ فإن بأس هذا العدو أشد ، وكيده أكبر ، وأمره أخوف من ذلك العدو
٢٠

يا أيها الناس، إني قد نصبت^(١) لكم كجاراتكم، ولقيت ما قد طعنتم بالسيف والرمح
والمفاوز والبحار والسهولة والجبال، أقارع عدوا عدوا، وأكالب جندا جندا،
وأكابد ملكا ملكا، لم أنضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك،
ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الجنة منكم، والاجتهاد والاحتشاد،
وإنما فعلت هذا ليظم خطره، وشدة شوكته، وخفاة صوابه بكم. وإن أنا أيها
الناس لم أغلب هذا العدو وأنفه عنكم، فقد أقيبت فيكم أكبر الأعداء، ونفيت
عنكم أضعفها، فاعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم، القريب الدار منكم،
فأشيدكم الله أيها الناس لما اعتموق عليه حتى أنفيه عنكم، وأخبره من بين
أظهركم فيتم بلائي عندكم، وبلاء الله فيكم عندي، وتم النعمة على وعليكم، والكرامة
من الله لي ولكم، ويتم هذا العز والنصر، وهذا الشرف والتمكين، وهذه الثروة
والمثالة.

يا أيها الناس - إني تفكرت بعد فراغي من كتابي هذا، وما وصفت من نعمة
الله علينا في الأمر الذي لما غلب دارا الملوك والأمم وقهرها، واستولى على بلادها،
ولما تحكم أمر هذا العدو، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر
والغلبة؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر الذي تم له به الملك، واشتد به السلطان،
وقوى به على الأعداء، وتمت عليه به النعمة، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها
الكرامة، حتى احتال له بوجوه النعمة والبنى؛ فدعا البنى الحسد^(٢) فتقوى به وتمكن،
ودعا الحسد بقص أهل الفقر لأهل الغنى، وأهل الخمول لأهل الشرف؛ ثم أتاهم
الإسكندر وهم على ذلك من تفرق الأهواء، وأختلف الأمور، وظهرت البغضاء

(١) نصبت : يقال نصب الرجل (بكسر الصاد) نصبا ففتحها : أعيأ ونصب .

(٢) في الأصول : فدعا البنى والحسد، ولعل هذه الواو مقحمة من التامع .

وقوة المداوة فيما بينهم والفساد منهم . ثم أرفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على حمة ، الذي شمل قلوب العامة من الشر والضنية ، ونبت فيها من المداوة والشرقة ، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه ؛ وقد انعطت بذلك اليوم وذكرته .

- يا أيها الناس ، فلا أسمن في هذه النعمة بخرقا ولا بشيا ولا حسدا ظاهرا ، ولا وشاية ولا سعاية ، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا ومُلَكنا ، وأكرم عنه ولايتنا ، وما نلت ما نلت بنعمة ربنا وحده بشيء من الأمور الخبيثة التي نفثها العلماء ، وعافنا الحكماء ؛ ولكن نلت هذه الرتبة بالصحة والسلامة ، والحب للرعية ، والوفاء والعدل والاستقامة والتؤدة . وإنما تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سميناها ، أغنى من الترك والبربر والزيج والحبسال وغيرهم ، مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم . ولا تصلح أمة قط وملكها على ظهور هذه الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم .

- يا أيها الناس ، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والمافية والاستصلاح غنى لنا عما نطلب بهذه الأخلاق الرديئة المشحومة ؛ فاكفوني في ذلك أنفسكم ، فإن قهر هذه الأعداء أحب إلى غيركم من قهر أعدائكم من الترك والروم . فاما أنا أيها الناس فقد طبت نفسا بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم .

٥٩
١٣

يا أيها الناس ، إنني قد أحببت أن أغنى عنكم الظاهر والباطن ؛ فاما الظاهر منهما فلأننا بحمد الله ونعمته قد بقيناه وأطعنا الله عليه وحصلنا لشوكته ، وأحسنتم فيه وأجملتم وآسيتم وأجهلتم ، فافعلوا في هذا المدركا فسلم في ذلك المدرك ، وأعملوا فيه كاللدى . تعلم في ذلك ، وأحفظوا عني ما أوصيكم به فإني شفيق عليكم ناصح لكم .

أيها الناس ، من أحميا هذه الأمور فينا فقد أفسد بلاءه عندنا بقتاله من كان نقائنا من أعدائنا ، فإن هذه أكثر مضرة ، وأشد شوكة ، وأعظم بلية ، وأضر تبعه .

وأعلموا أن خيركم يأبى الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المونة لنا على نفسه
في هذا الغابر . وأعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذلك ، ومن غلب هذا فقد قهر ذلك ؛
وذلك أن بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصح منكم يكون العز والقدرة والسلطان ،
ومع التعاسد والبغنى والنيمة والسب يكون ذهاب العز ، وانقطاع القوة وهلاك
الدنيا والآخرة ؛ فعليكم بما أمرناكم به ، وأحذروا ما نهيناكم عنه ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله . عليكم بمواساة أهل الفاقة ، وضيافة السابلة^(١) ، وأكرموا جوار من جاوركم ،
وأحسنوا محبة من دخل فيكم من الأئمة ، فإنهم في ذقتي ، ولا تجبهوهم ولا تنظموهم ،
ولا تسلطوا عليهم ، ولا تخرجوهم ، فإن الإخراج يدعو إلى المعصية ، ولكن اصبروا
لمم على بعض الأذى ، واحفظوا أمانتكم وعهدكم ، واحفظوا ما عهدت إليكم من
هذه الأخلاق ، فلا تصلحوا إلا معها ، وبالله تعالى نقنتا في الأمور كلها . ثم هلك
أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه .



ثم ملك بعده أبوه هر من بن كسرى أنوشروان . وأمه قاقم بنته خاقان
ملك الترك . وقيل : بل ابنة ملك من ملوك الخزر . قال : وكان كثير
الأدب ، حسن السياسة ، جميل النية ، وافر الإحسان إلى الضعفاء والمساكين .

وكان من سيرته المرتضاة أنه يُجرى الخيل والعدل على الرعية ، ويشدد على المظالم
المتسلطين على الضعفاء . وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى المياه ليصيف هناك ، فأمر
فئودى في مسيره أن يُحمى مواضع الحروث ، ولا يسير فيها الراكب كشلا يضروا
بأحد ، وكل يتعهد ما يجري في عسكره ، ومعاقبة من تعدى أمره وتفرقه لصاحب

(١) السابلة هنا : المارون على الطريق السلوك .

- الحرث عوضا عما أفسده له . وكان أبنته كسرى أبرويز في عسكره فغار مركب^١ من مراكبه ووقع في حرث كان على الطريق ، فأفسد ما مر عليه ، فأخذ ودفع إلى الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاينة من أفسد هو أو دوابه شيئا من الحرث ، فلم يحسر الرجل الموكل من جهة هرمز أن ينقذ أمر هرمز في أبنته أبرويز ، فرفع الأمر إلى هرمز فأمره أن يحدد أذنيه ، ويتردّبه ، وينتزم كسرى أبرويز .
- لصاحب الحرث ، فخرج الرجل لإنفاذ الأمر ، فدرس له كسرى رهطا من العظام يسألونه التثبت في الأمر ، فكلّموه فلم يجب إلى ذلك ، فسألوه تأخير . إذ الأمر في المركب حتى يكلموا هرمز ، ففعل ، ولقي أولئك الرهط هرمزا وأعلموه أن ذلك المركب الذي غار إنما غار زعارة^٢ ، وأنه أخذ لوقته ، وسألوه أن يأمر بالكف عن جدمه وبتره ، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجبهم إلى ما سألوه ، وأمر بالمركب بلعدت أذناه وبتر ذنبه ، وغرّم كسرى كما يغرّم غيره من الجند ثم ارتحل .
- قال : وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن^(٣) ، وكان معزّه على بساين وكروم ، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حيصرما ، فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى غلامه وقال : اذهب بها إلى المنزل وأطبخها بلحم وأصنع منها مرققة فإنها ناضجة في هذا الإبان ، فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به ، فبلغ إشتاق الأسوار من عقوبة هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منقطة محلاة بالذهب كانت في وسطه ، وسأله أن يأخذها عوضا عما أخذه من الحيصرم ، ولا يرفع الأمر إلى الملك .

(١) زطارة : حراسة وسوء خلق .

(٢) ساباط المدائن : مدينة في جانب دجلة القريب (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) .

فهذه كانت سيرته في العدل ، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه . وكان مظهرًا منصورًا ، وكان أديبا داهيا ، إلا أنه كان مُقَصِّيا للأشراف وأهل البيوتات والعلماء . وقيل : إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمئة رجل منهم ، ولم يكن له رأي إلا في تألف السفلة وأسقاط الناس وأستصلاحهم . وجلس خلقا كثيرا من السفلة ، وحظ مراتب جماعة كبيرة ، وقصر بالأساورة ففسدت عليه نيات أكابر جنده وعظماؤ مملكته ، فكان عاقبة سوء هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شاب ^(١) [شاه] ملك الترك في ثلثمائة ألف مقاتل ، وسار إلى بادغيس ^(٢) ، وفلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه ، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل ، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب ، وخرج عليه من العرب خلق كثير ، فتلوا في شاطئ الفرات وشنوا الغارات على أهل السواد ، فاجتروا عليه أعداؤه وغزوا بلاده .

فأما شاب ^(١) [شاه] ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء مملكته من الفرس يؤذنههم بإقباله في جيوشه زُمرًا زُمرًا . وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ، ويطلب اليهم من بلادهم ، وأمرهم أن يعقدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها ، وكذلك في الأودية ، وأن يسهّلوا له الطرق والمساالك وقال : فإني قد أجمعت على المسير إلى بلاد الروم من بلادكم ، فاستظفح هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وجمع أكابر مملكته وعرض ذلك عليهم ، وشاورهم فيما يفعله ، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وحربه ، فندب إليه رجلا من أهل الرأي والنجدة يقال له بهرام جوبين ، فاختر بهرام من السكراثنى عشر ألفا

(١) التتمة من غرد أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتالي (ص ٦٤٢)

(٢) بادغيس : ناحية تشتمل على قري من أعمال هراة وصر والروذ .

- من الكهول دون الشباب، وسار بهم حتى انتهى إلى هراة^(١) وباذفيس، ولم يشعر شاب [شاه]^(٢) ملك الترك بهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره، فكانت بينهما حروب كثيرة آنحوا أن بهرام جوين قتل شابه برمية رماء [بها]^(٣) فاستباح عسكره، وأقام بهرام موضعه، فوافاه برمودة^(٤) بن شابه وكان يصلد بأبيه، فخاربه فهزمه بهرام جوين وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيرا إلى هرمز، وغنم كنوزا عظيمة، فيقال إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر والأواني وسائر الأمتعة وقرماني ألف ونعمسين ألف بصير في مدة تلك الأيام، فشكره هرمز على ذلك، وأمره أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام صوابا، ثم خاف سطوة هرمز.

- وحيكى له أن الملك يستقل ما حمله إليه من الغنائم في جنب ما وصل إليه منها، وأنه يقول في مجالسه قد ترقه بهرام واستطاب الدعة، وبلغ ذلك الجند نفاقوا مثل خوفه. فيقال إن بهرام جمع ذات يوم وجوه عسكره وأجلسهم على مراتبهم ثم خرج عليهم في زي النساء ويده مِغزَلٌ وقطن حتى جلس في موضعه، وحل إلى كل واحد من أولئك القوم مِغزَلٌ وقطن ووضع بين أيديهم، فامتعضوا من ذلك وأنكروه وقالوا: ما هذا الزي! فقال بهرام: إن كتاب الملك ورد على بذلك ولا بد من احتلال أسره إن كنتم طائعين له، فأظهروا ألفة وحمية وأجمعوا كلهم على خلع

(١) هراة: مدينة عظيمة مشهورة بخراسان غربا، كانت فتح في أيام صفان رضي الله عنه.

(راجع تقويم البلدان لأبي الفداء).

(٢) الكلمة من خبر أخبار ملوك القروس وسيرم للتعالي (ص ٦٤٢).

(٣) زيادة يقتضها السياق.

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٩٩٣ من القسم الأول طبعة أوديا). وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٣٤٢ طبعة أوديا): «برموده بن شابه» وفي الأصول: «رمودة».

هرمز ، فغلبوه وأظهروا أن ابنه كسرى أبروز أصلح للكم منه ، وساعدهم على ذلك خلق كثير من كان بحضرة هرمز .

ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشا كثيفا مع بعض قواده لمحاربة بهرام جوين ، فاشفق أبروز من الحديث وخاف سطوة أبيه بهرام ، فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع إليه هناك حلة من المرازبة ومن الأصهبذين ، فاعطوه بيعتهم ولم يظهر أبروز شيئا ، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل القائد الذي كان قد بعثه هرمز لمحاربة بهرام جوين ، وهو أذيصهش ، وهزيمة الجيش الذي كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه ، وكنيت أخت أذيصهش إلى كسرى أبروز تخبره بضعف أبيه هرمز . وأعلمته أن العطاء والوجوه قد أجمعوا على خلعه ، وأن بهرام جوين إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك . قال : ولم يلبث العطاء أن وثبت على هرمز وفهم يتدبى ويسطام خلاا أبروز وغلوه وسملوا عييه ، وتركوه تمحزبا من قتله . فكان ملكه إلى أن خلع وشمل اثنتي عشرة سنة .

٦١
١٣



ثم ملك بعده ابنه كسرى أبروز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . قال : ولما ملك بادر بن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوين وتوج وجمع إليه الوجوه والأشراف ، وجلس على السرير ومناهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستهزئ الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا تحت طاعته . فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فمسجد له ، وأعتذر وقال : إنك تعلم أيها الملك إنني برى عما جناه إليك هؤلاء القوم الذين ضلوا بك ما فعلوا ، وإنما هربت خوفا منك وإشفاقا على نفسي ، فصدقه هرمز وقال : يا بني ! إن لي إليك حاجتين فأسمفني بهما ، إحداهما : أن

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢١٦٩ من القسم الأول طبعة أودا) ف. كلامه على الساقية بكسر : « أبنا حال كسرى يتدبى ويترويه أبنا بسطام » .

تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسمل عيني ولا تأخذك بهم رافة ، والأخرى تؤسفني كل يوم بثلاثة نفر ممن لم أصالة رأي ، وتأذن لهم بالدخول إلى ؛ فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إن المارق بهرام قد أظننا ومعه أهل الشجاعة والنجدة ، ولنا تقدير أن نمد يدنا إلى من آتى إليك ما آتينا ؛ فلانهم وجوه أصحابك ، ولكن إن أمكنني الله من المتأنق فأنا خليفتك وطوع أمرك .

قال : وأما بهرام جويين فإنه ورد إلى النهر وان ، فخرج كسرى أبرويز إليه وواقفه بها وجعل النهر بينه وبينه ، ودار بينهما كلام كثير ، بكل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة ، وهو لا يُجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حتى يئس منه وأجمع على حربه والتقوا واقتلوا . وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز ضَعَفَ عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من الأتراك ، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة ، وكانوا قد التزموا لبهرام بقتل أبرويز ، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة .

قال : ثم رأى أبرويز من أصحابه فتورا فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم ، وأحرز نساء وشخص في عدة يسيرة فيهم يتدوينة وبسطام وكردى أخو بهرام ؛ لأنه كان معاديا لأخيه ، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز . فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام ، وأشفقوا أن يرد هزم إلى الملك ، ويكتب ملك الروم عن هزم في رثم فيتلقوا ؛ فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنه في إتلاف هزم فلم يُجِبْ جوابا ، فانصرف يتدوينة وبسطام وطائفة معهما إلى هزم فلقنوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا : سر على خير طالع ، وأمين طائر ، فحتم دوابهم وساروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له : خرشيدان

وساروا إلى بعض الديارات التي في أطراف الحارة ، فلبا إوطونه للراحة لحقتهم
 خيل بهرام جويين ، فلما تقدموا بهم أنبه بندوقه أبرويز من نومته وقال له : اجعل
 لنفسك فإن القوم قد طلبوك^(١) : فقال كسرى : ما عندي حيلة . فقال بندوقه :
 إلى ما خال لك بأن أبذل نفسي دونك ؟ قال : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لي ثوبك
 وزيتك لأطعم الدير وتجو أنت ومن معك من وراء الدير ، فإن القوم إذا وصلوا
 ورأوا هيبك على اشتغلوا بي عن غيري ، وطاولتهم حتى تغفوتهم ، ففعل ذلك .
 وخرج أبرويز ومن معه ، ثم وافقت خيل بهرام الدير وعليهم قائد لهم يقال له بهرام
 ابن سياوش فاطلع عليهم بندوقه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز وثيابه ، وأدهمهم
 أنه هو ، وسأله أن ينظره إلى غد ليصير في يده مليا ويسير به إلى بهرام جويين ،
 فامسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس . فلما أصبح أطلع عليه في برته وحليته
 وقال : إن على وعلى أصحابي بقية شغل من استعبداد وحبوبات وعبادات فأهلنا .
 ولم يزل يدافعه حتى مضى طامة النهار وأمعن أبرويز ، وعلم بندوقه أنه قد فاتهم ،
 ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سياوش بأمره ، فأنصرف به إلى بهرام جويين لخبسه .
 وأما بهرام جويين فإنه دخل المسدائن وجلس على سرير الملك ، وجمع
 العلماء لخطبهم ودم أبرويز ودار بينهم كلام ، فكان كلهم متصرفا عنه إلا أن بهرام
 تتوَج وانقاد له الناس خوفا ، ثم إن بهرام بن سياوش واطا بندوقه على الفتك بهرام
 جويين ، فظهر بهرام على ذلك ، فقتل سياوش وأفلت بندوقه ولحق بأذربيجان ،
 وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكتب ملك الروم منها ، وراسله بجميع من كان معه
 وسأله نصرته ، فأجابته إلى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها إليه ، وأمدّه بثيادوس
 أخيه ومعه ستون ألفا من المقاتلة ، عليهم رجل يقال له سرجس ، يتولى تدبير

(١) في تاريخ الطبري (ص ٩٩٨ من القسم الأول مع أوروبا) : « أطرك » .

أمرهم، ورجل آخر من أبطال الروم، كان يصقة بينهم بالف رجل، وسأله ترك
الأنثوة التي كان أبوه ومن قبله من ملوك الفرس يستادونها من ملوك الروم إذا هو
ملك، فأجابه إلى ذلك، وفرح بالهيش الذي أمته بة ملك الروم، واضبط بهم
وأراحهم خمسة أيام، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء وسبار بهم حتى نزل من
أذربيجان في صحراء تدعى الدق^(١) فوافاه هناك بندوقه ورجل من أصهبذى الناحية
يقال له موسى في أرمين ألف مقاتل، فانضموا إليه، ووافاه الناس بالجيل من
أصبهان وفارس، واتبى إلى بهرام جويين مكانه بصحراء الدق، فشخص نحوه
من المدائن، بلحرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكي^(٢) الرومي بضربة ضربه بها
بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي إلى المعركة.

- ١٠ فلما رآه أبرويز استضحك، فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له : هذا
جزاؤنا منك ! يقتل كينا وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونصحك ونصرتك
وأنت تضحك لقتله ! فاعتبر بأن قال : إني والله ما ضحكت لما تذكرون. ولقد شق على
أن فقدت مثله أكثر مما شق عليكم، ولكني رأيتم تستصغرون شأن جويين وتكون
هرى منه، فذكرت ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة
تعدونني وتعلمون يقينا أن هرى إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ
١٥ نكايتهم في الأبطال . ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفردا عن العسكر بأربعة عشر
رجلا منهم كردى أخو جويين وبندوقه وبسطام حربا شديدا وصل فيها بعضهم
إلى بعض، وآخر الأمر أن أبرويز استظهر استظهارا يلس منه بهرام جويين، وعلم

(١) كما في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٠ من القسم الأول طبع أدريا) وفي الأصل زردت هكذا

٢٠ « الرق » بأعمال الحرف الذي قيل للقاف . وفي مصحح الطبري بالمعنى بأنها وردت في بعض النسخ
هكذا : « الرق ، الرق ، الرق ، الرق » .

أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه ، فأنحاز عنه نحو نيراسان ، ثم سار إلى الترك ،
وسار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرق في الجنود من الروم أموالا عظيمة وصرفهم
إلى ملك الروم .

قال : ولبت بهرام جوين في الترك مكرا عند الملك حتى احتال عليه كمرى
أبرويز بتوجيه رجلا يقال له هرمز إلى الترك بيجوهر نفيس وفضه من الهدايا إلى
أسراء ملك الترك حتى دسّت لبهرام من قتله ، فاقتم خاقان لموته وأرسل إلى أخته
كردية وأسراة يعلمهما بلوغ الحوادث ببهرام ، وسأل كردية أخت بهرام أن يترقجها
وفارق أسراة خاتون بهذا السبب ، فأجابته كردية جوابا ليئا ، ثم ضمت إليها من
كان مع أخيها بهرام من المقاتلة ، ونجرت بهم من بلاد الترك إلى حدود مملكة
فارس ، فأتبعها ملك الترك أخاه نظرا^(١) في آتني عشر ألف فارس . فيقال إن كردية
قالت وقتلت نظرا يسدها ، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود أرض فارس ،
وكتبت إلى أخيها كردى فأخذ لها أمانا من أبرويز ، فلما قدمت عليه اغتبط بها
وتزوج بها أبرويز .

قال : ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمدّه وبياديه إلى أن
وثبت الروم عليه في شيء . أنكره منه فقتلوه وملكوا غيره ، فبلغ ذلك أبرويز فآلم له
وأوى إلى أبرويز ابن الملك المقتول ، فتوجه أبرويز وملكه على الروم ، ووجه معه
جنودا كثيفة مع شهباز فدوخ بهم البلاد . وملك صاحب كمرى بيت المقدس
وأخذ خشية الصلب وبعث بها إلى كمرى ، وذلك في أربع وعشرين سنة من
ملكه ، ثم احتوى على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة ، وبعث مغاتيع فصر
الإسكندرية إلى كمرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه ، وقصد قسطنطينية فأناخ

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « بطرا » .

على ضفة الخليج الذي هو بالقرب منها وخيم هنالك، فأمره كسرى فخرت ببلاد
الروم غضبا على أهلها لما انتهكوا من ملكهم واستقاموا له، ومع ذلك لم يخفضوا
لأبن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة، ولا مال إليه واحد منهم؛ غير أنهم قتلوا
الملك الذي ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقا لما ظهر لهم من فجوره وسوء تدبيره؛
وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل، فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم
من تخريب جنود فارس بلادهم، وقتلهم مقاتلتهم، وسلبهم ذراريهم، واستباحتهم
أموالهم تضرع إلى الله وأكثر الدعاء وأبتهل. فيقال إنه رأى في منامه رجلا ضخما
الجنة رفيع المجلس قد دخل عليه، فدخل عليهما داخل فالتقى ذلك الرجل عن مجلسه
وقال لهرقل: إني قد أسأمت في يدك، فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد
حتى تواتت عليه أمثالها، فرأى في بعض لياليه كأن رجلا دخل عليه ما بيده
سلسلة طويلة فالتفها في عنق صاحبه، أحنى صاحب المجلس الرفيع، ثم دفعه إليه
وقال له: ها قد دفعت إليك كسرى برويته.

فلما تتابعت هذه الأحلام قصتها على عظماء الروم وقوى النظم منهم، فأشاروا
عليه أن يفزوه. فاستعد هرقل واستخلف أبنته على مدينة قسطنطينية، وأخذ عن
الطريق الذي فيه شيرياز صاحب كسرى وعدل إلى غيرها، وسار حتى أوغل في بلاد
أرمينية ونزل نصيبين سنة، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعى
للموعدة كانت من كسرى عليه. وأما شيرياز فقد كانت كتبت كسرى ترد عليه
في الجثوم على الموضع الذي هو به وترك البراح، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بمجنوده

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٢ من القسم الأول): «شيرياز» وأشار مصححه بالهامش
إلى أنه ورد في بعض المراجع: «شمريران» و «شمريرار».

بنصيبين، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزار^(١) في آتني عشر ألف رجل من الأعياد، وأمره أن يقيم بينتوى - وهى الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يعزوها . وكان كسرى بلغه خبر هرقل ، وهو يومئذ بدسكة^(٢) الملك ، فغضب الجيش لشمه من جواز دجلة ، فمسكروا حيث أمرهم كسرى ، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر الى الناحية التى فيها جنود فارس ، فأذكى راهزار البيون عليه ، فأخبروه أن هرقل فى سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزار ومن معه من الجنود أنهم عاجزون عن مناهضته ، فكتب الى كسرى فيرمره أن هرقل قد دهمه بما لا طاقة له به ولا قبل من الجنود الكثيرة . كل ذلك يحويه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن ينجز عن استقبالهم ، وبئلى دماء الفرس فى طاعته .

فلما تابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك جأ جنده وانهض الروم بهم ، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل من الفرس ، وانهزم بقيتهم وهربوا على وجوههم لايلون على شىء ، وبلغ كسرى ذلك فانهماز من دسكة الملك الى المدائن ، وتحصن بها لجزءه عن محاربة هرقل ، وسار هرقل ببيوش الروم حتى كان قريبا من المدائن ، فاستعد كسرى لقتاله ، فلما بلغه ذلك أنصرف الى أرض الروم ، وكتب كسرى الى قواد الجنود الذين انهزموا يأمرهم أن يندلوه على كل رجل انهزم منهم ، ومن قُتل فى تلك الحرب ، ولم يربط مرزوه ، وأمر بقوتهم بحسب ما استوجبوا ، فأجوبهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب الى شهرباز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ويصف ما نال هرقل منه ومن بلاده .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى ، وكتب مصححه بهامشه : « راهزاذ » ، وفى الأصل : « زاهراده » .

(٢) الدسكة : بناء شبه قصر حوله بيوت يكون لك (الخزيب للجوالين) .

وقد حكى أن كسرى عرّف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال
فدحاها وقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك
فاثيري على أيهم أستعمل ، فوصفت له أولادها فقالت : هذا فرخان أنشد من
سنان ؛ وهذا شهر ياز ^(١) أحكم من كذا ، وهذا فلان أروع من كذا ؛ فأستعمل شهر ياز ؛
فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم ونزب مدائنهم .

- ٦٤
١٣
- فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب ؛ فقال
فرخان لأصحابه : لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كلمته كسرى ،
فكتب إلى شهر ياز : إذا أتاك كتابي هذا فأبعث إلى برأس فرخان ، فكتب إليه :
أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، وإن له نكايته في العدو وصيته فلا تفعل ،
فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفا منه ، فنجّل إلى برأسه ، فواجهه ففضب
١٠ كسرى ولم يجبه . وبعث بريدا إلى أهل فارس : إني قد زعّيت عنكم شهر ياز
وأستعملت فرخان ، فأنتقد له شهر ياز وقال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سرير
وجلس عليه فرخان ، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد
أعطاهما له وقال له : إذا أنتقد شهر ياز إلى طساعة فرخان فأعط فرخان هذه
الصحيفة ، فلما قرأها فرخان قال : على شهر ياز ! فأني به فقدم ليضرب عنقه
١٥ فقال : لا تعجل علي حتى أكتب وصيتي ، ثم دعا بسفط وأخرج منه ثلاث صحائف ،
وهي التي كان كسرى أمر شهر ياز فيها بقتل فرخان وقال له : كل هذه راجعت
كسرى فيها عنك ، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد ؟ فردّ الملك ^(٢) إلى أخيه وأعتذر

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٧ من القسم الأول طبع توربا) : « شهر ياز » وقد ورد فيه
هذا الخبر .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « على » .

منه ، فكتب شهر ياز الى هرقل ملك الروم : إنا لى إليك حاجة لا تحملها البرد ، ولا تبذلها الضحى فإلنى ولا تأتىنى إلا فى خمسين روميا ، فأتى أيضا القسك فى خمسين فارسيا ، فأقبل هرقل فى خمسمائة [ألف]^(١) رومى ، وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، فأتته عيونه أنه ليس مع شهر ياز إلا خمسين رجلا .

قال : ثم ألقيا وقد بسط لهما فى قبة من السياج ضربت لهما ، فأجتمعا ومع كل واحد منهما سيكين ، ودعوا ترجمانا يترجم لكل منهما عن قول الآخر ، فقال شهر ياز لهرقل : إنا الذين نهربوا مدينتك وبلغوا منك ومن جندك ما بلغوا أنا وأنى بشجاعتنا وكيدنا ، وإن كسرى حسدنا وأراد قتل أنى وكتب إلى بقتله فأبى ، ثم أمر أنى أن يقتل وقد خلعتاه جميعا ونحن نقاتله معك . قال : قد أصبنا ووقفنا ، ثم أشار أحدهما الى صاحبه : إنا المرء إنما يكون بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا ، قال الآخر : نعم ، فقاما جميعا الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه ، وأتفقا على قتال كسرى أبرويز .

ومما أمتق فى أيامه من الحوادث يوم ذى قار ، وسند كره . إن شاء الله تعالى .
فى أيام العرب ووقائعها ، ولم نذكر فى هذا الموضع يوم ذى قار على سبيل الإيراد له بل على سبيل التنبيه عليه .

ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم

قال : كان أبرويز وجه رجلا من جلة أصحابه فى جيش جرار الى بلاد الروم ، فنكأ فيهم ، وبلغ منهم ، وفتح الشام ، وبلغ الدرب فى آثار الروم ، فغطم أمره حتى خافه

(١) التكلة من تاريخ الطبرى .

(٢) الجلة (بالكسر) : النظام السادة ذور الأخطار .

(٣) نكأ فى المدح : قتل فيهم وجرح وأثخن .

أبروز، فكانت بكائين، بأمر من أحدهما أن يستخلف على جيشه من يتق به، وقبل إليه، وبأمره في الكتاب الآخر أن يُقيم بمكانه، وأنه لما تدبر أمره، وأجال الرأي لم يرم من يسهل سبته، ولم يأمن الخلل إن غاب عن موضعه، وأرسل بالكائين رسولاً من ثقافته وقال له: أعطه الكتاب الأول بالأمر بالقدوم، فإن أجاب إلى ذلك فهو ما أردت، وإن كره وتناقل عن الطاعة فأسكت عليه أيما وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله إليه ليقم بموضعه. فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيش ببلاد الشام فأوصل إليه الكتاب، فلما قرأه قال: إنما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موصي، أو يكون قد آخطأ عقله بصرف مثل وأنا في بحر المدو، فدعا أصحابه وقرا عليهم الكتاب فأنكروه: فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل إليه الكتاب الثاني بالمقام وأمره أن رسولاً ورد به. فلما قرأه قال: هذا تخليط ولم يقع منه موعداً، ودس إلى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يُحِلَّ الطريق لملك الروم حتى يدخل إلى بلاد العراق على غيرة من كسرى، وعلى أن لملك الروم ما يطلب عليه من دون العراق، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس، فأجابه ملك الروم إلى ذلك وتعمى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة، وأخذ أفواه الطريق، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا^(١)، وكسرى على غير اعتداد، وجنوده متفرقون في أعماله. فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال: هذا وقت حيلة ومكيدة، لا وقت شدة، وجعل ينكت الأرض ملياً، ثم دعا برق فكتب فيه كتاباً صغيراً بخط دقيق إلى صاحبه بالجزيرة يقول فيه: قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وأطاعهم في نفسك، وتخليئة الطريق حتى إذا تولى بلادنا أخذته من أمانه، وأخذته ومن نديناه ملك من خلفه فيكون في ذلك

٦٥
١٣

(١) قرقيسيا: مدينة بالجزيرة مصب نهر الحايبور بالقرات.

بواره، وقد تمّ في هذا الوقت مادبرناه، ومباعدك في الإيقاع به يوم كذا وكذا، ثم دعا راهبا في دير بجوار مدينته وقال له: أيّ جاري كنتُ لك، قال: أفضل جاري، فقال: قد بدتُ لنا اليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجلّ من أن يكون له إلى حاجة، ولكن عندي بذل نفعي، فما الذي يأمر به الملك؟ قال كسرى: تحمل لي كتابا إلى فلان صاحبي، قال نعم، قال كسرى: ستمتّ بأصحابك النصراني فأخفه، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى: أعلمت ما في الكتاب؟ قال لا، قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه. فلما قرأه أدخله في جيبه ثم مضى. فلما صار في عسكر الروم ونظر إلى الصُلبان والقسيسين وتخيّلهم بالتقديس والصلوات أحترق قلب الراهب واشفق عليهم وقال في نفسه: أنا شر الناس إن حملتُ يدي حتف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق؛ فصاح الراهب: أنا لم يُعلمني الملك كسرى رسالة ولا معنى كتاب، فأخذه فوجدوا الكتاب معه، وقد كان كسرى أيضا وجه رسولا قبل ذلك وأمره أن يتربّس عسكر الروم كأنه رسولٌ إلى كسرى من صاحبه الذي وافق ملك الروم ومعه كتاب فيه: إنَّ الملك كان قد أمرني بمقاربة ملك الروم، وأن أخذه وأخلى له الطريق، فبأخذه الملك من أمامه وأخذه أنا من خلفه، وقد فعلتُ ذلك، فرأى الملك في إعلامي وقت خروجه إليه. فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال: قد عجبْتُ من أن يكون هذا الفارسيّ معي على كسرى، ووفاه كسرى أبويز فيمن أمكنه من جُنده، فوجد ملك الروم قد ولى هارباً فاتبعه يقتل ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب أن يُخفي نفسه ويستتر ذنبه. فلما فاته مادبرٌ خرج خلف ملك الروم يقتل فيهم ويأسر، فلم يسلم منهم إلّا القليل.

ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله

قال : وكان سبب ذلك تجبره واحتقاره للعلماء وعتوه ، وذلك أنه استخف بما لا يستخف به الملك الخازم ، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك ، وبلغت خيله الى قسطنطينية وأفريقية ، وكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا فيل واحد ، وخمسون ألف دابة ، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك ، وأمر أن يجمع ما يجي من بلاده وسائر أبواب المال ستة ثمانى عشرة من ملكه ، فرفع إليه أن الذى يجي في تلك السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر أن يحول إلى بيت مال بني بمدينة طيسفون^(١) من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباز بن فيروز اثنتى عشرة ألف بكرة من أنواع الجواهر وغير ذلك .

١٠

قال : فعتا وتجبر واستهان بالناس والأحرار ، وبلغ من جرأته أنه رأى رجلا كان على حرس باب الخساسة ، يقال له : زاذان فروخ ، فأمره أن يقتل كل مقيد في سجن من سجنونه ، فأحصوا من بالسجون من المقيدین فبلغوا ستة وثلاثين ألفا ، فلم يقدر زاذان فروخ على قتلهم ، وتوقف عن إمضاء أمر كسرى وأعد عيلا له فيما أمره به فيهم ، فكان بهذا أحد الأسباب التي كسب بها كسرى صداوة أهل مملكته مع وجود احتقاره لأياهم ، واستخفافه بهم ، وأطراحه لمظالمهم . ومن ذلك أنه سلط عليا ، يقال له : فرخان زاذ ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بئس وعذاب . ومن ذلك أنه أجمع على قتل القل^(٢) الذين أنصرفوا إليه من

١٥

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة كسرى التي فيها الإيوان ، بينها وبين بغداد ثلاثة

٢٠

فراخ . وفي الأصل : « طيسون » وتاريخ الطبري : « طيسون » .

(٢) القل (بالفتح) : الجماعة .

قَبْلَ هِرَقْلَ ، فَأَكَدَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بَفْضِهِ ، وَأَسْتَطَالَ النَّاسَ مَدَّتَهُ ، فَكَانَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعِظَاءِ أَنْصَرَفُوا إِلَى عَقْرِبَابِيلَ ، وَفِيهِ شَيْرَى بْنُ أَبْرُو زَمَعَ إِخْوَتَهُ . وَقَدْ كَانَ كَسْرَى أَبْرُو زَ وَكُلُّهُمْ مُؤَدِّينَ وَأَسَاوِرَةً ، يُحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الْبَرَاكِ ، فَأَخَذَهُ الْعِظَاءُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرَ وَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، نَخَلَى عَمَنَ كَانَ فِي سَجُونِهَا وَأَخْرَجَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ الَّذِينَ كَانُوا غَلَبُوا وَفَزُوا مِنْ هِرَقْلَ وَأَمَرَ كَسْرَى بِقَتْلِهِمْ ، فَتَدَاوَا : قُبَاذُ شَاهَنْشَاهَ ، وَصَارُوا كُلُّهُمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى رَحْبَةِ كَسْرَى ، فَهَرَبَ الْحَرَسُ ، وَأَنْحَازَ كَسْرَى بِنَفْسِهِ إِلَى بَاغٍ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِهِ ، يَعْرِفُ بِبَاغِ الْهِنْدُوَانِ ، فَأَرَا مَرْعُوبًا ، فَأَخَذَ وَسَيْسَ بِمَكَانٍ غَيْرِ دَارِ الْمَلِكَةِ ، فِي دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : مَارَا سَقَنْدَ ، إِلَى أَنَّ قُتِلَ بَعْدَ حَدِيثِ طَوِيلٍ وَمُرَاسَلَاتٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ شَيْرَى بِمَوَاطَاةِ الْعِظَاءِ ، بَعْدَ تَقْرِيعِ عَظِيمٍ ، وَتَوْبِيخِ كَثِيرٍ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِ ، وَقُبْحِ فَعَالِهِ ، وَهُوَ يَجْبِيهِمْ بِأَجُوبَةٍ إِقْنَاعِيَّةٍ ، وَلَهُ مِرَاسَلَاتٌ وَوَصَايَا كَتَبَهَا إِلَى ابْنِهِ مِنَ السَّجْنِ ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ هَلَاكُهُ بَعْدَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . وَبِمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مُلْكِهِ ، كَانَتْ هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) عَقْرِبَابِيلَ : مَوْضِعُ قَرَبِ كَرْبَلَاءَ مِنَ الْكُوفَةِ .

(٢) هَكَذَا يُسَمِّيهِ الْعَرَبُ فِي كِتَابِهِمْ ، وَالْفَرَسُ يُسَمُّوهُ : « شِيرُويه » .

(٣) بَهْرَسِيرَ : مِنْ نَوَاحِي سَوَادِ بَنْدَادِ قَرَبِ الْمَدَائِنِ . وَيَعْلَى : هِيَ إِحْدَى الْمَدَائِنِ السَّجَّاتِ الَّتِي سَمِيَتْ بِهَا الْمَدَائِنُ .

(٤) رَوَدَ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ بَحَاثِيَةِ نَصْبِهَا : « الْبَاغُ : الْبَيْتَانُ » .

(٥) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ . وَفِي الْأَمَلِ : « بَاغُ الْمُتَصَدِّقِينَ » .

قال : ولما قُبِضَ على كِسرى خَلَفَ في بيت المال من الِوَرِقِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ
بَدْرَةِ سَوَى الكُنُوزِ وَالذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَلَاتِ .

وكان وزيره والقائمُ بتدبير دولته بُزْرَجِمَهْرَ الْحَكِيمِ . وَلَبَزَ بَزْرَجِمَهْرَ هَذَا قَضَايَا
وِحَكْمَ وَمَوَاعِظَ في أَيْدِي النَّاسِ . وَيُقَالُ : إِنَّ بَزْرَجِمَهْرَ هَذَا إِنَّمَا كَانَ وَزِيرًا لِكِسْرَى
أَنُوشِروَانَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ بَزْرَجِمَهْرَ تَرَكَ الْمَجُوسِيَّةَ وَرَجَعَ إِلَى دِينِ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانَ بِهِ ، فَقَتَلَهُ كِسْرَى لِذَلِكَ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ وَجِدَ
فِي مِثْقَلِيهِ لَمَّا قُتِلَ كِتَابٌ فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْخِرُصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ
الْقَدَرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ نَازِلًا فَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى
الدُّنْيَا حَقٌّ .

قَالُوا : وَلَمَّا بَلَغَ بَزْرَجِمَهْرُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَسَ عَشْرَةَ سَنَةٍ دَخَلَ عَلَى كِسْرَى ،
وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيهَا وَالْمَرَازِبَةِ فِي مَجَالِسِهَا ، فَوَقَفَ وَحِيًّا الْمَلِكُ بِتَحِيَّةِ
الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُونِ نِعْمَهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمَهُ ، الدَّالِّ عَلَيْهِ ، بِالرَّغْبَةِ
إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمُلْكُ ، بِسُوءِهِ فِي الثُّلُكِ ، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ ، وَعَظَّمْ سُلْطَانَهُ ، وَأَنَارَ
بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَنْعَشَ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَسَمَ بِهِ فِي التَّقْدِيرِ ، وَجَوَّهَ التَّدْبِيرَ ، فَرَعَى رِعِيَّتَهُ
بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ ، وَنَحَاها الْمَوَالِيَتِ ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِبَاتِ ، وَذَادَ ضَرًّا الْأَكَالِينَ ،
وَأَلْفَهَا بِالرَّقَى وَاللَّيْنِ ، إِنْعَامًا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَثِينًا لِمَا فِي يَدَيْهِ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَبَارِكَ
لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرْ لَهُ فِيمَا أَسْرَعَاهُ ، وَيَرْفَعْ قَدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَسِيرَ ذِكْرَهُ عَلَى وَجْهِ
السَّاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ بَيْنَهُمَا مَنَآوَى ، وَلَا يُوجَدَ لَهُ مَسَاوَى . وَأَسْتَوْهَبُ اللَّهَ لَهُ

(١) الِوَرِقُ : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٢) المَرَازِبَةُ : رؤساء القُورِ .

(٣) الْأَصْلُ : « رَدَادُهَا » وَالْبَاقُ بِمَنْعِ مَا أَتَيْنَاهُ .

حياة لا ينتقص فيها ، وقُدرة لا يَمِيدُ أحدٌ عنها ، ومُلْكٌ لا يُؤْسُ فيه ، وعافية تُدِيمُ له البقاء ، وتُكثِّرُ له الثَّماءُ ؛ وعِزٌّ يؤمِّنُه من ألقابِ رعيته ، أو هجومِ بليته ، فإنه مُؤَيَّدٌ بالخير ، ودافعُ الشرِّ .

فلَمَّا سمعه كسرى أمرَ الحُشِيِّ لَهُ بنفيس الجواهر ، ولم تمنعه حدائمهُ سنَّه أن استوزَّره ، وقلَّده خيَـرَ وشرِّه ؛ فكان أوَّلُ داخلٍ ، وآخرَ خارجٍ . وكان أبوه خاملَ القدر ، ووضيعَ الحال ، سَفِيهَ المنطق ، اسمه البَحْتَنُكَن .

قال : ولَمَّا قُبِضَ على أبرويز ملك بعده ابنه : قَبَّاذُ بن أبرويز ويُعرَفُ قَبَّاذُ بشيرويه . وقَبَّاذُ هذا هو القابضُ على أبيه والقاتلُ له ، وقتل سبعةَ عشرَ أخلَّه ، وقيل ثمانيةَ عشرَ ، ذوى آدابٍ وشجاعةٍ ؛ فكان عاقبةُ ذلك أن الله عز وجل ابتلاه بالأسقام ، فأنتفض عليه بدنه ، ولم يلدُ بشيءٍ من ملاءة الدنيا ، وجرَّعَ بعد قتل إخوته جرْعًا شديداً ، وكان يبكي حتى يرى التاجَ عن رأسه ، وعاش ما عاش مهموماً حزينا مُدَقِّفاً . وفي أيامه فشا الطاعونُ فأهلك أكثرَ الفُرسِ . وكان مُلكه ثمانيةَ أشهرٍ ، وقيل أكثرَ من ذلك .

وملك بعده وفاته ابنه أَرْدَشِيرُ بن شِيرَوِيَه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من يث الملك ضيره .

قال : ولَمَّا مَلَكَته الفُرسُ عليها حضنه رجلٌ يقال له : مَهَادَرُ جُشَنَسُ ، فأحسن سياسةَ المُلكِ . وكان شَهْرَبَرَّازُ المقيم بِشَقْرِ الرومِ في جُنْدٍ ضَمَّهم إليه كَسْرَى أبرويز

(١) كذا في تاريخ الطبرى ، وفي الأصول : « مهادر حشيس » بالميم ، وفي موضع آخر : « بهادر حشيس » بالياء .

(٢) كذا في تاريخ الطبرى . وهو ما استندار . وفي الأصل : « شهر يان » .

وآبته شيرويه ، وكانا يكتبان اليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان
برأيه . فلما مات شيرويه وملكت القُرس عليها آبته أردشير - مع حداثة سنه - لم
يتناوره عظماء القُرس في ذلك ، فعظم عليه أفرادهم عنه ، وجعل ذلك ذنباً لهم ،
وبسط يده وطمع في المُلْك ، وأستهان بعظماء القُرس ، ودعا الناس لنفسه ، وأقبل
بجُنْدِه نحو المدائن ، فعمد مَهْمَا دَرَجُشَس الى مدينة طَيْسَبُون ، فخصنها وحول أردشير
وَمَنْ بَقِيَ مِنْ تَسَلِ الملوك ونسائهم والأموال والخزائن والكُراع^(١) وغير ذلك إليها ؛
فورد شهر برّاز الى مدينة طَيْسَبُون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، فحجز عنها
لخصبتها ، فأخذ في أعمال المكابدة والحيل ، فلم يزل يتلطف برجل يقال له : يوخمرو
ويراسله هو وغيره ، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء
وأستصفى أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه . وكان مُلْكُه سنة ونصفاً ، وقيل :
إنما ملك نصف سنة ، وقيل : خمسة أشهر .

وملك بعده شهر برّاز ، وقيل فيه : شهر يار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة .
قال : ولما جلس على سرير المُلْك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه
أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بالطست ، فوضع أمام ذلك السرير ، ومد أمامه
ما يستتر به ، وبقي يتبرز في ذلك الطست .

قال : ثم أمتعض رجل يقال له : فُسْتَوْخ^(٢) [بن مانثريذان^(٣)] وأخوان له من
قتل شهر برّاز أردشير بن شيرويه وطلبته على المُلْك ، فحالفوا على قتله . وكان
من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه ستماطين عليهم الدروع والبيض ،

(١) الكراع (بالضم) : يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « اسفروج » .

(٣) التكة من تاريخ الطبري .

وبأيديهم السيوف والتراس^(١)؛ فإذا حاذاهم الملك وضع كل واحد منهم رُسه على قريوس مَرَّجِه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة السجود .

قال : وأتفق زكوب شهر برّاز في بعض الأيام فوق فسفروخ وأخواه وهم بالقرب من بعضهم بعضاً، فلما حاذاهم شهر برّاز طعنه فسفروخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابّته، فشذّوا رجله بمجل وجرّوه إقبالا وإدبارا ساعة، وساعدهم العطاء^(٢) على ذلك، وقتلوا جماعة ممن كان قد ساعد شهر برّاز على قتل أردشير . فكان ملكه أربعين يوما، وقيل عشرين يوما .

وملكت بعده بوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها : بوران دخت . قال : فأحسنيت السيرة وبسطت العدل، وأمرت برّم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعث من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت الى الناس عاقبة كتبها تعلمهم ما هي عليه من الإحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهية والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور، يعلمون أنه ليس يبطش الرجال تدوخ البلاد، ولا يبايهم كُستباح السباكر، ولا بمكاندهم ينال الظفر وتُلفأ النوائر؛ ولكن ذلك بالله عز وجل، وحسن النية وأستقامة التدبير. وأمرت بالمناهضة وحسن الطاعة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم . وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك رجل يقال له : جُشنَسبِه وهو ابن عم أبرويز، وكان ملكه أقل من شهر، وقيل : إن الذي يزّجره بن كسرى وهو طفل .

(١) التراس (بالكسر) : جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .
(٢) في تاريخ الطبري (ص ١٠٦٣ من القسم الأول طبع أوروبا) : « وساعدهم على قتله رجل من العطاء . يقال له : زاذان قوتخ بن شهر داران، ورجل يقال : له ماهياي ، كان مؤذّب الأساورة، وكثير من العطاء... الخ » .

ثم ملكت بعده آزر مبدخت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجمل نساء
دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ فرخ هرمز أصهبذ خراسان؛ فأرسل إليها يسألها
أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه: التزوج للكلية غير جائز، وقد علمت أن أريك
فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك متى؛ فصر إلى ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها
في تلك الليلة، وتقدمت إلى صاحب حرسها أن يرصده في الليلة التي تواعدا للاكتفاء
فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجرّ رجله وطرحه
في رجة دار الملك.

فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغيب
جثته فقيّمت. وكان رستم بن فرخ هرمز هذا—وهو رستم صاحب القادسية—
عظيم البأس، قويا في نفسه، فلما بلغه ما صنع بأبيه أقبل في جند عظيم حتى نزل
المدائن؛ فقبض على آزر مبدخت وسمل عينيها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها
سنة أشهر.

واختلف فيمن ملك بعد آزر مبدخت، فقبل رجل من عقب أردشير بن بابك
كان ينزل الأهواز يقال له: كسرى [بن مهرجشنس^(١)، فلبس التاج وقتل بعد
أيام. ويقال: بل كان رجل يسكن ميسان يقال له قيروز، فلكوه كرها. وكان
ضخم الرأس، فلما توج قال: ما أصبى هذا التاج! فطير العلماء من افتتاح الأمر
بالضيق وقتلوه. ثم أتى رجل من أولاد كسرى كان قد لجأ إلى موضع من الغرب
بالقرب من نصيبين، يقال له: «حصن المجارة» حين قتل شيرويه بن كسرى أبرويز
إخوته، وهو فرخ زاباذ^(٢) خسرو بن كسرى أبرويز، فأقناده الناس له طوعا زمانا

٢٠ (١) كذا في تاريخ الطبري. وفي الأصول: «كسرى مهرجشنس».

(٢) كذا في تاريخ الطبري وغير أخبار ملوك القرون وسيرهم للصابي (ص ٧٣٧ طبع أروبا).
وفي الأصول: «فرخ زاباذ».

يسيراً ثم استعصموا عليه وخالفوه . وكان ملكه ستة أشهر . وكان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أرويز بأصطخر، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه أخوته . فلما بلغ عظماء أهل اصطخر أن من المدائن خالفوا الملك فرسخ زائد خسرو أنوا بيزدجرد بيت نار أردشير، فتوجوه هناك، ولكوه يد وكان حدنا، ثم أقبلوا به إلى المدائن وقتلوا فرسخ زائد خسرو بحبل احتالوها عليه .

وملك بيزدجرد بن شهريار بن كسرى أرويز بن هرم بن كسرى أنوشتر بن بهرام بن بيزدجرد بن سابور بن هرم بن سابور بن أردشير بن بابك ؛ فلما كان العظماء والوزراء يدبرون الملك لحدائثة سنة . وهو آخر الملوك الساسانية وعليه أقرضت دولتهم، فلم تقم لهم قائمة، وتردد إلى بلاد خراسان وإلى بلاد الترك، وعاد فقيل بمسرو من بلاد خراسان في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وكانت مدة ملك بيزدجرد منذ ملك وإلى أن قتل عشرين سنة ، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها مع الملوك ؛ لأنه كان مشرداً طريداً على ما نذكر أخباره مفصلة، وكيف فُتحت بلاده ومُدنه بلداً بلداً ، ومدينةً مدينةً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما .

فبيد ملوك الفرس الأول والساسانية على هذا المساق الذى ذكرناه أنسان وخمسون ملكاً منهم ثلاث نسوة . فالفرس الأول عشرون ملكاً منهم أمراء واحدة . والملوك الساسانية أنسان وثلاثون ملكاً فيهم أمراء . وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكاً ، وأن مدة ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهوراً . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم

قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم يقيمون إلى الروم ويضافون إلى ولد إسماعيل؛ وقالت طائفة: إلك يونان هو آبن يافث بن نوح. وقال آخرون: إنه يافث بن الأصغر. وذهب قوم إلى أنهم من ولد أوراش بن ماذان ابن سام بن نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من قبيل متقدم في الزمن الأول. وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن شالخ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب، وأنه خرج من أرض اليم. وكان يونان جباراً عظيماً، وسياً جباراً. وكان جزل الرأي، كبير الهممة، عظيم القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسماعيل الكندي في نسب يونان أنه أخ لقحطان، ورد عليه أبو العباس [عبد الله بن محمد] الناصبي في قه بدته حيث قال:

أبا يوسف أتى نظرت فلم أجد	على القمحصر رأيا صحتك ولا عقدا
وصرت حكيماً عند قوم إذا أمرؤ	بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهداً
أتقرون إلحاداً بدين محمد	لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتحط قحطاناً بيونان ضلة	لعمري لقد باعدت بينهما جدّاً

قبل: ولما كثر ولد يونان خرج يطلب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من الغرب، فأقام به هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق): «أوراش بن ياوران».

(٢) هذه عبارة المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق) وعبارة الأصل: «وأن

أمره كان في الانفصال عن ديار أخيه قحطان وأنه... إلخ».

(٣) التكملة من المسعودي.

وصيته إلى الأكبر من ولده وأسمه جريوش ، وأوصاه بأولاده ونسله ، ومات
وبقي أبنيه على مكانه ، وكثر نسلهم فقلّوا على بلاد الغرب من الفريجية والنوكرية
والصقالية وغيرهم .

١٠ وذكر بطليموس في كتابه : أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيلبس
وتفسيره حبّ الفرس ، وقيل اسمه فغليس ، وقيل فيلقوس . وكانت مدة ملكه
سبع سنين .

ثم ملك بعده أبنيه الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضرة
الله عنه . والإسكندر هذا هو الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس ، وشرع في مملكة
فارس ، وقسّر ملوك الطوائف فيما ذكرناه .

وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدي الإتاوة إلى ملوك الفرس
منذ دؤخ فمُتَنَصَّر البلاد ، وذلل لهم الملوك على ما ذكرناه آنفا في أخبار الفرس ،
ولا حاجة إلى إعادته .

١٥ قالوا : وكان فيلبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل
سنة . فلما ولي الإسكندر وظهر أمره ، وكان بعيد الهمة ، فامتنع أن يؤدي إلى دارا
الخراج الذي كان يحمل أبوه إليه ، فاستعط دارا ذلك ، فكتب إليه يؤتبه بسوء صنيعه
بتركه حمل ما كان أبوه يحمل من الخراج وقال في كتابه : إنما دعاك إلى حبس ذلك
الصبا والجهل ، وبعث إليه بصوبلجان وكثرة وبقيع من السمسم . يعلم بذلك أنه
إنما ينبغي لك أن تلعب مع الصبيان بالصوبلجان ولا تتفقد الملك ولا تلبث به ،
ويعلم أنه إن لم يقتصر على ما أمره به وتماطى الملك بعد أن أمره باعتزاله بعث
إليه بمن يأتيه به في وثاق . وأن عدة جنوده الذين يبعث بهم إليه كعدة حب السمسم
الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك : أنه قد فهم ما كتب به ، ونظر الى ما أرسله اليه من الصوبلخان والكوة ويتمن به للإلقاء الملقى الكوة الى الصوبلخان وإحرازه إياها ، وأنه شبه الأرض بالكوة ، وتفاعل بملكه إياها وأحتوائه عليها ، وأنه يحمي مملك دارا الى مملكه ، وبلاده الى حيزه ؛ وأنه نظر الى السمسم الذي بعث به كتنظرو الى الصوبلخان والكوة لدسمه ، وبُعده عن المرارة والحَرَافَة ، وبعث الى دارا مع كتابه بَصْرَة من خردل ، وأعلمه في الجواب أن ما بعث به إليه قليل ، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوة والحَرَافَة والمرارة ، وأن جنوده فيما وصف به منه .

فلما وصل الى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع جنوده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده ، وتأهب الإسكندر أيضا للقائه وسار نحو دارا ، فالتقيا جميعا بأرض الجزيرة وأقتلا سنة ، وقد كان دارا مله قومه وأحبوا الراحة منه ، فلحق ١٠ كثير من وجوه الفرس بالإسكندر وأطلعوه على عورة دارا وقوته عليه ، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه إلى الإسكندر ، فلما أتوه بها أمر بقتلهما وقال : هذا جزاء من تجزأ على ملكه .

وقد ذكر أنه سبق إليه أسير غدر به صاحب شرطته ، فقال له الإسكندر : بما آجسترا عليك صاحب شرطتك ؟ قال : بتركي تربيته وقت إساءته ، وإعطائي إياه وقت الإحسان بالسير من فعله نهاية رغبته ، فقال الإسكندر : نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة ، ثم أمر الإسكندر بقتله .

(١) الحرافة : طعم يحرق اللسان والقيم .

(٢) المراد بأرض الجزيرة : بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد . وقد سميت الوقعة التي ألحجم فيها الجيوشان (سنة ٢٣١ ق م) وقعة إربل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة (راجع تاريخ اليونان لبرهوم محمود فهم ص ٢٤٢ طبع مصر) .

وقد قيل : إنه لما هزمه الإسكندر فرجها فخرج في طلبه في ستة آلاف حتى أدركه ، ثم لم يلبث دارا أن هلك ، فظهر الإسكندر عليه الحزن ودقته في مقابر الملوك .

وقيل : إن الإسكندر كان قد نادى ألا يقتل دارا وأن يؤسر . فلما علم الإسكندر بما تم من دارا سار حتى وقف عنده [فراه يحسود بنفسه] فقتل [الإسكندر] من دابته وجلس عند رأسه ، وأخبره أنه ما أمر بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه . وقال : سئى ما بدا لك فإني أسعفك به ، فقال له دارا : لي اليك حاجتان : أحدهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين قتلتني وبماهما له ، والآخرى أن تتزوج ابنتي وروشتك ، فأجابه إلى ذلك ، وأمر بصلب الرجلين اللذين فتكا بدارا . ويقال : إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعل ذلك عن رأى الإسكندر ، وأنه كان شرط لما شرطا على قتله ، فلما طمناه دفع إليهما ما كان شرطه لهما ثم قال : قد وقيت لكما بالشرط ولم تكونا شرطتيا لأنفسكما وأنا قاتلكما لا محالة ، فإنه ليس ينبغي لقتلة الملك أن يتبعوا إلا بدقة لا تخف ، فقتلتهما وصلبهما .

(١) المعروف في كتب التاريخ أنه بعد انتصار الاسكندر واحتلاله مدينة بابل قرر الاسكندر متابعة الرضف جهة الشمال ليقبض على دارا والقضاء على دولته ، فخرج دارا من قلب ملكه طريدا شريدا هائما على وجهه طالبا النجاة بنفسه والاسكندر لم يمتص عينا ولم يبدأ بالامادام لم يقبض عليه . ذلك لبله بأنه قادر على المقاومة إما في الشمال من هضبة إيران ، وإما في وادي جبال باراميسا ذى في سهول التركستان الفسيحة لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة آرال وبين نهري سيحون وجيحون يستوفون ملك الفرس بالسيادة عليهم .

وبينا الاسكندر يقتنى أثره ، ويتبع خطاه اذ علم بأن المرزبان فسوس قبض عليه وقتله بالقرب من ميكا تبيل لظون لذلك حزنا شديدا ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيبا ، وتبع القاتل حتى أدركه فيها بين التهرين وسله إلى آل دارا فقتلوه شر قتلة . (راجع تاريخ اليونان ص ٢٤٤ — ٢٤٥) .

(٢) التلكة من تاريخ الطبرى (ص ٦٩٦ من القسم الأول طبع أودبا) .

ويقال : إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسول فيتوسط العسكر ويسرف كثيرا مما يحتاج إليه ، فكان دارا يستحسن سمته ، ويحسن صلته ومجازاته ، ثم أتبعه ، وأحسن الإسكندر بذلك فما عاد إليه بعدها .

ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه

من ذلك أنه لما أتقى بدارا يوم الحرب أمر متاديه فنادى : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما مكنتنا لكم من الأمانات ، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمنناه ، فأتهمت الفرس بعضها بعضا ، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم .

ومن ذلك أنه لما شخص من فارس إلى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من الهنود ومعه ألف فيل عليها المقاتلة بالسلح وفي نراطينها السيوف والعمد ، فلم تقف لها دواب الإسكندر وقوت فكانت المهزبة عليه ، فلما بلغ الإسكندر مأمنه أمر بأخذ فيلة من نخاس مخوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألقتها ، ثم أمر فليكت نفطا وكبريتا ، وألصقها الدروع وجرت على العجل ، وعاود حرب الهند ، وجعل بين كل تماثيل جماعة من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أجواف تلك التماثيل وأنكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند ، فخرجت

٧٠
١٣

(١) كما ورد في هذا الكتاب (ج ١٤ ص ٣٢١ من هذه الطبعة) ومرجع الذهب للسعودي (ج ١ ص ٣٩ طبع بلاق) . وورد في هذا الموضع في نسخة (١) باسم : « ذر » . وفي نسخة (ب) باسم : « فوز » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتالبي (ص ٤١٦ طبع باريس سنة ١٩٠٠) : « فوز » .

(٢) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . « فقدم بصنعة تماثيل مخوفة . من النحاس والحديد نحكي صور الرجال » .

النيران من خراطيم الفاتيل فولت الفيلة مذبذبة ورجعت على أصحابها ، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم قور .

ومما يحكى عنه أنه نزل على مدينة حصينة فحصن فيها أهلها ، فتمرّف خبرها فقيل له : إن فيها من الميرة ما يكفهم زمنا طويلا ، وإن بها من العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه ، فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متنكرين ، فدخلوها وأمتهم بالأموال الكثيرة ، وأمرهم أن يتأصوا الأقوات ويغالوا في أثمانها ، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها ، فلما علم الإسكندر بذلك كتب إليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وأن يهربوا ، ففعلوا كما أمرهم ، وعاد إلى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة . وكان إذا أراد أن يحاصر مدينة شرد من حوزها من أهل القرى وتهذّبهم بالسبي فليجأوا إلى المدينة ويعتصموا بها ، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في الميرة فيحاصروهم حيثنذ فيفتح المدينة .

ومما يحكى عنه أنه كتب إلى معلمه أرسطاطاليس^(١) ، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من أموره ، ويقتدى بأرائه ، ويعمل بما يشعر به عليه ولا يعذل عنه . وأرسطاطاليس هذا هو تلميذ أفلاطون ، وأفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط .

(١) هو أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المصروفين بالمشائين لأنه كان من عهده إلقاء الدروس على تلاميذه في بستان وهو يتشى ، ومن هنا سمى مشاء ، وسمى أتباعه بالمشائين . ويعرف بالعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد اختاره فيلس أستاذا لأبيه الإسكندر وأرسل إليه خطابا يقول فيه : « إننى لأهني نفسى بولادة أبى بمقدار ما أهنتها بولادته في أيامك » . وكان الإسكندر في السنة الثالثة عشرة من عمره . فطبه وهذبه . وكان له منزلة وقود عند فيلس وأبنته وأقام على ذلك سنين عديدة (رابح تاريخ اليونان للروح محمود فهمى)

وَيَحْكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ كَانَ يَصَوِّرُ لَهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ لَمْ يَرَهُ قَطُّ وَلَا عَرَفَهُ فَيَقُولُ :
صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ أَخْلَاقِهِ كَذَا ، وَمِنْ هَيْئَتِهِ كَذَا ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ كَمَا أَخْبَرَ
عَنْهُ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ صَوَّرَ لَهُ صُورَةَ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَهَا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ عَظِيمٌ فِي الزَّانَا
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا صَوَّرْتَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا كَذَلِكَ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَمْلِكُ نَفْسِي لَفَعَلْتُ
وَأَتَى لِحَبِّ فِيهِ .



نَرْجِعُ إِلَى أَخْبَارِ الإسْكَندَرِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَمَا أَجَابَهُ بِهِ قَالُوا : إِنَّهُ
كَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الرُّومِ جَمَاعَةً مِنْ خَاصَّتِهِ لَا يَأْمَنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِمْ لَمَّا يَرَى مِنْ
بُذْهِمِهِمْ فِي شَجَاعَتِهِمْ وَكَثْرَةِ آلَتِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى لَهُمْ عَقُولًا تَنْتَهِي بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَمْتَنِعُ
مِنْ الإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ بِمَجْرَدِ الظَّنِّ مَعَ وَجُوبِ
الْحُسْرَةِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَرِسْطَاطَالِيسَ : قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ ، وَمَا وَصَفْتَ بِهِ أَحْمَاقَكَ .
أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بُذْهِمِهِمْ فَإِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ بُذْهِمِهِمْ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ
وَقَتْصِ عَقُولِهِمْ فِيهَا ، فَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَرَفَّهَتْ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَخْصَصَتْ بِحَسَانِ
النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رَفَاهِيَةَ الْعَيْشِ تُؤْهِنُ الْعِزْمَ ، وَتَحْبِبُ السَّلَامَةَ ، وَتَبَاعِدُ مِنْ رُكُوبِ
الْخَطَرِ وَالنَّسْرِ ، وَلَيْكِنْ خُلُقُكَ حَسَنًا تَخْلُصُ إِلَيْكَ النَّيَاتِ ، وَلَا تَتَنَاضَلُ مِنَ لَذِيذِ
الْعَيْشِ مَا لَا يُمْكِنُ أَوْسَاطُ إِخْوَتِكَ مِثْلَهُ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي مَعَ الْإِسْتِثْنَاءِ مَحَبَّةً ، وَلَا مَعَ
الْمَوَاسَاةِ بَغْضَةً . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ مَالِ مَوْلَاهُ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ
عَنْ خُلُقِهِ .

وكتب اليه الإسكندر يعلمه أنه شاهد بإيران شهر ورجالا ذوى أصالة في الرأي ، وجمال في الوجوه ، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة ، وأنه رأى لهم هيات وخلفا لو كان صرف حقيقتها لما غزاهم ، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق والبيعت ، وأنه لا يأمن إذا ظن منهم وتوهم ولا تسكن نفسه إلا ببوارهم .

فكتب إليه أرسطاطاليس : فهتمت كتابك في رجال فارس ، فأما قتلهم فهو من الفساد في الأرض ، ولو قتلهم لاثبتت أرض فارس أمثالهم ، لأن إقليم بابل يؤلف أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقل ، والساد في الرأي ، والأعدال في التركيب ، فصاروا أعداءك وأعداء عبيك بالطبع ، لأنك تكون قد وترت القوم وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم ومنهم بينهم ، ولما جارك إياهم في عسكريك مخاطرة بنفسك وإمحابك ، ولكني أشير عليك برأى هو أبلغ لك في كل ما تريد من القتل وغيره ، وهو أن تستدعي أولاد الملوك منهم ومن يستصلح لذلك ويشرح له ، فتقلدهم البلدان وتوليهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكا برأسه ، فتفوق كلمتهم ، ويجمعوا على الطاعة لك ، ولا يؤدي بعضهم إلى بعض طاعة ، ولا يتفقوا على أمر واحد ، ولا تجتمع كلمتهم . ففعل الإسكندر ذلك ، فتم أمره وأمكنه أن يتجاوز أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة . ثم صار إلى أرض العرب وطاف مما يلي القطب الشمالي ورجع إلى العراق فبات في طريقه بشهرزور ، ويقال : بل في قرية من قرى بابل . وكان عمره ستا وثلاثين

(١) إيران شهر : هي بلاد العراق وفارس والجزبال ونواسان يجمعها كلها هذا الاسم (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) شهر زور : بلدة بين الموصل وبين همدان ، بناها زور بن الضحاك قبل شهر زور ، ومعناه مدينة الضحاك (تقوم البلدان لأبي القدا) .

سنة . وفي بعض النسخ ثلاثا وثلاثين سنة . وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهورا .
وقيل : سبعة عشر سنة . وقَتَلَ دارَا في السنة الثالثة من مُلكه .

قال : وبني الإسكندر أُنْفَتِي عشرة مدينة وسَمَّاهَا كُلَّهَا الإسكندرية منها : مدينة
بَحْ^(١) بِأَصْبِهَان ، وثلاث مَدَن بِخِراسان وهي : هَرَاة^(٢) ومرو وسمرقند . وبني بأرض
بابل مدينة لروشنك . وبني بأرض يونان سبع مَدَن .

ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر : أنه من ولد دارا الأكبر . وأنه
أخو دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج بنت ملك الزَنْجِ هَلَايَ ،
فلَمَّا حَلَمَتْ مِنْهُ اسْتَعْجَبَ رَجُلُهَا ، فَأَمَرَ أَنْ يُحْتَالَ لِدَلَالَتِهِ ، فَكَانَتْ تَقْتَسِلُ بِمَاءِ السِّنْدُرُوسِ^(٣)
فَأَذْهَبَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنْ دَفْسِهَا ، ثُمَّ عَاقَهَا وَرَدَّهَا [إِلَى أَهْلِهَا]^(٤) وَقَدْ حَلَقَتْ مِنْهُ
بِالإِسْكَندَرِ فَقِيلَ لَهُ الإِسْكَندَرُوس . هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المقربم .

(١) بحى (بالفتح ثم التشديد) : اسم مدينة ناحية أصبهان القديم ، وهي الآن كالمربوب مفردة ،
وقسَى الآن عند البحر : شيرستان وعند المحدثين المدينة . وفيها مشهد الراشد بن المسترشد معروف بزار ،
وهي على شاطئ نهر زند رود (راجع معجم البلدان لياقوت) وورد في تاريخ الطبري (ص ٧٠٢ من
القسم الأول طبع أوروبا) أنها بنيت على مثال الجنة .

(٢) هراة : كانت مدينة عظيمة مشهورة بخراسان غربها التستر ، فتحت في زمان عثمان رضى الله
عنه . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .

(٣) هي مرو الشامخ ، ومعناه روح الملك . وهي مدينة عظيمة مشهورة بالقواكة . وبينها وبين
كل واحد من نيسابور ، وهراة ، وبلخ وبنقارا ، مسيرة اثني عشر يوما . (راجع تقويم البلدان) .
(٤) هي روشنك بنت دارا .

(٥) في شرح قصيدة ابن عيود (ص ١٥ طبع أوروبا) : « حملت اليه » .
(٦) السندروس : صنف أصفر يشبه الكهرمان . في قوته إلا أنه أرنس منه وفيه شيء من مرارة ، وله
عدة فوائد شرحها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٢٨) .

(٧) الدفر (يسكون الفاء . وضعا) : خبث الرائحة .

(٨) التكلة من شرح قصيدة ابن عيود .

بكلمة الزهر وصدفة الدر، قال: «وآخلف في مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه^(١) أنه [كان] قبل الهجرة بتسعمائة سنة، وثلاث وثلاثين سنة. وذكر أبو محمد ابن قتيبة في كتاب المعارف: أن ينسب وبين الهجرة أربعين سنة. والله أعلم بالصواب.

ذكر شيء من أخبار الإسكندر

وما آتق له مع ملكي الهند والصين

فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون: إن الإسكندر لما دقخ البلاد وقهر الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير. فلما دانت له ملوك الهند بلغه أن بأفاسي ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة وإنصاف لرعيته، وأنه ليس في بلاد الهند من فلاستهم وحكمتهم مثله يقال له

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضاً: «كلمة الزهر وفريدة الدر» ويسمى أيضاً: «شرح البسامة بأطواق الحمامة» وهو شرح للامامة أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي السبئي من أدباء الصف الثاني من القرن السادس الهجري، على القصيدة الرائسة المسماة بالبسامة بأطواق الحمامة المنسوبة للوزير أبي محمد عبد الحميد بن عبدون القهري، وزير بني مسلمة، المعروفين ببني الأظلس بالأندلس، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ التي روى بها ملوك بني الأظلس، وذكر فيها من أباده الخدندان من ملوك كل زمان، وضعها حكما ومواعظ وأخلافا أدبية. وأول القصيدة:

الدرم يضع بسد العين بالثر فسا البكاء على الأشباح والصور

وقد طبع هذا الكتاب بمدينة لندن سنة ١٨٤٦ م وعنى بتصحيحه الميسر ريختر ديزي. وبصرف

شرح قصيدة آين عبدون.

(٢) التكملة من شرح قصيدة آين عبدون.

(٣) في كتاب المعارف لأبن قتيبة (ص ٢٨ طبع أودبا) ما نصه: «وكان بين الاسكندروس وبين نينا عدل الله عليه وسلم يحون تسعمائة سنة» وهو يخالف ما ذكره المؤلف.

(٤) هذه المدينة يقال لها بلهر باسم ملك من ملوك الهند يقال له بلهر وكان يقيم فيها (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ طبع أودبا).

كند كان، وأنه فاهم لنفسه مانع [لها] من الشهوة الغضبية، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول فيه : أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي ، وإلا مزقتُ مُلكك وألحقك بمن مضى من ملوك الهند من قبلك .

- فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد أجمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها : فمن ذلك أبنة له لم تطلع الشمس على أحسن منها ؛ وفيلسوف يخبرك بمراكب قبل أن تسأله لحمة مزاجه وحسن قريحته ، وأصداله في بيئته ، وآتساعه في علمه ؛ وطبيب لا يُخفى عليه معه داء ولا شيء من العوارض إلا ما يطرا من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي ، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نُصِبَ في هذا العالم غرضا للآفات والخوف والبلايا ؛ وقُدِحَ إذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شيء ، وإني متفد جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه .

- فلما قرأ الإسكندر كتابه قال : كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صوّلتني أحب إلى من ألا تكون عندي وبهلك . فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين والروم في عدة من الرجال وتقدم إليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إلى فأحملوا ذلك إلى عندي وأتركوه في موسمه ، وإن تبين الأمر على خلاف ذلك ، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج من حد الحكمة فأخصصوه إلى . فلما انتهوا إلى مملكة الملك خرج إليهم وتلقاهم بأحسن لقاء ، وأنزلهم بأحسن منزل . فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء دون من كان معهم من مقاتلة . فقال بعضهم لبعض : إن صدّقنا في الأول صدّقنا فيما بعد ذلك بما ذكر .

فلما أخذت الحكماء مراتبها واستغزت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا في أصول العلوم الفلسفية وفروعها، وعلى كم فن يمتوى العلم الفلسفي في أصوله، وإلى كم يتفرع.

قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله - : وقد ذكر أن العلم الفلسفي ينقسم على أربعة أنواع : أحدها الرياضيات ، والثاني المنطقيات ، والثالث الطبيعيات ، والرابع الإلهيات . قال :

فأما الرياضيات فأربعة أنواع : الواحد علم الحساب ، والثاني علم الهندسة ، والأصل فيه النقطة ، وهي فيه كالواحد في علم الحساب ، والثالث علم النجوم ، والرابع علم الموسيقى ، وهو علم تأليف الألحان .

وأما العلوم المنطقيات لخمس أنواع : الواحد معرفة صناعة الشعر ، وأنواع البديع كالشكاف والتفريع والحشو والتبذير والتبسيط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والاستعارة والتبليغ والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والاستطراد والتقسيم والتمهيم والإحالة والتنميم . والثاني معرفة صناعة الخطابة . والثالث صناعة الجدال . والرابع صناعة البرهان . والخامس صناعة المناظرة والجدل .

وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع : الواحد علم المبادئ الجسمية ، وهي خمسة أشياء : الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة . والثاني علم السماء والأرض ، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب وكيفيتها وكيفية تركيبها وعلة دوراتها ، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التي دون فلك القمر أو لا ، وما علة حركات الكواكب واختلافها في السرعة والإبطاء ، وما علة سكون الأرض في وسط الفلك في المركز ، وهل خارج العالم جسم آخر أم لا . وهل

في الكون والفساد موضع فارغ لا شيء فيه، وما شا كل هذه المباحث . والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان [الأربعة ^(١)] التي هي النار والهواء والماء والأرض . والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعها على الأركان الأربعة وأفعالاتها بعضها ببعض بقدرته الله تعالى . والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض والعصارات المنحللة من الهواء . والسادس علم النبات على اختلاف أنواعه في حياته وأشكاله واختلاف صمغوه وطعومه وخواصه وروائح منافع ومضاره . السابع علم الحيوان، وهو معرفة كل جسم يقتضى ويحسن ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه، وما شا كل ذلك مما ينسب الى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور والحمرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات .

وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع؛ أولها: معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته، وأنه أول كل شيء وآخر كل شيء، والخالق لكل شيء، والعالم بكل شيء، وأنه ليس كمثل شيء . والثاني علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية، وهي الصورة المجردة من الهوى المستعملة للأجسام المطهرة، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض، وقبض بعضها عن بعض، وهي أفلاك روحانية تحيط بأفلاك جسمانية . والثالث علم النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض . والرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع؛ أولها: السياسة النبوية، والسياسة الملوكية، والسياسة العاقبة والسياسة الخاصة والسياسة الدائمة . فأما السياسة النبوية فالله تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من

٧٣
١٣

(١) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٨ طبع أورد). .

عباده ويهدى لاتباعهم من إنشاء لا معقّب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
وأما السياسة الملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنّة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر . وأما السياسة العامّة فهي الرياسات على الجماعات كرياسة
الأمراء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور
وإختان التدبير . وأما السياسة الخاصّة فهي معرفة كلّ إنسان بنفسه ، وتديره
أمر غلمانه وأولاده ، ومن يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان . وأما السياسة
الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزقيها بزمام عقله ،
وغضبته فيردمه وما شا كل ذلك . والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية
أنبعاث الأرواح وقيام الأجساد وحشرها للحساب يوم الدين ، ومعرفة حقيقة جزاء
الحسين وعقاب المسيئين .



نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر ، قال : ولما تكلم مع الحكماء
اليونانيين في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية اليهم ، فلما
ظهرت لأبصارهم لم يقع طرف كلّ واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدّى
ببصره إلى غير ذلك الموضو اشتغالا بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم ،
ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا سلطان هواهم ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدّم الوعد
به وحرفهم ، وبعث بالفيلسوف والطبيب والجارية والتدح [معهم] .

فلما وردوا على الإسكندر أمر بإتزال الفيلسوف والطبيب ، ونظر إلى الجارية
فأعجب من مشاهدتها ، فأمر قيّمة الجوارى بالقيام عليها ، ثم جرف همته إلى الفيلسوف
والطبيب وإلى علم ما عندهما ، وقصّ عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من

المباحث في العلوم الفلسفية ، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم ، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يملأها في معلولاتها ، وما يصفه اليونانيون أيضاً من عللها في معلولاتها على حسب ما قدست من أوضاعها ، ثم أراد حجة الفيلسوف على حسب ما خبر عنه ، فأجال فكره فيما يختبره به ، فدعا بقدر فلاء سمنا ولم يعمل للزيادة عليه موضعاً ، ودفعه لرسول وقال : احمل هذا إلى الفيلسوف ولا تكلّمه بشيء ، فلما دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة ففرزها في السمن وصرفه إليه ، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبر كرتة متساوية الأجزاء وردّها إليه ، فأمر الفيلسوف ببسطها وجلاؤها حتى صارت جميعاً ترد صورة مقابلها لصفاتها وردّها إلى الإسكندر ، فدعا بطست وجعل تلك المرأة فيه وصب عليها الماء حتى غمرها وردّها إليه ، فأخذها الفيلسوف وعمل منها طرجهارة طافية على الماء وصرفها إليه ، فلأها الإسكندر تراباً وردّها إليه ، فلما نظر الفيلسوف إلى التراب تغيّر لونه وبكى ثم ردّها إلى الإسكندر ولم يضع فيها شيئاً .

فلما كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوساً خاصاً ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم ، فلما أقبل نظر الإسكندر [من الفيلسوف] إلى رجل طويل الجسم رحيب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع له حسن الصورة والفهم كان أوحّد زمانه ، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر وحيّاه بحية الملك ، فأشار إليه بالجلوس وقال : لم أذرت إصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة

(١) طرجهارة ويقال لها : طنجهارة من كلمة تركهار الفارسية : نوع من الصفحات أو الصور

يقطع عليها العين الكجمد (راجع قاموس دروي) .

(٢) الكلمة من شرح قصيدة أين عبود (ص ٢١) .

أنفك؟ قال : علمتُ أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حُسن صورتى وإتقان
بُنْيَتِي قَلْبًا يَجْتَمِعُ هَذِهِ الْحَلَقَةُ مَعَ الْحِكْمَةِ، وَإِذَا كَانَ عَلَى هَذَا كَانَ صَاحِبُهَا أَوْحَدَ
زَمَانِهِ، فَأَرَيْتُكَ مُصَدِّقًا لِمَا سَمِعْتَ لَكَ أَنَّهُ كَمَا لَيْسَ لَكَ فِي الْوَجْهِ إِلَّا أَنْفٌ وَاحِدٌ
فَكَذَلِكَ لَيْسَ فِي دِيَارِ الْهِنْدِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ غَيْرِي .

٧٤
١٣

فقال الإسكندر : حَسَنٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ ! فَمَا بَالُكَ حِينَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِالْقَدَحِ السَّمَنِ
غَرَزْتَ فِيهِ الْإِبْرَ وَرَدَدْتَهُ؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد امتلأ
علمًا فليس لأحد فيه مسترَد، فأعلمتُك إنَّ علمي سيزيد فيه كما زادت هذه الإبر
في هذا السمن . قال : فَمَا بَالُكَ حِينَ حَمَلْتُ لَكَ الْإِبْرَ تُكْرِمُ صَنَعْتَ مِنْهَا مَرَأَةً صَقِيلَةً
وَصَرَفْتَهَا إِلَيَّ؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إنَّ قلبي قد قسا من سَفَكِ الدَّمَاءِ
وَأَشْتَفَلَ بِهَذَا الْعَالَمِ فَلَا يَقْبَلُ الْعِلْمَ وَلَا يَرْغَبُ فِيهِ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنِّي سَاعَمِلُ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ،
كَمَا جَعَلْتُ مِنَ الْكُرَّةِ مَرَأَةً مُورِيَةً لِلْأَجْسَامِ . قال : فَمَا بَالُكَ حِينَ جَعَلْتَهَا لَكَ
فِي الطُّسْتِ وَصَبَبْتُ عَلَيْهَا الْمَاءَ جَعَلْتَهَا طَرَجُهَا طَافِيَةً عَلَى الْمَاءِ؟ قال الفيلسوف :
علمتُ أنك تقول إنَّ الأيامَ قد قُصُرَتْ وَالْأَجَلُ قَرِيبٌ، وَلَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ الْكَثِيرُ
فِي الْمَهْلِ الْقَلِيلِ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنِّي سَاعَمِلُ الْحِيلَةَ فِيهِ فِي غَيْرِ مَتَدَةٍ طَوِيلَةٍ، كَمَا جَعَلْتُ
هَذِهِ الْمَرَأَةَ الرَّاسِبَةَ طَافِيَةً فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ . قال : فَمَا بَالُكَ حِينَ مَلَأْتُ ذَلِكَ الْإِنَاءَ
تَرَابًا رَدَدْتَهُ إِلَيَّ وَلَمْ تُحَدِّثْ فِيهِ شَيْئًا؟ قال : علمتُ أنك تقول : ثم الموت، وأنه لا بد
منه، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّ لَاحِلَةَ فِي ذَلِكَ . قال الإسكندر : قد أَجَبْتَنِي عَلَى مُرَادِي
فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَلَأُحَسِّنَ إِلَى الْهِنْدِ مِنْ أَجْلِكَ، وَأَمْرٌ لَهُ بِجَوَائِزٍ كَثِيرَةٍ . فقال له
الفيلسوف : لَوْ أَحْبَبْتُ الْمَالَ لَمَّا كُنْتُ عَالِمًا، وَلَسْتُ أُدْخِلُ عَلَى عِلْمِي
مَایضَاهُ، فَإِنَّ الْفَنَاءَ يُوجِبُ الْخِدْمَةَ، وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْهَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ بِسِفْكَ أَجْسَامِ
رَحْمَتِكَ فَأَمْلِكْ قُلُوبَهُمْ بِإِحْسَانِكَ فَهُوَ نِعْمَانَةٌ سُلْطَانِكَ، وَأَحْذَرِ الْعَامَّةَ فَإِنَّهَا إِذَا قَدَّرَتْ

١٠

١٥

٢٠

...

أَنْ تَقُولَ قَدَرْتُ أَنْ تَفْعَلَ فَأَحْتَرِزُ مِنْ أَنْ تَقُولَ تَأْمَنُ أَنْ تَفْعَلَ ، فَاَلْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنْ
مَلِكِ الرِّعْيَةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ بِأَفْعَالِ بَارِئِهِمُ الْإِحْسَانِ ،
نَحْيُهُ الْإِسْكَانْدَرُ فِي الْمَقَامِ مَعَهُ ، أَوَّالًا أَنْصَرَفَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَاخْتَارَ الرُّجُوعَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا الْقَدْحُ فَلَاهُ مَاءٌ ثُمَّ أُوْرِدَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَلَمْ يَنْقُصْ شَرِبَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَيَقَالُ
إِنَّهُ كَانَ مَعْمُولًا مِنْ خَوَاصِّ الْهِنْدِ الرُّوحَانِيَّةِ مِمَّا تَدْعِيهِ الْهِنْدُ . وَيَقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَدَمَ
أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِبَارَكٌ لَهُ فِيهِ حِينَ كَانَ بِأَرْضِ سَرَئِدِيَّ ، فَوُرِّثَ عَنْهُ
إِلَى أَنْ أَتَى إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ .

وَأَمَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ مَعَهُ مَنَظَرَاتٌ دَلَّتْ عَلَى ثُبُوتِ قَدَمِهِ فِي مَلِكِهِ ، وَأَنَّهُ
كَمَا وَصَفَ صَاحِبُهُ أَوْكَادَ . هَذَا خَبَرُهُ مَعَ مَلِكِ الْهِنْدِ .



وَأَمَّا خَبَرُهُ مَعَ مَلِكِ الصِّينِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَسْكُوِيهِ
فِي كِتَابِهِ الْمَتَرَجِمِ بِتَجَارِبِ الْأُمَمِ : وَفِي الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الْإِسْكَانْدَرَ لَمَّا أَتَى إِلَى
بِلَادِ الصِّينِ أَتَاهُ حَاجِبُهُ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ مَلِكِ الصِّينِ
بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْكَ ، قَالَ : أَدْخُلْهُ ، فَأَدْخَلَهُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِسْكَانْدَرَ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَسْتَخْلِيَنِي فَعَلْ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَانْدَرُ مَنْ بِمَحْضَرَتِهِ أَنْ
يَنْصَرَفُوا . فَانْصَرَفُوا كُلَّهُمْ عَنْهُ وَبَقِيَ حَاجِبُهُ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي حُثِّتُ لَهُ لَا يَحْتَمِلُ
أَنْ يَسْمَعَهُ غَيْرُكَ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَانْدَرُ أَنْ يُفْتَشَّ فُتِّشَ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُ سِلَاحًا ، فَوَضَعَ
بَيْنَ يَدَيْهِ سِيفًا مَسْلُوكًا وَقَالَ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ وَقُلْ مَا شِئْتِ ، وَأَخْرَجَ الْحَاجِبَ
وَمَنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا خَلَا الْمَجْلِسُ قَالَ لَهُ : أَنَا مَلِكُ الصِّينِ لَا رَسُولُهُ ،
جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَمَّا تَرِيدُ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُمْكِنُ عَمَلُهُ وَلَوْ عَلَى أَصْعَابِ الْوُجُوهِ عَمِلْتُهُ

وأغبتك عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما الذي آمنتك متى ؟ قال : على
بأنك عاقلٌ حكيمٌ ، ولم تك بيننا عداوةً ولا مطالبةً ^(١) بذخل . وأنت تعلم أنك إن
قتلتني لم يكن ذلك سبباً لتسليم أهل الصين إليك ^(٢) ملكهم ، ولم يمنهم قتلى من أن
ينصبوا لأنفسهم ملكاً غريباً ثم تنسب [أنت] إلى غير الجليل وضد الحزم . فاطرق
الإسكندر وعلم أنه رجلٌ عاقلٌ ، ثم قال له : إن الذي أريد منك ارتفاع مملكك
لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاع مملكك لكل سنة . قال : هل غير هذا ؟
قال لا ، قال : قد أجبتك ، ولكن سألني كيف تكون حالك ، قال : كيف تكون ؟
قال : أكون أول قتيل محارب ، وأول أكيلة مفرس . قال : فإن قُتعتُ منك
بارتفاع سنين . قال : أكون أصليح قليلاً وأفسح مئة . قال : فإن قُتعتُ بارتفاع
سنة . قال : يكون في ذلك بقاءٌ ملكي ، وذهابٌ لجميع لذي . قال : فإن قُتعتُ منك
بثلث الارتفاع كيف تكون حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء ومصالح العباد ،
ويكون الباقي ^(٣) لجنيتي ولسائر أسباب الملك . قال الإسكندر : قد آتصرتُ منك
على هذا ، فشكره وأنصرف .

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبق الأرض وأحاط بجيش
الإسكندر حتى خافوا الهلاك ، وتوالت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب بعد

(١) القحل : النار . (٢) التكلة : عن كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧) .
(٣) حيازة كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٣٧ - ٤٣٨) « إن الذي أريد منك
ارتفاع مملكك في خمس سنين فقال : هل تريد شيئاً غير ذلك ؟ قال : لا ؛ قال : قد أجبتك إليه ؟
قال : فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال أكون قتيلاً أول محارب ، وأكلاً أول مفرس ؛ قال : فإن قُتعت
منك بارتفاع ثلاث سنين كيف تكون حالك ؟ قال : تكون أصليح من ذلك وأفسح ؛ قال : فإن قُتعت
منك بارتفاع سنة واحدة ؟ قال : يكون ذلك مداداً لأمر ملكي ، ومذهباً لجميع لذي ... الخ » .
(٤) في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « لما شئني » .

- الأمن والطمانينة إلى السلم . فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وهو راكب وعليه التاج ، فلما تراءى الجمعان نظر الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للحرب ، فصاح به : أغدرت ؟ فترجل ملك الصين وقال : لا والله ، قال : فأذن متى فداننا منه ، فقال له الإسكندر : ما هذا الجيش الكثير ؟ فقال : إني أردت أن أريك أني لم أطعك من قلة وضعف ، ولكنني رأيت العالم العلوي مقبلا عليك ممككا لك .
 • بمن هو أقوى منك وأكثر عددا ، ومن حارب العالم العلوي غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك ، فقال الإسكندر له : ليس مثلك من يسأم القتل ، ولا من يؤدي الجزية ، فما رأيت بنى وبين الملوك من يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك . فقال ملك الصين : ولست تخسر [إذا] ثم أنصرف عنه الإسكندر . فبعث إليه ملك الصين بضعف^(٢) ما قزر معه وأنصرف عن الصين .

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

- قال : لما توفى الإسكندر جُعل في تابوت من الذهب ، واجتمع الحكماء فتقدم الأول فقال : قد كان الإسكندر ينجبا الذهب ، وقد أصبح الآن ينجبوه الذهب . وتقدم الثاني إليه والناس يبكون ويمزعون فقال : حزننا بسكونه . وتقدم

(١) التكلفة من كتاب غرد أخبار ملوك الفرس وغيرهم (ص ٤٣٩) .

(٢) ورد في غرد أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٩) الأشياء التي بث بها ملك الصين إلى الإسكندر وهي : « ألف حرية وألف فرسند وألف دياجة وألف من فضة ومن كل من جلود السمور والفك والقاقم والسنباب والخز ألف جلدة وألف مثقال عنبرا وألف نابغة مسكا وألف رطل عودا وألف طاس ذهبا وفضة ومائة سيف هندية محلاة بالذهب والجواهر ومائة مرج ومائة لحام صينية مذهبة ومائة دوح سائفة والزم الضريبة كل سنة فأخذها الإسكندر كلها وارتحل بها » .

(٣) هو ديوجانس الفيلسوف . (٤) هو أفلاطون الفيلسوف .

(١١) الثالث اليه فقال : قد كان يعظنا في حياته ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وتقدم اليه الرابع فقال : قد جاب الأرضين وسلكتها ، ثم حصل منها في أربعة قوائم .
(١٢) ووقف عليه الخامس فقال : انظروا إلى حُلمِ النَّائم كيف آنقضى ، وإلى ظِلِّ النَّام كيف آنجلى . ووقف عليه السادس فقال : قد أمات هذا الميت كثيرا من الناس لثلاث يموت ، وقد مات الآن . ووقف عليه السابع فقال : مالك لا تقفُ عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستغلُّ بِمُلكِ العباد . وقال الثامن : مالك لا ترغبُ بنفسك عن المكان الضيق ، وقد كنتَ ترغبُ بها عن رَحْبِ البلاد . وقال التاسع : كان لا يُقدَّرُ عنده على الكلام ، واليوم لا يُقدَّرُ عنده على الصمت . وقال العاشر : قد كان غالبا فصار مغلوبا ، وآكلا فصار مأكولا . وقال الحادى عشر : ما كان أقبح إفراطك في التجرُّأ أمس مع شدة خضوعك اليوم ! . وقالت بنت دارا : ما كنتُ أحسبُ أن غالبَ أبى يُغلبُ . وقاله رئيسُ الطبَّاعين : قد نصبتُ التضاد ، وألغيتُ الوسائد ، ونصبتُ الموائد ، ولستُ أرى عيِّدَ القوم .
قال : ولما مات الإسكندر عرَّضَ المُلكَ على أبنه من بعده فأباه وأختار العبادة والنسك .

فلما بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس ، وهذه التسمية لكل من ملك اليونان كيكسرى للأكاسرة من الفُرس ، وقيصِر للروم ، وخاقان للترك ، وطَرخان للقرّة ، والنجاشى للبهشة .

قال : وكان بطليموسُ هذا شابا مدبرا حكيما عالما . وكان مُلكه أربعين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل إنه أوّل من أقتنى البُرّة وضرّاها ولعب بها .

(١) هوسقراط الحكيم . (٢) هوبطليموس الفيلسوف . (٣) هوبيناس الفيلسوف .

(٤) هوديمقراطيس الفيلسوف . (٥) هوطوبيقا الفيلسوف .

ثم ملك بعده بطليموس الثاني، وهو الذى يقال له : محب الأبخ، وأسمه هيقولوس، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأب، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى .

فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأم . فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الصانع . فكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني . فكان ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الحديدي . فكانت مدة ملكه ثمانين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الجوال . فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بطليموس الحرب . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملكت بعده ابنته قلوبطرة، وكانت حكيمة متفلسفة معظمة للحكام، ولها

كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك، مترجمة بأسمها ومنسوبة إليها، وكان

زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركاً لها فى ملك مقدونية وهى مصر .

فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيده عليهم ملك رومية وهو أغسطس،

فسار إليها، وكان له مع الملكة قلوبطرة زوجة زوجها حروب كثيرة، فقتل زوج قلوبطرة،

فأراد ملك الروم أن يتزوجها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها، فراسلها فعلمت مراده منها،

فطلبت حياة تكون بالجماز ومصر والشام، وهى نوع من الحيات تراعى الإنسان

حتى إذا نظرت الى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك المصوب بعينه .

حتى تشغل عليه سماء فيموت لوقته ولا يعلم ما خبره ، فيتوهم الناس أنه مات بلاء
 حَتَفَ أَنفَهُ . فَأَحْتَمِلَتْ لَهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي عَلِمَتْ فِيهِ أَنَّ أَغُسْطُسَ يَدْخُلُ
 فِي قَصْرِهَا أَمْرَتْ بِأَنْوَاعِ الرِّيحَيْنِ وَالزُّهُورِ أَنْ تُبَسِّطَ فِي مَجْلِسِهَا وَأَمَامَ سَرِيرِهَا ،
 وَجَلَسَتْ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهَا وَالتَّاجُ عَلَى رَأْسِهَا وَفَزَعَتْ حَشَمَهَا وَقَرَّبَتْ يَدَهَا مِنَ الْإِنَاءِ
 الَّذِي فِيهِ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَضَرَبَتْهَا فَامْتَتْ لَوْقَتَهَا ، وَأَنْسَابَتْ الْحَيَّةُ فِي تِلْكَ الرِّيحَيْنِ وَدَخَلَ
 أَغُسْطُسُ حَتَّى آتَى إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا جَالِسَةً وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ ، فَدَنَا مِنْهَا
 فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ ، فَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ الرِّيحَيْنِ فَفَزَعَتْ طَلِيَّةُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَرَمَتْهُ بِسَمِّهَا
 وَقَدْ خَفَ ، فَبَطَلَ شَبَقُهُ الَّذِي ضَرَبَتْهُ مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَوْلَا أَنَّ سَمِّهَا كَانَ قَدْ نَقَصَ مَاتَ ،
 فَمَجِيبٌ مِنْ قَتْلِهَا لِنَفْسِهَا وَمَا كَادَتْهُ بِهِ مِنَ الْفَاءِ الْحَيَّةِ . وَكَانَتْ قُلُوبُ بَطَرَةِ هَذِهِ أَمْرٍ
 مِّنْ مَّلِكٍ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

ذكر أخبار ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن محمد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 ذكر ذرير العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان ، قال :
 وقد تُنَوِّعُ فِيهِمْ وَفِي النَّبْطِ ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَأَى أَنَّ السَّرْيَانِيِّينَ هُمُ النَّبْطُ ، وَمِنْهُمْ
 مَنْ رَأَى أَنَّهُمْ إِخْوَةُ لَوْلَدِ مَاسِ بْنِ نَيْطِطِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ تَبَايُنِ
 النَّاسِ فِي الْأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْحَالِيَةِ .

قال : فكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوشان ، وهو أول من وضع
 التاج على رأسه في تاريخ السريانيين . قال : وأتقاد له ملوك الأرض ، فكان
 ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض ، ومفسدا في البلاد ، وسقاكا للدماء .

(١) راجع (ج ١ ص ١٠٠ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي . وفي الأصول : « لوزمانين » وهو تحريف .

ثم ملك بعده يرز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

ثم ملك بعده سماسير بن أبو با . فكان ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أهريمون نخط الخطط، وكور الكور، وجد في أمره، وأتقن

ملكه، وعمر أرضه . فلما استقامت له الأحوال وانتظم ملكه بلغ بعض ملوك

الهند وهو زنبيل، وهو أسم لمن يملك هذه الجهة من الهند، ما تقوم عليه من

القوة، وما بلادهم عليه من العارة، وأنهم يحاولون المسالك، وقد كان هذا الملك

الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند وأقادت إلى أحكامه، وذلك أن ملكه

كان مما يلي بلاد الهند والسند، فسار نحو بلاد بست وغزني ونفر وبلاد الداور

على النهر المعروف بالهنديند، وهو نهر ببلاد بختيار ويعرف بنهر بست تجري

فيه السفن منها إلى بختيار .

١٠

قال : وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً من مسنة

ثم أجلت الحرب عن قتل السرياني وأحتوى الهندي على الصقع وملكه، فكان

ملك أهريمون عشرين .

(١) في مروج الذهب للسوي : « برندس » .

(٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة بين بختيار وغزني وهراة، وهي من البلاد

الحارة المزاج، وهي كبيرة، ويقال لاحتياها اليوم كرم سير، معناه النواحي الحارة المزاج، وهي كثيرة

الأنهار والبساتين . وفي نسخة أ « قسط » . وفي نسخة ب « بسط » وهما محرفان .

(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف تراسان، وهي الحدة

بين تراسان والهند . وفي نسخة أ « غرين » . وفي نسخة ب « رنين » وهما محرفان .

(٤) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة ببلاد السند، بينها وبين غزني ستة أيام، تمتد

في أعمال السند . وفي الأصول « نقين » وهو محريف .

(٥) بلاد الداور . هي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والغور . وأهل

تلك الناحية يسمونها زمتادور، ومعناه أرض الداور .

٧٧
١٣

قال : وبقي ذلك الصقع بيد الملك الهندي حتى سار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك العراق ورد السريانيين .

فلجوا عليهم تسنوا بن سماسير . فكان ملكه إلى أن هلك ثمانى سنين .
ثم ملك بعده أهرمون . فكانت مدة ملكه أثنى عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبنة هوريا فزاد في العبارة وأحسن للرعايا وعمر الأشجار .
فكان ملكه اثنين وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ماروت وأستولى على الملك . فكان ملكه خمس عشرة سنة .
وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده أزور وسلحاس ، ويقال لإنهما كانا أخوين . قال : فأحسننا السيرة ، وتعاظدا على تدبير الملك . ويقال : إن أحد هذين الملكين كان جالسا ذات يوم في أعلا قصره فنظر إلى طائر قد فرخ هناك ، وهو يصيح ويضرب بجناحه ، فنظر إلى حبة تنساب إلى الوكر لما كل الفراخ التي للطائر ، فدعا بقوم وسهم ورمى الحبة فقتلها ، وسلمت الفراخ ، وغاب الطائر وعاد إلى الملك بعد هزيمة وفي مقامه حبة وفي محاليه حبتان ، وطار حتى وازى الملك ، وإلى الحب بين يديه فتناول الملك وقال : يا ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر قصده به مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص قواخه ، ولم يعرف ما هو ذلك الحب ، وأستدعى الحكماء وأراهم فما عرفوه ، فقال له حكيم : ينبغي أن يزرع هذا الحب ببطن الأرض لينظر ما يكون منه ، فأحضر الأترة وأمرهم بزرعه فزرعوه ، والملك

(١) كذا في الأصول . وفي مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٢ طبع بلاط) : « سير » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « ماروب » بالياء الموحدة : وفي مروج الذهب : « مارت » .

(٣) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « حطاس » وفي مروج الذهب « حطباس » .

يراعيه حتى طلع وأزهى وحصرم وأعنب ، وهم لا يقرّبونه خشية أن يكون متفقا ، فامر الملك أن يُصَرَّ مائه ويُدَّع الآنية وأُخرج الحب منه وترك بعضه على حاله . فلما صار في الآنية فلا وقذف بالزبد وفاحت له روائح عِقة ، فقال الملك : على بشيخ كبير ، فأُتي به ، فسقاه من هذا العصير . فلما شرب منه ثلاثا صال وتكلم وصفق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض ، فظهر عليه الطَّرب والفرح وتنفى . فقال الملك : هذا شرابٌ مذهبٌ للعقل ، وأخاف به أن يكون قتالا ، ألا ترون إلى هذا الشيخ كيف عاد إلى حال الصِّبا وقُوَّة الشباب ، ثم أمر الملك بالشيخ فرقد ، فسكن ونام . فقال الملك : هَلَك ، ثم أفاق الشيخ وطلب الزيادة من الشراب وقال : لقد شربته فكشفت عني الموموم والغموم ، وأزال عني الأحران . فقال الملك : هذا أشرفُ شراب الرجل ، فأكثر من غرس الكروم ، وأختص به دون غيره من الناس ، وأستعمله بقية أيامه ، ثم نما بعد ذلك وكثر في أيدي الناس . وهذا آخر ما أورده المسعودي من أخبار السَّريان .

ذكر أخبار الملوك الكلوانيين

وهم ملوك النَّبط يملوك بابل

قال المسعودي ^(١) ، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بالحجار ملوك العالم ^(٢) أنهم ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعجارة ، وأت الفرس الأول إنما أخذوا الملك من هؤلاء كأخذ الروم الملك من اليونان .

فكان أول من ملك منهم مُمرود الجبار . فكان ملكه نحو من ستين سنة . وقد قدّمنا أخبار مُمرود في قصة إبراهيم عليه السلام ^(٣) .

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٣ طبع بلاق) - (٢) في مروج الذهب : «ذكر» .

(٣) راجع (ج ١ ص ٩٦ - ١٠٠ - ١١٣ - ١١٤ من هذه الطبعة)

قال : ويُروى هذا هو الذي احتضر أنهارا بالعراق آخذةً من الفرات ، فيقال :
إنَّ من ذلك نهر كُوفٍ على طريق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هُبيرة وبنغداد .

$\frac{٧٨}{١٣}$

ثم ملك بعده أبولس ، وكان عظيم البطش جبّارا في الأرض . وكان مُلكه نحو
من سبعين سنة .

ثم ملك بعده فيزمنتوس . وكان باغيا في الأرض ، ملك نحو من مائة سنة .

ثم ملك بعده سوسوس . فكان مُلكه نحو من تسعين سنة .

ثم ملك بعده كورس . فكان ملكه نحو من خمسين سنة .

ثم ملك بعده أذفرنجوا^(١) . فكان ملكه نحو من عشر سنين .

ثم ملك بعده سيزم . فكان ملكه نحو من أربعين سنة ، وقيل أكثر .

ثم ملك بعده قوسيس . فكان ملكه نحو من سبعين سنة .

ثم ملك بعده أنبوش^(٢) . فكان ملكه نحو من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده إيلوس . فكان ملكه نحو من خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده البطلوس . وكان مُلكه نحو من أربعين سنة .

(١) نهر كوفٍ : هو أول نهر أنج بالعراق من الفرات ، وسمى بكوفٍ من بني أرتخشيد بن سام
ابن نوح عليه السلام ، وهو الذي كراه فنبأ إليه ، وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو آبه يرباغت كريبا
(راجع معجم البلدان يافوت) .

(٢) قصر ابن هيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هيرة ، بناء بالقرب من جسر سوريا لمساوي العراق
من قبل مروان بن عبد . ظا ملك السفاح نزل وأسنم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بناءه وسماه الهاشمية
وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هيرة على العادة الأمل (راجع معجم البلدان يافوت) .

(٣) في مروج الذهب : « أنمر » .

(١) كما في نسخة أخرى نسخة ب « أنبوس » . وفي مروج الذهب : « أنبوس » .

ثم ملك بعده أونوبس^(١) . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده بئكلوس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين شهرًا .
 ثم ملك بعده مفرين^(٢) ، فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة ، وقيل أقل .
 ثم ملك بعده مارتوس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده رسطاليم^(٣) . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .
 ثم ملك بعده أسطوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده تاولوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده العداس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .
 ثم ملك بعده أطيروس . فكان ملكه نحوًا من ستين سنة .
 ثم ملك بعده ماوساس . فكان ملكه نحوًا من عشرين سنة .
 ثم ملك بعده فارينونس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة ، وقيل خمسًا
 وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أدموس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة . وغزاه ملك
 من ملوك فارس في عقر داره .

ثم ملك بعده ميمروس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .
 ثم ملك بعده أفروس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .
 ثم ملك بعده طاهاوس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .

(١) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « أرمويس » وفي مروج الذهب : « أرمونوس » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « سقرمن » . وفي مروج الذهب : « سفروس » .

(٣) في مروج الذهب : « رسطالين » . وقد ورد فيه أيضًا خلاف في بعض أسماء الملوك الذين
 ذكروا هنا فاكثرت بما ورد في الأصول عوضًا عن التنبه في كل أسم .

ثم ملك بعده لاوسيس . فكان ملكه نحووا من خمسين سنة ، وقيل نحوا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده قريطوس . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده قروطاوس . فكان ملكه نحووا من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قراقريس . فكان ملكه نحووا من خمسين سنة ، وقيل أثنين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده بوليس قنطروس . فكان ملكه نحووا من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قولاقسما . [فكان ملكه ^(١) نحووا من ستين سنة .

ثم ملك بعده هيقلس . فكان ملكه نحوا وثلاثين سنة ، وقيل خمسين سنة . وكانت له حروب مع ملوك الصقالية .

ثم ملك بعده سموجد . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة . ١٠

ثم ملك بعده مردوج . فكان ملكه نحووا من أربعين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده سنحاريب . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة ، وهو الذي أبقي بيت المقدس .

ثم ملك بعده منوشا . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بختنصر الجبار . فكان ملكه نحوا وأربعين سنة ، وقد تقدم ١٥

أن بختنصر لم يكن ملكا وإنما كان مَرُزُبانًا للملوك الفُرس الأول ، إلا أن يكون هذا غير ذلك . والله أعلم .

ثم ملك بعده بيطسفر . فكانت مدة ملكه نحووا من ستين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

٢٠ (١) زيادة يقتضها السياق مراعاة لما ورد فيه وحده .

(٢) راجع (ج ١٤ ص ١٥٣ من هذه الطبعة) .

- ثم ملك بعده دارنوس . فكان ملكه إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .
 ثم ملك بعده كشرخوش [فكان ملكه] عشرين سنة .
 ثم ملك بعده قرطياسة تسعة أشهر .
 ثم ملك بعده فيجسمنه . فكان ملكه إحدى وأربعين سنة .
 ثم ملك بعده أبرست . فكان ملكه ثلاثا وستين سنة .
 ثم ملك بعده شعيا . فكان ملكه ثلاثين سنة^(١) ، وقيل تسعة أشهر .
 ثم ملك بعده داريوس . فكان ملكه عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة .
 ثم بعده أنطيجست . فكان ملكه تسعا وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده الإسع . فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة .

- ١٠ قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم ، وذكرنا مدة ملكهم ، هم الذين شيّدوا البنيان ، ومدّوا المدن ، وكوّروا البُكُورَ ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، وأسبغوا المياه ، وأثاروا الأرض ، وأسخرجوا المعادن من الحديد والنحاس والرماس وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، وأخذوا عدّة الحرب ، ونصبوا قوانين الحروب ، ورتّبوا المينة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثالا لأجزاء أعضاء الإنسان ، ورتّبوا الأعلام ، فجعلوا أعلام القلب على صورة القيلة والنسور وما عظم من أجناس الحيوان ؛ وجعلوا أعلام المينة والميسرة على صورة السباع ؛ وجعلوا في الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر والذئب ؛ وجعلوا في الطلائع كصور الحيات وما خفي فعله من هوائ الأرض ؛ وتغلغل القوم في هذه المعاني .
 قال : والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور . والله تعالى أعلم .

(١) في مروج الذهب وقيل تسعة أشهر وقيل كلمة ثلاثين مقحمة من الناسخ .

ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم

قال المسعودي^(١) : قد تنازع الناس في الروم ولأى علة سُموا بهذا الاسم ، فقليل لإضافتهم لمدينة رومية وأسمها بالرومية روماس . فعُزِبَ هذا الاسم فسُيَ من كان بها روما ، والروم لا يستون أنفسهم في لغتهم إلا رومس . ومنهم من رأى أن هذا الاسم اسم الأب الأول ، وهو روم بن شماخين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من رأى أنهم سُموا باسم جدّهم رومس ابن لبطى بن خويفل بن رومي بن الأصغر بن النفر بن العيص ، وقيل غير ذلك . وقد ذكرنا في الأنساب شيئا من ذلك .

قال المسعودي : وغلبت الروم على ملك اليونانيين ، فكان أول من ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن شماخين ، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

وقيل إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس أوليوس . فكان ملكه ثمان عشرة سنة .

وقيل أول من ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس . فكان ملكه سبع سنين ونصفا . قال : ورومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر . وكان ملكه ستا وخمسين سنة ، وهو أول من تسمى بقيصر ، وإنما سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهي حامل به فشُقَّ بطنها عنه . ومعنى قيصر بقر ، وكان يفخر بأن النساء لم تلده ، وحقيقة هذه اللفظة بالجمية

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٨ طبع بولاق) .

(٢) في مروج الذهب : « وويس » .

جَيْشَر، قيل إنما سمي جيشر لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه، وآسم الشعر بالمعجمة
حساريه وقيل جشايه، فَعَرَّبَ قَبِيلَ قَيْشَر، وهو صاحب قُلُوبَطْرَة ملكة اليونان
على ما ذكرناه. وأحتوى هذا الملك على مَقْدُونِيَّة وهي مصر والإسكندرية،
وحاز ما فيهما من الخزان، وكانت له حروبٌ كثيرةٌ، وكان يعبد الأوثان. وبني
أرض الروم مُدُنًا تنسب إليه، وكَوْر كَوْرًا. فمن مُدُنِه قَيْسَارِيَّة. ولَاكْتِنين وأربعين
سنة خلت من مُلكه ولد المسيح صِمْي بن مريم عليهما السلام، وعاش هذا الملك
بِقِيَّةِ عمره وقد بطل شقه لما نُفِلَتْ عليه الحية على ما قدمناه في أخبار قُلُوبَطْرَة.

ثم ملك بعده طباريس. فكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة. قال: ولثلاث
سنين بقيت من ملكه رُفِعَ المسيح عليه السلام. قال: ولما هلك هذا الملك
بَرْبُومِيَّة اختلفت الروم وتغزبت وأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع مائتي سنة
وثمانيا وأربعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم.

ثم ملكوا عليهم طباريس عابس بمدينة رُومِيَّة. فكانت مُدَّة ملكه أربع سنين.
ثم ملك بعده فلورس برومية. فكان ملكه أربع عشرة سنة، وهو أول ملك من
ملوك الروم شرع في قتل النصارى وآتباع المسيح عليه السلام، فقتل منهم خلقا
كثيرا، وكانت الروم تعبد التماثيل.

ولما هلك هذا الملك ملك بعده نيرون. قال: وأستقام مُلكه ورغب
في عبادة التماثيل والأصنام، وكان ملكه أربع عشرة سنة وشهورا.

ثم ملك بعده ططلس واسبابوس مشتركين في المُلك. فكانت ملكهما
ثلاث عشرة سنة، ولسنة من ملكهما سارا الى الشام، فكانت لها حروب عظيمة

مع بني إسرائيل قتل فيها من بني إسرائيل ثلثمائة ألف ونحوها بيت المقدس وأزالا
وكان يعبدان الأصنام.

قال المسعودي : وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربوا فيه بيت المقدس أن يسبي منهم في كل يوم سبيًّا فلا يومٌ إلَّا والسبي واقعٌ فيهم قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك بعدها ذو طيئان . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده تيرنوس . فكانت مدة ملكه سنة واحدة :

ثم ملك من بعده طومانوس . فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أذربالس . فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة ، وخرب مأثر ما بقي بالشام لبني إسرائيل .

ثم ملك بعده أبطونيس . فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة . قال : وبني بيت المقدس وسماه إيلياء .

ثم ملك بعده قرمودس . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده سيريرس . فكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة .

ثم ملك بعده ولده أنطويس . فكانت مدة ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أنطويس الثانى . فكانت مدة ملكه أربع سنين ، وفي آخر ملكه مات جالينوس الطبيب .

ثم ملك بعده الإسكندر مامياس ، وتفسير مامياس العاجز . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده عريدياس . فكانت مدة ملكه ست سنين .

ثم ملك بعده ديقوس وقيل فيه دقيوس . فكانت مدة ملكه ستين سنة .

قال : فأمن في قتل التصارى ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكريفة .

ذكر خبر أصحاب الكهف

- قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنطاقي في كتاب
المبتدأ يرفعه الى وهب بن منبه : إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم ، وهم
الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الآيات التي في سورة الكهف . قال :
وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله وجلاله ومملكه وسلطانه وأصناف
خلقه ، لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرءوا كتابا ، ولم يدركوا زمان نبوة ، وكانوا في زمن
فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا القول
مخالف لما ذكرناه آنفا ، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضى
أن بين رفع عيسى عليه السلام وبين ملك دقيوس ما يزيد على مائتي سنة . والله
عز وجل أعلم .

- قال : وكانوا شبانا متقاربين في السن قلما يتفاوتون ، كانوا من فصيلة واحدة
يجمعهم النسب ، وكانوا في حبس عظيم من أحساب الروم ، من ولد عظمائهم وملوكهم
وأشرافهم ، وكان للروم فيهم هوى وصباغة شديدة ، وكان ملك الروم الأول
في آباء أولئك الفتية ويُنزل في نصيبتهم التي كانوا منها أكثر من أربعمائة عام حتى
أقترخت تلك الفصيلة وزال الملك عنهم ، فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك
ورببتهم ، وكان الروم يمتنون ملكتهم ويمتدون اليهم أعناقهم لما قد بلغهم ما كان
الناس فيه في زمن أسلافهم من الخفض والدعة والعافية والبسط والأمن والسعة ،
فكانوا يؤملونهم ويرجونهم ، وكانت ملوك الروم قد جفؤهم وحرمهم وأقصوهم
وأضرؤا بهم خفاة منهم على ملكهم لما يعلمون من رأى الروم فيهم ، وكانوا مع

ذلك يكفون عنهم أذا هم ، ويعرفون أنهم مَفْرَعُ الروم إن اختلفوا ومُعَلِّمُ عليهم ، فلم تزل تلك الحالم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هذاهم والإيمان الذي توره الله في قلوبهم .

٨١
١٣

قال قائل منهم : إني قد رأيتُ رأياً وقع في قلبي وأمرًا ثبت فيه ، فلستُ أَيْسُرُ ضِرَّةً ، وليس يُخْرِجُهُ مِنِّي قَلْبِي شَيْءٌ ، اسمعوا أَعْزُضُ عَلَيْكُمْ ، إِنِّي فَكَّرْتُ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والسحاب والمطر ، والأحياء والأموات ، والنبات ، والصغار واليَكَار ، والبقاء والفناء ، والشدة والرخاء ، وتقلب الدنيا بأهلها ، والأطباق التي تنصرف عليها الخلق طبقاً بعد طبق ، وقوما عن قوم : من مَوْتٍ وحياة ، ونقص وزيادة ، وخفيض ورفيع ، وغنى وفقير ، وطول عُمر ونقص آخر ، وموت صغير وهرم كبير ، وأشباه لذلك كثيرة . وهي أكثر من أن تُسَدَّ أو تُوصَفَ أو تُحصى ؛ فلما نظرتُ فيها وأعملتُ الرأى والنظر أجمع رأيتُ على أنَّ لما خالقا بديعا أبتدعها ؛ ورأياً يملكها ويُدبرها ، ويخلقها ويرزقها ، ويُفنيها ويُفقرها ، ويرفعها ويخفضها ، ويحييها ويميتُها ويُفنيها ، تتقلب في قبضته وتميش برزقه ؛ فلما تمَّ لي الرأى نظرتُ في عظمة هذا الرب الذي أبتدع هذا الخلق وضبطه ، ودبره وأحكم أمره ، فإذا قدرته تأتي من وراء ذلك كله ، ليس من هذا الخلق شيء يُقوتها ولا يخرج منها ، وإذا هي محيطٌ بكل شيء ومن وراء كل شيء ، ثم نظرتُ في عظمة الرب هل أصفها كما وصفتها القدرة ، وهل أعلم كُنْهَهَا ؟ فتحيَّرتُ فيها ، وعجز عن الحلم والعلم ، وحسرتُ العقل والنظر ، وما بقي مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا تصفه إلا أنه قد أُلِّمَ بمعرفته وأُسْرِبَهَا أكثر وأعظم وأعجب مما وصفتُ وشرحتُ لكم ، فإذا تقوان ، وماذا تعرفون . وماذا تعملون ؟

قالوا : قد قُلتَ قولاً عظيماً ووصفتَ أمراً عجيباً ، وما نَحْسَبُكَ إلَّا قَدْ أَصَبْتَ
 فِيهِ الرَّأْيَ وَالنَّظَرَ ، وقد صدقتك وتابعتك ورأينا رأيك وواقعَ قلوبنا منه ومن
 معرفته مثل الذي عَرَفْتَ وواقعَ قلبك ، وإن كنا نرى مثل الذي رأيتَ من أعاجيب
 هذا الخلق وعظمة هذا الخالق ، وإن كان ليكثرُ أن يخطرَ على قلوبنا منه مثلُ
 ما خطرَ على قلبك ، ولكنَّا لم نشرحْ منه ما شرحتَ ولم نصفْ منه ما وصفتَ ،
 ولم نعملِ الرَّأْيَ وَالنَّظَرَ في معرفته مثل ما أعملتَ وعَرَفْتَ . ولكنَّ اللهَ أرادَ هُذًا
 وتفضيلاً وإكراماً بما سبقتَ إليه من هذا القول وهذا العلم وهذه المعرفة . ولكن
 حدثنا عما نسألك عنه . وإنما نظرنا فيه بعد ما سمعنا قولك : هل ينبغي لهذا
 الربِّ الذي وَصَفْتَهُ بما وَصَفْتَهُ من العظمة أن يكونَ له شريكٌ في مُلكه ، أو حاجةٌ
 إلى شيءٍ من خَلْقِهِ ، أو هل يَقْبَلُهُ شيءٌ يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ ؟

قال لهم : لو كانَ له شريكٌ في شيءٍ من أمرِهِ لَضَبَطَ ۝ ضَبَطَ ، ولو كانتْ
 به حاجةٌ إلى أحدٍ من خَلْقِهِ لكانَ مثلَهُمْ . ولو كانَ يستعينُ على شيءٍ يغلبه به
 إذا ما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ ما بَلَغَتْ ، ولا أحاطَتْ بما أحاطَتْ به ، ولا وَسِعَ ما أَسْعَى له
 من أمرِ خَلْقِهِ ، وتدير ما خَلَقَ ورَزَقَ وأَمَاتَ وأَحْيَا .

قالوا له : صدقتَ وعرفنا ما تقول وثبتَ في قلوبنا . ولكن حدثنا ما بال
 خلقه يشركون به وهم يعرفونه حقَّ معرفته . قال : لأنه خالقُ فيهم الأجرؤاء وطبعَ فيهم
 الشهواتُ ، وجلبَّهم على الضعف ، وثبتَ معهم الشيطانُ ، فمن قَبِلَ هذا عدلوا
 به وهم يعرفون أن الذين يدعون من دونه لا يحيونهم ولا يُميتونهم ، ولا يخلقونهم
 ولا يرزقونهم . ولا يضرُّونهم ولا ينفعونهم . إذا مسَّهم الضرُّ فإياه يدعون وإليه
 يجاءون ، فعند ذلك اجتمعَ رأيهم على أن يَأْوُوا إلى الكهف ، وأن يَسْتَرِلُوا قسَمَهُم

وما يبدون من دون الله، فعندها قالوا: ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ أَظْلَمُ مِنْ أَقْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال: فلما آتروهم وما يبدون من دون الله آوؤا إلى الكهف رجاء أن ينشرهم ربهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مخرجًا. قال: وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم حتى يفرق لهم رأيهم، فأتى الله عليهم السَّبات .

قال: وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس^(١)، ومالك الروم يومئذ دقيوس، ويقال - والله أعلم - إن عدتهم سبعة، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول: ما يعلهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل، منهم مرطالوس، ونونوس، ودانيوس، وسرافيون، واسطاطالوس، ومكسالميس، وتيليخا، وهو الذي يمتوه يورقيهم إلى المدينة ليرتاد لهم. هذا قول ابن عباس، قال: وكانوا قوما يطلبون الصيد لما معهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير معيشة فيه، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزانتهم وقسيهم وتيلهم. فلما أجمع رأيهم أن يآوؤا إلى الكهف لياتمروا فيه، هل يقيمون مع قومهم على شركهم، أم يفارقونهم فيجتمعون ناحية من الأرض يحلّون فيها ويوحّدون فيها ربهم. فبينما هم على ذلك أتى الله عليهم السَّبات وأخفى على جميع خلقه مكانهم، وصرف عنهم الأبصار والعقول، فليس يبصرهم أحد ولا يقطن بمكانهم، فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، حتى أقبرصت الأئمة التي كانوا فيها والمالك الذي كان عليهم، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس وأتبعوا أمته ورفع الله إليه ونهب زمانه وزمان أهل مته وهم في كهفهم .

(١) أفسوس: مدينة في جزيرة باسها في البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى .

قال : وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفع الله يحنث عنهم وعن
إيمانهم وبصيرتهم ، وكيف تفكروا في عظمة إلههم ، وكيف ألقى الله عليهم السَّبات
في كهفهم ، وكيف أخفى مكانهم عن الناس ، ولا ينبغي لأحد أن يهتدى إليهم
ولا يعرف مكانهم ، وكان يخبر أن الله سيرد إليهم أرواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا
عبرة لمن خلفهم إن أراد أن يعتبر بهم .

قال : فردَّ الله إليهم أرواحهم بعد أن لَبثوا في كهفهم العدة التي ذكرها الله
عزَّ وجلَّ في القرآن ولزَّيَّهم كلَّهم ، فليثَّ بينهم كلَّها ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلِّمُوا
بَاسِطَ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . والوصيد : فناء الكهف الذي فيه موضع الباب ،
وكان الكلب من كلاب صَيْدهم ولم يطعم ولم يشرب ليجمله الله آية من آياتهم .

- قال : فلما ردَّ الله عليهم أرواحهم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنْ نَمْلِكُوا إِذَا آتَانَا ﴾ وهم حينئذ يظنون أن قومهم
أحياء ، وأنهم على ما يمهّدون من حالهم وشركهم وعُتُوِّ ملكهم ، فأطلق رجل
منهم يقال له تملّجًا ، وكان أشدهم وأعجدهم ، فتوجّه حتى إذا خالط ربض المدينة
أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدوابِّ والبُيَّان وغير ذلك ، ووجد الناس على حال
لم يكن يمهّدها وسَّته لم يكن يعرفها ، ووجدهم يتناعون بوريق لا يشبه الورق الذي
معه . فتعير وأنكر وأقبل وأدبر ، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه ، وظنوا أنه
فُطِنَ به وقُدِّرَ عليه . فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى من نواحيها
حفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرِّبض في كلِّ شيء ، فلما شكَّ وأرتاب
وأتيس عليه رأيه تمجّد إلى مشيخة من أهل المدينة توسَّم فيه انخير ليتجسَّس ويسمع
قولهم . فوجد منهم الإنجيل يقرءونه ، فسمع ما فيه من توحيد الله وعظمته وعذابه
وسَّته وشرايعه وحلاله وحرامه ، فعرف ذلك وأذعن إليه وأنصتَ يسمع حتى إذا

فَرَّغُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ سَالِحُهُمْ عَنْ كِتَابِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيَّهُ . قَالَ : وَإِنْ عِيسَى ؟ قَالُوا : قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَمْ لَبِثَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَتَيْتُمُوهُ وَأَدْرَكْتُمْ زَمَانَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، كَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤَلَّدَ ، وَوَجَدْنَا كِتَابَهُ فِي أَيْدِي آبَائِنَا . قَالَ : أَفَكُلُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُؤْمِنُ بِهَذَا النَّبِيِّ وَبِهَذَا الْكِتَابِ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ .

مِمَّا أَسْمَعُ مِنْ حُلَالِهِ وَحَرَامِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِلَّا مُسْتَحَقًّا بِذَنْبٍ أَوْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ .

قَالَ : فَهَلْ مَعْتَمِدٌ بِالْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَقْيُوسُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَكَمْ لَهُ مِنْذُ هَلَكَ ؟ قَالُوا : أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ عَامٍ . قَالَ : فَهَلْ بَقِيَ لَهُ عَقِبٌ ، أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : نَقْتُلُهُ أَوْ نَحْرُجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا .

فَلَمَّا أَتَيْنَهُمْ وَأَطَاعُوا إِلَهُهُمْ وَرَأَى سَمْتَ الْإِسْلَامِ وَهَدْيَهُ عَلَيْهِمْ وَقَعَهُ اللَّهُ وَهَدَاهُ لِمَسَالَةِ سَالِحُهُمْ . قَالَ : أَخْبِرُونِي . هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخْبِرُكُمْ عَنْ سَبْعَةِ رَهْطٍ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ فَرَارًا مِنْ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ فَاسْتَخْفَوْا فِيهَا . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا أَوْجَسُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ يُخْبِرُنَا عَنْهُمْ فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَلَمَّا نَسَكَرَ حَالُكَ كُلَّهُ .

قَالَ : فَهَلْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيَا بَلَنَكُمْ سَمَّى أَصْحَابَ الْكَهْفِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَسَمُّوهُمْ لِي بِأَسْمَائِهِمْ ، فَسَمُّوهُمْ حَتَّى إِذَا ذَكَرُوا أَسْمَاءَهُمْ تَمْلِكُ قُلُوبُنَا تَمْلِيحًا وَأَنَا أَحَدُهُمْ ، نَخْرُؤُ لَهُ سَجْدًا كَمَا صَنَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ بَنِي يُوسُفَ يَوْمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِيَا بَيْنَهُمُ السُّجُودَ يَوْمَئِذٍ ؛ ثُمَّ أَدْخَلُوهُمُ مَسْجِدَهُمْ وَعَظَمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَرَفَعُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ وَقَرَاءَهُمْ وَفَقَّهَهُمْ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَجَعَلُوا لَهُ عِيدًا

عظيما ، وأقام أياما بين أظهرهم ثم قال لهم : إنا أصحاب الذين يحدّثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلّا وقد خافوا علىّ وساء ظنّهم وهم يظنون أنّ دقيوس حيّ ، وإنّ زمانه ، وإنّ الدين دينه ، فأنطلقوا بنا نعلمهم كيف أهلكه الله وقومه وطهر الأرض منهم ، وكيف استبدل الله به وبأهل ملته أمة يوحّدونه ويعرفونه ويهدون بالحقّ وبه يعدّلون . فأنطلقوا منه حتى آتَوْا إلى الكهف فوجدوا كلهم باسطا ذراعيه بالوصيد فقالوا حين رأوه : وهذا الكلب أيضا من علاماتكم التي كان يحدّثنا عنها عيسى عليه السلام ، وقد كان يحدّث أنّ أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحدٌ من خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلّا رجلاً واحداً منهم ، وهو الذي يدلّ عليهم وعلى مكانهم ، وأنّ هو ؛ فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وما لقي ، ثم كان آخر المهد بهم . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَتَيْنَا عَلَيْهِمْ لِعَلَّمُوا أَنَّنَا وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ فَقَالُوا أَيُّوْا عَلَيْهِمْ بَنِيَاءَ رَبِّهِمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ ﴾ . قال : فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه .

قال وهب : فبلغني — والله أعلم — أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنّ نزول أنبي عيسى بن مريم عليه السلام علّم للساعة ، وإنّ الله يبشّرهم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنّه يمجّ في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا ، ثمّ تقبل ريح صفراء يمانية ، ألين من الحرير ، وريحها ريح المسك فتقبض روح عيسى عليه السلام وأرواح من معه . انتهى خبر أصحاب الكهف ، فلنرجع إلى كتابنا من أخبار ملوك الروم .

قال : ثم ملك بعد دقيوس جالش . فكانت مدة ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده فيلطانس . فكانت مدة ملكه عشر سنين . ثم كانت بعده ملوك الروم المنتصرة .

ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة

وهم ملوك القسطنطينية

قال المسعودي^(١) : لما هلك قسطنطين ملك بعده قسطنطين برؤمية ، وهو أول من انتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطيا ، وهي القسطنطينية ، فبناها هذا الملك وسماها بهذا الاسم . قال : وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست جلت من ملكه ، وذلك أنه هلاكا خرجت^(٢) إلى أرض الشام وبنت الكنائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي ترمع النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها ، فلما ظفرت بها حلتها بالذهب والفضة واتخذت يوم وجودها عيدا ، وهو عيد الصليب ، لأربع عشرة ليلة جلت من أيلول . وهي التي أبتلت كنيسة مخلص على أربعة أركان ، وأستخرجت الدفائن بمصر والشام ، وصرفت ذلك في بناء الكنائس وتشيد دين النصرانية ، فكل كنيسة بالشام ومصر من بناء هذه الملكة هلاكا .

قال : ولسبع عشرة سنة جلت من ملك قسطنطين أجمع ثمانية وعشرون أسقفًا بمدينة نيقية بأرض الروم فأقاموا دين النصرانية . وهذا الاجتماع أول

(١) (راجع ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق) ، وفي نسخة أرب دملقي .

وهو تحريف .

(٣) قال ابن الهيثمي : مدينة نيقية من أعمال أمصنول على البحر الشرق وهي المدينة التي أجمع بها آباء الأمة المسيحية ، وكانوا ثمانية وعشرون آبا يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا الجمع ، وهو أول الجامع لهذه الأمة وله أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وضوءهم وصورة كرامتهم بهذه المدينة في بيتها ولهم فيها اعتقاد عظيم ، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الثالث قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حد تخوم البلاد (راجع معجم البلدان لياقوت في كلامه على نيقية) .

الاجتماعات الستة التي نذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات واحدا سنودس . فالأول بِنِيقِيَّة وكان الاجتماع فيه على أرنوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية . والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلا . والثالث بأفيس وعدة من أجمع فيه من الأساقفة مائة رجل . والرابع بخلقيدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا . والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا . والسادس كان في [ملكة ^(١)] المدين ، وعدتهم مائتان وثمانون رجلا .

قال : وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه نخرج في بعض حروب أبرجان أو غيرهم من الأمم ، فكانت الحرب بينهم مجالا نحووا من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام فقتل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه ١٠ كأن رماحا نزلت من السماء فيها عدد ^(٢) وأعلام على رأسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له : خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر ، بفعل يحارب في النوم فرأى بملء قد أنهزم ، فاستيقظ من نومه ودعا بالرمح وركب عليها الصليبان مثل ما رأى ، ورفعها في مسكره وزحف إلى عدوه فكسرهم وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية وسأل عن تلك الصليبان ١٥ وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والتعل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب ، وأخبروه بما فعله من قبله من الملوك من قتل

(١) هكذا في مروج الذهب لا مودي ، وفي نسخة أ ، ب « بخلقيدونية » .

(٢) الكلمة من مروج الذهب للمودي .

(٣) هكذا في مروج الذهب . وفي الأصول : « ذرى » .

(٤) عذب : جمع عذبة ، وعذبة المخرقة سنة على رأسه .

النصارى ، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثائة وثمانية عشر أسقفا
فأتوه ببنقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية ؛ فهذا هو السندوس الأول .

وقيل : إن أمه كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا . وكان
ملكه إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وعشرين .

ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين . فكانت مدة ملكه أربعا وعشرين سنة .
وآبنتى كائس كثيرة وشيد دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيفي ويسمى الرباط . قال :
ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن
أردشير فأثام منهم غريب فذبحه . ولما هلك جزع من كان معه من الملوك
والبطارقة ففرعوا إلى طريق كان معظما عندهم يقال له يونياس ، وقيل : إنه
كان كاتباً للملك الماضي ، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابه
إلى ذلك فللك عليهم يونياس المذكور .

قال : ولما ملك كان له مراسلات مع سابور وبهادنة وأجتماع ، ثم أنصرف
بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أئلف الملك الماضي من أرضه
بأموال حملها إليه وهدايا من ألطاف الروم ، وشيد النصرانية وأعاد معالمها ، ومنع
من عبادة الأصنام والتماثيل . وقتل من كان على عبادتها . فكان ملكه سنة .

(١) كذا في مروج الذهب للعمودي ، وفي نسخة أ « بقرياس » وفي نسخة ب « لقياض » .

(٢) منهم عرب ، بالإضافة وعن الوصف : أي لا يدري رايه .

(٣) في مروج الذهب للعمودي : « مريانس » .

ثم ملك بعده أوامس قال : ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه ،
وهلك في بعض حروبه ، فكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة . وقيل :
إن في أيامه استيقظ أهل الكهف .

ثم ملك بعده غراطيانس ^(١١) . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، ولسنة من
ملكه كان اجتماع النصرانية ، وهو آخر الاجتماعات ، فأمموا القول في روح القدس ،
وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده بدريس الأكبر ، وتفسير هذا الاسم عطية الله . قال :
ولما ملك قام بدين النصرانية وعظم أمرها وأبقى الكنائس ، ولم يكن من
أهل بيت المقدس ولا من الروم ؛ بل كان أصله من الأشيان ، وهم بعض الأمم
السافلة . قال : وقد كانت من ملكت الشام ومصر والمغرب والأندلس . وقد
تبازع الناس فيهم ، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أن بدهم من أهل
أصبهان ، وأنهم نافلة من هنالك ، وهذا يؤيد أنهم من قبل ملوك فارس .
قال : وذكر حيد الله بن جرداذبه نحو ذلك ، وساعدهما على ذلك جماعة من
أهل السير والأخبار .

قال المسعودي : والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافت بن نوح ، وهم
البلذارقة ملوك الأندلس واحدهم لذريق ، وقد تفرع في دياراتهم ، فمنهم من رأى
انهم على دين المجوس ، ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة
الأصنام . قال : وكان ملك بدريس الى أن هلك تسع عشرة سنة .
ثم ملك بعده أوقاديس ^(١٢) . فكان ملكه أربع عشرة سنة [وكان] على دين النصرانية .

(١) في مروج الذهب : (ج ١ ص ١٥٥ طبع بلاط) : « غراطيانس » .
(٢) في مروج الذهب : (أرباديس) . (٣) التكلة من مروج الذهب .

ثم ملك بعده بدميس الأصغر، وذلك بمدينة أفسس، وجمع مائتي أسقف وهو الاجتماع الثالث من الأسنودسات، ولحق فيه نسطورس البطريرك، وإليه تنسب النسطورية من النصارى. وكان ملك هذا الملك إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة.

ثم ملك بعده مرقيا^(١)س وزوجته بلجارية. فكانت ملكة معه. وكان ملكهما سبع سنين، وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالث. قال: وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا البشير فإنهم ملكة، والنسوبة والأرمن يعاقبة، ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت، وكان لهم بالقرب من رأس عين واحد فوات، وأنقل مطرانها إلى بلاد حلب وقنشرين والمواسم.

قال المسعودي: وكسى اليعاقبة [رسمه]^(٢) أن يكون بمدينة أنطاكية، وكذلك لهم كرسى بمصر.

ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون. فكان ملكه ست عشرة سنة، وفي أيامه أكرم مسعدة^(٣) اليعقوبى بطرك الإسكندرية، وأجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفا. وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلا، وذلك بخلفونية، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية. واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس.

(١) في مروج الذهب: (مرقياوس).

(٢) رأس عين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر، بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا، وقريب من ذلك بينها وبين حران وهي إلى ديسر أقرب بينها نحو عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان لياقوت).

(٣) التكلة من مروج الذهب للمسعودي.

(٤) هكذا في مروج الذهب، وفي الأصول (أخرج لسفره...) وهو تعريف.

قال : واليعاقبة أضيفت الى يعقوب البرذعي وبه عُرِفَتْ ، وكان من أهل
أنطاكية ، وكان يعمل البراذع بها .

ثم ملك بعده ابنُّ له على دين الملكية . فكانت مدَّة مُلكه الى أن هلك سنة :
ثم ملك بعده يير وهو من بلاد الأرمينان ، وكان ملكه سبعَ عشرةَ سنة ، وكان
يميل الى رأى اليعاقبة ، وكان له حروب مع خوارجَ خرجوا عليه في دار مُلكه .
فقطِر بهم .

ثم ملك بعده نسطاس ، وكان يذهب الى مذهب اليعاقبة ، وهو الذى بنى مدينة
عمورية ، وأصاب كنوزا ودقائق عظيمة . وكان ملكه تسعا وعشرين سنة .
ثم ملك بعده قوسطيانس تسع سنين .

ثم ملك بعده سطيانس . فكان ملكه تسعا وثلاثين سنة ، وبنى كنائس كثيرة ،
وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية ، وبنى كنيسة الرها ، وهى إحدى
عجائب مباني العالم .

قال : وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظمه أهل دين النصرانية ، وهو
أن اليسوع الناصرى حين أُخرج من ماء المعمودية تُشَف به ، فلم يزل هذا المنديل
يُتداول الى أن قُتِر على كنيسة الرها ، فلما أشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا
الرها فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم فوقعت الهدنة عليه ،
وفرح الروم به فرحا عظيما .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه ، وكان ملكه الى
أن هلك ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده طباريس . فكان ملكه أربع سنين ، وأظهر في مدة ملكه أنواعا
من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده مورقيس ، وقيل فيه موريقس ، فكانت مدة ملكه عشرين سنة ،
وهو الذي نصر كسرى أبريز على بهرام جويين على ما قدمناه ، ثم قُتل وأنتصر
أبريز لولده وبعث بجيوش الفرس ، وكانت له حروب ذكرناها .

ثم ملك بعده قرقاس .^(١) فكان ملكه الى أن قُتل أيضا ثمانى سنين .

ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك . قال : ولما ملك
عمر بيت المقدس وذلك بعد اكتشاف الفرس عن الشام ، وبني الكنائس . ولسبع
سنين خلت من ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨٦
١٣

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه
وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم ، فمنهم من ذهب الى ما قدمناه ، ومنهم
من رأى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في ملك نوسطينوس . وكان ملكه
سبعين سنة .

ثم ملك بعده نوسطينوس الثاني ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس ، وهو الذي ضرب الدنانير والدرهم
الهرقلية . وكان ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبنة مودق بن هرقل ، وهو الذي كتب الزيجات في النجوم ،
وعليه يعمل أهل الحساب . وفي تواريخ ملوك الروم فيمن سلف وخلف أن الملك

(١) في مروج الذهب : (قرماس) بالميم .

للروم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر هِرَقْل . وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ أهل السَّير . وفي تواريخ أصحاب السَّير أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق .

ثم ملك بعده قيصر بن قيصر . وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي غاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم ملك بعده موزق بن هِرَقْل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك بعده فوق بن موزق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده فقط بن موزق بقية أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بينهما مراسلات ومهادنات ، وكان ملكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد أبنته ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وصَدْرًا من أيام أبنته عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده لاوي بن فقط في بقية أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده جيرون بن لاوي في أيام الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك أخيه وعمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن عبد الملك بن مروان وغزوه المسلمين لهم في البر والبحر ، فلكوا عليهم رجال من غير

(١) في مروج الذهب : (فقط) بالفتح .

(٢) في مروج الذهب : (لارن) .

أهل بيت الملك من أهل مَرَّعَش^(١) يقال له جرجس^(٢). فكان مُلكه تسع عشرة سنة. ولم يزل مُلك الروم في اضطراب الى أن ملك عليهم قسطنطين بن اليون، وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور.

ثم ملك بعده اليُون بن قُسطنطين، وكانت أمه أرسى ملكة معه ومشاركة له في المُلك لصغر سنه. وملك في أيام المهدي والمهادي.

ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين، وكانت أمه مشاركة له وسملت عيناها بعد موته.

ثم ملك بعده تقفور بن استبراق، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع الرشيد، وغزاه الرشيد فأعطى القَوَد من نفسه من بعد بَقِيَ كان منه في بعض مراسلاته، فأَنصَرَف الرشيد عنه ثم غدر وَقَّض ما كان أعطاه من الأتقياد، فكتب الرشيد أمره لمارض علة كان وَجَدَهَا بِالرَّقَّة^(٣)، ثم تجهز وغزاه فَنَزَلَ على هِرَقلة^(٤)؛ وذلك في سنة سبعين ومائة، فحاصرهما سبعة عشر يوما فأصيب خلق من المسلمين وقُتِلَت الأَزْوَاد والطوَلات، ثم فتحها عتوة. وقيل: إنهم بادروا لما فَتَحَهَا بطلب الأمان فَأَمَّنُوا. والأشهر أنه فتحها عتوة.

ثم ملك بعده استبراق بن تقفور بن استبراق. وكان مُلكه في أيام الأمين، ولم يزل ملكا حتى غلب على المُلك قسطنطين بن فلقط، وكان مُلكه في خلافة المأمون.

(١) مرَّعَش: بلدة من الشام. (٢) في مروج الذهب: «جرجيس».

(٣) الرقة: مدينة على الفرات من ديار مصر، ويقال لها: «الرافقة».

(٤) هِرَقلة: هي في شرق نهر يزل من جبل الملايا الى آخر سنوب، وهي عليه في قرب البحر.

وذكر شرقها جبل الكهف عند الروم.

(١١) ثم ملك بعده توقييل وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتصم بعد فتح عمورية .

ثم ملك بعده ميخائيل بن توقييل ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمنصور والمستعين ، ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فلما كانوا عليهم توقييل بن ميخائيل ابن توقييل .

(١٢) ثم غلب على الملك بسيل الصقائي ولم يكن من أهل بيت الملك . وكان ملكه في أيام المعتز والمعتدى وبعض أيام المتتمد . ٨١
١٢

ثم ملك بعده اليون بن بسيل . فكان ملكه بقية أيام المتتمد وصدرًا من أيام المتعبد الى أن هلك .

١٠ ثم ملك بعده الإسكندروس فلم يمتد الروم أمره فخلعوه .
وملكوا عليهم أخاه لاوى بن اليون بن بسيل الصقائي . فكان ملكه بقية أيام المتعبد وأيام الكنتي وصدرًا من أيام المتقدر .

- (١) زبطرة : ضبطها ياقوت بكسر الزاي ، وضبطها صاحب تقويم البلدان بفتحها وفتح الباء . وسكون اللام . قال ابن حوقل : وأما زبطرة فإنها حصن من أقرب الثغور الى بلد الروم ، تحربها الروم . وقال صاحب تقويم البلدان : وزبطرة اليوم نراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير دمع سودها وليس بالكثير ، وهي في أرض مستوية والجبال تحيط بها والشجرة من جميع جهاتها على القرب منها وهي في الجنوب عن مطبة على نحو مرحطين ، وهي في جهة الغرب عن حصن منصور على مرحطين أيضا . وبينها وبين حصن منصور الجبل والدربند ، ولقد اجتزت بها في عام فتحنا . لطيفة في المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان في شهر نيسان واصطفتا من أرض زبطرة بين شجر البتلوط صيدا كثيرة وهي أرانب كجار الى الناية لا يوجد في الشام أرانب تقارب من في القندو . (راجع تقويم البلدان ص ٢٣٤ طبع أوروبا) .
- ٢٠ (٢) كذا في الطبري (ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ من القسم الثالث طبع أوروبا) ومروج الذهب للسودى . وفي الأصول : « الصقلي » .

ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فلك وُغلب على مشاركته في الملك
أرمينوس بطريق البحر صاحب حربته . قال: فزوج قسطنطين الصبي بأخته ،
وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والرازي والمتقى ، وذلك في سنة اثنين
وثلاثين وثلاثمائة .

٥ قال المسعودي : فلوك الروم في هذا الوقت ثلاثة ، فالأكبر منهم والمُدبر
للامور أرمينوس المتغلب على الملك ، ثم قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ،
والثالث ابن لأرمينوس يُحاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمينوس أبنا له آخر
صاحب الكرمى بالقسطنطينية ، وهو البطريك الأكبر الذى يأخذون عنه دينهم ،
وقد كان خصاه قبل ذلك أبوه وقربه الى الكنيسة . وهذا آخر من ذكره المسعودي
من ملوك الروم ولم نجد من ضبط أمرهم بعده على آساق فنذكره . ١٠

قال : فمئة ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاى الذى أظهر دين
النصرانية بالروم الى هذا الوقت أحد وأربعون ملكا ، ولم يعد [ابن] أرمينوس .
وسليم خمسمائة سنة وسبع سنين .

وقال في ملوك رومية : والذى وجدت في أكثر كتب التواريخ ما اتفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية ، وهم الذين ذكرهم في كتابه ١٥
وذكرناهم نحن في كتابنا هذا تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سنى ملكهم ، من أول
من ملكهم على حسب ما ذكرناه من الخلاف في صدر هذا الفصل الى قسطنطين
ابن هلاى ، أربعائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام . والله أعلم .

(١) التكلة من المسعودي .

٢٠ (٢) في المسعودي . (اثنا وأربعون) .

ذكر أخبار ملوك الصَّقَالِيَّةِ والنُّوْكِرْدِ

- قال المسعودي : الصقالية من ولد ماراي بن يافت بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالية وبه يُلْحَقُونَ في أنسابهم . ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية العاقية ، ومنهم من لا كُتِّبَ له ولا ينقاد إلى شريعة . وهم أجناس : فَنَهم جنس كان المُلْكُ فيهم قديماً في صدر الزمان ، وكان مَلِكُهُمْ يُدْعَى ماجك ، وهذا الجنس يدعى لبنا ، وكان يتاوهذا الجنس قديماً في صدر الزمان سائر أجناس الصقالية وهم اصطبُرانة ، ومَلِكُهُمْ يُدْعَى بصقلاغ . وجنس يقال له ناعجين ، ومَلِكُهُمْ يدعى عرابة ، وهذا الجنس أشجع الصقالية ، وجنس يدعى مناي ، ومَلِكُهُمْ رتييل ، ثم جنس يقال له سرتين ، وهو جنس مهيب عندهم ، ثم جنس يقال له مراوة ، ثم جروانيق وصاصين وبخشانيين وزانجايين .

- قال : والجنس الذي يدعى سرتين يحرقون أنفسهم بالنار ، وإذا مات لهم ملك أورثين يحرقونه ويحرقون دوابه ، ولم أفعال كأفعال الهند . قال : ومن الصقالية جنس ألحق بالخرز والروس . قال : والأثول من ملوك الصقالية ملك الدير ، وله مدُن واسعة وعمائر كثيرة ، وهو يحارب الروم والفرنج والنوكرد وغيرهم من الأمم ، والحرب بينهم بجمال . ثم بلى هذا الملك من بلاد الصقالية ملوك الترك . قال : والصقالية أجناس كثيرة ، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم ومُلْكُ كُلِّ جَنْسٍ منهم عليهم ملكا . هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصقالية . والله أعلم .

(١) في المسعود : (ج ٣ ص ٦٢ طبع أوربا) « ولياكا » .

(٢) في المسعودي طبع أوربا : « عزقة » .

(٣) في المسعودي : « متين » .



وأما النوكبرد فقال المسعودي فيهم : لانهم أيضا من ولد يافث وبلادهم متصلة ببلاد المغرب ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس . وهم ذو بأس شديد وممتعة ، ولهم مدن كثيرة ويجمعهم بلد واحد .

قال : وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس ، والمدينة المظنى من مدنها ودار مملكتهم بُتْ وهى مدينة عظيمة يخترقها نهر عظيم من أعظم الأنهار اسمه سايط والمدينة على جانبيه .

٨٨

١٣

قال : ومن مدنها التى كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبهم عليها وسلبوها منهم وسكنوها ثم استعادها النوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة سيرنية ، ولم يذكر من أمرهم خلاف ذلك فذكره .

ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

قال المسعودي : لا خلاف أن الإفرنجية والجلالقة والصقالبة والنوكبرد والأسبان والترك والخسزر وبرجان والآن وياجوج وماجوج وغير من ذكرنا من سكن بلاد الشمال من ولد يافث بن نوح .

قال : والإفرنجية أشد هؤلاء الأجناس بأسا ، وأمتهم وأكثرهم عتة ، وأوسعهم ملكا ، وأحسنهم نظاما ، وأقنابا للملوكهم ، وأكثرهم طاعة .

قال : والجلالقة أشد من الإفرنجية وأعظم منهم نكاية . والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عتة من الإفرنجية . ثم قاله : وكلبة الإفرنجية متفقة على ملك واحد

(١) كما فى المسعودى (ج ١ ص ١٩٧ طبع بلاق) ووردت فى الأصول هكذا : « بيت » .

(٢) راجع (ج ١ ص ١٩٦ طبع بلاق) .

لا تنازع بينهم في ذلك ، ومُنْهَم تَريد على مائة وخمسين مدينة غير الكور .
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة
إفريطش ، ثم ملكوا بلاد الغرب وأستولوا عليها .

قال : وأول ملوك الإنرجمة فلوي^(١) وكان مجوسياً فنصرته أمرأته عرسلة .

ثم ملك بعده أبنه لنريق .

ثم ملك بعده أبنه دفسوت^(٢) .

ثم ملك بعده أبنه قاذله .

ثم ملك بعده أبنه بيق .

ثم ملك بعده قاذله . وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وفك في أيام الحكم

صاحب الأندلس ، وتَدانَع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم حتى تخافت
الإنرجمة بسببهم .

وسار لنريق بن قاذله فلك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي

أقبل إلى طرطوشة لحاصرها .

ثم ملك بعده قاذله بن لنريق تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ،

ثم ملك بعده أبنه لنريق ستة أعوام ، ثم خرج عليه قائد للإنرجمة يسمى يوسه

فلك الإنرجمة وأقام في الملك ثمانى سنين . وهو الذي صالح الموحدين على بلده سبع

سنين بستائة رجل نجا وسبائة رجل فضة يؤتيها صاحب الإنرجمة إليهم .

(١) في المصحف طبع أوربا : « قروية » .

(٢) في المصحف طبع أوربا : « دفسرت » .

- ثم ولى بعده قائله وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .
- ثم ولى بعده لفریق بن قائله وأستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثمالة .
- هكذا ما أورده المسعودی من أخبارهم في كتابه المترجم بمروج الذهب ومعادن الجوهر .
- ثم أقسمت بعد ذلك ممالكهم وأنسطت أيديهم وأستولوا على أكثر بلاد الغرب وغيرها .

ذكر طوائف السودان وثى من أخبارهم ونسبهم

- قال المسعودی : لما تغزق ولد نوح في الأرض سبار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر . ثم أفرقوا فصارث طائفة منهم مقيمین المشرق ، وهم النوبة والحيتشة والزنج . وسار فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة : الزغاوة والكليم^(١) ومرك^(٢) وكوكو^(٣) والجمي وغاة وفي ذلك من أنواع الأجاش والداویم ، ثم أفرق الذين يجمعوا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكين^(٤) والمسكودبرا وغيرهم من أنواع الزنج .

- قال : ومن مدنهم بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج البربري ، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل .

(١) الذي في مروج الذهب المسعودي يخالف ما هنا في بعض المواضع فراجع .

(٢) كما في المسعودي (طبع أوديا) وفيه (طبع بلاق) « البانو » وفي الأصول « الحافو » .

(٣) كما في المسعودي (طبع بلاق) وفي الأصول « اك » .

(٤) كما بالأصل ، والقي في مروج الذهب (طبع أوديا) « الكير والمسكر » ، وفيه (طبع بلاق) « المكين والمكون وبربرا » .

قال : ولست هذه بَرَّرا هي التي تُنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض
انريقية : قال : ولبأس هؤلاء الزنج جلود النمورة ، وهي جلود كبيرة تُحمل من أرضهم
الى بلاد الإسلام : قال : وأقصى بلاد الزنج بلاد سفالة وأقصى بلاد الواق واق ،
وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة المجانب والخصب ، حارة . وأخذ بها الزنج دار مملكة
وملكوا عليهم ملكا اسمه « وقليبي » وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار .

قال : ويركب وقليبي وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب ،
ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بقال ولا إبل ولا يعرفونها ، وإنما
يركبون البقر بالسروج والحُجْم ، ويقاطون عليها وهي تعدو بهم كأنجيل .

قال المسعودي : رأيت بالري نوعا من هذه البقر تبرك كما تبرك الحمل
وتحمل وتؤور بأحبالها ، وتحمل عليها الميتة من الخيل والإبل وغيرها فتنبض بحملها .
والغالب على هذا النوع من البقر حُمرة الحلق وسائر البقر تفر منها . قال : ولا يقع
البرد في بلاد الزنج . قال : ومنهم ناس يُحَدِّدو الأسنان يأكل بعضهم بعضها . قال :
ومساكن الزنج من حد الخليج المشعب من أصل النيل الى بلاد سفالة والواق واق ،
ومقدار مسافة مساكنهم واتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ : برأودية
وجبال ورمال .

قال المسعودي : ومعنى تسمية ملك الزنج « وقليبي » أي ابن الرب الكبير ،
لأنه اختارهم لملكهم والمذل فيهم ، فتي جار الملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتلوه
وحرموا عقبه الملك . وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي
هو ملك السماء والأرض ، ويسمونه الخالق عز وجل (مكليجو) وتفسيره
الرب الكبير .

قال: والزعج أولو فصاحة في الستمهم وفيهم خطباء بلفتهم؛ يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم يرغبهم في القرب من ربهم ويمنعهم على طاعته، ويرهبهم من عقابه، ويدكرهم من سلف من ملوكهم وأسلافهم، وليس لهم شريعة يرجعون إليها بل رسوم ملوكهم، وأنواع من السياسات يرجعون إليها ويسوسون بها رعيتهم، وأكثر أكلهم الموز، وهو كثير ببلدهم، وغالب أقاتهم الثيرة وثبت يقال له الكلاري يقتلع من الأرض كالسكاة والرايس، ويأكلون العسل والحلم.

قال: ومن هوى منهم شيئا من نبات أو حيوان أو جماد عبده. وجزائرم لا تحصى كثرة وفيها التاريخيل.

وأما النوبة وما قيل فيها فأقترقت فرقتين في شرق النيل وغربيته وأناخت على شطيه وأتصلت ديارها بديار مصر، وأتصت مساكنها على شاطئ النيل مضمدة. ومدينتهم دققله. والقريق الآخرون النوبة يقال له غلوة وينزل مدينة الملك وأسمها سرقة.

وأما البجة وما قيل فيها فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملوكا، وفي أرضهم معادن الذهب. قال: وأنضاف إلى البجة طائفة من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وتزوجوا من البجة.

وأما الحبشة وما قيل فيها فإن دار ملوكهم كعب، وهي مدينة عظيمة، وهي دار مملكة النجاشي. ولحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة، ويتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي، وله ساحل فيه مدينة كبيرة، وهو مقابل لبلاد اليمن. فمن مدن الحبشة

(١) في العمودي: «ويشبه هذا الكلاري القلقاس الذي يكون بالنام ومصر».

على الساحل : الزَيْلَعُ والدَّهْلَكُ ونَاصِعٌ ، وفي هذه المَدُن جماعةٌ من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة .

قال : وبين ساحل الحبشة ومدينة ظَلَّاقَة ، وهي ساحل زبيد من أرض اليمن ، ثلاثة أيام عرض البحر . قال : ومنه عبرت الحبشة إلى اليمن حين ملكته في أيام ذى نَواصٍ ، وهذا الموضع هو أقل هذا البحر عرضاً .

قال : وهناك جزائر بين الساحلين منها : جزيرة العقيل فيها ماء يُشرب فيفعل في الفرائح والذكاء فعلاً جميلاً ، وبها جزيرة أسقطرة . وأما غير هؤلاء من الحبشة فمنهم من أُمعن في المغرب مثل : الرِّغَاوَة والكَوَّكُو والقوافر ومدينة ومريس والمبرس والملانة والقوماطين ودُوَيْلَة والقرمة . قال : ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملكٌ يرجعون إليه .

الباب الرابع

من القسم الرابع من القرن الخامس

في أخبار ملوك العرب ويتصل بهذا الباب خبر سَيْلِ العَرَمِ

٩٠
١٣

ذكر أخبار ملوك حِطَّان

قال المؤرخون : لم يكن للعرب مُلْكٌ حَقِيقٌ ، وإنما كان من مُلْكِ حِمْيَرٍ في بلاد اليمن سُمِّيَ مَلِكًا ، وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم وَيَسِيرُونَ في الأرض حَتَّى يَلْفُوا أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، و يَلْفُوا مِنْ حُدُودِ الْمَشْرِقِ سَمَرْقَنْدَ ، و يَلْفُوا بَابَ الْأَبْوَابِ ، و دخلوا بِلَادَ الْهِنْدِ ولم يَسْتَقْبُوا فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ ، فَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ مُلْكًا ، وإنما هو غَارَةٌ .

١٠ فَأَوَّلُ مُلُوكِ حِطَّانَ عَبْدُ شَمْسٍ ، وَهُوَ سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَرْبُوبَ بْنِ حِطَّانَ ابْنِ عَابِرِ بْنِ شَاخِ بْنِ أَرْغَشْدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ سَبَأً لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ بِلَادَ الْيَمَنِ السَّبْيَ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَجَّمُ بِكَلِمَةِ الزَّهَرِ وَصَدَفَةَ الذَّرِّ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ هَذَا مُلْكٌ أَرْبَعُ مِائَةٍ سِتَّةَ وَأَرْبَعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً . قَالَ : وَقد اختلف في أَوَّلِ مَنْ مُلْكَ مِنْهُمْ ، فَقِيلَ يَرْبُوبُ بْنُ حِطَّانَ . قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَهُ بِحُجَّةِ الْمَلِكِ : آيَةُ اللَّغْنِ ، وَأَنْتُمْ صَبَاحًا .

وَالْأَشْهُرُ أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ سَبَأُ هُوَ أَوَّلُ مُلُوكِهِمْ . وَانْقَاضَ أَعْلَمُ .

ثم ملك بعده أَيْتَهُ حِمْيَرُ بْنُ سَبَأٍ ، قَالَ : وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ ، وَأَفْرَسَهُمْ وَأَجْلَهُمْ . وَقِيلَ : إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ حِمْيَرَ لِكَثْرَةِ لِبَاسِهِ الْأَحْمَرِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ يَلْقَبُ

بالترجيح ، وهو أول من وضع تاج الذهب على رأسه من ملوك اليمن . وكان ملكه
خمسين سنة ، وذلك في عصر قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .
ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبا . فكان ملكه إلى أن هلك ثلثمائة سنة .

وآختلف فيمن ملك بعده ، فقيل : ملك بعده أبو مالك بن عسكر بن سبا . فكان
ملكه ثلثمائة سنة . وقيل ملك بعده كهلان الرائش وهو الحارث بن شداد ، وكان
الحارث أول من غزا منهم ، وأصاب الغنائم ، وأدخلها اليمن ، وبينه وبين حمير
خمسة عشر أباً ، وسمى الرائش لأنه لما أدخل الغنائم والأموال والسبي بلاد
اليمن فواش الناس [في أيامه ^(١)] . وفي عصره مات لقمان النسور . قال : وذكر
الرئش هذا نبينا صلى الله عليه وسلم في شعره ، فقال من قصيدته :

ويملك بعدهم رجل عظيم
نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً ياليت أتي
أعمر بعد محرجه بعام

قال : وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة . هكذا نقل عبد الملك بن عبدون
وذكر الخلاف في أبي مالك والرئش على ما ذكرناه . وأما غيره فإنه لم يذكر كهلان
ابن سبا ولا أباً مالك ، بل قال : إن حمير عهد إلى ابن أبيه المنطاط بن عمرو بن
حمير . قال : وفي أيامه أنقرض ملك حمير وجاسم أبي دارم وبادوا .

قالوا : ثم ملك بعده ابنه أبرهة ويقال له ذو المنار . قالوا : سُمي بذلك لأنه
أول من أقام المنار في منازبه على الطريق ، وذلك أنه أوغل في بلاد المغرب
والسودان ، واتخذها ليهتدى بذلك في قفوله . وكان ملكه مائة وثلاثين سنة ،

(١) كذا في الأصول . وفي شرح قصيدة ابن عبدون الذي ينقل عنه المؤلف « سدر » وفي تاريخ

الطبري (ص ٤٤٠ من القسم الأول طبع أوروبا) « ابن أبي سعد » .

(٢) النكبة من شرح قصيدة ابن عبدون .

وقبل مائة وثلاثا وثمانين سنة . هكذا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة . وقال المسعودي : إن الذي ملك بعد الرأس جبار بن غالب بن زيد ابن كهلان وقال : إن مُلكه كان مائة وعشرين سنة . والله أعلم .

ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرته أبسه إفريقيش . وهو ذوا الأذعار . قال : سُمي بذلك لأنه خرج نحو بلاد المغرب وأوقع بقوم لم يخلق منكرة فذعر الناس منهم وفزعوا . قال ابن عيرون : وغزا إفريقيش بلاد المغرب حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب . وكان البربر بقة بن قتل يوشع بن نون . قال : وإفريقيش هو الذي بنى إفريقية وبه سُميت .

١١
١٣

ثم ملك بعده أبسه العبد ويقب ذا الشار ، وهي الأصابع في لغة حمير . قال : وخرج نحو العراق فأحتضر في طريقه . هكذا ذكر ابن حمدون . وقال عبد الملك : إن الذي ملك بعد إفريقيش أخوه العبد بن أبرهة . قال : وهو ذوا الأذعار ، سُمي بذلك لأنه كان فيما ذكر أهل الأخبار غزا بلاد النساس فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ورجع إلى اليمن من سبهم بقوم وجوهم في صدورهم فذعر الناس منهم فسُمي بذى الأذعار . وكان مُلكه خمسا وعشرين سنة . وقد قلنا أن ذا الأذعار هو إفريقيش . والله أعلم .

ثم ملك بعده المهدي بن عمرو بن شرحبيل . هكذا قال ابن حمدون والمسعودي . إلا أن المسعودي لم يذكر عمرا وقال المهدي بن شرحبيل . وسماه ابن قتيبة هداد بن شرحبيل بن عمرو بن الرأس ، وهو أبو يقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وقبل سبعة ، وقبل سنة . وقد قلنا

٢٠

خبر بلقيس وأنها آتية ذى أنشراح ، وأن والدها لم يكن ملكا وإنما كان وزيرا للملك
حير وهو شراحى الحميري . والله تعالى أعلم .

وَأُخْتُفِلَ فِيمَنْ مَلَكَ بَعْدَ الْمُهْدَادِ ، قَالَ الْمَسْعُودِي : تُتَبَّعُ الْأَوَّلُ . وَكَانَ مُلْكُهُ
أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَلَكَ بَعْدَ الْمُهْدَادِ أَبْنَتُهُ بَلْقَيْسُ
وَهِيَ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَكَانَ مُلْكُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً .
وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى أَخْبَارِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكُتَابِ فِي قِسْمَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثم ملك بعدها يامر بن عمرو بن شرحبيل وهو ناشر النعم ، قالوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ
لِإِسْمِهِ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ ، وَسَارَ غَازِيًا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ
حَتَّى بَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَلْفِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَهُوَ رَمْلٌ جَارٍ ، وَلَمْ يَحْدِ رِوَاةَ ذَلِكَ
بِجَازٍ لِكثَرَةِ الرَّمْلِ وَجَرِيَانِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقِيمٌ إِذَا أَنْكَشَفَ الرَّمْلُ فَاثَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ
بَيْتِهِ أَنْ يَسْبُرَهُ وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا فَلَمْ يَبُودُوا إِلَيْهِ وَهَلَكُوا عَنْ أَتْرَمِهِمْ ، فَامْرَأَةٌ مِنْهُمْ
مِنْ نَحْسِ بْنِ قُصَيْبٍ عَلَى مَحْضَرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ عَلَى صَدْرِهِ بِقَلَمِ
السُّنْدُ : هَذَا الصُّنْمُ لِنَاشِرِ النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ ذَلِكَ
فِيَعْطَبُ ، وَرَجَعَ مِنْ هُنَاكَ . وَكَانَ مُلْكُهُ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ قَتِيْبَةَ .
وَقَالَ الْمَسْعُودِي : خَمْسًا وَثَلَاثِينَ .

ثم ملك بعده أبوكرب شمر بن إفريقش ، ويسمى يرعش لأرتاش كان
به . قال : ونخرج نحو العراق في زمن يستأسف أحد ملوك الفرس فأعطاه يستأسف
الطاعة ، وسار نحو الصين حتى نزل في طريقه ببلاد الصغد ، فأجتمع أهل تلك

(١) راجع (ج ١٤ ص ١١١ - ١٢٤) من هذه القطعة .

(٢) المراد بالسنه : الخط الحميري .

الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وأفتحها عتوة وأسرف في القتل ونزب المدينة
وهدمها فسميت شمر كند، وعُربت بعد ذلك فقالوا : سمرقند . ومعنى شمر كند ،
أى خربها شمر . وفيه قول دُعيل بن عليّ يفتخر باليمن من قصيدة :

هـ هموا كتبوا الكتاب بباب مَرٍو وباب الناس كانوا كاتين
وهم سَمُوا بشمر سمرقنداً وهم غرسوا هناك التين

قال : ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فابن ملكها بالبرار ،
فاحتال وزير له بأن جدع أنفه وأتى الى شمر ، وهو بمفاضة بها وبين الصين عشر
مراحل ، ومث إليه بأن ملك الصين فصل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر
وخالف رايه ، فساله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث
مراحل ، فتردد ثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات
هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتية : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي :
ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أبنته أبو مالك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بنار أبيه فبلغه أن
بالمغرب وأديا من الزبرجد ، فعمله الشَّرَ على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه .
ثم ملك بعده أبنته تُبَّع الأفون بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب نازجه
وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها ، ثم أتى الصين وأحرب مدينتها وأبقى هناك

(١) الناس : مدينة جليلة من عمل سمرقند ، وهي في أرض سهلة وعامة دورها يجري فيها الماء ،
وهي من أزه بلاد ما وراء النهر . وفي معجم البلدان لياقوت أثناء كلامه على سمرقند روى اليعن هكذا :

هـ هموا كتبوا الكتاب بباب مَرٍو وباب الصين كانوا الكاتين
وهم خربوا سمرقنداً بشمر وهم غرسوا هنا التين

مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالذكرة :
هم إلى اليوم هناك في زى العرب ، ولم بأس وشدة — . يعني يوم صنف كتابه
وهو في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أو نحو ذلك — قال : وفي أوانه كان بوار
طسم وجديس على ما ذكره في وقائع العرب .

قال : وفي أوانه أيضا كان سيل العرم وتفرق سبا . وسبق في ذكر ذلك في موضعه .
إن شاء الله تعالى .

قال ابن قتيبة : وكان ملك تبع الأقرن ثلاثا وخمسين سنة . قال المسعودي : إن
ملكه كان مائة وثلاثا وستين سنة . ولم يذكر الملك الذي كان قبله ، ونسبا هذا
الملك أنه ابن شيمر .

- ثم ملك بعده على مارواه ابن خلدون — وهو إن شاء الله أشبه بالصواب — أسعد
ابن عمرو . قال : وملك والمملك منشئت فاستغز قومه فنهضوا معه في ملوك اليمن
حتى قتلهم ملكا ملكا ، وأنظم له ملك اليمن ، فوجه بأبن عم له يقال له القيطون
إلى الجواز فبني وظلم فقتله اليهود . ولما بلغ أسعد ذلك غضب وحلف ليقتلن كل
يهودي في الأرض ، ونجهز في مائة ألف حتى ورد يثرب ، فاجتمع الأوس والخزرج
وأخبروه بقصة ابن عمه وبخره وطأه فعفا عن اليهود وقال : لست أَرْضَى بالظلم
ولو علمت ذلك منه لقتلته ، وأناه بنو هذيل بن مدركة فرغبوه في الكعبة وما فيها
من الذهب والحوهر ، فقدم مكة لذلك ، فاجتمع إليه أعيان اليهود وقالوا : إن هذا
البيت العتيق الذي ليس لله عز وجل بيت في الأرض غيره وقد رام إفساده كثير
من الملوك فبادرهم الله . وفي هذه البلدة يكون مولد نبي آخر الزمان اسمه محمد وأحمد
من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام . وهو خاتم الرسل ، وإنما أراد من ذلك على

ذلك حلاك ، ف ضرب أعناق المُذَلِّين وأقام بمكة ستة شهور يتحرف في كل يوم ألف ناقة ، وكسا البيت وملأ طيه بابل من الذهب .

ولما هلك ملك بعده أبْن عمه مرثد بن عبد كلال بن تَبَع الأقرن المعروف بذي الأعواد . قال : وكان مُلكه أربعين سنة . ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين في المُلك على كل واحد منهم تاج . قال : وخرجوا إلى مكة ليقلموا الحجر الأسود ويبتنوا بيتا بصنعاء يكون حج الناس إليه ، فاجتمعت كُتَّانَةٌ وقلدوا أمرهم فهر بن مالك وألقوا فُقَيْل ثلاثة من الملوك وأسر الرابع .

ولما أسرهؤلاء ملكت بعدهم أختهم ابنة ذى الأعواد . قال : وكانت فاجرة فقتلها قومها .

ثم ملك بعد أولاد ذى الأعواد ملكي كرب بن عمرو بن سعد بن عمرو ، وكانت مدة مُلكه عشرين سنة ، وتخرج عن سفك الدماء فلم يغزو ولم يخرج من اليمن .

ثم ملك بعده تَبَع أسعد بن ملكي كرب . قال : ولما ملك غزا بني معد بتهمة في ثلثمائة ألف طالبا لدماء الملوك الأربعة ، واجتمع بنو معد وعقدوا الرئاسة لأمية ابن عوف الكافي المعروف بالعنسي ، ثم نفست ربيعة أن تكون الرئاسة في مضر فقعدت عنهم ، فصعقت مضر عن تَبَع وسأله الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك الأربعة ، عن كل ملك ألف ناقة . وكذلك كانت دية الملوك في الجاهلية . وديات من قُتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة ، فقيل تَبَع ما بذلوه وأنصرف إلى أرضه ووقع الشر بين الحيين : ربيعة ومضر ، فأرسلت ربيعة إلى تَبَع رُسُلا فنقد بينهم حلفا وعقداً ، وهو الحلف الباقي بين ربيعة واليمن إلى أن جاء الإسلام . وأقام تَبَع هذا بأرض الشام ما شاء الله ، ثم سار إلى الهند في البحر وباشر الحرب بنفسه فبرز

إليه ملك الهند ، وهو ابنُ فوز الذي قتل الإسكندر أباه فقتله شُيع بيده ، وتحصنت اليهود بمدينتهم وحاصروهم شُيع شهرا حتى سالوه الأمان فأمنهم وقفل إلى بلاده .

ثم ملك بعده أبنته حسان بن شُيع . قال : فغزا العراق في ثلثمائة ألف وأتى في طريقه مكة ، وقد عادت إليها خُرَاعة عند وفاة فِهْر بن مالك ، فأعطاه بنو زُرارة الطاعة . وروى عنه شعر يخبر فيه بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم :

٩٣
١٣

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولُ مَنْ اللَّهُ بَارِئُ النَّسَمِ
فلو مُدَّ عُمَيْرِي إِلَى عُمَيْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَأَبْنَى عَمِّ

قال : ولما ورد العراق وَجَدَ الفُرسَ وسلطانهم واه وقد مات هُرْمُزٌ وولدت أمراءه غلاما ، وهو سابور ذو الأكتاف ، ومُرَّيْسَه أحدُ عظامِ الفُرس ، فلم يقيم بضبط الملك ، فاستقبلوه بالطاعة وأقروا له بالخارج ، فأقام بالعراق خوْلا وعزم على غزو الصين فساء ذلك خَيْر وقالوا : نَغيب عن أولادنا وعيالنا ولا ندرى ما يحدث بهم ، فمشَوْا إلى عمرو أُمَيَّ حسان الملك وبعثوه على قتل أخيه على أن يملكوه عليهم ويعود بهم إلى بلادهم ، وأعطوه المهود والمواثيق إلا رجُلٌ يقال له ذورُعَيْن ، فقال لهم : إنكم إن قتلتم مَلِكَكُمْ ظالما خرج الأمرُ منكم فلم يحفلوا به ، فأقبل بصحيفة محتومة وقال لعمرو بن شُيع : لتكن هذه الصحيفة دِيبَةً لي عندك إلى وقت حاجتي إليها ، وأقبل عمرو ليلا إلى أخيه حسان وهو نائمٌ في فراشه فقتله وأنصرفت خَيْر إلى بلادها . هكنا نقل ابن حمدون في تذكرة .

وقال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم في أخبار الفرس : إن ملك الفُرس يومَ ذاك هو قَبَاز بن قَبْرُوز وهو أبو كَسْرَى أنوشروان ، وإن الملك الذي غزا س ملوك حمير عن شُيع والد حسان ، وكان معه لما غزا

الْفُرسُ أَبْنَهُ حَسَّانَ وَأَبْنُ أَخِيهِ شَمِيرٌ . قَالَ : فَسَارَتِجٌ حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ وَوَجَّهَ أَبْنَ أَخِيهِ شَمِيرًا ذَا الْجَنَاحِ إِلَى قِيَادَةِ قِتَالِهِ فَهَزَمَهُ شَمِيرٌ حَتَّى لَحِقَ بِالرُّمِيِّ ثُمَّ أَدْرَكَهَا بِهَا فَقَتَلَهُ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ تَبِعًا أَمَضَى شَمِيرًا ذَا الْجَنَاحِ وَأَبْنَهُ حَسَّانَ إِلَى الصُّنْدِ وَقَالَ : أَيُّكَا سَبَقَ إِلَى الصِّينِ فَهُوَ عَلَيْهَا . وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ يُقَالُ إِنَّهُمَا سِتْمَانَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا ، وَبَعَثَ أَبْنُ أَخِيهِ — وَأَسْمُهُ يَنْقُرُ — إِلَى الرُّومِ .

قَالَ : فَأَمَّا يَنْقُرُ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى أَتَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَأَعْطَوْهُ الطَّاعَةَ وَالْإِثْمَانَةَ وَمَضَى إِلَى رُومِيَّةٍ خَاصَرَهَا ، ثُمَّ أَصَابَهُمْ جُوعٌ وَوَقَعَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ فَتَفَرَّقُوا ، وَعَلِمَ الرُّومُ بِذَلِكَ فَوَتَّبِعُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُقْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَأَمَّا شَمِيرٌ ذُو الْجَنَاحِ فَإِنَّهُ سَارَ حَتَّى أَتَى إِلَى سَمَرْقَنْدٍ خَاصَرَهَا فَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَافَ بِالْحَرَسِ حَتَّى أَخَذَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا فَأَسْتَأْذَنَ قَلْبَهُ ثُمَّ سَأَلَهُ عَنِ الْمَدِينَةِ وَمَلِكُهَا فَقَالَ : أَنَا مَلِكُهَا فَاحْضُرْ النَّاسَ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ وَالْجَمَاعُ ، وَلَكِنْ لَهُ بَنَتْ هِيَ الَّتِي تَقْضِي أَمْرَ النَّاسِ ، فَنَآهَ وَوَعَدَهُ حَتَّى طَابَتْ نَفْسُهُ ، ثُمَّ بَعَثَ مَعَهُ هَدِيَّةً إِلَيْهَا وَقَالَ : أَخْبِرْهَا أَنِّي إِنَّمَا جِئْتُ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ لِلَّذِي بَلَغَنِي مِنْ عَقْلِهَا لَتَنْكِحَنِي نَفْسَهَا ، فَأَصِيبَ مِنْهَا غُلَامًا يَمْلِكُ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ ، وَإِنِّي كَلِمٌ أَجْنَى أَتَسُّ مَالًا ، وَإِنَّ مَعِيَ مِنَ الْمَالِ أَرْبَعَةَ أَلْفِ تَابُوتٍ ذَهَبًا وَفِضَّةً هَاهُنَا ، وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْهَا وَأَمْضِي إِلَى الصِّينِ ، فَإِنَّ كَانَتْ لِيَ الْأَرْضُ كَانَتْ أَمْرًا لِي ، وَإِنْ هَلَكْتُ كَانَ الْمَالُ لَهَا . فَلَمَّا أَتَتْهُ رِسَالَتُهُ إِلَيْهَا قَالَتْ : قَدْ أَجَبْتُهُ فَلْيَمِثْ بِالْمَالِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ تَابُوتٍ ، فِي كُلِّ تَابُوتٍ رَجُلَانِ ، وَكَانَ بِسَمَرْقَنْدٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ سِتْمَانَةُ أَلْفِ رَجُلٍ . قَالَ : وَجَعَلَ شَمِيرٌ الْعَلَامَةَ بَنَتَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يُضْرَبَ لَهُمُ بِالْجُلُّجُلِ ، وَتَقْدَمُ بِذَلِكَ إِلَى رُسُلِهِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ ، فَلَمَّا صَارُوا

بالمدينة ضرب لم بالحُلُجُلُ ففرجوا وأخذوا بالأبواب ، ونهَدَ شِمْرٌ^(١) في الناس فدخل
المدينة وقتل أهلها ، وأحتوى على ما فيها . ثم سار إلى الصين فليقَ الترك فهزمهم ،
وأتتهى إلى حسان بن تُبَعِّع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين .

قال : وفي بعض الروايات وهي المجتمع عليها : إن حسان وشِمْرًا أنصرفا
في الطريق الذي كانا أخذاه فيه حتى قَدِمَا على تُبَعِّع بما حازا من الأموال بالصين .
وصنوف الجوهر والطيب والسبي ، ثم أنصرفوا جميعا إلى بلادهم ، فكانت وفاة تُبَعِّع
باليمن . وكان ملكه مائة سنة وإحدى وعشرين سنة .

قال : وأنا في الرواية الأخرى فإن تُبَعِّعًا أقام وواطا أبته حسان وابن أخيه
شمر أن يملكوا الصين ويحملوا إليه الغنائم ، ونصَّبَ بينه وبينهم المنار ، فكان إذا
حَدَّثَ حَدَّثَ أوقدوا النار ، فأتى الخبر في ليلة .

قال : وقد ذكر بعض الرواة أن الذي سار في المشرق من التبابعة تُبَعِّع الأخير ،
وهو تُبَعِّعُ بَنان أسعد أبو كَرَب بن ملك بن زيد بن عمرو بن ذى الأذعار ، وهو
أبو حسان . انتهى ما أورده ابن مسكويه من أخبارهم ، فلنرجع إلى مساق
ما قدمناه مما قبله ابن حمدون .

قال : ثم ملك بعده حسان بن تُبَعِّع أخوه ، فقتله عمرو بن تُبَعِّع . قال : وأنصرف
بالقوم إلى بلادهم فسأط الله عليه السَّهر فكان لا ينام ، فجفع الكَهَنَةُ والقياف
والمزافين فسألهم عن ذلك فلم يعرفوه ، فقال له رجلٌ منهم : إنه يقال من قتل أخاه
ظلمًا سَلَطَ الله عليه السهر وحُرِّمَ النوم ، فأحال بالذنب على خير وجعل يقتل من
أشار عليه بقتل أخيه واحدًا بعد واحد ، ثم أرسل إلى ذِي دُرْعَيْن ليُأَيِّدَهُ بِن قِتْل من

(١) نهَدَ : نهس ونمضى .

أصحابه ، فقال : أيها الملك إني خالفتُ القومَ فيما زينوْا لك من قتل أخيك . قال :
ومن يعلم ذلك ؟ قال : الصحيفةُ التي أودعْتُها عندك ، فأنخرجها فقرأها فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَسْتَرِي سَهْرًا بَنُوْمَ خَلَّى مَنْ يَبِيْتُ قَرِيْرَ عَيْنِ
فَإِنْ تَكُ حِمِيْرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ لِعِذْرَةِ الْإِلَهِ لَذَى رُصَيْنِ

قال : نخلِّي عمرو وسيلته .

قال : ولما قتل عمرو أشراف قومه وصناديدهم تضعضُ امرؤُ حِمِيْرٍ وَوَحْيُ
مُلْكُهَا ، فطَمِعَ فيه بنوكَهْلَانُ بن سبأ بن يَسْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَطَان ، فوثبَ ربيعةُ
ابنُ نصر بن الحارث بن عمرو بن عدى بن مُرَّة بن زَيْد بن مَذْحِجَ بن كَهْلَان
في قومه وجمعهم من أقطار الأرض ، وجمع له عمرو بن ثَيْعٍ وألْتَقَوْا فَقَتَلَ عمرو بن ثَيْعٍ .

وملك بعده ربيعةُ بن نصر المتقدم ذكره قال : وكان قد رأى رؤيا أزعجته
وغيَّرت له أن الحليسةَ تملك بلاده ، فوجهَ أبْن أخيه جَذِيْمَةَ بن عمرو بن نصر وجمعه
أَبْنُه عدى بن ربيعة وهو صبيٌّ ، ووجهَ معها حَرَمَهُ ونزائنه ، وكتبَ فَم إلى سابور
ذي الأكاف ، فأسكنهم سابورَ الحيرةَ وملكهم ما حوَّلَهَا .

قال : ولما بلغَ عَدِيُّ بنُ ربيعةَ الحُلُمَ زوجهَ جَذِيْمَةَ أَخَاهُ رَقَاشَ فولدت
له عمرو بن عدى . وهؤلاء ملوك الحيرة على ما ذكره في أخبارهم .

قال : ولما مات ربيعةُ بنُ نصر تجمعت حِمِيْرٌ فَأَذْنَتْ كَهْلَانُ بِمَرْبٍ أو إعادة
المُلْكِ فِيهِمْ ، ودخلَ بينهم السفراءُ فسلموا المُلْكَ إلى حِمِيْرٍ فَلَكَتْ حِمِيْرٌ عَلَيْهَا أُبْرَةَ
ابن الصَّبَاحِ بن لُحِيْعَةَ بن ثُنَيْيَةَ ^(١) الحَدَّ بن مَرْثَدَ بن الحَسِيْرِ بن سيف بن مصلح

(١) في تاريخ أبي العلاء (ص ١١٨ طبع أوروبا) ومروج الذهب للمعدي (ص ٢١٦ طبع مصر ١٩٠٧).

« وكلمة » . « مروج الذهب » (ج ٣ ص ١٥٥ طبع أوروبا) « وليعة » باللام .

ابن عمرو بن مالك بن زَيْد بن سعد بن عَوْف بن عَدِيّ بن مالك بن زيد بن سعد
ابن زُرْعَةَ بن ذِي المَنَار .

قال : فملك عليهم ومكث طول أيام ساور ذِي الأَكْلَف ثم مات .

- فلك بعده ابن عمه صُهْبَان بن عَزْث . قال : فبعث عماله على أرض العرب ،
وَأَسْتَعْمَلَ على ولد سعد بن عدنان ابن خاله الحارث بن عمرو بن معاوية بن يَكْنَذَة .
ابن عَدِيّ بن مُرَّة بن زَيْد بن مَذْحِج بن كَهْلَان ، وكان الحارث يلقب بأكل المَرَار ،
وهو جدّ أمّ رِيّ القيس الشاعر بن مُجَر بن الحارث ، وهو جدّ الأَشْمَث بن قيس
ابن مُسَدٍ يَكْرِب بن جَبَلَة بن عَدِيّ بن الحارث المذكور ؛ فَقَسَمَ الحارث مملكته
بين ولده ، وكانوا ثلاثة : فملك أبْنُهُ مُجَرًا على أَسَدٍ وَكَثَاةً ، وملك شُرْحِيل على قَيْس
وتميم ، وملك [سَلَمَة] ^(١) على ربيعة ، فكثروا كذلك حيناً حتى مات أبوهم الحارث
فوثبَ بنو أَسَد على مُجَر فقتلوه ، ووثبَ قيس وتميم على شُرْحِيل فطردوه ،
فغضب صُهْبَان وتجهز للسير إلى مُضَر ، فأستغاثت مُضَرُ ربيعة وجاءت وفودهم
اليهم وَأَسْتَعْمَرُوهم ، ورئسهم كُليب بن ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر بن جُثَم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن قَلْب بن وائل ، وأجتمعت ربيعة ومُضَر
والرياسة على الحَيْن لَكُليب ؛ فقاتلوا صُهْبَان وعظاءَ قومه ، وهو اليومُ المشهور
في العرب ، فقتل صُهْبَان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كُثُوم :

وَحْنُ غَدَاةٍ أَوْقَدَ فِي نَخْرَازٍ ^(٢) رَفَدْنَا نَوْقَ رِفْدِ الرِّافِدِيَّاتِ
فَكُنَّا الْإِيْمِيْنَ إِذَا أَلْقَيْنَا وَكَانَ الْإِيْسِرِينَ بَنَوْا أَيْنَا

(١) الكلمة عن النفاض (ص ١٠٧٣ طبع أوديا) .

(٢) نخراز (يقع أوله) : جبل نفق آخر وله حضبات حجر ، وفي أصله ماء لنفق يقال له (نخرازة)
وهو في ناحية منبج درن امرأة رفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة (راجع معجم ما استعجم) .

فَأَيُّوا بِالْثَّهَابِ وَالسَّيَّابِ وَأَبْنَى بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِيَا

٩٥
١٣

قال : ولما قُتِلَ صُهَيْبَانُ بْنُ مُعَرِّثٍ مَلِكُ بَعْدِ الصَّبَّاحِ بْنِ أَرْبَعَةِ بَنِي الصَّبَّاحِ .
قال : وَكَانَ تَجَدُّدًا جَلِيًّا ، فَسَارَ إِلَى مَعْدٍ فِي مِثْقَى أَلْفِ بَطْلَانٍ نَارِ صُهَيْبَانِ . قَالَ :
وَتَجَمَّعَتْ مَعْدٌ وَرِئِيسُهُمْ كَلْبُيبٌ أَيْضًا ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِمَوْضِعٍ يُسَمَّى الْكَلَّابِ ،
فَانْهَزَمَتِ الْيَمَنُ . وَهَذَا الْيَوْمَانِ مِنْ مَفَاخِرِ زَيْلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَأَمْتَمْتُ مَعْدًا بَعْدَ
ذَلِكَ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى قَتَلَ كَلْبُيبُ بْنُ رَبِيعَةَ .

قال : وَلَمَّا مَاتَ الصَّبَّاحُ مَلِكُ بَعْدِ أَبِي عَمٍّ لَهُ فَاسِقٌ ، وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي مَلَكَ
تَلْحِيضَةَ دُوشَانَرٍ ، قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُلْكِ ، فَأَغْرَى بِحَسْبِ الْأَحْدَاثِ
مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَكَانَ يُطَالِبُهُمْ بِمَا يُطَالَبُ بِهِ النَّسَوَانُ ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ
فُتَيَانَ الْعَرَبِ وَأَوْلَادِ الْمُلُوكِ حَسَنَ الصُّورَةِ إِلَّا أَسْتَدْعَاهُ وَطَالِبُهُ بِهَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ ،
وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَذْمُومَةِ حَتَّى نَشَأَ غُلَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ حِمْيَرَ اسْمُهُ زُرْعَةُ .
ابْنُ كَعْبٍ وَيُدْعَى ذَا نَوَاسٍ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ ذَوَابِتَانِ تَنْوَسَانِ عَلَى عَاتِقِهِ ،
وَكَانَ وَضِيئًا ، فَأَسْتَدْعَاهُ لِمِثْلِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرُهُ ، فَفَعَلَ مَحْتًا إِنْخِصَهُ سِكِّينًا ،
فَلَمَّا خَلَا بِهِ الْمَلِكُ وَاتَّبَعَهُ ذُو نَوَاسٍ فَقَتَلَهُ ثُمَّ حَرَّرَ رَأْسَهُ ، وَكَانَ لَهُ كُفَّةٌ يُشِيرُفُ مِنْهَا عَلَى
عَبِيدِهِ إِذَا قَفَى حَاجَتَهُ مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ وَيَضَعُ مِثْوَاكَ فِي فِيهِ ، فَلَمَّا
قَتَلَ ذُو نَوَاسٍ جَعَلَ السُّوَالِكُ فِي فِيهِ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي تِلْكَ الْكُفَّةِ الَّتِي كَانَ يُشِيرُفُ
مِنْهَا عَلَى عَبِيدِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الْمَيْيِدِ فَقَالُوا [لَهُ] : ذُو نَوَاسٍ ، أَرَطَّبْتَ أَمَّ بِيَّاسٍ ؟
فَقَالَ لَهُمْ : سَلِ نَحْمَاسَ ، اسْتَطْبَانُ ذُو نَوَاسٍ ، اسْتَطْبَانُ لَا بِيَّاسَ . وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ :

(١) زيادة من السيرة لأبن هشام (ص ٢٠ طبع أوربا) .

(٢) وردت هذه العبارة في السيرة لأبن هشام بألفاظ فيها تقديم وتأخير .

سلوا الرأس التي في الكوة تخبركم وأتركوا ذا نواس ، قال : فأجمعت جمير عليه أمرها وقالوا : ينبغي أن نملكه لأنه أراحنا من هذا الفاسق .

فلما علم ذو نواس زُرعة هذا . قال : ولما ملك واستتب له الأمر فارق

عبادة الأوثان ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى

ابن مريم عليه السلام ممن أمتنع من موافقته ، ثم قصد تجران وبها عبد الله بن الناصر

وأصحابه وهم على دين عيسى عليه السلام ، فسألهم الدخول في اليهودية فامتنعوا ،

فقتل عبد الله بن الناصر بالسيف وأضرم للباقيين نارا عظيمة فالتفاهم فيها ، وهم أصحاب

الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ

أَنَارَ ذَاتَ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ :

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ^(١) ١٠ . قال : ولم ينسج منهم إلا نفر قليل .

وكان سبب تهوده أن جمير كان لها بيت ناري فيه أصنامهم ، وكان يخرج من

تلك النار عتق يمد مقدار فرسخين ، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا : أيها الملك

إن هذا العتق من النار شيطان ، فطلب منهم تبيان ذلك ، ففسروا التوراة وقرءوها

فتراجع ذلك العتق وطُفئت تلك النار ، فأعظم ذو نواس ذلك ودخل في دين اليهودية .

قالوا : ثم إن أحد الناجين من تجران — ويُعرف بدوس بن ذى ثلبان ^(٢) — ١٥

قصد قيصر ملك الروم مستنجدا به ، ومُعظما عنده ما جرى على قومه وهم على دينه ،

فاعتذر إليه ببعد دياره وقال : سأكتب لك إلى ملكٍ على دينك قريب من ديارك ،

فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما عرض عليه الكتاب وحدته بما جرى على

أهل ملته غضب وحمى لأهل دينه ، وندب من جنوده سبعين ألف رجل مع

(١) سورة البروج آيات ٤ — ٨

(٢) في ليرة لأين هشام (ص ٢٥ طبع أوريا) « درس ذو ثلبان » .

ابن عمه أرياط ، وقدم إليه بأن يقتل كل من باليمن على دين اليهودية ، فركب أرياط في البحر حتى انتهى الى عدن فأحرق السفن وقال : يامعشر الحبشة ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، ولا تمنجى لكم إلا الصبر حتى تظفروا أو تموتوا كراما . قال : وألتقوا وأقتتلوا فأنهزمت حير بعد حرب عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا . قال : وأقتحم ذو نواس البحر بفرسه وقال : والله الفرق أفضل من أمر السودان ، ففرق . وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من حطان . بجميع مملوكوا من الستين ثلاثة آلاف سنة وأثنتان وثمانون سنة .

وأستولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرياط الأموال على أشراف الحبشة وحرم الضعفاء ، بجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم ونرج على أرياط وحاربه فقتله أبرهة بيده وأستولى أبرهة على ملك اليمن .

ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرياط وحلف لأطاع أرض أبرهة سبيلها وجعلها برجلي ، ولأجرت ناصيته بيدي ، ولأهريق دمه بكفى ، وتجهز لسير الى أرض اليمن ، فبلغ ذلك أبرهة فلا حرايين من تراب السهل والجبل ، وعمد الى ناصيته بخرها ووضعها في حق ، واحتجم وجعل دمه في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك ، وبعت بذلك الى النجاشي وكتب إليه يعتذر عما فعله أرياط وأنه خالف سيرتك في العدل ، وقد بلغني ما حلفت ، وقد بعثت إليك بجزائين من تراب السهل والجبل ، فطأها هناك برجلك ، وجزت ناصيتي بيدك ، وأهريق دمي بكفك ، وجزت يمينك ، ولطف غضبك عني فإنا أنا عبد من عبيدك ، وعامل من

(١) في الأصول : « أرباط » بالياء الموحدة ، وهو تحريف ، وما أجتهد قلا عن المسعودي .

في مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٧ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٢٥ طبع أوربا) .

(٢) كذا في المسعودي وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لأذن » بالحاء وهو تحريف .

عَمَّاكَ . فَاعْجَبَ الْعَبَاسِيُّ عَقْلَ أُرْبَعَةَ وَأَقْرَبَهُ عَلَى مَكَانِهِ وَرَضِيَ عَنْهُ ، فَبَقِيَ إِلَى زَمَانٍ كَثُرَ إِلَى الْوَيْسُرِ وَأَنَّهُ وَهُوَ صَاحِبُ الْفِيلِ .

وَكَانَتْ قِصَّتُهُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَجِّ ، فَسَأَلَ عَنْ أَمْرِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ حَمَاجًا إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ : أَنَا أَكْفِيهِمْ تَحْتَمُّ هَذَا السَّفَرُ الْبَعِيدَ بَيْعَةً أَتَيْنَاهَا بِصَنْعَاءَ هَيَّكُونَ حُجَّ الْيَمَنِ إِلَيْهَا ، وَأَمْرُ بَنَاتِنَا فَبُنِيَتْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ وَصَفُهَا فِي الْفَتْحِ الْأَوَّلِ فِي الْمَبَانِي ، وَنَسَبَ عِنْدَ الْمَذْبُوحِ دُرَّةً عَظِيمَةً تُعْضَى فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ كَمَا يُعْضَى السَّرَاجُ ، ثُمَّ نَادَى فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِالْحَجِّ إِلَيْهَا ، فَغَضِبَ الْعَرَبُ لَذَلِكَ ، فَأَنْطَلَقَ رَجُلَانِ مِنَ خَتَمٍ فَأَحْدَا فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ وَلَطَعَاهُ بِالْعِذْرَةِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ ، فَأَتَتْهُمُ أُرْبَعَةُ قَرِيشًا بِذَلِكَ ، وَكَانَ حَيْثُ ذُكِرَ بِصَنْعَاءَ تَجَارٌ مِنْ قَرِيشٍ قِيَمَهُمْ هَشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، فَأَحْضَرَهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْدَثَ فِي بَيْعَتِهِ ، فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ أُرْبَعَةُ : ظَنَنْتُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ غَضَبًا لِبَيْتِكُمُ الَّذِي يَحْجُ إِلَى الْعَرَبِ ، فَقَالَ هَشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ : إِنَّ بَيْتَنَا حَرِمْ تَجْتَمِعُ فِيهِ السَّبَاعُ مَعَ الْوُحُوشِ ، وَجَوَارِحُ الطَّيْرِ مَعَ الْبَقَاثِ ، وَلَا يَمْرُضُ مِنْهَا شَيْءٌ لَصَاحِبِهِ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْجُ إِلَى بَيْعَتِكَ هَذِهِ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ فَلَا يُؤْثَرُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا . فَأَقْسَمَ أُرْبَعَةُ لِيَسِيرَنَّ إِلَى الْبَيْتِ فَيُعِدَّهُ حَجْرًا حَجْرًا . فَقَالَ لَهُ هَشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ : إِنَّهُ قَدْ رَامَ ذَلِكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَأَصْلَوْا إِلَيْهِ لِأَنَّهُ رَبًّا يَنْعَمُ . فَخَرَجَ أُرْبَعَةُ فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَسَارَ بِالْقِيلِ ، فَغَضِبَتْ لِفَعْلِهِ قَهْمَانٌ وَجَعَتْ إِلَيْهَا قِبَاطِلُ مِنَ الْيَمَنِ — وَكَانَ مَلِكُهُمْ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ ذُو نَفَرٍ — فَأَسْتَقْبَلُوهُ خَارِبُوهَ فَهَزَمَهُمْ وَظَفَرُ بَذَى فَفَسَرَ مَلِكُ قَهْمَانَ وَنُقِيلَ بْنِ

حبيب سيد ختم أسيرين فأمر بضرب عنقهما . فقالا : أيها الملك ، استبقنا لنذك
على الطريق فإننا من أدل العرب ، ففعل ذلك . فلما صاروا في مفرق الطريقين :
مكة والطائف ، قال ذو نفر لابن حبيب : كفى بنا عارا أن ننطلق بهذا الأسود
الى بيت الله تعالى فيهدمه ! قال ابن حبيب : هلم بنا لناخذ به طريق الطائف
فيستغل بثقيف ولعله يرى ما يسوءه ، فلم يشعر أهل الطائف صباحا إلا والجوش
قد وردت عليهم ، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم ، فاعلم أبرهة أنها ليست
طريقه ، وسار أبرهة حتى أتى مكة وأستاق السوائم ونزل على حد الحرم ، فكان فيما
ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم ، فركب عبد المطلب فرسه وقصد المعسكر
ودخل على أبرهة فاعجبه بجماله وأكرمه ونزل عن سريره كان عليه وجلس دونه حتى
لا يرفع عبد المطلب إليه ، ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرُد عليّ الملك
ماتى بغير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال له أبرهة : قد كان بلفى شرفك
فى العرب وفضلك فأحببتك ، ثم دخلت على فرأيت من جمالك ووسامتك ما زادنى
حبا ، فنقصت همدى فى سؤالك إياى ماتى ناقة وتركت أن تسألنى فى الرجوع عما
همت به من هدم هذا البيت الذى هو شرفك وعزك ! قال عبد المطلب : أيها
الملك ، إن لهذا البيت ربا سمينه منك وأنا رب إيل ، وقد رام هدمه من لا يحصى
من الملوك فرجعوا بين أسير وقبيل ، فرد إليه ، واجتمع الى عبد المطلب أشراف
قومه فقالوا : اجعل له مالا نجعله له ليرجع عما هم به من هدم هذا البيت . قال لهم
عبد المطلب : وما عسى أن نجعل له من المسال مع عظم ما هو فيه من الملك والسلطان !
أطمئنتوا ، الله أمددكم ، فوالله لا يصل إليه أبدا . ثم أنشد عبد المطلب يقول :

يارب إلت المسر يم * سنع جاره فامنع حلالك

(١) كذا فى نسخة ١ . وفى نسخة ب « ده أبرك » .

لَا يَفْأَيُّنَ صَالِيَهُمْ • بَيِّنَا وَمَا جَعَلْنَا حِمَاكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَفِي • لَمَّا فَاثَرُ مَا بَدَّلَكَ^(١)

- ثم علا جبل أبي قبيس هو وحكيم بن حزام ونفر من سادات قريش، وهرب
الناس فلاحقوا بروس الجبال، وأتم أبرهة البيت وقدم أمامه الفيل، وكان أكبر
فيل رآه الناس كالجبل العظيم، وأسمه بلسان الحبشة محمود، فلما انتهى الفيل إلى
طرف الحرم برك، فكانوا يخسونه، فإذا أخذوا به يمينا وشمالا هروا، وإذا
أخفوه برك. فلم يزل كذلك بقية يومهم. فلما قارب المشاء نظروا إلى طير قد
أقبلت من نحو البحر لا تحصى كثرة أصغر من الحمام، فمجبوا من كثرتها ولم يعرفوها
ولا رأوا على خلقها طيورا، وكان مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر
في منقاره، على مقدار الحص، فرفرت على رمويدهم وأظلت عسكرهم، ثم فذفت
بالحجارة عليهم، وهبت ريح شديدة فزادت الحجارة صموبة وقوة، فكان الحجر منها
إذا وقع على رأس الرجل منهم نفذ حتى يخرج من دبره، فإذا سقط على بطنه خرج
من ناحية ظهره، فكان ما أخبر الله عز وجل عنهم في سورة الفيل: ﴿بَلَّغَهُمْ
كَغَيْبٍ مَا تُكَلِّمُ^(٢)﴾. ونخرج عبد المطلب وأصحابه ففلاوا أيديهم من المال، وأرسل

- ١٥ (١) هذه الآيات الثلاثة وردت هكذا في الأصول، وورد البيتان الأول والثاني منهما في غير الأصول
باختلاف في بعض الألفاظ؛ إذ ورد البيت الأول في اللسان «مادة حل» وسيرة ابن هشام (ص ٣٥)
طبع أوربا) هكذا:

لَا يَفْأَيُّنَ ابْنُ الْعَبْدِ • بَعِ رَحْلَهُ فَاثَرُ حِمَاكَ

وردد البيت الثاني في اللسان (مادة محل) وسيرة ابن هشام هكذا:

- ٢٠ لَا يَفْأَيُّنَ صَالِيَهُمْ • وَمَا جَعَلْنَا حِمَاكَ

والحلال (بالكسر): القوم المقيمون المتجاررون؛ يريد بهم هنا سكان الحرم. والمحال (بالكسر)
هنا: الكيد والفتنة.

(٢) سورة الفيل آية ٥.

إلى قريش بغاهوه من الجبال وغنموا ما شاءوا ، فسلّمت قريش في أصغر العرب
 ويؤمنهم آل الله ، وأزاد عبد المطلب وأصحابه شرفاً . وولد رسول الله صل الله
 عليه وسلم بعد قدومهم بخمس وخمسين ليلة . وكان ذلك بعد عشرين سنة من ملك
 أنوشروان .

وملك اليمن بعد أبرهة أبنته يَكْسُوم .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو الذي زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن
 على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر سيف بن ذي يزن

وعود الملك إلى حمير

وذلك أن حمير لما رأوا ملك الحبشة قد دام عليهم ونوارثوه فهم ، اجتمع
 ساداتهم إلى سيف بن ذي يزن وهو من أولاد ذي نواس الذي ظلم الحبشة على
 اليمن في أيام ملكه — وبذلوا له أن يجمعوا له نفقة تُقيمهم ليسير إلى بعض الملوك
 فيستجده ففعل ذلك ، ومارح حتى وافى القسطنطينة إلى قيصر ملك الروم ، فاستجده
 فقال له قيصر : إن الجيش على ديني ، وما كنت لأعينك عليهم ، وأمر له بمشرة
 ألف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : إذا لم تنصرك فملا حاجة لي إلى مالك .
 وأنصرف إلى كسرى واستجده ، فقال له كسرى : بعمت بلادك عن بلادنا مع قلة
 خيرها ، إنما فيها الشاء والبيعر وما لا حاجة لي فيه . فقال له سيف : لا ترهلت
 أيها الملك في بلادى فإنها قرصة العرب ، وأرض التبابعة الذين ملكوا أقطار أقاليم
 الأرض ، ودان لهم أهل الشرق والغرب . قال كسرى : ما كنت لأغرر بمجندي

فيا لا ينفعني وأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما انتهى إلى بلب القصر تَرَاهَا في الناس
حتى أتى عليها ، فبلغ ذلك كسرى فغضب وقال له : ما الذي جعلك على استغفالك
بصايتي حتى تترتها في الناس ؟ قال : ما أصنعُ بالمال وترابُ أوضي ذهبٌ وفضةُ !
ثم خففته السَّيرة ، فرق له كسرى ووصفه بالانتصار له ، فأشار عليه ببعض وزرائه
فقال : إن في سميتك بشراً كثيراً عني استوجبَ القتل ، فربما يطلقهم ، وقومهم بالمال
والكراع^(١) والسلاح ، وجههم مع هذا العربي ، فإن ظفروا كان ذلك زيادةً في مُلكك ،
وإن قُتلوا كان ذلك جزءاً عن جرائمهم . فاعجبَ كسرى هذا الرأي وعمل به وقدم
عليهم وهِرَاز بن كاخغان ، وكان من فرسان العجم وأهل البيوتات ، وقد أضاف على
المائة من السنين ، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف وستمائة رجل ، فركبوا البحر في سبع
سفن ، وأرسل سيف إلى اليمن وعاليها ، فأتوه من القمسي اليمن وأدانيها حتى
صاروا في عشرين ألفاً ، وتجهز إليهم مسروق ، فلما اتفقا قال وهِرَاز لسيف :
أرني ملكهم ، فأراه إرد ، وهو على قيل وصل رأسه التاج وفيه ياقوتة حمراء مدلاة
على جبينه ، فلبث ساعة ثم تحول إلى فرس ثم تحول إلى بغلة ، فقال وهِرَاز : ذل
الأسود وباد ملكك ؟ وأنا أرميه فتأمل الرمية ، فإن رأيت أصحابه تصعدوا عنه
وحاصوا يمينا وشمالا فأعلم أني قتله ، وإن لم يحشركوا من منازلهم فلم أصنع شيئاً ،
ورماه ، ففلق السهم اليافوثة نصفين وخرج من مؤثر رأس مسروق ، واضطربت
الحبشة وماجأوا ، وحمل عليهم وهِرَاز ومن معه والعرب فولوا منهزمين ، ودخلوا
صنعا وقاتلوا كل أسود يوجد في اليمن . وكتب وهِرَاز إلى كسرى بالفتح ، فكتب

٩٨
١٣

(١) الكراع : الخيل .

(٢) حاصوا : ساسوا ، ساءوا ، قالوا ودلوا .

إليه كسرى أن يسأل عن سيف بني ذي يزن ، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على
ملكه وأنصرف عنه ، وإن لم يكن من أبنائهم فأضرب عنقه وأقم في الأرض
متوليًا لهم .

قال : فسلم وهيرز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وأنصرف
إلى كسرى ، وملك سيف اليمن لكسرى ، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى .
وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم أقرع عنهم .

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدقة الدر : ومن
أهل اليمن من خرج منها فلك الشام ، وهم آل جفنة وأولهم : الحارث بن عمرو بن عامر
ابن حارثة [بن أمريئ القيس بن مازن بن الأزد بن القوث بن ثبث بن مالك] بن زيد^(١)
ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى الحارث بأبي شمر .
ثم تداولها منهم سبع وثلاثون ملكا . ومدة ما ملكوا من السنين ستمائة سنة
وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وهو الذي تنصرف أيام عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر وأسلم .

(١) كذا وردت هذه القصة في الأصول وكتب التاريخ والطبري في إحدى روايته منسوبة إلى سيف
أبن ذي يزن . وفي مروج الذهب والرواية الأخرى في تاريخ الطبري أنها منسوبة إلى معد يركب بن سيف
أبن ذي يزن .

راجع تاريخ الطبري (ص ٩٤٩ - ٩٥٨ من القسم الأول طبع أوردبا) ومروج الذهب
(ص ١٩٢ - ١٧٦ ج ٣ طبع أوردبا) .

(٢) راجع هذا الكتاب (ص ٨٧ طبع أوردبا) .

(٣) الزيادة من كامة الزهر .

ثم إنه كان في الطواف قداس رجل طَرَفَ رِداءه فطلمه جَبَلَةٌ ، فأتى الرجلُ
عمرَ رضى الله عنه فطلب جَبَلَةً لِيَقْبِدَهُ منه فتصمر جَبَلَةٌ ولحق يهرقل صاحب
القسطنطينية ، فاقطعه يهرقل الأموال والضياع والرابع ، ثم تَدِمَ جَبَلَةٌ على ما كان
منه وقال :

تَصَحَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ • وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرٌ
تَكْتَفَى مِنْهَا بِلَاحٍ وَنَحْوَةٍ • فَبِعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْمَوَدِّ
فِيَالَيْتَ أَمَى لَمْ تَسْلُدْنِي وَلِيَتَى • رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عُمَرُ
وَيَالَيْتَنِي أَرَعَى الْخَاضَ بِقَفْصَةٍ • وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رِبْعَةٍ أَوْ مَضَرٍّ
وَيَالَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَبِيشَةٍ • أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

وحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى يهرقل رسولا يدعوه
إلى الإسلام أو إلى الجزية فأجاب إلى الجزية ، فلما أراد الرسول الانصراف قال
له يهرقل : أَلَيْتَ ابْنُ عَمِّكَ هَذَا الَّذِي عِنْدَنَا - يَمْنَى جَبَلَةٌ - الَّذِي أَنَا رَاغِبًا
فِي دِينِنَا ؟ فقال : مَا لَقَيْتُهُ . قَالَ أَلَيْتَهُ ، قَالَ الرَّسُولُ : فَذَهَبْتُ إِلَى بَابِ جَبَلَةٍ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَهَارَةِ وَالْجَبَابِ وَالْبَهْجَةِ وَكَثَرَةِ الْجَمْعِ مِثْلُ مَا عَلَى بَابِ يَهْرَقْلَ . قَالَ :
فَتَلَطَّفْتُ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ أَصْهَبَ الْحَلِيَّةِ ، وَكَانَ
عَهْدِي بِهِ أَسْوَدَ الْحَلِيَّةِ وَالرَّأْسِ ، فَأَتَكَّرْتُهُ وَإِذَا هُوَ قَدْ ذَرَّ ^(١) مَحَالَةَ الذَّهَبِ عَلَى لَحِيَّتِهِ
حَتَّى صَارَ أَصْهَبَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرُرٍ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَوَائِمُهُ أَرْبَعَةُ أَسْوَدَ مِنْ
الذَّهَبِ . قَالَ : فَلَمَّا عَرَفَنِي رَفَعَنِي مَعَهُ عَلَى السُّرُرِ . قَالَ : وَجِئْتُ يَسْأَلُنِي عَنْ
الْمُسْلِمِينَ وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَذَكَرْتُ خَيْرًا وَعَرَفْتُهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا .

(١) المحالة (بالضم) : ما سقط من زيادة الذهب .

٩٩
١٣

ثم أتحدّثُ هن السرر فقال لي : لِمَ تأتي الكرامة التي أكرمك بها ؛ قلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن هذا . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن تَقِّ قلبك من الدُّنس ولا تُبَالِ على ما قعدت . فلَمَّا سَمِعْتُهُ يَصِلُ على النبي صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه فقلتُ له : وَيْحَكَ يَا جَبِلَةَ ! أَلَا تُسَلِّمُ وقد عرفت الإسلامَ وفضله ؟ قال : أبعَدَ ما كان مِنِّي ؟ قلتُ : نعم . قال : إن كنتَ تضمّن لي أن يزوّجني عمرَ ابنته وَيُوَلِّيَني الإمرةَ بعْدَه رجعتُ إلى الإسلام . قال الرسول : فقصمتُ له الترويح ولم أصننْ له الإمرة . قال : ثم أوما إلى خادم كان على رأسه فذهب مُسرعا فإذا خدامٌ قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعتُ ونُصِبَتْ موائدُ الذهبِ ويحافُ الفضة ، وقال لي : كُلْ . فقبضتُ يدي وقلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن الأكل في آنية الذهب والفضة . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن تَقِّ قلبك وكُلْ فيما أحببت . قال : فأكل في الذهب وأكلت في الخَلنج^(١) ، ثم جِئَ بطسات الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فيها وعسلتُ في الصُّفَر^(٢) ، ثم أوما إلى خادم فز مُسرعا فإذا خدَمٌ معهم كرامِي الذهب مُرَصَّعة بالجواهر ، فوضعتُ عشرةً عن يمينه وعشرةً عن شماله ، ثم جاءت الجوارى عليهن تيجانُ الذهب مُرَصَّعة بالجواهر ، فقعدن عن يمينه وعن شماله على تلك الكرامِي ، ثم جاءت جاريةٌ كأنها الشمسُ حسنا على رأسها تاج ، على ذلك التاج طائرٌ وفي يدها البني جامَةٌ فيها مِسْكٌ فتيت ، وفي يدها اليسرى جامَةٌ فيها ماء ورد ؛ فأومات الجارية أو صَفَرَت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جام ماء الورد

(١) الخَلنج (فارسي مرعب) : شجرتين صهرة وحررة يكون بأطراف الهند والصين ورقه كالظرفاء وزهره أحمر وأصفر وأبيض . وأصل معناه المنتزع الألوان تتخذ من خشب الأواقي .

(٢) الصُّفَر (الفم) : القفاس الأصفر .

فَأَضْطَرِبَ فِيهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ أَوْ صَفَرَتْ فَوْقَهُ فِي جِامِ الْمَسْكِ فَتَمَرَّغَ فِيهِ ، ثُمَّ
أَوْمَأَتْ فِطَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى تَاجِ جَبَلَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْفِقُ حَتَّى نَفَضَ مَا عَلَيْهِ فِي رَأْسِهِ ،
فَضَحِكَ جَبَلَةٌ سَرُورًا بِهِ ، ثُمَّ أَكْثَفَتْ إِلَى الْجَوَارِي اللَّوَاتِي عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : يَا
أَحْبَبَتُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَفْتِنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَايَ نَادَمْتُهُمْ * يَوْمًا يَحِلُّقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ^(١)
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ * بَرْدَى يُعَفِّقُ بِالزَّحِيقِ السَّلْسِلِ ^(٢)
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْتَزُّ كِلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
يَبِضُّ الْوُجُوهُ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ * شَمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ * قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ ^(٣)

١٠ قال : فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : أتدرى مَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قلت لا ؛
قال : حَسَّانَ بَنْ ثَابِت ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْجَوَارِي اللَّوَاتِي عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ لَهُنَّ : يَا
أَحْبَبَتُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَفْتِنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِمَنِ الدَّارُ أَفْقَرَتْ بُعْثَانِ ^(٤) ، بَيْنَ أَطْلَى الْيَرْمُوكِ ^(٥) فَالْخَسَنِ ^(٦)
ذَلِكَ مَغْنَى لَأَلِّ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ * وَحَسَنُ قَمَاقِبُ الْأَزْمَانِ ^(٧)

- (١) جلق (بكسر اللام وتشديد الهمزة) : هو أَسَمُ لَكُوْرَةِ التَّرْمَلَةِ كُلِّهَا ، وَيُقَالُ : بَلَغَ مِنْ دُمُوعِ
قَسْبَةٍ ، وَقِيلَ : مَوْضِعٌ مِنْ قَرْيَةِ دِمَشْقَ . (٢) الْبَرِيصُ : أَسَمُ غُرَّةِ دِمَشْقَ .
(٣) بَرْدَى : نَهْرُ دِمَشْقَ . (٤) ابْنُ مَارِيَةَ : هُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرَةَ النَّسَائِيُّ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَدَنِيًّا .
(٥) مَعَانٍ (بِضْمِ أَوَّلِهِ) : حِصْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ عَلَى نَحْوِ أَيْامٍ مِنْ دِمَشْقَ مِنْ طَرَفِ مَكَّةَ .
(٦) الْيَرْمُوكُ : وَادٍ بَنَاحِيَةِ الشَّامِ ، وَكَانَتْ فِيهِ الرَّافِعَةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي عُرِفَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي نَعْنِ مَعْرٍ
أَبْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ مِنْ أَكْثَمِ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ .
(٧) الْخَسَنُ (بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَتَشْدِيدِ ثَانِيهِ) : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ .

قد أراى هناك دهرًا مكيًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني^(١)
قال : فبكى حتى سالت دموعه على لحيته ، ثم قال : أتندى من يقول هذا ؟
قلت : لا ، قال : حسان ، ثم أنشد : تنصرت الإشراف الأبيات ثم سألنى عن
حسان أحمى هو ؟ قلت : نعم ، فأمر له بكسوة ولى بمثلها ، وأمر بمل لحسان ونوق
موقرة برأ ثم قال : إن وجدته حيًّا فأدفع الهدية إليه ، وإن وجدته ميتًا فأدفعها إلى
أهله وأخبر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر بنخبره وما اشترط على وما صممت له قال : فهلا صممت
له الأمر فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بمحكه ! ثم جهزنى عُمر إلى القسطنطينية
إلى هرقل ثانية وأمرنى أن أضمن له ما اشترط ، فلما دخلت القسطنطينية وجدت
الناس قد أنصرفوا من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب . ١٠

ذكر أخبار ملوك الحيرة

وهم من آل حطان

وأولهم مالك بن فهم بن غنم بن دؤس بن الأزد بن القوث بن نبت بن مالك
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢) . وكان قد خرج من
اليمن مع عمرو بن عامر حين أحسوا بسيل الغرم ، وقد ذكرنا أن الملك ربعة
ابن نصر كان قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الحيرة وملكوها ما حوَّها . والله أعلم .
قال : وكان ملك مالك على الحيرة عشرين سنة . ١٥

(١) رواية الديوان (ص ٥٥ طبع أوربا) :

قد أراى هناك حق مكين * عند ذى التاج مجلى ومكاني

ورواية الأغاني (ج ١٤ ص ٦ طبع بلاق) :

قد أراى هناك حقًا مكينا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني

(٢) ورد هذا النسب فى تاريخ أبي الفدا (ص ١٢٠ طبع أوربا) ببعض تغيير بالزيادة والنقصان .

ثم ملك بعده أبنته جَذِيمَةُ وهو الوَصَاح . قال : وكان يقال له ذاك لَبْرِصَ كان به ، ويقال أيضا فيه الأبرش ، وكان يقول الأنبار ، وكان لا يَنَادِمُ أَحَدًا من الناس ذهابا بنده على السدءاء ، وكان ينادِمُ الْفَرَقْدَيْنِ فإذا شَرِبَ قَدَحًا صَبَّ [في الأرض] ^(٢١) لهذا قَدَحًا وهذا قَدَحًا ، ويقال : إنه أول من عمِلَ المَدَجْنِيْق من الملوك ، وأول من حُدِثَ له النعال . وأول من وقَدَّ بين يديه السَّمْع ، وهو الذي قتلته الزَّيَاء بحيلة .

ثم ملك بعده ابنُ أخته عمرو بن عَدِيٍّ بن ربيعة . قالوا : وعمرو هذا هو الذي استهوته الحنْ طويلا ثم رَجَعَ ، فبينا مالك وعقيل ابنا فارح وقيل - قالح - يقصدان جَذِيمَةَ الملك بهدية إذ نزلا على ماء ومعهما قَيْتَةُ يقال لها : أم عمرو ، فتمرض لهما عمرو ، وقد طال أظفاره وشعره وسامت حالته وهيئته ، بهاس إليهما - وكانا ياكلان - فسند إليهما يده مُسْتَطْعِمًا فتاولته تلك الجارية طعاما فأكله ، ثم مَدَّ يده . ثانيا فعاتت : إن يُعْطِ العبدُ كَرَامًا يَتَّعِ ذراعا ! ثم ناولت صاحبيها من شراهما وأوكلت سقاءها ، فقال عمرو :

صَدَدَتِ الكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عَمْرُو • وكان الكَأْسُ تجسرها اليمين
وما شَرُّ الثلاثة أُمَّ عَمْرُو • بصاحبك الذي لا تصحيجنا ^(٢٢)

(١) في تاريخ أبي القداء (ص ١٢٠ طبع أوروبا) أن الذي ملك بها . الف بن مهم آخر عمرو ابن فهم ، ثم ملك بعده جَذِيمَةُ بن مالك .

(٢) التكلة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) إركات سقاها : شدت له سيرا أو خيط ، أى ربطته .

(٤) هذان البتان من ملقة عمرو بن كلثوم المشهورة . وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جَذِيمَةَ الأبرش كما ورد هنا والأغاني (ج ١٤ ص ٧٣ طبع بلقي) .

فقالوا له : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَنْتَسِبَ لَهَا ، ففَرَحَا بِهِ وَأَقْبَلَا عَلَى خَالِهِ — وَقَدْ كَانَ جَعَلَ الْجَمَاعَةَ لِمَنْ يَأْتِيهِ بِهِ — فَلَمَّا أَتَاهَا بِهِ قَالَ جَذِيمَةً لَهَا : لَكَا حُكْمُكَ . فَقَالَا : مُنَادِمَتِكَ . فَكَانَا كَمَا اخْتَارَا ، وَسَارِيهِمَا الْمَثَلُ . وَيُقَالُ : إِنَّمَا نَادِمَاهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلَا إِعَادَا عَلَيْهِ حَدِيثًا مِمَّا حَدَّثَاهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، بَلْ كَانَا يَحْدِثَانِهِ بِحَدِيثٍ جَدِيدٍ لَمْ يَسْمَعْهُمَا قَبْلُ .

وَمَعْرُوفٌ هَذَا هُوَ الَّذِي أَخَذَ بِنَارِ خَالِهِ جَذِيمَةً مِنَ الزَّوْبَاءِ وَقَتَّلَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ قِصِيرَ ابْنِ مَعْدَانَ كَانَ مِنْ غُلَامَانِ جَذِيمَةٍ قَالَ لِعَمْرُو : اضْرِبْ ظَهْرِي وَأَقْطَعْ أَرْبَعَةَ أَغْنِي وَأَتْرَكْنِي وَالزَّوْبَاءَ ، فَأَتَى سَاحَتَالُ لَكَ عَلَيْهَا ، ففَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَفَرَّقَ قِصِيرٌ إِلَى الزَّوْبَاءِ وَصَارَ فِي جَمَلَةِ رَجَالِهَا وَأَرَاهَا النَّصِيحَ وَالْاجْتِهَادَ فِي حَوَائِجِهَا ، وَأَنَّهُ غَاشٌّ لِعَمْرُو ابْنَ مَدْيَ ، وَجَعَلَ يَقْبِرُ لَهَا وَيَذْهَبُ لِعَمْرُو فِي السَّرِّ فَيُعْطِيهِ الْأَمْوَالَ فَيَأْتِيهَا بِهَا ، كَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ اجْتِهَادِهِ وَخِذْقِهِ فِي التَّجَارَةِ حَتَّى أَطْعَمَتْهُ لَهْ ، فَذَهَبَ إِلَى عَمْرُو وَأَخَذَهُ وَأَخَذَ مَعَهُ أَلْفَ رَجُلٍ وَجَعَلَهُمْ فِي جَوَالِقٍ عَلَى أَلْفِ جَمَلٍ ، وَمَعَهُمْ دُرُوعُهُمْ وَسِيُوفُهُمْ وَجَاءَ بِهِمْ عَلَى طَرِيقٍ يُقَالُ لَهُ الْقَوَيْرُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْ حَصْنَتِهَا تَقَدَّمَ إِلَيْهَا وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ قَدْ أَتَاهَا بِأَلْفِ صَامِتٍ ، فَأَشْرَفَتْ مِنْ أَعْلَى قَصْرِهَا تَنْظُرُ إِلَى الْجَمَالِ ، فَرَأَتْهَا وَكَأَنَّهَا تَنْزِعُ أَرْجُلَهَا مِنْ أَوْحَالٍ لِيَتَقَلَّ مَا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : « عَسَى الْقَوَيْرُ أَبُوسًا » . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . ثُمَّ قَالَتْ :

مَا لِلْمَطَايَا مَشِيهَا وَيَسِدَا أَجْنَدَلًا يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا
أَمْ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا أَمْ الرِّجَالُ جُثْمًا قُعُودًا

(١) القوير : موضع على القرات .

(٢) صرغانا باردا : قال في شرح القاموس (مادة صرف) : « الصرغان (محركة) : المسوت من ابن الأعرابي ؛ وقال ابن مباد : هو النحاس ، وفي اللسان : الرصاص القلوي » ، وبهما لغير قول الأعرابي .

وقد كان قصير قال لها قبل ذلك كالتامع : ما ينبغي لملك إلا أن يكون له موضع ليوم ، فإنه لا يدري ما تحبته الأيام ، فارتد سرباً في ناحية قصرها قد نفذت فيه إلى حصن اختها - وكانا على ضفتي الفرات - قال : فلما دخلت الإبل حل البواب فغير لكثرتها ، حتى إذا كان آخرها طعن في جوالق عود كان في يده ، فعاقلت الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في الجوالق فحنق فقال البواب : لشتا لشتا ، أى شيء . في الجوالق ، فتارت الرجال من الجوالق بأيديهم أسبوف ، فهربت الزباء إلى ذلك السرب فإذا هي بقصير عند الفلق ومعه عمرو بن مدى ، والسيف في يده ، فصبت خائماً كان في يدها فيه سم ساعة وقالت : « يدي لا بيد عمرو » . وفي ذلك يقول المتألمس :

١٠ وفي طلب الأوتار ما حرّ أنفسه • قصير ورام الموت بالسيف ميمس

= « ما جهل مشياً وثيلاً ... » وذكر البيهقي ، متجاً في ذلك ما جاء في اللسان (مادة صرف) مع بعض تغيير في اللفظ . ثم قال بعد ذلك : « ولعل الصرقان هنا : تموزين مثل البرق لأنه صلب الخضام ملك » والناس يذكرونه » .

ولعل تفسير البيهقي بالترأسب ، فإن شارح القاموس قال بعد ذلك : قال أبو عبيد : ولم يكن يدي للزباء هي ، أحب إليها من التمر الصرقان وأشد :

١٥ ولما أتتها العسيرة قالت أيلرد من الترام هذا حديد وجعل

وقد ذكر صاحب اللسان قول أبي عبيد والبيت الذي أشده . وقال الجوهري في الصحاح (مادة صرف) : والصرقان : الرصاص ، والصرقان أيضاً : خنس من الترقاقت الزباء .

• ما جهل مشياً وثيلاً ... الخ •

٢٠ (١) كذا في شرح نصيحة ابن جنيون (ص ٩٣ طبع لندن) وفي الأصول : « الملك » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (ج ١ ص ٢٢٥ طبع بلاق) . « فقال سؤاب : بشنا بشنا بالبطية ، أى في الجوالق هرة » . وفيه (ج ٢ ص ١٩٧ طبع أوروبا) : « قال البواب : بشنا لشنا ، أى شر في الجوالق » .

ثم مات بعده أبوه أمرؤ القيس . فكان ملكه سبع سنين .

$$\frac{1.1}{13}$$

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ إِذْ أَقْبَضَ * فَفَ يَوْمَآ وَلِلَّهِ تَكْوِينُ
سِرُّهُ خَالَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْدُ * بَيْنَكَ وَالْبَحْرُ مَعْرُضًا^(٧) وَالسَّيْرُ

- (١) في الأصل : « الحرب » . وما أثبتناه من رجح الذهب . وفيه وفي تاريخ أبي الفدا
ص ١٢٢ طبع (أردبا) أن الذي يسمى عوزفا هو أمرؤ القيس بن عمرو بن أمرؤ القيس ، وإنما يسمى عوزفا
لأنه أول من عاقب بالنار .
- (٢) كما في الأصل ، وفي مروج الذهب : أن الذي ملك بعده النعمان بن أمرؤ القيس ، ثم المنذر
ابن النعمان بن أمرؤ القيس ، ثم النعمان بن المنذر .
- (٣) كما في مروج الذهب وشرح قصيدة ابن عدي ، وفي الأصل : « حقه » .
- (٤) الخوحي : قصر بناء سقار على ثلاثة أيمان من الحيرة .
- (٥) كودس الفائده غيره : أي جعلها كنية كنية . والكرا ديس : كتاب الخليل ، واحدها كودوس .
- (٦) في تاريخ أبي الفدا : أن الذي كان أموره النعمان بن أمرؤ القيس بن عمرو .
- (٧) معوضا : ممرض بمعنى منعم ، ومنه أمرض القلوب ، أي اضمه عرض .

فَارْتَعَمَى قَلْبُهُ وَقَالَ : يَا غِيْبُ * حَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَضِيرُ ؟

وَكَانَ مُلْكُهُ نَحْمَا وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

ثم ملك الأسود بن النعمان . فكان ملكه عشرين سنة . ويقال : إن الأسود هذا هو الذي انتصر على غسان وأسر عترة من ملوكهم ، وأراد أن يعفو عنهم ، وكان للأسود ابنٌ هم يقال له : أبو أثينة ، قد قتل آل غسان له أخا في بعض الوقائع ، فقال قهبيدته المشهورة يفرى بهم الأسود بن النعمان :

مَا كُلُّ يَوْمٍ يَسَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبًا * وَلَا يُسَوِّفُهُ الْمِقْدَارُ مَا وَهَبًا

وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ * لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُقْتَضِبًا

وَأَنْصَبُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ * سَقَى الْمُعَادِينَ بِالكَأْسِ الَّذِي شَرِبَهَا

وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضِيرُهُمْ * بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ ضُرِبَهَا

وَالْعَفْوُ إِلَّا عَنْ الْأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ * مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ كَذِبًا

قُلْتُ عَمْرًا ! وَتَسْتَبْقَى يَزِيدُ لَقَدْ * رَأَيْتُ رَأْيَا يَجْزُ الْوَيْلُ وَالْحَسْرَتَا

لَا تَمُطِّعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْقَى وَتُرْسِلَهَا * إِنْ كُنْتَ تَهْمَأَفَاتِيغَ رَأْسِهَا الدُّنْيَا

هُمْ جَرَدُوا السَّيْفَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهْجَرًا * وَأَوْقَدُوا النَّارَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهَا حَطَبًا

إِنْ تَعَفَّ عَنْهُمْ فَقَوْلِ النَّاسِ كُلَّهُمْ * لَمْ يَعْفُ جَاهِلًا وَلَكِنْ عَفَوْهُ رَبُّهَا

وَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَا الْعَفْوِ لَوْ هَرَبُوا * لَكُنْتُمْ أَتَقْوَاهُ مِنْ مِثْلِكَ الْمَسْرَبَا

هُمُ أَهْلَةُ غَسَّانَ وَجَعَدُهُمْ * عَالٍ فَإِنْ حَالُوا مُلْكًا فَلَا عِجَابَا

وَعَرَضُوا بِفَيْدَاءٍ وَاصِفِينَ لَنَا * خَيْلًا وَأَبِلًا يَرُوقُ الْمُعْجَمُ وَالْعَرَبَا

(١) المقدارها . القدر (بالحرريك) .

(٢) جروا ، قطعوا . (٣) رعبا : خوقا .

أَيُّمِلُون دَمَا مِنَّا وَيَحْلِيهِمْ * رَسَلًا لَقَدْ شَرَّفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبًا
عَلَامَ قَبْلُ مِنْهُمْ فِدْيَةٌ وَهُمُ * لَا فِضَّةَ قِيلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا
فَلَمَّا أَتَشَدَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَقَبُولِ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ
وَقَتْلِهِمْ . وَاقَّهْ أَعْلَمَ .

ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ^(٢) ، وكانت أمه ماء السماء ^(٣) . وكانت مدة ملكه
أربعًا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر . فكان ملكه أربعًا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر . وكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده قابوس بن المنذر . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر ، وهو الذي قيل له : « أَيْتَ اللَّعْنِ » وهو
آخر من ملك من آلهم . وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة . وها نحن نذكر ما قيل
في سبب ملكه وزواله .

قالوا : وكانت عدى بن زيد العبدي وأبنته زيد بن عدى سبب ولايته
وسبب هلاكه . وذلك أن عديا وأخويه ، وهما عمار وعمرو ، كانوا في خدمة
الأكاسرة ولهم من جهنم قطاع ، وكان قابوس الأكبر عم النعمان يثب إلى
كسرى أبوزيد عدى بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يرجون له ، فلما مات

(١) الرسل (بالكسر) : اللين . والحلب (بالفتح) : استخراج ما في الضرع من اللبن .

(٢) ذكر أبو الفدا في تاريخه (ص ١٢٦ طبع أوربا) ما يخالف ذلك فانظره .

(٣) اسمها ماوية بنت عوف بن جشم ، وإنما لقبته ماء السماء لحسنها وجمالها . (راجع تاريخ أبي الفداء .

ص ١٢٦ طبع أوربا وشرح قصيدة ابن جهمون ص ٩٦ طبع لندن) .

المنذر ترك من الأولاد اثني عشر رجلا ، وهم الأشاهب^(١) ، ثموا بذلك الجاهلهم ،
وفيهم يقول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب باله • بيرة يمشون غلوة كالسيوف^(٢)

- ١٠٩
١٣
- فجعل المنذر أبنه النعمان في حجر عدى بن زيد هذا ، وجعل أبنه الأسود
في حجر رجل يقال له : عدى بن أوس بن مريتا ، وبنو مريتا قوم لهم شرف ،
وهم من نخم ، وترك المنذر بقية بنيه ، وهم عشرة ، يستقل كل واحد منهم
بنفسه ، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي ، فلما مات قابوس طلب
كسرى من يملكه على العرب ، فدعا عدى بن زيد فقال له : من بقي من بني المنذر ،
وما هم ؟ وهل فيه خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت ، يعني المنذر ، وهم رجال
نجباء ، فكذب إليهم بالقدوم عليه ، فقيدوا فأنزلهم ، على عدى بن زيد ، وكان عدى
يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن ، وهو يظهر لهم
خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر ، ويكرمهم ويخلو بهم ويربهم أنه لا يرجو
النعمان ، كل ذلك ، ليطمئنوا إليه ويرجعوا إلى رأيه ، ثم خلا بكل منهم على أفرادهم
وقال لهم : إن سألكم الملك : أن تكفوني العرب فقولوا : نكفيهم إلا النعمان ، وقال
لنعمان : إن سألك الملك عن إخوتك فقل له : إن عجزت عنهم فأتى عن غيرهم أعجز .

(١) الثبة في الأصول : ياض يخالفه سواد ، وقيل : البياض الذي يظلم على السواد ، وقد قال
على مطلق البياض كما قالوا : سنة شهاب : أي بياض . لكثرة الطبع وعدم النبات . وفي القاموس : « والأشاهب
بنو المنذر بالهم » قال شاذوه السيد مرتضى : « صحرا »

(٢) كذا في شعر الأعشين (ص ٢١٢ طبع أوروبا) وفي الأصول : « بالسيوف » .

(٣) بنو مريتا : قوم من أهل الحيرة من قبائل البعاد ، وهم الذين ذكرهم أمرؤ القيس في قوله :

فسلم في يوم معركة أحيوا • ولكن في ديار بني مريتا

وليس مريتا بكلمة عربية (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) .

قال : وكان عدى بن أوس بن مريتا داهية أربيا ، وكان يوصى الأسود
ابن المنذر ويقول : قد عرفت أنى لك راج ، وأن طلبنى إليك ورغبى أن تخالف
عدى بن زيد فيما يشير به عليك ، فإنه والله لا ينصح لك أبدا ، فلم ينفذ الأسود
إلى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلا وجلا
وكسرى يرى رجلا فلما رأى مثلهم ، فإذا سألهم هل تكفونى العرب قالوا : تكفين
العرب كلها إلا النعمان . فلما دخل النعمان عليه رأى رجلا دميما قصيرا أحمرا الشعر
فكلمه وقال : هل تستطيع أن تكفينى العرب ؟ قال نعم ، قال : فكيف نصنع
براخوتك ؟ قال : أيها الملك إن عجزت عنهم فأتى عن غيرهم أعجز . ولكنه وكساه
والهسه تاجا قيمته ستون ألف درهم . فلما خرج وهلك على العرب فالتجدي
ابن أوس بن مريتا للأسود بن المنذر : دونك فإنك خالفت الراى .

قال : ثم أت عدى بن زيد صنع طعاما في بيعة وأرسل إلى ابن أوس أن آتني
مع من أحببت فإن لى حاجة ، فأتاه فى أناس فتقدموا فى البيعة . فقال عدى بن زيد
لعدى بن أوس : يا عدى إن أحق من عرف الحق ثم لم يعلم عليه من كان مثلك .
أتى عرفت أن صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان .
فلا تلمنى على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد على شيئا وقد برت عليه
ركبته ، وأحب أن تعطينى من نفسك ما أعطيك من نفسى . فأت نصيبي من هذا
الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة وحلف ألا يهجو
ولا يبغيه غائلا أبدا ، ولا يروى عنه خيرا ، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه
ألا يزال يهجو غائلا أبدا ويبغيه الفوائى ما بقي . وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة .
وأفترق المدائن على وحشة ، فقال عدى بن أوس للأسود : إن لم تظفر أفلا تعجز
أن تطلب بشارك من هذا المعدى الذى عمل لك ما عمل ؟ فقد كنت أخبرتك

أن مملاً لانتام من مكرها، وأمرتك أن تخالفه فصعيتي . قال : فما تريد ؟ قال :
 ألا تأتيك فائمة من ملكك ولا أرضك إلا مرختها على ، ففعل . وكان عدى بن
 أوس كثير المال ، فلم يعبه يوم إلا بث فيه إلى النعمان هدية أو تحفة . فلما توالى
 ذلك وكثرت هدايا هذه النعمان صار من أكرم الناس عليه ، وصار لا يقضى في ملكه
 شيئاً إلا رأى عدى بن أوس . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده
 تابوه وتزيموه ، فكان يقول لمن يثق به من أصحاب النعمان : إذا رأيتموني
 أذكر عدى بن زيد عند الملك فغير تقولوا : إنه لك يقول ولكنه لا يُسلم عليه أحد ،
 وإنه يقول : إن الملك - يعني النعمان - إنما هو عامله ، وإنه هو الذي
 ولّاه ما ولّاه .

١٠ فلم يزالوا بهذا وأشباهه حتى أضغثوا النعمان عليه . ثم إنهم كتبوا كتاباً من عدى
 إلى قهرمان كان له ، وفسروا من أخذ الكتاب وأتى به النعمان فقرأه فغضب ، وأرسل
 إلى عدى بن زيد يقول : عزمت عليك ألا زرتني فإني قد اشتقت إليك ، وكان
 عند كسرى ، فأستأنس في زيارة النعمان فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ،
 فجعل يقول الشعر ويصطلفه به ، فكان مما قاله :

١٥ أُلحِجَّ النعمانَ عني مَالِكاً * إنه قد طالَ حَيْسِي وَأَمْتَارِي
 لو جِبرَ الماءُ حَلَقِي شَرِيقُ * كُتُّ كَالنَّصِاقِ بِالمَاءِ أَحْتِصَارِي

١٠٥
١٣

(١) القهرمان : الوزير ، أو أمين الدخل والخروج .

(٢) مَالِكاً : المالكة (بفتح اللام وضمة ياء) : الرسالة ، لأنها توفك في الغم (تلاك) ، قال
 ابن بري : وقد يقال مَالِكَةٌ ، وروى عن محمد بن زيد أنه قال : مَالِكٌ جمع مَالِكَةٍ . (انظر اللسان
 مادة ألك) . وقال البغدادى في نزهة الأدب (ج ٣ ص ٩٧) : والمَالِكُ (يسكون الهزلة وضمة اللام) ،
 الرسالة ، وقال الزجاج : مَالِكٌ جمع مَالِكَةٍ .

(٣) احتصارى : قال الجوهري : الاحتصار : أن يحبس الإنسان بالطعام فيجصر بالماء ، وهو
 أن يشربه قليلاً قليلاً ليمسه ، وأشد هذا الكَيْت . وقال البغدادى في الغرزة (ج ٣ ص ٩٦) : =

وقال أشعارا كثيرة كانت تبلى النعمان فندم على حسبه وعلم أنه كيد فيه ، فكان يرسل إليه ويمنه ، فلما طال مجته وأصابه التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبي — وهو عمار — وهو كسرى يخبره بحاله ، ويمنه على السعي في خلاصه ، فدخل أبي على كسرى وكلمه ، فكتب إلى النعمان في أمره ويحث رسولا بكتاب ، فقال له أبي : إبدأ بعدى وأنظره قبل أن تجتمع بالنعمان ، ورشاه على ذلك ، فقبل الرسول ذلك ودخل إلى الخلس وأجمع بعدى وقال له : ما تحب أن أصنع ؟ قال : أحب ألا تخرج من عندي ، وأعطني كتاب كسرى لأرسله من قبيل . قال : لا أستطيع ذلك . قال : فإني إن خرجت من عندي قُتلت . فقال : لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي ، فأطلق إلى النعمان وأوصله الكتاب فقبله وقال : سمعاً وطاعة ، ووصله بأربعة آلاف مثقال ذهباً [وجارية حسناء] ^(١) وقال : إذا كان من غد فادخل عليه وأخرج به نفسك . وكان أعداء عدى أتوا النعمان وأخبروه أن رسول كسرى دخل إلى عدى وأنه إن خرج من الخلس لم يستبق منا أحداً ، ولم تنج أنت ولا غيرك ، فأمرهم النعمان بقتله ، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وغموه حتى مات ، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس : إن عدداً قد مات منذ أيام ، ولم نجرؤ أن نخبر النعمان فرحاً منه لعلنا يكرهه لذلك ، فرجع الرسول إلى النعمان فقال :

« وبحقيقة أن الإحصار الأكجاء ، كما قال أبو القاسم على بن حمزة البصري « فيا كنيه على النبات لأبي حنيفة الديلمي . » وفاق البندادي كلام أبي القاسم هذا بنحوه ، ثم قال : وقد سار هذا البيت ملائماً بمن يرحى إحسانه . وقد أورد الميداني في جميع الأمثال المختل : « لو بنير الماء غصمت » وقال : إنه يضرب لمن يرقى به ثم يرقى السواقي من قبله واستشهد بهذا البيت . وفي الأصول : « انصاري » وهو مخبريات .

(١) التكلفة من الألفاظ (ج ٢ ص ١٢١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) يريد أنهم دخلوا بوجهه ، حتى اغتصب .

إِنِّي كُنْتُ بِدَأْتُ بِهِ فَنَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ حَيٌّ . فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : يَمُوتُكَ الْمَلِكُ إِلَى
فَنَدَخَلُ إِلَيْهِ قَبِيلًا ، كَذَبْتَ ! وَلَكِنَّكَ أَرْتَشَيْتَ وَتَهْتَدُهُ ، ثُمَّ أَسْتَدْمَاهُ بِمَذَلِكَ وَزَادَهُ
جَائِزَةً وَكِسُوفَةً وَأَسْتَوْتَنِي مِنْهُ وَصَرَفَهُ إِلَى كِسْرَى . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : قَدْ مَاتَ
قَبْلَ مَقْدَمِي عَلَى النِّعْمَانِ .

- قال : ثم نَدِمَ النِّعْمَانُ عَلَى قَتْلِ عَدِيْ نَدْمًا شَدِيدًا وَاجْتَرَأَ أَعْدَاءُ عَدِيْ عَلَى النِّعْمَانِ
وَعَاهِبِهِمْ ، ثُمَّ رَكِبَ النِّعْمَانُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ لِلصَّيْدِ فَلَقِيَ أَبْنَاءَ لَعْدِيْ بْنِ زَيْدٍ ، فَكَلَّمَهُ فَلَإِذَا
هُوَ غُلَامٌ ظَرِيفٌ فَرِيحٌ بِهِ النِّعْمَانُ وَقُرْبُهُ وَوَصَلَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ جَهَّزَهُ إِلَى كِسْرَى
وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِذَا مَدِيًّا كَانَ مِنْ أُمَيَّةٍ فِي الْمَلِكِ فِي نَصِيحَتِهِ وَرَأْيِهِ ، فَأَقْبَضْتَ مَدَّتَهُ
وَأَقْطَعْتَ أَجْلَهُ ، وَلَمْ يَصَبِّ بِهِ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْ مَعْصِيَتِي ، وَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْقِدَ وَجِلًا
مِنْ عِيْدِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُ خَلْقًا ، وَقَدْ أَدْرَكَ لَهُ ابْنٌ لَيْسَ هُوَ كُتُوبُهُ ، وَقَدْ سَرَّحْتَهُ
إِلَى الْمَلِكِ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَحْمِلَهُ مَكَانَ أَبِيهِ وَيَصْرِفَ عَنْهُ إِلَى عَمَلٍ آخَرَ فَغَسَلْ . فَاجَابَهُ
كِسْرَى إِلَى ذَلِكَ وَوَبَّيْهُ فِي وَظِيفَةِ أَبِيهِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ النِّعْمَانِ فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَكَثُرَتْ
سَنَوَاتُ عَلَى مَثَلَةِ أَبِيهِ وَأُعْجِبَ بِهِ كِسْرَى . وَكَانَ لِمُصَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ عَلَى الْعَرَبِ
وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ الْأَفْرَاسِ وَالْمَهَارَةِ وَالْكَثَاةِ وَالْأَقِيطِ وَالْأُدْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ
يَلِي مَا يَكْتَسِبُ عَنْ كِسْرَى إِلَى الْعَرَبِ .

قال : ثم تَمَكَّنَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ مِنْ زَيْدٍ عِنْدَ كِسْرَى حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ فِي أَوْقَاتِ
خَلْوَاتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَكَلَّمَهُ فَمَا دَخَلَ بِسَبَبِهِ ، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ النِّسَاءِ .
وَكَانَتْ عِنْدَ الْأَكَاكِرَةِ صِفَاتُ أَمْرَاءَ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا لِلْمَلِكِ مَنْ هِيَ مُتَّصِفَةٌ

(١) عبارة الأغانى : « وَتَوَقَّعْتُ مِنْهُ أَنْ يَخِيرَ كِسْرَى إِلَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْدُمَ عَلَيْهِ » .

(٢) جهزه : أعده له سفرة السفر .

(٣) المهارة : جمع المهر ، والمهر أول ما يفتح من الخيل والجر الأهلية وغيرها .

بذلك الصفات وكانت الصفة أن المتذر الأكبر أهدى إلى أنو شروان جارية كان
أصحابها آثار على الحارث الأكبر الفسائي، فكتب إلى أنو شروان بصفة الجارية
فقال : هي معتدلة الخلق، نقيّة اللون والثغر، بيضاء قرأه وطفاء دنجاء حوراء عينا
[قنواء] غماء [برجاء] زجاء أسيلة الخد، [شبة المفضل] جلة الشعر، عظيمة
الهامة، بعيدة مهوى القوط عطاء، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش
المنكب والمضيد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، لطيفة طي البطن،
تحيصة الخصر، غرقى الوشاح، رذاب الأقبال، رابية الكفل، مفعمة الساق، لقاء
القحذين. ربا الروادف، ضخمة الماء كتنين، عظيمة الركبة، مشبعة الخلل، لطيفة

(١) الوطاء : غزيرة الأعداب وشعر الحاجبين .

(٢) الفص : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) زيادة من الأغانى (ج ٢ ص ٢٢ طبع دار الكتب المصرية) ، والقنواء : وصف من القن

وعوا ارتفاع في أصل الأنف وأحد يداب في وسطه وسبوغ في طرفه .

(٤) الشعر في الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .

(٥) زيادة من الأغانى . والبرجاء : الجملة الحسة الوجه .

(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول . (٧) زيادة من الأغانى .

(٨) الجلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٩) البيطاء : الطويلة المتق .

(١٠) المشاش : رموس النظام مثل المنكين والركبتين والمرقتين .

(١١) غرقى الوشاح : دقيقة الخصر .

(١٢) الرذاب : السجاء الثقيلة الأوراك الثامة الخلق . والأقبال (بالفتح) : ما استعجبك من

شرف والواحد قبل (بالضمريك) .

(١٣) مفعمة الساق : ممتلئها .

(١٤) المساكتن : الحسنان الثان على رموس اللوكين ، الواحدة مأكة .

(١٥) مشبعة الخلل : كناية عن السن ، وفي اللسان : امرأة شجي الخلل : ملأى سنا .

الكسب [والقدم، قُطُوفُ المشي] ^(١)، مِكْسَالُ الضحى ^(٢)، بَضَّةُ المَجْرَدِ ^(٣)، سَمُوعُ السَّيِّدِ،
ليست بِجُفَسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ ^(٤)، رَقِيقَةُ الأنفِ ^(٥)، عَزِيزَةُ النَّفْسِ ^(٦)، لَمْ تُقَدِّ فِي بُؤْسٍ، حَيَّةٌ
رَؤْيِيَّةٌ ^(٧)، حَلِيمَةٌ رَكِيَّةٌ ^(٨)، كَرِيمَةُ الْحَالِ ^(٩)، تَقْتَصِرُ بِنَسَبِ أَيْهَا، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جَمَاعٍ
قِيْلَتِهَا، قَدْ أَحْكَمْتُهَا الْجَارِبُ فِي الْأَدَبِ، بِأَيِّهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ
الْخُلَاجَةِ، صَنَاعُ الْكَفَمَيْنِ ^(١٠)، قَطِيعَةُ اللِّسَانِ ^(١١)، رَهْوَةُ الصَّوْتِ [مَا كُنْتَ]، تَرَيْنُ الْبَيْتَ ^(١٢)
وَتَسِينُ الْمَدُونِ إِنْ أُرِدَتْهَا أَشْتَهَتْ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا أَتَيْتَ، تَحْمِلُنِي مَيْتَها، وَتَحْمُرُ وَجْهَها،
يُحْتَبِئِدُ شَفْهَها، وَتَبَادِرُكَ الْوَبْشَةُ [إِذَا قَلَّتْ]، وَلَا تَحْمِلُنِي إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا
جَلِسْتَ ^(١٣)، فَعِيْلُهَا أَنْوَشِرُوْا وَأَمْرُ بَيِّنَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي دِيَارِهَا تَكَالَتْ تَوَارُثُ ^(١٤)

١٠٦
١٣

- (١) زيادة من الألفى . والقطوف : وصف من القنطار وهو يتوارى الخلق .
- (٢) المكسال : المرأة التي لا تكاد تخرج مجلينا ، وهو ملح لما مثل قديم الفسي .
- (٣) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المجرد (بالفتح) أي بضة عنه المجرد ، فالمجرد مل هذا
صعود . ومن قال : بضة المجرد (بالفتح) أراد الجسم .
- (٤) الخفاء من الخفس (بالضم) وهو ثقل الأنف إلى الرأس وأوقاعه من الشفة وليس بطويل
ولا مشرف ، وقيل هو قريب من الفطس وهو لثوة القنطرة بالوجه وضم الأوتية .
- (٥) السفاء من السفح (بالضم) وهو السواد والشموب . وفي الحديث : « أنا وسفهاء
المؤمنين الحاضرة على ولها يوم القيامة كهاين » وضم أماجه ، أراد بسفهاء المؤمنين أنها بذلت نفسها
وزكأت الزينة والزهر حتى شهب لونها وأسود ، إقامة على ولها بعد وفاة نفسها .
- (٦) ركية : ساكنة وقوية . (٧) عبارة الألفى هنا : « تقتصر على نسب أيتها دون
فصيلتها ، وتشتغل بفصيلتها دون جماع قبيلتها » . (٨) في الألفى : « الأمور » .
- (٩) كذا في الأصول . الأنيث ، وفي القاموس واللسان : « وأمرأة قطع الكلام غيره » . إذا
لم تكن حليمة » . (١٠) رهوة الصوت : رقيقة صوته .
- (١١) التكلمة من الألفى . (١٢) في الألفى : « الولي » .
- (١٣) في اللسان : وأحصى من الأجن : مأجول مقلتها يخاص لم يحاطه سواد .
- (١٤) التكلمة من الألفى . (١٥) في الألفى : « دواوين » .

حتى أتتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز. فلما قرئت هذه الصفة عليه قال له
 زيد بن عدى : أيها الملك ، أنا أخبرك بالمتن ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات
 عمه وأهله أكثر من حشرين امرأة على هذه الصفة . فقال له كسرى : اكتب فيهن
 إليه . فقال : أيها الملك ، إن شئت في العرب وفي النعمان [خاصة] أنهم يتكلمون^(١)
 — [زعموا] في أنفسهم — عن العجم ، فأبصني إليه وأبصت معي رجلا [من جنائك]^(٢)
 يفقه العربية . فبصت معه رجلا جلنا [فهما] ، فخرج به زيد حتى أتى الحيرة ودخل
 على النعمان ، فلما دخل عليه عظم الرسول أمر كسرى وقال له : إنه قد أحتاج إلى نساء
 لأهله وولده فأراد كرامتك [بضمه] وبصت إليك فيهن . فقال النعمان : وما صفة
 هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئتكم بها ، وقرأها على زيد بن عدى ، فشق
 ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول : أما في مهاب السواد وعين فارس ما تبثون به
 حاجتكم ؟ فقال الرسول لزيد : ما المها والقيين ؟ قال : البقر . فقال زيد للنعمان : إنما
 أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن ذلك يشق عليك لما كتب إليك ، فاعلمها [يومين
 عنده] ثم كتب إلى كسرى . إن القنى طلب الملك ليس عندي . ثم قال لزيد :
 أعزني عنده . فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنت أخبرني به ؟ فقال له :
 قد كنت أخبرتك بصفتهن بنسائهم على غيرهم ، وإن ذلك من شقائهم ، فسألنا هذا
 الرسول عن مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله ، فقال الرسول :
 وما قال ؟ قال إنه قال : أما في بحر السواد [وفارس]^(٣) ما يكفى الملك حتى يطلب

(١) زيادة من الأغاني . (٢) زيادة من الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « على » . (٤) زيادة من الأغاني .

(٥) زيادة من الأغاني . (٦) زيادة من الأغاني . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) زيادة من الأغاني .

- ما عندنا ! فعُرِفَ الغضبُ في وجه كسرى ثم قال : رَبِّ عَيْدٍ قَدْ قَالَ هَذَا فَصَارَ
أمره إلى التَّيَّابِ ، فبلغَ كلامه النِّمَّانَ . وسَكَتَ كسرى على ذلك أَشْهُرًا ، وهو يَسْتَعِدُّ
وَيَتَوَقَّعُ حتى أتاه كَأَبُ كسرى يستدعيه ، فَأَنْطَلَقَ النِّمَّانُ حتى أَتَى جبالَ طَبْيٍّ وهو
مُتَوَجِّعٌ مِنْهُمْ ، فَأَرَادَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ فَأَبَوْا ذَلِكَ وَقَالُوا : لَوْلَا صِهْرُكَ لَقَتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ
لَنَا فِي مُعَادَاةِ كسرى ، فَأَقْبَلَ بِمَرِيضٍ نَفْسَهُ عَلَى الْعَرَبِ فَلَا يَقْبَلُوهُ ، حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارٍ
بَنِي شَيْبَانَ حِمْرًا فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ قَيْصَةَ [بَنِ هَانِيٍّ] بْنَ مَسْعُودٍ فَأَوْدَعَهُ سِلَاحَهُ وَتَوَجَّهَ
إِلَى كسرى طَبْيٍّ زَيْدٌ بْنُ عَدَى عَلَى قَنْطَرَةٍ سَابَّاطٍ ، فَقَالَ لَهُ : ائْتِجْ نَعِيمٌ ! فَقَالَ : أَنْتَ
يَا زَيْدُ نَمَلْتَ هَذَا ! أَمَا وَاتِّهِ لَنْ أَقْلُتَ لِأَسْقِيَّتِكَ بِكَأْسِ أَبِيكَ ! فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : ائْمِضْ
نَعِيمٌ ، فَقَدْ وَاتِّهِ وَضَعْتُ لَكَ عِنْدَهُ أُخِيَّةً لَا يَقْطَعُهَا الْمُهْرُ الْآرِنُ . قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ كسرى
أَنَّهُ بِالطَّيِّابِ أَمَرَ بِهِ تَقْلِيدًا وَأَبْعَدَهُ إِلَى خَافِقِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِالسَّجْنِ حَتَّى مَاتَ بِالطَّاعُونَ .

- (١) التَّيَّاب : المَلَاك وَالْخِسرَان . (٢) يَرِيدُ النِّمَّانَ .
(٣) كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُمْ فَرَسٌ بَنَتْ سَعْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ لَامٍ ، وَزَوَّجَتْ أَوْسَ بْنَ حَارِثَةَ كَافِي الْأَخَانِي .
(٤) ذُو قَارٍ : مَاءٌ لِبَكْرِ بْنِ دَائِلٍ قَرِيبٌ مِنَ الْكُوفَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَاسِطٍ ، وَفِيهِ كَانَتْ الْوَهْمَةُ الْمَشْهُورَةُ
بَيْنَ بَكْرِ بْنِ دَائِلٍ وَالْفُرسِ .
(٥) زِيَادَةُ مِنَ الْقَائِضِ (ص ٦٣٩ طبع أوروبا) وَغِنَا فِي الْأَخَانِي (ج ٢ ص ١٢٦ طبع
دار الكتب المصرية) حَدِيثُ دَاوُدَ بْنِ النِّمَّانِ وَبَيْنَ قَيْصَةَ بْنِ هَانِيٍّ تَوَجَّهَ عَلَى أَرَاةِ النِّمَّانِ فَجَاءَهُ كسرى ، فَانْظُرْهُ .
(٦) سَابَّاطٌ : مَوْضِعٌ بِاللَّهْدَانِ لِكسرى أَيْرُودِز .
(٧) الْأُخِيَّةُ (بَشْدِيدِ الْيَاءِ) كَاتِبَةٌ ، وَقِيلَ أَنَّ أُخِيَّةً بِخَفِيفِ الْيَاءِ وَأُخِيَّةٌ بِاللَّهِ وَالتَّشْدِيدِ : عَوْدُ مَرِيضٍ
فِي الْحَالِطِ وَبَدَنُ طَرَفَانِ فِيهِ ، وَبَصِيرُ وَسَطِهِ كَالْمَرُوءَةِ تَنْتَدُّ إِلَيْهِ الدَّاءُ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأُخِيَّةُ :
أَنْ يَدْفَنَ طَرَفًا قِطْعَةً مِنَ الْخَبْلِ فِي الْأَرْضِ وَفِيهَا عَصَا أَوْ حَجِيرٌ وَيُظْهِرُ مِنْهُ مِثْلَ عُرَّةٍ تَنْتَدُّ إِلَيْهَا الدَّاءُ ، وَإِنَّمَا
تُؤَخِّرُ الْأُخِيَّةُ فِي مَهْرَاةِ الْأَرْضَيْنِ لِأَنَّهَا أَوْقَعُ بِالْخَبْلِ مِنَ الْأَوْتَادِ النَّافِثَةِ مِنَ الْأَرْضِ .
(٨) الْآرِنُ : التَّشْيِيطُ .
(٩) خَافِقِينَ : بَلَدَةٌ مِنْ نَوَاحِي السَّوَادِ فِي طَرِيقِ هَمْدَانَ مِنْ بَنْدَادَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَصْرِ هَمِيرَ بْنِ سَنَةَ
فَرَاخِ بْنِ يَرِيدِ الْجِبَالِ ، وَبِهَا عَيْنٌ لِلْفُطُحِ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةُ الدَّسَلِ .

قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم : والناس يظنون أنه مات بسباط ^(١) ليت قاله الأعشى . والصحيح ما قلناه .

وقال ابن عبدون : إن النعمان لما أقبل إلى المدائن صف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصنعات وجعلهن صفين ، فلما صار النعمان بينهما قلن له : أما فينا للكم غنى من بقر السواد ؟ وإن كسرى أمر بالنعمان فحس بسباط المدائن ، ثم أمر به فرمى بين أرجل الفيلة فوطته حتى مات . وفي ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر ^(٢) [قتل] كسرى أبرويز [للنعمان] فقال : ^(٣)

هو المدخل النعمان يتسا سماءه * محور الفيول بعد بيت مسردق ^(٤)

ثم ملك بعده إلياس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام . فهؤلاء ملوك العرب باليمن والشام والحيرة .

(١) البيت هو :

فذلك وما أنحى من الموت وبه * بساط حتى مات وهو محزق ^(٥)
والحزق : المضيق عليه في حبه . ويرى : « محزق » بتقديم الزاء على الزاي . قال في اللسان : « روى ابن جني عن التوزي قال : قلت لأبي زيد الأنصاري : أتم تشدون قول الأعشى ... » حتى مات وهو محزق » وأبو عمرو الشيباني ينشده بتقديم الزاء على الزاي فقال : إنها بعلية ، وأم أبي عمرو بعلية فهو أعلم بها منا .

(٢) راجع شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣١ طبع أوربا) .

(٣) المدائن : الموضع الذي كان سكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وصاحها باسم قصبت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٤) هو من بني عامر بن حيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم جاهل قديم ، وهو من فرسان تميم المددوين (راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٧ طبع أوربا) .

(٥) الكلمة من لسان العرب مادة « مردق » .

(٦) في اللسان مادة « مردق » ورد هذا البيت وفيه « صدور الفيول » بدل « نحو » . والبيت المسردق : هو الذي يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .

(١) ذكر خبر سيد مارب وسبل العرم

قد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز فقال: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَتِجَارَةً كُتُبًا مِنْ رِزْقِهِمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا مَكِينًا وَرَبُّ غَفُورٌ قَاهِرٌ ضَا قَاهِرٌ لَعَلَّكُمْ سَبِيلَ الْعَرَمِ)** الآية (٢) . روى عن قزوة بن مسيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أنزل في سبا ما أنزل قال وجل : يا رسول الله ، وما سبا ؟ أرض أو امرأة ؟ فقال : « ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فبائن منهم ستة وثلاثون منهم أربعة ، فأما الذين تشامعوا فلقم وجذام وقبائل ، وأما الذين تباستوا فالأزد والأشعرون وغير وكندة ومذحج وأنمار » فقال رجل : يا رسول الله ، وما أنمار ؟ قال : « الذين منهم خثعم وبجيلة » . أخرجه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه .

١٠٧
١٣

وكانت أرض مارب من بلاد اليمن متصلة بالعارة مسيرة ستة أشهر ، وقيل أزيد من شهرين للراكب الجهد ، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر ،

(١) السك (بفتح والضم) : الجبل والحيدز وبها قرى قوله تعالى : « حتى إذا بلغ بين السدين » .

(٢) « في مساكينهم » قراءة فافع ، وكراءة خفس : « في مسكنهم » .

(٣) الآيات ١٥ و ١٦ من سورة سبا .

(٤) كما في تذييل التذيل (ج ٧ ص ٢٦٥ طبع الهند) وتضم القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) . وهو قزوة بن مسيك بن الحارث بن سبعة بن الحارث بن كريت ، ويقال بدل كريت قزوة بن سبعة بن منه بن حليف الراعي ثم التلطي . له حصة ، أسلم ستة تسع وسكن الكوفة ، روى عن أبيه صلى الله عليه وسلم ، وأبيه عنه روى أبو حمزة الثعالبى وعائى بن مرة الحضرمى وأما الشعي وسفيان بن أبي يحيى بن جبال وغيرهم . وفي الأصول : « قزوة » وهو محمض .

(٥) الأشعريين : نسبة إلى الأشعر ، وهو أبقية من اليمن ، وهو أخير بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وتقولوا العرب : جاءك الأشعرون ، يخفف ياء النسب (راجع لسان العرب مادة شعر) . وفي تكملة القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب) : « الأشعريون » بإثبات ياء النسب .

فكانت المرأة إذا أرادت أن تَجْتَنِّيَ من مَمارها [شَيْئاً] وَضَعَتِ المِخْلَ على رأسها
ونجرت تَمِثِي بين الأشجار وهي تَنْزِلُ وتعمل ماشامت ، فلا ترجع إلّا وقد أمتلأ
مِخْلُها مما يساقط فيه من الثمار .

واخْتِلف في مأرب ، فقيل : إنه أسمٌ مَلَكَ تلك الأرض فَسُمِّيَتْ به ، قال الشاعر :
مِنْ سَبَأٍ الحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ * يَنْتَوُونَ مِنْ دُونِ سَبِيلِهِ العَرِمَا
وقيل : هو أسمٌ لقصر الملك ، وفيه يقول أبو الطَّمَحَان :

الْمَ تَرَوْا مَأْرِبًا مَا كَانَ أَحْصَنَهُ * وَمَا حَوَالِيهِ مِنْ سُورٍ وَبُنَانٍ
قال : وكان أول مَنْ خرج من اليمن بسبب سَيْلِ العَرَمِ عمرو بن عامر مَرْيَبِيًّا ،
وقد ذكرناه في الأنساب ، وإِنَّ سَبَبَ تَسْمِيَتِهِ مَرْيَبِيًّا أَنَّهُ كَانَ يَلِيسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
حُلَّةً وَقِيلَ حُلَّتَيْنِ ، وهو الأشهر ، ثم يَمْرُقُهُمَا عَشِيَّةَ نَهَارِهِ لَللَّيْلِ يَلْبَسُهُمَا غَيْرُهُ ، فكان
هذا دأبه في كل يوم .

(١) التكلة من شرح قصيدة أين عدون .

(٢) المِخْل . زنبيل يمدل من الخوص يحمل فيه التمرو غيره .

(٣) هو النابتة الجمدى : وهو أبو ليل قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جمدة بن كعب

أبن ربيعة بن عامر بن حصصة . شاعر إسلامي ، وكان أوصف الناس للتغزل . ١٥

(٤) سبأ (يفتح الهزة) على أنه ممنوع من الصرف . أنه أسم قبيلة ، وهذه الرواية قرأ أبو عمرو

وأيمن كثير . وفي طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٧ طبع أوربا) : « أخبرنا ابن سلام قال : قلت

ليونسي : كيف تقرأ : (ويستك من سبأ يلبس يقين) ؟ فقال : قال الجمدى وهو أنصح العرب :

مِنْ سَبَأٍ الحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ * يَنْتَوُونَ مِنْ دُونِ سَبِيلِهِ العَرِمَا

وهو على قراءة « أبي عمرو ويونس » . والعَرَم (بالكسر) : هو هنا الأحباس تنبئ في أوساط الأودية ٢٠

وهو جمع واحدة عرمة . وهذا البيت من قصيدة للجمدى ذكرها ابن تكتية في كتابه « الشعراء والشعراء »

(ص ١٦٣ طبع أوربا) .

(٥) طابع (ج ٢ ص ٣١٤ من هذا المجلد) .

وكان سببُ خروجه من اليمن وأطلاعه على خبر سبيل العريم قبل حدوثه قوَّةً فيه من الناس أنه كان له امرأةٌ كاهنةٌ يقال لها : طُرَيْفَةُ الخير، وكانت قد رأت في منامها أن مصابةً غَشِيَتْ أرضهم فأرصدتْ وأبرقتْ ثم أصمعتْ فأحرقتْ كلَّ ما وقست عليه، ففزعَتْ طُرَيْفَةُ الخير لذلك فرماً شديداً وأنت إلى زوجها عمرو بن عامر وقالت : ما رأيتُ اليومَ أزال عني النوم . فقال لها : ما رأيتُ ؟ قالت : رأيتُ غيماً أرمَدَ وأبرقَ طويلاً ثم أصمقَ فما وقع على شيء إلا أحرقت . قال : فلما رأى ما داخلها من الرُّوع والفزع سكنها .

ثم إنَّ عمراً بعد ذلك دخل حديقةً له ومعه جاريةٌ من بعض جواريه ، فبلغ ذلك أمراته طُرَيْفَةُ فخرجت إليه ومعها وصيفٌ لها اسمه ستان ، فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاثُ مناجد متصبات على أرجلها ، واضمات أبسها على أعينها . قال : ١٠ والمناجد : دوابٌ تشبه اليرابيع . فلما نظرت طُرَيْفَةُ إليها فعدت إلى الأرض ووضعت يديها على عينيها وقالت لفلانها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني، فلما ذهبت أعلامها فأطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبتت سُلْحَفَاءٌ من الماء فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب ولا تستطيع ، ولتستغفر بيديها وتحسب التراب على بطنها من جَبَانِهِ وَتَهْلِفُ بِالْهَوَى . فلما ١٥ رأتها طُرَيْفَةُ الخير جلست إلى الأرض . فلما عادت السُلْحَفَاءُ إلى الماء مضت طُرَيْفَةُ حتى دخلت الحديقة على عمرو حين انتصف النهار في ساعة شديدة الحر فإذا الشجر يتكاثف من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحي منها وأسر للجارية بالتمسحي

(١) كما في شرح نصيدة ابن جبرون (ص ٩٩ طبع أوروبا) وفي الأصل : « سنا » .

(٢) ورد في السان (مادة خلد) : « الخلد والخلد : ضرب من القفرة أو هو القارة السياء ورجعها مناجد على غير لفظ الواحد ، كما أن واحدة الخفاض من الإبل خفقة » .

ثم قال لها : ما أتى بك يا طرّيفة ؟ فكهيئت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض
والسماء ، إن الشجر هلاك ، وليحدث الماء كما كان في الزمن السالك . قال لها عمرو :
ومن خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجيدُ بستين شذائد ، يقطع فيها الولدُ الوالد .
قال : فما تقولين ؟ قالت : أقول قول النّدمان لهما ، لقد رأيتُ مَلْحَفَةً تحمّر
التراب جرّفاً ، وتُخَيِّفُ بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة فإذا الشجر من غير رمح
يتكافأ . قال عمرو : وما ترين في ذلك ؟ قالت : هي داهيةٌ دهيأةٌ من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة . قال : وما هو وبك ؟ قالت : أجل ، إن فيه الويل ، وما لك
فيه من نيل ، وإن الويل فيما يحيى به السيل . فألقى عمرو نفسه على فراشه وقال :
ما هذا يا طرّيفة ؟ قالت : هو خطبٌ جليل ، ونحزٌ طويل ، وخلفٌ قليل ،
والغليل خيرٌ من تركه . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : اذهب إلى السّد
فإن رأيت جرّداً يكثر يديه في السّد الحفر ، ويقلب برجليه مرّاجل الصخر ، فأعلم أن
النمر عمر ، وإن [قد] ^(١) وقع الأمر . ^(٢) قال : وما هذا الذي تذكرين ؟ قالت : وعد
من الله نزل ، وباطلٌ بطل ، ونكالٌ بنا نكل . قال : فأطلق عمرو إلى السّد فخرسه
فإذا الجرّد يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، فرجع إليها وهو يقول :
أبصرتُ أمراً عاذني منه ألم . وهلج لي من هوله برج السقم
من جود كفضّل خنزير الأجم . أو كئيش صرم من أفاديق الغم
يقلب صخرًا من جلايد الريم . له مخالب وأنياب قنضم
• ما فاتته مخفر من الصخر قنضم •

١٠٨
١٣

(١) القمر : الماء الكثير . وفي الأصول : « النفر غمر » وهو تحريف . وما أثبتناه من شرح قصيدة

ابن عبدون (ص ١٠٠ طبع أدربا) . وفي التطبيق على هذه الكلمة بأسفل الصفحة إشارة إلى اختلاف
الروايات فيما فيها بين : النفر غمر والحفر غمر والنفر غمر .

(٢) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

فَقَالَتْ طَرِيفَةُ : وَإِنَّ مِنْ حِلَامَةٍ مَا ذُكِرْتُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ قَامَرٌ بِزُجَاجَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمَلُّهَا بِتَرَابِ الْبَطْمَاءِ مِنْ مِهْلِ الْوَادِي وَرَمْلِهِ ، وَقَدْ حُلِمْتُ أَنَّ الْجَنَانَ مُظَلَّلَةٌ مَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ . قَامَرٌ عَمَرُو بِزُجَاجَةٍ قَوِّضَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ تَمُكِّنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ الْبَطْمَاءِ . فَقَالَ لَهَا عَمَرُو : مَتَى يَكُونُ هَلَاكُ السِّدِّ ؟ فَقَالَتْ : فَيَا بَيْتَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . فَقَالَ : فَمَتَى أَتَى بِهَا يَكُونُ ؟ فَقَالَتْ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ ، وَلَا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ فَيَأْتِي بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْعِ سَنِينَ إِلَّا غُنْتُ أَنَّ هَلَاكًا فِي قَلْبِهَا أَوْ مَسَانِهَا .

ثم رأى عمرو بعد ذلك في منامه سَبِيلَ الْعَرَمِ وَقِيلَ لَهُ : آيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَرَى الْحَصْبَاءَ ^(١) قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَعَفِ النَّخْلِ وَكَرْبِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا فَعَرِفَ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتُخَرَّبُ لَا عَالَةَ ، فَكُتِمَ ذَلِكَ وَأُخْفِيَ وَأُجْمِعَ عَلَى بَيْعِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ بَارِضٌ مَأْرِبٌ وَيُخْرَجُ مِنْهَا هُوَ وَوَلَدُهُ ، ثُمَّ خَشِيَ أَنْ يَنْكَرَ النَّاسُ حَالَهُ فَبَصَغَ وَلَبِئَةً جَمَعَ النَّاسَ لَهَا وَقَرَّرَ مَعَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ أَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِأَمْرِ فِي مَلَأِ الْقَوْمِ فَيُخَالِفُهُ فَإِذَا لَطَمَهُ عَمَرُو فَيُلَطِّمُهُ الْآخَرُ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا لَطَمَهُ أَبْنُهُ - وَكَانَ اسْمُهُ مَالِكًا - صَاحَ عَمَرُو : وَأَذْلَاهُ ! يَوْمَ نَخَّرَ عَمَرُو بَيْنَهُ صَبِيًّا وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ ! وَحَافٍ لِبَقِيَّتِهِ ، فَسَأَلَ الْقَوْمَ الْآخَرَ ، فَخَفِيَ الْآخَرُ بِمَوْضِعٍ صُنِعَ بِهِ فِيهِ هَذَا ، وَلِيَبَيِّنَ أَمْوَالَهُ حَتَّى لَا يُورَثَ بَعْدَهُ . فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اغْتَنَمُوا غَضَبَةَ عَمَرُو وَاشْتَرَوْا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَرْضَى ، فَاِتَّبَعَ النَّاسُ مِنْهُ جَمِيعَ مَا هُوَ لَهُ بَارِضٌ مَأْرِبٌ ، وَفَشَا بَعْضُ حَدِيثِهِ فَبَاعَ أَثَرُ مِنْ الْأَزْدِ ، فَلَمَّا كَثُرَ الْبَيْعُ اسْتَكْرَأَ النَّاسُ ذَلِكَ فَامْسَكُوا عَنِ الشِّرَاءِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ لِعَمَرُو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِشَأْنِ سَبِيلِ الْعَرَمِ وَخَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ ، وَخَرَجَ

(١) المراد بالحصباء ما أشبه بالبحر التي تخرج بالبدن وتظهر في الجبل .

(٢) الكرب (محركة) : أصول السيف التلاظ العراض التي تقطع بها .

لخروجه منها خلق كثير فزلوا أرضك حتى مات عمرو بن عامر وتفرقوا بعده في البلاد، فذهب من صار إلى الشام، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار إلى يثرب، وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة، وأزد عمان إلى عمان، ومالك بن فهم إلى العراق .

ثم خرجت بعد عمرو يسير من أرض اليمن طيء فزلت بجبل طيء : أجا وسلمى ، وزيل ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة، وشبوا نخاعة لانخراهم [من أخواتهم] ، وتفرقوا في البلاد كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وَمَرْفَأَهُمْ كُلٌّ مُنْزِقٌ ﴾ ثم أرسل الله عز وجل السيل على السد فهدمه .

وأختلف في العريم ماهو ؟ فقيل : السد واحدته عريمة ، وقيل : هو الجرد . وكان السد فيما يذكر قد بناه ثمان الأكبر بن عاد، وكان صفه مجارة السد بالزصاص فوسخا في فرسخ . ويقال : إن الذي بناه كان من ملوك حمير . وقد ذكر ذلك ميمون ابن قيس الأعشى فقال :

وفي ذلك للوثني أسوة * وما رب عفى عليها العريم
رخام بكته لهم حمير * إذا جله مسواره لم ينرم
فصاروا أيادي ما يقدرو * ن منه على شرب طفل قطع
فاروى الزروع وأعنا بها * على سعة ماؤها إذ قسم

(١) زيادة من شرح قصيدة ابن جعدون .

الباب الخامس

من القسم الرابع من القرن الخامس

- في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية ، وأنها لمن مآثرها السيئة ، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجايزهم ، وحنقت عنده أنهم ما أحجوا عن طلب أوتارهم ، وعلم مكافاتهم للأقران ، وبماحتهم بالنفوس والأبدان ، وإقدامهم على الموت ، ومبادرتهم عند الإمكان خشية القوت .

وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوت في مجالسكم ؟ فقال : نتناشد الشعر وتحدث بأخبار جاهليتنا .

- وقال بعضهم : وردت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق أبائنا في الجاهلية .
ألا ترى أن عترة الفوارس جاهلي لا دين له ، والحسن بن هاني إسلامي ، فنع ١٠ عترة كرمه ما لم يمنع ابن هاني دينه ، فإن عترة يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جاري * حتى يوارى جاري ما واه

وقال أبو نؤاس الحسن بن هاني :

كأن الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والمزحل

- والباعث والناس قد هجموا ^(١) * حتى أبيت خليفة البعل ١٠

وسأذكر من وقائعهم ما يقوى الجآن ، ويبعث الجبان .

(١) في ديوانه : « وقدرا » بدل هجرا .

ذكر وقعة طنم وجديس

وطنم بن لؤذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وجديس بن حابر بن إرم
ابن سام بن نوح عليه السلام، وهم العرب العاربة، حل ما ذكر بعض المؤرخين .
وكان منزلها النجامة، وأسمها في وقتهم جؤ، وكان الملك عليهما رجلا من طنم يقال له :
عيلقي، وكان غشوما ظلوما . وكان منبب فناءهما أن عيلقا أنته ذات يوم أمرأة^(١)
أسمها هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه ماش ، وكان قد طلقها وأراد أخذ ولده
منها، فترافعا إليه ليحكم بينهما، فقالت هزيلة : «أيها الملك، هذا أبني حملته تسعا،
ووضعت دثما، وأرضعته شفعاً، ولم أنل منه نفعاً، حتى إذا تمت أوصاله، وأستوت^(٢)
خصاله، أراد أن يأخذني قهراً ويسلبني سراً، ويترك يدي منه صفراً» . فقال^(٣)
الزوج : « قد أخذت المهر كاملاً، ولم أنل منك طائلاً، إلا ولداً جاهلاً، فأفعل^(٤)
ما كنت فاعلاً » . فأمر الملك أن يجعل الولد في غلمانة، فقالت هزيلة :

أتينا أبا طنم ليحكم بيننا * فأبرم حكماً في هزيلة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً * ولا فهماً عند الحكومة عالماً
ندمت فلم أقدر على مترحرج * وأصبح زوجي عاثر الرأي نادماً

- ١٥ (١) النجامة : مدينة بالبادية من بلاد العراق، وبها قد بقيت مسيلة الكذاب، وهي بلاد بني حنيفة،
وهي عن البصرة ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .
(٢) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قرص » .
(٣) في الأغاني : « ودثا فضاله » . (٤) في الأغاني : « كرها، ويركض من يده ورها » .
(٥) في الأغاني : « إلا ولداً خاملاً » .

٢٠ (٦) في الصبح المنسبر (ص ٧٥ طبع أوربا) : « حكمت » بفتح السين، على الخطاب . ورواية

الشرط الثاني فيه هكذا : * ولا كنت من يرم الحكم عالماً

ورواية الأغاني هكذا : * ولا كنت فيما يرم الحكم عالماً

فلما بلغ عَمَلِيًّا ذلك خَضِبَ وَلَاسَمَ أَنَّهُ لَا تَهْدَى عَرُوسٌ فِي جَدِيسٍ لِبَاطِلِهَا حَتَّى
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسُدُّ بِهَا قَبْلَ زَوْجِهَا . ^(١) فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ دَهْرًا حَتَّى أَهْدَيْتُ عَفِيرَةً
بَنَتْ عَقَارَ الْجَدِيسِيَّةِ أُخْتَ الْأَسْوَدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ جَدِيسٍ إِلَى بِلْهَا ، وَيُقَالُ : إِنَّ
اسْمَهَا الشُّمُوسُ ، فَحَمَلَتْ إِلَى عَمَلِيٍّ ، فَلَمَّا أَفْرَحَهَا وَخَلَّ سَبِيلَهَا خَرَجَتْ عَلَى قَوْمِهَا
فِي دِمَائِهَا شَاقَّةً جَيِّمًا عَنْ قَبْلِهَا وَدُبْرَهَا وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسٍ * هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ
يَرْضَى بِهَذَا بِالْقَوِيِّ حُرٌّ * أَمَدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرِ
لَاخِذُهُ الْمَوْتِ كَذَا لِنَفْسِهِ * خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ ذَا يَمْرِئِهِ
ثُمَّ قَالَتْ تَحْرُضُ جَدِيسًا عَلَى طَعْمِ :

أَيُضِلُّ مَا يُؤْتَى إِلَى قَتَايَكِ * وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَبِكُمْ عَدَدُ الرَّمْلِ ^(٢)
أَيُضِلُّ تَمَثَّى فِي الْمَاءِ فَيَتَأَنِّسُ * صَبِيحَةَ زَوْفَتِ فِي النِّسَاءِ إِلَى الْبَعْلِ
إِنْ كَسَمُوا لَا تَغْضَبُوا عِنْدَ هَذِهِ * فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَفِيقُ مِنَ الْكُفْلِ
وَدُونَكُمْ طَيْبُ الْعُرُوسِ فَاغْمَا * خُلِقْتُمْ لِأَنْوَافِ الْعَرَّاسِ وَلِلنِّسْلِ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ * نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُفْتَرِ عَلَى اللَّذْلِ
نُفْتَمًا وَمُخَقًّا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا * وَيُخْتَالُ يَمَثَّى بَيْنَنَا مِثْلَ الْفَعْلِ
فَوُتُوا كِرَامًا وَأَصْبِرُوا لِمَدُونِكُمْ * لِحَرْبٍ تُلْقَى بِالضَّرَامِ مِنَ الْجَزَلِ
وَلَا تَجْرَعُوا فِي الْحَرْبِ بِأَقْوَمِ لَهَا * تَهْتَمُّ بِأَقْوَامِ كِرَامٍ عَلَى رِجْلِ

(١) ورد في الألفاظ (ج ١١ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) : « عفير » مضبوطا
بالقلم (يفتح العين وكسر القاف) وصوابه كما ورد في لسان العرب والقاموس وشرحه مادة غفر (ضم السين
وضح الفاء بصيغة الضمير) بفتح السين وهو ما أثبتناه هنا . (٢) كذا في الأصول والصحاح المبرورين وشرح
قصيدة ابن جندب والكمال لأبن الأثير (ج ١ ص ١٥٤ طبع أوروبا) . وفي الألفاظ (ج ١١ ص ١٦٨
طبع دار الكتب المصرية) : « عباد » . (٣) كذا في الأصول وفي الألفاظ والصحاح المبرورين
وشرح قصيدة ابن جندب : « الاز » .

(١١)

فاجتمعت جديس فقال لهم الأسود بن حنّار، وكان مطاعا فيهم: لتطيعنني [فما أمركم به] أو لا تطيعنني حتى يخرج من ظهري . قالوا : فإنّا تطيعك . قال : إن طعنا ليسوا بأمر منكم ، ولكن ملك صاحبهم هو الذي يذعننا إليهم بالطاعة ، ولو امتنعتم منهم لكان لكم النصف^(١) . قالوا : إن القوم أكثرنا عددا وعددا . قال : إنّي صانع طعاما فأدعوهم إليه ، فإذا جاءكم متفضلين في الخليل نهضنا إليهم بأسيا فتأكلونهم . فقلت : لا تفعل ! فإنك الفدريلة ومار ، ولكن كانوا القسوم في ديارهم فتظفروا أو تموتوا كراما . قال : بل نمكر بهم فتكون أمكن منهم . ثم صنع الأسود طعاما وأمر قومه أن يفتروا سيوفهم ثم يذفونها في الرمل . ودعا غليلقا وقومه ، فلما أتوا استشارت جديس السيوف وشدوا عليهم لما أفلت منهم إلا رياح بن مرة ، ففر إلى حسان بن تبع فاستغاث به وأخبره بما صنعت جديس بطم فوعده النصرة ، ثم نادى حسان في خمير المسير وأخبرهم بما صنعت جديس بطم ، فقالوا : وما جديس وطم ؟ قال : هما أخوات . قالوا : فما لنا في هذا من أرب . قال حسان : أرايت لو كان هذا فيكم أكان حسنا لملككم أن يهيد دماءكم . وما علينا في الحكم إلا أن ننصف بعضهم من بعض . فقالوا : الأمر أمرك أيها الملك فمروا بما أحببت . فأمرهم بالمسير ، فساروا حتى إذا كانوا من الإمامة على ثلاث ليال قال رياح بن مرة لحسان بن تبع : أبيت اللعن ! إن لي أخنا متروجة في جديس تنظر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأخاف أن تنذر قومها ، فأمر كل إنسان أن يقطع شجرة من الأرض ويجعلها أمامه ، فأمرهم حسان بذلك . ثم ساروا ، فنظرت أخت رياح فقالت : يا جديس ! لقد سارت إليك الشجرة . فقالوا لها :

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن مبلون . (٢) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق .

(٣) كذا في شرح قصيدة ابن مبلون . وفي الأصل : « يضيع » .

وما ذاك ؟ قالت : أرى نجراً ، من ورأه بئراً ، وأنى لا أرى رجلاً من وراء شجرة
يَبْشُ كَيْفًا أَوْ يَحْصِفُ نَمْلًا ، فكذبوا وغلوا عن أخذ أهبة الحرب حتى صبحتهم
مير . ففى ذلك تقول زرقاء اليمامة :

- خُلُوا لِمِ سِدْرِكُمْ يَأْقُومُ يَنْقَعُكُمْ • فليس ما قد أراه اليوم يحترق
إنى أرى نجراً من خلفه بئر • فكيف تجتمع الأشجار والبشر
صُفُوا الطوائف منكم قبل داهية • من الأمور التى يُحْشَى وَتُنْتَظَرُ
إنى أرى رجلاً فى كفِّهِ كَيْفٌ • أَوْ يَحْصِفُ النَّمْلَ خَصْفًا لَيْسَ يَنْتَدِرُ
تُورُوا بِأَجْمَعِكُمْ فى وَجْهِهِ أَوْ لَيْسَ • فإت ذلك منكم - فَأَعْلَمُوا - ظَفَرُ
وَعُورُوا كُلَّ مَاءٍ دُونَ مَتَرٍ لَيْسَ • فليس من دونه تحس ولا ضرر
أَوْ عَاجِلُوا الْقَوْمَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِنْ رَقَدُوا • وَلَا تَخَافُوا الْمَا حَرْبًا وَإِنْ كَرُّوا

- فلما كان حسان على مسيرة ليلة عاب جيشه ثم صبحهم فاستباح اليمامة قتلاً وسبيًا ،
وهرب الأسود حتى نزل بطيء فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه ، وقيته
فى طيء مذكرة . ثم إن حسانا أمر باليمامة فترع عيتم فإذا فى داخلها عروق سود ،
فسألها عن ذلك فقالت : حَجَرٌ أَسْوَدُ كُنْتُ أَكْتَحِلُ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْإِنْمِيدُ فَهَبْتُ لى
بصرى . وقيل : إنها أول من آكتحل بالإنميد ، فأمر بها فصُلِبَتْ على باب جَوْ .
وقيل : سُمِّيَ جَوْ باليمامة من ذلك الوقت . وفى ذلك يقول رِيَّاحُ بْنُ مَرْثَةَ لَمَّا
أَخَذَ بَنَاهُ :

(١) ينتد : تريد أنه لا علوه فى خصفها . وفى شرح قصيدة ابن عبدون : « ينتشر » وأشير
فى الحاشى الى رواية « ينتدر » . وفى الصبح المنير (ص ٨٢ طبع أودبا) : « ينتدر » وأشير
فى الحاشى الى رواية « ينتبر » .

(٢) كذا فى الصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون . وفى الأصول : « دونهم »
(٣) كذا فى الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون . وفى الصبح المنير : « لهم » .

غَدَرَ الْحَمَى مِنْ جَدِيدٍ بِطَمٍ * آلَ طَمٍ كَمَا تُدَايِي تُدِي
 قَدْ أَيْتَاهُمْ يَوْمَ كَيْوَمٍ * تَرَكُوا فِيهِ مِثْلَ مَا تَرَكُونِي
 لَيْتَ طَمًا عَلَى مَنَازِلِهِ تَدَ * لَمْ أَتَى قَضَيْتُ عَنِّي دُيُونِي
 وقد كثرت الشعراء قصيدة هذه المرأة وجوّ . فمن ذلك قول الأعشى على
 رواية ابن قتيبة :

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَيْفٌ * أَوْ يَحْصِفُ النَّعْلَ لَمُنَى آيَةٍ صَمَا^(١)
 فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ * فُؤَالِ حَسَانَ يَزِي السَّمَّ وَالسَّلَامَ^(٢)
 فَاسْتَزَلُّوا آلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ * وَهَدُّوا رَافِعَ الْبَيْتَانِ فَأَنْقَضَا^(٣)

وروى ابن إسحاق :

كَوْنِي كَيْتِلَ الَّتِي إِنْ غَابَ وَاحِدُهَا * أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَيْدِ نَظَرَةٍ جَزَعًا
 ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المصيب بن علس :

لَقَدْ نَظَرْتُ حِينَ إِلَى الْخَزَعِ نَظَرَةً * إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمَقْعَمِ الْمُتَلَاظِمِ
 إِلَى خَيْرٍ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ * تَضَيُّقُ بِهِمْ لَا يَأْتِي فَرْجُ الْخَفَايِمِ^(٤)

(١) كذا في الصبح المنير ، تريد أنها ظففت حين لم تسببه آتى الفعلان فعل . وفي الأصول وشرح
 نصيحة ابن مبدون : « خلفا آية » .
 (٢) السمع (بالتحريك) : مجمر مرزوله ثم مثل حناقيد النيب صفار ، فإذا أبيض أسود فثاكة
 القردود ولا تأكله الناس ولا السائمة ، وفي الصبح المنير : « ... يزي الموت والشرع » . والشرع
 (بالكسر) : الأوتار ، واحدة شرعة .

(٣) في الأصول وشرح نصيحة ابن مبدون : « فاقسا » وما أبتناه عن الصبح المنير ، وفيه :
 « شامخ » بدل « رافع » . وفي شرح نصيحة ابن مبدون : « يافع » .
 (٤) في الصبح المنير : « إذ غاب واحد » .
 (٥) الخمار : واحد خمر (بكسر الراء) وهو مقطوع أنف الجبل .

وفيها يقول التمر بن قلاب :

وفاتتهم عترة جدادة تيمت * من بعد مرأى في الفضاء ومسمع
قالت أرى رجلاً يقلب نعله * قلب ذى وصل له ومسمع
وراث مقدمة الخبيس ودونها * زكض الحباد إلى الصباح يبع

ذكر حروب قيس في الجاهلية

يوم منيع لقي على ميس

- (١) يوم منيع . هو يوم الردة وفيه قُتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة الميكي ؛
قتله رياح بن الأشل الغنوي . وذلك أن شاساً أقبل من عند العناب بن المنذر وقد
أجرل جباهه . وكان من جباهه قطيفة حرامذات هذيل وطيب ؛ فورد منيعاً — وهو
ماء لقي — فأناخ راحته إلى جانب الردة وعليها خباء لرياح بن الأشل ، وجعل
يقتبل وأمرأة رياح تنظر إليه ، وهو كالنور الأبيض ، فأقرمه رياح بسهم فقتله ،
وضم متاعه ونحر ناقته وأكلها وغيب أثره . وقعد شاس بن زهير ، حتى وجدوا
القطيفة الحمراء يسوق عكاظ قد باعها امرأة رياح ، فعملوا أن رياحاً صاحب
ثاوم ، ففزت بنو ميس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية ، مع الحصين بن زهير
ابن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنياً قالوا لرياح : أنج ، لعلنا

(١) منيع (بفتح فسكون فكسر) : واد يأخذ بين حفرأى موسى والتباج ويبلغ في بطن طنج .

(٢) الردة : (يسكون الدال المهملة) : الفترة في الجبل أو في الصخرة يستقنع فيها الماء .

(٣) في الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٤١١ طبع أوروبا) : « رياح » بالهمزة الواحدة ، وفي
الأغانى (ج ١١ ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) : « رياح من الأسك » .

(٤) (الهدب يسكون الدال المهملة ومنها) : أطراف التراب مما يلي طرقة .

نُصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بديه] ^(١) . نفرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب ،
وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهه القوم ، فترصد على رؤوسهما فصرصر ، فراعهما
إلا خيل بني عيس ، قال الكلابي لرياح : انحد من خاني وأقمس نفقا في الأرض
فإني شافل القوم عنك ، فأنحدر رياح من عجز الجبل حتى أتى ضفة ^(٢) فأحفر تحتها
مثل مكان الأرنب ووج فيه ، ومضى صاحبه ، فسأله فقال : هذه غني جامعة ،
وقد أسمكتهم منهم ، فصنقوه وخلوا سبيله ، فلما ولّى رأوا مركب الرجل خلفه
فقالوا : من الذي كان خلقك ؟ فقال : لا كذب ! رياح بن الأثيل ، وهو في أولئك
الصعدات . فقال الحصينان لمن معهما : قد مكنتنا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشرتنا ^(٣)
فيه أحد ، فوقفوا عنهما ، ومضيا ليجلا يرفان رياحا بين الصعدات ، فقال لهما : هذا
غز الكا الذي تربفانه ، فأبتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده ، فطعنه الأنحر فأخطاه ،
ومرت به الفرس ، فاستدبره رياح بسهم فقتله ثم أتى قومه . ففي ذلك يقول
الكحيت بن زيد الأمدى ، وكانت له أمان من غني :
أنا ابن غني والى كلامهما • لأمين منهم في القروع وفي الأصل

(١) الحكمة من كتاب الأغاني (ج ١١ ص ٧٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الردف : الزاكب خلف الزاكب .

(٣) المراد : طائر يقع ختم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ، وهو من سباع
الطير ، ختم المقار عظيم البرز ، كانت العرب تتلير من صوته .

(٤) كذا في الأغاني . والنسفة : جانب الثر أو الوادي . وفي الأصل : « صفة » .

(٥) في الأغاني : « ... في الأول من السمات » .

(٦) أقصده : الإقصاء : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه ، ويقال : أقصدت الرجل
إذا طعته أو رميته بهم فلم تضل . بقائه فهو مقصد « بالياء الجوهول » .

هم استودعوا زهرا سيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شاس الملوك ورعّموا * أباه زهيراً بالمدلة والتكل.

يسوم الثغرات^(٢)

لبنى عامر على بن عباس

- فيه قيل زهير بن جذيمة بن راحة العتيبي . وكانت هوازن تؤدي إليه إناوة ،
فاته عجز و هيش من بني نصر بن معاوية بسمن في نجي ، وشكت ستين سابع^(١)
على الناس ، فذاقه فلم يرش طعمه ، فدعها بقوس في يده عطيل في صدرها ،
فاستقت على قفاها منكشفة^(٢) ، فتألى خالد بن جعفر وقال : والله لأجعلن ذراعي
في عنقه حتى يقتل أو أقتل . وكان زهير مقدماً ففرد من قومه ببليه وبني أخوية^(٣)
أسيد وزباج يريغ الغيث في عسرات^(٤) له وشول ، فأتاه الحارث [بن عمرو]^(٥)

- (١) كما في الأصول والقند الفريد (ج ٣ ص ٦١ طبع بلاق) وفي الجزء الثاني من القند الفريد
المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٣ أدب ورقة ٦٨ ورد هذا الشعر هكذا : « هم
استودعوا زهرا سيب بن سالم » وفي الأغاني : « هم استودعوا هوى سيب بن سالم » .
(٢) كما في معجم ما استعجم ، وقد ذكره في رسم « ركة » وأشار إلى قتل زهير بن جذيمة .
قال : قري (فتح) أزه وإسكان ثابته بنده راء مهمة مقصود على وزن فعل ، ويمد : موضع في بلاد
ضفان . وكذلك في القند الفريد المخطوط . وفي الأصول والقند الفريد المطبوع : « الثغرات »
(بالقاف) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ٨٤ ، ٨٥ طبع دار الكتب المصرية) : « الثغرات » .
وكلاهما محووف . (٣) ديش : ضعيفة أو مهزلة . (٤) النعي : الزق الذي يجعل فيه السمن .
(٥) دعها : دفعها يستف . (٦) قوس عطيل : لا وتر فيها .
(٧) يريد أن تكشف حورتها . (٨) تألى : حلف . (٩) يريغ : يطلب .
(١٠) العسرات من النوق : التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إن ما بعد
الوضع ، فهي بعد الوضع عسراء أيضا . قال ابن الأثير : قد اتسع في هذا حتى قيل لكله حامل عسراء .
والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي الشاة التي ألق طليها من يوم نتاجها سبعة أشهر تلف لبها
وأرفع ضرعها . (١١) زيادة في الأغاني .

أَبْنُ الشَّرِيدِ، وَكَانَتْ تُمَاضِرُ بِنْتَهُ [عَمْرُو بْنُ] الشَّرِيدِ تَحْتَ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا عَرَفَ الْحَارِثُ
مَكَانَهُ أَنْذَرَ عَلَيْهِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَهْطَ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَكَرَبَتْ مِنْهُمْ سِتَّةُ
فَوَارِسَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَخْرُ بْنُ الشَّرِيدِ وَحُنْدُجُ بْنُ الْبَكَاءِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَبَّادَةَ
أَبْنُ عَقِيلِ فَارِسِ الْهَزَارِ . وَيُقَالُ لِمَعَاوِيَةَ : الْأَخِيلُ ، وَهُوَ جَدُّ لَيْلِ الْأَخِيلَةِ . فَقَالَ
أَسِيدُ زُهَيْرٍ : أَعَلَيْتَنِي رَاحِيَةً غَنَمِي أَنَا رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَةِ أَشْبَاحًا وَلَا أَحْسِبُهَا
إِلَّا خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ ، فَالْحَقُّ بَنُو بَقُومَنَا . فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : ” كُلُّ أَزْبٍ قَوْرٌ “ وَكَانَ
أَشْعَرُ الْفَقَا ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، فَتَحَمَّلَ أَسِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَبَقِيَ زُهَيْرٌ وَأَبْنَاهُ وَرِقَاءُ
وَالْحَارِثُ . وَضَبَّحَتْهُمْ الْفَوَارِسُ فَأَرْمَدَتْ زُهَيْرَ فَوْسَهُ الْقَعْسَاءُ وَلَحِقَهُ خَالِدٌ وَمَعَاوِيَةُ
الْأَخِيلُ ، فَطَلَمَنَ مَعَاوِيَةُ الْقَعْسَاءَ فَقَلَبَتْ زُهَيْرًا ، وَخَرَّ خَالِدٌ فَرَفَعَ الْمُقَفَّرَ عَنْ رَأْسِ
زُهَيْرٍ وَقَالَ : يَا لَعَالِمِي اقْتُلُونَا جَمِيعًا ! وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ فَضْرَبَ زُهَيْرًا عَلَى مَقَرِّ رَأْسِهِ
ضَرْبَةً بَلَّتْ الدَّمَاعَ ، وَأَقْبَلَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضْرَبَ خَالِدًا وَعَلَيْهِ دُرْعَانٌ فَلَمْ تُفْنِ
شَيْئًا ، وَأَجْهَضَ أَبْنَاءُ زُهَيْرِ الْقَوْمِ عَنْ زُهَيْرٍ وَأَحْمَلَاهُ وَقَدْ أَتَخَنَّتْهُ الضَّرْبَةُ فَمَنَعُوهُ الْمَاءَ
فَقَالَ : اسْقُونِي وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي فِيهِ ، فَسَقَوْهُ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ • فَأَقْبَلْتُ أَسَى كَالْعَجُولِ أَبَدُرُ^(١٤)
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا • وَيَمْنَهُ مَتَى الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ

(١) الأزب : كثرة الشر وطوله . والبير الأزب ، وهو القى يكثر شره حاجبيه ، يفر إذا ضربت
الريح شمرات حاجبيه .

(٢) أرمدت : طعت صدر الرمد ، أى النمام .

(٣) أى نجاهم عنه ، وغلبهم عليه .

(٤) العجول من النساء والإبل : الواله التى قدت ولدها التكلى لمصطها فى جيتها وهذا ما جزأ .

(١) فَيَا لَيْتَ أَنِّي قَبْلَ أَيَّامِ خَالِدٍ * وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي مُخَاضِرُ
لَعْمَرِي لَعْدَ بُشْرَتِي إِذْ وَلَدْتَنِي * فَاذَا الَّذِي رَدَّتْ عَلَيْكَ الْهَشَارُ
وقال خالد بن جعفر في قتله زهيراً :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي هَوَاؤُنْ بَعْدَمَا * أَعْتَقْتُهُمْ فَسَوَّالِدُوا أحراراً
وَقَتْلُ رَبِّهِمْ زُهَيْراً بَعْدَمَا * جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارِ
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم * عَقَلَ الْمُلُوكَ هَجَاتًا وَبَكَاراً^(٢)

يسير بطين اقل

لذبيان على بن عامر

فِيهِ قِيلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ بَطِينٌ عَاقِلٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ^(٤)
أَخِي النِّعْمَانِ وَمَعَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأَلْقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ^(٣)
أَبْنُ ظَالِمِ بْنِ غِيْطِ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، بِفِعْلِ خَالِدِ
يَقُولُ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ : يَا حَارِثُ ، أَمَا تَشْكُرُ يَدِي عِنْدَكَ أَنَّ قَتَلْتُ عَنْكَ سَيِّدَ قَوْمِكَ
زُهَيْرًا وَتَرَكْتُكَ سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : سَأُجْزِيكَ شُكْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا خَرَجَ الْحَارِثُ قَالَ
الْأَسْوَدُ لِلْخَالِدِ : مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَعْمَشَ بِهَذَا الْكَلْبِ وَأَنْتَ ضَيْفِي ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ هَيْدٌ مِنْ عِيْدِي ، وَلَوْ وَجَدْتَنِي نَائِمًا أَيْغُظْنِي . وَأَنْصَرَفَ خَالِدٌ إِلَى قُبَّتِهِ فَلَا مَهَ ١٠

(١) هي تماخرت عمرو بن الشريف بن رباح .

(٢) في الأغاني : « أبكارا » .

(٣) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين دامتين وإمرة .

(٤) كذا في الأصول والمقد الفريد المخطوط ، وهو موافق لما جاء في الكامل لابن الأثير في إحدى

روايته . وفي الرواية الأخرى أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث
خالدًا في جواره ثم قتل أخيه بعد ذلك فأخذ بطارد الحارث لقتله أخيه ومن استجار به ، هو النعمان
ابن أمري القيس ملك الحيرة .

عُرْوَةُ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَامَا وَأُشْرِجَتْ طَعْمَا الْقُبَّةِ، وَكَانَ مَعَ الْحَارِثِ يَتَّبِعُ لَهُ مِنْ
 بَنِي مُحَارِبٍ يُقَالُ لَهُ نِخْرَاشٌ، فَلَمَّا هَدَّاتُ اللَّيْلُونَ أَخْرَجَ الْحَارِثُ نَافَقَتَهُ وَقَالَ لِنِخْرَاشِ:
 كُنْ لِي بِمَكَانٍ كَذَا، فَإِنْ طَلَعَ كَوْكَبُ الصَّبَاحِ وَلَمْ أَتِكَ فَأَنْظُرْ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ فَأَعْمِدْ
 لَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَ الْحَارِثُ حَتَّى أَتَى قُبَّةَ خَالِدٍ فَهَنَكَ شَرَجَهَا ثُمَّ وَلَّيَهَا وَقَتْلَهُ، فَتَدَايَ
 عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: وَاجْوَارَ الْمَلِكِ! فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَمَعَ الْأَسْوَدَ الْمُتَنَافِ وَعِنْدَهُ
 أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي ضَمْرٍ يُقَالُ لَهَا: الْمُتَجَرَّدَةُ، فَشَفَّتْ جَيْبَهَا. فَقَالَ ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ جَنْدَةَ:

شَفَّتْ طَيِّقَ الْمَامِرَةِ جَيْبَهَا * أَسْفَا وَمَا تَبَيَّنَكَ عَلَيْكَ ضَلَالًا
 يَحَارِ لَوْفَيْتِهِ لَوَجَدْتُهُ * لَا طَائِفًا رَعِيًّا وَلَا مِعْزَالًا^(١)
 وَأَغْرَوْرَقْتَ عَيْنَايَ لَمَّا أُخْبِرْتُ * بِالْجَعْفَرِيِّ وَأُسْبَلْتُ إِسْبَالًا
 فَلَقَطْتُ بِخَالِدٍ سَرَوَاتِيكُمْ * وَلَتَجْعَلَنَّ لِلْفَالِغِينَ نِكَالًا
 فَإِذَا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مَهْلًا * مِنْ أَمَانًا لَا تُجَاوِلُ مَالًا

يَوْمُ رَحْرَحَانَ لِمَا مَرَّ عَلَى تَمِيمٍ

وَلَمَّا هَرَبَ الْحَارِثُ بْنُ ظَلَمٍ وَتَبَّثَ بِهِ الْبِلَادُ لَجَأًا إِلَى مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَأَجَارَهُ،
 فَقَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِمَعْبَدٍ: مَا لَكَ أَوَيْتَ هَذَا الْمَشْهُومَ الْأَنْكَدَ وَأَفْرَيْتَ بَنِي الْأَسْوَدِ؟
 وَخَذَلُوهُ غَيْرَ بَنِي مَأْوِيَةٍ وَبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ. وَبَلَغَ الْأَحْوَصَ بْنُ جَعْفَرٍ بَنِي كَلَابِ مَكَانَ
 الْحَارِثِ بْنِ ظَلَمٍ، وَأَنَّهُ عِنْدَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فَغَزَا مَعْبِدًا فَالْتَقَوْا بِرَحْرَحَانَ فَأَنْهَزَمَتْ^(٥)

(١) أخرجت: جمعت. (٢) في الكامل لابن الأثير: «الجعفرية».

(٣) الريش (كثف): الجبان. (٤) المزال: من لا ربح له.

(٥) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرقات.

بنو تميم وأسرَ مَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ، أسره عامر والطَّفِيلُ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ،
فوقد لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ عليهما في فدائه فقال لهما : لَكُمَا عِنْدِي مَائَتَا بَعِيرٍ، فقالا :
أَبَا تَهَشَلْ، أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ، وَأَخُوكَ مَعْبِدٌ سَيِّدٌ مُضَرٌّ فَلَا تَقْبَلْ فِيهِ إِلَّا دِيَّةَ مَلِكٍ،
فَأَيُّ أَنْ يَزِيدَهُمْ وَقَالَ : إِنَّ أَبَانَا أَوْصَانَا أَلَّا نَزِيدَ أَحَدًا فِي دِيَّتِنَا عَلَى مَائَتَى بَعِيرٍ، وَقَالَ :
لَا تَوَكَّلُوا الْعَرَبَ أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَزِيدُوا بِفِدَائِكُمْ عَلَى فِدَاءِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، وَرَحِلَ لَقِيطٌ عَنِ الْقَوْمِ .
قال : فَنَعَمُوا مَعْبِدًا الْمَاءَ وَضَارُوهُ حَتَّى مَاتَ هُزَالًا . وَقِيلَ : بَلْ أَبِي مَعْبِدٌ أَنْ
يُطْعَمَ شَيْئًا أَوْ يُشْرَبَ حَتَّى مَاتَ هُزَالًا . فَبَيَّنَ ذَلِكَ يَقُولُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ :

قَهْضِنَا الْجَوْنَ عَنْ صَبْرٍ وَكَانَتْ * مَنِيَّةُ مَعْبِدٍ فِينَا هُزَالًا

وقال جرير :

وَبَلَّةَ وَادِي رَحْرَحَانَ رَقَمْتُ^(١) * فِرَارًا وَلَمْ تَلَوْا رَفِيقَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمْ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْفُلِّ مَعْبِدًا * وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسْلِمُوا لِلْأَدَاهِمِ

وقال أيضا :

وَرَحْرَحَانَ فِدَاةَ كُبَلٍ مَعْبِدٌ * نَكَبَتْ فَتَاتُكُمْ بِفَيْرٍ مُهُورٍ

يَوْمُ شِعْبِ جَبَلَةٍ

لعامر وعيس على ذُيَّانَ وَتَمِيمِ

قال أبو عبيدة معمر بن المُنْثَنَّى : يَوْمُ جَبَلَةٍ أَعْظَمُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا
أَنْقَضَتْ وَقْعَةُ رَحْرَحَانَ جَمَعَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ ابْنِي عَامِرٍ وَأَلْبَ عَلَيْهِمْ . وَبَيْنَ يَوْمِ

(١) كَذَا فِي النَّقَائِصِ (ص ٢٢٩ طبع أدريا) . وفي الأصل : « فردتم » .

(٢) جَبَلَةٌ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالشَّرِيفِ : مَاءُ لَبْنٍ نَجِسٍ . وَالشَّرِيفُ :

(٣) عِظَامُ الْإِبِلِ . الْعَرَبُ ثَلَاثَةٌ : يَوْمُ كِلَابٍ رُبِيعَةٍ ، وَيَوْمُ جَبَلَةٍ هَذَا ،

يَوْمٌ ذَلِكَ لَدَرَهُ مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ .

وَرَحَّاحٌ وَيَوْمَ جَبَلَةَ سَنَةٍ . وَيَوْمُ جَبَلَةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهُوَ عَامُ
 مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَتْ بَنُو عَيْسَى يَوْمئِذٍ فِي بَنِي عَامِرٍ حُلَفَاءَ
 لَهُمْ ، فَأَسْمَدَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ لَعْدَاوَتَهُمْ لِبَنِي قَيْسٍ مِنْ أَجْلِ حَرْبِ دِاجِسَ ،
 فَأَجَابَتْهُ فَطْفَانُ كُلِّهَا غَيْرَ بَنِي بَدْرٍ ، وَتَجَمَّعَتْ لَهُمْ تَمِيمٌ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي سَعْدٍ ، وَنَجَرَتْ
 مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ لِحَلْفِ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَّانٍ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ الْجَوْنَ الْيَكْنَدِيَّ وَهُوَ
 مَلِكُ هَجْرٍ (١٣) وَكَانَ يُحْيِي مَنْ بَهَا مِنَ الْعَرَبِ (١٤) فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ عَالِدِينَ قَدْ مَلَأُوا
 الْأَرْضَ نَعْمًا وَشَاءَ ، فَأَرْسَلَ مَعِيَ أَبْنِيكَ فَمَا أَصْبَحْنَا مِنْ مَالٍ وَسَوِيَّ فَلَهُمَا ، وَمَا أَصْبَحْنَا مِنْ
 دَرَمٍ قُلٍّ ، فَأَجَابَهُ الْجَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ
 أَبْنَ الْمُشْدِرِ فَأَسْتَنْجَدَهُ وَأَطْعَمَهُ فِي الْفَنَاءِ ، وَكَانَ لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْمُلُوكِ ، فَلَمَّا كَانَ
 عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحَّاحَانَ أَقْبَلَتْ الْجِيُوشُ إِلَى لَقِيْطِ ، وَأَقْبَلَ سَيِّئَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ
 الْمُرِّيَّ فِي غَطَّانٍ وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ ، وَأَرْسَلَ الْجَوْنَ أَبْنِيَهُ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرًا ، وَأَرْسَلَ
 النَّمَانُ أَخَاهُ لِأَمْتِهِ حَسَّانَ بْنَ وَبَرَةَ الْكَلْبِيَّ . فَلَمَّا تَوَاقَفُوا خَرَجُوا إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَقَدْ
 أَنْذَرُوا بِهِمْ وَتَأَهَّبُوا لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَحَى هَوَازِينَ
 لِقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ : مَا تَرَى ؟ فَإِنَّكَ تَرَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَكَ أَمْرَانِ إِلَّا وَجَدْتَ
 فِي أَحَدِهِمَا الْخَرْجَ ! فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : الرَّأْيُ أَنَّ رَحْلَ الْبُعَالِ وَالْأَمْوَالَ حَتَّى

(١) فِي الْأَغَالِي (ج ١١ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) : « بَسِيعٌ وَنَحْسَنُ سَنَةٍ » .
 وَفِي التَّفَاضُلِ (ص ٦٧٦ أورد) : « بَسِيعٌ وَنَحْسَنُ سَنَةٍ » .
 (٢) الْجَوْنُ : هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَكْلٍ الْمُرَارِ الْكِنْدِيُّ سَمِيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ سَوَادِهِ . وَفِي الْأَصْلِ :
 « الْجَوْنُ الْكَلْبِيَّ » .

(٣) هَجْرٌ : مَدِينَةُ الْبَحْرَيْنِ .
 (٤) الْكَلْبَةُ مِنَ الْمَقْدِ الْقَرِيْبَةِ لِأَبْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلق) .
 (٥) النَّيْمُ (فَتْنَتَيْنِ) : الْإِبِلُ خَاصَّةً .

تَدْخُلُ شُعْبَ جَبَلَةَ فَتَقَاتِلُ الْقَوْمَ [دُونَهَا] ^(١) مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، فَأَنْهَمَ دَاخِلُونَ عَلَيْكَ الشُّعْبَ ، وَإِنَّ لَقَيْطًا رَجُلٌ فِيهِ طَيْشٌ فَسَيَقْتَحِمُ عَلَيْكَ الْجَبَلَ . فَأَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِالْإِبِلِ فَلَا تَرَعَى وَلَا تُسْقَى وَتُعْقَلُ ، ثُمَّ يَجْعَلُ الذَّرَارَى وَرَاءَ ظَهْرِنَا وَتَأْمُرُ بِالرَّجَالَةِ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ ، فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا الشُّعْبَ حَلَّتْ الرَّجَالَةُ عُقْلَ الْإِبِلِ ثُمَّ لَزِمَتْ أَذْنَابَهَا فَأَنهَا تَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَحْمِلُنَّ إِلَى مَرَايِعِهَا وَوَرْدِهَا ، وَلَا يَرُدُّ وَجُوهَهَا شَيْءًا ، وَيَخْرُجُ الْفُرْسَانُ فِي أَيْدِ الرَّجَالَةِ الَّذِينَ خَلْفَ الْإِبِلِ فَأَنهَا تُحْطِمُ مَا لَقِيَتْ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ وَقَدْ حُطِّمُوا مِنْ عَلٍ . فَقَالَ الْأَخْوَصُ : نَعِمَ مَا رَأَيْتَ وَأَخَذَ بِرَأْيِهِ ، وَكَانَ عَجَّ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ بَنُو مَيْسَ ، وَغُفَى فِي بَنِي كَلَّابٍ ، وَبَاهِلَةٌ فِي بَنِي صَعْبٍ ، وَالْأَبْنَاءُ أَبْنَاءُ صَمْعَمَةَ . وَكَانَ رَهْطُ الْمُعَقَّرِ الْبَارِقِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي بَنِي ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانَتْ قِبَائِلُ بَيْمِلَةَ كُلِّهَا فِيهِمْ غَيْرُ قَيْسٍ .

١٠

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَأَقْبَلَ لَقَيْطٌ وَالْمُلُوكُ وَمِنْ مَعَهُمْ فَوَجَدُوا بَنِي عَامِرٍ قَدْ دَخَلُوا شُعْبَ جَبَلَةَ فَتَرَفَلُوا عَلَى قَبَلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : خَذُوا عَلَيْهِمُ فَمَ الشُّعْبَ حَتَّى يَعْطُشُوا وَيَجُوعُوا ، فَأَتَوْا حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِمُ الشُّعْبَ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَلُوا الْإِبِلَ [وَعَطَّشُوهَا] ^(٢) غَلَامَةُ أَنْحَاسٍ ، وَذَلِكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ تُطْعَمَ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَنَوْا حَلَلُوا عُقْلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهْجِيهِ ، فَظَنَّ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الشُّعْبَ قَدْ هَدَّ عَلَيْهِمُ ، وَالرَّجَالَةُ فِي آخَرِهَا أَخَذِينَ بِأَذْنَابِهَا فَدَقَّتْ كُلُّهَا لَقَيْتَ ، فَأَنْهَزَمُوا لَا يَلُوتُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَقُتِلَ لَقَيْطٌ وَأُسِرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، أَسْرَهُ ذُو الرُّقِيَّةِ ، وَأُسِرَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيَّ أَسْرَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ ، بَغَزَ نَاصِيَّتَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ عُدُسَ ، أَسْرَهُ قَيْسُ بْنُ الْمُخْتَفِقِ ، بَغَزَ نَاصِيَّتَهُ وَخَلَّاهُ طَمْعًا فِي الْمَكَاافَةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ

١٠

١١٤
١٣

٢٠

(١) التكملة من العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) .

الجنون ومُتَقُدُّ بن طُريف الأَسدي، ومالك بن رُبَيْع بن جَنْدَل بن نَهْشَل ، فقال
جرير في ذلك :

كَأَنَّكَ لَمْ تَتَّهَدْ لِقَيْطًا وَحَاجِبًا • وَعَمْرَوُ بْنُ عَمْرِوٍ إِذْ دَعَا بِأَلِ دَارِمِ
وَيَوْمَ الصَّفَا كُنتُمْ حَيِّدًا لِعَامِرِ • وَبِالْحَزَنِّ أَصْبَحْتُمْ عَيْدَ اللِّهَازِمِ
يعني بالحزن يوم الوقيط . وقال أيضا في بني دارم :

وَيَوْمَ الثَّغْبِ قَدْ تَرَكُوا لِقَيْطًا • كَأَنَّ طَيْبَهُ نَمْلَةَ أَرْجُونِ
وَكَبَّلَ حَاجِبٌ بِشَتَامٍ حَوْلًا • فَحَكَّمَ ذَا الرُّقَيْتَةِ وَهُوَ عَائِي
وقالت دَخَسُوسُ اخْتُ لَقَيْطُ تَرَى لِقَيْطًا :

فَرَّتْ بَنُو أَسِيدٍ فَرًا • رَا الطَّيْرَ عَنِ أَرَابِيَا
عَنِ خَبَرٍ خُفِّفَ كَلْمَا • مِنْ كَهْلِيهَا وَشَبَابِيَا
وَأَتَمَّهَا حَسَبًا إِذَا • صُمْتُ إِلَى أَحْسَابِيَا

يسوم الخريبة

وفيه قُتِلَ الحارث بن ظالم

قال أبو عبيدة : لما قُتِلَ الحارثُ بنُ ظالمِ خالِدَ بنِ جعفرِ الكلابي أتى صديقا
له من كِنْدَةَ • فَأَتَتْهُ طَيْبَةٌ وَطَلَبَهُ الْمَلِكُ تَغْنًى ذَكَرَهُ ، ثُمَّ تَخَفَّصَ مِنْ عِنْدِ الْكِنْدِيِّ
وَأَضْمَرَتْهُ الْبِلَادُ حَتَّى اسْتَجَارَ بَرْيَدُ بْنُ عَجَلٍ بنِ الْحُجَيْمِ ، فَقَامَ بَنُو ذُهَلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
وَبَنُو عَمْرِو بْنِ شَيْثَانَ فَقَالُوا لِمَسْجِلٍ : أَخْرِجُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ أَطْلُفِكُمْ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ

(١) هذه رواية الأجل والنفذ القزويني (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) ورواية القاضي (ص ٦٦٦ طبع
لندون) والأخاني (ج ١١ ص ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

يَكْرَهُنِي بِحُسْرٍ عِنْدَ • خَفَّ كَهْلِيهَا وَشَبَابِيَا

وَبَجَرَهَا نَسَبًا إِذَا • صُمْتُ إِلَى أَنْسَابِيَا

(٢) اخمرت الأرض الرجل : نفيه لما يفرأ ويهوت .

لنا بالشَّهَاءِ وَدَوَسَرَ، وهما كَتَيْبَتَانِ لِلْأَسْوَدِ بْنِ الْمَنْذَرِ، فَأَبَتْ عَجَلٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ذَلِكَ تَكْرَهُهُ أَنْ تَقَعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا بِسَبَبِهِ، فَارْتَحَلَ مِنْ بَنِي عَجَلٍ إِلَى جَبَلٍ طَيِّبٍ، فَأَجَارَوْهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ فِي الْيَوْمِ نَاقَتِي * إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيِّبٍ وَفَيْرٍ خَازِلٍ

فَأَصْبَحْتُ جَارًا لِلْمَجْرَةِ فِيهِمْ * عَلَى بَاذِخٍ يَبْقُلُو يَدَ الْمُتَطَاوِلِ

إِذَا أَجَا لَقْتُ عَلَى شِعَابِهَا * وَسَلَمْتِي فَأَتَى أَمُّ مِنْ تَتَاوَلِي^(١)

- فَكَثَّ عَنْدهُمْ حِينًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمَنْذَرِ لَمَّا أَعْجَزَهُ أَمْرُهُ أَرْسَلَ إِلَى جَارَاتِ كُنٍّ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ اسْتَأْذِنَهُنَّ وَأَمَوَّاهُنَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ، فَخَرَجَ مِنَ الْجَبَلَيْنِ فَأَنْدَسَ فِي النَّاسِ^(٢) حَتَّى عَلِمَ مَكَانَ جَارَاتِهِ وَمَرَعَى إِبِلِهِنَّ فَأَتَاهُنَّ وَأَسْتَقْدَهْنَ وَأَسْتَأْذَنَ إِبِلَهُنَّ فَالْخَفَهُنَّ بِقَوْمِهِنَّ . وَأَنْدَسَ فِي بِلَادِ عَطْفَانَ حَتَّى أَتَى سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ الْمُزَيَّيَّ وَهُوَ أَبُو هَرَمٍ بْنُ سِنَانَ مَدُوحٌ ذَهِيرٌ . وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْذَرِ قَدْ اسْتَرْضَعَ أَبْنَاهُ شُرْحَيْلَ عِنْدَ سَلَمَى أَمْرَأَةِ سِنَانَ، وَهِيَ مِنْ بَنِي غُثَمٍ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، فَكَانَتْ لَا تَأْمَنُ عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ أَحَدًا، فَاسْتَعَارَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ سُرْحَ سِنَانَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْبَةِ، فَأَتَى بِهِ سَلَمَى أَمْرَأَةَ سِنَانَ وَقَالَ لَهَا : يَقُولُ لَكَ بَعْلُكَ : ابْنِي أَبْنَكَ مَعَ الْحَارِثِ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ لَهُ الْمَلِكُ، وَهَذَا سَرَّجُهُ لَكَ أَيُّهُ . قَالَ : فَرَزَيْتَهُ وَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ نَاحِيَةَ مِنَ الشَّرْبَةِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مِنْ فُورِهِ، وَهَرَبَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ الْأَسْوَدُ قَتْلَ أَبْنَاهُ شُرْحَيْلَ غَزَا بَنِي دُبْيَانَ فَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَغَارَ عَلَى بَنِي دُودَانَ رَهطًا سَلَمَى، فَقَتَلَهُمْ وَسَبَاهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلِي شُرْحَيْلَ فِي جَانِبِ الشَّرْبَةِ عِنْدَ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ خَصْفَةَ، فَغَزَاهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَحْمَى لَهُمُ الصَّفَا وَقَالَ : إِنِّي أَحْذِيكُمْ نِعَالًا، فَأَمْسَاهُمْ عَلَيْهَا، فَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ سَيَّارَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ جَابِرِ

(١) أَجَا وَسَلَمَى : جَبَلَانِ لَطِيَّيْنِ .

(٢) عِبَارَةُ الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٠٧ طبع دار الكتب المصرية) : « فَأَنَسَابَ فِي غَمَارِ النَّاسِ » .

الْفَزَارِيُّ: اُخْتَلِ لِلْأَسْوَدِيَّةِ ابْنَةُ الْفَيْسْرِ وَرَحَّتْ بِهَا قَوْمَهُ، فَوَفَّاهَا وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَمِنْ رَهْمًا الْقَوَسُ نُمْتُ قُودِي • بِأَلْفٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَزَارِيِّ أَقْرَمًا

بَشِيرٌ مِثْلِينَ لِلْهَلُوكِ وَفِيهَا • لِيُحْمَا سَيَّارُ بْنُ عَمْرِو فَأَسْرَمًا

قال: ثم هرب الحارث فلتحق بمعبد بن زُرَّارة فاستجار به فأجاره، وكان من سببه وقعة رجحان التي تقدم ذكرها. ثم هرب حتى لحق بمكة وقرش لأنه يقال: إن مرة بن عوف بن سعد بن دُبَّان إنما هو مرة بن عوف بن لؤي بن غالب، فتوسل إليهم بهذه القرابة وقال في ذلك:

إِذَا فَارَقْتُ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ • وَإِخْوَتَهُمْ نُسِبْتُ إِلَى لُؤْيٍ

إِلَى نَسَبٍ كَرِيمٍ خَيْرٌ وَقِيلَ • وَحَيٌّ مِنْ أَكَارِمِ كُلِّ حَيٍّ

فَإِنْ يَكُ مِنْهُمْ أَصْلٌ فَهُمْ • قَوَانِيْنُ الْإِلَهِ بْنِ قُصَيٍّ

فقالوا له: هذا نسب ربح كرشاه إذا استغنيت عنها أدبرتم. قال: فشغص [الحارث] عنهم غصبان وقال في ذلك:

أَلَا لَسْتُ مَتَا وَلَا نَحْنُ مِنْكُمْ • بَرْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ

غَدَوْنَا عَلَى نَشْرِ الْحِجَازِ وَأَتَمُّ • بِلُحْشِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

وتوجه إلى الشام فلتحق بيزيد بن عمرو النسائي فأجاره وأكرمه. وكانت ليزيد ناقة حمأة، في علقها مديئة وزناد وصرمة ملح، يمتحن بها رعيته لينظر من يحترق عليه،

- (١) في الأغاني (ج ١١ ص ١١١ طبع دار الكتب المصرية) ونزارة الأدب (ج ٣ ص ٣٠٤) «سعى بها... ليوفى» وقد مصحها المرحوم الشافعي: «سعى لها» (٢) الرضاء: الجبل. (٣) زيادة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٧ طبع بلاط) (٤) كذا في العقد الفريد. والفتش: التفت من الأرض، أو ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض وليس بالخط. (٥) الثعب الطريق: تغرق. (٦) البطحاء: كل موضع منع. (٧) الأخاشب: ببال مكة.

فَوَجِثَ أَمْرُهُ الْخَارِثُ فَأَسْتَمَتْ شَعْبًا فَأَطْلَقَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَأَتَوْهَا وَأَنَامُوا بِسَحْمِهَا
وَقُضِمَتِ الثَّلَاثَةُ فَأُرْسِلَ إِلَى الْخَمْسِ التَّنْظِي، وَكَانَ كَاهِنًا، فَسَالَهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْخَارِثَ
صَاحِبُهَا، فَهَمَّ بِهِ الْمَلِكُ ثُمَّ تَذَمَّرَ^(١) مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْجَسَ الْخَارِثُ فِي نَفْسِهِ شَرًّا فَأَتَى الْخَمْسَ
التَّنْظِي فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ دَمَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجْرَقْتَ
فَلَا تُقْدِرُونِ، قَالَ الْمَلِكُ: لَا ضَيْرَ إِنْ قُدِرْتُ بِكَ مَرَّةً فَقَدْ قُدِرْتُ فِي مِثْرَاءٍ، وَأَمَرَ
أَبْنَ الْخَمْسِ بِقَتْلِهِ، وَأَخَذَ^(٢) أَبْنَ الْخَمْسِ سَيْفَ الْخَارِثِ، فَأَتَى بِهِ سُوقَ عَكَاظَ فِي الْأَشْهُرِ
الْحَرَمِ، فَأَرَاهُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ الْمُبَسَّى فَضْرَبَهُ بِهِ قَيْسٌ فَقَتَلَهُ.

ذِكْرُ حَرْبِ دَاخِسٍ وَالْقَبْرَاءِ

وهي من حروب قيس

- ١٠ قال أبو عبيدة: حرب داحس والقبراء بين عيس وذيبيان أبنَيْ بَيْضِ
أَبْنِ رَيْثِ بْنِ خَطْفَانَ. وكان السبب الذي حاربها أن قيس بن زهير وحمل
أَبْنَ بدر تراها على داحس والقبراء أيهما يكون له السبق. وكان داحس حلاً
لقيس بن زهير. والقبراء حجر لحمل بن بدر، فتواضعا الرهان على مائة بئر، وجعل

(١) تَذَمَّرَ: استنكف. (٢) اسمه «مالك» كما في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩)

طبع دار الكتب المصرية).

- ١٥ (٣) وردت هذه العبارة في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩ طبع دار الكتب المصرية) هكذا: «فأتى
به سوق عكاظ في الحرم...» وضبط لفظ «الحرم» بالقلم ففتح الحاء والراء المهملتين. وبهذا الضبط
يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قتله بالحرم (أي الكعبة) ويؤيد هذا تكرار هذه الكلمة بهذا الضبط في السطر
التالي لها، وهذا خطأ، والصواب أنه قتله في الأشهر الحرم (بضم الحاء والراء المهملتين) بسوق عكاظ،
وهي سوق صحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم خلال ذي القعدة وتسمر عشرين يوماً، يجتمع قبائل
العرب فيها كثرلون، أي يتقاتلون ويتشاورون.

(٤) الحجر: الفرس الأبيض لم يدخلوا فيه الحاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكور. وأجار التليل:
ما يلقه منها لئلا لا يلحقها واحد.

مُنْتَهَى النَافِيَةِ مِائَةَ غَلَوَةٍ، وَالْمَضَارِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ قَادَاهَا إِلَى رَأْسِ الْمَدِينِ بَعْدَ أَنْ قَتَرَاهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَكَانَ فِي طَرَفِ النَافِيَةِ شِعَابٌ كَثِيرَةٌ، فَأَكَنَّ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ فِي ذَلِكَ الشِعَابِ فِتْيَانًا عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ جَاءَ دَاحِشٌ سَابِقًا أَنْ يَرْدُوهُ عَنِ النَافِيَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُمَا ، فَلَمَّا أُحْضِرَا خَرَجَتِ الْأُمَيَّةُ عَنِ الْفُضْلِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ ، فَقَالَ قَيْسُ : رُوَيْدَا يَمْدُونِ الْجَدَدَ إِلَى الْوَعْتِ وَتَرَفَّحَ أَعْطَافَ الْفُضْلِ ، فَلَمَّا أَوْعَلَا عَنِ الْجَدَدِ وَخَرَجَا إِلَى الْوَعْتِ بَرَزَ دَاحِشٌ عَنِ الْفُجَرَاءِ فَقَالَ قَيْسُ : « جَرَى الْمَذَكَّاتِ غَلَابٌ ^(١) » فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَلَمَّا شَارَفَ دَاحِشٌ النَافِيَةَ وَدَنَا مِنَ الْفِتْيَةِ وَثَبُّوا فِي وَجْهِ دَاحِشٍ فَرَدُّوه عَنِ النَافِيَةِ ، فَقَالَ ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَمَا لَاقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ • وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِمَادِ ^(٢)

هُوَ نَحَرُوا عَلَى بَغِيرِ نَحَرٍ • وَرَدُّوا دُونَ غَايَةِ جَوَادِي

وَنُفِرَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَيْسٍ وَذُبْيَانَ ابْنَيْ بَغِيضٍ : فَكَدَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تُنْتَجِ نَافِةٌ وَلَا فَرْسٌ فِيهَا لَا تُسْتَغْلَمُ بِالْحَرْبِ . فَبِعَتْ حَذِيضَةُ بْنُ بَدْرٍ ابْنَتَهُ مَالِكًا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَقَّ السَّبْقِ ، فَقَالَ قَيْسُ : كَلَّا لَا مِطْلَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرِّجْحَ فَطَعَنَهُ فَنَدَقَ صُلْبُهُ . وَرَجَعَتْ فَرَسُهُ غَائِرَةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِيَحْمِلُوا دِيَةَ مَالِكٍ مِائَةَ نَافَةٍ عَشْرًا ^(٣) وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْعَبْسِيَّ حَمَلَهَا وَحَدَّهَ فَبَغِيضَهَا حَذِيضَةُ وَسَكَنَ النَّاسُ .

(١) الْمَذَكَّاتُ مِنَ الْخَيْلِ : الْقَوْمُ قَدِ انْتَهَوْا بِهَا بَعْدَ قُرُوبِهَا سِتَّةَ أَوْ سِتَانِ .

(٢) الْغَلَابُ : الْغَلَابَةُ . أَيْ إِنَّهُ الْمَذَكُّ يَطْلُبُ جَارِيَةً فَيَطْلُبُ لِقَوَّتِهِ .

(٣) ذَاتُ الْإِمَادِ : مَوْضِعٌ بِلَادِ بَنِي فَرَاةٍ .

(٤) الشَّرَاءُ : الَّتِي أَتَى عَلَى حَمَلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ مِنْ مَلْقَحِهَا .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة من أرض الشربة فأخير حذيفة بمكانه ، فعدا عليه
فقتله ، ففي ذلك يقول عترة :

فَقَدْ عَيَّنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكِ * عَصِيْرَةٌ قَوْمِ أَنْ جَرَى فَوْسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْهَرَا بِقِدْ ظَلَمَةٍ * وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرَهَائِنِ

فَقَالَتْ بَنُو عَيْسٍ : مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ بِمَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ وَرُدُّوْا عَلَيْنَا مَالَنَا ، فَأَبَى حُذَيْفَةُ
أَنْ يَرُدَّ شَيْئًا ، وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ مُجَاوِرًا لِبَنِي فُزَارَةَ .

قال : فَلَمَّا قُتِلَ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ جَعَلَ بَنُو فُزَارَةَ يَتَسَاءَلُونَ وَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ
جَاهِرُكُمْ ؟ قَالُوا : صِدَّنَاهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّبِيعُ : اِهْذَا الْوَحْيُ ؟ قَالُوا : قَتَلْنَا مَالِكَ
أَبْنَ زُهَيْرٍ ، قَالَ : بئس ما فعلتم بقومكم ! قَلِمَ الدِّيةَ وَرَضِيتُمْ بِهَا ثُمَّ غَدَرْتُمْ ! فَقَالُوا :
لَوْلَا أَنْكَ جَارُنَا لَقَتَلْنَاكَ ، وَكَانَتْ خَفَرَةُ الْجَارِ ثَلَاثًا ، فَقَالُوا لَهُ : بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ
أُخْرِجْ عَنَّا ، فَخَرَجَ وَأَتْبَعُوهُ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى لَحِقَ بِقَوْمِهِ ، وَأَتَاهُ عَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ فَعَاقَدَهُ .
ثُمَّ نَهَضَتْ بَنُو عَيْسٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي فُزَارَةَ وَذُبْيَانَ
وَرُئِيسَهُمُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ ، وَرُئِيسَ بَنِي فُزَارَةَ حُذَيْفَةَ بْنَ بَدْرِ .

يَوْمَ الْمُرَيْقَبِ

لَبْنَى عَيْسٍ عَلَى بَنِي ذُبْيَانَ

١٥

فَالْتَقَوْا بِهَذِي الْمُرَيْقَبِ مِنْ أَرْضِ الشَّرْبَةِ فَأَقْتَتَلُوا ، فَكَانَتْ الشُّوْكَةُ فِي بَنِي فُزَارَةَ
قُتِلَ مِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ، أَحَدُ بَنِي عَدَى بْنِ فُزَارَةَ وَجَمَاعَةٌ
كَثِيرَةٌ . وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ يَقُولُ عَتَرَةُ الْهُوَارِسِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذْ آلَتُنْتُ فُرْسَانَهَا * يَوْمَ الْمُرَيْقَبِ أَنَّ ظَنَّنَا أَحَقُّ

- (١) اللقطة : موضع قريب من الحاجر من منازل بني فزارة .
(٢) الشربة : موضع بين السليمة والبدعة ، وقيل : إذا تجاوزت النقرة وداران ترد مكة ونفت في الشربة .
(٣) المريقب : قصير مرقب : موضع من الشربة .

٢٠

يوم ذى حُصَى لذبيان على عيس

ثم إن ذبيان تجمعت لِمَا أصابَتْ بنوعيس منهم يوم المُرْقَبِ قِزارة بن ذبيان
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فقتلوا فتوافوا بذى حُصَى، وهو وادى
الصفاء من أرض الشَّرْبَةِ، فهُزِمَتْ بنو عيس وخافت ألا تقوم جماعة بنى ذبيان
وأتبعوهم حتى لحقوهم، فقالوا: التفانى أو قُتِيسدنا، فأشار قيس بن زهير على
الربيع بن زياد ألا يناجزهم، وأن يُعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم،
فتراضوا أن يكون رهنهم عند سُبَيْع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فدفعوا إليه ثمانية من الصَّيَّان، فأنصرفوا وتكافأ الناس، فكث رهنهم عند سُبَيْع
حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سُبَيْع: إنا عندك مكرومة لا تبيد إن أنت^(١)
احتفظت بهؤلاء الأعيانة، وكأني بك لو مت قد أتاك خالك حذيفة بن بدر
نعمصر لك عيذه وقال: هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا
تَشْرُفْ بعدها أبدا، فإن خِفْتَ ذلك فأذهب بهم إلى قومهم. فلما هلك سُبَيْع
أطاف حذيفة بأبنة مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم اليممرية، بفعل يُمِرز^(٢)
كل يوم غلاما فينصبه غَرَضًا ويقول له: نادِ أباك، فينادى أباه حتى
يقتله.

(١) ذو حصى: موضع بالهالة في أرض خُلفان.

(٢) لا تبيد: لا تقطع ولا تذهب. وفي الأصل «لا ضير».

(٣) اليممرية: ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

يوم اليعمرية

لمس على ذبيان

- قال : فلما بلغ ذلك من فعله بن عبس أتوه باليعمرية ففقههم بخرتها فقتلوا منهم اثني عشر رجلا ، منهم مالك بن سبيع القتي نيز بالغملة إلى حذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوزان ، والحارث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم ذى نفر لانهما متجاوران .

يوم الهبابة

لمس على ذبيان

- قال : ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قاتظ إلى جنب جفر الهبابة وأقتلوا من أول النهار إلى أن اتصف ، وهجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق لخبذه الركن ، فقال قيس بن زهير : يا بني عبس ، إن حذيفة غدا إذا أخذت الودقة^(١) مستنقع في جفر الهبابة فعليك بها . فخرجوا حتى وقفوا على أثر صارف : فرس حذيفة ، والحيفاء : فرس حمل بن بدر ، ففقا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهبابة ، فصرهم حمل بن بدر فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، فوقف قيس وأصحابه على جفر الهبابة وهو يقول : لتيكم لتيكم ! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يفتلون ، وفي الجفر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر ، وورقاء بن ليل^(٢)

(١) الهبابة : أرض يبلاد غطفان . وجفر الهبابة : مستنقع في هذه الأرض .

(٢) الودقة : ثلة الخز .

(٣) كذا في كتاب القناص (ص ٩٥ طبع أوربا) والأفان (ج ١٦ ص ٣١ طبع بلاق) .

وفي الأصول والعقد الفردي : « هلال » .

من بنى ببلية بن سعد . وحش بن عمرو ، فوقف عليهم شناد بن مطوية
النبسى ، غالى بينهم وبين خيلهم ، ثم توافقت فرسان بن ميس فقال حمل :
ناشدتك بالرحم يا قيس ، فقال : لبيكم لبيكم ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فأتهم
حملا فقال : إياك والمناور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : لئن
قتلتى لا تصلح غطفان بسدما أبدا ! فقال : أبسدا الله ولا أصلها ، وجاءه
فرواش يمجلة قطع صلبه ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس بن
زهير يرثيه :

تسلم الله خير الناس ميت • حمل جعفر المنيعة ما يريم^(٢١)
ولولا غلظه ما زلت أبكى • طبه الدهر ما بدت النجوم
ولكن اتقى حمل بن بدر • بنى والبني سرته وخيم
أعلن الحسم كل مل فومى • وقد يستجول الرجل الحليم
ومارست الرجال وماؤسوى • لمعوج وآخر مستقيم

ومثلا بحذيفة بن بدر كما مثل بالنيلة ، قطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه
وجعلوا لسانه في آسته ، قى ذلك يقول قائلهم :

نأق قبيلا بالمباة في آسته • تحييته إن عاد للظلم ظالم
من قراوها يتهدكم من خلالكم • وتعرف إذا ما قس منها الخواثم

(١) كذا في كتاب القصاص والأغانى . وفي الأصول : « ومب » وفي القاموس :

« حسن بن ومب » وهو مخربف .

(٢) المنيعة : فعل مرعى لحول .

(٣) ما يريم : أى ما يرحم .

وقال عمرو بن الأسلم :

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ * وَاقِهِ يُشْهَدُ وَالْإِنْسَانُ وَالْبَلَدُ

أَنِّي جَزَيْتُ بَنِي بَدْرٍ بِسَعْفِهِمْ * عَلَى الْمَهَابَةِ قَتْلًا مَا لَهُ قَسْوَدُ

لَمَّا آتَيْنَا عَلَى أَرْجَاءِ جَمْعِهَا * وَالْمَشْرِفَةِ فِي أَيْمَانِنَا نَقْدُ

عَلَوُهُ بِحَسَنَاتِهِمْ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : * خُذْهَا حَذِيفَةُ فَانْتَ السَّيِّدُ الصَّعْدُ

فلما أصيب أهل المهابة واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا، وعرفت

بنو عيس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان، فخرجوا إلى اليمامة فقتلوا بأخوالهم من

بنى حنيفة، ثم رحلوا عنهم فقتلوا بنى سعد بن زيد مائة .

يَوْمَ الْفَرُوقِ

لبنى عيس

ثم إن بنى عيس غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجوف فاستجاسوا عليهم

وأرادوا أكلهم، فبلغ ذلك بنى عيس ففتروا ليلاً، وقدموا قطعهم، ووقفت فرسانهم

بموضع يقال له الفروق، وأغار بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم

فلم يجدوا إلا مواقد النيران فأتبعوهم حتى أتوا الفروق، فإذا بالخييل والفرسان وقد

تواترت الظعن عنهم، فانصرفوا عنهم؛ ومضى بنو عيس فقتلوا بنى ضبة فأقاموا

فيهم . وكان بنو حذيفة من بنى عيس يسمون بنى رواحة، وبنو بدر من فرارة

يسمون بنى سودة، ثم رجعوا إلى قومهم وصالحوهم، فكان أول من سقى في الجمالة

حرمة بن الأشعر بن صرمة بن مرة، فسقى فيها أبنته هاشم بن حرمة،

وإليه أشار الشاعر :

أَحِبَّ أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَةَ * يَوْمَ الْمَهَابَةِ يَوْمَ الْيَعْمَلَةِ

تَرَى الْمَسْلُوكَ حَوْلَهُ مُرْعَبَةً * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ !

(١) في الأصول : « الرجح » .

يوم قَطَن

فلما توافوا الصلح وقفت بنوعيس بقطن وأقبل حصين بن حُصَمَ ظلي تيمان
أحد بنى غزوم بن مالك فقتله بأبيه خنضم ، وكان عترة بن شداد العيسى قتله
بذئى المريقب ، فأشارت بنوعيس وحلفائهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا :
لا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد قدرتم بنا غير مرة ، وتناهض الناس : عيس
وذبيان ، فالتقوا بقطن ، فقتل يومئذ عمرو بن الأسلم عتبة ، ثم سمرت السفراء ،
بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تيمان بأبيه فدفسه إليه وقال : فى هذا وفاة من
أهلك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبى تيمان مائة بعير فأذاها
إليه وأصطلحوا وتعاقدوا .

يوم غدير قَلْبِي

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيات لآبى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أبوا
ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يؤدوا قتلانا أو يهدردم من قتلنا ، فخرجوا من قطن
حتى وردوا غدير قَلْبِي ، فسبقتهم بنوعيس إلى الماء فتموههم حتى كادوا يموتون
عطشا ، فأصلح بينهم عوف ومعلل أبنائهم من بنى ثعلبة وإياهما يعنى زهير بقوله :
تداركتما عيسا وذبيان بعدما * تقآنوا ودقوا بينهم عطر مَشِيم^(١)
فوردوا حربا وخرجوا عنه سليما . تم خبر دا حيس والقبراء .

(١) قطن : جبل لى أسد .

(٢) منشم : اختلف فيها ، فقيل : إنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتعالت قوم فأدخلوا أبيهم
فى عطرها على أن يغتسلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك فى شدة الأمر وقال أبو عمرو الشيبانى :
هى امرأة من خزاعة كانت تباع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فقتلوا بها ،
وكانت تسكن مكة . وقال ابن العسلى : هى امرأة من جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : منشم : إما
هو من المنشم فى الشر . ومنه قولهم : لما نشم الناس فى عيان . (أى طعنوا فيه وتناولوه) راجع
شرح ديوان زهير للإمام تطلب ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

يوم الرَّم

لَعَطْفَانِ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

غزيت بنو عامر فأغاروا على بلاد عَطْفَانِ بِالرَّم - وهو ماء لبني مُرَّة - وعلى
بني عامر : عامرُ بْنُ الطَّفِيلِ - ويقال يزيد بن الصَّيْق - فركب عُتْبَةُ بْنُ حُصَيْنٍ
في بَنِي قَزَّارَةَ ، ويزيد بن سَيَّانٍ في بَنِي مُرَّة - ويقال الحارث بن عَوْف - فانهزمت
بنو عامر ، فزعمت عَطْفَانِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَ ذَلِكَ أَرْبَعَةً وَعِثَانِينَ وَجُلَاءَ ،
فدفعوهم إلى أهل بيت من أَتَجَعَ ، كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلهم أَجْمَعِينَ .

١١٨
١٣

وانهزم الحكم بن الطَّفِيلِ في قَرْيَمٍ أَصْحَابِهِ ، فيهم خَوَاتِمْ بَنِي كَعْبٍ حَتَّى
أَتَتْهُمَا إِلَى مَاءٍ ، يُقَالُ لَهُ : الْمُرُورَاتُ ، فقطع العطش أَعْنَاقَهُمْ فَسَاتُوا ، وَخَقَّ الْحَكَمُ
ابْنُ الطَّفِيلِ نَفْسَهُ عَنَافَةَ اللَّئِلَةِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :
عَجِبْتُ لِمَ إِذَا يَحْتَقُونَ نَفْسَهُمْ * وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الْوَعَى كَانَ أَعْذَرًا

يوم النَّاءِ

لِبَيْسِ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

يقال : خرجت بنو عامر يريد أن تُدْرِكَ بِئَارُهَا يَوْمَ الرَّم ، فهجموا على عيس
بِالنَّاءِ وَقَدْ أَتَدُّوا بِهِمْ ، فَاتَّقَوْا ، وَكَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ : عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ ، وَعَلَى
بَنِي عَيْسٍ : الرَّيْجُ بْنُ زِيَادٍ ، فَأَقْتَلُوا قَتْلًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ ، وَفُتِلَ عَنْهُمْ
هَزَارُ بْنُ مُرَّةٍ ، قَتَلَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ مَالِكٍ ، وَنَهْشَلُ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَتَلَهُ أَبُو زُبَيْدَةَ
كَبْنَ حَارِثَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ بْنُ خَالِدٍ ، وَهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ هَزِيمَةً قَبِيحَةً .

(١) بِالْمَعْنَى مَا اسْتَعْمِ الْكُرَى . الرَّم بفتح أظه وتانيه : موضع بالجهاز قريب من رادى

القرى » (٢) أَيْ كَانَ أَعْذَرُ لَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَقْسَمُ (راجع شرح ديوان عروة ص ١٣٥)

طع أودا (٣) النَّاءِ : نَحْلَاتُ لَبْنِي عَطْرَد .

(١)
يَوْمُ شَوَاحِطٍ

لِئِنْ عَارِبَ عَلَى بَنِي مَاسِرٍ

فَرَزَتْ تَبَرُّقًا مِنْ بَنِي مَاسِرٍ بِنْتُ صَعْمَةَ بِلَادَ ضَانٍ ، فَأَعَارُوا عَلَى إِيْلٍ
لِئِنْ عَارِبَ بِنْتُ صَعْمَةَ ، فَادْرَكَهُمُ الْعَالِبُ ، قَتَلُوا مِنْ كَلَابِ نَسَمَةِ عَمْرٍاءَ قَتَلُوا
لَهُمْ ظَهْرًا رَجَوًا وَتَمَّتْ بَنُو كَلَابِ عَلَى جَبْرِ - وَمِنْ بَنِي عَارِبَ ، وَكَانُوا حَارِبًا
لِأَخَوْتِهِمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ مَسْلَمٍ فَأَعَارُوا بَنِي مَاسِرٍ بِنْتُ صَعْمَةَ - فَقَالُوا : قَتَلْتُمْ
بَنِي عَارِبَ مَنْ قَتَلُوا يَا ، قَتَلْتُمْ خَدَاشَ بْنَ زُهَيْرٍ دُونَهُمْ حَتَّى مَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
وَقَالَ :

أَيَا وَكَمَا إِنَّا عَرَضَتْ فَبَقَيْنَ • خَبِلَا وَإِلْخَ إِنْ لَقِيتُ أَبَاكَ
فِيَا أَخَوَيْتَا مِنْ أَيْتِنَا وَأَنَا • إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لَأَسْبِلَ إِلَى جَبْرِ
فَعَمْرٍاءَ جَاهِي لَقَى سَاتِرَكَ جَانِبًا • لَكُمْ وَأَسْمَاءُ بَيْنَ الْجَمَلَةِ وَالْقَهْرِ
أَلَا تَارِسُ الضَّحِياءَ عَمْرٍاءَ مَاسِرٍ • أَبَى الدَّمِ وَأَخْتَارَ الْوَفَاءَ عَلَى الْقَدْرِ

(٢)
يَوْمُ حَوَازَةِ الْأَوَّلِ

لَسْتُ عَلَى خَطْفَانِ

قَالَ أَبُو حَيْثَةَ - كَانَ بَيْنَ مَسْلُوبَةَ بْنِ عَمْرٍاءَ بْنِ الشَّرِيدِ وَبَيْنَ هَانِمَ بِنْتِ حَنْظَلَةَ
أَحَدَ بَنِي مُرَّةَ : - مُرَّةَ خَطْفَانِ - كَلَامٌ بِمِثْلِهِ ، فَقَالَ مَسْلُوبَةُ : وَلَوْ أَنَّ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ
سَمِعْتُ بَطْلَانًا يَنْبُذُكَ ، قَالَ هَانِمُ : وَلَوْ أَنَّ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ بَرَيْتُ الرُّطْبَةَ - وَهِيَ جَمَّةٌ

(١) شواحيط : جبل مشهور بين مكة والمدينة .

(٢) في صحيح ما أجمعهم للبكري في كلامه على شواحيط : « سبعة نفر » .

(٣) القهر : موضع باليمامة . (٤) حوزة : واد بالجاز .

(١١) معاوية ، وكانت الدهر تنطف ماء ودُّعها وإن لم تدَّهن — فلما كان بعد [حين] نيام معاوية ليغزو هاشما ، فنهاه أخوه صفير ، فأبى وغزاهم يوم حوزة ، فراه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية ، وكان هاشم ناقها من مريض أصابه ، فقال لأخيه يزيد بن حرملة : إنا هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي ، وأنا حديث عهد بسكة ، فاستطرد له [دوى] حتى جعله بيني وبينك ، ففعل ، فحمل عليه معاوية وأزده هاشم ، فاحتلفا طليعتين فأردى معاوية هاشما عن فرسه السماء ، وانفذاها هاشم سنانا عن طانة معاوية ، وكر عليه يزيد وظنه قد أردى هاشما ، فضرب معاوية بالسيف فقتله ، وشدَّ خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاري [فقتله] .

قال : وغارت السماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا أنها فرس الفزاري الذي قتله خفاف ، ورجع الغنيس ، فلما دنا من صفير ألقى معاوية قال لهم : يا صنع معاوية ؟ قالوا قتل ! قال : يا هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا صاحبها ! قال : إذا قد أدركتم ثارك ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صفير بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام ، فأبى بني مرة ، فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صفير فقوموا وقولوا له خيرا ، وهاشم مريض من العطنة التي طمنته معاوية ، فقال : من قتل أبي ؟ فسكتوا ، فقال : لمن هذه الفرس التي أتتني ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلم أبا حسان إلى من يملك ! قال : من قتل أبي ؟ فقال [هاشم] : إذا أصبحتي أو مريديا فقد أصبحت ثارك ! فقال : هل كفتوه ؟ قال : نعم ، في بردين : أحدهما خمس وعشرين بكرة

(١) النكبة من العقد الفريد . (٢) النكبة من العقد الفريد .

(٣) أزداه : تبعه . (٤) أزداه : أسقطه .

(٥) النكبة من العقد الفريد .

وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عتبة ثم قال : كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جرعى ،
فوالله ما بت منذ عقلت إلّا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوباً حتى قُتِل معاوية ،
فما ذقت طعمَ نوم بعده .

يوم حوزة الثاني

قال : ثم غزاهم [صخر] فلما دنا منهم مضى على الشَّاء ، وكانت غراء محجلة ، فمُود
غمرتها وتجبيلها ، فلما رآته بنتُ هاشم قالت لعمها دُرَيْد : أين الشَّاء ؟ قال : هي
في بني سُليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فقال : هذه ^(١) بهم والشَّاء غراء محجلة ،
ثم اضطجع فلم يشعر حتى طلعته صخر ، قال : فتأروا وتنادروا ، وولى صخر وطلبتُه
غطفان عاتة يومها ، وعارض دُونه أبو شعيرة بن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء
أخت صخر ، وصخرُ خاله ، فردّ الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال
خُفاف بن نُدبة لما قتل معاوية : قتلني الله إن رحمت من مكاني حتى أغاربه !
فشدّ على مالك سيد بني شَمخ فقتله ، وقال صخرُ في قتله دُرَيْدا :

ولقد دَفَعْتُ إلى دُرَيْد طَعْنَةً * نَجْهَلَاءَ تَرْغُلُ مِثْلَ غَطِّ الْمَسْحَرِ ^(٢)

ولقد قَتَلْتُكُمْ نُسَاءً وَمَوْحِدًا * وَرَكْتُ مَرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّارِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فلأنه خرج متجعجا فلقبته عمرو بن قيس
الجُشمي ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وآلت نفس إن وآل ، فلما دنا منه
أرسل عليه مَعْبِلَةً ففَلَقَ قَحْضَهُ فقتله .

(١) البيم : الأسود ، وما لاشية فيه من الخيل للذكر والأنثى .

(٢) تَرْغُل : تخرج الدم قطا قطا .

(٣) وآل : نجا .

يَوْمُ قَاتِ الْأَثَلِ

- قال أبو حنيفة: ثم غزا عترة بن عمرو بن الشريد بن أسد بن خزيمه فأكسح
إليهم، فأتى الصريح بن أسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل، فاقبلوا
قتالا شديدا، فظن ربيعة الأسدي عترة في جنبه وقتل القوم بالنجعة، ومرض
عترة من الطعنة فريسا من الحنظل حتى مله أهله، فسمع امرأة من جاراته تسأل
• سئمت أمراءي: كيف بكم؟ قالت: لا شيء فربح، ولا شيء ففلس، لقد قينا
من الأمرين! وكانت أمه إذا سلت عنه تقول: أرجوه العاقبة إن شاء الله!
فقال في ذلك:

- أرى أم عترة لا تمل ميادي • ومثل سئمت مضجعي ومكاني
فأرى أمي ساءت بأم حيلة • فلا ماش إلا في أدنى وقوانين
وما كنت أخشى أن أكون جنة^(١) • طبعك ومن يتر بالحدتين
تسمرى لقد نهيت من كان فاما • واسمعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أسطبه • وقد جيل بين الخير والشر وان
قال: فلما طال عليه البلاء - وقد تآثت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع
الطعنة - قالوا له: لو قطعنا رجونا إن براء، فقال شاتمكم! فقطعوها فبكت،
• وقالت أخته الخساء ترثيه:

- وقائلة والنش قد قات خطوها • لتذكره يالهم نفسي على عترة!
ألا تيكلت أم الدين غدوا به • إلى القبر ماذا يجملون إلى القبر!

(١) إذا نزل المرء من عل فوقعه وأغضوا به فهو جنة طبعه. هكذا ورد في لسان العرب مادة (جنز)

واستشهد بهذا البيت على ذلك.

(١)
يَوْمُ اللُّوَى

لَعْنَتَانِ عَلَى هَوَازِنَ

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصَّمة — وأسمُ الصَّمة : معاوية الأصغر —
من بني غزينة بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هَوَازِنَ — وكان لعبد الله ثلاثة أسماء
وثلاث كُنى ، فأسمه : عبد الله ، وخالده ، ومعيد ، وكنته أبو فرعان ، وأبو دُفافة ،
وأبو وفاء ، وهو أخو دُرَيْدِ بْنِ الصَّمة لأبويه — فأغار على خَطَفَانِ فأصاب منهم
إبلا عظيمة فأطردهما ، فقال له أخوه دُرَيْدُ : النجاء فقد ظفرت ، فأبى عليه وقال :
لأأبرج حتى أتتفع تيمقى — والقيعة : ناقة يجرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما
لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم — فأقام وعصى أخاه ، فبعثت نزاره فقاتلوه
وهو بمكان يقال له القوى ، فقتل عبد الله ، وأرثت دُرَيْدُ بنى في القتل ، فلما كان
في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى حيلة تبص ، فأترل
فأنظر إلى سبيته ، فترى فكشف ثوبه فإذا هي ترمز ، فطعمته ، فخرج دمٌ قد أحظن .
قال دُرَيْدُ : فأنفت حندها ، فلما جاوزوا نهضت ، فما شعرت إلا وأنا بين
عرعوبى بحمل امرأة من هَوَازِنَ ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ أعوذ بالله من شرك !
قلت : لا ، بل مَنْ أَنْتِ ؟ وبك ! قالت : امرأة من هَوَازِنَ سيار . قلت : وأنا
من هَوَازِنَ ، أنا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمة . قال : وكانت في قوم غنارين لا يشعرون
بالوقعة ، فضمت وعلجته حتى أفاق .

(١) القوى : واد من أودية بني سليم .

(٢) المرت : من حل من الحركة جريها وجره .

(٣) الدبة : الآست . (٤) ترمز : تنطرب .

يوم الظعينة

بين دُرَيْد بن الصَّمَّة وربيعة بن مَكْدَم

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج دُرَيْد بن الصَّمَّة في فوارس من

١ - بني جُثَم حتى إذا كانوا في وادٍ يقال له : الأثرم ، وهم يريدون الغارة على بني كنانة ،

إذ رُفِع له رجلٌ في ناحية الوادي ومعه ظعينة ، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه :

صَحَّحْ بِهِ : خَلَّ الظَّعِينَةُ وَأَتَجَّ بِنَفْسِكَ ، فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ الْفَارِسُ ، فَصَاحَ بِهِ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ،

فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ وَقَالَ لِلظَّعِينَةِ :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الْآمِنِ * سَتَرَدَّاجِ ذَاتِ جَاشٍ سَاكِئِ

إِنَّا أَتَيْنَا دُونَ قِرْنِي شَائِنِي * أَيْلِي بَلَائِي وَأَخْبِرِي وَطَائِي

١٠ ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه للظعينة ، فبعث دُرَيْد فارساً آخر لينظر

ما صنع صاحبه ، فلما انتهى إليه ورآه صريعاً صاح به فتصام عنه ، فظن أنه لم

يسمع ، ففشيهُ ، فَأَلْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إِلَى الظَّعِينَةِ وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُول :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَزَةِ الْمُنْبَعَةِ * إِنَّكَ لَأَقِي دُونَهَا رَبِيعَةً

فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيعَةٌ * أَوْ لَا نَحْضُهَا طَعْنَةً سَرِيعَةً

١٥ * وَالطَّمْنُ مَيِّتٌ فِي الْوَعَى شَرِيعَةٌ *

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على دُرَيْد بعث فارساً ^(١) ثالثاً [لينظر ما صنعا ،

فلما انتهى إليهما رأهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويحزُّ رُحْمَهُ ، فقال له :

خَلَّ سَبِيلَ الظَّعِينَةِ ، فَقَالَ لِلظَّعِينَةِ : افْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ أَهْبِلْ عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتْمِ عَائِيسِ * أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِيسِ

* أَرَدَاهُمَا عَامِلُ رُحْ يَائِيسِ *

٢٠

(١) الفكرة من أمال القائل (ج ٢ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) .

ثم حَلَّ عليه فصره وأتكبر رُحْمُهُ ، وأرتاب دُرَيْدٌ وظنَّ أنهم قد أخذوا الظَّئينة
وقتلوا الرجل ، فطَفِقَ ربيعةٌ وقد دنا من الحَيِّ ، فوجد أصحابه قد قُتِلُوا ، فقال :
أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقْتَلُ ، ولا أرى ملك رُحْمًا والخيْلُ نائرةٌ بأصحابها ، فدُونَك
هذا الرَّحْمُ فأبَى منصرفٌ إلى أصحابي فمُتَّطِعْهُمْ عَنْكَ ، فأنصرف دُرَيْدٌ وقال لأصحابه :
إن فارس الظَّئينة قد حاساها وقتل فرسانكم وأترع رُحْمِي ، ولا مَطْمَعٌ لَكُمْ فيه
فأنصرفُوا ، فأنصرفَ القومُ ، فقال دُرَيْدٌ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله * حامي الظَّئينة فارسًا لم يُقْتَلِ
أردى فوارس لم يَكُونُوا بُهْزَةً * ثم استمرَّ كأنه لم يفعل
مَهَلَّا تَبْدُو أَمْرَةً وَجْهِي * مثل الحُسام جَلَّتْ كَفَّ الصَّيْقِلِ
يُزِيحُ ظِلْمِيَّتَهُ وَيَسْجِبُ رُحْمَهُ * مُتَوَجِّهًا بِمَنَاءِ نَحْوِ الْمَبْزِلِ
وترى الفوارس من غفلة رُحْمِهِ * مثل اليَافَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدِلِ
يا ليتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأُمُّه * يا صاح من بك مثله لا يُجْهَلِ
وقال ربيعةٌ بنُ مُكَّكَم :

إن كان يَنْقَمُكَ اليَقِينُ فساوِلِ * عني الظَّئينة يومَ وادِي الْأَنْعَرِمِ
أذِ هِيَ الْأَوَّلُ مِنْ أَنَا هَاتِيئَةً * لولا طَمَعُنَ ربيعةَ بنِ مُكَّكَمِ
أذْ قَالَ لِي أَذْنِي الْفَوَارِسِ مِينَةً * خَلَّ الظَّئينة طَامِنًا لَا تَتَدَمِ
فصرفتُ راحلةَ الظَّئينةِ نَحْوَهُ * عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ
وهتكتُ بِالرَّحْمِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ * فَهَوَى صَرِيحًا لِلْبَيْدِ وَاللَّفَمِ

(١) قال أبو علي : القاتل : يَفَاث (بضم الباء الموحدة وكسرهما) والهم أكذ وأنهر (راجع

الأمال ج ٢ ص ٢٧٢ طبع دار الكتب المصرية) .

وَمَتَّعَتْ آخَرَ بَعْدَ جِيَانِهِ . تَجَلَّأَ فَاغْرَهُ كَشَفَى الْأَشْجَمَ

وَلَقَدْ شَفَقْتُهُمَا بَآخِرَ ثَلَاثٍ . وَأَيُّ الْفِرَارِ لِي الْقُدَاةُ تُكْرِمُ

ثم لم تلبث بنو كاكاة أن أغارت على بني جشم ، فقتلوا وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَةِ
فاختفى نفسه ، فبينما هو عندهم عيوسٌ إذ جاءه نسوةٌ تنهدين إليه . مَصْرَعَتْ
إحداهن وقالت : هل كنتم وأهلكتم ! ماذا جز علينا فومنا ! هذا والله الذي أعطى
ربيعةً رُحْمَهُ يَوْمَ الظُّلُمَةِ ! ثم ألقَتْ عليه ثوبها وقالت : يَا آلَ فَرَّاسٍ ، أَنَا جَارَةٌ
لَكَ مِنْكُمْ ، هَذَا صَاحِبُنَا يَوْمَ الْوَادِي ! فَالَوْه : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنَا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ
فَلَنْ صَاحِبِي ؟ قَالُوا : رُبِعَةُ بِنْتُ مَكْنَمٍ ، قَالَ : فَمَا ضَلَّ ؟ قَالُوا : قَتَلَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ !
قَالَ : فَمَا قَلَبْتَ الظُّلُمَةَ ؟ قَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَنَا هِيَ ، وَأَنَا أَمْرَأَةٌ ، فَبِهِ الْقَوْمَ وَأَسْرَوْا
أَنفُسَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَنْبَغِي لِدُرَيْدٍ أَنْ تُكْفَرَ نَعْمَتُهُ عَلَى صَاحِبِنَا ! وَقَالَ آخَرُونَ :
وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِنَا إِلَّا بِرِضَا الْخَارِقِ الَّذِي أَسْرَوْهُ ، فَاجْتَنِبِ الْمَرْأَةَ فِي اللَّيْلِ وَهِيَ
رَبِيعَةُ بِنْتُ جَدِيلِ الطَّمَانِ ، فَقَوْل :

١٢١
١٣

سَتَجِزِي دُرَيْدًا عَنْ رُبِيعَةَ نِعْمَةً . وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَتْ خَيْرًا بِرَأْوِهِ . وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مُدْمَمًا
سَتَجِزِيهِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ بِمُسْتَفِيَةٍ . بِإِعْطَائِهِ الرَّحْمَ الطَّوِيلَ الْمُقْسُومًا
[لَقَدْ أَدْرَكْتَ كَفَاهُ فَبَيْنَا بَرَاءَهُ . وَهَلْ بَانَ يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمًا]
فَلَا تُكْفِرُوهُ حَقَّ نِعْمَاهُ فِكُمْ . وَلَا تَرْكَبُوا ثَلَاثَ الْيَوْمِ تَمَلَّا الْقَمَا
فَلَوْ كَانَتْ حَيًّا لَمْ يَضُقْ شَوَابَهُ . نِزَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُقَدَّمًا

(١) بنو كاكاة : رَهْطُ رُبِيعَةَ بْنِ مَكْنَمٍ

(٢) بنو جشم : رَهْطُ دُرَيْدٍ .

(٣) الزيادة من أسال الثاني .

[فَنُكِرُوا قَوْلَهُ مِنْ إِسَارِ مُعَلِّيقٍ • وَلَا تَجْهَرُوا الْقِيْسَ إِلَى الشَّرِّ سَلْبًا] ^(١)
 فلما أصبحوا أطلقوه ، فكنته وجهه وخلق بومه ، فلم يزل كلفاً عن غزو
 بني فرياس حتى ملك .

يوم الصلواة

عَوَانِيَتْ عَلَى خُطْفَانٍ

قال : فلما كان في العام المقبل غزاهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّحَّةِ بِالصَّلَاةِ ، فخرجت
 إليه خُطْفَانٌ فقال دُرَيْدٌ لصاحبه : ما ترى ؟ قال : أرى غيلاً طلياً وجمالاً كأنهم
 الصبيان ، استأبوا عند خُطْفَانٍ غيلاً . قال : هذه قَرَارَةٌ ، ثم قال : أنظر ما ترى ؟
 قال : أرى قوماً كأن طيهم ثياباً فُحِست في لِبَابِ المِزَى ، قال : هذه أنجع ،
 ثم قال : أنظر ما ترى ؟ قال : أرى قوماً يحذون رماحهم سوداء ، ينفون الأرض
 بالقدمهم ، قال : هذه قيس ، أتاكم الموت الزؤام فاجروا ، فالتفتوا بالصلاة
 فالتفتوا ، فكان الظفر عوزان على خُطْفَانٍ ، وقتل دُرَيْدٌ دُؤَابَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قُرُوبٍ .

ذكر حرب قيس وكثانة

يَوْمُ الكَيْدِ لِسُلَيْمِ بْنِ حَكَّةَ

فيه قيل ربيعةُ بْنُ مُكَلَّمٍ فارُسُ بْنُ كَثَانَ ، وهو من بني فرياس بن قثم بن مالك
 ابن كَثَانَ ، وهم أجدد العرب ، كان الرجل منهم يَسْدِلُ بَشْرَةَ مَنْ فِيهِمْ ، وكان

(١) الزيادة من أمال القائل . (ج ٢ ص ٢٧٢ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الصلواة . (فتح أوله وإسكان ثانيه بسده من مهمة عذود) : أرض لبني عبد الله بن خُطْفَانٍ
 دئبي قزارة بين القفرة والحاجر تطوفا طريق الحاج ابلادة إلى مكة .

(٣) الكيد (فتح أوله وكسر ثانيه بسده دال مهمة أيضاً) : موضع بين مكة والمدببة بين منزلي أجد
 وعصفان وهو ماء عين جارية طلياً نخل كثير .

ربيعة بن مكرم يُعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر أحد غيره ، وقتله
بنو سليم يوم الكديد . ولم يحضر يوم الكديد أحد من بني الشريد .

يوم قزارة

ليكنانة على سليم

- قال أبو عبيدة : لما قُتِلَ بنو سليم ربيعة بن مكرم فارس كنانة ورجعوا ،
أقاموا ما يشاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صفير بن الشريد — وأسم
الشريد عمرو — وكانت بنو سليم قد توجهوا مالكا وأمره عليهم — ففزا بني كنانة ،
فأغار على بني فراس يَزْوَة ^(١) ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جذل ، فدعا عبد الله
إلى البراز ، فبرز إليه هيد بن خالد بن صفير بن الشريد ، فقال له عبد الله : مَنْ
أنت ؟ قال : أنا هيد بن خالد ، قال عبد الله ، أخوك أسن منك ، يريد مالك
١٠ آبن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشَدَّ عبد الله على مالك بن خالد فقتله ،
فبرز إليه أخوه كُزْز بن خالد بن صفير ، فشَدَّ عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشَدَّ عليه
أخوه عمرو بن خالد بن صفير ، فتجالدا طعنتين ، بفرح كل واحد منهما صاحبه
وتحاجزا .

(٢)

يوم القيفاء

١٥

سليم على كنانة

قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدُّهْن أويْدِرْكوا
نأهم من كنانة ، ففزا عمرو بن خالد بن صفير بن الشريد بقومه حتى أغار على

(١) كذا في مصم ما اسمهم البكرى - ويزوة (بضم أوله وإسكان ثانيه بعده راء) : موضع في ديار

٢٠ بني كنانة . وفي الأصول والعقد الفردي « برزة » بتقديم الراء على الزاى وهو محريف .

(٢) أصل القيفاء : المفازة لا ماء فيها وأطلقت على موضع .

بنى فراس، فقتل منهم قرا، منهم : حاصم بن المعلّى ، ونضلة ، والمعارك ، وعمرو
ابن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبي سبياً فيهم ابنة مكرم أخت ربيعة ، فقال
عباس بن مرداس في ذلك :

ألا ألفتني عني ابن جندل ورهطه * فكيف طلبناكم بكون ومالك
فدلة جمعناكم بجمعن وبأبته * وبأبن المعلّى حاصم والمعارك
ثمانية منهم ثارناهم به * جميعاً وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم - والموت ببنى مرادقا * عليكم - شباحة السيوف البواتك
تلوح بأيدينا كما لاح بارق * تلالاً في داج من الليل حالك

ذكر حرب قيس وتميم

يوم السؤبان^(٢) لبني عامر على بني تميم

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتلوا ، ورئس ضبة
حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأخته ، فأسره يزيد بن الصميق ،
وأنهزمت تميم ، فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشق على ضرار بن

(١) البراء : الكف .

(٢) كذا في كتاب الطائفة (ص ٣٨٦ طبع أوديا) وسيم ما استعجم البكري (ص ٧٥٩ طبع
أوديا) ورد فيه : « السؤبان بضم أوله وإسكان ثانيه يده باء معجمة بواحدة على وزن فلان : راد
في ديار بني تميم ... ويوم من أيام حرب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السؤبان ، وفي ذلك من عامر
ابن مالك ملاعب الأسة ، وفيه قزظيل ، قال أوس من حجر :

فودة أبو ليل طليل بن مالك * بمصرح السؤبان لو يتقمص
يلاب أطراف الأسة عامر * وماربه حظ الكتيب أجمع

ثم قال :

كانهم بين الشيط وصارة * وجرم السؤبان خشب مصرع =

عمرو القتيبي^(١١)، وهو الرديم^(١٢)، فقال لأبيه : إذا لم أغني عنى ، شئت عليه فطعته ،
فمحول عن ترجمه إلى جنب أبيه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيه : أغني
عنى ، ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لأبيه له آخر ، ففعل مثل ذلك . فقال :
ما هذا إلا ملأىب الأستة ! [فسمى عامر من يومئذ ملأىب الأستة^(١٣)] فلما
دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد اللب^(١٤) ؟ قال نعم ! قال : إنك
لن تصل إلى ومن هؤلاء من تطرف ، كلهم بنو عامر ، قال له عامر : فأجني
على فريك ، ففعل على حيش بن الدلف وقال : عليك بذلك العاوس ، فتد عليه
فأسره ، فلما رأى سواده وقصره . جعل يتفكر ، وخاف ابن الدلف أن يقتله .

== قوله : يتجمع ، أى يدخل القاسم . = ٥١ .

- ١٠ وفى سبب البلدان لما توت : « السلطان » بضم أوله وتشديد ثانيه . وهو سلطان من اللد والردن
زائدة : موضع بين البصرة والبصرة ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلطان بين مضمومة : يوم بين
بنى ضبة وبنى عامر مصحة طعن فيه ضرار بن عمرو القتيبي وأسر جيش بن دلف ففعل ذلك بها عامر
مالك ، وفى هذا اليوم سمى ملأىب الأستة^(١٥) .

- وردت فى النقد القريب (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاط) : « السريان » وورد هكذا أيضا فى النقد القديم
١٥ (ج ٦ ص ٤١ طبع طبعة الأستاذة بالقاهرة) بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العربان وكتب يمانه :
« كذا بالأصل ، ولا تفرقه » ووردت فى نسخة « السريوات » وفى نسخة ب « كذا » « الدوبات »
بإعمال بعض الحروف ، وقد تبين ما وضناه أن كلاهما عروف ، والصواب ما ذكرناه .

- (١) كذا فى كتاب القناض (ص ١٨٨ طبع أودبا) . وفى الأصول : « القيسى » وهو خطأ .
(٢) كذا فى كتاب القناض . وصحى « وديما » لأنه كان يحمل على بحر بن يقرن بينهما لفظة .
وفى الأصول : « الرديم » وهو تحريف .

- (٣) النكتة من النقد القديم (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاط) . وكتاب القناض (ص ٣٨٦ طبع أودبا)
وصحى ما استقيم ليكرى (ص ٧٥٩ صغ أودبا) .
(٤) اللب : موضع القصر من كل شئ .

فقال : ألسنت تريد اللب ؟ قال بل ، قال : فأنت لك به . وفادى حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصميق بألف ميسر ، [غداة الملوك ^(١)] فكثر مال يزيد ونبه .

قال أبو عبيدة : ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصميق على عصابة النعمان بندي كبان ، وذو لبان : من يمين العرينيين .

يوم أقرن

لبنى ميسر على بن دارم

قال : غزا عمرو بن عدس من بني دارم ، وهو فارس بن مالك بن حنظلة ، فأغار على بني ميسر ، فأخذ إبلًا ونساءً ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من قبة أقرن نزل فأبقى بجارية من السبي ، ولحقه الطلب فأقتلوا ، فقتل أس الفوارس بن زياد العبسي عمراً : وأنزمت بنو مالك بن حنظلة ، وقتلت بنو ميسر أيضاً حنظلة بن عمرو — وقال بعضهم : قُتِل في غير هذا اليوم — وأرثوا ما كان في أيدي بني مالك .

يوم المروت ^(٢)

لبنى العتير على بن قشير

أغار يميم بن سلمة بن قشير على بني العتير بن عمرو بن ميم ، فأتى الصريح بن عمرو بن ميم حتى لحقوه وقد نزل المزوت ، وهو يقسم المرباع ويبطل من معه ،

(١) كذا في المقد الفريد . وفي الأصول : « جاعة » .

(٢) التكة من المقد الفريد .

(٣) كذا في ميم ما استجم (ص ١١٧ طبع أدبا) وفي الأصول « شاة » .

(٤) المروت (فتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بالهالة بين ديار بني قشير وديار بني ميم .

(٥) كذا في كتاب الطائفة (ص ٧٠ طبع أدبا) وميم ما استجم الكبرى (ص ٢٤ طبع أدبا)

وفي الأصول والمقد الفريد : « بجر » بالميم المعجمة وهو تحريف .

قتلاحق القبوم وأقتلوا ، فعلن قَتْنَبُ بْنُ عَتَابِ المثلَّثُ بْنُ عامرِ القُشَيْرِيِّ فصرعه
فأسره ، وحمل الكدَامَ ، وهو يزيد بن أزيهر المازني على بجير بن سَلْبَةَ فطعننه فأرداه
عن فرسه ، ثم أسره ، فابصره قَتْنَبُ بْنُ عَتَابِ ، فحمل عليه بالسيف فضربه
فقتله ، وأهزم بنو عامر .

يَوْمُ دَارَةِ مَأْسَلٍ

لقيم حل قيس

- غزا عُبَيْدُ بْنُ شُتَيْرٍ بن خالد الكِلَابِي بنِي ضَبَّةَ ، فَأَمْتَقَ نَعْمَهُمْ ، وقتل
حُصَيْنَ بْنَ ضِرَارِ الضُّبِيِّ زَيْدَ الْفَوَارِسِ ، فجمع أبوه ضِرَارَ قَوْمَهُ وخرج نائراً بأبنيه
حُصَيْنَ ، وزَيْدَ الْفَوَارِسِ يومئذٍ حَدَّثُ لَمْ يَدْرِكْ ، فَأغار على بنِي عمرو بن كِلَابِ ،
وأفلت منه عُبَيْدُ بْنُ شُتَيْرٍ وأسر أباه شُتَيْرَ ^(١) [بن خالد] وكان شيخاً كبيراً ، فأتى به قَوْمَهُ
فقال : يَا شُتَيْرُ ، اختر واحدة من ثلاث ، قال : اعرضها عليّ ، قال : إنا أن ترد
أبى حُصَيْنًا ! قال : إني لا أنسر الموتى ! قال : وإنا أن تدفع إلى أبنك عُبَيْدَةَ
أقتله به ! قال : لا يرضى بذلك بنو عامر ، قال : وإنا أن أقتلك . قال : أما هذه
فعم ! فامر ضِرَارُ أبنه أذم أن يقتله ، فلبس قدمه ليضرب عنقه نادى شُتَيْرُ :
يَا آلَ عامر ، صبراً بصبي ! كأنه أنف أن يقتل بصبي ، فقال في ذلك شملة :
١٥

وخيرنا شُتَيْرًا مِنْ ثَلَاثٍ * وما كان الثلاثُ له خياراً

جعلتُ السيفَ بين اللَّيْتِ مِنْهُ ^(٢) * وبين قُصَايِصِ لِمَتِهِ حِدَارًا

(١) الكلمة من العقد الفريد .

(٢) الليت (بالكسر) : صفح المعنى .

أيام تميم على بكر يوم الوقيط^(١)

قال فراس بن خنيد : تجمعت الهازم لتغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب بن بسامة المتبري الأعور ، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني ثعلبة ، فقال لهم : أعطوني رسولا أرسله إلى بني النمر أوصيهم بصاحبكم خيرا ليولوه ما تولوني من البر . وكان حنظلة بن طفيل المزيدي أسيراً في بني النمر ، فقالوا : على أن توصيه ونحن حضور ، قال نعم ، فاتوه بسلام ، فقال : أيتموني بأحق ، وما أراه مبلفاً عني ! قال السلام : لا والله ما أنا بأحق ، وقُل ما شئت فأتى مبلفه ، فلا الأعور كفه من الرمل فقال : كم في كفى منه ؟ قال : شيء لا يحصى كثرة ، ثم أوما إلى الشمس فقال : ما تلك ؟ قال : هي الشمس ، قال : فأذهب إلى أهل فابلنهم عني التحية وقُل لهم : ليحسبوا إلى أسيرهم [ويكرموا] فأتى عند قوم محسنين إلى [مكرمين لي] وقُل لهم ليبروا جملي الأحمر : ويركبوا ناقتي البساء ، ويرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أن العويج قد أوزق ، وقد أشكت النساء ، وليمصموا همام بن بسامة فإنه مشثوم مخدود . ويطيما ابن الأخنس فإنه حازم ميمون .

(١) الوقيط : المكان الصلب الذي يستق في الماء ، أطلق على موضع .

(٢) الغار : الغافل .

(٣) في أمال القائل (ج ١ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية) « لجن بعيد أسود » وبعض عباراته تختلف عما هنا فراجع .

(٤) التكلة من كتاب المغاض (ص ٣٠٦ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٨١ طبع بلان) .

(٥) البساء : الناقة يتخالط بياضها شقرة .

(٦) العويج : شوك .

(٧) المخدود : الممدود .

قال : فأقام الرسول فاجتمع ، فقال بنو عمرو بن نعيم : ما نعرف هذا الكلام ،
 ولقد جئنا الأحرار ، والله ما نعرف له ناقة ميسرة ، ولا جلا أحر ! فتخص الرسول
 ثم تألمهم هذيل : يا بني العبر ، قد بين لكم صاحبكم ، إنما الرمل الذي قبض عليه فإنه
 يُخبركم أنه أتاكم عددا لا يحصى ، وأما الشمس التي أوما إليها فإنه يقول : إن ذلك
 أوضح من الشمس ، وأما جله الأحر فهو الصان : يا صركم أن تُمروه ، وأما نافته
 القباء فهي النخلاء ، يا صركم أن تمحروا فيها ، وأما أبناء مالك فإنه يا صركم أن
 تُسبنوا بني مالك بن زيد مائة ، وأن تمسكوا الحلف بينكم وبينهم ، وأما التويع
 الذي أوري ، فيخبركم أن القوم قد لبسوا السلاح ، وأما تسكن النساء فيخبركم أنهن
 قد جمعن جملا يزرون به .

- ١٠ قال : فتحرزت عمرو فركبت الدماء وأنذروا بني مالك فقالوا : ما ندرى
 ما تقول بنو عمرو ، ولست متعولين لما قال صاحبهم . قال : فصبحت القهازم
 بن حنظلة فوجدوا عمرا قد جلت ، وكان على الجوش أيجر بن جابر الصبل ، وشهدا
 ناس من بني تميم اللات ، وشهدا الفيز بن الأسود بن شريك في بني شيان ، فأقتلوا ،
 فأسير ضرار بن القطاع بن زُرارة ، وتنازع في أسره بشر بن العواء من تميم اللات ،
 والفيز بن الأسود فجروا ناصيته وخلوا أسره من تحت الليل ، وأسر عمرو بن قيس
 ١٥ من بني ربيعة بن عجل عجل بن المأمون بن شيان بن طلقمة من بني زُرارة ،
 ثم من طيه ، وأسيرت حمامة بنت الطود بن عيسد بن زُرارة ، وأشترك في أسرها
 الخطيم بن هلال ، وعطربان بن زياد ، وقيس بن خُلد ، ففرقوها إلى أهلها ، وأسر

(١) الصان : جل أحر في أرض بني تميم .

(٢) تمره : بني زحلوا .

(٣) الدماء : سبة أجبل من الرمل ، وهي ديار لامة تميم .

حظيفة بن المأمون بن شيبان بن قنقة ، أمره طلبة بن زيد أحد بن ربيعة بن
عجل ، وأسر حوثرة بن بدر من بني عبد الله بن دارم ، فلم يزل في الوثاق حتى قال
أبياتا يمدح فيها بني عجل فاطفوه ، وأسر نعم بن القنقاع بن معبد بن زُرارة ،
ومرو بن ناشب ، وأسر سنان بن عمرو أحد بن سلامة من بني دارم ، وأسر
حاضر بن قنرة ، وأسر الميم بن صمصمة ، وهرب جوف بن القنقاع عن أخوته ،
وتُحِلَّ حَكِيم الهَـشَلْ ، وكان يقاتل ويرتجز :

كُلُّ أَحْرَى مُصْبِحٌ فِي أَهْلِهِ • وَالْمَوْتُ أَتَى مِنْ يَمَانِكَ تَعْلِيهِ
وليه بقول عترة :

وَقَادَرْنَا حَكِيمًا فِي جَمَالٍ • صَرِيمًا قَدْ سَلَبَتْهُ الْإِزَارَا

يوم النِّبَاجِ وَيُتَلَّ^(١)
ليكر على تميم

قال أبو عبيدة مَـصْمَعُ بْنُ الْمُثَنَّى : غدا قيس بن عاصم في مَقَاصٍ وهو رئيس
عليها — ومَقَاصٍ هم : صريم ، وربيعة ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — ومنه سَلَامَةُ بْنُ ظَرِيبٍ بن نُسَـرِ الحِمْيَرِ
في الْأَجَارِبِ وهم : حنان ، وربيعة ، ومالك ، والأحرج ، بنو كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ، ففَزَوْا بَكَرَ بْنَ وَاثِلٍ فوجدوا بني ثَعْلَبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ ،
واللهازم وهم : بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن جُـلَيْمٍ ، ومرة بن أسد
ابن ربيعة بالنِّبَاجِ وَيُتَلَّ ، وبينهما دومة ، فتَنَازَعَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَسَلَامَةُ بْنُ
ظَرِيبٍ فِي الْإِفَارَةِ ، ثم أخفقا على أَنْ يُغَيِّرَ قَيْسٌ عَلَى أَهْلِ النَّبَاجِ ، ويُغَيِّرَ سَلَامَةُ عَلَى

(١) النِّبَاج : موضع قريب من نَجْل • وَيُتَلَّ : ماء على عشر مراحل من البصرة .

أهل قَيْل . قال : فبث قيسُ بن عاصم الأهم سبقة له — والسبقة : الطليعة —
فأثاه الخيلُ فلما أصبح قيس سقى خيله ، ثم أطلق أنفاه الروايا وقال لقومه : قَاتِلُوا
فِرَاقَ الْمَوْتِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَالْفَلَاحَةَ مِنْ وَرَائِكُمْ . فلما دَنَوْا مِنَ الْقَوْمِ صَبَحَا سَمِعُوا سَاقِبَا
يَقُولُ لَصَاحِبِهِ : يَا قَيْسُ ، أورد ، فضا ملوا به ، فأغاروا على النَّبَاجِ قبل الصَّبحِ ،
فقاتلوهم قتالا شديدا ، ثم إنا بكرا أَنهزمت ، فأمر الأهم حُرَّانَ بْنَ بَشْرٍ بن عمرو
ابن مرثد ، وأصابوا غنائم كثيرة ، فقال قيس لأصحابه : لا مقام دون الثَّيْلِ ،
فالنَّجاة ، فاتوا قَيْلَ ولم يغزوا سلامة وأصحابه بعد ، فأغار عليهم قيسُ بن عاصم
فقاتلوه ثم أَنهزموا ، فأصاب إبلا كثيرة ، فقال ربيعة بن طريف :

فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ • فَأَنْتَ لَنَا عَزِيزٌ وَمَوْثِقٌ
وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتُ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ • وَقَدْ عَصَلْتُ مِنْهَا النَّبَاجَ وَتَيْتَلُ ١٠
فَدَاةً دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ • كَرَادَيْسٍ يَزِيحِيهِنَّ وَرَدُّهُ مُجَلُّ
وَقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ قَيْسٍ بن عَاصِمٍ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدْ رَأَى • رَشَيْتَلْ أَحْيَاءَ اللَّهَازِمِ حَضْرًا
فَصَبَحَهُمْ بِالْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ • فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْأَيْسَةَ مَصْدَرًا
عَلَى الْجُرُودِ يَطْلُكُنَّ الشَّكِيمَ عَوَاسِيًا • إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ تَحَدَّرًا ١٥
فَلَمْ يَرَهُمَا الرَّامُونَ إِلَّا بَحْأَةً • نَحْنُ عَجَابًا بِالسَّيَاكِ أَكْثَرًا

(١) حربه : طلب ماله .

(٢) عسلت الأرض بأهلها : إذا خافت بهم لكثرتهم .

(٣) كراديس : جمع كردوس ، وهي الخيل الطليعة ، وتبيل : القطعة من الخيل الطليعة

(٤) المواد : جمع مزادة ، وهي الرواية :

(٥) فرس أجرد : قصير الشعر ، وقيل : الأجرد : الذي رقق شعره وقصر ، وهو مدح .

(٦) الشكيم في الحمام : الحديدة المسترنة في فم القرس التي فيها الفأس .

سَنَاهُمْ بِهَا الذِّبْقَانِ قَيْسُ بْنُ حَاصِمٍ • وَكَانَ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
وَمُحَمَّدَ بْنَ أَدْنَةَ ابْنَ رِمَاحَةَ • فَتَنَزَّعَ غُلَا فِي ذِرَاعَيْهِ أَتَمَّوْا
وَجَنَاهُ الدُّعْبَلُ قُدْنَاهُ عَنُوءَ • إِلَى الْحَىِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرَا

يوم زُرُود^(١) الثاني

لبنى يربوع على بن تغلب

أَفَارَ خُرَيْمَةُ بْنُ طَارِقِ التَّغْلِبِيِّ عَلَى بَنِي يَرْبُوعٍ وَهُمْ زُرُودٌ، فَأَقْتُلُوا قَتَلَا شَدِيدًا،
ثُمَّ أَنَهَزَتْ بَنُو تَغْلِبَ، وَأَسَرَّ خُرَيْمَةُ بْنُ طَارِقٍ، أَسْرَهُ أُنَيْفَ بْنَ جَبَلَةَ الضَّبِّيَّ
— وَهُوَ فَارَسُ السَّلِيطِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ قَبِيلًا فِي بَنِي يَرْبُوعٍ — وَأَسِيدُ بْنُ حَنَاءَةَ
السَّلِيطِ، فَتَنَازَمَا فِيهِ، فَخُفَّيَا بَيْنَهُمَا الْحَارِثُ بْنُ قِرَادَ، فَحُكِمَ بِنَاصِبِ خُرَيْمَةَ
لِلْأُنَيْفِ، عَلَى أَنَّ لَأَسِيدَ عَلَى أُنَيْفٍ مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ • قَالَ : فَقَدَى خُرَيْمَةُ نَفْسَهُ
بِمَاتِي بَعِيرٍ وَفَرَسٍ، فَقَالَ أُنَيْفُ :

أَخَذْتُكَ قَسْرًا يَا خُرَيْمَ بْنَ طَارِقِ • وَلَاقَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ زُرُودِ
وَعَاتَقْتُهُ وَالْحَيْلُ تَدْمِي مُحُورَهَا • فَأُتِلَتْهُ بِالْقَاعِ هَبِيرَ حَمِيدِ

يوم ذِي طُلُوحِ^(٢)

لبنى يربوع على بكر

كَانَ عَمْبِرَةُ بْنُ طَارِقِ بْنِ حَصِينَةَ بْنِ أَرِيمَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مُعَلِيَةَ، تَزَوَّجَ مَرْيَمَةَ بِنْتَ
جَابِرٍ، أُخْتُ أَبِجَرَ بْنِ جَابِرِ الْعَبْجَلِيِّ، فَأَبْقَى بِهَا فِي بَنِي عَجَلٍ، فَأَتَى أَبِجَرَ أُخْتَهُ أَمْرَأَةً

(١) زُرُود : رمال يطرئ الحاج من الكوفة .

(٢) التَّغْلِبِ : التَّغْلِبِ .

(٣) ذُو طُلُوحِ : موضع في حِمْيَرَ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنَ الْكُوفَةِ وَفِيهِ .

عميرة يزورها فقال لها : إلى لأرجو أن آتيك بيت التطف أسراة عميرة التي
 في قومها، فقال له عميرة : ارضى أن تحاربي وتسلمي، فتدبم أيجر وقال لعميرة :
 ما كنت لأغزو قومك، ثم غزا أيجر والخورزان متساندين ، هذا فيمن تبعه من
 بني شيان، وهذا فيمن تبعه من الهازم، وساروا بعميرة معهم قد وكل به أيجر أخاه
 حرقصة بن جابر، فقال له عميرة : لو رجعت إلى أهل فأحتلمهم، فقال حرقصة :
 افضل، فكر عميرة على ناقته، فسار يومين ليلة : أتى بني يربوع، فاندوهم الجليش،
 فأجتمعا حتى اتفقوا بأسفل ذي طلوح ، فكان أول فارس طلع عليهم عميرة ،
 فنادى : يا أيجر، ألم فقال من أنت؟ قال : أنا عميرة، فكذب، فصر من وجهه،
 فصره، فأقبل إليه، وألقت الخيل بالليل، فأسير الجليش إلا ألقهم، وأسر حنظلة
 ابن بشر بن عمرو بن حدس بن زيد بن عبد الله بن دارم — وكان في بني يربوع —
 الخوزان بن شريك، أخذه معه أبو مليل^(١)، وأخذ ابن طارق سودة بن يحيى
 ابن عم أيجر، وأخذ أبو عنة الضبي الشاهر مع بني شيان، فأفقه مقيم بن نورية،
 وأسير شريك بن الخوزان، وأسود وقلحس، وهما من بني سعد بن مهاب، فقال
 جريرد كز يوم ذي طلوح :

١٥ ولما لقبتا غيل أيجر تدعى • يدعوى لجسم قبل ميل القواني
 صبرا وكان الصبرينا حجة • بأساينا تحت الظلال الخواني
 فلما رأوا أن لا هودة عندنا • دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

(١) كذا في كتاب القاضي . وفي الأصول والقند القريد : «أبرطيك» .

يَوْمُ الْحَاذِرِ وَهُوَ يَوْمُ مَلْهَمٍ

لبنى يربوع على بن بكر

وذلك أن بنى مُثِلَ عبد الله بن الحارث بن ماض بن حُيَيد ، وعقمة أخاه
أطلقا يطلبان إبلًا لما حَقَّ وردا ملهَم من أرض النجاة ، ففرج عليهما فَرٌّ من بنى
يشكر ، فقتلوا عقمة وأخذوا أبا مُثِل ، فكان صلحهم ما شاء الله ثم خلَّوا سبيلَه ،
وأخذوا عليه عهدا وميثاقا ألا يُخَيَّرَ بأمر أخيه أحدًا ، فأتى قومه فسالوه عنه
فلم يخبرهم ، فقال وَرَّةُ بْنُ حَمْزَةَ : هذا قد أخذَ عليه عهدٌ وميثاقٌ ، يفرجوا بخصون
الأثرو بينهم شهابُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ حتى وردوا ملهَم ، فلما رآهم أهل ملهَم تحصنوا ،
فخوفت بنو يربوع بعضَ زرعهم ، وحقروا بعضَ ثملهم ، فلما رأى ذلك القومُ
نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمت بنو يشكر ، وقتل عمرو بْنُ صابر صَبْرًا ، ضربوا حنقه ،
وقتل عينةُ بْنُ الحارث بن شهاب بن مُثَلِّم بن حُيَيد بن عمرو رجلاً آخر منهم ،
وقتل مالكُ بْنُ نُؤيرة حُمرانَ بن عبد الله وقال :

طلبنا يسوم مثل يومك طلقًا • لعمري لمن يَسَى بها كان أكرمًا
فتلنا يحجب العريس عمرو بن صابر • وحمران أقصد قاهنًا والمثلما
فَلله عينا من رأى مثل خيلنا • وما أدركت من خيلهم يوم ملهَم

يَوْمُ الْقَمَحِ وَهُوَ يَوْمُ مَالِةٍ

لبنى يربوع على بكر

أفارت بنو أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان على بن يربوع ورئيسهم مجبة
ابن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلًا لما صم بن قوط أحد بنى حميد ، وأطلقوا ، فطلبهم

(١) ملهم : قرية بالجمالة لبنى يشكر وأغلط من بكر .

بنو يربوع، فناوشوم، فكانت الدائرة على بنى ربيعة، وقتل المنهال بن عصمة
 المحبة بن ربيعة، فقال في ذلك ابن حُرَّان الرياحي :
 وإذا لَقِيتَ القومَ فأطعنْ فيهم • يومَ النَّقاءِ كَطَعْنَةِ المنهالِ
 تركَ المحبةَ للضَّباجِ مجذلاً • والقومُ بين سوافلِ وعوالِ

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغارَت طوائف من بنى يربوع على بنى أبى ربيعة برأس العين فاطردوا النعم،
 وآتبعهم معاوية بن فراس في بنى أبى ربيعة فادركوهم، فقتل معاوية وفاتوا بالإيل،
 فقال صبيح في ذلك :

أليس الأكرمون بنو رياح • تموى منهم عُمى وحلى
 هم قتلوا المحبة وابن تيم • تُسوحُ عليهم سُودُ المآلِ
 وهم قتلوا عميدَ بنى فراس • برأس العين في الميِّجِ الخوالِ
 وفادوا يوم طخفة عن حِمام • ذبادَ غرائبِ الإيلِ النبالِ

يوم العظالي

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الأفاقة ويوم الإباد ويوم مُلَبَّحة.
 قال : وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يجهزونهم ويجهزونهم،
 فاقبلوا من عند عامل من التمر في ثلثائة فارس متساندين، يتوقعون أحدار بنى يربوع
 في الحزن — قال : وكانوا يشنون خفافا فإذا آتقطع الشتاء انحدروا إلى الحزن —

(١) سمي يوم الظالي لأنه تماثل على الرئاسة بسطام وعافى بن قبيصة وشروق بن عمرو في هذا اليوم .

قال : فاحتمل بنو عتية وبنو عبيد وبنو زيد من بني سبط ، أول الحى ، حتى أسهلوا بطن مليحة ، فطلعت بنو زيد في الحزن حتى حلوا الحديقة بالأفاقة ، وحلت بنو عبيد وبنو عتية بروضة التمد . قال : وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الحصى ، ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاماً شاباً من بني عبيد يقال له قرط بن أخطب ، فصرفه بسطام فقال له : أخبرنى ما ذاك السواد الذى أرى بالحديقة ؟ قال : هم بنو زيد . قال : أسيد بن حنادة ؟ قال : نعم ، قال : كم هم ؟ قال نحسون بيتا ، قال : فابن بنو عتية وبنو أريم ؟ قال : نزلوا روضة التمد . قال : فابن سائر الناس ؟ قال : هم محتجزون بجفاف . قال : فن هناك من بني عاصم ؟ قال : الأخبير وقنّيب ومعدان أبناء عصمة . قال : فن فيهم من بني الحارث بن عاصم ؟ قال : حصين ابن عبد الله . فقال بسطام لأصحابه : أطيعونى تقبضوا على هذا الحى من زيد ، وتصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يننى صنا بنو زيد لا يودون رحلتنا . قال : إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مغروق : انتفخ صحرى يا أخا الصبيان ، قال له هانى : أجبنا . قال : ويلكم إن أسيداً لم يظله بيت قط شاتيا ولا فائظاً ، إنما بيته القفر ، فإذا أحسن بكم أحال على الشقراء ، فركض حتى يتعرف مليحة^(٢) ، فينادى : يا آل يربوع ! فركب فيلقاكم طمر^(١) ينسيكم الغنيمة ، ولا يصر أحدكم مصرع صاحبه ، وقد جئتمونى وأنا تابعكم ، وقد أخبركم ما أنتم لاقون غداً . فقالوا : نلتقط بنى زيد ، ثم نلتقط بنى عبيد وبنى عتية كما نلتقط الكأه ، ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد ، فيحولان بينه وبين بنى يربوع ، ففعلوا . فلما أحسن بهم أسيد ركب الشقراء ونرج نحو بنى يربوع ، فأبتدره الفارسان فطعنه

(١) جفاف ، وقسى جفاف الطير : أرض لاسد وحظلة واسعة فيها أماكن يكون فيها الطير .

(٢) مليحة : موضع فى بلاد بنى تميم .

أحدنا غالى نفسه في شق فأخطاه ، ثم كرّ راجعا حتى أشرف مليحة ، فتأدى :
 ١٢٩
 ١٣
 بأصباحه ! يا آل يربوع ، غشيم ، فلاحقت الخيل حتى توافقا بالعطالي ، فأقتلوا ،
 فكانت البائرة على بكر ، قُتِل منهم مغروق بن عمرو ، فدُفِن بشية مغروق ، وبه
 سُميت ، وغيره . وأما بسطام فألح عليه فارس من بني يربوع ، وكان دارعا على ذات
 النسوع ، وكانت إذا أجبت ^(١) لم يتعلق بها شيء من خيلهم ، ففاقت الطلب حتى
 أتى قومه .

يوم الغبيط

لبنى يربوع على بكر

- ويقال له يومُ الثعالب . قال : ضرا بسطامُ بنُ قيس ، ومغروق بن عمرو ،
 والحارث بن شريك — وهو الحوفزان — بلاد بني تميم ، وهذا اليوم قبل يوم
 ١٠ العطالي ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن صدق
 ابن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فلذلك قيل له يومُ الثعالب . وكان هؤلاء
 جميعا متجاورين بصحراء فليج فأقتلوا ، فأنهزمت الثعالبُ ، فاصابوا فيهم وأستاقوا
 إبلا من نعمهم ، ولم يشهد حنينة بن الحارث بن شهاب هذه الواقعة لأنه كان نازلا
 يومئذ في بني مالك بن حنظلة . قال : ثم أسروا على بني مالك ، وهم بين صحراء فليج
 ١٥ وبين الغبيط ، فأكنسحوا إليهم ، فوكبت عليهم بنو مالك ، فيهم حنينة بن الحارث
 ابن شهاب ، ومعه فارسان من فرسان بني يربوع ، وتأنف اليهم الأجمعونُ جده الله ،
 وأسيد بن حنمة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الراحي — وهو رئيس

(١) ذات النسوع : فرس بسطام . (٢) أجبت : ملكت الطريق الومر .

(٣) الثعالب : أسماء قبائل اجتمعت فيه . (٤) صحراء فليج : واد لبني النضير بن تميم ،
 يقع أسفل الدهناء . (٥) تأنف : يريد تيهيم وتحولهم مثل تأنف الأتافي الرماة .

بن يربوع وربيعة، والخليل، وعمارة، بنو عتبة بن الحارث، ومعدان وعصمة
أبنا قعنب، ومالك بن نؤيرة، والمنهل بن عصمة أحد بني رياح بن يربوع، وهو
الذي يقول فيه متم بن نؤيرة في شعره الذي يرى به أخاه مالكا :

لقد كفن المنهل تحت رداءه ففى غير ميطان العشيات أروعا

فأدركهم بغيطة المدرة، فقاتلهم حتى هزمهم، وأدركوا ما كانوا استاقوا من
أموالهم، وأسير بسطام، أسره عتيبة، فلم يزل عنده حتى قاضى نفسه . قيل : إنه
فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا، ولم يكن غيره حكافلى أعلى فداء منه، حل
أن جزأ نصيبه وعاهده ألا يغزو بنى شهاب أبدا .

يوم مُحْطَط

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوقران الحارث متساندين يقودان
بكر بن وال، حتى وردوا على بنى يربوع بالفردوس، وهو بطن لإباد، وبينه وبين
مُحْطَط ليلة، وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمُحْطَط، فآتفتوا، فانهزمت بكر،
وهرب الحوقران وبسطام فقاتا ركضا، وقُتِلَ شريك بن الحوقران، قتله شهاب
أبن الحارث أخو عتيبة، وأمر الأحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني .

يوم جدود

غزا الحوقران وهو الحارث بن شريك فأغار على من بالقاعة من بنى سعد بن
زيد مناة، فأخذ ثَمًا كثيرا ونساء فبهن الزرقاء من بنى ربيع بن الحارث، فأعجب
بها وأعجبت به، فلم يتالك أن وقع بها، فلما انتهى إلى جدود منهم بنو يربوع^(١)

(١) جدود : اسم موضع في بلاد بنى تميم قريب من حزن بن يربوع على سمت الحماة، فيه الماء.

الذى يقال له الكلاب .

أَبْنُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَرِدُوا الْمَاءَ ، وَرَيْسُهُمْ عَتِيَّةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، فَفَاتَلَوْهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لِبْنِي بِكَرْبِهِمْ يَدٌ ، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي يَرْبُوعَ بَعْضَ غَنَائِهِمْ حَتَّى يَرْتَدُّوا الْمَاءَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَأَجَازَوْهُمْ ، فَلَمَّا آتَى الصَّرِيحُ بْنُ سَعْدٍ ، رَكِبَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ بِالْأَشْجِينِ^(١) ، فَطَلَعَ قَيْسُ عَلَى الْحَوْقَرَانِ ، وَوَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ رَدِيحًا عَلَى فَرْسِهِ الزَّيْدِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بِحَيْثُ يَكَلِّمُ الْحَوْقَرَانِ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ : يَا أَبَا حَمَادٍ ، أَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ، قَالَ لَهُ : مَا يَشَاءُ الزَّيْدُ ، فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ أَنَّ فَرْسَهُ لَا يَلْحَقُهُ نَادَى الزَّرْقَاءَ فَقَالَ : مِيلِي بِهِ يَا جَمَارُ ، فَخَرَّ الْحَوْقَرَانِ قُرُوتَهَا بِالسَّيْفِ وَدَفَنَهَا بِمَرْفَقِهِ وَأَلْقَاهَا عَنْ عَجْزِ فَرْسِهِ فَرَدَّهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي رَيْبَعٍ .

يَوْمُ سَقَوَانَ

١٠ قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سَقَوَانَ ، فزعمت بنو شيبان أنه لم، وأرادوا أن يُحْلُوا نَمِيحًا عَنْهُ ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو تَمِيمٍ وَشَلُومٍ حَتَّى بَلَّغُوا الْمَحْدَثَ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَعَّدُونَ بَنِي مَازِنَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَدَّاعُ الْمَازِنِيُّ :

١٥ رُوَيْدًا بَنِي شَيْبَانَ بَضْ وَعِيدِكُمْ • تَلَّاقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَقَوَانَ
تَلَّاقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى • إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي الْفَتَا الْمُتَدَايِ
عَلَيْهَا الْكُفَّةُ الْفَرُّ مِنْ آلِ مَازِنٍ • لُبُوثُ طِعَانٍ كُلِّ يَوْمٍ طِعَانٍ
تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ • عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ

(١) كَمَا فِي الْمَقْدَدِ الْقَرِيدِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْغَزَى بِمَجْرَمِهِمْ يَدٌ » .

(٢) الْأَشْجَانِ ، فِي بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ بِالْبَحْرَيْنِ دُونَ هَجْرٍ .

مَقَادِيمُ وَمَا لَوْ أَنَّ فِي الرُّوحِ خَطُومُهُمْ • يَكَلِّ رَفِيقِي الشَّفْسَرَتَيْنِ يَمَانِ
إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ • لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَلِّ

١٢٧
١٣

يوم نقا الحسن

وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان

فيه قتل بسطام - قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس
أبن خالد - وقيس بن مسعود هو ذو الجذنين ، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة
ابن أذ بن طابخة - فأغار على ألف بعير لمالك بن المتفق فيها فحلفها قد قفا عينه ،
وكان في الإبل مالك بن المتفق ، فركب فرسا له ونجا ركضا حتى إذا دنا من قومه
نادى : يا صَبَاحَاهُ ، فركبت بنو ضبة ، وتبداعت بنو تميم ، فلاحقوا بالنقا ،
فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه : أيهم رئيس القوم ؟ قال : حاميتهم
صاحب الفرس الأدهم - يعني بسطاما - فعلا عاصم عليه بالرمح فطعنه ، فلم تخطئ
صماخ أذنه حتى خرج الرمح من الناحية الأخرى ونحر . فلما رأى ذلك بنو شيبان
خللوا سبيل النعم وولوا الأدبار ، فن قتل واسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس
أخا بسطام في سبعين من بني شيبان : وقال شملة بن الأخضر بن هبيرة :

وَيَوْمَ شَقَائِقِ الْحَسَنِ لَأَقْتُ • بَنُو شَيْبَانَ أَجَالًا قِصَارًا
شَكَاكَ بِالرَّمَاكِ وَهَرَبَ زُورٌ • صِمَاتِي كَبَشْتِهِمْ حَتَّى اسْتَدَارَا

أيام بكر على تميم

يوم الزورين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنزع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى
بها إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصيبونها ولا شيئا يظفرون به
(١) الشقيقة : كل جد (فتح الجيم المعجمة وسكون الميم) بين حلى رمل . والجد : غلط وصلاة .

إلا اكتسعوهم، فقال بنو تميم : امتعوا هؤلاء القوم من رعي أرضكم ، فحشدت
 تميم ، وحشدت بكر وأجتمعت ، فلم يتخلف عنهم إلا الحوْفَران بن شريك
 في أناس من بني ذهل بن شيبان ، وكان فازياً ، فقدمت بكر عليهم عمراً الأصم
 أبا مفروق — وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن
 شيبان — فحسد سائر ربيعة الأصم على الرياسة ، فاتوه فقالوا : يا أبا مفروق ،
 إنا قد زحفتنا تميم وزحفوا لنا أكثر ما نتأ وكانوا قط . قال : فما تريدون ؟ قالوا :
 نريد أن نجعل كل شيء على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنعرف غناء كل قبيلة ،
 فإنه أشد لأجتهاد الناس . قال : والله إني لأبغض الخلاف عليكم ، ولكن
 يأتي مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له مفروق :
 ليس هذا أراذوا ، وإنما أرادوا أن يخذعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك ،
 والله إن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل بذلك أبداً ، ولئن ضُفرك لا تزال
 لنا رياسة تُعرف بها ، فقال الأصم : يا قوم ، قد استشرت مفروقاً فرأيتُه مخالفاً لكم ،
 ولستُ مخالفاً رأيه وما أشار به . فاقبلت تميم ببجائن مجلّين مقرونين مقبدين وقالوا :
 لا نؤيّل حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزوَّيران ، فأخبرت بكر بقولهم الأصم فقال :
 وأنا زوَّيركم إن خشوها تخشوني ، وإن عقروها فأعقروني ، قال : وألقى القوم
 فأقتلوا قتالاً شديداً . فأمرت بنو تميم حراث بن مالك أخا بني مرة بن همام .
 فركض به رجلٌ منهم وقد أردفه ، فأتبعه أبشع قتادة بن حراث حتى لحق الفارس
 الذي أسر أباه ، فطعنه فارداه عن فرسه ، واستنقذ أباه ، ثم أنهزمت بنو تميم .
 وقال رجلٌ من بني سدوس :

يَا سَلْمُ إِنَّ تَسَالِي عَنَّا فَلَا كَشْفُ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَتَنَا بِالْمَقَارِبِ

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبَّحَتَا • جيشَ الرُّومِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِفِ
ظَلُّوا وَظَلَلْنَا نَكْرَ الْحَيْلِ وَسَطَهُمْ • بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالْمُرْدِ الْغَطَارِيفِ

يَوْمَ الشَّيْطَانِ

لِبَكْرِ عَلَى تَمِيمٍ

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام — قبل أن يسلم أهل نجد والمراق —
سارت بكر بن وائل إلى السواد وقالت : نغير على بني تميم بالشَّيْطَانِ^(١) ، فإن في دين
أبن عبد المطلب أنه من قتل نفسا قُتِلَ بها ، فنغير هذه الغارة ثم نُسلم عليها .

فَارْتَحَلُوا مِنْ لَعَلَّهم بِالْزَّرَارَى وَالْأَمْوَالِ ، فَأَتَوْا الشَّيْطَانِ فِي أَرْبَعٍ ، وَبَيْنَهُمَا
مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةِ أَمِيْنَالٍ فَسَبَقُوا الْخَبَرَ فَصَبَّحُوهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَرِئِيسُهُمْ يَوْمُئِذٍ
يُشْرُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْحَذَيْنِ ، فَقَتَلُوا بَنِي تَمِيمٍ قَتْلًا ذَرِيْعًا وَاخْتَفَا
أَمْوَالَهُمْ . قَالَ : قُتِلَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الشَّيْطَانِ وَلَقَعَ سِتْمَانَةُ رَجُلٍ ، قَالَ : نُوْفِدَ
وَقَدْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ! فَأَبَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَوْمَ صَعْفُوقٍ

لِبَكْرِ عَلَى تَمِيمٍ

أُظَارَتْ بَنُو رِبْعِيَّةَ عَلَى بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعَ يَوْمَ صَعْفُوقٍ ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ أَسْرَى ،
فَاتَى طَرِيفُ بْنُ تَمِيمٍ الْعَنْبَرِيَّ فَرَوَّهَ بَنُ مَسْعُودٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ بَنِي رِبْعِيَّةَ ، فَقَدَى
مِنْهُمْ أَسْرَى بَنِي سَلِيطَ وَرَهْنَهُمْ أَبْنَهُ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا أَبْنَهُ .

(١) الشَّيْطَانُ : وَادِيَانِ .

يَوْمُ مَبَايِضَ

لبكر بن تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفرسان إذا كانت أيام حَكَاظَ في الشهر الحرام ،
وَأَمِنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، تَقَنَّنُوا كَيْ لَا يُعْرِفُوا ، فَكَانَ طَرِيفُ بْنُ تَمِيمٍ لَا يَتَقَنَّنُ ، فَوَافَى
حَكَاظَ وَفَدَّ كَشَفَتْ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ ، وَكَانَ طَرِيفٌ قَدْ قَتَلَ شَرَاهِيلَ الشَّيْبَانِيَّ أَحَدَ
بَنِي عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ نَحْبِيصَةُ : أَرُونِي طَرِيفًا ، فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ ، فَتَأَمَّلَهُ وَنَظَرَ
إِلَيْهِ ، فَقَطَّنَ لَهُ طَرِيفٌ فَقَالَ : مَا لَكَ تَنْظُرُ ؟ فَقَالَ : أَتَوَسَّعُكَ لِأَهْرَفِكَ ، فَلَهُ
عَلَى : إِنْ لَقَيْتُكَ أَنْ أَقْتُلَكَ أَوْ تَقْتُلَنِي .

قال : فمضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بني عاتدة حَلَفُوا بِبَنِي رَبِيعَةَ بْنِ ذُهْلٍ ،
نَحْرَجَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَصِيدَانِ ، فَعَرَضَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، فَذَعَرَ طَلِيحًا
صَيْدَهُمَا ، فَوَثَبَا عَلَيْهِ فَقَتَلَاهُ ، فَشَارَتْ بَنُو مُرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ بِبَنِي شَيْبَانَ يَرِيدُونَ
قَتْلَهُمَا ، فَأَبَتْ بَنُو رَبِيعَةَ ذَلِكَ طَلِيحًا ، فَقَالَ هَانِئُ بْنُ مَسْعُودٍ : يَا بَنِي رَبِيعَةَ ، إِنَّ
إِخْوَتَكُمْ قَدْ أَرَادُوا ظُلْمَكُمْ فَأَنَازَلُوا عَنْهُمْ ، فَفَارَقُوهُمْ ، وَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِمَبَايِضَ :
— مَا لَمْ — فَأَبَى عَبْدُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَسَارَ إِلَى بِلَادِ تَمِيمٍ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ
حَيًّا جَدِيدًا ، أَيْ مَتَّقِيٍّ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ زُوِّلَ عَلَى مَبَايِضَ وَهُمْ
بَنُو رَبِيعَةَ ، فَقَالَ طَرِيفُ الْعَنْبَرِيُّ : هَؤُلَاءِ فَارَى يَأْتِي تَمِيمَ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ
أَبُو الْجَدِطَاءِ أَخُو بَنِي طُحَيْفَةَ ، وَجَاءَهُ فَدَكِيَّ بْنُ أَجْبَدَةَ الْمُتَقَرِّيِّ فِي جَمْعٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ
زَيْدِ مَتَاةَ ، فَأَنذَرَتْ بِهِمْ بَنُو رَبِيعَةَ ، فَأَنَازَلَهُمْ هَانِئُ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَهُوَ رُئِيسُهُمْ ،
إِلَى عِلْمِ مَبَايِضَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ وَشَرَّفُوا بِالْأَمْوَالِ وَالْمَرْحِ ، وَصَبَّحَتْهُمْ تَمِيمٌ ، فَقَالَ لَهُمْ

(١) أَنَاذَرُوا : أَفْضَلُوا .

(٢) السَّرْحُ : الْمَالُ الرَّامِي .

طرف : اطمعوني وافرعوا من هؤلاء الأكلب يَصِفُ لكم ما وراءهم ، فقل
 لهم اوالجدا ، - رئيس حنظلة - وقد كن - رئيس بنى سعد بن زيد مناة :
 اقاتل اكلبا اخرزوا انفسهم وترك اموالهم ؟ ما هذا برأى ا وابوا عليه . وقال
 هاجن لاصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، ولحقتم تميم بالثمم والبقال فاغاروا عليها ،
 فلما ملأوا ايديهم من الغنيمة قال هاجن بن مسعود لاصحابه : احملوا عليهم ،
 فهزموهم . وقيل طريف العنبري ، قتله حمضة الشيباني .

يوم فيجات

لبكر على تميم

قال ابو عبيدة : لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتية بن الحارث إذ
 اسره يوم النبط باربعائة بسير فقال : لأدركن عقرايلى ، فاغار بفيجات ، فاخذ
 الربيع بن عتية وآستاق ماله ، فلما سار يومين شغلوا عن الربيع بالشراب ، فبال
 على قيده حتى لآن ، ثم خلعه وأخجل منه ، ثم أجال فى متن ذات النسوع - فرس
 بسطام - وهرب ، فركبوا فى أثره ، فلما يئسوا منه ناداه بسطام : يا ربيع ، هلم
 طليقا ، فابى ، وأتوه فى نادى قومه يحدّثهم ، فجعل يقول فى أثناء حديثه : ايها
 يا ربيع ! انج يا ربيع ! واقبل ربيع حتى انتهى الى أدنى بنى يربوع فإذا هو براع
 فآستسقاء وضربت الفرس برأسها فماتت ، فسمى ذلك المكان هبير الفرس ، فقال
 له أبوه عتية : أما إذ نجوت بنفسك فإنى مخلف لك مالك .

يوم ذى قار الأول

لبكر على تميم

قال : فخرج عتية فى نحو من خمسة عشر فارسا من بنى يربوع ، فكان فى جنبي
 ذى قار حتى صرت بهم إبل بنى الحصين ، وهى بالسدانة : اسمها لهم :

فصاحوا بمن فيها من الحامية والراية ، ثم آسفوها ، فأخلف للربيع ما ذهب له
وقال :

أَلَمْ تَرِنِي أَنَا تُ عَلَى رَيْسِيع • جَلَانًا فِي مَبَارِكِهَا وَخُورًا
وَأَيُّ قَدَرَكْتُ نَبِي حُصَيْنِ • بِذِي قَارِئُونَ الْأُمُورَا

يَوْمُ الْحَاجِزِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : نرج وائلُ بْنُ صُرَيْمِ الْيَشْكِرِيَّةِ مِنَ الْيَمَامَةِ ، فَلَقِيَهُ بَنُو أَسِيدِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، فَأَسْرَوْهُ وَجَعَلُوا يُمْسُونَهُ فِي الْمَاءِ فِي الرِّكْيَةِ وَيَقُولُونَ :

• يَا أَيُّهَا الْمُبَاغُحُ دَلَّوْى دُونَكَا •

حتى قَتَلُوهُ ، فَغَزَاهُمْ أَخُوهُ بَاثُ بْنُ صُرَيْمِ يَوْمَ الْحَاجِزِ ، فَأَخَذَ ثَمَامَةَ بْنَ بَاثِ
ابْنِ صُرَيْمِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسِيدٍ وَجِئَا فِيهِمْ فَقَتَلَهُ ، وَقَتَلَ عَلَى الْفَلَنَةِ مَائَةً مِنْهُمْ •

يَوْمُ الشَّقِيقِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أَغَارَ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرِ الْعِجْلِيِّ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَسَبَى
سَلِيمَى بِنْتَ مَحْمَنِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَبِجْرٌ ، فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو النَّجْمِ :

وَلَقَدْ كَرَّرْتُ عَلَى طُهَيْةٍ كَثْرَةً • حَتَّى طَلَفْتُ نِسَاءَهَا بِمَسَاءِ

ذِكْرُ حَرْبِ الْبُسُورِ

وهي حرب بكر وتغلب أبي والي

قال أبو المنذر هشامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ : لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُ كُلُّهَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ

٢٠ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ ، وَهُمْ : عَامِرُ بْنُ الظَّرِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ الْحَارِثِ .

١٢٩
١٣

وعامر هو قائد معد يوم اليباء حين تَمَدَّحِجَت مَدَحِج وسارت الى تهامة، وهي
أول واقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثاني : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن جبب بن
كلب وهو قائد معد يوم السُلان، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن -

والثالث : كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه : أعز من كليب وأل، وقاد
معدًا كلها يوم خزاز، فقصَّ جُوعَ اليمن وهزمهم ، واجتمعت عليه معدُّ كلها
وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحته وطاعته ، فغبر بذلك حينًا من الدهر، ثم دخله
زهو شديد وبقي على قومه حتى بلغ من بفيه أنه كان يحى مواقع السحاب فلا يرى
جماء ويقول : وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج، ولا توردد أبلى أحد مع إبله ،
ولا توقد نار مع ناره .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوج
جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقة يقال
لها : السراب ، وبها يضرب المثل في التشاؤم ، فيقال : « أشأم من السراب »
و « أشأم من الهمس » وهي معقولة بفناء بيتها في جوار جساس بن مرة، فزوت
بها إبل لكليب ، فلما رأت السراب الإبل تازعت عقالها حتى قطعته، وتبعته
الإبل وأختلطت بها حتى آتته الى كليب، وهو على الحوض، ومعه قوس وكنانة،
فلما رآها أنكرها ، فأتبعها بهمهم نغرم صرعها، فنصرت وهي ترغو ، فلما رأتها
الهمس قد قتت نمارها عن رأسها وصاحت : واذلاه ! وأجاراه .

ذكر مقتل كليب وائل

- قال : فاجتث جساسا ، فركب فرسا له مفرورا به ، وتبعه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن شيان على فرسه ، ومعه رُمحه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فطعن جساس فقصم صُلْبَه ، وطعن عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطْلَه ، فوقع كُليب وهو ينهض برجله وقال لجساس : أغني بشربة من ماء ، فقال له : تجاوزت شَيْثَا وَالْأَحْصَ ، ففى ذلك يقول عمرو بن الأَهم :

وَإِنْ كُليبًا كَانَ يَطْلُمُ قَوْمَهُ • فَأَدْرَكُهُ مُثَلِّ الذِّى تَرَيَاتِ
فَلَمَّا حَشَا الرِّيحُ كَفَّ ابْنَ عَمِّهِ • تَذَكَّرُ طَلَمَ الْأَهْلِ أَيْ أَوَانِ
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ أَغْنِنِي بِشَرْبَةٍ • وَإِلَّا لَخَيْرٌ مِنْ رَأَيْتِ مَكَانِي
فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَ وَمَاءَهُ • وَبَطْنُ شَيْثٍ وَهُوَ غَيْرُ زَوَانِ

وقال نابعة بنى جعد :

- الْبَغِ عَقَالًا أَنْ خُطَّةَ دَاحِسٍ • بِكَفِّكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقْدَمِ
كُليبٌ لِعَمْرِى كَانَ أَكْثَرَ نَاحِرًا • وَأَبْتَرِ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرْجَ بَالِدَمِ
رَجَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَقَرَّ بِطَعْنَةٍ • كَالْحَاشِيَةِ الْهَرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَمِّ
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ أَغْنِنِي بِشَرْبَةٍ • تَدَارَأُ بِنَا مِنْهُ عَلَى وَأَنْعِمِ
فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَ وَمَاءَهُ • وَبَطْنُ شَيْثٍ وَهُوَ دُرُّ مُتَوَسِّمِ

قال : فلما قُتِلَ كُليبٌ أَرْمَحْتُ بَنُو شِيَانٍ حَتَّى نَزَلُوا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّهْيُ ، وَتَشَمَّرَ الْمَهْلُولُ أَخُو كُليبٍ — وَأَسَمَهُ صِدْيُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَهْلُولُ لِأَنَّهُ

(١) شَيْث : ماء معروف لى قليب .

(٢) الْأَحْصَ : واد لى قليب .

أول من هلك الشعر ، أى أرقه — فاستمد المهلهل لحرب بكر ، وترك النساء
والفزل ، وحرم القهار والشراب ، وجمع اليه قومه ، فأرسل رجالا منهم الى بنى شيان
يعذر اليهم فيما وقع من الأمر ، فاتوا مرة بن ذهل بن شيان وهو فى نادى قومه ،
فقالوا له : انكم أنيسم عظيمًا بقتلكم كليبًا بن ناي من الإبل ، ففطعتم الرميم ،
وأتهمتم الحرمة ، وأنا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نصريض
عليكم خللا أربما ، لكم فيها مخرج ولنا مقنع ، قال مرة : ما هى ؟ قالوا : نجي
لنا كليبًا أو تدفع لنا جساسا قاتله فنقتله به ، أو هماما فإنه كفء له ، أو تمكنا من
نفسك فإنا نيك وفاة من دمه ، فقال : أما إحيائى كليبًا فهذا ما لا يكون . وأما
جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أى البلاد أحتوت
عليه . وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة ومع عشرة ، كلهم فرسان قومهم فلن
يسلموه لى فادفعه إليكم يقتل بجريرة غيره . وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة
فذا فاكون أول قتيل بينهما ، لما أتسجل من الموت ، ولكن لكم عندى خصلتان :
أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فملقوا فى عنق أبيهم شتم نسمة فأنطقوا به الى
رجالكم فأذبموه ذبح الجزور وإلا فأنف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من
بكر بن وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبدل لنا صغار ولدك وأسومنا
اللين من دم كليب .

٣

ووقعت الحرب بينهما ، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها ومومها ، وأعتزلت
قبائل بكر بن وائل ، وكريها بجامعة بنى شيان ومماصتهم على قتال إخوانهم ،
وأعظموا قتل جساس كليبًا بن ناي من الإبل ، فظعنن لحيم عنهم ، وكفت يشكر
عن نصرتهم ، وأقبض الحارث بن عباد فى أهل بيته ، وهو أبو يحيى وفارس
العمامة . وقال المهلهل يرثى كليبًا من أبيات :

٢٠

يَا تَبْلِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلًا • أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا أَنْ يَزُولَا
كَيْفَ أَهْدَى وَلَا يَزَالُ قَتِيلُ • مَنْ بَنَى وَائِلٌ يَنْسَى قَبِيلًا
فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ •

وقال أيضا يرثيه من أخرى :

تَعَى النَّمَاةُ كُلِّيًّا لِي فَقُلْتُ لَمَسْمَ • مَا لَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَلَّتْ رَوَاسِيهَا
الْقَائِدُ الْخَلِيلُ تَرْدَى فِي أَعْنَبِهَا • زَهَقُوا إِذَا الْخَلِيلُ لَجَّتْ فِي تَعَادِيهَا
مَنْ خِيلَ تَغْلِبَ مَا تَلَقَّى أَسْنَبَهَا • إِلَّا وَقَدْ خَضِبُوهَا مِنْ أَعَادِيهَا
يُزْهِزْهُنَ مَنْ انْطَلَقَ مُدْجِجَةً • كُنَّا أَنَا بَيْهَا زُرْقًا عَوَالِيهَا
تَرَى السَّرْمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتَوَرَّدَهَا • بِيضًا وَنُصَدْرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا مَنْ يُصَالِحُكُمْ • مَا لَاحَتِ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى جَبَارِيهَا

يَوْمُ النُّهْيِ

فَالْتَقُوا بِمَا يُقَالُ لَهُ : النُّهْيُ ، كَانَتْ بَنُو شَيْبَانَ نَازِلَةً عَلَيْهِ ، وَرَيْسُ تَغْلِبِ الْمَهْلَهْلُ ،
وَرَيْسُ شَيْبَانَ الْحَارِثُ بْنُ مَرَّةَ ، فَكَانَتْ الدَّائِرَةُ لِبَنِي تَغْلِبَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مَرَّةَ .

يَوْمُ الذَّنَابِ

ثُمَّ اتَّفَقُوا بِالذَّنَابِ ، وَهِيَ أَكْظَمُ وَفَعَةٍ كَانَتْ لَهَا ، فَظَفَرَتْ بَنُو تَغْلِبَ وَقَتْلَ مِنْ
بَكْرٍ مَقْتَلَةٍ بِعَظِيمَةٍ ، وَفِيهِ قُتِلَ شَرَاهِيلُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ هَمَامَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ
جَدُّ الْحَوْفَرَانِ ، قَتَلَهُ عَتَابُ بْنُ سَعْدَ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جِشْمَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي ذُهَلٍ مِنْ

(١) الْأَنْبَاءُ (بِالْجَمْعِ الْمَهْمَلَةِ ثَنِيَّةِ أَنْمَ) : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ نِجَافَ ، وَهُوَ رَادَى النِّجَافِ .

(٢) النُّهْيُ (بِالْكَسْرِ فِي لُغَةِ أَهْلِ مَكَّةَ) ، وَغَيْرُهُمْ يَقُولُهُ بِالْفَتْحِ : الْغَدِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَهُ
حَاجِزٌ بَيْنَ الْمَاءِ أَنْ يَخِيفَ مَعَهُ .

ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان ، وقتل من بنى قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الحرقين ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل في هودج ، فلحقه عمرو بن مالك بن القدوكس بن جشم فقتله .

يوم واردات

ثم اتفقوا يوم واردات وعليهم رؤسائهم الذين تقدم ذكرهم ، فظفرت بنو ثعلب ، واستحز القتلى في بنى بكر ، فيومئذ قتل الشعثان : شعم وعبد شمس أبنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسبيار بن الحارث بن سيار ، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه ، فتر به مهلهل مقتولا فقال : والله ما قتل بعد كليب قتل أحر على فقد منك يوم عينة .

يوم عينة

ثم اتفقوا بعينة ، فظفرت بنو ثعلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة . كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني ثعلب على بنى بكر ، فنها يوم الحنسو ، ويوم عورضات ، ويوم أنين ، ويوم ضرية ، ويوم القمصيات ، كلها لثعلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن يستقبلوا أحرهم .

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينهاها على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أَلَيْسَتْ بَذِي حُصْمٍ أَنِيرِي * إِذَا أَنْتِ أَتَقَضَّيْتِ فَلَا تُحَوَّرِي ^(١)
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَال لَيْلِي * فَقَدْ أَبَكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٢)

(١) الحارقة : حصة متصلة بالورك . (٢) استحز : اشتد .

(٣) ذوحجم : موضع . (٤) تحورى : ترجى .

(٥) الذناب : عن يسار رجة مصدا الى مكة . ومقتل كليب بالذناب ، وبها تهره .

فَلَوْ يُشِ الْمَافِرُ عَنْ كُليب * لِأَخْبَرَ بِالذَّنَابِ أَى زِير
وَأَى قَدْ تَرَكْتَ بَوَارِدَاتِ * بِحَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ^(١)
هَكَتُ بِهِ بِسُوتَ بَنِي عُجَادِ * وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشَقَى لِلصُّدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُليب * إِذَا بَرَزْتَ عُجَاةً الْخُدُورِ

وقال المهلهل أيضا وقد أشرف في الدماء :

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَّهْمٍ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَمْ أَحُدْ
آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ * حَتَّى أَهْرَجَ بَكْرًا إِنَّمَا وَجِدُوا
أَهْرَجُ : أَى أَدَمَهُمْ بِهَرَجًا ، لَا يُقْتَلُ بِهِمْ قَتِيلٌ ، وَلَا تُؤْخَذُ بِهِمْ دِيَةٌ .

وقال أيضا :

قَتَلُوا كُليبًا ثُمَّ قَالُوا ارْمُوا * كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِجْرَامِ
حَتَّى تَبِيدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ * وَبَعْضُ كُلِّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ
وَيُفْنِنُ رَبَاتُ الْخُدُورِ حَوَامِرًا * يَمْسَحُنَ عَرَضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ
حَتَّى يَبْعُثَ الشَّيْخُ بَعْدَ حَيِّمِهِ * يَمَّا يَرَى نَدْمًا عَلَى الْإِهْهَامِ

يَوْمُ قِصَّةِ

قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يُبَالِ بِأَى قَبِيلَةٍ مِنْ قِبَالِ بَكْرِ وَفَع ،
وكانت أكثر بكر قد مدت عن نصرة بنى شَيْبَانَ لِقَتْلِهِمْ كُليبًا ، وكان الحارث بن عُجَادِ
قد أعتل تلك الحروب ، حتى قُتِلَ أَبْنَاهُ يُحْيِرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عُجَادِ ، فلما بلغه قتله
قال : نعم القَتِيلُ قَتِيلٌ أَصْلَحَ بَيْنَ ابْنَيْ وَائِلَ ، وَظَنَّ أَنَّ الْمَهْلَهْلَ قَدْ أَدْرَكَ بِهِ نَارَ

(١) واردات : موضع عن يماو طريق مكة .

(٢) العير : الزعفران .

كُتِبَ وجعله كَفُؤًا له ، قليل له : إنما قتله بِشِئْع نَعْل كُتِبَ . وكان المهلهل قال
لَمَّا قَتَلَ بِجَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ : بُؤْ بِشِئْع نَعْل كُتِبَ ، فلَمَّا سَمِعَ الْحَارِثُ ذَلِكَ غَضِبَ ،
وكان له فُومس يقال له النعامة ، فركبها وتَوَلَّى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة
فيه على تغلب ، فتفرقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عُبَاد :

قَرَبًا مَرَبِطَ النَعَامَةِ مَنَى * لَقِيتَ حَرْبَ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِي

قَرَبًا مَرَبِطَ النَعَامَةِ مَنَى * شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرَنِي رِجَالِي

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَظِيمُ اللَّأ * لَهُ وَلِإِيٍّ يَحْزَمُهَا الْيَوْمَ صَال

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كثر فيها :

* قَرَبًا مَرَبِطَ النَعَامَةِ مَنَى *

في خمسين بيتا .

وكان أول يوم شهدته الحارثُ يومَ قِصَّة ، وهو يومَ تَخْلَاقِ اللَّيْلِ ، وفيه

يقول طُورُفَة :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا * بَقُونَا يَوْمَ تَخْلَاقِ اللَّيْلِ

يَوْمَ تُبْدَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَفِهَا * وَتُلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ

(١) أسوَف : جمع لساوق ، عجزت الواو فيه لتعمل الضمة ، أي يوم تكشف السماء البيض

من حيطانها من الفزع .

(٢) تُلْف : تجمع .

(٣) كذا في الأغاني (ج) ص ٤ طبع دار الكتب المصرية (وأعراج : جمع مرج (بالفتح

وبكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين ، أو هومةائة وخمسون وفوقها ، أو من

نخيلة إلى ألف . وفي الأصول : « أفراخ » .

(٤) النعم (بالتحريك وقد نسكن عنه) : الإبل .

يوم تحلاق اللّم

ويوم تحلاق اللّم، إنما سُمّي بذلك لأن الحارث بن عباد لما تولى الحرب قال لقومه : اجعلوا معكم نساءكم يكنّ من ورائكم ، فإذا وجدن جريحا منهم قتلوه ، وإذا وجدن جريحا منا سقيته وأطعمته ، فقالوا : ومن أين يميز لمن ؟ فقال : احلقوا رؤوسكم لئلا تزا بذلك ، ففعلوا ، فسُمّي به ، فقال بمحمد بن ضبيعة — وكان من شعبانهم — : اتركوا لمتي وأقتل لكم أول فارس يقدمهم ، فتركوه ، وهو الذي قتل عمرا وعامرا التغلبيان ، طعن أحدهما بسنان رجمه ، والآخر بزجه ، ثم صرع بعد ذلك ، فلما رآته نساء بكردون حلق ظنوه من تغلب فأجهزوا عليه .

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عباد المهلهل عدي بن ربيعة وهو لا يعرفه فقال له : دُلّني على عدي وأخبرني عنك ، فقال له عدي : عليك المهد بذلك إن دلتك عليه ، قال نعم ، قال فانا عدي ، فجز ناصيته وتركه وقال فيه :

هَلَفَ نَفْسِي عَلَى عِدِي وَلَمْ أَع * يَرِفْ عِدِيًّا إِذَا أُمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

وكان الحارث إلى الآن يصالح تغلبا حتى تكلمه الأرض ، فلما كثرت وقائمه في تغلب ورأت تغلب أنها ما تقوم له حفرها سرها تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلا وقالوا له : إذا مر بك الحارث ففزع بهذا البيت :

أَبَا مُنْذِرٍ أَقْبَيْتَ فَاسْتَبَقَ بِمَقْصِنَا * حَتَانِيكَ بَعْضُ الثَّرَاهُوتِ مِنْ بَعْضِ

فلما مر الحارث أندفع الرجل وغشي بالبيت ، فقيل للحارث قد بر بقسمك فأبقى بقية قومك ، فأمسك ، فأصطلحت بكر وتغلب .

(١) عالية الرمح : سنانه .

(٢) نزع الرمح : حديدته في أسفله .

ثم إن المهلهل فز بنفسه فزل بمذبح في بني جنب^(١) ، فخطبوا إليه أبنته ، وقيل
أخته ، فاجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أعزّز على قلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جُتَمِ
أنكحها قسداً الأراقم^(٢) في * جنب وكان الحباء من آدم
لَو بَابَاتِنِ جَاءَ يَخْطُبُنَّ * ضَرَجَ مَا أَنْفَ خَاطِبِ يَدَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَانِ الْكِرَامِ وَلَا * يُنَوْنَ فِي ذَلَّةٍ وَلَا عَمِ

ثم اشترى المهلهل عبيدين يفزوان معه ، ففزا بهما حتى طال عليهما ذلك ،
فأختارا الراحة منه ، فأجما على قتله بموضع فقير ، فلما شعر بما هما به ولم ير لنفسه
بلجاً قال لهما : أبلغا عني هذا المراسلة ، فقالا هات ، فقال :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بَأَنْ مُهْلَهلاً * لَه دَرْكَا وَدَرْ أَيْكَمَا

فلما قتلاه وأصرفا نحو بيته فقالا : مات بارض كذا وذكرا وصيته ، فلم يدر
أحد ما أراد ، فقالت أبنته : والله ما كان أبي ردى الشعر ، ولا سفساف الكلام ،
ولمّا أراد أن يخبركم أنّ العبدَيْنِ قتلاه ، ولَمّا معْنَى الْبَيْتِ :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بَأَنْ مُهْلَهلاً * أَخْنَى قَتَيْلاً بِالْقَلَا مُجْمَدَلاً

لَه دَرْكَا وَدَرْ أَيْكَمَا * لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يَقْتَلَا

فقتل العبدان بعد أن أقزا بذلك . وقيل : إنه أصبح قتيلا بين رجل يحمل
هاج . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) جنب : حى من مذبح ، وهم ستة رجال : منه والحارث والبل وسبحان وشمران وهفان ،

يقال لم جنب لأنهم جانبوا أحام مداه (راجع معجم البلدان لأقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أورد با) .

(٢) الأراقم : حى من قلب . (٣) أبانين : جبلان ، قيل : يقال لأحدهما : أبان

الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود .

الكلابُ الأول

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وطلبها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامها ، ارتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فاكل القوي الضعيف ، فرى أن نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوي ، ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيتنا ، ولكنتا تأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه [فذكروا له أمرهم] فلما علم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فزل بطن عاقل^(٢) .

ثم غزا بكر بن وائل حتى أتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة الحميين ، وملوك الشام الفسائيين ، وردهم إلى أقاصي أعمالهم ، ثم طعن في نيطة فات فدثن ببطن عاقل . وأختلف أبناء شُرَحْبِيل وسامة في الملك ، فتواعدا الكلاب ، فأقبل شُرَحْبِيل في ضبة والزباب كلها ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل . وأقبل سامة في تغلب واليمر وهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سُفَيان بن مُجاشع ، وعلى تغلب السفاح ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا إلى ماء الكلاب ، فسبقوا وزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر مع شُرَحْبِيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب ، وأستحروا القتل في بني يربوع ، وشد أبو حنشل على شُرَحْبِيل فقتله ؛ وكان شُرَحْبِيل قد قتل أبنته حَفْشا ، فأراد أبو حنشل أن يأتي برأسه إلى سامة ، فخافه فبعثه مع عسيف له ، فلما رآه سامة دمعت عيناه وقال له :

١٣٢
١٣

(١) النكبة من المقدّمين . (٢) عاقل : واد بجيد .

(٣) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : ما بين جبة وشام على سبع ليل من النجاة .

أنت قتله؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنّس، إنما أدفع الثواب الى قاتله، فهرب أبو حنّس منه، فقال سامة في ذلك :

الا ابلغ أبا حنّس رسولاً • فالك لا تجمي الى الثواب
تعلم ان خير الناس طرّاً • قتل بين احمجار الكلاب

يومُ الصفقة

وهو يومُ الكلاب الثاني

قال أبو عبيدة : كان يومُ الكلاب متصلاً بيوم الصفقة ^(١) . وكان من حديث الصفقة أن كسرى كان قد أوقع بني تميم ، فأخذ الأموال وسبي الذراري بمدينة حجر، وذلك أنهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير، فسُميت تلك الوقعة يوم الصفقة ، ثم إن بني تميم أداروا أمرهم ، وقال ذوالجهمي منهم : إنكم قد أغضبتم الملك ، وقد أوقع بكم حتى وهتم ، وتسامعت بما لقيتم القبائل ، ولا تأمنون دَورانَ العرب .

فجمعوا سبعة من رؤسائهم وشاوروهم في أمرهم ، وهم : أكم بن صيفي الأسدي ، والأخيمر بن يزيد بن مرة المازني ، وقيس بن حاصم المنقري ، وأبهر بن عصمة التيمي ، والتملح بن جساس التيمي ، وأمين بن عمرو السعدي ، والزيقان بن بدر السعدي فقالوا لهم : ماذا ترون؟ فقال أكم بن صيفي ، وكان يكنى أبا حنّس : إن الناس قد نافهم مالفينا ، ونخاف أن يطعموا فينا وإن قد نيفت على التسعين ، وقد نحل قلبي كما نحل جسمي ، وأخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم ، فليعرض علي

(١) هي الصفقة ، لأن كسرى أنوشروان أصفق الباب على بني تميم في حصن المنقري ، ويسمى

أيضاً : يوم المنقري ، والمنقري : حصن البحرين . (٢) حجر : اسم الأرض بالبحرين .

كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَأْيَهُ وَمَا يُحْضِرُهُ فَإِنِّي مَتَى أَسْمِعَ الْحَزْمَ أَصْرَفَهُ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ،
وَأَكْبَرُ مَا سَأَلْتُ لَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى قَامَ التَّمَالُكُ بْنُ الْحَسَّاسِ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، أَنْظِرُوا مَاءً يَجْمَعُكُمْ
وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ بِأَيِّ مَاءٍ أَنْتُمْ حَتَّى تَنْفَرَجَ الْخَلْفَةُ عَنْكُمْ، وَقَدْ صَلَّحَتْ أَحْوَالُكُمْ، وَأَنْجَبَرُ
كَبِيرُكُمْ، وَقَوَى ضَعْفُكُمْ، وَلَا أَعْلَمُ مَاءً يَجْمَعُكُمْ إِلَّا قِدَّةً، فَقَالَ أَكْبَرُ: هَذَا ^(١) [هُوَ]
الرَّأْيُ، فَأَرْتَحِلُوا حَتَّى نَزَلُوا الْكَلَّابَ، وَبَيْنَ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ، وَأَعْلَاهُ مِمَّا
بِئْلِ الْبَيْنِ، وَأَسْفَلُهُ مِمَّا بِئْلِ الْعِرَاقِ. فَنَزَلَتْ سَمْعَدُ وَالرَّبَّابُ بِأَعْلَى الْوَادِي، وَنَزَلَتْ
حَنْظَلَةُ بِأَسْفَلِهِ.

- قال : وكانوا لا يخافون أن يغزوا في القَيْظِ ، لُبُد تلك الصحارى وشدة
الحَرِّ بها وقلة المياه ، فأقاموا بقية القَيْظِ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهوَّز
القَيْظُ بعث الله ذا السُّيْنَتَيْنِ ، وهو من أهل مدينة هَجْرٍ ، فَرَبَقِدَّةً وصحاريها ،
فَرَأَى مَا جَاءَ مِنَ النَّعَمِ ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى أَهْلَ هَجْرٍ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ فِي جَارِيَةِ عَذْرَاءَ ،
وَمُتَّهَرَةٍ شَوْهَاءَ ، وَبَكْرَةٍ حَمْرَاءَ ، لَيْسَ دُونَهَا نَكْبَةٌ ؟ قَالُوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ قَالَ : تِلْكَ
تَمِيمُ الْقَصَاءِ مَطْرُوحُونَ بِقِدَّةَ . فَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا : اغْتَنِمُوهَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .
فَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ أَرْبَعَةَ أَمْلَاقٍ يُقَالُ لَهُمُ الْيَزِيدِيُّونَ : يَزِيدُ بْنُ هُوَيْرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَدْدَانِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمَأْمُومِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُخَرَّمِ ، وَهُمْ كُلُّهُمْ حَارِثِيُّونَ وَمَعَهُمْ
عَبْدُ يُغُوثِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْفَيْنِ ، فَضَبُّوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبِلَادِ
بَاهِلَةَ قَالَ جَرِيرُ بْنُ جَزْءِ الْبَاهِلِ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِيَّ ، هَلْ لَكَ فِي أَكْرُومَةٍ لَا يُصَابُ أَبَدًا
مِثْلُهَا ؟ قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ قَدْ جَلَّأُوا مَا هُنَا خِيفَةَ كَسْرِي ،
وَقَدْ قَصَصْتُ أَثَرُ الْجَيْشِ يَرِيدُونَهُمْ ، فَأَرْكَبُ جَمْلَ الْأَرْحَجِيِّ ، وَسِرَّ سِيرًا رَوِيدًا

(١) النكبة من العقدة الفريدة . (٢) تهوَّز القَيْظُ : ذهب . (٣) الشَّوْهَاءُ : من
الخيول : الطويلة الزائدة . (٤) أقاء : جمع لقى ، وهو ما طرح على الأرض .

(١) عقبة من الليل ، ثم حل عنه جليبه وأثيمته وتوسد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض
يحمره وبال فاستنقعت ثقاته في بؤله ، فشد جليبه ثم ضبع السوط عليه ، فإذك
لا تسال جملك شيئا من السير إلا أعطاكه حتى تصبغ القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهل : فخلت بالكلاب قبل الجيش فنادت : يا صباحاه ! فإنهم
لَيَسْئَلُونِ إِلَى لَيْسَالُونِي مَنْ أَنْتَ ؟ إذ أقبل رجل منهم من بنى شقيق على مهر قد
كان في النعم فنادى : يا صباحاه ، قد أتى على النعم ، ثم كرّ راجعا نحو الجيش ،
فلقبه عبد يفوث الحارثي وهو أول الرعيل ، قطعنه في رأس مبعده فسبق اللبن
الدم ، فقال عبد يفوث : أطيعوني وأمضوا بالنعم واخلوا العجائز من تميم ساقطة
أنفاهما ، فقالوا : أما دون أن تُنكح بناتهم فلا .

وقال صخرة بن لييد الحماسي ثم المذحجي الكاهن : أنظروا إذا سُقِمَ النعم فإن
استكم الخليل عصباً [عصباً] تنتظر العصبة أن تتظلم الأخرى حتى تلحق بها فإن
أمر القوم حينئذ ، وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النعم
فإن أمرهم شديد .

وتقدمت سعد والرياب في أوائل الخليل وألقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم ،
واستقبلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيس الرياب النعمان بن الجساس ،
ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم ، فالتقى القوم ، فكان النعمان أول صريع ، وأقتل
الفريقان حتى حمز بينهم الليل ، ثم أصبحوا على راياتهم ، فنادى قيس بن عاصم :
يا آل سعد ! يريد سعد بن زيد ، ونادى عبد يفوث : يا آل سعد ! يريد سعد
العشيرة ، فلما سمع قيس ذلك نادى : يا آل كعب ! يريد كعب بن مسعد ،
ونادى عبد يفوث : يا آل كعب ! يريد كعب بن عمرو ، فلما رأى ذلك نادى :

يَا آلَ مُقَاعِسَ ! فلما سمع وَهْلَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحُرْمِيِّ — وكان صاحبَ لواءِ أهلِ
اليمين — نادى : يَا آلَ مُقَاعِسَ ، تعامل به فطرح له اللواء ، وكان أول من آنهزم ،
حملت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ونادى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : يَا آلَ تَيْمٍ ، لا تقتلوا
إلا فارساً فإنَّ الرِّجَالَ لَكُمْ ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لَمَّا تَوَلَّوْا عَصَبًا شَوَازِيَا * أَقْسَمْتُ لَا أَطْعَمُ إِلَّا رَاكِجًا
* إِنِّي وَجَدْتُ الطَّنَّ فِيهِمْ صَائِيًا *

وأمر قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أن يتبعوا المنهزمة ، ويعقبوا مَنْ لحقوه ، ولا يشتغلوا
بالقتل عن اتباعهم ، فحزوا دوابهم ، وفي ذلك يقول وَهْلَةُ :

فَدَيْ لَكُمْ أَهْلِي وَأَيَّيْ وَوَالِدِي * غَدَاةَ كُّلَّابٍ إِذْ تُحْضِرُ الدَّوَابُّ

وأُسر عبدُ يَنْوُثَ ، أسره مَصَادُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَكَتَفَهُ وَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ ،
وكان مَصَادُ قد أصابته طعنة في مَاضِيهِ ، وكان عِرْفَهُ يَمُحِي ، فترقه الدم ، قال
عن فرسه مقلوباً ، فلما رأى ذلك عَبْدُ يَنْوُثَ قطع كَتَافَهُ وأجهز عليه وأطلق
على فرسه ، وذلك أوَّلُ النَّهَارِ ، ثم ظفر به بعد في آخره ، ونادى مناد : قتل
اليزيدون ، وشدَّ قَيْصَةُ بْنُ ضَرَارٍ الضَّيْقَ عَلَى صَمْرَةَ بْنِ لَيْدٍ الْحِمَاسِيِّ الْكَاهِنِ فطعنه
نقز صريماً ، فقال له قَيْصَةُ : أَلَا أُنَبِّئُكَ تَابَعْتُ بِمَصْرَعِكَ الْيَوْمَ ، ثم أُسر عَبْدُ يَنْوُثَ ،
أسره عَصْمَةُ بْنُ أُبَيْرِ التَّيْمِيِّ .

قال أبو عبيدة : انتهى عَصْمَةُ بْنُ أُبَيْرٍ إِلَى مَصَادُ فوجده صريماً ، وكان قبل
ذلك رأى عَبْدُ يَنْوُثَ أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فَأَقْتَصَّ أثره فلحقه
وقال : ويحك ! إِنِّي رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيْنِ ، وَأَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ . قال :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : عَصْمَةُ بْنُ أُبَيْرٍ ، فَأَنْطَلِقْ بِهِ عَصْمَةُ حَتَّى جِئْتَاهُ عِنْدَ الْأَهَمِّ عَلَى

أن جعل له من قدامه جُملاً ، فَرَكَ الأَهم عند أَمَراته المِشمِيَّة ، فأعجبها بِجمالِهِ
وَكَلَّ خَلْقِيَّهِ ، وَكان عَصْمَةُ الَّذي أَمَرهُ غلاماً نَحيفاً ، قَالَتْ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :
أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ ، فَضَحَكَتْ وَقَالَتْ : قَبْلَكَ اللهُ سَيِّدُ قَوْمٍ حِينَ أَسَرَكَ مِثْلُ هَذَا ،
فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ يَنْوُثَ :

وَتَضَحَّكَ مَنَى شَيْخَةٌ مِشْمِيَّةٌ • كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

فَاجْتَمَعَتِ الرَّبَابُ إِلَى الأَهم وَقَالَتْ : نَارَنَا عِنْدَكَ ، وَقَدْ قُتِلَ مَصَادُ وَالنَّعْيانُ
فَأَخْرَجَهُ إِلَيْنَا ، فَأَبَى الأَهم أَنْ يُخْرِجَهُ إِلَيْهِمْ ، فَكَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْحَيَيْنِ : الرَّبَابُ
وَسَعْدُ ، فَتَنَّةٌ حَتَّى أَقْبَلَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِثْقَرِيُّ فَقَالَ : أَبِئْزَى قَطَعَ حَلْفُ الرَّبَابِ مِنْ
قَبَائِلِنَا ؟ فَضَرَبَ فَأَهَ بِقَوْسٍ فَهَتَمَهُ ، فَسَمَّى الأَهم ، فَقَالَ الأَهم : إِنَّمَا دَفَعَهُ إِلَى عَصْمَةٍ
ابْنِ أُبَيْرَ ، وَلَا أَدْفَعُهُ إِلَّا لِمَنْ دَفَعَهُ إِلَيَّ ، فَلِيَجِيئَ فَيَأْخُذْهُ ، فَأَتَوْا عَصْمَةَ فَقَالُوا :
يَا عَصْمَةُ ، قُتِلَ سَيِّدُنَا النَّعْيانُ وَفَارَسُنَا مَصَادُ ، وَنَارُنَا أَسِيرُكَ ، فَإِذَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ
أَنْ تَسْتَحْيِيهِ ! فَقَالَ : إِنِّي مُجْعَلٌ وَقَدْ أَصْبَحْتُ الْغَنَى ، وَلَا تَطْلُبِ نَفْسِي عَلَى أَسِيرِي ،
فَأَشْتَرَاهُ بِسَوْجَسَاسٍ بِمِائَةِ بَعِيرٍ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ ، فَخَشَوْا أَنْ يَهْجُوهُمْ ، فَشَدُّوا عَلَى
لِسَانِهِ تِسْعَةً ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ قَاتِلِي لَا مَحَالَةَ ، فَدَعَوْنِي أَذِمَّ أَحْصَابِي وَأُنَوِّحَ عَلَى نَفْسِي !
فَقَالُوا : إِنَّكَ شَاعِرٌ وَنَخَافُ أَنْ تَهْجُوَنَا ، فَعَقَدُوا لَمْ إِلَّا يَفْعَلْ ، فَأَطْلَقُوا لِسَانَهُ ،
فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

(١) قَالَ أَبُو بَرٍّ الْقَالَ فِي أَمَالِيهِ (ج ٣ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قَالَ الْأَخْفَشُ :
رَوَاةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ : كَانَ لَمْ تَرَى قَبْلِي ، وَهَذَا عِنْدَنَا خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ : تَرَى يَحْذِفُ التَّوْنَ مَلَامَةً لِلْجَزْمِ » .
وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ مُسْتَدَلٌّ بِإِثْبَاتِ الْخَطَايَةِ عَلَى مَنْ كَانَ لَمْ تَرَى أَنْتَ ، فَيَكُونُ فِيهِ إِثْبَاتٌ مِنَ النَّبِيَّةِ
إِلَى الْخَطَابِ وَلَمْ يَحْكِ أَحَدٌ مِنَ النَّحَاةِ ، بَلِ الْقَوْلُ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْخَفِيِّ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ خَرَجَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّ أَصْلَ
الْقَوْلِ تَرَى يَهْجُو بِهَا أَلْفٌ ثُمَّ حَذَفَتْ الْأَلْفُ لِلْجَازِمِ ، ثُمَّ أَبْدَلَتْ الْهَمْزَةَ أَهَهَا ، وَعَلَى بِمَا يَطُولُ فَانْظُرْ
فِي مَبْجُثِ « لَمْ » .

أَلَا لَا تُلَوِّمَانِي كَتَمْتُ اللَّسُومَ مَا بَيَّأَ * فَكَلَّمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

ومنها :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِبُسْعَةٍ ^(١١) * أَمْعَشَرَتِي مِمْ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا ^(١٢)
 أَمْعَشَرَتِي قَدْ مَلَكْتُمْ فَاصْبَحُوا * فَإِنَّ أَسَارِي لَمْ يَكُنْ مِنْ تَوَانِيَا
 وَقَدْ عَلِمْتُ مِرْمَى مُلَيْكَةٍ أَنِّي * أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيَا طَبِيْهٍ وَعَادِيَا

ومنها :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ * خَلِيلِي كَرَّمِي قَاتِلِي عَنْ رَجَائِيَا ^(١٤)
 وَلَمْ أَسْبِأِ الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ * لَا يُسَارِ صَدِيقِي أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا ^(١٥)

قال : فلما ضربت عنقه قالت أبنَةُ مَصَاد : بُؤْ بِمَصَاد ! فقال بنو النعمان :

يا لكاع ! نحن نشتريه بأموالنا ونبؤ بمَصَاد ، فوقع بينهم في ذلك الشر ،
 ثم أصطلحوا .

(١) ذكر أبوعل الفاي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٣ طبع دارالكتب المصرية) ما نصه : «وقوله :

وقد شدوا لساني ببسعة ، قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد ، ببسة ، وإنما أراد : اضلوا بي خيرا ينطلق
 لساني بشركم ، فإن لم تضلوا لساني مشدود لا يقدر على مدحك » .

(٢) أصبحوا : أي سهلوا ويسروا في أمري .

(٣) رواية الأمازي :

* فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا *

قال : البواء : السواء ، يريد إن أخاكم لم يكن نظيرا لي فأكون بواء له .

(٤) كرى : قسى .

(٥) الباء : اشتراء الخمر .

(٦) يؤضلون ، أي اذهب به ، يقال ذلك للقتول بمن قتل .

(١)
يَوْمُ طَخْفَةِ
(٢)

قال : كانت الرّفاة ، وقيل الرداة ، رداة الملوك لعتاب بن هَرَمِي بن رِيّاح ،
ثم كانت لقيس بن عتاب ، فسأل حاجبُ بن زُرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن
مرط بن سفيان بن مُجاشع ، فسألها النعمانُ بنى يربوع وقال : أعقبوا إخوانكم
في الرفاة ، قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها ، وإنما سألها حاجبٌ جسداً لنا وأبوا عليه ،
فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إك بنى يربوع لا يسلمون رداقتهم إلى
غيرهم . وقال حاجب : إن بعث الملك إليهم جيشاً لم يمتعوه ولم يمتنعوا . فبعث
النعمان إليهم قابوساً ابنه ، وحسان بن المنذر ، فكان قابوس على الناس ، وحسان على
المقدمة ، وبعث معهم الضنائع والوضائع — فالضنائع : من كان يأتيه من العرب ،
والوضائع : المقيمون بالحيرة — فالتقوا بطخفة ، فأنهزم قابوس ومن معه ، وضرب
طارقُ بن عَميرة فرسَ قابوس فعقره ، وأخذه ليجز ناصيته ، فقال قابوس : إك
الملوك لا تجز نواصيها ، فجهزه وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأمره بشر
ابن عمرو الرياحي ، ثم من عليه وأرسله ، ففي ذلك يقول مالك بن نويرة :
ونحنُ عقرنا مَهراً قابوسَ بعدَ ما * رأى القومُ منه الموتَ والحيلَ تلُحِبُ (٣)
عليه دِلّالُ ذاتِ نَسَجٍ وسَيْفِهِ * جُرازُ من الهنديّ أبيضُ مقصَّبُ (٤)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(٢) الرداة : كانت الرداة بمنزلة الوزارة . وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردده
وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس من يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله ريع ضئيلة الملك
من كل غزوة يتوزع ، وله إمارة على كل من في طاعة الملك .

(٣) تلعب : تلعب .

(٤) الدلاص من النورع : الية .

(١)

يوم قيف الريح

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجُمُفَى وزُيَيد وخثعم ، وعليهم أنس بن مُذْرِك ، وعلى بنى الحارث الحَصِين ، فأغاروا على بنى عامر بن صعصعة بِقَيْفِ الرِّيح ، وعلى بنى عامر ، عامر بن مالك مُلَاعِبُ الأَيْسَةِ .

قال : فأقتل القوم ، فكسروهم ، وأرفضت قبائل من بنى عامر ، وصبرت بنو نمر ، وأقبل عامر بن الطفيل وخلفه دُعَى بنى جعفر فقال : يا معشر الفتيان ، من ضرب ضربة أو طمن طمعة فليشهدنى [فكان ^(٢)] الفارس إذا ضرب ضربة أو طمن طمعة ، قال عند [ذلك] : أباعلى ، فبينما هو كذلك إذ أتاه مُسهر بن يزيد الحارثى ، فقال له من ورأته : عندك يا عامر والريح عند أذنه فوهصه — أى طمنه — ، فأصاب عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته ، وأخذ مسهر رِيحَ عامر ، ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل من أبيات :

لَعَمْرى وما عَمَسرى على بهيِّن * لقد شَانَ حَرَّ الوَجْهِ طَمَعَةُ مُسْهَرٍ

وقال مُسهر — وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر — :

وَهَضْتُ بِحُرْصِ الرِّيحِ مُقْلَةَ عَامِرٍ * فَأَحْصَى نَحِيفًا فِي الْفَوَارِسِ أَهْوَرًا
وَقَادَرْنَا رُحْمَهُ وَسِلَاحَهُ * وَأَدْبَرْدَعُو فِي الْمَوَالِكِ جَمْعَرًا
وَكَمَا إِذَا قَيْسِيَّةٌ ذَهَبَتْ يَنَا * بَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنِنَا قَتَحْدَرًا
خَافَةً مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ عَامِرٍ * مِنَ الشَّرِّ إِذْ سَرَبَالُهَا قَدْ تَعَفَّرَا

(١) قيف الريح : موضع بأهل نجد . (٢) التكمة من البعد القريب .

(٣) فى أمال القائل (ج ٣ ص ١٤٧ طبع دار الكتب المصرية) : « مسهر بن زيد » .

(٤) نمر الريح : سانه .

قال : وكانت هذه الواقعة وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وأدركه مُسِيرُ بْنُ يَزِيدَ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ .

يَوْمُ زُرُودِ الْأَوَّلِ

غزا الحَوْفَزَانُ حتى انتهى إلى زُرُودٍ خَلْفَ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِهَا ، فَأَغَارُوا عَلَى نَعِيمٍ
كَثِيرٍ لِبَنِي عَيْسَ فَأَجْتَازُوهَا ، وَأَتَى الصَّرِيحُ لِبَنِي عَيْسَ فَرَكِبُوا ، وَلَحِقَ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادٍ
الْعَبْسِيُّ الْحَوْفَزَانَ فَعَرَفَهُ — وَكَانَتْ أُمُّ عِمَارَةَ قَدْ أَرْضَعَتْ مُضَرَ بْنَ شَرِيكٍ ، وَهُوَ
أَخُو الْحَوْفَزَانِ — فَقَالَ : يَا بَنِي شَرِيكٍ ، قَدْ عَلِمْتُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، قَالَ الْحَوْفَزَانُ —
وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكٍ — : صَدَقْتَ يَا عِمَارَةُ ، فَاَنْظُرْ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ نَفْذُهُ ، فَقَالَ
عِمَارَةُ : لَقَدْ عَلِمْتُ نِسَاءً بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ أَتَى لَنْ أَمْلَأَ أَيْدِيَّ أَزْوَاجَهُنَّ وَأَبْنَاهُنَّ
شَفَقَةً عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَخَلَّ عِمَارَةُ لِيَمَارِضَ النَّعَمَ لِبَرْدِهِ ، وَحَالَ الْحَوْفَزَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
النَّعَمِ ، فَعَثَرَتْ بِمَارَةِ فَرَسِهِ فَطَعَنَهُ الْحَوْفَزَانُ ، وَطَعَنَهُ نَعَامَةٌ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ :
وَأَسِيرَ أَبْنَا عِمَارَةَ : سِنَانٌ وَشَدَادٌ ، وَكَانَ فِي بَنِي عَيْسَ رَجُلَانِ مِنْ طَيْيٍّ : أَبْنَانُ لَأَوْسَ
ابْنِ حَارِثَةَ ، مجاورين لهم ، وَكَانَ لَهَا أَخٌ أَسِيرٌ فِي بَنِي يَشْكُرَ ، فَلَمَّا فَقَدَهُ بَنُو شَيْبَانَ
نَادَوْا : يَا نَادَاتِ مَعْدَانَ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ قَتَلُوا أَبْنَى عِمَارَةَ وَهَرَبَ الطَّائِيَانِ بِأَسِيرِهِمَا .
فَلَمَّا بَرَأَ عِمَارَةُ مِنْ جِرَاحِهِ أَتَى طَيْئًا فَقَالَ : ادْفَعُوا إِلَيَّ هَذَا الْكَلْبَ الَّذِي قَتَلْتَنَاهُ ،
فَقَالَ الطَّائِيُّ لَأَوْسَ : ادْفَعْ إِلَى بَنِي عَيْسَ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : تَأْمُرُنِي أَنْ أُعْطِيَ
بَنِي عَيْسَ قَطْرَةً مِنْ دَمِي ، وَإِنْ أَبْنَى أَسِيرِي فِي بَنِي يَشْكُرَ ؟ فَوَاقَهُ مَا أَرْجُو فَكَأَكَه

(١) زُرود : رمال طريق الحاج من الكوفة .

(٢) الصريح : المسنيث .

لَا يَهْدَا . فَلَمَّا قَفَلَ الْحَوْقَزَانِ مِنْ غَزْوِهِ بَعَثَ إِلَى بَنِي يَسْكُرَ فِي آيْنِ أَوْسَ ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ ، فَأَقْتَدَى بِهِ مَعْدَانُ ، وَقَالَ نِعَامَةٌ بُنْ شَرِيكَ :

اسْتَنْزَلْتُ رِمَاحَنَا سِنَانًا * وَشَيْخُنَا بِطَحْقَةٍ عَنَانًا

ثُمَّ أَخُوهُ قَدْ رَأَى هَوَانًا * لَمَّا فَقَدْنَا بَيْنَنَا مَعْدَانًا

يَوْمُ غَوْلِ الْأَوَّلِ

وهو يومُ كَنْهَلِ

قال أبو عبيدة : أقبل أبنا هجيمة — وهما من غسان — في جيش فزلا في بني يربوع ، فلما وَرَا طَارِقُ بْنُ عَوْفٍ بنَ حَاصِمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بنَ يَرْبُوعَ ، فزلا معه على ماء يقال له : كَنْهَلِ ، فأغار عليهما أناسٌ من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعَمَهُمَا وأسروا من كان في النعم ، فركب قيسُ بْنُ هُجَيْمَةَ بِخَيْلِهِ حتى أدرك بني ثعلبة ، فكَرَّ طِيَهُ عُنَيْتَةَ بنَ الْحَارِثِ ، فقال له قيس : هل لك يا عُنَيْتَةُ إلى البراز ؟ قال : ما كنتُ لَأَسْأَلَهُ وَأَدْعُهُ ، فبَارِزُهُ ، قال عُنَيْتَةُ : فما رأيتُ فارساً أَمْلَأُ لِعَيْنِي مِنْهُ ، فطعنني فأصاب قُريوْسَ سَرْجِي ، حتى وجدتُ مَسَّ السَّيْفِ فِي بَاطِنِ نَحْذِي ، ثم أرسل الرِّحْلَ وهو يرى أن قد أُتْبِنِي [وَأَنْصَرَفَ] ^(١) فَأَتْبَعْتُهُ الْفَرَسَ ، فلما سمع زَجْلَهَا رَجَعَ جَانِحًا عَلَى قُريوْسَ سَرْجِهِ ، وبدأ لي فَرَسُ الدَّرْعِ فطعته بالرَّحْ ، فقتلته وَأَنْصَرَفْتُ ^(٢) ١٥ فلحقْتُ النعم ، وأقبل المِرْمَاسُ بْنُ هُجَيْمَةَ فوقف على أخيه قتيلاً ، ثم أتْبَنِي فقال : هل لك في البراز ؟ فقلت : لعل الرجعة خيرُك ، قال : أبعد قيس ؟ ثم شَدَّ حِلِي وَضَرَبَنِي عَلَى الْبَيْضَةِ ، فخلص السيف إلى رأسي ، فضربتُه فقتلته ، فقال جرير :

وَسَاقَ أَبْنَى هُجَيْمَةَ يَوْمَ غَوْلِ * إِلَى أَسْبَافِنَا قَدْرُ الْحِمَامِ

(١) التكلفة من المقد الفريد .

(٢) الزجل : الصوت .

(١١)
يَوْمُ الْخُيَّابَاتِ

قال أبو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فرأوا بناس من طوائف بكر بن وائل بالخُيَّابات ، نحو جوار سفارا ، فزَلُّوا وسرَّحوا إبلهم رعى ، وفيها نفرٌ منهم يرعونها ، منهم : سَوَادَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ بُحَيْرِ الْعَيْلِ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَكَانَ مَحْمُودًا ، فَرَوَتْ بنو ثعلبة بن يربوع بالإبل فاضطربوا ، وأخذوا الرجلين من بني شيبان ، فسالواهما : مَنْ مَعَكُمْ ؟ قَالَا : مَعَنَا شَيْخٌ مِنْ يَزِيدَ بْنِ بُحَيْرِ الْعَيْلِ فِي عَصَابَةٍ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ خَرَجُوا سَفَارًا يَرِيدُونَ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ الرَّبِيعُ وَدَعْمَوْصُ ابْنَا عُنَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ : انْزِلْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَهَذِهِ الْإِبِلُ يَوْمَ يَصْلُوْنَ مَنْ أَخَذَهَا ، ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ إبلهم وصاحبهم لئنهم بذلك ، فقال تميرة لها : ما وراءكما إلا شيخ ابن يزيد قد أخذكما إناؤه وأطردكما إبله هدهاء ، غائبًا ورجعا إليه وأخبارهم وتسميًا لهم ، فركب شيخ ابن يزيد فأتجهما وقد تَوَلَّيَا ، فليقن دَعْمَوْصًا فأسره ، ووهى ربيعٌ حتى أتى عميرة فأخبره أن أخاه قد قُتِلَ ، فخرج على فرس له يقال لها الخنساء حتى لحق القوم . وَفَتَكَ مِنْهُمْ دَعْمَوْصًا عَلَى أَنْ يُوَدِّعَهُمْ أَخَاهُمْ وَلِيْلَهُمْ ، فَرَدَّهَا إِلَيْهِمْ ، فَكَفَّرَ بَنُو عُنَيْبَةَ وَلَمْ يَشْكُرُوا عَمِيرَةً ، فَقَالَ عَمِيرَةُ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَدْ دَعْمَوْصًا بِصَدِّ بَوَاجِهِ • إِذَا مَا رَأَى مُقْبِلًا لَمْ يُسَلِّمْ
أَلَمْ تَعْلَمَا يَا أَبْنَى عُنَيْبَةَ مَقْدَمِي • عَلَى سَاقِطَيْنِ الْأَسِنَّةِ مُسَلِّمٍ
فَمَارَضْتُ فِيهِ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَرَعْتُهُ • سِجْهَلًا وَلَمْ أَظْهَرْ لَهُ بِالنُّوْمِ

يَوْمُ الشُّعْبِ

غزا قيسُ بنُ شَرْهَاءِ النَّظَلِي ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي يَرْبُوعَ بِالشُّعْبِ ، فَأَقْتُلُوا ، فَأَنْهَزَتْ بَنُو يَرْبُوعَ ، فَأَمْسَرَ مُخَيَّمُ بْنُ وَثِيلِ الرِّيَّاحِي ، فَقَالَ مُخَيَّمُ فِي ذَلِكَ :

(١) الْخُيَّابَاتُ : مَوْصِعٌ بَيْنَ دِيَارِ بَكْرِ وَالْبَحْرَيْنِ .

أَقُولُ لَهُمُ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْمُرُونَنِي * أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ زَهْدَمَ
فَفَدَى نَفْسَهُ ، وَأَمِيرٌ أَيْضًا مُتَمِّمٌ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، فَوَقَدَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ عَلَى قَيْسِ بْنِ شَرْقَاءَ
فِي فِدَائِهِ فَقَالَ :

هَلْ أَنْتَ يَا قَيْسُ بْنُ شَرْقَاءَ مُنْعِمٌ * أَوِ الْجَهْدَ إِنْ أَعْطَيْتُهُ أَنْتَ قَابِلُهُ
فَلَمَّا رَأَى وَسَامَتَهُ قَالَ : بَلْ مُنْعِمٌ ، فَاطْلُقْهُ لَهُ .

يَوْمُ قَوْلِ الثَّانِي

فِيهِ قَتَلَ طَرِيفُ شَرَّاحِيلَ وَعَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ الْمُحَلَّيَّ .

غَزَا طَرِيفُ بْنُ هَشِيمٍ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ تَيْمٍ ، فَأَغَارَ عَلَى بَكْرٍ وَابْنِ بَقُولٍ ،
فَأَقْتَلُوا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا أَنْهَزَمَتْ ، فَقَتَلَ طَرِيفُ شَرَّاحِيلَ أَحَدَ بَنِي دُبَيْعَةَ ، وَقَتَلَ
أَيْضًا عَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ ، وَقَتَلَ الْمُجَشَّرَ .

يَوْمُ الْخَنْدَمَةِ^(١)

كَانَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِ قُرَيْشٍ يُحَدِّثُ حَرْبَةً يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَتُهُ :
مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ ؟ قَالَ : أَعَدَّدْتُهَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ! [فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَرَى أَنَّهُ يَقُومُ
لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ] فَقَالَ : ^(٢) وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بِمَقْصُ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْشَأُ
يَقُولُ :

إِنْ يَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلَّةٌ * هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ
* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ *

(١) الخندمة : اسم جبل بمكة .

(٢) النكدة : من القدر القليل ومنه ما استعجم البكري في كلامه على الخندمة .

فلما لقىهم خالد [بن الوليد ^(١)] يوم الخنثمة أنهزم الرجل لا يلوى على شيء ،
فلامته أمر أنه في ذلك ، فقال :

إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ يَوْمَ الْخَنْثَمَةِ • إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةُ
وَلَقَيْنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةَ • يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُعَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا عَمَقَمَةُ • لَمْ تَنْطِقْ فِي الْأَسْوَاقِ أَدَى كَلِمَةٍ
وهذه القصة نذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة .

يَوْمُ الْهُيَمَاءِ ^(٢)

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التي كانت بين [عمرو بن الحارث بن تميم
ابن سعد بن هذيل ، وبين عمرو ^(٣) بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مئة ، أت
قيس بن عامر بن غريب أخا بني عمرو بن عدى وأخاه سالما ، خرجا يريدان
بني عمرو بن الحارث ، حل فرسين ، يقال لأحدهما : اللعاب ، والآخر : عَفْزَر ، فبانا
عند رجل من بني ثعلبة ، فقال الثقات لقيس وأخيه : أطعاني وارجعاً ، لأعرفن
وما حكا تُكسر في قتاد تمان ، قال : إِنَّ رِمَاحًا لَا تُكْسَرُ إِلَّا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ !
قال : لا يضركما ، وستحمدان أمري ، فأصبعا غادين . فلما شارفاً مَنَ الْهُيَمَاءِ .
من تمان ، وبنو عمرو بن الحارث قُويق ذلك بموضع يقال له أَدِيمَةُ ، وأغاروا على
غنم الجندب بن أبي أعيس ، وفيها جندب ، فتقدم إليه قيس ، فرماه جندب حل
حلمة ثديه وبسجه قيس بالسيف فأصاب ضبة السيف وجه جندب ، وحز قيس

(١) الكلمة من ألفه الفرید .

(٢) الكلمة من ألفه الفرید .

(٣) كما في نسخ ما استعمل الكرى على لفظ التصغير بـ د ر د ا . وفي الأصول ورد مقصوراً .

ونفرت الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفروسه عفرز، فضرب جندب
 خطم الفرس بالسيف فقطعه، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى يديه، نفّر
 جندب ووقف عليه سالم، وأدرك العشي سالماً، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه
 بحقيقويه، ولم ينج إلا بحض سيفه ومثّره فقال حذيفة بن أبيس في ذلك من
 أبيات:

كشفت غطاء الحرب لما رأيته . تَمِيلُ عَلَى صَفْوٍ مِنَ اللَّيْلِ أَعْرَا
 أُوخُ الْحَرْبِ إِذْ عَصَتْ بِالْحَرْبِ عَصَا . وَإِنْ تَمَرَّتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرَا
 وَتَمَشِي إِذَا مَا الْمَوْتُ كَانَ أَمَامَهُ . كَذَا الشَّبْلُ يَحْيَى الْأَنْفَ أَنْ يَنَاحِرَا
 نَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشَرْفَةٍ . وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفَنَ سَيْفٌ وَمَثَرَا
 وَطَابَ عَنِ اللَّعَابِ قَتَا وَبِمَةٍ . وَغَادَرُوا فِي الْمَكْرُ وَعَفَرَا

يوم خزاز

قال أبو عبيدة: تنازع علمع ومسمع أبناء عبد الملك، وسالمة بن جبلة،
 وإبراهيم بن محمد بن نوح المطاردى، وعثمان بن عبد الحميد، وعبد الله بن
 سالم الباهلي، ونفّروا وجوه أهل البصرة كانوا يجالسون يوم الجمعة ويتفاحرون
 ويتنازعون في الرياضة يوم خزاز. فقال خالد بن جبلة: كاتب الأخوص
 ابن جعفر الرئيس. وقال عامر ومسمع: كان الرئيس كليب وائل. وقال
 ابن نوح: كان الرئيس زراوة بن عدس، وهذا في خطير أبي عمرو بن العلاء،
 فتحاكوا إليه فقال: ما شهدا عامر بن صعصعة، ولا دارم بن مالك، ولا جشم بن
 بكر، اليوم أقدم من ذلك، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يحسب ومعه
 كاتب وطنسة يبعد عليها، فيأخذ من أموال نزار ما شاء، كمال صدقاتهم اليوم،

وكان أول يوم أمتنت معه عن [الملوك^(١)] : ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد، فأوقدوا نارا على خراز ثلاث ليل، ودخنوا ثلاثة أيام، فقبل له : وما خراز ؟ قال : هو جبل [قريب من امرأة على يسار الطريق^(٢)] خلقه صحراء متنج، ففي ذلك اليوم أمتنت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَرَّازٍ • رَفَدْنَا قَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيَا
فَكَا الْأَيْمِينَ إِذَا أَلْتَقَيْنَا • وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَيْنَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فَيَعْنُ بِلَيْهِمْ • وَصُلْنَا صَوْلَةً فَيَنْ بِلَيْنَا
فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّابَا • وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِيَا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدّه كليب وأهل قائدهم ورئيسهم ما أذعن الرفادة وترك الرئاسة .

يوم النّسار

قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطبي وغطفان، ولحقت بهم ضبة وعدى، ففوزوا بنى عامر فقتلوهم قتلا شديداً، فغضبت بنو تميم لمقتل بنى عامر، فاجتمعوا حتى لحقوا طيئاً وغطفان وحلفاءهم من ضبة وعدى يوم الفجار، فقتلت تميم [طيئاً^(١)] أشد مما قُتِلَت عامر يوم النّسار، فقال بشر بن أبي خازم :

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تَقْتُلَ عَامِرٌ • يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْقَبُوا بِالصَّيْلَمِ

يوم ذات الشقوق

قال : لحلف ضمرة بن ضمرة النهشلي وقال : الحمر على حرام حتى يكون لنا يوم يكافئه، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك :

(١) الكلمة من العهد العربي . (٢) منج : على مقربة من حمير ضرية .

- الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ • أَتَى الْفَجَارَ وَلَا أَشَدُّ تَكَلُّي
 حَتَّى صَبَحْتُ عَلَى الشُّقُوقِ بَقَارَةً • كَأَنَّمْ تُشْرِفُ فِي جَرِينِ الْحَرَمِ^(١)
 وَأَفَاتُ يَوْمًا بِالْخِفَارِ بِمَثَلِهِ • وَاجَزْتُ نَصْفًا مِنْ حَدِيثِ الْمَوْسَمِ
 وَمَشَتْ نِسَاءُ كَالنِّسَاءِ عَوَاطِلًا • يَمُرُّ بَيْنَ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأُمِّ
 ذَهَبِ الرَّمَاحِ زَوْجَهُمَا فَتَرَكْنَهُ • فِي صَدْرِ مُعْتَدِلِ الْفَنَاءِ مُقْسُومَ •

يَوْمَ خَوْ

- قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكسَعُوا إِلَهُهُمْ ، فأتى
 الصريحُ الحَيُّ فلم يَتَلَحَّفُوا إِلَّا مَاءً بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خَوْ ، وَكَانَ ذُوَابُ بَنِي رِبْعَةَ
 الْأَسَدِيِّ عَلَى فَرَسٍ أُنْثَى ، وَكَانَ عُتْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ عَلَى حِمَاةٍ يَسْتَنْشِي
 رِيحَ الْأُنْثَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَيَتَّبِعُهَا ، فَلَمْ يَعْلَمْ عُتْبَةُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ فَرَسَهُ عَلَى ذُوَابِ
 ابْنِ رِبْعَةَ ، وَعُتْبَةُ غَائِلٌ لَا يَبْصُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَأَاهُ ذُوَابٌ فَطَعَنَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ ،
 وَلَحِقَ الرِّيحُ بْنُ عُتْبَةَ فَشَدَّ عَلَى ذُوَابٍ فَاسْرَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
 عِنْدَهُ أَسِيرًا حَتَّى قَادَاهُ أَبُوهُ رِبْعَةَ بِالْإِبِلِ فَاطْعَهُ عَلَيْهَا ، وَتَوَاعَدَا بِسُوقِ عُكَاظَ
 فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا بِالْإِبِلِ وَهَذَا بِالْأَسِيرِ ، فَاقْبَلَ أَبُو ذُوَابٍ بِالْإِبِلِ ،
 وَشُغِلَ لَرِيعِ بْنِ عُتْبَةَ فَلَمْ يَحْضُرْ سُوقَ عُكَاظَ ، فَظَنَّ رِبْعَةُ أَبُو ذُوَابٍ أَنَّ ذُوَابًا
 قُتِلَ بِمِثْلِهِ ، فَقَالَ رِثِيهِ :

أَلْفُ قَبَائِلَ جَعَفَرٍ مَحْصُوصَةً • مَا إِنْ أَحَاوَلَ جَعْفَرُ بْنُ كِلَابٍ
 إِنْ الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا • خَلَقَ كَسَحَقِ الرِّيطَةِ الْمُتَجَابِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى التَّجَلُّدِ وَالْأَمْسَى • أَنَّ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذُوَابٍ

(١) الجرين : موسم الفجر الذي يجفف فيه • (٢) خنق : كتيب معروف مجلد بين ديار
 بنو أسد وديار بني يربوع •

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكَتْ بَيُوتَهُمْ • يُعْتَبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ
يَأْجِجِيمُ فَقَدْ عَلَى أَمَدَانِهِ • وَأُسْدِيمُ فَقَدْ عَلَى الْأَصْحَابِ^(١)
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَيْهِمُ الشَّعْرَ قَتَلُوا ذُوَابَ بَنٍ رُبَيْعَةَ •

أَيَّامُ الْفِجَارِ^(٢) الْفِجَارُ الْأَوَّلُ

قال أبو عبيدة : أَيَّامُ الْفِجَارِ عِدَّةٌ ، فَأَوَّلُهَا بَيْنَ كَثَاةٍ وَهَوَازِنَ . وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ
أَنْ بَدَرَ بَنَ مَعْشَرٍ أَحَدُ بَنِي عَقَالِ بْنِ مُلَيْكٍ بْنِ خُمْسَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كَثَاةٍ
جَعَلَ لَهُ مَجْلِسًا بِسُوقِ عَكَاظَ ، وَكَانَ مَنِيحًا فِي نَفْسِهِ ، فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ
قَائِمٌ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

تَحْنُ نَسُو مَذْرِكَةَ بَنٍ خَيْدِفٍ • مَنْ يَطْمُنُوا فِي حَيْثِهِ لَا يَطْرِيفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يَطْرِيفُ^(٣) • كَانَتْهُمْ لِحَّةٌ بِحَيْرٍ مُسْدِفٍ^(٤)

قال : وَمَذْرُجُهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا ،
فَضْرِبُهَا الْأَحْبَرُ بْنُ مَازِنٍ أَحَدُ بَنِي دُهْمَانَ بْنِ نَضَرَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَنْدَرَهَا مِنَ الرِّكْبَةِ^(٥)

(١) كَذَا فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ • رَوَى الْأَصُولُ : « أَلِ » •

(٢) سَمِيَ الْفِجَارُ لِأَنَّهُمَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الشُّهُورُ الَّتِي يَحْزُمُونَهَا فَجَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ
بِغَارَانِ ، الْفِجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَالْفِجَارُ الثَّانِي خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سَنِينَ ، وَقَدْ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَكَاظَ مَعَ أَعْمَامِهِ وَكَانَ يَتَاوَلَهُمُ النَّبْلَ ، وَانْتَهَتْ سَنَةُ ٥٨٩ هـ •

(٣) النُّطْرِيفُ وَالْفُطَارُفُ : السِّيدُ الشَّرِيفُ الْخَفِيُّ الْكَثِيرُ الْخَلِيرُ •

(٤) مُسْدِفٌ : مَقْلَمٌ •

(٥) أُنْدَرَهَا : تَطْلَمُهَا •

وقال : خذها إليك أيها المخنف ! قال أبو عبيدة : إنما حرصها خريصية يسيرة
وقال في ذلك :

تَحْنُ بَنُو دُهْمَانَ ذُو التَّغَطُّفِ * بِحَرِّ لَبْحَرٍ زَانِحٍ لَمْ يُتَرَفِ
[تَنِي عَلَى الْأَحْيَاءِ بِالْمَعْرِفِ ^(١)]

قال أبو عبيدة : فتعاور الحَيَانُ عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال، ثم
تراجعوا ورأوا أَن الخَطْبَ يسير .

الفَجَارُ الثاني

قال : كان الفجار الثاني بين قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وكان الذي هاجه أَن فَيْئَةٍ من
قُرَيْشٍ قَعَدُوا إِلَى أَمْرَاءٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْمَةَ وَضَيْقَةَ بِسُوقِ عُكَاظٍ ، وقالوا :
بل أطاف بها شَبَابٌ مِنْ بَنِي كَثَّانَةَ وَعَلَيْهَا بَرْقُ [فاعجبهم مَا رَأَوْا مِنْ هَيْئَتِهِ] ^(١) ،
فسألوها أَن تسفر عن وجهها ، فأبت عليهم ، فأتى أَحدهم من خلفها فَشَدَّ دُبُرَ دُرْعِهَا
بِشَوْكَةٍ إِلَى ظَهْرِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي ، فلما قامت تَقْلَصُ الدَّرْعُ عَنْ دُبُرِهَا ، فضحكوا
وقالوا : متعننا النظر إلى وجهها فقد رأينا دُبُرَهَا ، فنادتِ المرأةُ : يَا آلَ عَامِرِ !
فتعاور النَّاسُ ، وكان بينهم قَتْلٌ وَدَمَاءٌ يسيرة ، فحملها حَرْبٌ بَنُ أُمَيَّةٍ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ .

١٥ الفَجَارُ الثالثُ وَهُوَ بَيْنَ كَثَّانَةَ وَهَوَازِنَ

وكان الذي هاجه أَن رجلا من بني كَثَّانَةَ كَانَ عَلَيْهِ دَرَنٌ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نَضْرٍ
مَعَاوِيَةٍ ، فاعدم الكَتَانِي ، فوافق النضري بِسُوقِ عُكَاظٍ بِفَرْدٍ ، فأوقفه في سوق
عُكَاظٍ فقال : مَنْ يَبْعُنِي مِثْلَ هَذَا بِمَا لِي مِنْ فُلَانٍ حَتَّى أَكْثُرَ فِي ذَلِكَ . وإنما
فعل ذلك تمييزاً لِلْكَثَّانِي وَلِقَوْمِهِ ، فتر به رجلٌ من بني كَثَّانَةَ فَضْرَبَ الْفَرْدَ بِالسَّيْفِ

١٦

(١) النكلة من القند العربي .

فقتله، فهتف النضرى : يا آل هوازن ! وهتف الكنانى : يا آل كنانة ! فهاج
الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتالٌ، ثم رأوا الخطب يسيرا فراجعوا .
قال أبو عبيدة : إنما سميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم،
وهى الشهور التى يحرمونها، وهذه يقال لها أيام الفجار الأول .

الفجار الآخر وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن
وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرجال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، فأت
أن تقتل بعروة البراض لأن عروة سيد هوازن، والبراض خليع من بنى كنانة،
وأرادوا أن يقتلوا به سيداً من قريش .

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابنُ
أربع عشرة سنة “، يعنى أنا ولهم النبى .

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر الحميرى ملك الحيرة كان يبعث
إلى سوق عكاظ^(١) فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشرف العرب
يُجيرها له، حتى تنأى هناك ويشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه، وكانت
سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة، فيتسوقون إلى حضور الحج، ثم
يُحجّون، فحضر النعمان عبر اللطيمة ثم قال : من يُجيرها ؟ فقال البراض بن قيس
الصمرى : أنا أُجيرها على بنى كنانة، فقال النعمان : ما أريد إلا رجلاً يُجيرها على
أهل نجد وتامة، فقال عروة الرجال - وهو يومئذ رجل هوازن - أكلب
خليع يجيرها لك ؟ أبيت اللعن ! أنا أُجيرها لك على أهل الشَّح والقيصوم من أهل

(١) اللطيمة : العير التى تحمل الغلب وبر النجد .

نجد وتهامة ! فقال البرّاض : أعلّ بنى كاتبةً تُجبرها يا عُروّة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ! فدفنوها النعان إلى عُروّة ، فخرج بها وبيعه البرّاض ، وعُروّة لا يخشى منه شيئاً ، إلى أن نزل بارض يقال لها أواره ، فشرب من الخمر وغتته قيسةً ، ثم نام ، فجاء البرّاض فدخل عليه ، فاشده عُروّة وقال : كانت منى زلة ، وكانت الغفلة منى ضلّة ، فقتله ونرج وهو يرتجز ويقول :

قَدْ كَانَتِ الْغَفْلَةُ مِنْى ضَلَّةٌ • هَلَّا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ

• فَمَوْفَ أَعْلَى بِالْحُسَامِ الْقَلَّةُ •

وقال :

وَدَاهِيَةٌ يُسَالُّ النَّاسُ مِنْهَا • شَدَفْتُ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي

هَتَكْتُ بِهَا بِيوتَ بَنِي كِلَابٍ • وَأَرْضُتُ الْمَوَالِي بِالضُّرُوعِ

بَعَثْتُ لَهُ يَدَيَّ بِتَقْصِيلِ سَيْفٍ • أَقْلُ نَفَرَ كَالْمُدْجِ الْعَبِيرِ

وَأَسَاقُ اللَّطِيعَةِ إِلَى خَيْبَرٍ ، وَأَتَبِعُهُ الْمَأُورُ بْنُ مَالِكِ الْغَطَفَانِي ، وَأَسَدُ بْنُ خَيْمٍ

الغَنَوِيُّ حَتَّى دَخَلَ خَيْبَرَ ، فَكَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَفِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟

قَالَا : مِنْ غَطَفَانَ وَغَنِي . قَالَ الْبَرَّاضُ : مَا شَأْنُ غَطَفَانَ وَغَنِي ؟ بِهَذَا الْبَلَدِ ؟ قَالَا :

وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ خَيْبَرٍ . قَالَا : أَلَيْكَ عِلْمٌ بِالْبَرَّاضِ ؟ قَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا

طَرِيدًا خَلِيلًا فَلَمْ يُؤَدِّهِ أَحَدٌ بِخَيْرٍ وَلَا أَدْعَلَهُ بِنَا . قَالَا : فَايْنَ يَكُونُ ؟ قَالَ : وَهَلْ

لَكَ [به] طَاقَةٌ أَنْ تَدُلَّنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَا : بَعْدَ . قَالَ : فَأَنْزِلَا ، فَزِلَا وَعْضِلَا

رَاحِلَتَيْهِمَا . قَالَ : أَيُّكُمَا أَجْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ قَالَ الْغَطَفَانِي :

أَنَا . قَالَ : فَأَتَاطَقُ أَدُلُّكَ عَلَيْهِ ، فَأَتَاطَقَا حَتَّى آتَيَا إِلَى تَحْرِيبَةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرٍ خَارِجَةٍ

عَنِ الْبِيوتِ ، فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرْبَةِ وَإِلَيْهَا يَأْوِي ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ

(١) أواره (سم أزلّه وبلااء المهلة) : ما-دوين الحرب لبني تميم .

(٢) النكلة من العقد الفريد .

أَتَمَّ هو أم لا ، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال : هو قائمٌ في البيت
الأقصى خلف هذا الجدار ، فهل عند سيفك صَرامةٌ ؟ قال : نعم . قال : هات
سيفك أنظر إليه أصارمٌ هو ؟ فأعطاه سيفه ، فهزَّه البراض ثم ضربه فقتله ، ووضع
السيف خلف الباب وأقبل إلى الفتوى فقال : ما وراءك ؟ قال : أجبتُ من صاحبك ،
تركته قائماً في البيت الذي فيه الرجل ، والرجل قائمٌ لا يتقدمُ إليه ولا يتأخر عنه ،
قال الفتوى : يا لهفاء ! لو كان لي من ينظر راحلتينا ، قال البراض : هما عليّ - إن ذهبتا ،
فأنطلق الفتوى والبراض خلفه حتى إذا جاور الفتوى باب الخربة أخذ البراض
السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحتيهما وأنطلق .

١٣٩
١٣

وبلغ قُرَيْشاً خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجيّاً ، وأتبعهم قيس لما
بأنهم أت البراض قتل عروة الرجال ، وعلى قيس أبو براء عامر بن مالك ، فأدركهم
وقد دخلوا الحرم ، فنادوهم : يا معشر قريش ، إنا نأهد الله ألا نبطل دم عروة
أبداً ، أو نقتل به عظيماً منكم ، وميمادنا معكم هذه الليلة من العام القابل ، فقال
حرب بن أمية لأبي سفيان أبه : قل لهم : إن موعدكم قابلٌ في هذا اليوم ، فقال
خنداش بن زهير في هذا اليوم ، وهو يوم نخلة ، من أبيات أولها :
يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على تحينة لولا الليل والحرم
وكانت العرب تسمى قريشاً تحينة لأكلها السخن .

يوم شَمَطَةٌ وهو يومُ نخلة من الفجار الآخر

قال : جمعت كنانة قريشياً وعبد متانها والأحابيش ومن لحق بهم من
بنى أسد بن خزيمة ، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي السلاح بأداة

(١) شطة (فتح أوله) إسكان نايه بعده ظا. معجمة) : موضع قريب من عكاظ .

(٢) الكمي : الشجاع .

كاملة، سوى ما ألبس من قومه، والأحبابيُّ بنو الحارث بن عبد مَناة بن كنانة. قال: وجمعت سليم وهوازن وجموعهما وأخلافهما، فخر كلاب وبنى كعب، فإنهما لم يشهدا يوما من أيام الفِجار غير يوم نخلة، فاجتمعوا بسمطة من عكاظ في هذه الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش مكانة سيدها، وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى عبيتها عبد الله بن جدعان، وعلى الأخرى كُرَيْب بن ربيعة، وحرب بن أمية في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي، فزحف بعضهم إلى بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان من آخر النهار تداعت هوازن وصابرت، وأنكشفت كنانة فاستعز القتلى فيهم، فقتل منهم تحت رايته مائة رجل، ويقال ثمانون، ولم يقتل من قريش أحد يذكر، فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة.

يوم العبلاء

قال: ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ، والرؤساء عليهم الذين ذكرناهم في يوم شظفة، فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة. وفي هذا اليوم قُتل العوام بن خويلد والد الزبير، قتله مرة بن معتب الثقفي، وقال رجل من ثقيف:

ما الذي ترك العوام مجتذلا • تشابه الطير لحاين الحجار

يوم شسرب

ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ، فالتقوا بشسرب، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرنا، وحمل (١) شرب (منع أنله رثابه بعده بأبراحدة، هكذا ثبت الرواية عن ابن الحسن الطوسي فيه، ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي بكسر الراء) : موضع قرب مكة.

أَبْنُ جَدْعَانَ يَوْمَئِذٍ مِائَةَ رَجُلٍ عَلَى مِائَةِ بَسِيرٍ لَمْ تَكُنْ لَهُ حِمْلَةٌ ، فَالْتَقَوْا ، وَغَدَا
كَانَ لِمَوَازِينَ عَلَى كِفَاةٍ يَوْمَانِ مَتَوَالِيَانِ : يَوْمَ شَمُطَةِ وَالْبَلَاءِ ، فَحَمَشَتْ قَرِيشُ
وَبَكَاةُ ، وَصَارَتْ بَنُو عَزْرَمٍ وَبَنُو بَكْرٍ ، فَأَخْزَمَتْ هَوَازِنُ وَقَتْلَتْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبْعِيِّ يَمْدَحُ بَنِي الْمَغِيرَةِ :

أَلَا شَهْرٌ قَوْمٌ • يَلَدَتْ أَخْبَثَ بَنِي سَهْمٍ
هَيْشَامُ وَأَبُو عَبْدِ • مَنَافٍ مِثْلَهُ أَنْطَمٍ
وَذُو الرَّحْمَنِ أَشْبَاكَ • مِنْ الْقُوَّةِ وَالْحَسَنِ
فَهَذَانِ بِبُودَايَ • وَذَا مِنْ كَتَبِ يَرْبِي

وَأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ : هَانِئُ بْنُ الْمَغِيرَةِ • وَذُو الرَّحْمَنِ : أَبُو بَرِيَّةُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، فَحَاتِلَ يَوْمَ
شَرِبَ بَرَحِينَ • وَأَشْهُمُ رِبْطَةُ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ مَنَهْمٍ ، فَحَاتِلَ فِي ذَلِكَ سَبْذُلَ لَطَمَانَ :

جَاءَتْ هَوَازِنُ أَرْسَالًا وَإِخْوَتُهَا • بَنُو صُلَيْمٍ فَمَاتُوا الْمَوْتَ وَأَنْصَرَفُوا
فَأَسْتَقْبَلُوا بِضَرَابٍ نَصَّ جَمْعُهُمْ • بِثَلِثِ الْخَبَرِ فَاغَابُوا وَلَا عَظَمُوا
يَوْمَ الْحُسْرِيرَةِ

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ وَالْتَقَوْا عَلَى رَأْسِ الْجَوْلِ بِالْحُسْرِيرَةِ ، وَهِيَ خَزْءٌ إِلَى جَنْبِ
عُكَاظَ ، وَالرُّؤَسَاءُ عَلَى هَؤُلَاءِ [وَأُولَئِكَ] هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْمُجَنَّبِينَ
إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسَاحِقَ بْنَ قَيْسِ الْيَعْمُرِيِّ قَدْ كَانَ مَاتَ • فَكَانَ بَعْدَهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ
ابْنِ بَكَاةَ أَخُو جُثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ ، فَكَانَ يَوْمَ الْحُسْرِيرَةِ لِمَوَازِينَ عَلَى بَكَاةَ ، وَهُوَ آخِرُ
الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَزَاحَفُوا فِيهَا ، فَفُتِلَ يَوْمَئِذٍ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ أَبِيهِ أَخُو حَرْبِ بْنِ

(١) المدد : زعيم القوم وسطيهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تميزاً الآل على الحاس .

(٢) يقال : أشباك لفلان ، كما يقال : حبك لفلان .

(٣) الحريرة : موضع بين الأواء ومكة قرب نخلة . (٤) الكلمة من العهد العربي .

أمية، وقُتِلَ من بني كنانة ثمانية قَرَر، قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بني عامر ابن صعصعة، وقُتِلَ جماعة آخر، فقال خَدَّاش بن زُهَيْر:

١٤٠

١٣

إِنِّي مِنَ الْفَرِ الْمَحْمَرِّ أَعْيُنُهُمْ • أَهْلُ السَّوَامِ وَأَهْلُ الصَّخْرِ وَاللُّوْبِ
الطَّاعِينَ مُحْضَرًا خَلِيلَ مُقِيلَةٍ • يَكُلُّ سَمَرَاءَ لَمْ تُغْلَبْ وَمَغْلُوبِ
وَقَدْ بَلَّوْهُمْ وَأَبْلَوْكُمْ بَلَاءَهُمْ • يَوْمَ الْحُرِيرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَكْذِيبِ
لَا قِيَمٌ مِنْهُمْ أَسَدُ مَلْعَمَةٍ • لَيْسُوا بِزُرَاعَةِ عُوجِ الرَّاغِيبِ
فَالآنَ إِنْ تَقَبَّلُوا نَأَخَذُ مُحْضَرَكُمْ • وَإِنْ تُبَاهُوا فَاوَى غَيْرُ مَغْلُوبِ

وقال الحارث بن كلدة التغفي:

رَكَتُ الْفَارِسَ الْبَذَاخَ مِنْهُمْ • تَمُجُّ عُرُوقُهُ عَقْلًا عَيْطًا
دَعَسَتْ لِبَسَانَهُ بِالرُّمُجِ حَتَّى • تَمِغَتْ لِمَتْنِهِ فِيهِ أَطِيطًا
لَقَدْ أَرَدَيْتُ قَوْلَكَ بِأَيْنَ صَخْرٍ • وَقَدْ جَسَمْتُمْ أَمْرًا سَلِيطًا
وَكَمْ أَسَلْتُ مِنْكُمْ مِنْ تَكْبِيٍّ • جَرِيحًا قَدْ تَمِغَتْ لَهُ غَطِيطًا

مَضَتْ أَيَّامُ الْفِجَارِ الْآخِرِ، وَهِيَ نَحْمَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ .

قال أبو عبيدة: ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يذروا الفضل ويتاهدوا

ويتواخفوا .

يَوْمُ عَيْنِ أَبَاغٍ

قال أبو عبيدة: كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء، ثم مات فملك

أبيه عمرو، ثم هلك فملك بعده أخوه قابوس، ثم مات فملك أخوه المنذر بن المنذر

(١) أَبَاغٍ الَّذِي تَسَبَّاهُ بَنُو أَسَدٍ (بضم الهزلة وفتح المعجمة وضخ المعجمة أيضا): بطرف

أرض العراق مما بين الشام .

ابن ماء السماء . وذلك في مملكة كسرى بن هرمز، ففازه الحارث الضماني، وكان بالشام من جهة قيصر، فالتقوا بين أباغ، فقتل المنذر، فولى كسرى النعمان بن المنذر، ثم سعى إلى كسرى في النعمان فقتله، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله.

وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه هرب، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى فقدم إليه فقتله. وأستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي. وكان النعمان لما شخص إلى كسرى أودع حلقته، وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا، هاني بن مسعود الشيباني، وجعل عنده أبنته هنداء التي تسمى حرقاء، فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات :

الم تر للنعمان كان يحقوة • من الشر لو أن أمرا كان ناجيا
فلم أر تحذولا له مثل ملكه • أقل صديقا باذلا أو مؤاسيا

يوم ذي قار

قال أبو عبيدة : يوم ذي قار هو يوم الحنو، ويوم قراق، ويوم الحبابات، ويوم ذات المعجم، ويوم قطعاء ذي قار، وكلها حول ذي قار .

قال أبو عبيدة : لم يكن هاني بن مسعود المستودع حلقه النعمان، وإنما هو ابن أبيه، وأسمه هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود، لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : " اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من المعجم، وري نصروا " .

ولما قتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة بأمره أن يضم ما كان للنعمان، فابى هاني بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل، فقدم عليه النعمان بن زُرعة التغلبي فقال : يا خير الملوك، ألا أدلك

على غيرة بكر بن وائل ، قال نعم ، قال : أقرها وأظهر الإضراب عنها حتى يُجلبها
القيط ويُدبها منك ، فأقرهم ، حتى لما قاطلوا نزلت بكر حنوفى فار ، فأرسل إليهم
كسرى النعمان بن زُرعة يحرمهم بين ثلاث خصال : إما أن يُسلموا الحلقة ، وإما
أن يُعروا الديار ، وإما أن يأذنوا بحسب . فخطب بكر بينها ، فهم هانىء بن
قيصة يركوب الصلاة ، وأشار به على بكر وقال : لا تظفركم بمجموع لذلك ، فلم تر
من هانىء سقطه قبلها .

١٤١
١٣

وقال حنظلة بن نعلبة بن سيار المجل : لا أرى غير الفسار ، وإنما إن ركبنا
الفلاة لمتنا عطشا ، وإن أعطينا بأيدينا نفق لمناعتنا ونسبي ذراتنا ، فواست بكر
عنها وتوافت بذى فار ، فلم يشدها أحد من بني حنيفة . ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة
نقر : هانىء بن قبيصة الشيباني ، ويزيد بن مسهر الشيباني ، وحنظلة بن
نعلبة المجل .

فقال حنظلة بن نعلبة للملحى بن قبيصة : يا أبا أمامة - إن ذمتكم ذمتنا عاقبة ،
وإنه لن يوصل إليك حتى تنفى أرواحنا ، فانسرح هذه الحلقة فتزقها بين قومك ،
فإن نظرت فسترذ عليك ، وإن تهاك فاهون مفقود ، فتزقها فيهم . وقال للملحان :
لولا أنك رسول ما أتت إلى قومك سالما .

قال : فمعد كسرى للنعمان بن زُرعة على نعلب والتير . وعقد لخالد بن يزيد
البهرائى على قضاة وإياد . وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، ومعه
كتيبته : الشبابة ودوسر . وعقد للهلمز التستري على الف من الأساورة ، وكتب
إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن الحذق - وكان عامله على طف
سفوان - يأمره أن يوافق إياس بن قبيصة ، فصار إليه .

وسار إياس بن ممة من الجُند وغيرهم ، فلما دتوا من بكر أقبل قيس بن مسعود الى قومه ليلا ، فأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما ألقى الرُحَمان وقُرب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار السبيلي فقال : يا معشر بكر ، إن ثُساب الأعاجم يفرقكم ، فاجلوه الى اللقاء وابدءوهم بالشدّة ، وقال هاني بن مسعود : يا قوم ، مهلكٌ مقدور ، خيرٌ من منجى مغرور .
 وإن الجزع لا يرث القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية خيرٌ من الدنية ، واستقبال المنية خيرٌ من استدبارها ، فالخذ الحذر ، فإنا من الموت بد .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة ففُطِع وضُ النساء فسَقَطْنَ الى الأرض وقال : ليقاتل كل رجل عن حليته ، فسعى مَقَطعُ الوُضُن .

قال : وقطع يومئذ سبعائة من بني شيبان أيدي أقيمتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجالد القوم ، وقُتِلَ يزيد بن حارثة البشكري الماسرَزَ مبارزة ، ثم قُتِلَ يزيد بعد ذلك . فضرب الله وجوه الفُرس فأَنهَزُوا ، وأَتَبَتَهُمْ بِكَرٍ حتى دخلوا السواد في طلبهم ، وأَسَرَ الثمان بن زُرعة الثقلي . ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحاماة ، فكان أوّل من أنصرف الى كسرى بالهزيمة هو . وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كنفه . فلما أناه إياس بن قبيصة سألته عن الجيش فقال : هَرَمْنَا بِكَرٍ واثِلٍ وأَتَيْنَاكَ بِبَنَاتِهِمْ . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم أستاذنه إياس فقال : أئني قيس بن قبيصة مريض بعين التمر ، فأردت أن آتيه ، فأذن له .

ثم أتى كسرى رجُلٌ من أهل الحيرة وهو بالخوَرَق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس ، فظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة الجيش .

(١) الرضن : حزم الرجال .

وَقَتْلَهُمْ ، فَأَمَرَ بِهِ فُتِرَعَتْ كَتَفَاهُ . وَقَدْ أَكْثَرَتِ الشَّعْرَاءُ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَه أَعْنَى بِكَرْمَنِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكًا • فِي يَوْمِ ذِي قَارِ مَا أَخْطَأَهُمُ الشَّرَفُ
لَمَّا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ • مِنْهَا يَبْيِضُ لِنَشِيلِ الْمَهَامِ تَحْتَطَفُ
بَطَارِقُ وَبَسُو مَلِكَ مَرَاذِيَةٍ • مِنْ أَلْعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ •
كَأَنَّمَا الْأَلُ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ • وَالْيَضُّ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِيضِ يَكْفُ
مَا فِي الْحُدُودِ صُدُودٌ عَنْ سِيوفِهِمْ • وَلَا عَيْنُ الطُّغَيْنِ فِي اللَّبَابِ مُنْعَرِفُ
وَقَالَ الْأَعْنَى يُلُومُ قِيَامًا مِنْ آيَاتِ :

أَفَيْسَ بْنِ مَسْعُودٍ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ • وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تُرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
رَحَلْتَ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ • فَلَا يَلْتَقِي عَنْكَ مَا أَنْتَ قَائِلُ
نُعْرِيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ • كَمَا عُرِيَتْ مِمَّا تَمِيرُ الْمَسَائِلُ
شَقِيَ النَّفْسَ قَتْلَ لَمْ تُؤْمَدْ خُدُودُهَا • وَمَاذَا وَلَمْ تَقْضَ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ
لَعَلَّكَ بِيَوْمِ الْحِنُو إِذْ صَبَحْتَهُمْ • كَتَائِبُ لَمْ تَقْصِكَ بَيْنَ الْعَوَادِلُ

١٤٢
١٣

قَالَ : وَلَمَّا بَلَغَ كَسْرَى خَبَرَ قَيْسَ بْنِ مَسْعُودٍ بِمَا فَعَلَ مَعَ قَوْمِهِ حَبَسَهُ حَتَّى مَاتَ فِي حَبَسِهِ ، فَجَاءَهُ قَالِ الْأَعْنَى :

• وَعُرِيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ •

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر في أحد

الأصليين الفتوغرافيين المرموز له بنسخة (١)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار وحذف التكرار من كتاب « نهاية

الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب القرشي المعروف بالتويزي •

(١) رواية الهند الهندي : « كتاب موت لم تنظك العواذل »

رحمة الله تعالى عليه ومُغْفَرَانِهِ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ فَقِيرٌ رَحِمَهُ رَبُّهُ الشَّامِلُ نَوْرُ الدِّينِ بْنِ شَرْفِ الدِّينِ الْعَالِمِيِّ ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَتِسْعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الرَّابِعُ عَشَرَ مِنْ نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَأَوَّلُهُ : (الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْفَرْقِ الْخَامِسِ فِي أَخْبَارِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) .

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر أيضا
في الأصل الثاني الفتوغرافي المرموز له بنسخة (ب)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار ، وحذف التكرار ، بعون الله تعالى وتوفيقه ويُمْنُهُ ، وبتمامها كل الجزء الثالث عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع عشر من الكتاب ، وهو الجزء الرابع من التاريخ : القسم الخامس من الفرق الخامس في أخبار الملة الإسلامية . وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

« وكتب بالهامش ما عساه : بلغ مؤلفه مقابلة بأصله والمحمد لله » .



انجزت - بعون الله وحسن توفيقه - تصحيح وتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » من مجزئة طبعة دار الكتب المصرية في يوم الأحد ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٦٨ هـ ٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م .
ويليه الجزء السادس عشر وأوله : « القسم الخامس من الفرق الخامس في أخبار الملة الإسلامية » .

محمد عبد الجواد الأصمعي
المصحح بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية

مطابق کوستا سوما س و شرکاہ
۵ شارع نعت المیزبانی، القاهرة
مصر

تراثنا

نهاية تراث

في

فتوه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء السادس عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والآثار القومي

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع کوستان سولاس و شراہ
• شارع وقف النعم وطل بالظاہر - ۹۰۱۱۸
القاضی

كان الإعتناء في تحقيق هذا الجزء على
خطوطة « كبريل » بالآستانة . وصورتها
محفوطة بدار الكتب برقم ٥٤٩ معارف عامة .
وقد رمز إليها بالحرف « ١ »

فهرست

السفر السادس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري

القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية

صفحة

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الخامس في سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ٢

نسبه الطاهر صلى الله عليه وسلم ٢

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

ذكر نبذة من أخبار آبائه ٦

خبر اقتراع البيت ومكة من خزاعة ومن ولد البيت بعد إسماعيل

عليه السلام ، إلى أن اقترعه نعي ابن كلاب ٢٢

ذكر ولاية هاشم الرفادة والسقاية ٣٤

أخبار عبد المطلب بن هاشم ٣٩

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكنيته ٤٠

ذكر حفر عبد المطلب زمزم ، وما وجد فيها ٤٣

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبنى قيس حيلان ، وهذيل ومن معها ٤٨

صفحة

- ذكر نذر عبد المطلب لغير أبيه ، وخروج القديح على عبد الله
 ٥٠ والد رسول الله ، وفدائه
- ذكر زواج عبد الله آمنة بنت وهب ، أمه عليه السلام ٥٦
- خبر المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب ٥٨
- حل آمنة برسول الله ، وما رأته في ذلك ٦٣
- وفاة عبد الله بن عبد المطلب ٦٦
- ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧
- ذكر اسمائه وكناه ٧٢
- ذكر ما جاء في تسميته بها ، وأحمد ، ومن تسمى بمحمد قبله من
 العرب ، واشتقاق ذلك ٧٥
- أسمائه في الكتب المنزلة ٧٨
- أسمائه ونسبه التي جرت على السنة أمة الأمة ٧٩
- مراضعه وإخوته من الرضاعة وما ظهر من محبته في زمن الرضاعة
 وحال طفولته ٨٠
- وفاة أمه ٨٧
- كفالة جده له ٨٨
- خروجه إلى الشام مع عمه أبي طالب ، وخبر بحيرا الراهب ٩٠
- رضيته التزم ٩٣
- حضوره حلف الفضول ٩٤
- خروجه إلى الشام المرة الثانية ، وحديث أسطورا ٩٥
- ترويحه خديجة بنت خويلد ٩٧

- ٩٩ ... حضوره هدم الكعبة وبنائها
- ١٠٢ ... اختلاف قريش في رفع الركن وتواضعهم به صلى الله عليه وسلم ،
وخبير النجدى
- ١٠٥ ... ذكر المبشرات به صلى الله عليه وسلم قبل مولده وبمبعته وبعد ذلك
- ١٢٩ ... خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة ...
خبر سيف بن ذي يزن وقصته مع عبد المطلب وتشيعه به صلى الله عليه وسلم
- ١٣٧ ... خبر من ذكر صفته صلى الله عليه وسلم بعد بعثته وذكر قومه بها
- ١٤٨ ... ذكر بشائر كهان العرب به صلى الله عليه وسلم
- ١٦٥ ... خبر مازن الطائي في سبب إسلامه
- ١٦٨ ... ذكر بعثته صلى الله عليه وسلم ، وما بدئ به من النبوة
- ١٧٦ ... ذكر فقرة الوحى عنه ، وما أنزل بعد فترته
- ١٧٨ ... ذكر فرض الصلاة
- ١٨٠ ... أول من أسلم ولكن بالله تعالى وبرسوله
- ١٨١ ... خبر إسلام علي بن أبي طالب
- ١٨٣ ... خبر إسلام زيد بن حارثة
- ١٨٧ ... ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق
- ١٩٢ ... ذكر تسمية من كانت لهم ساجدة في الإسلام من العرب من غير قريش
- ١٩٥ ... ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام
- ١٩٨ ... ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جاهدوا بالمداوة
- ١٩٩ ... ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمره وما كان بينهم من المحاورات

- ٢٠٣ ذكر تمخّز قريش عليه صل الله عليه وسلم ، وأذاهم له ولأصحابه
- ٢٠٨ ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ٢٠٩ ذكر مشى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة إلى رسول الله صل الله عليه وسلم ، وبماعهما القرآن
- ٢١٢ اجتاع أشراف قريش إليه صل الله عليه وسلم ، وما عرضوا عليه ، وما طلبوا منه أن يرجع إياه ويخبرهم به
- ٢١٧ قصة أبي جهل في الجحر الذي قصد قتل رسول الله صل الله عليه وسلم به ، وما شاهده من حماية الله تعالى لنبيه
- ٢١٩ خبر النضر بن الحارث وما قال لقريش وإرسالهم إياه إلى أحبار يهود يثرب ، ومعه عقبة بن أبي معيط ، وما عاذا به
- ٢٢٢ ذكر ما أشمكت عليه سورة الكهف مما سأله عنه
- ٢٢٥ ذكر ما أزل من القرآن عليه صل الله عليه وسلم فيما سأله قومه لأنفسهم ، من تفسير الجبال وغيره
- ٢٢٧ ذكر ما كان من عناد قريش بعد ما عرفوا من صدقه فيما حدث
- ٢٢٨ ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صل الله عليه وسلم
- ٢٢٩ ذكر ما نال أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم من أذى قريش هجرة أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم إلى الحبشة ، وهي الهجرة الأولى
- ٢٣٣ رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل في سبب رجوعهم
- ٢٣٦ ما ورد في توهين حديث الفرانقي
- ٢٤١ الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ، ومن هاجر إليها من الصحابة ،
- ٢٤٧ ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة ، وإسلامه

٢٥٣	إسلام عمر بن الخطاب ...
٢٥٨	تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ...
٢٦٢	ذكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها ، وكيف دخلوا مكة
	ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٦٥	وهو بغير ...
٢٦٧	أسماء من هلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ...
٢٦٨	من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش ، وما أنزل فيهم ...
	خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة ، وعوده وجواره
٢٧٥	ورده الجوار ...
٢٧٧	وفاة أبي طالب بن عبد المطلب ومشى أشرف قريش إليه ...
٢٧٩	وفاة خديجة بنت خويلد ...
	خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعوده إلى مكة
٢٨٣	خبر الإسراء والمعراج ...
٢٩٣	ذكر من قال إن الإسراء كان بالجسد وفي اليقظة ...
٢٩٥	ذكر ما ورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ...
٣٠٠	ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك ...
٣٠٢	ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب في المواسم
٣٠٦	خبر مفروق بن عمرو وأصحابه ...
٣١٠	بيعة العقبة الأولى ...
٣١٢	بيعة العقبة الثانية ...
٣١٣	بيعة العقبة الثالثة ...

٣١٧	تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول آية
٣٢١	أُنزلت في القتال
»	أول من هاجر من مكة إلى المدينة
٣٢٦	اجتماع قريش في دار الندوة
٣٣٠	ذكر ابتداء هجرته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه
٣٣١	خبر الغار وما قيل فيه
	خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من الغار إلى المدينة ،
٣٣٣	وخبر سراقه بن مالك وأمّ مَعْبَد
٣٣٩	قدومه مع أبي بكر إلى المدينة
٣٤١	خروجه من قُبَاء ، وتحوله إلى المدينة
٣٤٤	بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة
٣٤٥	بناء المسجد الذي أسس على التقوى ، وهو مسجد قُبَاء
٣٤٦	ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمى المدينة
٣٤٧	ذكر مؤاخاتة صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار
٣٤٨	ذكر كتابه الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة يهود
٣٥١	أخبار المنافقين من الأوس والخزرج ، وما أنزل فيهم من القرآن ...
	ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة له صلى الله عليه وسلم ،
٣٦٢	وما أنزل فيهم من القرآن
٣٦٣	إسلام عبد الله بن سلام ومُخْبِرَيْق
٢	سؤال أحبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتراطهم أنه إن
٣٧٠	أجابهم عما سألوه آمنوا به

صفحة	
٣٧٢	كتابيه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى يهود خيبر
٣٧٣	ما قاله أحبار يهود في أوائل السور
٣٧٤	ذكر شيء من مقالات يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك
٣٧٨	ذكر ما ألفاه شاس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج من الفتنة
	ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم ، وما أنزل الله تعالى
٣٨٠	في ذلك
٣٨٤	قصة الرجم
٣٩٠	ذكر ما ورد من أن يهود همروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٩٣	ذكر الكلام على مشكل حديث السحر
٣٩٥	خبر الشاة التي سم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر الحوادث بعد الهجرة ، من السنة الأولى إلى العاشرة

٣٩٦	حوادث السنة الأولى
٣٩٧	حوادث السنة الثانية
٣٩٧	ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة
٣٩٩	ذكر خبر الأذان
٤٠٠	حوادث السنة الثالثة
٤٠٠	حوادث السنة الرابعة
٤٠١	نزول الجباب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٢	حوادث السنة الخامسة
٤٠٢	ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع

صفحة	
٤٠٥	حديث الإنك، وما أنزل الله تعالى من برادة عائشة رضى الله عنها ...
٤١٧	خبر التيمم
٤١٨	حوادث السنة السادسة
	هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وما أنزل الله تعالى
٤١٨	في هجرة النساء
٤١٩	حوادث السنة السابعة
٤٢٠	حوادث السنة الثامنة
٤٢٠	اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، وخطبته عليه
٤٢١	إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن أبي طلحة ...
٤٢٣	حوادث السنة التاسعة
٤٢٧	خبر مسجد الضرار وهدمه ، ومن آتخذه من المنافقين
٤٢٩	إسلام كعب بن زهير ، وأمتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم
	جج أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، وأذاب على
٤٣٩	رضى الله عنه بسورة برادة
٤٤٠	حوادث السنة العاشرة ، وفيها كانت حجة الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الملة الإسلامية

لما انتهى القرض في التاريخ إلى الناية التي ذكرتها ، والقصاص في الأخبار التي أوردتها ، والدول والوقائع التي انتخبناها ، مما طالعته وحررتها ، عمدت إلى ذكر الملة الإسلامية التي فضلها الله تعالى على سائر الملل ، ورفع أهلها بالعمل الصالح ووقفهم لصالح العمل ، ووعدهم برحمته ، فهم من وعده في أمن ، وحذرهم عقابه ، فهم من وعده على وجل ، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم وأقربهم لبلوغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة وعدل ، وجعله شافعا لذنوبهم في يوم أحجم فيه من سواه عن الشفاعة وبنته أشغل ، وجعلهم به خير أمة أخرجت للناس بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، إذ جحد غيرهم ونكل ، فهم الشهداء على الناس لأيمانهم ، وناهيك بها رتبة تقدم بها أوتار القوم على الأول . وقلت : بالله التوفيق ، ومنه الإعانة وعليه المنكل .

الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الخامس

في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي السيرة التي ظهرت آياتها ، واشتهرت مُعْجَزَاتُهَا ، وأشرقت أنوارها ،
 وانتشرت أخبارها ، وتمت فضائلها ، وطابت بُكْرُهَا وَأَصَالُهَا ، وحُسْنُ أوصافها ،
 وكَثُرَ إنصافُها ، وجاءت في ظُلْمَةِ الضلالة تنقذ ، وما أنكر المدوّ فضائلها بل شهد ؛
 وفضائل شهد المدوّ بفضلها * والفضل ما شهدت به الأعداء

تالله لقد عجز الرواصفون عن وصفها ، وأعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ
 اليسير من مدّى مدحها :

وإذا أَرَدْتُ لك التناءة فما الذي * — والله قد أثقّ عليك — أقولُ ١٠

ولنبداً بذكر نسبهِ الطاهر صلى الله عليه وسلم ، وإن كنا قد متناه مُستوفٍ
 في باب الأنساب ، فلا غُنيّة عن تَرَدُّدِهَا ههنا .

هو أبو القاسم عبد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ، بن عبد المطلب — وأسم
 عبد المطلب : ثَبِيّةُ الحمد — بن هاشم — وأسم هاشم عمرو — بن عبد مناف
 — [وأسمه] الْمُغِيرَةُ — بن قُصَيٍّ — وأسمه زَيْدٌ — بن كلاب ، بن مِرَّة ، بن كعب ،
 ابن لُؤَيٍّ ، بن غالب ، بن فِهْر . وإلى فِهْرٍ جُماع قُرَيْشٍ ، ومن كان فوق فِهْرٍ فليس ١٥

(١) ٣٧٦:٢ وما بعدها .

(٢) تكملة عن الخلف قصه فيما بقي له بعد

هو بقرشي . وهو هو ابن مالك ، بن النضر ، بن مخانة ، بن نزيمة ، بن مديكة
 - وأسم مديكة عامر^(١٦) - بن إلياس ، بن مضر ، بن زيار ، بن معد ، بن عدنان .
 روى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان إذا أنسب لم يجاوز في نسبته معد بن عدنان بن آدد ، ثم يسك ويقول :
 « كذب النسابةون^(١٧) » . قال الله عز وجل : (وَقرؤنا بين ذلك كيثما^(١٨)) . قال
 ابن عباس : لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه .
 وعن هشام بن محمد^(١٩) قال : سمعت من يقول : « كان معد على عهد عيسى بن
 مريم عليه السلام » .

٤

وقد تقدم في باب الأنساب ، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن
 الثاني من كتابنا هذا ، في السفر الثاني من هذه النسخة ، ما اختاره الشريف
 أبو البركات محمد بن أسعد بن علي بن مقسم الحسيني الجسوافي النسابة^(٢٠)

(١) سيذكر المؤلف في ص ١٢ عن ابن السائب : أن مديكة يسمى « عمرا » أيضا ، وفي نسب قريش
 (الورقة ٣ ب) : « فوله إلياس بن مضر مديكة ، واسمه عامر ، وطايبة ، واسمه عمرو ، وقعة ، واسمه حمير » .
 (٢) رواه ابن صاكر في تاريخ دمشق ٢ : ١٦٩ . ويقول السيل في الرض الأنف ١ : ٨ :
 « والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود » . وانظر الجامع الصغير ٣ : ١٩٠ .
 (٣) القرآن ٣٨ .

(٤) هو أبو الفتح هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ ، مل خلافت .
 انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٥٨ .

(٥) ٣٧٦ : ٢

(٦) كناه المؤلف هنا وفي باب الأنساب - فيما سلف له - أبا البركات ، وهي كنية أبيه أسعد .
 (٧) هو أبو علي محمد بن أبي البركات أسعد بن علي الحسيني الجسوافي (٥٢٥ - ٥٨٨) يتنسب
 إلى « الجسوافية » بفتح الجيم وتشديد الواو ، وهي قرية قرب المدينة . انظر تاج العروس (جنون) ،
 صميم البلدان (٣ : ١٥٦) .

في «مقدمته» بعد مئة : بن مدنان، بن أذ، بن أدد، بن اللّسع، بن المصّيع، بن سلامان، بن تبت، ابن حل، بن قيذار، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، صلى الله عليهم وسلم، ابن تارح، وهو آزر، بن ناحور، بن ساروخ، بن أرغو، ابن فالغ، بن عابر، وهو هود النبي عليه السلام — وهو جُماع قيس ويمن ويزار وخيف — بن شائع، بن أرغشدد، بن سام، بن نوح [النبي] عليه السلام، بن لمك، بن مؤشلع، بن أخوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، بن يارد، ابن مهلائيل بن قيثان، بن أنوش، بن هبة الله شيث، بن أبي البشر آدم عليه السلام.

هذا ما أورده الشريف الجواني قال : وعليه أكثر أئمة الأنساب .

وستريد إن شاء الله تعالى ، في أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 زيادة حسنة يحتاج إلى إيرادها من مختلف قن بده ، تحف عليها قريبا ،
 إن شاء الله تعالى ، بده ذكرنا لأمهاته صلى الله عليه وسلم .

(١) سماها مرضى الرئيسى « المقدمة الفاضلة » لأن الجرافى أعدها باسم الفاضل الفاضل ،
 وجعلها مقدمة لكتابها الجوهر المكون ، فى القبايل والوطن . وقد جاء النص الذى نقله النورى هنا
 فى (الورقة ٩ ب ، ١١٤) من مخطوطة دار الكتب رقم ١٩ م تاريخ .
 (٢) علماء الطب فى « أد » و « أدد » فرغان : الأول أنهما شخصان ابن ووالد ، وهو الذى
 حكاه المؤلف هنا عن الجرافى (الورقة ١١٤) وقالت به طائفة ، والقرئى الثانى أن سماها شخص واحد ،
 يقال فيه « أد » مرة ، و « أدد » مرة أخرى .
 (٣) ورد هذا العلم فى مقدمة الجرافى بالنسب المجبة (الورقة ٩ ب ، ٥٣) وبالعين المهمة
 فى (الورقة ١١٤) .

(٤) إنشأه عن مقدمة الجواني (ورقة ١١٤) .
 (٥) تختلف كتب النسب في رواية هذه الأعلام اختلافا كبيرا . وقد اتحدت فيها رواية الجواني كما وردت في نسخة (١٩ م تاريخ) لأن العلماء بالنسب تناولوها ومحصروها .
 (٦) في الأصل : « تحف طيه » .

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله تعالى في طبقاته الكبرى :

« أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال :

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ،
ابن زهرة ، بن كلاب بن مرة . وأنها برة ، بنت عبد المزى ، بن ضئان ، بن
عبد الدار ، بن قصي ، بن كلاب . وأنها أم حبيب ، بنت أسد ، بن عبد المزى ،
ابن قصي بن كلاب . وأنها برة بنت عوف ، بن عيسد ، بن عويج ، بن عدي ،
ابن كعب ، بن لؤي . وأنها قلابة بنت الحارث ، بن مالك ، بن حباشة ، بن
هشم ، بن ليثان ، بن عادية ، بن صعصعة ، بن كعب ، بن هند ، بن طابخة ، بن
ليثان ، بن هذيل ، بن مديكة ، بن إلياس ، بن مضر . وأنها أُمَيَّة بنت مالك ،
ابن غنم بن ليثان ، بن عادية ، بن صعصعة . وأنها دُب بنت ثعلبة ، بن الحارث ،
ابن تميم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مديكة . وأنها عاتكة بنت فاضلة ، بن
حطيط ، بن جثم ، بن قحيف ، بن منبه ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان . واسمها لاس . بن مضر . وأنها لبلى
بنت عوف ، بن قحيف . وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قبيلة .
ويقال : هند بنت أبي قيلة . »

وقال ابن الكلبي : « كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم ، فما وجدت

ففيه سفاها ، ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية . »

(١) ٣٠ : ١ - ٣١ (قسم أول) .

(٢) في نسب قريش (الورة ١٨) ، والروض الأنف ١ : ٧٨ : « وأم أُمَيَّة دية » .

(٣) في طبقات ابن سعد ٣٠ : ١ (قسم أول) : « قحيف » وهو قيس بن منبه » .

(٤) في طبقات ابن سعد ٣٠ : ١ (قسم أول) : « عوف بن قيس » وهو قحيف » .

وعن محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنا خرجت من نكاح ولم أخرج من سيفاح من لَدُنْ آدم ؛ لم يُصْنِ من سيفاح أهل الجاهلية شيء ؛ لم أخرج إلا من طَهْرَةٍ » . والله الفعّال .

ذكر نبذة من أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب

قد تقدم ذكر آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الأنساب ، وذكرنا كل أب من آبائه وأولاده ومن أحقّب منهم ، وجعلنا العمدة على سرد عهود النسب لشريف على ما وقف عليه هناك في السفر الثاني من كتابنا هذا من هذه النسخة ، وسردنا النسب أيضا آنفا . وقد رأينا أن نذكر في هذا الموضع نبذة أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماء ، والكُنى ، والألقاب ، وبعض الوقائع والأخبار ، مما لم يتقدم ذكره ، فنقول وبالله التوفيق :

أما عدنان فإنه أصل أهل الأنساب حقيقة ؛ لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتهى في النسب إلى معدن عدنان أمسك ، ثم قال : « كَذَبَ السَّابِرُونَ » . قال الله جل ثناؤه : (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) . وقد روى أنه قال : « عدنان بن أدد » . والله أعلم .

(١) هو أمير جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ملحق تابعي ، في مولده ووفاته خلاف . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٠ .

(٢) هذه رواية ابن سعد ١ : ٣٠ ، وهي تنسرد « بزيادة إنا » في أول الحديث ، وقراءة « لم أخرج إلا من طهرة » في آخره . وقد رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وابن عساکر ، وابن عدى في مكمل ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢ : ٢٥٦ باختلاف في الرواية ، وقال عقبه : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح » . (٣) ٢ : ٣٥٨ — ٣٧٧

وأما معد بن عدنان ، فكنته أبو قضاة ، كُتِبَ بولده قضاة وهو يكره .
ومعد (بحريك العين وتشديد الدال) ، وفي طي معد (بتسكين العين) بن مالك
ابن قينة ، وفي خشم أيضا معد (بتسكين العين) بن الحارث ، بن تميم ، بن كعب ، بن
مالك ، بن علفة . وأم معد بن عدنان : مهدد ، بنت الهم بن جلعب الجرهمية ، وقيل
فيها مهاد بنت ليم . وقيل الهم بنت جلعب ، وفي رواية خليل ، بن طهم ، بن يثع ،
ابن عابر ، بن اسليخيا ، بن لاوذ ، بن سام ، بن نوح . حكاه الزبير بن بكار .

٣
١٤

وذكر عبد الملك بن حبيب أن ولد معد بن عدنان سبعة عشر رجلا ، دَرَج
منهم بلا عقب تسعة ، وأعقب ثمانية .

وقال أبو الريح بن سالم : ذكر الزبير بن أبي بكر ، أن مختصرًا أمر بفزو
بلاد العرب ، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لتقتلهم أنبياء الله تعالى ، وردهم رسالاتهم ،
(١) في الأصل : « وكنيته » ، والمكان لقاء .

(٢) في الأصل : « قفة » ، وانظر شرح الحماسة لشرير ٣ : ١٤٣ ، تاج العروس (قا) .
(٣) في « مقدمة » الجسواني (الورقة ٤٨ ب) : « بنت الهم الجديسية » . ومر المؤلف
(٢ : ٣٤١) أنها : « بنت الهم الجرهمية » . وانظر تاريخ الطبري ١٩١ : ٢ ، وابن الأثير ١٢ : ٢ .
(٤) في نسب غريش لمصعب الزبير (الورقة ٢ ب) : « فولد عدنان أد معدا ، والحارث وهو ملك ،
وأما مهاد بنت لم بن جليد بن طهم » ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٣٦ (قسم أول) : « مهدد بنت الهم
ابن جلعب بن جديس بن جابر بن ليم » .
(٥) في الأصل : « لود » . وانظر تاج العروس « لود » .

(٦) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ - ٦٣٤) . من مؤلفاته كتاب الاكتفا ،
بما تضمنه من مناقب المصطفى ، وضعه نقل المؤلف ، وقد ورد هذا النقل في (الورقة ١٢) من مخطوطة
دار الكتب المصرية .

(٧) هو الزبير بن بكار بن عبد الله : أبو عبد الله بن أبي بكر النساب القاضى المدنى (١٧٢ - ٢٥٦)
انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢ .

(٨) في الأصل : « بلاد المغرب » ، والمثبت رواية الاكتفا ، والخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول)
(٩) في الأصل : « وقتلهم » ، قنسل . والمثبت عن الاكتفا . وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧
(قسم أول) : « وقتل مقاتلهم » .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

أمر إرميا بن حلفيا - وكان فيما ذكرني بني إسرائيل في ذلك الزمان - أن أنت
معد بن عدنان الذي من ولده خاتم النبيين، وأجمله ملك إلى الشام، وتول أمره .

وقال السهيلي^(١) : « أوحى الله تعالى إلى إرميا أن أحمل معد بن عدنان على البراق

إلى أرض العراق ، فإني مُستخرج من صلبه نبياً اسمه محمد ، فعمل معه معد وهو

أبن اثني عشرة سنة ، وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها مَعَاة .

قال أبو الربيع بن سالم : « ويقال المحمول عدنان ، والأول أكثر . قال : وفي حديث

أبن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى بعث ملكين فاحتلا معداً ، فلما رفع

الله تعالى رأسه عن العرب ، ردها إلى موضعه من تهامة ، فكان بمكة ونواحيها مع

أخواله من جرهم » .

وقال الزبير : « حدثني علي بن المغيرة قال : لما بلغ بنو معد عشرين رجلاً ، أغاروا

على عسكر موسى عليه السلام ، فدعا عليهم ثلاث مرّات فقال : يا رب ، دعوكم

على قوم فلم تُجِبني فيهم بشيء . قال : يا موسى ، دعوت على قوم فيهم خير في آخر

الزمان » .

وفي هذه الرواية ما فيها من المتأناة لما تقدم من أنه كان مع إرميا ، ومن

قال إنه كان على عهد موسى عليه السلام . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع .

وأما تَزَادُ بن معد ، فكنته أبو إِيَاد ، وقيل أبو ربيعة . وزار (بكسر النون) .

قال السهيلي^(٢) : « من التّر وهو القليل . وكان أبوه حين ولده له ، ونظر إلى النورين

(١) سقط من السهيلي ١ : ٩ : « إلى أرض العراق » وقد تصرف المؤلف في النص .

(٢) في الخبر عن البشر ١٧ : ٣ (نسخ أول) : « هم خير » .

(٣) تقدم ذلك في ص ٣ .

(٤) في الأصل : « وكنيته » .

(٥) الروض الأثف ١ : ٨ .

عنده، وهو نور النبوة الذي كان يختل في الأملاب إلى عهد صل الله عليه وسلم فَرِحَ به قَرَحاً شديداً ، ونَحَرَ وأَطَمَ وقال : إنا هذا كله نَزَرُ لِحَقِّ هذا المولود، فسَمِيَ نَزَاراً لذلك». وأم نزار: مَعَايَةُ بنت جَوْشَم بن جُلْهَمَة، بن عمرو، بن هُلَيْيَة بن دَوْء، بن جُرْهم. قال السجلى : «ويقال اسمها نَاعِمَة» .

وأما مَضَر بن نَزَار فأمه [و] أم إِيَاد: سَوْدَة بنت عَكّ، بن الذّيب، بن عَدْنان. وقال محمد بن الحسين في كتاب «التحفة» : إنا أم مَضَر اسمها سَوْدَة بنت عَكّ ، قال : وقيل حُيَيْيَة بنت عَكّ وقاله الزبير بن بَكْر. وروى أن أم مضر خاصة سَوْدَة بنت عَكّ، وربيعة وأنمار وإياد أمهم شقيقة بنت عَكّ، وإلى مضر تنسب مضر الحمراء لسكناها قِباب الأَدَم، ومضر السوداء سُميت بذلك لسكناها المظال .

وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالنسب : إنهم قالوا : لما حَضَرَت نَزَاراً الوفاة، أثار إياداً بولاية الكعبة ، وأعطى مَضَر ناقة حمراء فسَمِيَ مَضَر الحمراء،

(١) هكذا ورد هذا العلم في تاريخ ابن الأثير. وفي البداية والنهاية ٢ : ١٩٤، والروض الأوفى ١ : ٩٠ : «جوشن» . وفي التفسير عن البشر ٣ : ١٧ قسم أول : «معاينة جوشن» . وفي المقدمة للقاضية (الورقة ٤١ ب) «معاينة بنت جرم الجرهمية» . (٢) في الأغانى ٧ : ٧٧، نسب قريش (الورقة ٢ ب) «وأنظر عن البشر ٣ : ٧ (قسم أول) : «بن عامر بن عرف بن هدي بن دب» .

(٣) رواية الأصل وابن سعد في الطبقات ١ : ٣٠ (قسم أول)، وأنظر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول) : «... بن جلهمه بن دوء بن هليية بن جرم»، والتصويب عن نسب سعد لابن الكلابي ١ : ٣ وأنظر تاج العروس ٩ : ٣٦٧. وفي السجلى ١ : ٩٠، ونسب قريش ، والبدية والنهاية : «دب بن جرم» . (٤) في الأصل : «وأمه» . (٥) الذيب ، بإبدال المعجمة ويدها يا. واليا. الموحدة وداية الزبير بن بكار والجسواني ، ويقال فيه : «الذيب» بإبدال الهمزة والفاء المنة . وأنظر تاج العروس (حك) ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ٢٨٧ ب، والروض الأوفى ١ : ١٣٠ .

(٦) حكاه أيضا الكلابي في الاكتفاء (الورقة ١٤) . (٧) هذه رواية الجسواني في مقدت (الورقة ٤٢ أ)، وجاء في (الورقة ٤٢ ب) منها أيضا : «وأعطى مضر ناقة حمراء» .

وأعطى ربيعة فرسه، فسَمُوا ربيعة الفرس، وأعطى أماناً جارية له تسمى بجيلة
فحُضِلَتْ بَيْتَهُ، فَسُمِّيَ بِجِيلَةَ أَمَارٍ.^(١١)

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم : « إنَّ المصبا من
المصبة »، و« إنَّ حُشَيْنَا من أخشن »، وقصتهم مع الأفعى الجرهمي، وهو في الباب
الأول من القسم الثاني من الفن الثاني في السفر الثالث من هذه النسخة من
كتابنا هذا.^(١٢)

قال ابن الأثير الجَزْزِيّ:^(١٣) « ومُضَرٌّ قول من حدّا، وكان سبب ذلك أنه سقط
من بصره، فأنتكرت يده بجل يقول : يا يقداه! يا يقداه! فأنته الإبل من المرعى،
فلما صلح وركب حدّا، وكان من أحسن الناس صوتاً، وقيل بل أنتكرت
يد موله في فصاح، فأجتمعت الإبل، فوضع مُضَرُّ الحُدَّاء وزاد الناس فيه ».

قال السَّيْلِيّ: وفي الحديث : « لا تُسَبِّحُوا ربيعة ولا مُضَرَّ فإنهما كانا مؤمنين »^(١٤)
وروى عبد الملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيّب أن رسول الله، صلى الله
عليه وسلم، قال : « لا تُسَبِّحُوا مُضَرَّ فإنه كان مسلماً على ملة إبراهيم ».^(١٥) وعن
عبد الملك بن حبيب والزيير وجماعة : أن ربيعة ومُضَرَّ الصَّرِيحُ من ولد إسماعيل
ابن إبراهيم، عليهما السلام. قال : وحدثني أبو معاوية، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء،

(١) في الأصل : « به » تصحيح، والتصحيح من مقدمة الجواني (الورقة ٢٢ ب).

(٢) جمع الأمثال ١٣٤١. (٣) جمع الأمثال ١ : ١١١، ومجمع البلدان ٤٤٣ : ٤٤٤.

(٤) هو الأفعى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحرر لابن حبيب ص ١٣٢ وجمع
الأمثال ١٠٢١. (٥) ٧٤٣. (٦) في الكامل ١١ : ٢. (٧) الأرض

٨ : ١، وفي الاكتفاء (الورقة ٢ ب) : « كانا مسلمين » - والحديث رواه الذهبي في مسند
الفرودس، انظر كنز الحقائق قنارى ص ١٨٢. (٨) رواه ابن سعد في الطبقات بلفظ :
« لا تسبوا مضرة كان له اسم » انظر الجامع الصغير ٤٤٦ : ٤٤٧.

٤
١٤

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: «مات آد والد عدنان، وعدنان، ومعد بن عدنان، وربيعة، ومضر، وقيس عيلان، وتميم، وضبة، وأسد، ونزينة، على الإسلام على ملة أبيهم إبراهيم، فلما تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون». والله الموفق.

وأما الياس بن مضر، فكنته أبو عمرو. وقال صاحب الاستمالة^(٢) قال الزبير: وقد مضر بن زيار الياس بن مضر، فلما أدرك الياس أنكر على بن إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم، وبأن فضله فيهم، ولأن جانبهم لم، حتى جمعهم رأيه ورضوا به، فرتهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها.

وهو أول من أهدى البئذ إلى البيت، وهو أول من وضع [حجر] الركن اللاس بعد شرق البيت وأنهدامه من نوح. فكان الياس أول من ظفر به، فوضعه في زاوية البيت.

وبعض الناس يقولون: إنما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل. قال: وفي هذا كله نظر. قال: وقال الزبير: ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة، كتعظيمهم لثعلب وأشباهه. قال ابن دحية: وهو وصى أبيه، وكان ذا جمال ياروع ودين، تعظمه العرب قاطية، وهو أول من مات بالسَّل. قال السهيلي: «وإنما سمى السَّل داء ياس وداء الياس لأن الياس بن مضر مات به».

(١) نص هذا الحديث في الإتياء لابن عبد الرزق ٧٨: «مات تميم بن مر، وأسد بن نزينة، وضبة بن أد، على الإسلام، فلما تذكرهم لا بما يذكر به المسلمون». (٢) في الأصل: «وكنته». (٣) لعل صفة الكلمة «صاحب الاكتفاء»، وقد رده هذا النص في الاكتفاء (الروقة ١). (٤) الكلمة من كلام المؤلف الآدم. (٥) أبو الخطاب عبد الحميد بن الحسن

ابن علي المعروف بذي التنين الأندلسي (٥١٤ - ٦٢٣). وفيات الأعيان ١: ٤٨١.

(٦) الروض الأتف ١: ٧. (٧) في الأصل: «دواء الياس». تصحيف.

(٨) في الروض الأتف ١: ٧: «مات به».

- ولما مات أيسفت أمراته يخنِيف عليه أسفا شديدا . وكانت تكدرت ، إن
هلك ، [١] لَا تُقِيمُ فِي بَلَدٍ مَاتَ فِيهِ ، وَلَا يُظَلُّهَا بَيْتٌ ، وَتَسْجَحُ فِي الْأَرْضِ ،
وَحَرَمَتِ الرِّجَالُ وَالطُّيُبُ بَعْدَهُ . فَلَمَّا هَلَكَ خَرَجَتْ سَانِحَةٌ حَتَّى هَلَكَتْ .
وكانت وفاته يوم الخميس ، فَتَلَوْتُ أَنْ تَبْكِيَهُ كَلِمَاتُ شَمْسٍ يَوْمَ الْخَمِيسِ
حَتَّى تَقِيبَ الشَّمْسُ . قَالَ السَّيْلِيُّ : « وَيُذَكَّرُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أَنَّهُ]
قال : « لَا تَسْبُوا الْيَاسَ فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا » . وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صَلَاتِهِ تَلْوِيَةَ النَّبِيِّ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِالْجَمْعِ » . وَاقِعُهُ أَهْلٌ .

- وَأَمَّا مُدْرَكَةُ بْنُ الْيَاسِ فَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ : وَأَسْمُهُ قَمَرٌ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ
وَالزُّبَيْرِ : عَامِرٌ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْمُدَّيِلِ ، وَقِيلَ أَبُو خُرَيْمَةَ . وَأُمُّهُ خَنْدِفٌ ، وَأَسْمُهَا لَيْلَى
بِنْتُ حُلَوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ . وَأَسْمُهَا خُرَيْمَةُ بِنْتُ رَيْبَعَةَ بْنِ
يَزَارَ ، وَبِهَا مَعَى « جَمْعُ خُرَيْمَةٍ » .

- وَأَمَّا خُرَيْمَةُ بْنُ مُدْرَكَةَ فَكُنْيَتُهُ أَبُو أَسَدٍ ، وَأُمُّهُ سَلَمَى بِنْتُ أَسْلَمَ بْنِ الْحَافِ
ابْنِ قُضَاعَةَ . وَقِيلَ سَلَمَى بِنْتُ أَسَدٍ بْنِ رَيْبَعَةَ ، وَخُرَيْمَةُ هَذَا هُوَ الَّذِي نَصَبَ هُبَلٌ
عَلَى الْكُفَّةِ ، فَكَانَ يَقَالُ هُبَلٌ خُرَيْمَةَ ، هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ . وَرَوَى عَنْ عَطَاءٍ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ خُرَيْمَةَ مَاتَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

- (١) تَكَلَّمَ مِنَ الرُّوْضِ الْأَنْفِ ٢ : ٢ (٢) الرُّوْضِ الْأَنْفِ ٨ : ١ (٣) فِي الْأَصْلِ :
« قَالَ » . (٤) فِي التَّحْقِيقِ مِنَ الْبَشَرِ ٢٧٣ (قِسْمُ الْأَوَّلِ) : « وَقَالَ الزُّبَيْرُ : فَوَلَدَ الْيَاسَ
ابْنَ مُدْرَكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ ، وَيُقَالُ قَمَرٌ » . (٥) قُرْبَى بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ إِلَى مَكَّةَ
أَقْرَبُ ، وَانْظُرْ خِلَافَهُمْ فِي تَحْدِيدِ هَذَا الْحَقِ ، وَفِي سَبَبِ نِسْبَتِهِ إِلَى خُرَيْمَةَ ، فِي مَسْجِدِ الْبَدَايَا ٥ : ٤٣٣ ،
تَابِعُ الْعَرُوسِ (خُرَيْمَى) . (٦) فِي الْأَصْلِ : « وَكُنْيَتُهُ » . (٧) فِي الْكَامِلِ

أما كُثَاةُ بْنُ خُزَيْمَةَ، فكَتَبَتْهُ أَبُو النَّضْرِ، وَأُمُّهُ عَوَانَةُ بِنْتُ سَمْعَدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ^(١٢)، وَيُقَالُ: بِلْ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ سَلَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامِ الْإِسْبِيلِيِّ: وَقَالَ أَبُو عَمْرِو الْعَدَوَانِيُّ لِابْنِهِ فِي وَصِيَّتِهِ: يَا بَنِي أَدُوكَتْ كُثَاةُ بْنُ خُزَيْمَةَ - وَكَانَ شَيْخًا مُسَيِّئًا عَظِيمَ الْقَدْرِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَجْعَلُ إِلَيْهِ لَعْلَمَهُ وَفَضْلَهُ - فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ آنَ تَخْرُوجُ نَجْمَةٌ بِمَكَّةَ يُدْعَى أَحْمَدُ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَأَتَيْمُوهُ تَرَدَّادُوا شَرْفًا إِلَى شَرْفِكُمْ، وَعِزًّا إِلَى عِزِّكُمْ، وَلَا تَتَمَدَّوْا مَا جَاءَ بِهِ، فَهُوَ الْحَقُّ. « وَاللهُ الْمُرْتَقَى. »

وَأَمَّا النَّضْرُ بْنُ كُثَاةَ. فكَتَبَتْهُ أَبُو يَحْيَى، كُتِبَتْ بِابْنِهِ يَحْيَى. وَأَمَّ النَّضْرُ قَيْسَ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ الْحَمَتِيُّ: النَّضْرُ: الْقَتَبُ الْأَحْمَرُ. وَهُوَ النَّضَارُ، سُمِّيَ النَّضْرُ بِذَلِكَ لَوَضَاعَتِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ. وَأُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ مُسْرِ بْنِ أَدْنٍ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُعْتَرٍ أَخْتُ عَمِّ بْنِ مُسْرِ. وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ السَّيَرِ وَالْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ كُثَاةَ خَلَفَ عَلَى بَرَّةَ بَعْدَ أَبِيهِ خُزَيْمَةَ، عَلَى مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ، وَإِذَا مَاتَ الرَّجُلُ خَلَفَ عَلَى زَوْجَتِهِ بَعْدَهُ أَكْبَرُ بَنِيهِ مِنْ فِرْعَا. وَيُرْوَدُ هَذَا مَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحٍ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٍ، مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(١٣)، وَقَوْلُ أَبِي الْكَلْبِيِّ: «كَتَبْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْمِيلَةَ أُمِّ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا شَيْئًا مِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ». وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ آخِذَا.

(١) فِي الْأَصْلِ « وَكَتَبَتْ » . (٢) عَنْ التَّحْمِيلِ مِنَ الْبَشَرِ ٢ : ٢٢ (صَمِ أَوَّلُ) .

(٣) فِي الْأَصْلِ « بِأَيِّهِ » . تَصْغِيرُ . (٤) انظر شرح السيرة للحمدي ١ : ٢

(٥) وَكَانَ الْقِيَامُ بِحَقِّ أَبَاءِهِ عَلَى زَوْجَتِهِ يَسْمَى الْقِيَامَ (لِسَانَ الْعَرَبِ - خَزَن) . وَفِي الْخَصِيرِ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٢٢٥ تَفْصِيلُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي نُسِبُوا إِلَيْهَا . (٦) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَنَهَايَةِ ٢ : ٢٥٦ ، هَذِهِ رِوَايَةُ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ أَبِي حَبِيبٍ : « وَهَذَا أَيْضًا حَدِيثٌ غَرِيبٌ » أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ صَاكِرٍ ، ثُمَّ أَسْتَعَدَّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

وقد اعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا أدلة على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية . وفي أصدارهم وأدلتهم بعض تكلف . وقد حصل الظفر .
 وقه الحمد والمثنة - بما يُزيل هذا الإشكال، ويرفع هذا الاحتمال، ويخلص من مهاوى هذه الشبهة ، وهو الصحيح ، إن شاء الله تعالى ، وسند كره بعد ذكر أصدارهم وأدلتهم .

- أما ما استدلوا به على تقدير أن يكون مكانة خلف على برة بنت مر بن أذ بعد أبيه ، فقال السبيل^(١) ، رحمه الله ، في قوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)^(٢) ، أى إلا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام ، قال : وفائدة الاستثناء ألا يُجاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعلَّ أنه لم يكن في أجداده بنية ولا سفاح ، ألا ترى أنه لم يقل في شيء منى عنه في القرآن .
 (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) نحو : (وَلَا تَعْرَبُوا الزَّانَا)^(٣) ، ولم يقل (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)^(٤) ، ولم يقل (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) ، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه الآية^(٥) ، وفي الجمع بين الأخنتين ، لأن الجمع بينهما قد كان مباحا في شرع من قبلنا ، وقد جمع يعقوب عليه السلام ، بين وإحبل وأختها ليا ، بقوله : (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) التفات إلى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى . ونقل السبيل هذه التكتة عن القاضي أبي بكر بن العربي .
 واعتذر من احتذر عن هذه الواقعة على هذا المنوال .

(١) قل هذا الاستدلال عن السبيل ، القسري في حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ ، وأورداني في شرح المواهب ١ : ٩٣ . (٢) النساء ٢٢ . (٣) الإسراء ١٧ (٤) الأنعام ٦ (٥) التكتة عن القسري ٢ : ٢١٥ (٦) في شرح المواهب القدسية ١ : ٩٣ : « يقال راجل يلجم وبالهاء » ، وفي جوهرة الأنساب لابن حزم ص ٤٦٩ : « ليا » بالهـ .

وأما ما أرتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ — رحمه الله — في كتاب له سماه « كتاب الأصنام » قال فيه : « وخلف مكانة بن نزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهي برة بنت أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وهي أم أسد بن المون ، ولم تلد لكانة ولدا ذكرا ولا أنثى ، ولكن كانت أبنة أخيها ، وهي برة بنت مضر بن أذ بن طابخة أخت تميم بن مضر عند مكانة بن نزيمة ، فولدت له الضرب مكانة » . قال : « وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن مكانة خلف على زوجة أبيه لآفاق اسمها وتقارب نسبهما » . قال : « وهذا الذي عليه مشايختنا وأهل العلم بالنسب » . قال : « ومعاذ الله أن يكون أصاب [نسب] رسول الله صلى الله عليه وسلم مقت نكاح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام ، حتى خرجت من أمي وأبي » . قال : « ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر . قال : والحمد لله الذي طهره من كل وسم وطهر به » .

وأما مالك بن النضر ، فكنته أبو الحارث ، وأمه عاتكة بنت عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان ، ولقبها عكرشة ، وقيل عوانة بنت سعد القيسية ، وقيل غير ذلك . ومالك هو أبو قريش كلها .

وأما فهر بن مالك — وهو قريش ، وفيه رقب غلب عليه — فكنته أبو غالب ، وهو جُماع قريش في قول هشام بن الكلبي . وأم فيه جندلة بنت عامر بن الحارث ابن مضاخ الجرهمي ، ومن جاوز فهدا فليس هو من قريش .

(١) في حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ : « تحت مكانة » . (٢) في الأصل : « ولا نفاق اسمها » ، تصحيف . (٣) التكملة من حياة الحيوان ، ٢ : ٢١٥ وشرح المصاب ١ : ٩٣ . (٤) في الأصل : « ودينه » . (٥) هذه رواية ابن السائب والبلادري . وفي رواية الزبير بن بكار : « جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر » ، وروى الزبير أيضا : « جندلة بنت الحارث بن عمرو أو عامر » . انظر الخبر من البشر ٣ : ٢٨ ، ٣٩ (قسم أول) .

- وقد اختلف في تسمية قُرَيْشٍ قُرَيْشًا، وَمَنْ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِهِ، فقال محمد بن كعب^(١) : إنما سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا لِتَجْمَعُهَا بِسَدِّ تَفَرُّقِهَا ، وقال محمد بن سلام : لما جمع قُصَيٌّ قِبَالَ النَّضْرِ، وحَارَبَ بِهِمْ خُرَاعَةً، وَقَلَبَ عَلَى الْحَرَمِ، سُمُّوا قُرَيْشًا لِاجْتِمَاعِهِمْ . وقيل : إنما سُمُّوا قُرَيْشًا لِأَنَّهُمْ يَتَقَوَّشُونَ الْبِضَاعَاتِ فَيَشْتَرُونَهَا . وقيل : جاء النَّضْرُ بِكَانَةِ فِي ثَوْبٍ لَهُ فَقَالُوا : قد تَقَوَّشَ فِي ثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَحُلُّ قُرَيْشًا ، أَيْ شَدِيدُ تَجْمُعٍ . وقيل : أَوَّلُ مَنْ سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ . قاله المبرد . وقال الشَّعْبِيُّ : النَّضْرُ بِكَانَةِ هُوَ قُرَيْشٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ قُرَيْشًا لِأَنَّهُ كَانَ يَقَوَّشُ عَنْ خَلَّةِ النَّاسِ وَحَاجَتِهِمْ فَيَسُدُّ ذَلِكَ بِمَالِهِ ، وَالْقُرَيْشُ : هُوَ التَّنْيِشُ ، وَكَانَ بَنُوهُ يَقَرَّشُونَ أَهْلَ الْمَوْسَمِ فَيَزَوِّدُونَهُمْ بِمَا يُنَلِّفُهُمْ^(٢) ، فسموا بِذَلِكَ مِنْ فِئَلِهِمْ .
- ١٠ وقال الزبير بن بكار قال عَمِي : قُرَيْشٌ بْنُ بَدْرٍ بْنِ يَثْلُجَ بْنِ النَّضْرِ كَانَ دَلِيلَ بَنِي كِنَانَةَ فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَكَانَ يُقَالُ « قَدِمْتَ مِنْ قُرَيْشٍ » ، وَأَبُوهُ بَدْرُ بْنُ يَثْلُجَ صَاحِبُ بَدْرٍ [الْمَوْضِعِ] الَّذِي كَانَتْ بِهِ الْوَقْعَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَذَكَرَ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ فِئْرًا هُوَ قُرَيْشٌ ، قَالَ : وَقَدْ أَجْمَعَ النَّسَابُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ قُرَيْشًا إِنَّمَا تَفَرَّقَتْ عَنْ فِئْرِ . وَالَّذِي عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْتُ مِنْ نَسَابِ قُرَيْشٍ أَنَّ وَلَدَ فِئْرِ بْنِ مَالِكٍ قُرَيْشٌ ، وَمَنْ جَاوَزَ فِئْرًا فَلَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ .

١٥

- (١) محمد بن كعب بن سليم القُرَظِيُّ ، تَابِيُّ مَقْرِيٍّ . فِي تَحْدِيدِ وَفَاتِهِ خِلَافٌ . انْظُرْ طِبَقَاتُ الْقُرَاءِ ٢ : ٢٢٣ .
- (٢) فِي الْاَرْضِ الْأُفَى ١ : ٧٠ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ ٢ : ٢٠٠ وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٣٨ (قَسْمُ أَوَّلُ) : « فَيَزِدُّوهُمْ » .
- (٣) النِّكَّةُ عَنْ نَسَبِ قُرَيْشٍ (الْوَقْعَةُ ٤ ب) ، وَالْاَرْضُ الْأُفَى ١ : ٧٠ .
- (٤) فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةُ ٢ : ٢٠٠ ، وَالْاَرْضُ الْأُفَى ١ : ٧٠ : « وَقَدْ أَجْمَعَ » ، وَفِي الْخَبَرِ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٣٨ (قَسْمُ أَوَّلُ) : « وَقَدْ أَجْمَعَ نَسَابُ قُرَيْشٍ » .

٢٠

وروي عن هشام بن السائب : أن النضر بن كنانة هو قريش . وقيل عنه في موضع آخر : ولد مالك بن النضر فهرا وهو جُماع قريش . وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : أول من وقع عليه اسم قريش النضر بن كنانة ، غولده قريش دون سائر بني كنانة . وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : قريش مأخوذ من القرش ، وهو وقع الأسيئة ببعضها على بعض ، لأن قريشا أخذت الناس بالطمان .

وهن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل عمرو بن العاص : لم سميت قريش قريشا؟ قال : بالقرش ، دابة في البحر تأكل الدواب لشقتها . وقال : المطرزي : هي ملكة الدواب ، وسيدة الدواب وأشقتها ، فكنيت قريش سادات الناس . وكان فهو رئيس الناس بمكة . والله أعلم .

وأما غالب بن فهر ، فكنيته أبو تيم ، وأمه ليل بنت الحارث ، بن تميم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مديكة ، ولغالب هذا من الولد : لؤي ، وتيم الأدم ، وكان تيم كاهنا ، وإنما قيل له تيم الأدم لأن أحد لحفيه كان أنقص من الآخر ، وفي قريش تيمان : تيم بن صرة ، وتيم الأدم . قال ابن قتيبة : « بنو الأدم من أعراب قريش ليس بمكة منهم أحد » . والله أعلم .

(١) انظر لسان العرب « قرش » . (٢) في البداية والنهاية ٢ : ٢٠٢ : أن ساوية قال لابن عباس الخ . والذين رويوا هذا الخبر اختلفوا على أنه من ابن عباس ، فالمؤول ابن عباس ، وهو المأول . قل صفة الكلام : « رضى الله عنها أنه سأل » . وانظر شرح المواقف للزركلي ١ : ٧٦ ، نزاة الأدب للبندادي ١ : ٩٨ - ٩٩ . (٣) في الأصل : « وقال الطرزي » ، والصحيح من حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ . (٤) في الأصل : « وكنيته » .

(٥) في الكامل لابن الأثير ٢ : ١٠ : « الحارث بن تيم » . (٦) المعارف ص ٣٢ . (٧) في الروض الأنف ١ : ٧١ : « قال الزبير : وبشوا الأدم هؤلاء هم أعراب مكة ، وهم من قريش البهواهر لا من قريش البطاح » ، وانظر المعبر لابن حبيب ص ١٦٨ .

وأما لُؤَيُّ بن غالب، فكنيته أبو كعب، وأمه عاتكة بنت يَحْيَى بن النَّضْر بن
كَانَةَ، وهي إحدى الموائك الألقى وأبْن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛
وقيل: بل أمه سَلَمَى بنت عمرو بن ربيعة (وهو لُحَيُّ بن حارثة) الخزاعية.^(١)

وأما كعب بن لُؤَيٍّ، فكنيته أبو هُصَيْن، وأمه ماوية بنت كعب بن القَيْن

- ابن جَسْر القضاة. قيل: إنما سُمِّي كعب كعباً لأرتفاعه على قومه، وشرفه فيهم.
• وكان عظيم القدر عند العرب؛ فلهذا أزعوا بجمته إلى عام الفيل، ثم أزعوا
بالفيل؛ رَوَى أبو ثَعْمَنٍ في «الذَّلائل» عن الطَّبْرَانِي بسنده إلى عبد العزيز بن
أبي ثابت قال: «أزخت كَانَةُ من موت كعب بن لُؤَيٍّ، وأزخت قُرَيْش بعد موته
من عام الفيل، وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة».^(٢)

- ١٠ • «وكعب هذا أوَّل من سَمِيَ يومَ الجمعة بالجمعة، وكانت العرب تسمي يوم الجمعة
المَرْوَبَةَ»؛ قاله السَّيْلِي. ومعنى المَرْوَبَةُ الرحمة فيما يلقي عن أهل العلم، وإنما سماه
الجمعة لاجتماع قُرَيْش فيه وخطبته [فيهم].^(٣)

وأوَّل من قال «أما بعد» كعب؛ فكان يقول: «أما بعد، فاستمعوا وأفهموا».
ثم قال: «حرمكم عظموه وتسكوا به، وسيأتى لكم نبي عظيم، وسيخرج له نبي كريم».^(٤)

- ١٥ • (١) في الأصل: «وكعب» - (٢) في ابن الأثير ٢: ١٠، والطبري ٢: ١٨٦: «وهي أوَّل الموائك» - (٣) في الأصل وابن الأثير ٢: ١٠: «وهو يحيى بن حارثة»
تصحيف: وأظفر الروض الأنف ١: ٦١ - ٦٢ (٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفاتها.
الروض الأنف ١: ٦١ (٥) في الرواق بالوقفات ١: ١٠: «والفيل منه سنة؟»
(٦) الروض الأنف ١: ٦٠ (٧) تكة عن الاكتفاء (للرقة ١٥٠)، وفي الخسبر
عن البشر ٣: ٤٤ (قسم أوَّل): «لا اجتماع قُرَيْش فيه إلَّا كعب بن لُؤَيٍّ وخطبته» -
٢٠ • (٨) في التمهيد عن البشر ٣٠: ٤٥ (قسم أوَّل): «ضيأت له نبأ عظيم، وسيخرج «نبي»».

قال السبيل : « وكان يخطبهم ويذكرهم بمحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلمهم أنه من ولده ، وأمرهم باتباعه والإيمان به ، ويفسد ويقول :
يا ليتني شاهد طواء دعوته * إذا فرشت تبغى الحق خذلاً^(٢) »

وأما مرة بن كعب ، فكنيته أبو يقظة ، وأمه غشية ، وقيل وحشية بنت
شيبان ، بن محارب ، بن فهر . وفي مرة يجتمع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ونسب أبي بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم .

وأما كلاب بن مرة ، فكنيته أبو زهرة ، وأسمه حكيم . وكنية كلاب بن مرة
عليه ، وسبب ذلك أنه كان يحيا للصيد مولعاً به ، وكان أكثر صيده بالكلاب ، وجمع
منها شيئاً كثيراً ، فكان إذا مر بقوم بكتابه قالوا : ههنا كلاب ابن مرة ، فغلب
ذلك عليه ، وفيه يقول الشاعر :

حكيم بن مرة ساد السورى * ببذل النوايل وكف الأذى

وأما كلاب هند بنت سرور ، بن قلبية ، بن الحارث ، بن فهر ، بن مالك ، بن
يكة . ويقال : إن كلاباً هذا أول من جعل في الكعبة الصنوف المحلاة بالذهب
والفضة ذخيرة للكعبة .

(١) في الأصل : « ويذكرهم بمحبت » . والمثبت عن الرض الألف ١ : ٦

(٢) في الاكشاف (الورقة ١٥) ، وانظر من البشر ١ : ١٤٦ (ص ١٤٦) .

« حين المشيرة تبغى الحق خذلاً » .
وغواه الكلام ، وطواء : سقاء . وانظر شرح الزرقاني على المواهب ١ : ٧٥ .

(٣) في الأصل « وكنيته » .

(٤) في المقدمة الفاضلة (الورقة ١١٨) : « هند بنت سرور القهري » ، وورد اسمها في انظر
عن البشر ٣ : ٤٧ (قسم أول) : « ثم بنت السرور » ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ٥٧ :
« نعم ابنة سرور » .

وأما قُصَيٌّ بن كَلَّاب فاسم زيد، وكنيته أبو المغيرة، وقُصَيٌّ لقبه، ويلقب
أيضاً بجُحَا. قال السبيل: «في قُصَيٍّ» تصغير قُصَيٍّ: أي بعيد. وقال الرشاطي: «ولما
قيل له قُصَيٌّ لأن أباه كَلَّاب بن مرة كان قد تزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل،
وأُم سَيْل، خير بن حمالة، بن عوف، بن عثمان، بن عامر (وهو الجادر) بن جشمعة، وهو
يَشْكُر، وهم من الأزد فولدت له زهرة وزيدا، ثم هلك كَلَّاب وزيد صغيرين،
وقال السبيل: لأنه كان رضيعاً، «فزوج فاطمة أم قُصَيٍّ ربيعة بن حرام، بن ضنة، بن عبد،
ابن كبير، بن عذرة، بن سعد، بن زيد، بن قضاة، فاحتلمها ربيعة ومعهما زيد،
فربي زيد في حجر ربيعة، فسُي قُصَيّاً بعده عن دار قومه».

وقال الخطابي: «سُي قُصَيّاً لأنه قُصَي قومه، أي نقصاهم بالشام فتقلهم
إلى مكة». قال الرشاطي: «ثم إن زيدا وقع بينه وبين ربيعة شر،
فقبل له: ألا تلحق بقومك؟ ومير بالعربة، وكان لا يعرف لنفسه أباً غير
ربيعة، فرجع قُصَيٌّ إلى أمه، وشكاه ما قيل له، فقالت له: يا بني،

(١) في الأصل: «واسم». (٢) في الإكمال لابن ماكولا ٢: ٦٩ ب:

«خير بن جال»، وفي ابن الأثير ٧: ٢: «جبر بن جالة». (٣) هكذا ورد في الإكمال لابن ماكولا

٢: ٦٩ ب: «عوف بن عثمان»، وفي الاشتقاق لابن دريد ص ٢٥، ونسب قريش

(٤) ١: ١٥، والطبري ٢: ١٨١، والخير من البشر ٣: ٤٨ (قسم أول): «عوف بن غم».

(٥) في الأصل: «عامر بن الجادر»، وهي إحدى روايات الإكمال، والنجاشي رواية

الروض الأنف (١: ٨٤)، وتوافق رواية الإكمال الثانية. (٥) سمى الجادر لأنه أول

من جلد الكعبة. (٦) تكرر ورود هذا العلم في الخبر من البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول)

هكذا: «خضعة» بالخاء المعجمة بعدها، مطقة. (٧) في سيرة ابن هشام ١: ١٠٩، والطبري

١٨١: ٢، والإكمال والخير من البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول): «جشمعة ابن يشكر».

(٨) في الروض الأنف ١: ٨٤. (٩) في الأصل: «حرام بن ضنة بن عبد كثير»، وفي ابن

الأثير ٧: ٢: «ضنة بن عبد بن كثير» تصحيف، وانظر الإكمال ١: ١٣٣ ب، والطبري ٢: ١٨١،

والإتياء لابن عبد البر ص ٨١. (١٠) في الأصل: «قال الرشاطي وإنه».

أنت أكرم منه قساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام.
فاجمع قصي على الخروج، فقالت له أمه: أقيم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج
في حاج العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاة حتى قدم مكة،
فحج وأقام بمكة.

وكان الذي يلى أمر البيت يومئذ حليل، بن حنيفة، بن سلول، بن كعب،
ابن عمرو الخزاعي. فخطب إلى حليل بن حنيفة ابنته حبي. فعرّف حليل نسبته
فزوجها، وأقام قصي معه، فولدت له حبي أولاده، وهم: عبد مناف، وعبد العزى،
وعبد الدار، وعبد، وبرّة، وتحمّر (وهي بالناء المثناة من فوق وخاء معجمة ساكنة
وميم مضمومة وراء).

٧
١٤

فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هلك حليل، وأوصى بولاية البيت
لابنته حبي. فقالت: إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجلست ذلك إلى سليم^(٢)
ابن عمرو بن بوي، بن ملكان، وهو أبو قُيشان، ويقال له المحترش، فاشتري قصي^(٣)
منه ولاية البيت بزق نمر وقعود، فضربت به العرب المثل، فقالوا: «أخسر من
صفقة أبي قُيشان»^(٤). فنازعتة خُزاعة البيت فأترعه منهم. وافته الناصر.

(١) في الأصل: «فاجمع بي»، والمثبت عن الطبري ٢: ١٨٢.

(٢) في ابن الأثير ٢: ٨: «بجل ذلك».

(٣) القعود: البكر من الإبل حين يمكن ظهوره من الركوب، وأدى ذلك أن يأتى طيه سفان.

(٤) أورد الميداني (١: ١٤٦) المثل بصيغة: «أحق من أبي قُيشان»، وحكى رواية النوري

أيضاً، وانظر تاج العروس (قُيش).

ذكر خبر أئزاع قصي البيت ومنك من خزاعة

ومن ولي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن أئزعه قصي بن كلاب

قال محمد بن إسحاق بن يسار: «لما توفي الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،

وولي البيت بعده أبنته نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم ولي البيت بعده مضاض

ابن عمرو الجرمي، وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم بن جرم، وجرم

وقطوراء بمذ أهل مكة، وهما أبنا جرم، وكانا ظعنا من اليمن، فأقبلت سيارة،^(١) وعل

جرم مضاض بن عمرو، وعل قطوراء السميذع، رجل منهم. فلما نزل مكة رأيا بلدا

ذا ماء وقبر، فاعجبهما فتزلا به؛ فقتل مضاض بن معه من جرم أهل مكة قتيقعا^(٢)

فما حاز، ونزل السميذع بقطوراء أسفل مكة بأجياد^(٣) فما حاز، وكان كل منهما يمشي^(٤)

من دخل مكة مما يليه، وكل منهما في قومه لا يدخل على صاحبه.»

«ثم إن جرهما وقطوراء بقى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مضاض

بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السميذع، فسار بعضهم إلى بعض؛

ففرج مضاض بن عمرو من قتيقعا في كتيبه سائرا إلى السميذع ومع كتيبه عندها من

الراح والدرق والسيوف والجباب، يقيع [بذلك]؛ فيقال ما سمى قتيقعا قتيقعا^(٥)

إلا لذلك. ونرح السميذع من أجياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ما سمى أجيادا أجيادا

(١) انظر سيرة ابن هشام ١١٧: ١ - (٢) السيارة: القافلة. (٣) وكانوا إذا خرجوا

من اليمن جملوا عليهم لكا يقوم بأمرهم. الروض الأنف ٨٠: ١ - (٤) قتيقعا، بضم القاف

الأول وكسر الثانية، وضع العين: جبل مكة. معجم البلدان ٧: ١٣٣ - (٥) أجياد: موضع

بمكة ما على الصفا بأقوت ١: ١٢٧ - (٦) يمشي: يأخذ مشرا موالم. (٧) زيادة

عن سيرة ابن هشام ١١٧: ١

إلا لخروج الحِجَاد من الخيل منه مع السِّمْدَع. ^(١) فَاكْتَفَوْا بِفَضِيحٍ ^(٢) وَاقْتَتَلُوا قَتَالًا شَدِيدًا، فَقُتِلَ السِّمْدَعُ، وَفُضِّحَتْ قَطُورَاءُ؛ ^(٣) يُقَالُ مَا مَشَى فَاضْغُ فَاضْغًا إِلَّا لَذَلِكَ. »

ثم إن القوم تداعوا إلى الصُّلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ: شِعْبًا بأعلى مكة، فأصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضَاض. فلما اجتمع إليه أمر مكة، وصار مُلْكُهَا لَهُ، نَحَرَ النَّاسَ فَطَبِخُوا وَأَكَلُوا، ^(٤) يُقَالُ مَا سَمِيتَ الْمَطْبَخُ الْمَطْبَخُ إِلَّا لَذَلِكَ. »
وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله. والله أعلم. »

«فكان الذي كان بين مُضَاضٍ وَالسِّمْدَعِ أَوَّلَ بَنِي كَانَ بِمَكَّةَ. ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم وُلَاةُ الْبَيْتِ وَالْحَكَامُ بِمَكَّةَ، لَا يَنَازِعُهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ فِي ذَلِكَ لَخُلُوتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ، وَإِعْظَامًا لِحُرْمَةِ أَنْ يَكُونَ بِهَا بَنِي أَوْ قَتَالُ؛ فَلَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةُ عَلَى وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ أَنْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ، فَلَا يَنَاوُتُونَ قَوْمًا إِلَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِدِينِهِمْ. »

«ثم إن جرهمًا بنوا بمكة، وأستحلوا سِغَالًا مِنَ الْحُرْمَةِ، وَظَلَمُوا مَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَكَلُوا مَالَ الْكَهْبَةِ الَّذِي يُهْدَى لَهَا، فَفَرَّقَ أَمْرُهُمْ. فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وَغُبَّاشَانُ مِنْ نَحْوَةِ ذَلِكَ، أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِمْ وَإِنْجَارِهِمْ مِنْ مَكَّةَ؛ فَادْنَوْهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَقْتَتَلُوا، فَغَلَبَتْهُمْ بَنُو بَكْرٍ وَغُبَّاشَانُ، فَفَقَوْهُمْ مِنْ مَكَّةَ؛ وَكَانَتْ مَكَّةُ فِي الْحَالِهِ لَمْ تَقَرَّ فِيهَا ظُلْمًا وَلَا بَقِيًّا. »

(١) أجداد: جمع جواد؛ يقال فرس جواد: بين الجودة والجمع أجداد. فلا محل لاعتراض السبل في الرض ألف: ٨٠، وانظر تاج العروس «جود».

(٢) فاضح: موضع قرب مكة عند جبل «أبي قيس» - ياقوت ٦: ٣٣٢.

(٣) في سيرة ابن هشام ١: ١١٧: «نحر الناس فاطسهم، فاطج الناس وأكلوا».

قال ابن إسحاق : « فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهمي بِغَزَالِي الكعبة وَبَحْجَر الركن ، فدفنها في زَمْرَم ، وأطلق هو ومن معه من جُرهم إلى اليمن . فحُزِنُوا على ما فارقوا من أمر مكة ومملكتها حزناً شديداً ، فقال عمرو بن [الحارث] بن مُضاض في ذلك ، وليس بِمُضاض الأكبر . والله المعين :

- [وقائِلُهُ وَالذَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ * وَقَدْ شَرِقتْ بِالذَّمْعِ مِنْهَا الْجَحَاسِرُ ^(١)]
 كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجَمُونَ إِلَى الصَّغَا * أَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
 [فَعَلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مَنَى كَاتِمَا * يُتَجَلَّبُهُ بَيْنَ الْجَنَاحِينَ طَائِرُ ^(٢)]
 بَلَى ! نَحْنُ كَمَا أَهْلُهَا فَازَالَنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
 وَكَمَا زِلَاةُ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ * نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْخَبْرُ ظَاهِرُ
 وَنَحْنُ وَلَيْسَا الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ * بَعِزُّ لَنَا يَحْفَى لَدَيْنَا الْمَكَاثِرُ ^(٣)
 مَلَكًا فَعَزَزْنَا فَأَعْظِمَ بِمَلِكَا * فَلَيْسَ لِحَى غَيْرِنَا تَمَّ فَاخِرُ
 أَلَمْ نَكْهِنُوا مِنْ خَيْرِ عَظِيمِ عِلْمَتِهِ * فَاثْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَابِرُ
 فَإِنْ تَنَنَّا الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالَا * فَإِنْ لَهَا حَالًا وَفِيهَا التَّنَابُرُ
 فَأَنُوجِنَا مِنْهَا الْمَلِكُ بِقُدْرَةِ * كَذَلِكَ يَا لِلنَّاسِ تَجَرُّى الْمَقَادِرُ
 أَقُولُ إِذَا نَامَ الْجَبَلِيُّ وَلَمْ أَتَمَّ : * أَذَا الْعَرِشُ لَا يَتَعَدَّ سَهِيلٌ وَعَامِرُ
 وَبَدَلْتُ مِنْهَا أَوْجَهَا لَا أَحِبَّهَا * قِبَالُ مِنْهَا حُسَيْرٌ وَوَحْشِيرُ ^(٤)
 وَصِرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا يَنْفِطِيَّةِ * بِذَلِكَ عَضْنَتَا السَّنُونُ الْفَوَائِرُ

(١) هما تَخَالُفُ لِقَوْلَيْنِ مِنْ ذَهَبَ ، دَفِنَهَا عمرو بن الحارث في زَمْرَم انظر الروض الأثَر
 ١٠٩٧ : ١٠٩ وشرح المواهب ٩٢ : ١ . (٢) إضافة من سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .
 (٣) الجَمُونَ فتح الحاء ، جبل بأهل مكة . يَأْتِي ٣ : ٢٢٧ . (٤) يريد إجماعاً
 عليه السلام . الخَشْيُ ١ : ٣٨ . (٥) يحاربون (يقاتلون) : قبيلة من اليمن ، أو قبيلة مراد .
 انظر تاج العروس (ج ١) الخَشْيُ ١ : ٣٨ .

[وبذلنا كعب بها دار عربية * بها الذهب يعوي والعدو المكاشر^(١)

فسعت دموع العين تبيكي لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر^(٢)

وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمننا وفيه المصايف

وفيه وحوش لا ترام أنيسة * إذا تجرعت منه فليست تقادر

وقال أيضا يشير إلى بكر ونهشان الذين خلفوا مكة بهم :
يا أيها الناس سيروا إن قصركم * أن تصيروا ذات يوم لا تسيرونا^(٣)

حتوا الميلى وأرخوا من أزمتها * قبل المسات وقضوا ما قصرونا

نكحنا أناسا كما كنتم ففسرنا * دهر فأنتم كما نكحنا تصكرونا

قال ابن هشام : « لحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر^(٤)

قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر بياض ، ولم يسم لي قائلها » .

قال ابن إسحاق : « ثم إن نهشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر^(٥)

ابن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث النهشاني ، وقريش إذا فاك

حلول وصرم ، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت^(٦)

يتوارثون ذلك كاهرا من كاهر ، حتى كان آخرهم حليل بن حنيفة بن سلول بن كعب

ابن عمرو الخزاعي . فخطب قصي بن كلاب إلى حليل أبنته حبي ، فوعد فيه^(٧)

حليل فزوجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد » .

« فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي أنه

أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشا فرقة إسماعيل بن^(٨)

(١) من مبعدها : ٢٢٨ : ٣٨٠ - (٢) الشاعر : مواضع مشهورة يشبه فيها . انشأ : ٣٨٠ : ٣٨٠

(٣) قصركم : نهايتكم ونهايتكم . (٤) سيرة ابن هشام : ١ : ١٢٢ - (٥) الحلال : جماعة

البيت المحبسة ، والصرم : الجماعة يزلون بها لهم ناسية على ماء . (٦) في سيرة ابن هشام : ١ : ١٢٣ :
« فرقة » بالشاف ، والفرقة بهم القاف : المحبة القوي . ونحوه . والفراد بالفرقة هنا أن فرشا أمل ولد إسماعيل .

إبراهيم وضريح ولده، فحكم رجلاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه .

وكان ربيعة بن حرام من عُدرة بن سعد بن زيد مناة قد قديم مكة بعد هلاك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل - وزُهرَةُ يومئذ رجل، وُقَعِي عَظِيم - فاحتبلها إلى بلاده، فحملت قُصِيًّا معها وأقام زُهرَةُ، فولدت لربيعة يزاحا . فلما بلغ قُصِيٌّ وصار رجلاً أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه يزاح بن ربيعة، يدعوهُ إلى نُصْرته والقيام معه، فخرج يزاح بن ربيعة ومعه إخوانه : حُثْن بن ربيعة، ومحمود ابن ربيعة، وجُلهمة بن ربيعة، وهم لنفیر فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاة في حاج العرب، وهم يُجْعون لنُصرة قُصِيٍّ .

« وكان النُوْتُ بن مُرَّة بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر على الإجازة للناس بالبحر من عَرَفَةَ، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده صُوفَة . وإنما ولي النُوْتُ ذلك لأن أمه كانت من بني جُوهم، وكانت لا تَأِي، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة عبداً لما يخدمها، ويقوم عليها، فولدت النُوْتُ، فكان يقوم على الكعبة في الشهر الأقل مع أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عَرَفَةَ، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا . »

« وكان النُوْتُ بن مُرَّة إذا دفع بالناس قال :

لَا مُمْ لِي تَابِع تَبَاعَة * إِنْ كَانَ لِي مُمْ فَفَعَلَى قُضَاة

(١) في سبب تسميته صفة أقوال ذكرها السهول في الروض الأنف ١ : ٨٥ .

(٢) التَبَاعَة : ما يقيم الإنسان ويقضى به، وإنما قال : « إن كان لي مُمْ إلخ »، لأنه كان

في قضاة من يمثل الأشهر الحرم، لحل أم ذلك طيم . التفسير ١ : ٤٠ .

٩
١٤

قال ابن إسحاق : « كانت صوفة تدفع بالناس من حرفة ، ويخبر بهم إذا نفروا من مي ، حتى إذا كان يوم النفر أتوا رعى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى الناس ، لا يرمون حتى يرمى ، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له : قم فأرم حتى نرى [معك] ^(١) ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات يرمونه بالجمرة ويقولون له : ويحك ! قم فأرم ، فيأتي عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورى الناس معه » .

« فإذا فرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النفر من مي أخذت صوفة بجاني القبة ، فحسوا الناس وقالوا : أيجزى صوفة ، فلم يجر أحد من الناس حتى بمزوا ، فإذا نفرت صوفة ومضت خل سبيل الناس فأنطلقوا بسلامهم ، فكانوا كذلك حتى أقرضوا ، فورثهم في ذلك بنو سعيد بن زيد مائة ، من تيم ، وكانت من بني سعيد في آل صفوان بن الحارث بن شعبة ، فكان صفوان هو الذي يميز الناس بالجم من حرفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كانت الحرم الذي قام عليه الإسلام كرم بن صفوان ، وفي ذلك يقول أوس بن مقرن من قصيدة :

لا يدرج الناس ما شجوا مفرقهم • حتى يُقال أيجزوا آل صفوانا ^(٢)

« وكانت الإفاضة في عدوان يتوارثون ذلك كإبراهيم كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل ، وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أنين له ، وبه ضرب المثل : « أصبر من صبر أبي سيارة » ^(٣) ، لأنه دفع بأهل الموسم عليه أربعين طاما » .

(١) النكبة عن الطبري ٢ : ١٧٣ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٢٦ ، (٢) الخزف : المرفف برفات - ورواية اللسان (صوف ، حرف) :

« ولا يرمون في الحرف مفرقهم » .

(٣) رواية البذا ١ : ٢٧٧ ، ولسان العرب (سيرة) : « أصح من صبر أبي سيارة » .

نعود إلى أخبار قُصَيِّ بْنِ كَلَّابٍ ، [فلما كان ذلك العام ، قُتِلَتْ صُوفَةُ كما كانت تفضل ، وقد عَصَرَتْ ذلك لها العرب ، وهو دينٌ في أَقْصَاهُمْ من عَهْدِ بَرْمٍ وَخُرَاعَةَ وَوَلَايَتِهِمْ ، فَأَتَاهُمْ قُصَيٌّ ^(١٢)] بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَنِكَانَةَ وَقُضَاعَةَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فَقَالَ : لَا تَخْرُجُوا لِمَنْ أَوْلَى بِهَذَا مِنْكُمْ — ، فَقَاتَلُوهُ ، فَأَقْتُلَ النَّاسَ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْهَزَتْ صُوفَةُ ، وَغَلِبَهُمْ قُصَيٌّ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ » .

« وَانْحَاذَتْ عِنْدَ ذَلِكَ خُرَاعَةُ وَبَنُو بَكْرِ عَنْ قُصَيٍّ ، وَصَرَفُوا أَنَّهُ سَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُتَيْبَةِ وَأَمْرِ مَكَّةَ ، فَلَمَّا انْحَاذُوا عَنْهُ بِأَدَامٍ وَأَجَمَعَ لِحَرْبِهِمْ ، وَنَزَحَتْ إِلَيْهِ خُرَاعَةُ وَبَنُو بَكْرٍ ، فَاتَّقُوا وَاقْتَلَوْا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى كَثُرَتْ الْقَتْلَى فِي الْقَرِيْقَيْنِ ، ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصَّلَاحِ ، وَأَنْ يُحْكَمُوا بَيْنَهُمْ وَبِجَلٍّ مِنَ الْعَرَبِ ، لِحُكْمِ مَا يَسْمُرُ بَيْنَ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ حَامِرٍ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ نِكَانَةَ ، فَقَضَى أَنْ قُضِيَ أَوَّلُ بِالْكُتَيْبَةِ وَأَمْرِ مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنْ كُلَّ دِمٍّ أَصَابَهُ قُصَيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ مُوَضَّوعٌ يَسُدُّهُ نَحْتُ قَدَمَيْهِ ، وَأَنْ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةَ وَبَنُو بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَنِكَانَةَ وَقُضَاعَةَ فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنْ يُحْلَلَ بَيْنَ قُصَيٍّ وَبَيْنَ الْكُتَيْبَةِ وَمَكَّةَ . قُضِيَ بِمَسْمُورِ بْنِ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ الشَّدَاخُ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاءِ وَوَضَعَ مِنْهَا » .

قال : « فَوُلِيَ قُصَيٌّ الْبَيْتَ وَأَمَرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ لَمَّا كَوَّهُ ، إِلَّا أَنَّهُ أَقْرَبَ الْعَرَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ

(١) الحكمة من سيرة ابن هشام : ١ : ١٣٠ ، حيث نقل من ابن إسحاق أيضا ، وانظر الطبري

١ : ١٨٣ . (٢) في تاريخ الطبري ٢ : ١٨٣ : « منكم » فأكوه الخ » . (٣) بأدام :

كاشفهم . (٤) كان يصر هذا أحد حكام العرب . انظر المبر لا بن حبيب ص ١٣٣

(٥) هذا هو المعروف بين المؤرخين ، وفي المبر أنه « حكم بينهم » ، وبأما (مسور) بين الدماء ،

دعى أن لا يخرج خُرَاعَةَ مِنَ الْكُتَيْبَةِ . (٦) لا يزال النقل عن ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام

دينا في نفسه لا ينبغي تغييره؛ فأنزل آل صفوان، وعدوان، والنساء، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله.

«فكان قصي أول من أصاب ملكاً من بني كعب بن لؤي، وكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والتدوية، واللواء؛ فغازى شرف مكة كله، وقطع مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، فسكنه قريش مجتمعة لما جمع من أمرها، وتجمعت بأمره؛ لما تنكح امرأة، ولا يترج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر تزل بهم، ولا يعقدون لواءه لحرب قوم غيرهم إلا في داره؛ يعقده لهم بعض ولده، وما يتدبر جارية إذا بلغت أن تدبر عن قريش إلا في داره؛ يسبق عليها فيما دبرها ثم تدبره، ثم ينطلق بها إلى أهلها».

«فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته، كالدين المتبع لا يعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار التدوية، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة؛ ففيها كانت قريش تقضي أمورها» قال الشاعر:

قصي لم يدرى كان يدعى مجتمعا * به جمع الله القبائل من فهر

قال ابن إسحاق: «فلما فرغ قصي من حربه أنصرف أخوه رزاح بن ربيعة بن معه إلى بلاده». قال: «فلم يزل قصي على ذلك، فلما كبر ورق عظمه— وكان جدد الدار يركه، وكان جدد متاف قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب،

(١) جمع ناسي. وهم قوم من كنانة كان السبب إذا صدروا عن «من» يقولون لأحد النساء: «أنا هنا» أي أترصا حرة الحرم واجلسا في مغرة؛ وبذلك تصبح الاغارة في غير الحرم حلالاً لهم. وفي تاج العروس (نسا)، والروض الأثافي: ٤١ - ٤٢ ذكر الذين كانوا يتولون إفساد الشهور. (٢) في سيرة ابن هشام: ١٣٢ «وما يتشاورون» (٣) رواية السان (جمع)، وتهذيب الكمال لؤي (الروقة ١): * أيرك قصي كان يدعى مجتمعا * واليهت لحافة بن ظالم المذني.

(٤) سيرة ابن هشام: ١٣٣، ١٣٦

وعبدُ العزَّى وعبدٌ — قال لأبْنِه عبدِ الدار : أما والله يا بني لألْحِقَنَّكَ بالقوم وإن كانوا قد شَرُّوا عليك ، لا يدخل وجُلُّ منهم الكعبةَ حتى تكونَ أنتَ تَفْتَحُهَا لَهُ ، ولا يَقْدُ قُرَيْشٌ لَوَاءً [لِحَرْبِهَا] ^(١) إلا أنتَ بيدِكَ ، ولا يَشْرِبُ رَجُلٌ بِمَكَّةَ إلا مِن سِقَاتِكَ ، ولا يأكلُ أحدٌ من أهلِ الموسمِ طعاماً إلا من طعامِكَ ، ولا تَقْطَعُ قُرَيْشٌ أمراً من أمورِها إلا في دارِكَ . فأعطاه دارَه : دارَ الندوةِ التي لا تَقْبِضُ قُرَيْشٌ أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحِجَابَ واللَّوَاءَ والسَّقَايَةَ والرِّقَادَةَ .

« وكانت الرِّقَادَةُ خرجاً مُخْرِجُهُ قُرَيْشٌ في كلِّ مَوْسِمٍ من أموالِها إلى قُصَيٍّ بنِ كِلَابٍ ، فيصنعُ به طعاماً للحَاجِّ ، فيأكله من لم تكن له سَعَةٌ ولا زاد . وقُصَيٌّ هو الذي فرض ذلك ، فقال [لِهم] حينَ أَمَرَهُم بِهِ : يا معشرَ قُرَيْشٍ ، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهلُ الحَرَمِ ، وإن الحَاجَّ ضيفُ الله وزُفَّارُ بيته ، وهم أحقُّ الضَّيفِ بالكِرامَةِ ، تاجسَلُوا لهم طعاماً وشرباً أيامَ الحجِّ ، حتى يَصُدُّوا عنكم . ففعلوا . ^(٢) قال : « فلما هلك قُصَيٌّ بنُ كِلَابٍ أقامَ أمرَه في قومه مِن بَهِدِهِ بَنُوهُ ، فاخْطَوا مَكَّةَ رِباعاً ، بعد الذي كان قد قَطَعَ لقومه بها ، فكانوا يَطْطُونَهَا في قومِهِم وفي غيرِهِم من حُلَفَائِهِمْ ، وَيَبْعُونَهَا ، فأقامت قُرَيْشٌ على ذلك مهمٍ ليس بينهم اختلافٌ ولا تنازعٌ » ، إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى في هاشم بن عبد مناف .

١٠
١٤

وحكى أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في «مغازيه» زيادة في خبر قُصَيٍّ نذكرها في هذا الموضع ، وإن كان قد قصص في غيره ، فقال في أثناء ما حكاه :

(١) النكتة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٦ ، والطبري ٢ : ١٨٤ (٢) النكتة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٧ . (٣) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ . (٤) في الأصل : « قد وقع لقومه » . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ : « فكانوا يَطْطُونَهَا » . (٦) محمد بن عاتق (بالأدب المعجمة) بن أحمد القرشي أبو عبد الله الدمشقي (٢٣٣ - ٢٤٢) له ترجمة في تهذيب التهذيب ٩ : ٢٤٢ .

« إن البيت كان حوله غيضة والسيل يدخله ، ولم يرفع البيت حينئذ ، فإذا قدم الحاج وطئوه حتى تذهب الغيضة ، فإذا خرجوا تبنت » . قال : « فلما قدم قصي قطع الغيضة ، وأبنتي حول البيت دارا ، وتكح حبي بنت حليل » .

وقال أيضا : « إن قصيا قال لأمرأته حبي : قولي لحدتك تدل بك على الحجر ، فلم تل بها حتى قالت : إني أعقل أنهم حين خرجوا إلى أين سرقوه ، وزلوا منزلا وهو معهم ، فبك الجسل الذي كان عليه الحجر ، فضر به فقام ، ثم ساروا فبرك ، فضر به فقام ، ثم برك الثالثة فقالوا : ما برك إلا من أجل الحجر ، ودفنوه ، وذلك أسفل مكة ، وإني لأعرف حيث برك ، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم ، فأزتهم حيث برك أولا وثانيا وثالثا ، فقالت : أحضروا ههنا . فحفرها حتى يسوا منه ، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه ، فأثب به قصي ، فوضعه في الأرض ، فكانوا يتسمعون به وهو في الأرض ، حتى بقى قصي البيت » . قال : « ومات قصي ودفن بالجحون » . والله أعلم بالصواب .

وأما عبد مناف بن قصي فكنته أبو عبد شمس ، وأسمه المغيرة ، وعبد مناف [لقبه] ، وسبب ذلك أن أمه حبي بنت حليل الخزاعية أخدمته مائة ، وكان مائة صنفا عظيميا لهم ، فسمى عبد مائة به . ثم نظر قصي ، فراه يوافق عبد مائة بن كنانة ، فحوله عبد مناف . قاله السهيلي^(١) . [و] مناف « مقبل » من أناف يُثيف إنافة إذا أرتفع . وقال المفضل : الإنافة الإشراف والزيادة ، وبه سمي عبد مناف لطوله ، ومنه قول مائة وثيف ، أي شيء زائد على المائة .

(١) في الأصل : « وكنيته » . (٢) تكله يقتضيا المباق . وفي الأصل : « عبد مناف ،

وسبب الخ » (٣) الروض الألف ١ : ٦ ، وفي الأصل : « قال السهيلي » .

(٤) في الأصل : « مناف الخ » ، على أنه مقول قال ، والمبت استظهار . لعله التقريب من الصواب .

وكان قُصَى يقول : لى أربعة بنين سميتُ أبينى بإلهى ، وهما عبد مناف
وعبد العزى ، وواحدا بدارى . وهو عبد الدار ، وواحدا بى ، وهو عبد قُصَى . حكاه
محمد بن عائد فى "مغازيه" عن أم سلمة .

وقال محمد بن سعد : « أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال :
لما ملك قُصَى بن كلاب قام عبد مناف بن قُصَى على أمر قُصَى بعده وأمر
قُرَيْش إليه ، وأخطب بمكة رباعا بعد الذى كان قُصَى قطع لقومه » .

قال : « وولد عبد مناف ستة نفر ، وست نسوة ، وهم : عبد المطلب بن عبد مناف
وكان أكبرهم ، وهو الذى عقد الحلف لقُرَيْش من التجاشى فى متجورها إلى أرضه ،
وهاشم ، واسمه عمرو ، وهو الذى عقد الحلف لقُرَيْش من همرقل لأن يختلف إلى الشام
أمنة ، وعبد شمس بن عبد مناف ، وعُمَيسِر بنت عبد مناف ، وحية ، وقِلابة ،
وبرة ، وهالة ، وأتهم مائة الكبرى بنت مرة ، بن هلال ، بن فالح ، بن ثعلبة بن ذكوان ، بن
ثعلبة ، بن بهثة ، بن سليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس عيلان ، بن مضر .
وقول بن عبد مناف ، وهو الذى عقد الحلف لقُرَيْش من كسرى إلى العراق ،
وأبو عمرو بن عبد مناف ، واسمه عبيد ، درج ولا عقب له ، وأهمهم وأقرب بنت

- (١) فى الطبقات ١ : ٢٢ (قسم أول) . (٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢ (قسم أول) :
« وله عبد » . (٣) فى الأصل ، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) ، وتاريخ الطبري
١ : ٢٠٠ « وحسة » ، والثبت عن نسب قُرَيْش (الروقة ب) « وسيرة ابن هشام ١ : ١١٢ .
(٤) من إحدى نسوة اللواتى كل يشترطن ، لشرطن إذا تزوجن ، أنت يكون أمهن يدين
فى الشام والزواج . انظر الحمير لابن حبيب ص ٣٩٩ . (٥) فى ابن الأثير ٢ : ١٣ ، وسيرة
ابن هشام ١ : ١١١ ، وتاريخ الطبري ١ : ٢٠٠ « فالح بن ذكوان » . (٦) فى الأصل :
« ابن عبد مناف ، وأبا عبيد » ، تصحيف .

أبي عدي، وهو عامر، بن عبد الله، بن زيد، بن مازن، بن صعصعة، وريلة بنت عبد مناف، ولدت بنى هلال، بن معيط من بنى كنانة، بن خزاعة، وأما الثقفية .

وأما هاشم بن عبد مناف، فكانت له أبو فضلة، وقيل أبو زيد، وقيل بل كان يكنى بأبنة أسد، وأسمه عمرو، وهاشم لقب لقّب به . روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « كان اسم هاشم عمرا ، وكان صاحب إيلاف قريش ، وإيلاف قريش : دأب قريش ، وهو أول من سنّ الرحلتين لقريش ، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه ، ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزوة وربما بلغ أقدرة ، فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه ، فاصابت قريشا سنوات ذهاب بالأموال ، فخرج هاشم إلى الشام ، فأمر بخبز كثير نفقذ له ، وحمله في الفرائر إلى الإبل حتى وافى مكة ، فهشم ذلك الخبز ، يعني كسره وورده ، ونحر تلك الإبل ، ثم أمر بطبخها ، ثم كفا القدور على الخفان ، فأشبع أهل مكة ، فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابهم ، فسمى بذلك هاشما ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبيري :

(١) في تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٠ : « ابن عامر بن صعصعة » .

(٢) في نسب قريش (الورقة ه ب) : « وكانت ريلة بنت عبد مناف عند معيط بن عامر ... ابن كنانة ، فولدت له هلالا » .

(٣) في نسب قريش (الورقة ه ب) : « ريلة بنت عبد مناف ، وأما هاشم فكانت كعب بن سعد بن هوف من قحيف » .

(٤) في الأصل : « وكنيته » .

(٥) في الأصل : « ابن حنان » ، تصحيف .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) .

(٧) انظر معجم البلدان ١ : ٣٦١ .

عمرو بن العلي هاشم التريدي لقومه * ورجال مكة مستنون بحاف^(١)

قال: «لقد أتيته بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان ذا مال، ففكف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمته به ناس من قريش، فغضب وقال من هاشم، ودعاه إلى المناقرة، فكره هاشم ذلك لئنه وقديره، فلم تدعه قريش وأحفظوه»
قال: «لأنني أنكرت على حسين ناقة سود الحديق فتحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشرين. فرفضت أئمة بذلك، وجعل بينهما الكاهن الخزازي^(٢)، ففقر هاشما عليه، فاخذ هاشم الإبل فتحرها وأطعمها من حضرة، ونرج أئمة إلى الشام، فأقام بها عشرين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأئمة، ثم ولي هاشم الرقادة والسقاية».

ذكر ولاية هاشم الرقادة والسقاية

قال: «إن هاشما، وعبد شمس، والمطلب، وثوفا: بن عبد مناف أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بن عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار من الجحابة، واللواء، والرقادة، والسقاية، والندوة، وراوا أنهم أحق به منهم لشرفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، وكان الذي قام بأمرهم هاشم، فأبى بنو عبد الدار أن يسلم ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فصار مع بن عبد مناف بن قصي بنو أسد بن عبد المزي بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تميم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر، وصار مع بن عبد الدار

(١) رواية ابن هشام في السيرة ١: ١٤٤، والروض الأوفى ١: ٩٤.

«... .. لقومه قوم بمكة مستنون بحاف»

وهي التي تنص مع قافية الأبيات — ١٠١ و ١٠٠ — المكسورة. وعلى رواية التويري تبعها الطبري ١٧٩: ٢ يكون في البيت إقرا. (٢) قد الحكم: قضى لأحد المتنازعين بالعلية على الآخر.

بنو عزم، ومنهم، وجمع، وبنو عدي بن كعب، وخرجت من ذلك بنو عامر
أبن لؤي، ومخارب بن فهر؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، فمقد كل قوم
على امرهم خلفا مؤكدا: ألا يتخاذلوا؛ ولا يسلم بعضهم بعضا، «نابل بحر صوفة»^(١).

فأخرجت بنو عبد مناف، ومن صار معهم، جفنة معلومة طيبا، فوضعوا حول
الكعبة، ثم خمس القوم أيديهم فيها، وتماهدوا وتماقدوا وتحالفوا، ومسحوا الكعبة
بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسما المطليين. وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان
معهم جفنة من دم، فمسحوا أيديهم فيها، وتماقدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا مابل بحر
صوفة؛ فسما الأحلاف، ولقمة الدم، وتبشروا للقتال، وجعلت كل قبيلة لقبيلة، فبينما
الناس على ذلك، إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف بن قصي السقاية
والزفادة، وتكون الحجابة واللواة ودأر الندوة إلى بني عبد الدار كما كانت، ففعلوا،
وتحابز الناس؛ فلم تزل دار الندوة في بني عبد الدار، حتى باعها عكرمة بن عامر،
ابن هاشم، بن عبد مناف، بن عبد الدار، بن قصي، من معاوية بن أبي سفيان؛
فجعلها معاوية دار الإمارة.

قال: «وولي هاشم بن عبد مناف بن قصي السقاية والزفادة، وكان رجلا
موسرا، فكان يخرج في كل عام مالا كثيرا، وكان قوم من قريش أهل يسار
يرافدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هرقلية، وضيهم يرسل بالثي السير على

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأييد الحكم، جاء في اللسان: «ومن الأبيات قولهم: لا آتيك
مابل بحر صوفة» ويقال: مابل البحر الصوفة.

(٢) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم - انظر المحرر لابن حبيب، ص ١٦٦

(٣) في طبقات ابن سعد ١: ٤٥ (قسم أول): «في بني بني».

(٤) في الأصل: «قصي بن معاوية»، والتصويب عن طبقات ابن سعد ١: ٤٥ (قسم أول).

- قدر حالم ، فكان هاشم ، إذا حضر الحج ، يأمر بجياض من آدم ، فتُجعل في موضع زمزم ، ثم يُستقى فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاج ، وكان يُطعمهم قبل التروية بسوم بمكة ، ومعنى ، وجمع ، وصرقة ، وكان يثد لهم الخبز والتمر ، والخبز والسمن ، والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، فيستقون بماء ، والماء يومئذ قليل ، [في جياض آدم] ، إلى أن يصدروا من مئى ، ثم تنقطع الضيافة ويفترق الناس إلى بلادهم .

- قال : « وهاشم بن عبد مناف هو الذى أخذ الحلف لقريش من قيصرا أن تحفظ آمنة ، فكتب له آباء ، وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشا أرضه وكانوا تجارا ، فخرج هاشم في غير لقريش فيها تجارات ، وكان طريقهم على المدينة ، فزلوا بسوق النبط ، فصادفوا سوقا تقسم بها في السنة يتحشدون لها ، فباعوا واشتروا ، وفظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق ، فرأى امرأة تأمر بما يُسترى ويُباع لها ، فرأى امرأة حازمة جلثة مع بحال ، فسأل هاشم عنها أيم هي أم ذات زوج ؟ فقيل له أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح ، فولدت له عمسرا ومعيدا ثم فارقتها ، وكانت لا تتكلم الرجال ، لشرفها في قومها ، حتى يشربوا لها أن أمرها بيدها ، فإذا كرهت رجلا فارقتها ، وهى سلمى بنت عمرو ، بن زيد ، بن أبيد ، بن خنداش ، ابن عامر ، بن هشم ، بن عدى ، بن النجار ، فخطبها هاشم ، فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها ، ودخل بها وصنع طعاما ، ودعاهن هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه ، وكانوا

١٢
١٤

- (١) « جمع » : مل للزوجة . معجم البلدان ٣ : ١٣٨ . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ : (قسم أول) : « فيستقون بمئى » . (٣) تكملة عن ابن سعد ١ : ٤٥ (قسم أول) . (٤) انظر المحرر لابن حبيب ص ٣٩٨ . (٥) في « نسب قريش » (الورقة ١٦) : « سلمى بنت زيد بن عمرو » .

أربعين رجلا من قُرَيْش ، ودعا من الخَوَزَج رجلا ، وأقام بأصحابه أياما ، فمِلِقت سَلَمَى بعبد المطلب ، وولدت له وفي رأسه شَيْبَةٌ ، فسُمِّي شَيْبَةً . ونَجَح هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غَزَّة فَمَات ، ودفن بَغَزَّة وله عشرون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة ، وَرَجَعُوا بِرَكَتِهِ إِلَى وَلَدِهِ ، وَأَوْصَى هاشم إلى أخيه المطلب ابن عبد مناف .

وحكى ابن الأثير أنه لما تَزَوَّج سَلَمَى شرط لها أبوها ألا تَلِد وَلَدًا إِلَّا في أهلها ، فحملها هاشم إلى مَكَّة فحملت منه ، فلما أَتَتْ رَدَّها إلى أهلها ومضى إلى الشام ، وقيل إنه لم يَنْقُلها ، وإنه خرج إلى الشام هو وعبد شمس ، فلما جميعا بَغَزَّة في عام واحد ، وبقي مَالُها إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام ، فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر غزوة غزاها جاءه قيس بمالها ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مَالَ هاشم إلى العباس بن عبد المطلب ، ففَرَّقَه على كُتَبَاء بني هاشم ، ودفع مَالَ عبد شمس إلى سُفْيَان بن حَرْب ، ففَرَّقَه على كُتَبَاء بني عبد شمس .

وقد حكى ابن الأثير : أن عبد شمس مات بِمَكَّة فَقَبِرَ بِأَجْيَاد ، وذلك بِمَدِينَةِ وَفَاة هاشم بَغَزَّة . قال : ثم مات نوفل بِسَلَمَانَ من طريق العراق ، ومات المطلب بِرَدْمَانَ من أرض اليمن والله أعلم .

(١) ولذلك تضاف إليه فيقال : غَزَّة هاشم . وهي بفتح الغين والواو المشددة المقنوعة ، وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر . معجم البلدان ٦ : ٢٩٠ . (٢) في الكامل ٢ : ٤٤ ، وأصل هذا الكلام الطبري ٣ : ١٧٦ . (٣) في الكامل ٢ : ٧ ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٤٧ و ١٥٧ . (٤) في الأصل : « هشام » ، تحريف . (٥) سليمان : ما تقدم ، وهو في طريقهم بأيام الجاهلية . من العراق إلى تِمامة . معجم البلدان ٥ : ١١١ . (٦) رَدْمَانَ بفتح الراء ، بكسر الهمزة . انظر معجم البلدان ٤ : ٢٤٥ . وفي الأصل : « بريمان » ، تحريف . (٧) في الأصل ، وابن الأثير ٢ : ٧ : « من أرض العراق » ، تصحيف ، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ١٤٥ ، ١٤٧ ، والطبري ٢ : ١٨١ ، والروض الأنف ١ : ٩٥ ، والخبر من البشر ٣ : ٦٤ (قسم أول) .

وقيل : إن هاشماً وعبد شمس توأمان ، وإن أحدهما ولد قبل الآخر ، قيل :
 إن الأول هاشم ، وقيل : إنهما ولداً وأصبح أحدهما ملتصقةً بجبهة صاحبه فنُحيت ،
 فسال دم ففيل يكون بينهما دم . والله تعالى أعلم .

- (١٣) قال ابن الكلبي : وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ونحسة نسوة ، وهم :
 شيبه الحمد ، وهو عبد المطلب ، ورقية ماتت وهي جارية لم تبرز ، وأُمهما سُلَوى
 بنت عمرو ، وأبو صيفي وأسمه عمرو وهو أكبرهم ، وأمه هند ، بنت عمرو ، بن
 قُعلبة ، بن الحارث ، بن مالك ، بن سالم ، بن غنم ، بن حوف ، بن الخزرج . وأسد
 ابن هاشم وأمه قُيلة ، وكانت تُلقب بالخزور ، بنت حاصر ، بن مالك ، بن جذيمة ،
 وهو المصطلق بن ثمرأة ، ونُضلة بن هاشم ، والشفاء ، وأُمهما أميمة بنت عدي ،
 ابن عبد الله ، بن دينار ، بن مالك ، بن سلامان ، بن سعد ، بن قُضاعة . والضحيفة^(١٦)
 بنت هاشم ، وخالدة بنت هاشم ، وأُمهما أم عبد الله ، وهي واقدة بنت أبي عدي ،
 ويقال عدي ، وهو حاصر ، بن عبد نهم ، بن زيد ، بن مازن ، بن صمعة ، وحبة^(١٧)

- (١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ : ٧ ، والطبري ٢ : ١٨٠ . (٢) رواية ابن الأثير
 ٧ : ١٢ : « نال الأم » . (٣) قال ابن هشام في السيرة ١ : ١١٢ (٤) في نسب
 قريش (الورقة ١٦) ، والتخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) : « سميت الحسوز لظلمها » .
 وفي الأصل : « الخزور » بالحاء ، تصحيف . (٥) هذه رواية ابن الكلبي ، وقالها المقرئ
 في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي نسب قريش (الورقة ١٦) ، والتخبر عن البشر ٣ : ٦٦
 (قسم أول) رواية عن الزبير بن بكار : « أمية بنت ودة بن عدي » (٦) كذا في الخبر عن
 البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « بن سعد بن قُضاعة » .
 (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ ، ١١٣ ، والتخبر عن البشر ٣ : ٦٦ و ٦٥ (قسم أول) :
 « وضيفة بنت هاشم » . (٨) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ ، ١١٣ ، والتخبر عن البشر
 ٣ : ٦٦ (قسم أول) . وفي ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « سعة » .

بنت هاشم، وأما [أم] عدى بنت حبيب، ابن الحارث، بن مالك، بن حطيط
ابن جثم بن قيس وهو عتيق، وأمه عز وجل أطم بالصواب.

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة^(٢٢): « وأسمه ماسر » . والصحيح عندهم ما ذكره محمد بن إسحاق بن
يسار وغيره أن اسمه شيبة، وكنته أبو الحارث، كُتِبَ باسم ولده الحارث، وهو
أكبر ولده.

ولعبد المطلب كنية أخرى، وهي أبو البطحاء، ولقبته بهذين الاسمين،
وتكنيته بأبي البطحاء أسباب تذكرها قريبا إن شاء الله تعالى. وأم عبد المطلب
سَلَمَى بنت عمرو، بن زيد، بن ليث، بن خدّاش، بن عامر، بن غنم،
ابن عدى، بن النجار.

وقال ابن إسحاق: سَلَمَى بنت زيد، بن عمرو، بن ليث، بن [حرام،
ابن] خدّاش، بن جندب، بن عدى، بن النجار.
وقد تقدم آفا خبر زواج هاشم بها.

- (١) الزيادة من الخبر عن البشر ٦٦: ٣ (قسم أول)، ونسب قريش (الورقة ١٦) . وفي نسخة
ابن هشام ١١٣: ١ والخبر عن البشر ٦٦: ٣ (قسم أول) نقلنا من الزبير بن بكار: « وأم أبي صفي،
وحية، بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية » . وانظر السيل ٧٧: ١ .
- (٢) في المعارف ص ٢٣، وفيه المقرئ في الخبر عن البشر ٦٥: ٣ (قسم أول) عن ابن الكلبي
وانظر تاج العروس (طلب) . (٣) انظر شرح المواهب الزرقاني ٧١: ١ .
- (٤) هذه رواية ابن هشام ١١٣: ١، وصعب الزبيري في نسب قريش (ورقة ١٦)، وإحدى
روايع الطبري ١٧٦: ٢، ونسبها المقرئ في الخبر عن البشر ٦٥: ٣، ٦٧: ٣ (قسم أول) إلى ابن الكلبي .
- (٥) نقله الطبري ١٧٦: ٢، وقد سكت القولين غير منسوبين ابن عبد البر في الاستيعاب ١٥: ١ .
- (٦) النكتة من الطبري ١٧٦: ٢ .
- (٧) في الأصل: « ... ابن النجار، وكان يحيى بن معين يقول: كتاب موسى بن عقبة عن الزهري
أصح هذه الكتب، وقد تقدم الخ » . وهي جملة دسيسة على النص، فوجب إعادتها .

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكُنْيته

أما سبب تسميته شَيْبَةً فَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ شَيْبَةً ^(١)، وَكَانَتْ ظَاهِرَةً فِي ذِي الْحِجَّةِ، فَسَمَّاهُ شَيْبَةً، وَذَلِكَ فِي عِيَةِ أَبِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا أَنْ تُسَمِّيَهُ شَيْبَةً، فَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ^(٢).

- وَفِي تَسْمِيَّتِهِ جِدَ الْمَطْلَبُ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ هَاشِمٌ أَقَامَ شَيْبَةً بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أُمِّهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَتَزَوَّجَ مِنْ بَنَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِالْمَدِينَةِ، فَإِذَا غُلَامَانِ يَتَصَلَوْنَ، فَعَمِلَ شَيْبَةً إِذَا أَصَابَ قَالَ: أَنَا ابْنُ هَاشِمٍ، أَنَا ابْنُ سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ. فَلَمَّا أَتَى الْحَارِثُ مَكَّةَ قَالَ لِلطَّلَبِ، وَهُوَ بِالْحِجْرِ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، رَأَيْتَ ابْنَ أَخِيكَ هَاشِمَ يَتَرَبَّ، وَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ، وَلَا يَتَّخِذُ بَكَ أَنْ تَرُكَ مِثْلَهُ، فَقَالَ الْمَطْلَبُ: وَاقِدٌ لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ حَتَّى أَتَى بِهِ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ نَاقَتَهُ فَرَكَّبَهَا وَقَدَّمَ الْمَدِينَةَ حَشَاءً، فَإِذَا غُلَامَانِ يَضْرِبُونَ

١٣
١٤

(١) تَقَدَّمَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٤ .

(٢) هَذَا قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَصَحَّحَهُ السَّيْلِيُّ ١ : ٦٠، وَانْظُرْ الْفَرَقَانِي عَلَى الْمَوَاقِبِ ١ : ٧١ .

(٣) فِي الْأَصْلِ: « وَفِي تَسْمِيَةِ جِدِّ الْمَطْلَبِ »، وَلَعَلَّ السُّوَابَ مَا أُثْبِتَ .

(٤) فِي الْأَثِيرِ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٦٦ (قِسْمُ أَوَّلٍ): « وَجِلٌّ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةٍ » .

(٥) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٧: « جِدُّ مَنَافٍ يَتَرَبَّ » .

(٦) يَتَصَلَوْنَ: يَسْتَقِيمُونَ فِي رَأْيِ الْأَعْرَاضِ بِالسَّهَامِ .

(٧) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٧: « إِذَا خَسَقَ » .

(٨) يَرِيدُ بَطْحَاءَ مَكَّةَ، وَهِيَ مَتْنَعٌ سَهْلٌ يَبَاحُ. وَانْظُرْ مَعِجَمَ الْبُلْدَانِ ١ : ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، وَالْحَشَنِي ١ : ٤٤ .

(٩) فِي الْأَصْلِ: « الْحَارِثُ » تَصْغِيرٌ .

(١٠) الْحِجْرُ بِالْكَسْرِ: جَبَلٌ بِالْمَكَّةِ، وَهُوَ مَا زَكَّتْ فَرِيضٌ فِي بَنَاتِهَا نَاسِئًا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَرَّتْ عَلَى الْمَوْضِعِ لِجَمَلِ أَنَّهُ مِنَ الْكَعْبَةِ . مَعِجَمُ الْبُلْدَانِ ٣ : ٢٢١، وَتَهْلِيلُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتُ لِلنُّوَرِيِّ

٢ : ٨٠ تَاجُ الْعُرُوسِ (جَبْر) .

كثرة، صرف ابن أخيه، فقال للقوم: ^(١١) هذا ابن هاشم؟ قالوا نعم، فبلغ أمه أنه جاء ليأخذه فقالت: والله لو أن لك مالا مثل أحد ما أعطيتك إياه، فقال: لا أنصرف حتى أخرج به؛ إن ابن أختي قد بلغ، وهو عريب عن قومه. فيقال إنها دفعته إليه فأخذه بإذنها. وقيل إنه أخذه اختلاسا، وأعانه على أخذه رجل من خزاعة.

وقال ابن سعد في طبقاته عن محمد بن واقد الأسلمي: إن ثابت بن المنذر ابن حرام، وهو أبو حسان بن ثابت الشاعر، قدم مكة ممتيرا، فلقى المطلب، وكان له خيلا، وكان المطلب قد ولي السقاية والرفادة بعد موت هاشم، فقال له ثابت: لو رأيت ابن أخيك شيبه فينا لرأيت جمالا وهيبه وشرفا، لقد نظرت إليه، وهو يناضل قتيانا من أخواله، فيدخل مرمايته ^(١٢) جميعا في مثل راحتي هذه، ويقول كلما خسق: ^(١٣) أنا ابن عمرو السلي! فقال المطلب: لا أنسى حتى أخرج إليه فأقدم به، فخرج فورد المدينة، فقتل في ناحية، وجعل يسأل عنه حتى وجده يرعى في قتيان من أخواله، فلما رآه صرف شبه أبيه فيه، ففاضت عيناه، وضمه إليه وكساه حلة يمانية، وأنشأ يقول:

عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالنَّجَارَ قَدْ حَفَلَتْ * أَبْنَاءُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَتَقَصَّلُ
صَرَفْتُ أَجْلَادَهُ مِنْهَا ^(١٤) وَشَيْبَتَهُ * قَفَاضَ مِنِّي عَلَيْهِ وَابِلٌ سَبَلُ ^(١٥)

- (١) في الطبري ٢: ١٧٧: «أهل ابن هاشم». (٢) الكلمة في الأصل خير واضحة، ولعل ما أتت أقرب إلى الأصل. (٣) في الطبقات ١: ٨؛ (قسم أول). (٤) يناضل قتيانا: يباريهم في الرمي. (٥) الرماتان: سمان يرى بهما الرمي مبرز سيفه. (٦) خسق السهم: أصاب الغرض. (٧) اختصر المؤلف نصر ابن سعد، وانظر الطبقات ١: ٨؛ (قسم أول). (٨) أجداد الإنسان: جماعة شخصه، ومن كلامهم: «ما أشبه أجداده بأجداد أبيه أي شخصه وجسده». (٩) أسبل الذمع: هطل، وبالاسم السبل.

فَأَرْسَلَتْ سَلَمَى إِلَى الْمُطَّلِبِ ، فَدَعَتْهُ إِلَى التَّرْوَلِ عَلَيْهَا فَقَالَ : شَأْنِي أَخْفَ مِنْ
 ذَٰلِكَ ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَهْلَ عُقْدَةٍ حَتَّى أَقْبِضَ ابْنَ أُمِّی فَأُلْحِقَهُ بِيَلَدِهِ وَقَوْمِهِ ، فَقَالَتْ :
 لَسْتُ بِمُرْسِلَةٍ مَعَكَ ، وَغَلَقَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي غَيْرُ مُنْصَرِفٍ حَتَّى أُخْرِجَ بِهِ
 مَعِيَ ، فَإِنَّ الْمَقَامَ بِيَلَدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَقَامِ هَهُنَا ، وَهُوَ ابْنُكَ حَيْثُ كَانَ ، فَلَمَّا رَأَتْ
 أَنَّهُ غَيْرُ مُقَصِّرٍ حَتَّى يُخْرِجَ بِهِ اسْتَظَنَّتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَتَحَوَّلَ الْمُطَّلِبُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَزَلَ
 عَنْهُمْ ، وَأَقَامَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَحْتَمَلَهُ وَانْطَلَقَا جَمِيعًا ، وَدَخَلَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ :
 هَذَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ! فَقَالَ : وَيَحْكُمُ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أُمِّی شَيْبَةَ بْنِ عَمْرِو .

وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَهَا وَثِيئَةٌ مَعَهُ عَلَى عَجَرٍ نَاقَتِهِ ، وَذَٰلِكَ صَحِيحٌ ،
 وَالنَّاسُ فِي أسَاقِفِهِمْ وَبِجَالِ السَّهْمِ ، فَتَقَامُوا يَرْجُبُونَ بِقُدُومِ الْمُطَّلِبِ وَيَقُولُونَ لَهُ :
 مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ مَنْ هَذَا وَرَأَيْكَ ؟ يَقُولُ : هَذَا عَبْدِي ، وَفِي رَوَايَةٍ هَذَا عَبْدٌ
 أَتَيْتُهُ بِبَيْتَرِبَ ، فَادْخَلَهُ الْمُطَّلِبُ مَرَّةً عَلَى أَمْرَأَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ سَعِيدِ بْنِ مَسْمُومٍ ،
 فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَ : عَبْدِي ، وَاشْتَرَيْتُ لَهُ حُلَّةً فَلَبِسَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ
 إِلَى الْبَيْتِ إِلَى جُلُوسِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ ابْنُ أُخِيهِ ، فَجَلَسَ شَيْبَةُ يَطُوفُ مَكَّةَ ،
 فَلَمَّا مَرَّ بِقَوْمٍ قَالُوا : هَذَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، فَظَلَبَ ذَٰلِكَ عَلَيْهِ .

وَفِي تَكْوِينِهِ بِأَبِي الْبَطْنَاءِ أَنَّهُ اسْتَسْقَى لِأَهْلِ مَكَّةَ فَسُقُوا لَوْثَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ
 مُشَاجِحُ قُرَيْشٍ عِنْدَ ذَٰلِكَ : هَيْبَا لَكَ يَا الْبَطْنَاءُ . وَسَنَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « قَالَ الْمُطَّلِبُ لَا ضَمْلَ » .

(٢) فِي ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « وَقِيلَ لَهُمْ » .

(٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « إِلَى مَكَّةَ ظَهَرَا فَقَالَتْ » .

(٤) كَلَامًا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) ، وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَتَقَدَّمَا خَصْرُوه » .

(٥) فِي الْخَبَرِ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٦٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « عَبْدٌ لِي أَبَيْتُهُ » .

(٦) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَأَعْلَمَهُمْ » .

هذه القصة بطولها في المَـبْـشَـرات برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه أسباب تسميته وتكنيته . والله أعلم .^(١١)

وكان عبد المطلب جسيما ، أبيض ، وسيما ، طويلا ، فصيما ، ما رآه أحد قط إلا أحبه . قال الواقدي : وأظلم عبد المطلب بمكة حتى أدرك ، ونرج المطلب بن عبد مناف تاجرا إلى أرض اليمن ، فهلك برمان من أرض اليمن ، فولي عبد المطلب بعده الرقادة والسقاية ، فلم يزل ذلك بيده . وهو يُطِـم الحاج ويسقيهم في حياض الأدم حتى حفر زمزم ، ترك السقي في الحياض ، وسقام من زمزم ، وكان يحيل الماء من زمزم إلى عرفة فيسقيهم . والله أعلم .

ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما وجد فيها

٤
٤

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسند رفته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال عبد المطلب ، إني لأنتم في الحجر ، إذ أتاني آيت فقال : أحفر طيبة قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان القد رجعت إلى مضيحي فتمت فيه ، بخاءني فقال : أحفر زمزم ، قال : قلت وما زمزم ؟ قال : لا أعرف أبدا ولا أدم ، فسق الجميع الأعظم ، وهي بين الفرت

- (١) في الأصل : «تسبه وتكنيته» . (٢) رواية ابن سعد ١ : ١٤٩ : (قسم أول) : «بيده يعلم الحاج ويسقيهم في حياض من آدم» . (٣) قاله ابن هشام في السيرة ١ : ١٥١ - ١٥٢ . (٤) طيبة بكسر الطاء : علم على بئر زمزم . والمظهر معجم البلدان ٦ : ٧٧ : تاج المروس (طوب) . (٥) انحصر الخلف نص ابن إسحاق ، وقد ذكر بأوسع مما هنا في سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . وانظر طبقات ابن سعد ١ : ٩٩ : (قسم أول) ، وابن الأثير ٢ : ٥٠ . (٦) أي لا يخفى ما هنا من كثرة الاستدعاء . وفي طبقات ابن سعد ١ : ٩٩ : (قسم أول) : «لا تنزع ولا تدم» . وفي ابن الأثير ٢ : ٥٠ : «قال : تراث من أهلك الأعظم لا تنزع ولا تدم» . (٧) لم في معنى «لا تدم» ثلاثة أقوال ، أحدها : لا تناب من قولك ذمت : إذا حبه ، والثاني : لا تخفى مذمومة ، يقال : أذمت إذا وجدت مذموما ، والثالث : لا يوجد مأزعا قليلا قالوا : من قولك بئر ذمة : إذا كانت قليلة الماء .

والدَّم ، عِنْد قُرَّةِ الثَّرَابِ الْأَعْصَمِ ، عِنْد قَرْيَةِ الْفُلِ ^(١١) . قَالَ : فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ شَأْنَهَا ، وَدَلَّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صُدِّقَ ، غَدَا بِمَعُولِهِ ^(١٢) ، وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ ، وَلَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ غَيْرُهُ خَفَرٌ ، فَلَمَّا بَدَأَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ الطَّلَى كَبَّرَ ، فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، إِنَّا بِرَأْيِنَا إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنْ لَنَا فِيهَا حَقٌّ ، فَأَسْرِكَا مَعَكَ فِيهَا ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، إِنْ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِّصْتُ بِهِ دُونَكُمْ ، وَأُعْطِيْتُهُ مِنْ بَيْنِكُمْ ، قَالُوا لَهُ : فَأَنْصِفْنَا ، فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكٍ حَتَّى تُخَاصِمَكَ فِيهَا ، قَالَ : فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَن شِئْتُمْ أَحَاكِمُكُمْ إِلَيْهِ ، قَالُوا : كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَذِيمٍ ^(١٣) ، قَالَ نَعَمْ . وَكَانَتْ بَعْمَانُ مِنْ أَشْرَافِ النَّسَبِ فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَمَعَهُ ثَقَرَمِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرًا ^(١٤) .

١. (١) الثراب الأعصم : الأحمر الربلين والمقارء ، أرو الذي في أحد جناحيه ، أرو إحدى رجله ريشة بيضاء ، وهذا الوصف عزيز الوجود في الغربان . وكان — فإي رواه ابن سعد في الطبقات ٤٩٠ : ١ (قسم أول) — غراب أعصم لا يروح عند الدبايح مكان القوت والدَّم . وانظر تاج العروس (عصم) ، ودلائل النبوة للبيهقي ١ : ٢٠ ط . (٢) قرية الفل : الموضع الذي يجتمع فيه الفل . (٣) الفائل هو ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١٥١ : ١ . (٤) المعول : القاس .
١٥. (٥) في طبقات ابن سعد ٤٩٠ : ١ (قسم أول) : « الحارث وليس له » . (٦) قال النشئي ٥١ : ١ : « الطلى : الحجارة التي ملوت بها البئر ، سميت بالمصدر . وفي طبقات ابن سعد ٤٩٠ : ١ (قسم أول) : « الطوى » . والطوى : البئر المطوية بالحجارة .
- (٧) كذا في طبقات ابن سعد ٤٩٠ : ١ (قسم أول) . رقى تاج العروس (هذيم) : « وسعد ابن هذيم كبير بابيات الألف [يعني في « ابن »] بين سعد وهذيم : أبو قبيلة ، وهو ابن زيد بن ليث بن حود ، لكن حصته عبد حبشي أسود اسمه هذيم فقلبه عليه ، ونسب إليه » . وفي سيرة ابن هشام ١٥٢ : ١ .
٢. ولسان العرب (هذيم) : « سعد هذيم » . وانظر النشئي ٥٠ : ١ . والسجيل ١٦ : ٢ .
- (٨) معان بفتح الميم وضحا : مدينة في طرف بادية الشام تلتقاء الجواز . معجم البلدان ٣ : ٩٣ ، تاج العروس (معن) . (٩) في الأصل : « من بني أمية » ، وركب « ، والتصويب والقلة عن سيرة ابن هشام ١٥٢ : ١ ، وطبقات ابن سعد ٤٩٠ : ١ (قسم أول) . وفي ابن الأثير ٥ : ٢ ، وشرح المواهب للزركاني ١ : ٩٣ : « وسعد ثقرمِنْ بني عبد مناف » .
- ٢٥

والأرض إذ ذاك مفاوز ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الجماز
والشام ، فبني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظلموا حتى أيقنوا بالملك ، فاستسقوا
من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفاوز ، ونحن نخشى على
أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على
نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تتبع رأيك ، فقرأنا بنا شئت ،
قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما يكمن الآن من القسوة ،
فكلمنا مات رجل دقعه أصحابه في حفرة ثم واروه ، حتى يكون أنتمكم رجلا [واحدا]^(١)
فيموت ضيعة ، فيضيق رجل واحد أيسر من ضيقة ركب جحشا ، قالوا : نعم ما
أمرت به . فقام كل رجل منهم لحفر حفرة ، ثم عمدوا ينظرون الموت عطشا ،
ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لآوت عجز ، ألا تنضب^(٢)
في الأرض ، وتبني لأنفسنا ؟ فنسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد . ارتحلوا !
فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم مأهم فاعلموا ،
تقدم عبد المطلب إلى ناقته فركبها ، فلما أتبعته به أمتعرت به أمتعرت من تحت حنقها عين^(٣)
[من] ماء حذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فثيرب ، وشرب أصحابه ،

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « قال : فخرجوا » . (٢) في ابن هشام :

« ولا تتبع رأيك » . (٣) إضافة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ . وفي ابن الأثير ٢ : ٦٢ :

« حتى يكون أنتمكم موقفا قد وارى الجمع ، ضيعة » . (٤) مات ضيقة بكسر الصاد :

أي غير مفتقد ولا متعهد . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « فقام كل واحد منهم » .

(٦) في شرح الواهب القرطبي ١ : ٩٣ : « ... لآوت عجز ، لتضرب في الأرض » ، وفي سيرة ابن

هشام ١ : ١٥٢ ، وابن الأثير ٢ : ٦٢ : « ... لآوت لا تنضب في الأرض ، ولا تبني لأنفسنا لعجز » .

(٧) في ابن هشام ١ : ١٥٢ : « [لدى راحته] » . (٨) زيادة عن ابن هشام ١ : ١٥٢ :

وفي ابن الأثير ٢ : ٦ : « بين طلبة من ماء » .

وَأَسْتَقُوا حَتَّى مَلَأُوا أَسْقِيَتَهُمْ ، ثُمَّ دَعَا الْقِبَالُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ : هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ ،
فَقَدِمُوا مَعَنَا اللَّهُ ، فَأَشْرَبُوا وَأَسْتَقُوا ، بَخَامُوا فَشَرِبُوا وَأَسْتَقُوا ثُمَّ قَالُوا : قَدْ وَاقَهُ
قُضَى لَكَ مِلْنَا يَا عَبْدَ الْمُطَلَبِ ، وَاقَهُ لَا تُحَاصِمُكَ فِي زَمَرَمَ أَبَدًا ، إِنْ الَّذِي سَقَاكَ
هَذَا الْمَاءَ بِهِذِهِ الْقَلَاءَ هُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمَرَمَ ، فَأَرْجِعْ إِلَى سِقَايَتِكَ رَاشِدًا ، فَرَجَعَ
وَرَجَعُوا مَعَهُ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .
هَذَا أَحَدُ مَا قِيلَ فِي حَقِّ زَمَرَمَ .

وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : احْفَظْ زَمَرَمَ ، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنْدَمَ ، وَهِيَ
تُرَاثٌ مِنْ أَبِيكَ الْأَعْظَمِ ، لَا تُتَرَفَّ أَبَدًا وَلَا تُدَمَّ ، تَسْقِي الْحَبَّجَ^(٢) لِأَعْظَمِ ، مِثْلُ نَعَامِ
جَابِلٍ^(٣) لَمْ يَقْسَمْ . يَنْشِئُ فِيهَا نَادِرٌ لِنُحْمٍ ، تَكُونُ مِيرَاثُهُ وَعَقْدُهُ مُحْكَمٌ ، لَيْسَتْ كَبَعْضِ
مَا قَدْ بَعَلَّمْ ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرثِ وَالْهَمْدِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَرَزَعُوا أَنَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ قِيلَ لَهُ حَنْدُ
قَرْيَةِ التَّمَلِّ ، حَيْثُ يَنْقَرُ الْغُرَابُ غَدَا . فَغَدَا عَبْدُ الْمُطَلَبِ وَمَعَهُ ابْنَتُهُ الْحَارِثُ ،
فَوَجَدَ قَرْيَةَ التَّمَلِّ ، وَوَجَدَ الْغُرَابَ يَنْقَرُ عِنْدَهَا بَيْنَ الْوُثْنَيْنِ : إِسَافَ^(٤) وَثَالَةَ^(٥) الَّذِينَ
كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقْرَعُ عِنْدَهُمَا ذَبَابَتَهُمَا ، بِغَاءَ بِالْمَعُولِ ، وَقَامَ لِيَحْفِرَ حَيْثُ أُمِرَ ، فَقَامَتْ

- (١) كَذَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٦ ، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ : « هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ » .
(٢) جَمْعُ حَاجٍ . (٣) جَابِلٌ : شَارِدٌ . (٤) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ (١٥٤ : ١) .
« رَغَدَا الْكَلَامُ ، وَالْكَلَامُ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ حَدِيثٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ فِي حَقِّ زَمَرَمَ ، مِنْ قَوْلِهِ : « لَا تُتَرَفَّ
وَلَا تَنْدَمَ » إِلَى قَوْلِهِ : « عِنْدَ قَرْيَةِ التَّمَلِّ » عِنْدَ جَمْعِ رِائِسٍ شَرَاءً . (٥) قَتَلَهُ ابْنُ هِشَامٍ ١ : ١٥٤ .
(٦) فِي ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٤ : « قَالَ : وَأَيْنَ » . (٧) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ :
١٥٤ : « غَدَا » بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ . (٨) إِسَافٌ « بَرْزَنْ كِتَابٌ ، وَصَحَابٌ » : شَمُّ وَشَمُّهُ حَمْرُو
ابْنِ حُلِيِّ الْخَزَاعِيِّ عَلَى الصَّفَا ، وَرَضَعَ ثَالَةَ (حَمْنٌ أَيْضًا) عَلَى الْمُرَّةِ ، وَحَوَّلَهَا فَصَةً تَحْمَا فِي كِتَابِ الْأَصْنَافِ ،
وَتَاجُ الْعُرُوسِ (أَسَفٌ) ، وَفَرَحُ الْمَوَاهِبِ الْفَرَزَقَانِي ١ : ٩٥ .

إليه قُرَيْشٌ حين رأوا يَمِّه فقالوا : واقه لا تتركك تحفر بين وثنيي هذين اللذين
 تحفر جندهما ؛ فقال عبد المطلب لأبنته الحارث : دُذ عني حتى أحفر ، فواقه لأميضين^(١)
 لما أصرَّت به ، فلما عرفتوا أنه غير تازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ،
 فلم يحفر إلا سيرا حتى بدا له العلى^(٢) ، فكبر وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى به
 الحفر وجد فيها غزاليين من ذهب^(٣) ، وهما الغزالان اللذان دفنت جرمهما فيها حين
 خرجت من مكة ، ووجد فيها سيوفا قلعية^(٤) وأدراعا ، فقالت له قُرَيْش : لنا معك^(٥)
 في هذا شرك وحق ، قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصيف^(٦) بيني وبينكم ، فعزب^(٧)
 عليها بالقداح ، قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولي قدحين^(٨) ،
 ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له ،
 قالوا : أنصفت ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين له ، وقدحين^(٩)
 أبيضين لقُرَيْش ، ثم أعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل ، وهبل صنم^(١٠)
 في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وقام عبد المطلب يدعو ، وضرب صاحب^(١١)

(١) نزاع من الأمر : كيف معه ، وفي الزركاني ١ : ٩٥ : « غير تارك » .

(٢) في الأصل : « فيها عين الثير من ذهب » ، تحريف .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٤ : وابن الأثير ٢ : ٧ : « أسواقا قلعية » ، والقلعية نسبة إلى
 القلعة فتح فسكون ، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند ، والثاني باليمن ، وإلهما مما نصب السوف
 القلعية وانظر تاج العروس (تلخ) . وفي ابن سعد ١ : ٥٠ : (قسم أول) : « سيوفا قلعية وأطقارا » .

(٤) شرك : أي حصة ونصيب .

(٥) النصف : أن تعطى شرك من الحق كالقسي تأخذ لنفسك .

(٦) جمع قحح (بكسر فسكون) ؛ وهو سهم غير فصل كانوا يستقسمون به ، وفي كيفية الاستقسام
 تفصيل لمجدد في كتاب المسير والقداح لابن هنية ص ٣٨

(٧) أنظر ليداية والنهاية ٢ : ١٨٧ : ١٨٨ : ١٩١

(٨) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ : « يدعو الله عز وجل » ، فعزب .

الصيداح، فخرج الأصفران على الفزائين [الكعبة] ^(١)، وخرج الأسودان على الأسياف والأذراع لعبد المطلب، وتحلف قدحاً قریش؛ فضرب عبد المطلب الأسياف بآيا للكعبة، وضرب في الباب الفزائين ^(٢)، فكان أول ذهب حليته الكعبة. وقيل إنه جعل القفل والمفتاح من ذهب الفزائين ^(٣). وعن محمد بن عمرو بن واقد قال: كانت جرم حين أحسوا بالخروج من مكة دفنوا غزائين وسبعة أسياف قلبية، وخمسة أذراع [سوايح] ^(٤)، فوجدوا عبد المطلب.

هذا خبر حفر زمزم وما وُجد فيها، وقد تقدم ذكر سبب خبر زمزم في أثناء أخبار قصي بن كلاب؛ فلنذكر من أخبار عبد المطلب خلاف ذلك. وافته الموفق للصواب.

(٦)

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان

وهذيل ومن معهم

حكى الزبير بن بكار في أنساب قريش وبنو هاشم، وبنو عبد المطلب قال: روى إبراهيم بن محمد الشافعي عن أبيه، عن الوليد بن خالد المخزومي، عن سعد بن حذافة الجهمي، عن محمد بن عتيبة النوفلي، عن رجل من هذيل قال: لحقت بلاد

(١) تكملة عن حياة ابن هشام ١: ١٥٥، والبداية والنهاية ٢: ٢٤٦.

(٢) في البداية والنهاية ٢: ٢٤٦ وسيرة ابن هشام ١: ١٥: «الفزائين من ذهب، فكان».

(٣) في طبقات ابن سعد ١: ٥٠: «قسم أول»؛ «فَضْرَبَ الْفَزَائِينَ حِفَاظًا فِي وَسْعِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ، وَهَلَاكَ الْأَسْيَافُ عَلَى الْبَابِ يَرِيدُ أَنْ عَزَّزَ بِهِ نَوَاقِصَ الْكَعْبَةِ»؛ وجعل المفتاح والقفل من ذهب.

(٤) في طبقات ابن سعد ١: ٥٠: «قسم أول»؛ «نَالَ» وكانت.

(٥) تكملة عن ابن سعد ١: ٥٠: «قسم أول».

(٦) في الأصل «عيلان» بالجمجمة تصحيف.

قيس، وأجذبت فلم تُصِبه سماء يقد بها الترى، ولا تبت بها الكلاء، فذاب الشحم،
 وذهب اللحم، وتهاقوا ضراً وهزلاً، فأجتمعوا للشورة وإجالة الرأي، وقد عزموا
 على الرحلة وأتباع البلاد، فقالت فرقة منهم: آتبعوا بلاد سعد وبتن العشر،
 وقالت فرقة أخرى: إن تمياً عدد كثير لا يفضل منهم ما يكفيكم، وقالت فرقة
 أخرى: ليتجمع كل ولد أب منكم ولد أب من قيركم، وأعقدوا معهم حلقة
 تُشركونهم به في ربههم، فقام رجل حسن الوجه، مجتمع الخلق، جيد الرأي،
 فقال: يا بني صيلان، إنكم قد أصبحتم في أمر ليس بالهزل، هذا أمر عظيم
 خطر، متباد أمره، قد بلغنا أن عبد المطلب بن هاشم سيد البطحاء استسقى
 فسقى، ودعا فأجيب، واستجير به فأجار، فأجعلوا قصدكم إليه، وفادكم عليه،
 فإن ذلك أوكد للسبب، وأوجه في الطلب. قالوا: أحسن الرأي، فرحلت قيس
 وهذيل، ومن دنا منهم حتى آتوا عبد المطلب، فقالوا: أفلح الوجه أبا الحارث نحن
 ذؤواد حاكم الواحجات، أصابتنا ستون مجذبات، أهرزان السمين، وأنفذنا
 الممين، وقد بلغنا خبرك، وبان لنا أمرك، وكلاماً نحو هذا.

فقال: موعدكم جبل عرقات، ثم نخرج في بنيه وبني أمية حتى آتي جبل عرقات،
 فصعد الجبل فقال: اللهم رب الريح العاصف، والرمد القاصف، والبرق الخاطف،
 مني السحاب، ومالك الرقاب، ذي المنن العظام، والأبادي الحسام، هذه مضر

(١) الشريتم قطع: شعب لذيذ قرب مكة، أرواد في ديارهم بين البصرة ومكة. ويقال:

من ذي شتر. ياقوت ٩: ١٧٩، تاج العروس ٣: ٤-٤، لسان (عشر). (٢) الريح:

المنزل. وفي الأصل: «ريهم». (٣) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.

(٤) أرحام والجهة: صلة متألقة. (٥) في الأصل: «وأخذنا»، تصحيف.

(٦) في الأصل: «وياولنا»، ولعل العوايب ما أثبت.

خير البشر، تشكو سوء الحال، وشدة الإهمال، قد أحتدبت ظهورها، وفارت عيونها، وشعثت شعورها، وقد خلفوا نساء ضلعا، وصبيانا رثعا، وبهايم رثعا. فاتهم اللهم رجحا بآخرة، وبجبا بذاتة، تُضحك أرضهم، وتكشف ضرهم. فما فرغ من كلامه حتى نشأت خطابة دماء فيها وذق شديد، فقال: هي هي، ثم قال يا معشر مطهر، أريجوا فقد سقيتم، فرجعوا وأخضرت أرضهم، وكثرت مياههم.

هذا ما أورده الزبير بن بكار روى هذه القصة، والله أعلم. [و] كانت بعد أن استسقى لقريش، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسند ذلك إن شاء الله تعالى مسترق في المُنشآت برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا. والله تعالى عز وجل أعلم.

١٠

ذكر نذر عبد المطلب نحر ابنه ومخرج القديح على عبد الله

والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدائه

١٦
١٤

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى^(١)، عن محمد بن عمرو بن واقد الأسلمي بسند رفته إلى عبد الله بن عباس وغيره رضى الله عنهم: «إن عبد المطلب بن هاشم لما رأى قلة أهوانه في حفر زمزم نذر لئن أكل الله له عشرة ذكور حتى يراهم - أن يذبح أحدهم، فلما تكاملوا عشرة وهم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحزرة، وأبو لهب، والفيذاق، والمقوم، وضرار، والعباس». هكذا نقل محمد

١٥

(١) ٥٣: ١ (قسم أول). (٢) في طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول): «عشرة، فهم».

(٣) الزبير: يفتح الزاي عند البلاذري وأبي القاسم القرظي، وضحا عند غيرهما. الزرقاني ١/ ٩٤.

(٤) اسم الفيذاق: جبل، ولقب بالفيذاق لكثرة خيره وسعة ماله. وأنظر الزرقاني ١: ٩٤، وسيرة

٢٠

ابن هشام ١: ١١٤. (٥) المقوم بكسر الواو المشددة وضحها. وأنظر الزرقاني ١: ٩٤.

ابن سعد، وعد من العشرة حمزة والمقوم؛ ويرد^(١) هذا المد ما يرى أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، وقد عد محمد بن السائب الكلبي أولاد عبد المطلب المذكور اثني عشر، فهم المغيرة، وقثم؛ وعدهم الزبير بن بكار ثلاثة عشر فهم عبد الكعبة، وحمزة، والمقوم، والمغيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء كلهم لهالة بنت وهيب، وزواج عبد المطلب مالة هذه كان بعد الفداء على ما حكاه ابن سعد أيضا عن الواقدي، ولعل العشرة تكمل بقثم وعبد الكعبة. والله تعالى أعلم.

فتخرج إلى ميثاقه خبر محمد بن سعد قال: «فلما تكاملوا عشرة جمعهم، ثم أخبرهم بتذره، ودعاهم إلى الوفاء لله [به]»^(٢)، لما اختطف عليه منهم أحد، وقالوا: أوف ببتدرك، وأفضل ما شئت، فقال: ليكتب كل رجل منكم اسمه في قبضه. ففعلوا، فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن: أضرب بقيداحهم فضرب، فخرج قذح عبد الله أولمسا، وكان عبد المطلب يحبه، فآخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المذبة، فبكى بنات عبد المطلب وكنن قياما، وقالت إحداهن لأبها: أهد فيه بأن تضرب في إبطك السواثم التي في الحرم، فقال للسادن: اضرب عليه بالقيداح، وعمل عشرة من الإبل، وكانت البنية يومئذ عشرة من الإبل، فضرب فخرج القذح على عبد الله، فجعل يزيد عشرا عشرا، كل ذلك

(١) أورد الزناني في شرح المصاب ١/٩٤ هذا الإعراض وتألفه.

(٢) في الأصل: «أحب»، والتي أخرجت عن الحارث لابن عتبة ص ٥٢، والزناني ١: ٩٤.

(٣) الكلمة من طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أهل)، وسيرة ابن هشام ١: ١٦٠، وتاريخ

الطبري ٢: ١٧٣.

(٤) السادن: خادم بيت الأصنام.

(٥) في طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أهل): «وعمل عشر من الإبل»، وكانت البنية يومئذ

عشرا من الإبل.

يُخرج القِدْح على عبد الله حتى كَلَّتْ مائة ، فغضب [بِالْقِدْحِ] ^(٧) فخرج على الإبل ، فكبَّر عبد المطلب والنَّاسُ معه ، واحْتَمَلَ بَنَاتُ عبد المطلب أخاهن عبد الله ، وقَدَّم عبد المطلب الإبلَ فَنَحَرَهَا بَيْنَ الصَّفَا والمروة ، وَخَلَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ وَرَدَهَا مِنْ نِسَاءٍ أَوْ سَبِيحٍ أَوْ طَائِرٍ ، لَمْ يَذُبْ عَنْهَا أَحَدٌ ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَلَّتْ الدِّبَّةُ ^(٨) يَوْمَئِذٍ حَشْرًا مِنَ الإبلِ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ دِيَةَ النَّفْسِ مائةً مِنَ الإبلِ ، بِفَرْتٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ مائةً ^(٩) ، وَأَقْرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ .

هَذَا مَا أَوْرَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَمْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا لَقِيَ عِنْدَ حَفَرِ بَرْزَخٍ : ثَلَاثِينَ وَلَدًا لَهُ عَشْرَةٌ فَقَرَأَ ، ثُمَّ بَلَّغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْتَوَهُ ، لِيَنْتَحِرَتْ أَحَدُهُمْ فَهُ تَعَالَى عِنْدَ الْكُتَيْبَةِ ، فَلَبَّى تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةٌ ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَمِعْتُونَهُ جَمْعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَأَطَاعُوهُ وَقَالُوا كَيْفَ نَنْصَبُ ؟ قَالَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ وَجِلٍ مِنْكُمْ قَدْحًا ، ثُمَّ لِيَكْتُبَ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ أَتُونِي ،

- ١٥ (١) رِوَايَةُ ابْنِ سَمْدٍ ٥٣ : (قُصِمَ أَوَّلُ) : «حَتَّى كَلَّتْ الْمِائَةُ» . (٢) عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَمْدٍ ٥٣ : (قُصِمَ أَوَّلُ) . (٣) رِوَايَةُ ابْنِ سَمْدٍ ٥٤ : (قُصِمَ أَوَّلُ) : «أَوْ طَائِرٌ لَا يَذُبُّ» . (٤) فِي الْأَصْلِ : «عَنْهَا» وَكَانَتْ ، وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ سَمْدٍ ٥٤ : (قُصِمَ أَوَّلُ) . (٥) فِي ابْنِ سَمْدٍ ٥٤ : (قُصِمَ أَوَّلُ) : «مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ» وَأَقْرَبَهَا . (٦) انْظُرِ التَّحْقِيقَ مِنَ الْبُشْرِ ٨٩ : (قُصِمَ أَوَّلُ) . (٧) السِّيرَةُ ١ : ١٦٠ . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ٢ : ١٧٣ . (٨) فِي الطَّبْرِيِّ ٢ : ١٧٣ : «مَا لَقِيَ فِي خَفَرٍ» . (٩) فِي الْبِدَايَةِ وَالتَّالِيَةِ ٢ : ٢٤٨ : «فَهُ عَزَّ وَجِلٌ بِذَلِكَ» . (١٠) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ١٧٣ : «يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ» . (١١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : «ثُمَّ يَكْتُبُ» وَفِي دَلَالَةِ النُّبُوَّةِ الْبَيِّنِ ١ : ٢١ : «فَدَحَا» فَيَكْتُبُ . (١٢) فِي دَلَالَةِ النُّبُوَّةِ الْبَيِّنِ ١ : ٢٤ : «ثُمَّ يَأْتُونِي»

فَقَعَلُوا ثُمَّ آتَوْهُ ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَ هُبَلٌ عَلَى بَثْرٍ
فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبَثْرَةُ الَّتِي يُجْعَلُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكُفَّةِ ، وَكَانَ عِنْدَ
هُبَلٍ قِدْحٌ سَجَمَةٌ ، كُلُّ قِدْحٍ مِنْهَا فِيهِ كَلْبٌ ، قَدَحٌ فِيهِ « الْعَقْل » إِذَا أَخْلَقُوا
فِي « الْعَقْل » مِنْ يَجْعَلُهُ مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقِدْحِ السَّجَمَةَ ، فَعَلَّ مَنْ تَخَرَّجَ قِدْحُ « الْعَقْل »
حَمْلُهُ ، وَقِدْحٌ فِيهِ « نَم » لِلْأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الْقِدْحِ ، فَإِنْ تَخَرَّجَ قِدْحُ
« نَم » حَمَلُوا بِهِ ، وَقِدْحٌ فِيهِ « لَا » ، فَإِنْ تَخَرَّجَ ذَلِكَ الْقِدْحُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ ؛
وَقِدْحٌ فِيهِ « مَتَكُمْ » ، وَقِدْحٌ فِيهِ « مُلْصَقٌ » ، وَقِدْحٌ فِيهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » ؛ وَقِدْحٌ
فِيهِ « الْمَاء » إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا الْمَاءَ ضَرَبُوا بِالْقِدْحِ فِيهِ ذَلِكَ التَّنْفِخَ ، غَيْثًا
خَرَجَ حَمَلُوا بِهِ .

وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا غَلَامًا أَوْ يُنْكِحُوا مَتَكُمَا ، أَوْ يَدْفِنُوا مَيِّتًا ،
أَوْ شَكَا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا إِلَى هُبَلٍ وَبِجَانِبِهِ دِرْهَمٌ وَبِزُورٍ ، فَاصْطَلَمُوا
صَاحِبَ الْقِدْحِ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يُرِيدُونَ بِهِ مَا يُرِيدُونَ ،
ثُمَّ قَالُوا : يَا لَهْمَا هَذَا فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَانْجِرِ الْحَقَّ فِيهِ ، ثُمَّ
يَقُولُونَ لِصَاحِبِ الْقِدْحِ : اضْرِبْ ! فَإِنْ تَخَرَّجَ عَلَيْهِ « مَتَكُمْ » كَانَ مِنْهُمْ وَسِطًا ،
وَإِنْ تَخَرَّجَ عَلَيْهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ تَخَرَّجَ عَلَيْهِ « مُلْصَقٌ » كَانَ عَلَى

- (١) فِي الطَّبَرِيِّ ١٧٣: ٢ : « وَكَانَتْ هُبَلٌ أَكْثَرُ أَصْنَافٍ قَرِيبٌ ، وَكَانَتْ عَلَى بَثْرٍ فِي جَوْفِ .
وَانْظُرِ الزُّوَاقِي ١/ ٩٥ ، وَانْظُرِ عَنِ الْبَشْرِ ٨٦: ٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٢) الْخَطُّ : الْهَيْةُ .
(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ ١: ١٦٠ ، وَانْظُرِ عَنِ الْبَشْرِ ٨٦: ٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « السَّجَمَةُ » ، فَإِنْ تَخَرَّجَ
الْعَقْلُ فَعَلَّ . (٤) فِي سِيرَةِ ابْنِ هَشَامٍ ١: ١٦٠ ، وَانْظُرِ عَنِ الْبَشْرِ ٨٦: ٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « فِيهِ « لَا » ،
إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا ضَرَبُوا بِهِ فِي الْقِدْحِ قِدْحًا » . (٥) فِي الطَّبَرِيِّ ١٧٣: ٢ : « الْقِيَّ يُضْرَبُ بِهِ » .
(٦) الْوَسِيطُ : الْخَالِصُ النَّسَبُ ، وَالشَّرِيفُ فِي قَوْمِهِ . وَرَوَاةُ الطَّبَرِيِّ : « كَانَ مِنْكُمْ وَسِطًا » .

- مَرْكَلُهُ فِيمَ ، لَا تَسْبَ لَهُ وَلَا حِفْ ، وَإِنْ نَجَّحَ فِي شَيْءٍ مِمَّا سَوَى هَذَا جَاءَ يَسْلُونَ
 بِهِ « نَم » عَلِمُوا بِهِ ، وَإِنْ نَجَّحَ عَلَيْهِ « لَا » أَنْتَرُوهُ طَائِفَةً ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً
 أُخْرَى ، يَتَقَوَّنَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا نَحَرَّجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ
 لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : أَضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَدْرِهِ الَّذِي نَدَّرَهُ ،
 فَأَعْطَاهُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْرَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْغَرَ
 بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهُوَ أَحَبُّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا
 أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَلْعَنُ اللَّهَ ،
 ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ نَجْرَجَ الْقِدَاحَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَخَذَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِيَدِهِ
 وَأَخَذَ الشُّقَّةَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى إِمَامٍ وَأَتَمَّلَهُ لِيَذِيحَهُ ، فَكَامَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ أُتْدِيئِهَا
 فَقَالُوا : مَاذَا تَرِيدُ يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ؟ قَالَ : أُذِيحُهُ ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ
 لَا تَذِيحُهُ حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ، لَنْ فَعَلْتَ هَذَا لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذِيحَهُ ، فَمَا بَقَا

- (١) في الطبري ١٧٣: ٢ : « على مَرْكَلُهُ مِنْهُمْ » .
 (٢) عن الطبري ١٧٣: ٢ وابن هشام ١٦٠: ١ ، وفي الأصل : « لا تسب إليه ولا حلف » .
 (٣) في الأصل : « نخرج فيه شيء » ، تصحيف ، والتصويب من الطبري ١٧٣: ٢ .
 (٤) رواية الطبري ١٧٣: ٢ : « أَنْتَرُوهُ طَائِفَةً فِي ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ بِهِ » .
 (٥) في ابن هشام ١٦٠: ١ : « الَّذِي نَدَّرَهُ ، فَأَعْطَاهُ » ، وفي الطبري ١٧٣: ١ « الَّذِي نَدَّرَهُ ، فَأَعْطَاهُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْرَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ » ، وهو صواب ، ويوجب هذا التوبيخ أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يزوج أم حنيفة إلا بعد الفداء ، فيكون بذلك ولده منها أصغر من عبد الله . وانظر شرح الأوقاف على المراهب ٩ : ٩٤ ، والروض الأضف ١ : ١٠٣ .
 (٦) له ريد كان أصغر بنيه حين أراد اللقاة بغيره ، ويوجب هذا التوبيخ أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يزوج أم حنيفة إلا بعد الفداء ، فيكون بذلك ولده منها أصغر من عبد الله . وانظر شرح الأوقاف على المراهب ٩ : ٩٤ ، والروض الأضف ١ : ١٠٣ .
 (٧) كذا في الطبري ١٧٣: ٢ ، وفي رواية ابن هشام ١٦٠: ١ : « فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ » .
 (٨) هذه رواية الطبري ١٧٣: ٢ ، وفي سيرة ابن هشام ١٦٢: ١ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤٨ :
 « ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ » . (٩) في تاريخ الطبري ١٧٣: ٢ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٦ .
 والبداية - ٢٤٨ : « لَا تَذِيحُهُ أَبَدًا » . (١٠) في الأصل : « تملعه » ، تصحيف .

الناس على هذا ؟ ! وقال له المُنِيْعَةُ بْنُ عِيْدَاهُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَزُوم [بْنُ يَقْطَلَةَ] - وَكَانَ
عِيْدَاهُ بْنُ أَخْتِ الْقَوْمِ - : لَا تَذْبِجْهُ حَتَّى تُعَذِّبَ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا
فَدَيْنَاهُ ، وَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشُ وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ ، وَأَنْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ فَإِنَّ بِهِ عِبْرَانَةً لَنَا^(١)
تَأْيِيعُ فَسَلَهَا ، ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ، إِنَّ أَمْرَتَكَ بِذَبْحِهِ ذُبِحَتْ ، وَإِنْ أَمَرْتَكَ
بِأَمْرِ لَكَ وَلَهُ فِيهِ مَخْرَجُ قَبْلَتِهِ ، فَانْطَلِقُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَوَجِدُوهَا - فِيمَا
يَرْجِعُونَ - بِمَجِيرٍ ، فَرَكِبُوا [إِلَيْهَا] حَتَّى جَاءُوهَا فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ
حَقَّهُ [وَعَبْرَانَتَهُ] ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ جَاءَنِي الْخَبَرُ ، كَمْ الدِّينِيُّ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرُ^(٢)
مِنَ الْإِبِلِ ، قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَفَرِّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ أَضْرِبُوا عَلَيْهَا
وَعَلَيْهِ بِالْفَيْسَلِ ، فَإِنْ تَعَرَّجْتَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَرِيْدُوا مِنَ الْإِبِلِ حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ،

- (١) في سيرة ابن هشام ١: ١٦٢ ، بن عمرو ، في الطبري ٢: ١٧٣ ، وابن الأثير ٢: ٦٠ ،
والنخعي من البشر ٣: ٨٧ (قسم أول) ما يوافق رواية المؤلف . (٢) تكملة من سيرة ابن هشام
١: ١٦٢ ، والطبري ٢: ١٧٧ . (٣) في سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، والنخعي من البشر
٣: ٨٧ (قسم أول) : «القوم» ، والله لا ذبجه أبداً حتى تملأ فيه» . (٤) اسمها قطبة في قول ،
وصحاح في قول آخر . وانظر السبيل ١: ١٠٣ ، والبداية ٢/ ٢٤٨ ، وشرح الزركاني على المواهب ١: ٩٦ .
(٥) في الأصل : «ثم آيت» ، وانتهت عن ابن هشام ١: ١٦٢ ، والطبري ٢: ١٧٤ ، والنخعي
من البشر ٣: ٨٧ ، والبداية ٢: ٢٤٨ . (٦) الطبري ٢: ١٧٤ : «أن ذبجه» ، البداية ٢:
٢٤٨ : «ذبجه قاذبجه» . (٧) ابن هشام ١: ١٦٢ ، والطبري ٢: ١٧٤ : «وله فيه فرج» .
(٨) في الأصل : «فركبوا حتى» ، وتكملة من الطبري ٢: ١٧٣ (٩) تكملة عن ابن هشام
١: ١٦٢ ، والبداية ٢: ٢٤٨ . (١٠) انحصر النوري . والنص كما يرويه ابن هشام ١:
١٦٢ ، والنخعي من البشر ٣: ٨٧ ، وابن كثير في البداية ٢: ٢٤٨ : «... فقالت لم أركبوا على
اليوم حتى يأتيني ثأبي فأسأله» فربسوا من صدها ، فلما خرجوا منها قام عبد المطلب يدعى الله ، ثم خدرا
عليها فقاتلته ثم ... الخ» . (١١) في سيرة ابن هشام ١: ١٦٢ ، والنخعي من البشر ٣: ٨٧ :
«الإبل» ، وكانت كذلك ، قالت . (١٢) في البداية ٢: ٢٤٨ : «بلادكم» ثم فرَّبوا صاحبكم
وفرَّبوا . (١٣) في الطبري : «فرَّبوا في الإبل» .

وإن تَرَجَّتْ على الإبل فأنعموها عنه ، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم ، فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ وفعلوا ذلك ، والْتِدَاحُ نَحْمٌ على عبد الله ، وعبدُ المطلب يزيدُ عَشْرًا عَشْرًا ، وهو قائمٌ يَدْمُو حتى يَلْتَئِئَ الإبلُ مائةً ، فخرجَ القِنْحُ على الإبل ، فقالت قُرَيْشٌ ومن حضر : قد آتَى ، رَضَى رُبُّكَ يا عبدَ المطلب ، فقال عبدُ المطلب : لا والله ! حتى أُضْرِبَ عليه بِالْفِدَاحِ ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ يَدْمُو ، فخرجَ القِنْحُ في كُلِّ مَرَّةٍ على الإبل ، فَنُحِرَتْ عند ذلك . وذكَّرَتْ نَحْوَ ما هَتَمَ .

ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب آمنَةَ

بنتَ وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم

- ١٠ روى محمد بن سَمْعَدٍ عن محمد بن عَمْرِو بْنِ وَاكِدٍ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : كَانَتْ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَّانٍ بِنْتُ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، فِي حِجْرِ عَمِّهَا وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَّانٍ ، فَتَنَى إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بَابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق أيضا ، وقد ورد مفصلا في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ ، والمخير من البشر ٣ : ٨٧ . (٢) في تاريخ الطبري ٢ : ١٧٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، والمخير من البشر ٣ : ٨٨ : « قد آتَى وهب رُبُّكَ » على الإضافة .

- ١٥ (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ : « يا عبد المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال ... انزع » . (٤) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، بداية ٢ : ٢٤٩ ، والمخير من البشر ٣ : ٨٨ : « أُضْرِبَ عليها » . (٥) طبقات ١ : ٥٨ (قسم أول) . (٦) زهرة بضم الزاى وسكون الهاء ، وفي مصاحح الجوهري « زهر » : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنتو زهرة . قال السبيل ١ : ٧٩ : « وهذا منكز غير معروف » وإنما زهرة جدهم كما قال ابن إسحاق ، وقال : اسم زهرة الخنيرة . وانظر الأثر الثاني ١ : ١٠٣ ، وتاج الروس (زهر) .

نُفَعِلَهُ عَلَيْهِ أَمَنَةً فَرَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَطَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَانِمٍ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ أَبْنَتُهُ هَالَةُ بِنْتُ وَهَبٍ عَلَى نَفْسِهِ ، فَرَّجَهَا إِذَاهَا ، فَكَانَ تَرْوِجُهُمَا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، فَوَلَدَتْ هَالَةُ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَمْزَةً ^(١) ، وَكَانَ حَمْزَةُ عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّسَبِ ، وَأَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ .

• وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَزَوَّجَ أَمَنَةً وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ^(٢) . قَالَ : وَقِيلَ بَلْ كَانَ يُؤْمَذُ أَبْنُ نَحْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، وَعَنْ أَبِي الْقِيَاضِ الْخَضَعِمِيِّ قَالَا : لَمَّا تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ أَمَنَةً أَقَامَ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ عِنْدَهُمْ .

• وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ : إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا فَدَى ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَتَرَجَّ بِهِ حَتَّى أَتَى وَهَبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَعْمًا وَشَرَفًا ، فَرَّجَهَا أَبْنَتُهُ أَمَنَةً ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ أَمْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا ، قَالَ : فَرَّجَهَا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا حِينَ أُتِلَّ كَمَا مَكَانَهُ فَوْقَ طَلِيبَا ، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) .

(١) فِي ابْنِ سَدٍّ ٥٨١ : (قَسَمَ أَوَّلَ) : « حَمْزَةٌ . فَكَانَ » .

(٢) فِي الْأَسْتِجَابِ ١٦ : ١ .

(٣) الْقَاتِلُ ابْنِ سَدٍّ (٥٨١ : ١ قَسَمَ أَوَّلَ) .

(٤) السَّيْرَةُ ١٦٤ : ١ .

(٥) أَمَلِكُ الْمَرْأَةِ بِالْبَاءِ الْجَهْلِيَّةِ : تَزْوِجُهَا .

(٦) فِي الْبَدَايَةِ ٢ : ٢٤٩ : « فَحَمَلَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ » .

ذكر خبر المرأة التي عرّضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب
وما أبدته من سبب ذلك

قد اختلف في هذه المرأة، فمنهم من يقول : هي قُتَيْلَة^(١)، بنتُ نُوَظَل^(٢)، بنِ أَسَدَ،
ابنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ، بنِ قُصَيٍّ، وهي أختُ وَرَقَةَ بنِ نُوَظَل^(٣). قال السَّيْلِيُّ^(٤) : اسمها رُقَيْقَة بنتُ
نُوَظَل تَكْنَى أُم قَتَال، وهي أختُ وَرَقَةَ بنِ نُوَظَل. ومنهم من يقول : هي فاطمة
بنتُ مَرْثَدَةَ الْخَثْعَمِيَّةِ، وقيل غيرها. ونحن نذكر ما قالوه في ذلك .

فأما عبد الملك بن هشام فقال : لما انصرف عبد المطلب يوم الفداء أخذًا
بيد أبنه عبد الله، فُرِّبَ به على امرأة من بني أَسَدَ، وهي أختُ وَرَقَةَ بنِ نُوَظَل،
وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟
قال : مع أبي، قالت : لك مثلُ الإبل التي تمحرت منك وقَع على الآن . قال :
أنا مع أبي، ولا أستطيع خلاقه ولا فراقه، فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب^(٥)
ابن عبد مناف . وذكر خبر زواجه بأمنة، وأنه وقَع عليها كما ذكرناه آنفا .

قال : ثم خرج من عندها، فأَتَى المرأة التي عرّضت طليبه ما عرّضت ، فقال
لها : مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس ؟ قالت له :
فارقك البُيُوتُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة .

- (١) يضم قفاف وفتح المثناة القوية فتحية مائة . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٨٠ هـ
(سم أول) : « بن قصي : أخت ورقة » . وفي الأصل : « قصي بن أخت ورقة » تصحيف ،
والثبوت من الطبري ٢ : ١٧٣ ، وانظر السَّيْلِيُّ ١ : ١٠٢ . (٣) في الروض الأثرف ورقة ٥٣ ب .
(٤) في الأصل : « وريقة » ، تصحيف . وانظر الزقاق ١ : ١٢٣ (جولاق) .
(٥) هو قول ابن نعيم ، وابن حساكر رواية عن ابن عباس . وانظر الروض ١ : ١٠٤ : ١٠٢ .
(٦) في السيرة ١ : ١٦٤ . وانظر الطبري ٢ : ١٧٤ ، البداية ٢ : ٢٤٩ .
(٧) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، ابن الأثير ٢ : ٧ ، والبيهقي ١ : ٢٤ ب : « إن مي أبي » .

(١١) وقال الواقدي : هي قتيبة بنت نوفل . وعن ابن عباس رضي الله عنهما :
انها امرأة من بني أسد ، وهي أخت ورقة .

قال الواقدي : كانت تنظر وتمتاف ، فترى بها عبد الله فدعته يستبضع منها ،
ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال : حتى آتيك ، وتخرج مسرعا حتى دخل على أمينة
فوقع عليها ، فعملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجعت إلى المرأة وهي تنتظره
فقال : هل لك في التي عرضت علي ؟ فقالت : لا . مردت وفي وجهك نور
ساطع ، ثم رجعت وليس فيه ذلك النور .

(١٢) قال : وقال بعضهم قالت : مردت وبين حبيك غرة مثل غرة الفرس ،
ورجعت وليس هي في وجهك .

(١٣) وقال محمد بن عمر بن واقد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ،
عن أبي الفياض التميمي ، قال : مر عبد الله بامرأة من خثعم يقال لها : فاطمة

(١) قوله ابن سعد ٥٨١ - ٥٩ (قسم أول) .

(٢) قوله ابن سعد في الطبقات ٥٨١ (قسم أول) .

(٣) في دلائل النبوة الصحيح (١ : ١٢٥) : « وكانت تسع من أخيار مدية بن نوفل ، وكان
قد تسمر واتبع الكتب ، يقول : إنه لكان في هذه الأمة نبي في بني إسرائيل » ، وانظر البداية والنهاية
٢٤٩ : ٢٥٠ ، والوفاء ١٠١ : ١٠٢ .

(٤) في طبقات ابن سعد ٨١ : ٨٢ (قسم أول) : « فخرج مريما » .

(٥) القائل الواقدي .

(٦) قوله ابن سعد ٩١ : ٩٢ (قسم أول) .

(٧) في طبقات ابن سعد ٩١ : ٩٢ (قسم أول) : « الكلبي عن أبي الفياض » ، وانظر ابن الأثير

٤ : ٤٤٢ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ٣٩ : ٤٠ .

بثُّ سرٍّ^(١)، وكانت من أجل الناس وأشبّه وأعفه^(٢)، وكانت قد قرأت الكتب^(٣)،
وكان شبابُ قُرَيْشٍ يتحدّثون إليها، فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله فقالَت :
يا قُتَيْبُ ! من أنت ؟ فأخبرها، قالت : هل لك أن تفتح عليّ وأعطيك مائة^(٤) من
الإبل ؟ فنظر إليها وقال :

أما الحرامُ فالمتّ دونه * والحِلُّ لا حلَّ فاستنيته
فكيف بالأمر الذي تنويته^(٥) *

ثم مضى إلى أمر أمّته، فكان معها، ثم ذكر الختمية وجمالها، وما عرضت
عليه، فأقبل عليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخر كما رآه منها أولاً، فقال : هل لك
فيما قلت لي ؟ فقالت : « قد كان ذاك مرّةً فاليوم^(٦) لا »، فذهبت ممّلة، وقالت :
أى شيء صنعتَ بعدى ؟ قال : وقعت على زوجتي آمنّة، قالت : إني والله لست

(١) في العبري ١٧٤:٢ : « كلمة من غشم يقال لها قاطعة بثت مرتهودة من أهل تبالة »

« قرأت الكتب » . وانظر البداية ٢٥٠:٢، وابن الأثير ٤:٢، والقرطبي ١٠٢:١ .

(٢) كما في الأصل، وطقات ابن سعد، وانظر السيرة الحلبية ٣٩:١ .

(٣) رواية ابن سعد ٥٥:١ (قسم أهل) : « قرأت الكتب » .

(٤) في دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٩:١، والبداية ٢٥٠:٢ : « تقع على الآن » .

(٥) في الأصل : « فكيف الأمر »، وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٩:١ : « فكيف لي

الأمر »، وانجبت عن العبري، وابن الأثير ٤:٢، وبداية والنهاية ٢٥٠:٢، ومعيون الأثر

٢٤:١ .

(٦) هكذا يرويه أيضا الميداني في جمع الأمثال ٢٥:٢، وفي ابن الأثير، وأبي نعيم والبداية،

ومعيون الأثر ٢٤:١ : « التي تبجته » .

(٧) رواية الميداني ٢:٣٤ : « قد كان ذلك مرة » . والمثل يضرب في السلام والإقامة

بعد الاجترام .

بصاحبة زينة^(١)، ولكني رأيتُ نور النبوة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك في،
وإني الله إلا يجمعه حيث جمعه .

وبلغ شباب قُريش ما عرضت على عبد الله وتأنيه عليها، فذكروا ذلك لها،
فأنشأت تقول .

إني رأيتُ خيلةً عرضت^(٢) • فسلالاتٍ بمناتم القطر^(٣)
فلما نسا نورا بضيء له^(٤) • ما حوله كإضاءة الفجر^(٥)

ورأيتُه شرقاً أبوء به^(٦) • ما كلُّ قاذح زنده يُورى
فه ما زُهرية سلبت^(٧) • ثوبيك ما استلبت وما تدرى

وقالت أيضاً :

بني هاشم قد غادرت من أخيم^(٨) • أمانة إذ للباء يتلجأ^(٩)
كما غادر المصباح بسند خبوه^(١٠) • فتائل قد ميّنت له بداهات

(١) في الطبري ١٧٤:٢، وابن الأثير ٤: ٤: « رية » .

(٢) الخيلة بالضم : الساقة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة . والخيلة بالفتح : الساقة .

(٣) رواية الميداني ٣٥:٢ « نثأت » .

(٤) لما أتت : أي أبصرتها ولها . وفي الأصل : « فلما أتت » تصحيف ، وانظر لسان العرب

« لما » ، والطبري ١٧٤:٢ .

(٥) في ابن الأثير ٤: ٤: « بضيء » .

(٦) في الطبري ١٧٤:٢، وابن الأثير ٤: ٤: « فرجوه نظرا » .

(٧) رواية ابن الأثير ٤: ٤: « منك الذي سلبت وما تدرى » .

(٨) في الأصل : « وقال » ، تصحيف .

(٩) رواية الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير : « إياه يتركان » .

(١٠) هكذا يريده الميداني ٣٥:٢، وفي ابن الأثير ، والبداية : « عند نحره » .

وما كل ما يحوى الفتى من يلايه ^(١) • بحزم ولا ما فاته لثوان ^(٢)
 فأجمل إذا طالبت أمرا فإنه • سيكتفيك جلدان يصطومان
 سيكتفيك إذا يد مفضلة ^(٣) • وإنا يد مبسوطة بيان
 ولما قفت منه أمانة ما قفت • نبا بصري عنه وكل لسان ^(٤)

- ومن أبي يزيد المدني قال: نُبئتُ أن جده الله أباه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أتى على امرأة من ختم فرأت بين عينيه نورا ساطعا إلى السماء فقالت : هل لك
 في؟ قال : نعم حتى أربي الجفرة ، فأطلق فرقى الجفرة ، ثم أتى امرأته آمنه بنت
 وهب ، ثم ذكر الخنصبة فأخاها فقالت : هل أنبت امرأة بعدى؟ قال نعم ، امرأتى
 آمنه بنت وهب ، قالت : فلا حاجة لى فىك ، إنك مررت وبين عيني نور
 ساطع إلى السماء ، فلما وقعت عليها ذهب ، فأخبرها أنها قد حلت بخير أهل
 الأرض .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، أنه حدث أن عبدا لله
 إنما دخل على امرأة كانت له مع أمانة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه
 آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه فأطلت عليه لما رأت عليه من آثار الطين ،

- (١) رواية المبدئي ٢ : ٣٥ : « وما كل ما قال الفتى من نصيبه » .
 (٢) رواية الطبري ، وابن الأثير : « ملاده » لزوم .
 (٣) منقطة : متبعة ، متشعبة الأصابع .
 (٤) رواية ابن الأثير ، والطبري : « قفت » حوث منه نظرا لما لذلك شأني .
 (٥) في الأصل : « المديني » ، والمثبت عن طبقات ابن سعد ١ : ٦٠ : (قسم أرا) .
 (٦) في طبقات ابن سعد ١ : ٦٠ : (قسم أرا) : « ثم ذكر بيني الخنصبة » .
 (٧) في طبقات ابن سعد : « قد حلت خير أهل » .
 (٨) في الأصل : « أنه حدث » ، تصحيف .

فخرج من عندهما قهراً وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم نرج عايندا إلى
آمنة فزها ، فدعته فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها ، فأصابها فحملت
بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سرّ بأمراته تلك فقال لها : هل لك ؟
قالت : لا . سررت بي وبين حبيك غرة ، فدعوك فأبى ، ودخلت مل آمنة
فذهبت بها .

قال ابن إسحاق ^(٣) : وزعموا أن أمراته تلك كانت تُحسّث : أنه سرّ بها وبين حبيبه
مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوتُه رجاء أن تكون تلك بي ، فأبى مل ، ودخل مل
آمنة فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوسط قومه نسبا ، وأعلىهم
شرفاً من قبل أبيه وأمه . والله الفاعل .

ذكر حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وما قيل لها

حملت به صلى الله عليه وسلم أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجحرة
الوسطى ، رواه أبو عمر بن عبد البر عن الزبير بن بكار ، وحكاه غيره أيضا ،

وقيل حملت به في دار عيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

وروى محمد بن عمر بن واقد الأسدي ^(٤) قال : حدثني علي بن يزيد ، بن عبد الله ، بن

وهب بن زمة عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « دعه إلى قسبا فأبى » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « غرة يضاء ، فدعوك فأبى مل ، ودخلت » .

(٣) قال ابن هشام ١ : ١٦٥ . (٤) في الاستيعاب ١ : ١٦٥ .

(٥) في الأصل : « وهب بن عبد مناف » تصحيف ، والتصويب من الاستيعاب ١ : ١٦٥ .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ١ : ٦٠٠ (قسم أول) ، وانظر الأثر الثاني ١ : ١٠٦ .

لَا حَمَلَتْ بِهِ أَمَنَةٌ بَلَتْ وَهَبَ كَانَتْ قَوْلُ: مَا شَعَرْتُ أَنِّي حَمَلْتُ بِهِ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ قَعْلَةً^(١٢) كَمَا تَجِدُ النِّسَاءَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَتَوْتُ رَفَعَ جِيفَتِي، فَرُبَّمَا كَانَتْ تَرْفَعُنِي وَتَعُودُ؛ وَأَتَانِي آتٍ، وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقَظَانِ فَقَالَ: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكَ حَمَلْتَ؟ فَكَأَنِّي أَقُولُ مَا أَدْرِي، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، قَالَتْ: لَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَكُنُّ عِنْدِي الْجَلُّ، ثُمَّ أَهْمَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وَلَادَنِي أَنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ: قَوْلِي: «أُحْيِيهِ بِالْوَاحِدِ الصَّامِدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ». قَالَتْ: فَكُنْتُ أَقُولُ ذَلِكَ.

وفي رواية محمد بن إسماعيل أنه قيل لها: إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَقُولِي: «أُحْيِيهِ بِالْوَاحِدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، ثُمَّ صِيهِ عَجْدًا».

- ١٠ وفي رواية أخرى: أَمَرَتْ أُمُّهُ وَهِيَ حَامِلٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُسَمِّيَهُ أَحْمَدَ. قَالَتْ أُمُّهُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِنِسَائِي، فَقُلْنَ لِي: تُعَلِّقِي حَلِيدًا فِي حَصَدِيكَ وَفِي حَصَّتِكَ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، فَلَمْ يَكُنْ يُتْرَكُ حَلًّا إِلَّا أَيَّامًا، فَأَجَدَهُ قَدْ قُطِعَ، فَكُنْتُ لَا أَعْلَقُهُ.

وعن الزَّهْرِيِّ قَالَ: قَالَتْ أَمَنَةُ: لَقَدْ مَلَقْتُ بِهِ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةً حَتَّى وَضَعْتُهُ.

- ١٥ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ^(٥) وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ تَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ بِذَلِكَ.

(١) التَّحْقِيقُ فِي مَخْلَقَةِ الْوُجُوهِ: التَّحْقِيقُ، عَنِ الزُّوْغَانِيِّ ١٠٦: ١.

(٢) فِي الْأَسْل: «دَنَا وَلَادَنِي» تَصْحِيفٌ، وَالْمُتَّبَعُ مِنَ الزُّوْغَانِيِّ ١٠٦: ١ وَحِوْنِ الْأَثَرِ ٢٤: ٢.

(٣) قَوْلُهُ ابْنُ هِشَامٍ ١٦٦: ١ (٤) أَنْظَرَ الزُّوْغَانِيُّ ١٠٨: ١.

(٥) سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١٦٦: ١ (٦) فِي الْأَسْل: «وَرَأَتْ» تَصْحِيفٌ.

وحكى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في كتاب "الأعلام"
 له عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وكان من دلائل حمل آمنة برسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حيل
 بمحمد ورب الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ، ولم تبق كاهنة في قريش
 ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا عجبت من صاحبها ، واقرع علم الكهنة منهم
 ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا .

قال : وقال كتب الأحبار : وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا كلها منكوسة
 مضغوطة فيها شياطينها ، وأصبح عرش إبليس ملوثة منكموسا .

قال : وقال ابن عباس رضى الله عنهما : وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه
 ذلك ، وفزت وجوش المشرق إلى وحوش المغرب بالإشارات ، وكذلك أهل البحار
 [صار] ينشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهره نداء في الأرض ، ونداء
 في السماء : أن ايسرؤا ، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا .
 والله الموفق للفعال .

(١) انظر الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٢) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « وكلت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم » .

(٣) في الأصل : « ومرت وحش » تصحيف ، والتصويب عن الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٤) في الأصل : « وحش » تصحيف .

(٥) عن شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٠٨ .

(٦) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « من شهوره » .

(٧) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « فقد آن أن يظهر أمير القاسم » .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

- روى أبو عبد الله محمد بن سعد، بسند يرفعه إلى محمد بن كعب، وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعبمة، قالاً : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى خربة في مير من عيرات قريش يحملون تجارتاً، ففرغوا من تجارتهم ثم أنصرفوا فزوا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فقال : أنا اتخلف عند أخوالي بني عدي ابن النجار ، فاقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة ، فسألم عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب ولده الحارث ، فوجدته قد توفى ودفن في دار الناجية ، وهو رجل من بني عدي بن النجار ، فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل .
- ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة .

- قال الواقدي : هذا هو أثبت الأقوال ، والرواية في وفاة عبد الله وسنه عندنا .
- وعن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عوانة بن الحكم قالاً : توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهراً ، ويقال سبعة أشهر ، وقيل شهران .
- قال محمد بن سعد : والأول أثبت . وقال السهيلي^(٢٦) : «وأكثر العلماء على أنه كان في المهد» ، قال : « ذكره الذولابي وغيره » . والله تعالى أعلم .

- (١) في ابن الأثير ٢ : ٣ : أن الميراث كان للزير لا الحارث . (٢) هذه إحدى روايتي الطبري ؛ وفي ابن الأثير ٢ : ٤ : «الثانية الجندی» ؛ ورواية الطبري الأخرى وطبها اقتصر الزرقاني ١ : ٢١٠ : «الثانية» بالهاء المثناة ثم الواحدة بعد الألف ، ثم العين المهملة ؛ والثالثة رجل من بني عدي بن النجار . (٣) الروض الألف ١ : ١٠٧ . (٤) الذولابي بفتح الهمزة هو محمد بن أحمد ابن حماد بن سعيد الأنصاري أبو بشر . انظر الأصاب لسحق ٢٣٣ ب .

قال الواقدي : وترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن ، وأُمُّهُم بركة ، ونَحْسَةُ أَجْسَالِ أَوَارِك ، بمعنى تأكل الأراك ، وقطعة غنم ، فَوِثَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله خير الوارثين .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة شرفها الله تعالى ، قال الزبير بن بكار :
 ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي كانت لعمد بن يوسف أخي الخنجات . قال
 القرطبي رحمه الله في كتاب «الأعلام» له : إن الدار كانت في الزقاق المعروف بزقاق
 الموليد^(١) ، وكانت في مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد عقيل بن أبي طالب^(٢)
 ثم في أيدي ولده ، ثم اشتراها عمه بن يوسف التميمي من ولد عقيل ، فأدخل البيت^(٣)
 في دار بناها وسماها البيضاء ، فكان البيت في الدار إلى أن هجرت الخنيزران^(٤)
 أم الهادي والرشيد ، فأخرجت البيت وجعلته مسجدا يشرع في زقاق المولد .

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل بعد قدوم أصحاب الفيل بمحرم
 وخمسين ليلة ، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، قبل اللتين خلتا منه ، وقيل

(١) انظر البداية والنهاية ٢ : ٢٦١ ، ومعيون الأثر ١ : ٢٦٠ .

(٢) في شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٣٦ : « ... زقاق الملك » بدال مهمل .

(٣) في شرح المواهب ١ : ١٣٦ : « فأدخل البيت الذي ولد فيه المصطفى في داره التي يقال لها
 البيضاء » . وصحبت البيضاء لأنها بنت بلخس وطولت به السيرة الحلبية ١ : ٦٢٠ .

(٤) هكذا في الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٦ . وفي الروض الأضف ١ : ١٠٧ ، والزرقاني
 ١ : ١٣٦ : « وأما الدار التي لعمد بن يوسف فقد بنها زبيدة ، حتى زوجة هارون الرشيد مسجدا

حين هجرت ، وهي عند الصفا » . وانظر شرح المقامات للشرش ٢ : ٢٤٤ . وفي السيرة الحلبية ١ : ٦٢٠
 محاولة لتوفيق بين الصين .

(٥) هو قول حكاة الدياعلي وكورن . وانظر الزرقاني ١ : ١٣٠ .

أول اثنين منه من غير تعيين ، وقيل وُلِدَ في شهر رمضان لأكثرَ عشرة ليلةً خلت منه ، وهو المشهور من نيسان سنة مجاعة^(١) واثنين للإسكندر ذي القرنين .

والمشهور أنه وُلِدَ في شهر ربيع الأول ؛ فيقول القائل : كيف يمكن أن تكون حملت به في أيام التشريق ، وولِدَ في شهر ربيع الأول ، والمدة بينهما إما أربعة أشهر ، أو ستة عشر شهرا ، ولم يُنقل إلينا أنه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها ؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورا في ذي الحجة ، بل قد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة ، ووافق الحج في ذي القعدة ، فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في السنة العاشرة ، خطب فقال في خطبته : « ألا إنا الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض^(٢) ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ، فيمكن أن يكون الحج لما حملت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق في جمادى الآخرة ؛ ولا يمنع هذا والله أعلم .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقْتُ به بمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما وجدتُ له مشقة حتى وضعته ؛

٢١
١٤

(١) في فتح الزرقاني عل المواهب ١ : ١٣٠ - ١٣٢ ، تفصيل لهذه الأقوال ، مع نسبتها لقاتلها . وانظر الأرض الأنف ١ : ١٠٧ ، وحيون الآخر ١ : ٢٦ .

(٢) في الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » .

(٣) في لسان العرب (رجب) : « إنما قيل رجب مضافة إليهم ، لأنهم كانوا أشد بغيا له من غيرهم ، فكانهم اغصوا به » ، وفي الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « إنما قال رجب مضر ، لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه ربيعا ... فينزل على الله عليه وسلم أنه رجب مضر ، لا رجب ربيعة » والله الذي بين جمادى وشعبان » .

(١) فلما فصل متى خرج منه نوراً أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ، ثم وقع على الأرض على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب قبضها ، ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه زاففا رأسه إلى السماء ، ونزع معه نوراً أضاء له قصور الشام وأسواقها ، حتى رأيت اعتناق الإبل ببصرى . وعن حسان ابن عطية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصاً بصره إلى السماء .

قالت أمه : فولدته نظيفاً والله كما يولد السخل ما به قدر . وقالت فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن [أبي] العاصي ، وكانت شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت أمه أمته وذلك ليلاً ، قالت : لما شئتم أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإنى لأنظر إلى الشجوم تدنو حتى إنى لأقول لتقن علي .

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله ، عن أمته قالت : لما ولدت هذا صلى الله عليه وسلم ثم خرج من بطنى نظرت إليه ، فإذا هو ساجد لله عز وجل رافع يديه إلى السماء كالمترشح المبتهل ، ثم رأيت محابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته ، فغشيته عن عيني برهة ، فسمعت قائلاً يقول : طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومفاريها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرف جميع الخلائق كلها باسمه

(١) انظر إسان الميون ٤٦ : ١

(٢) انظر الروض الأثني ١ : ١١١ - ١١٢ ، والسيرة الحلبية ٥٦١ : ١ .

(٣) انظر السيرة الحلبية ٥٦١ : ١ .

(٤) في الأصل : « عثمان بن الناصر » ، وانجبت عن حيون الأثر ٢٧ : ١ ، والسيرة الحلبية

٥٨ : ١ ، وشرح المواهب ١١٦ : ١ .

(٥) في حصة هذا الحديث كلام لم . انظره في إسان الميون ٥٨ : ١ .

(٦) في السيرة الحلبية ٥٤٠ : ١ ، والزيغاني ١١٢ : ١ : « ساجد تدفع أصابعه كالخضر » .

وصفته ، ويعرفوا بركته ، إنه حبيب لى ، لا يبقى شيء من الشرك إلا ذهب به .
 قالت : ثم انجلى عني في أسرع من طرفة عين ، فإذا أنا به مدرج في ثوب أبيض^(١)
 أشد بياضا من اللبن ، وتحته حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ
 الرطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قد قبض عهد صلى الله عليه وسلم مفاتيح
 النصر ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة .

وذكر الخطيب أيضا عنها في شأن المولد : قالت : رأيت صحابة أعظم من
 الأولى ولما نور ، أسمع فيها صهيل الخيل ، وخفقان الأجنحة ، وكلام الرجال ، حتى
 غيبت ، قالت : وضيئت عني وجهه أطول وأكثر من المرة الأولى ، فسمعت مناديا
 ينادي : طوفوا بحمد جميع الأرضين ، وعلى موالد النبيين ، وأعرضوه على كل روحاني
 من الجن ، والإنس ، والملائكة ، والطير ، والوحوش ، وأعطوه خلق آدم ، ومعرفة
 شيت ، وقبالة نوح ، وخلة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، ورضا إسحاق
 وفصاحة صالح ، وحكمة لوط ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وشدة موسى
 وطاعة يونس ، وجهاد يوشع ، وصوت داود ، وحُب دانيال ، ووقار إلياس
 وعزيمة يحيى ، وزهد عيسى ، وأشمسوه في جميع أخلاق النبيين عليه وعليهم السلام .
 ثم انجلى عني في أسرع من طرفة العين ، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء

(١) في الأصل : « قال » . (٢) في شرح الزرقاني ١ : ١١٣ : « ... رأيت صحابة عظيمة

لما نور » . (٣) تريد الملائكة المشككين بصفة الرجال . وافتقر الزرقاني ١ : ١١٣ .

(٤) في الزرقاني ١ : ١١٣ : « وغيبت عني فسمعت مناديا » .

(٥) في الأصل : « وحكمة إبراهيم » تصحيح ، والتصويب عن الزرقاني ١ : ١١٣ ، والإشارة

إلى الآية : « واتخذ الله إبراهيم خليلا » .

(٦) في الزرقاني ١ : ١١٤ : « في أخلاق النبيين » .

(٧) رواية الزرقاني ١ : ١١٤ : « قالت ، ثم انجلى عني فإذا به » .

مطلوبة طيباً شديداً، ينزع من تلك الحرية ماءً معيناً، وإذا قائل يقول: ينجح !
قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها، لم يبق خلق كثير من أهلها إلا دخل
في قبضته طائفاً بإذن الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه ، قال : ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم محتوناً ممروراً ، قال : وأعجب ذلك عبد المطلب ، وحظي
عنده ، فقال : ليكونن لأخي هذا شأن .

وفي رواية : لما ولدت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى جده
عبد المطلب ، فجاءه البشير وهو جالس في الحجر مع ولده ويرجال من قومه ، فآخذه
أن أمة ولدت غلاماً ، فمر بذلك ، وقام هو ومن معه ، فدخل عليها ، فآخبرته بكل
ما رأت ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه . قال : فآخذه عبد المطلب
فدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله ، ويشكر ما أعطاه . قال الواقدي : وأخبرت
أن عبد المطلب قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطاني * هذا الغلام الطيب الأردني
قد ساد في المهدي على الغلمان * أعينه بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان * أعينه من شر ذي شران
* من حاسد مضطرب العنان *

وقال القرطبي : وقال أبو طالب : كنت تلك الليلة التي ولد فيها محمد في الكعبة
أصليح فيها ملائمتهم منها ، فلما انتصف الليل ، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانبه

(١) في شرح المراهب ١١٤:١ : « وإذا قائل » .

(٢) رواية الزرقاني ١١٤:١ : « لم يبق خلق من أهلها إلا » .

(٣) أي مقطوع البرة . عن الزرقاني ١٢٤:١ .

الأربعة ، نضر ساجدا في مقام إبراهيم عليه السلام ، كالرجل الساجد ، ثم استوى قائما ، وأنا اسمع له تكييرا عجيبا ينادي : الله أكبر ! الله ربُّ عهد المصطفى ! الآن طهرني ربى من أنجاس المشركين ، وحمية الجاهلية ! ونظرت إلى الأصنام كلها تنفض كما ينفض الثوب ، ونظرت إلى الصنم الأعظم « هبل » قد انكب في الحجر ، وسمعت متاديا ينادي : إلا إن أمة قد ولدت جدا ! وقد سكبت عليها صفات الرحمة ، هذا طستُ الفردوس قد انزل ليغسل فيه الثانية .

٢٢
١٤

وعن حسان بن ثابت الأنصاري ، قال : ^(١) ولقد أتى لفلان ^(٢) يسمي ابن سبع سنين أوثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ على أطمه يترب : يا معشر يهود احيى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

١٠

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاه

وأسماءه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، منها ما جاء بنص القرآن ، ومنها ما نقل إلينا من الكتب السالفة والصحف المتولة ، ومنها ما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها ما اشتهر على ألسنة الأئمة من الأئمة رضوان الله عليهم .

روى عن جبير بن مطعم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لى خمسة ^(٥) ^(٤) »

١٥

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم . وانظر الزرقاني ١ : ١٢٠ .

(٢) الأطمه : الحصن ، أتت على معنى القبة .

(٣) في شرح المواهب ١ : ١٢٠ : « طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة »

(٤) انظر شرح المواهب ٣ : ١١٥ .

(٥) هي رواية مالك في الموطأ ، والبخاري عن طريقه ، وفي رواية الأكثر : « إن لى خمسة »

٢٠

أسماء . وانظر الزرقاني ٣ : ١١٥ .

أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماسح الذي يحرق الله في الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قَدَمَيْ^(١١) ، وأنا العاقب . قيل لأنه عقب غيره من الأنبياء .
وروى عنه عليه السلام : « لى عشرة أسماء » ، فذكر الخمسة هذه ، قال :
« وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملاحم ، وأنا المقتى ، بقيت
التيين ، وأنا قَمِيمٌ » .

قال القاضي عياض : والقَمِيمُ : الجامع الكامل ، قال : كذا وجدته ولم أروه
وأرى صوابه : قَمِيمٌ بالناء ، وروى النقاش عنه عليه [الصلاة و] السلام « لى فى القرآن
سبعة أسماء : محمد ، وأحمد ، ويس ، وطلح ، والمدثر ، والمؤمل ، وعبد الله » .
وفى حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : أنه كان عليه السلام يسمى لنا
نفسه أسماء ، فيقول : أنا محمد ، وأحمد ، والمقتى ، والحاشر ، وبني التوبة
وبني الملحمة ، وروى المرحمة ، والرحمة ، ومعنى المقتى : معنى العاقب .

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه صلى الله عليه وسلم فى القرآن مدّة كثيرة يسوي
ما ذكرناه ، منها التور ، لقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ،
والسراج المنير ، والشاهد ، والمبشّر والنذير ، وداعى الله ، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(١) روى «قدى» بكسر الميم ، وفتحها على التثنية ، ومعناه على الروايتين : يحشرون بعد الزمان الذى
بش فيه ، وفى رواية : يحشرون على عقبي . وانظر الزرقانى ٣ : ١١٦

(٢) فى شرح المواهب ٣ : ١٤١ : أن «القَمِيم» اسم آخر غير «قَمِيم» ، ورد فى كتب الأحاديث .

(٣) فسر الزرقانى ٣ : ١٢٠ خلا عن القاضي عياض بأنه الجامع خير ، أو الجواد .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ . متروك الحديث .

وانظر الزرقانى ٣ : ١١٨

(٥) عن شرح المواهب ٣ : ١١٨ . حيث يروى هذا الحديث .

- والبشير لقوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ، والمُنْذِرُ لقوله : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا) ، والمَذْكُرُ لقوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) ، والشَّهِيدُ لقوله : (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ، والخَلِيعُ لقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا) قال القاضي بكَرْبَنُ الْعَلَاءِ : المأمورُ بالسؤال غيرُ النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسئولُ الخَلِيعُ هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والحق المبين لقوله تعالى : (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) ، وقوله : (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ) ، وقوله : (قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ) ، وقوله : (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) ، قيل : مجد وقيل : القرآن ، والمُوفِّ الرَّحِيمُ ، لقوله تعالى : (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ، والكَرِيمُ ، والمُكِينُ ، والأَمِينُ ، لقوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٌ) ، والرسول ، والنبي الأُمِّيُّ ، لقوله : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) ، والوَلِيُّ ، لقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ، والْفَاتِحُ ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث الإسراء عن ربه تعالى : «وجعلتك فاتِحًا وخَاتِمًا» ، وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فاتِحًا وخَاتِمًا ، وقدم الصدق ، قال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم : قَدَمُ صِدْقٍ هو عهد صلى الله عليه وسلم ، والعُرْوَةُ الوثْقَى قيل : مجد ، وقيل : القرآن ، والمهادى ، لقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

(١) هو بكر بن محمد بن الحلاء بن زياد القشيري أبو الفضل البصري ثم المصري المتوفى سنة ٣٤٤ .

ذكر ما جاء في تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمد

ومن تسمى بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم من العرب ، وأشتاق ذلك

أما اشتقاق هذه التسمية ، فمحمد أمم علم ، وهو منقول من صفة من قولهم :

رجلٌ محمَّد ، وهو الكثير الخصال المحمود ، والمحمَّد في لغة العرب : هو الذي

يُحمَّد حمداً يمدَّ حمد مرةً بعد مرة . قال السجستاني (١) : « لم يكن محمد حتى كان أحمد

محمد ربه فبناه وشرَّفه ، فلذلك تقدَّم اسم أحمد على [الاسم الذي هو] محمد

فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد » .

٢٣
١٤

وهو صلى الله عليه وسلم أول من سُمِّي بأحمد ، ولم يُسمَّ به أحد قبله من سائر

الناس ، وفي هذا حكمة عظيمة باهرة ، لأن فيسبى عليه السلام قال : (ومُشَرَّأ

رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَيْتِي اسْمُهُ أَحْمَد) ، فتح الله تعالى بحكته أن يُسمَّى أحدٌ به

ولا يُدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لئس على ضعيف القلب .

وأما محمد ، فإن الله تعالى حمى أن يُسمَّى به أحد من العرب ، ولا من غيرهم

إلى أن شاع قبل وجوده ونيلاده صلى الله عليه وسلم : أن نَبِيًّا بُعِثَ اسْمُهُ محمد

قد قُربَ إِبْنُ مولده ، فسَمَّى قوم من العرب إِبْنَاهُمْ .

قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وهم ستة لا سابع لهم : محمد بن سفيان بن عُياض

جَدُّ الفرزدق الشاعر ، وهو أول من سُمِّي محمداً ، ومحمد بن أحبة بن الجلاح

(١) في الروض الأنف : ١٠٦ : ١ . (٢) من السيل : ١٠٦ : ١ . (٣) هذا قول

لقاضي عياض ، نقله عنه الهمداني في الخزانة : ٢ : ٢٤ . (٤) انظر المهرس : ١٣٠ .

(٥) في نزاة الأدب البغدادي : ٢ : ٢٤ : « وذكر حيدان المروزي أن محمد بن أحبة بن الجلاح

أول من سمى محمداً في الجاهلية » . (٦) ذكر البلاذري منهم : محمد بن عتيق بن أحبة . وهو محمد

ابن أحبة ، ينسب إلى أبيه مرة ، وإلى جده مرة أخرى . انظر الخزانة : ٢ : ٢٤ ، والمهرس : ١٣٠ .

الأوسى ، ومحمد بن حسان الجعفي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن براء
 البكري ، ومحمد بن خزاعي السلمي ، وذكر فيهم أيضا محمد بن اليعمدي من الأزدي
 واليمن تقول : إنه أول من سَمِيَ بمحمد . وذكر أبو الخطاب بن دحية فيهم :
 محمد بن عتّارة اللّثي الكّاني ، ومحمد بن حرّماز بن مالك التّيمي المَعْمَرِي . وقال
 أبو بكر بن فورك : « لا يُعرَف في المِصر من سَمِيَ قبله بمحمد سوى محمد بن
 سَعْيَان ، ومحمد بن أُحِيمة ، ومحمد بن حُرّان ، وإن آباء هؤلاء الثلاثة وقَدُوا على
 بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بِمَبْعَثِ النبي صل الله
 عليه وسلم وبِأَسْمِهِ ، وكان كل واحد منهم قد خَلَفَ أَمْرًا به حَامِلًا ، فَطَمِعَ في ذَلِكَ
 فَتَنَزَّلَ كل واحد منهم إن وُلِدَ له ولد ذكر أن يُسَمِّيَهُ محمداً » .

(١) يقول ابن حجر : إن محمد بن سُلَيْمَةَ ولد بعد ميلاد النبي صل الله عليه وسلم ، فَتَدَّه من بين
 هؤلاء خطأ . وقال زين الدين العراقي : السُّلَيْمَةُ صَحِيحٌ من حيث إن التَّيْقَةَ لم تكن ظهرت بعد . وانظر
 نزاة الأدب ٢ : ٢٤ .

(٢) في المِصر ١٣٠ : « محمد بن برّين عتّارة » وشيخ البلاذري اسم أبيه فقال : محمد بن بر
 بنشد بن الزاء ليس بعدها ألف ابن طريف بن عتّارة ، ويقال في نسبة العتّاري . وقد نقل ابن دحية
 حيث قد فيهم محمد بن عتّارة وهو هو ، نسب إلى جده الأُمَل . انظر انخراة ٢ : ٢٤ .

(٣) كتاب انخراة ٢ : ٢٤ ، وفي المِصر ١٣٠ : « الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم » .

(٤) في الأصل : « التّيمي » والصواب من نص المِصر ١٣٠ .

(٥) في انخراة ٢ : ٢٤ : « محمد بن حرّان بن أبي حرّان » واسمه ربيعة بن مالك الجعفي .

وفي الرّوض الأَنف ١ : ١٠٦ : « محمد بن حرّان بن ربيعة » .

(٦) في الرّوض ١ : ١٠٦ قلنا عن ابن فورك : « وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وقَدُوا » .

(٧) في الرّوض الأَنف ١ : ١٠٦ قلنا عن ابن فورك : « حَامِلًا ، فَتَدَّه » .

وذكر ابن سعد فيهم : محمد الجُشمي . وقال ابن الأثير : ^(١) محمد بن عدى بن ربيعة بن سعد بن سواد بن جُشم بن سعد ، علَّاه في أهل المدينة ، وروى عبد الملك بن أبي سويد المقرئ عن جد أبيه خليفة ، قال : سألت محمد بن عدى كيف سمَّاه أبوك محمدا ؟ فضحك ، ثم قال : أخبرني أبي عدى بن ربيعة ، قال : خرجت أنا وسفيان بن جُناشع ، ^(٢) ويزيد بن ربيعة بن كنانة ، بن حرقوص ابن مازن ، وأسامة بن مالك بن النضر بن زيد ابن جفنة ، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وفدير ، فأشرف علينا دبراني فقال : إني لأسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد فلما : نعم ! نحن من مضر ، قال : أي المضربين ؟ قلنا : خنيف ، فقال : إنه يُمَثِّث وشيكا نبي منكم ، فلفظوا نصيبكم منه تسعدوا ، فلما ما اسمه ؟ قال : محمد فأتينا ابن جفنة ، فلما انصرفنا وُلِدَ لكل منا ابن فسمَّاه محمدا .

وقال محمد بن سعد : « أخبرنا محمد بن علي ، عن مسleme ، عن طلعة ، عن قتادة بن السَّكَن ، قال : كان في بني تميم محمد بن سفيان بن جُناشع ، ومحمد الجُشمي في بني سواد ، ومحمد الأسدي ، ^(٣) ومحمد الفقيمي ، ^(٤) سمَّوهم طمعا في النبوة ؛ ثم حَمَى الله تعالى كل من نَسَى بمحمد أن يدعى النبوة ، أو يدعيها أحده ، أو يظهر عليه سبب يُسَكِّك أحدا في أمره ، حتى تحقق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع . »

(١) أسد الغابة ٤ : ٣٥٢ . (٢) في نزاة الأدب الجدادى ٢ : ٢٤ عن ابن سعد : « عده في أهل الكوفة » . (٣) انظر نزاة الأدب ٢ : ٢٤ . (٤) في نزاة الأدب ٢ : ٢٤ : « ويزيد بن عمرو بن ربيعة » . (٥) في الخواصة أيضا : « ابن مالك بن حبيب ابن النضر » . (٦) في الخواصة ٢ : ٢٤ ، ٢٥ قلا عن ابن سعد : « ابن سعد عن علي بن محمد عن مطعة بن محارب عن قتادة » . (٧) في شرح المواهب ٣ : ١٦٠ : « محمد بن الأسدي » ، قال : « وهو بضم الهزة وفتح السين المهملة وكسر اللجينة الثقيلة » . (٨) انظر شرح المواهب ٣ : ١٦٠ .

ومن أسمائه في الكتب المنزلة صلى الله عليه وسلم

«المعظم» ، وقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل : وسيلد عظيماً
لأمة عظيمة^(١).

و «الجبار» ، سُمي بذلك في كتاب داود عليه السلام ، فقال : تقلد أيها الجبار
سيفك فإن ناموسك وشرائك مقرونة بهيبة يمينك^(٢) . قالوا : ومعناه في حق النبي
صلى الله عليه وسلم : إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم ، أو لقهره أعداءه ، أو لعلو
منزله على البشر ، وعظيم خطره^(٣) . ونعى الله عز وجل عنه جبرية التكبر في القرآن
فقال : ((وَمَا أَنْتَ بِجَبَّارٍ))^(٤).

ومن أسمائه فيها : «المتوكل»^(٥) ، و «المختار» ، و «مقيم السنة»^(٦) ، و «المقدس»^(٧) ،
و «روح الحق»^(٨) ، وهو معنى البارقليط في الإنجيل ؛ وقال طنب : البارقليط : الذي
يفرق بين الحق والباطل .

- (١) انظر شرح المواهب : ١٦٧ : ١٦٨ . (٢) في شرح المواهب لثرباني ٣ : ١٧٢ :
«... وأما الجبار فسمى به في مزامير داود في قوله من مزمورة ٤٤ : تقلد سيفك الخ » ، وانظر الكتاب
المقدس (مزامير ٤٥) . (٣) نسب هذا القول في شرح المواهب ٣ : ١٢٥ إلى القاضي عياض ،
وابن دحية ، ومنها قوله . (٤) في شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : « لإصلاحه للأمة » .
(٥) في شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : «... وعظيم خطره» . (٦) أي التوراة ، وانظر شرح
المواهب ٣ : ١٤٣ . (٧) في شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : «مقيم السنة بعد الفترة كما هو نص
الزبور... ومعناه في التوراة» . (٨) في شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : «سماه الله به في الكتب
السافة» . (٩) البارقليط ، بالوحدة والقارقليط وبالقاء بدلا ، وضع الراي والقاف بعدها
لام مكسورة ، فتصية ساكنة ، فهاء مهملة ، وبسكون الراء مع فتح القاف بعدها اللام المكسورة ، وفتح
الراء مع بسكون القاف ، وبكسر الراء وبسكون القاف ؛ قال في المتن : وهو الصحيح — وقع في إنجيل يوحنا
ومعناه روح الحق . وفي النهاية لابن الأثير أن اسمه في الكتب السافة بارقليط . انظر لثرباني ٣ :

ومنها مآذم؛ وممناه طيب طيب، وسعطاي، والخاص والخاص؛ حكا
كعب الأحبار، قال: قتلنا فالحام الذي ختم به الأنبياء، والخاص أحسن الأنبياء
خلقاً وخلقاً، ويسمى بالسرانية مشفع، والمُخَصِّمَة، واسمه أيضاً في التوراة: أُحِيد،
وروي ذلك عن ابن سيرين رحمه الله.

٢٤
١٤

ومن اسمائه ونعوته عليه السلام التي جرت على ألسنة أئمة الأمة
المصطفى، والمجتبى، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع
والمُنْتَقَى، والمُصْلِح، والطاهر، والمُتَّعِن، والصادق، والضَّحُوك، والقَتَّال،
وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الفِرِّ المصليين، وحبيب الله
وخليفة الرحمن، وصاحب الخوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة والمقام
المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وصاحب الساج والمعراج
والقضيبي، وراكب البراق والناقة والتَّجِيب، وصاحب النجاة والسلطان، والخاص
والعلامة والبرهان، وصاحب المِرْآة والنَّعْلَيْن، صلى الله عليه وسلم.

- (١) بجم مفتوحة، فالف غير مهووزة، فذال معجمة منونة، ثم ميم فالف فذال معجمة. وانظر الزقاني
١٤٠: ٣، ١٦٩، ١٩٠. (٢) بفتح الحاء، وسكون الميم، وطاء مهمل غنقة، وألفين بينهما
تحتية. وفي شرح الشفاء للشمي: بفتح الحاء وفتح الميم. قال الهروي: معناه حامى الحرم. وانظر الزقاني
١٨٨: ٣. (٣) بضم معجمة وفاء مشددة مفتوحة، ثم حاء مهمل جوزن محذوف ويرى بالفاء
بدل الفاء مفتوحة ومكسورة. انظر الزقاني ٣: ١٨٨ و١٨٩. (٤) بضم الميم الأولى وكسر
الثانية، وقيل بفتحهما، وسكون الون الأول وفتح الحاء المهمل وتشد ياء الون الثانية بعد الألف؛ ومعناه
كأن الزقاني ٣: ١٨٨ روح القدس. (٥) قيل: بيمزة مضومة، وصاد مكسورة
فيا ساكة بعدها دال، وقيل بفتح الهزلة وسكون الحاء المهمل وفتح المثناة التحتية، وقيل بفتح الهزلة
وسكون الياء. وفي تهذيب الأسماء واللغات للزقاني ١: ٢٢: «أن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وإنما
سميت أحد لأني أحد عن أمي تاريخهم»، وانظر الزقاني ٣: ١٨٨.
(٦) قال ابن فارس: سمى به لحرصه على الجهاد، وسارعه إلى القتال. وانظر الزقاني ٣: ١٤٠.

قالوا : ومعنى صاحب القضيبي : السيف ، وقع ذلك مفسراً في الإنجيل ؛
قال : معه قضيبي من حديد يقاتل به ، وأثنته كذلك ؛ وأما الحراوة التي وصفت
بها ، فهي في اللغة العصا ، ولعلها القضيبي المشقوق الذي انتقل إلى الخلقاء ؛ وأما
صاحب التاج ، فالمراد به اليمامة ، ولم تكن حقيقاً إلا للعرب .

وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم ، ومن أنيس أنه لما ولد له إبراهيم ، جاءه
جبريل فقال : السلام عليك يا إبراهيم .

ذكر مراضع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخوته من الرضاعة ، وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه

وحال طفولته صلى الله عليه وسلم

- قال محمد بن عمر بن واقد الأسدي : أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثويبة^(١) ، وهي جارية أبي لهب ، أرضعته بلبن ابنها مسروح أيا ما قيل أن تقدم
حليمة السعدية ، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت
بعده أبا سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلها وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت إلى
أبي لهب أن يتأخها منه ثمعتها فأبى أبو لهب ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها

(١) انظر شرح المراهب للزيتاني ٣ : ١٨٤ . (٢) انظر شرح المراهب ٣ : ١٨٤ .

(٣) الرسول صلى الله عليه وسلم كنى أُمّ . انظرها في شرح المراهب ٣ : ١٥١ .

(٤) بضم اللام وضع الواو ، وسكون الضمة . توفيت سنة سبع من الهجرة . وفي إسلامها خلاف

مذكور في شرح المراهب ١ : ١٣٧ . (٥) يفتح الميم وسكون السين المهملة ، وذكر في السيرة

الحلية ١ : ٨٥ ، أنه بضم الميم أيضاً ، وانظر شرح المراهب ١ : ١٣٧ .

بصلة وكسوة ، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنة سبع عند مَرجعه من خيبر ، فقال :
ما فعل ابنُنا مسروح ؟ فقيل : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

ثم أرَضَتْه حلِمة بنت أبي ذؤيب^(١) ، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجعة^(٢) ،
ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن
ابن منصور بن حِكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مُضر^(٣) ، واسم أبيه
الذي أرضعته : الحارث بن عبد العزى بن رِفاعَة بن مَلان بن ناصرة^(٤) ، ويقال
هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(٥) .

وإخوته من الرضاة منها : عبد الله بن الحارث ، وأُنيسة بنت الحارث ، وحذافة^(٦)
بنت الحارث وهى الشَّيَاء^(٧) ، وكانت الشَّيَاء تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أمها .

قال أبو عبد الله محمد بن إصحاق كانت حلِمة بنت أبي ذؤيب تُحدِّث أنها خرجت
من بلدِها مع زوجها وابن لها تُرضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلمس الرضاة

(١) شِجعة ، بكسر الشين المعجمة بضم ما كنة فتون مفتوحة للتأنيث ، وروى «حجة» بالسين المهملة .
وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٤ - (٢) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، وفى شرح المواهب ١ :
١٤٤ « بن ناصر » - (٣) بضم القاء ، وضع الصاد يوزن « حمة » فى ضبط ابن دريد ، وفتح القاء
وكسر الصاد فى ضبط ابن سيده . وانظر تاج المروس (نقى) - (٤) رواية ابن هشام ١ : ١٦٩ :
« بن قيس بن عيلان » - (٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ : « واسم أبيه الذى أرضعته
صل الله عليه وسلم : الحارث » - (٦) كذا فى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، رقى الأمل :
« ملال » تصحيف - (٧) بضم الحاء المهملة ، وضع القاء المهملة يبدوا ألف مد ، ثم فاء كما
فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ١ : ٥٥ قلنا عن ابن جديليز ، يروى « جدانة » بضم الجيم ، و « جدانة »
بالحاء المعجمة . وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٦ - (٨) فتح الشين المعجمة وسكون الضجة
المتناة ، ويقال لها أيضا : الشاء . وانظر الزقاق ١ : ١٤٦

(٩) قلنا ابن هشام فى السيرة ١ : ١٧١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ١٤١

قال الواقدي : إنهن كنَّ عشرا ، قالت : في سنة شهباء لم تَبْقِ شيئا ، فخرجتُ على أُناتٍ^(١) إلى قمراء معنا شارف لنا ، والله ما بُعِثَ بقطرة ، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صبيتنا الذي^(٢) معي من بكانه من الجوع ، ما في ثديي ما يُشْبِه ، وما في شارقنا ما يُقَدِّيه ، ولكنا نرجو^(٣) النيث والفرج ، فخرجتُ على أُناتٍ تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفا ومحظا حتى قَدِمنا مكة ، فما منا امرأة إلا وقد عَرَضَ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ؛ فكانا نقول : يتيم ، ما عسى أن تصنع أمه وجهه ؟ فما بقيت امرأة قَدِمَتْ معي إلا أخذت رضيا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم أخذ رضيا ، والله لأذهبن إلى ذلك البقيم فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قال : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجِد غيره ؛ فلما أخذه رجعت به إلى رجلي ، فلما وضعته في حجرى ، أقبل عليه نديا بما شاء الله من لبن ، فشرِب حتى روى ، وشرِب معه

- (١) شهباء : ذات جَدْب وقَطْ ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٨٩ . (٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧١ : « لم تبق لنا شيئا » . (٣) أُناتٍ قراء : لونها بياض فيه كدرة ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : قراء : شديدة البياض . (٤) الشارف : الناقة المسنة . (٥) ما تبص : ما تَرَجَّحَ بَشْي . (٦) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧١ ، وشرح المواهب ١ : ٤٢ : « وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صبيتنا الذي معنا » . (٧) رواية ابن هشام ٢ : ١٧١ : « ولكنا كنا نرجو » . (٨) في السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : أذمت بإبدال المجهمة : أء ، جاءت بما تقدم عليه ، وفي شرح السيرة المحشئ ١ : ٥٥ : « ومن رواه أذمت فمعناه تأخرت بالركب أي تأخر الركب بسببها » . (٩) العجف : الخزال . (١٠) رواية ابن هشام ١ : ١٧٢ : « إنا إنما كنا » . (١١) في شرح المواهب ١ : ١٤٣ : « صاحبي يس من وضع ، لأنطلقن إلى » . (١٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٤٣ : « قالت » ، ولعل تذكير للفعل

٢٥
١٤

أخوه حتى روى، ثم ناما، وما نكحنا معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارقنا تلك
فإذا بها حافل، فقلب منها ما شرب وشربت، حتى أتيتنا رياء وشبعا، فبقينا بخير ليلة.

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تَلَمَّى والله يا حليلة لقد أخذت نسمة
مباركة ، قالت : قلت والله إنى لأرجو ذلك ، قالت : ثم خرجنا فركبتُ أنا
وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُرْمٍ ،
حتى إن صواحي ليقلن لي : وَيَحِيكَ يَا بِنْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ [ويحك] ! أربى
عليها . ألبست هذه أُنْثَاكَ التي كتبت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بل والله !

إنها لمي هي ، فيقلن : والله إن لم أشأنا . قالت : ثم قَدِمْنَا منازلنا من بلاد
بَنِي سَعْدٍ ، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنَى روح على حين
قَدِمْنَا به معنا شِباعًا لَبَنًا ، فنطَبُ ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن وما يمجدها
في ضَرَعٍ حتى كان الحاضرُ من قومنا يقولون لرُعيانهم : ويلكم ! اسرحوا حيث
يسرح راعي بنت أبي ذُؤَيْبٍ ، قالت : فلم نزل نتعزف من الله الزيادة والخبرة
حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى
كان غلامًا جفرا ، قالت : فقَدِمْنَا به على أمه ونحن أحرص شيء على بكته فينا
لما نكحنا من بركته ، فكلبنا أمه . وقلت لها : لو تركت بَنِي عِنْدِي حتى ينظف ،
فإني أخشى عليه وباء مكة ، قالت : فلم نزل به حتى رزقته معنا فرجعتا به

(١) في الأصل : « ما لا يقدر على شيء » ، والمثبت من سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ .

(٢) من ابن هشام ١ : ١٧٣ . (٣) أربى : انتظري . وفي السيرة الحلبية ١ : ٩٠ :

أربى : اعطيني عينا بالرق وعدم الشدة في السير . (٤) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧٣ ،

وشرح المواب ١ : ١٤٥ : « ولا يمجدها » . (٥) الحاضر : المقيم في المنزل ، وانظر السيرة

الحلبية ١ : ٩٠ . (٦) الجفر : التدبيل الطفيف . (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ :

« قالت : لم نزل بها » .

- فوالله إنه بعد مَقَدَمًا بأشهر مع أخيه لَقِيَ بِهِمْ لَنَا خَلْفَ بَيْوتنا إِذْ أَنَا نَا أَخُوهُ
 يَسْتَدْ^(٢)، قَالَ لِي وَلَآئِيهِ : ذَاكَ أَنَسَى الْقَرْشَى^(٣) قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ
 فَأَخْجَمَاهُ فَشَقَّ بَطْنَهُ ، فَهَمَّا يَسُوطَانَهُ^(٤) ، قَالَتْ : نَفَرَجْتُ أَنَا وَأَيُّهُ نَحْوَهُ ، فَوَجَدْنَاهُ
 قَائِمًا مَتَقَمًا^(٥) وَجْهَهُ ، فَالْتَزَمْتُهُ وَأَلْتَزَمَهُ أَبُوهُ ، فَقُلْنَا : مَا لَكَ يَا بَنِي ؟ قَالَ :
 جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ ، فَأَخْجَمَانِي فَشَقَّ بَطْنِي ، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أَدْرِي
 مَا هُوَ ؟ قَالَتْ : فَرَجَعْنَا إِلَى خِيَابِنَا ، فَقَالَ لِي أَبُوهُ : يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ
 هَذَا الْغَلَامُ قَدْ أَصِيبَ ، فَالْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ ، قَالَتْ : فَاحْتَمَلْنَاهُ
 فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ ، فَقَالَتْ : مَا أَقْدَمَكَ يَا ظُلْمُوقْدَ كُنْتُ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مَكَتِهِ
 عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : قَدْ بَلَغَ اللَّهُ يَا بَنِي ، وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ ، وَتَحَوَّضْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ ،
 فَأَذَيْتُهُ طَلِكُ كَمَا تَحْيِي^(٦) ، قَالَتْ : مَا هَذَا شَأْنُكَ فَاصْدُقْنِي خَبْرَكَ ! فَلَمْ تَدْعُنِي حَتَّى
 أَخْبَرْتَنِي ، قَالَتْ : أَفَتَخَوَّضْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَتْ كَلَّا وَاللَّهِ ! مَا لِلشَّيْطَانِ
 عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنْ لَبَّيْ لَشَأْنًا ، أَفَلَا أَخْبَرْتُكَ خَبْرَهُ ؟ قُلْتُ : بَلَى ! قَالَتْ : رَأَيْتَ
 حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ نَجَحَ مَتَّى نَوَّرَ أَضْيَاءَ لَهُ قَصُورٌ بِصَرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، ثُمَّ
 حَمَلْتُ بِهِ ، فَوَالله مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ قَطُّ كَانَ أَخْفَ وَلَا أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ
 وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ ، وَرَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، دَجِبَهُ عَيْنُكَ وَأَنْطَلَقَ رَاشِدًا .
 هَكَذَا قَتَلَ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقُ .

(١) اليوم : الصنار من أولاد الضأن . (٢) اشتد في عدوه : أسرع . (٣) في السيرة
 الحلبية ١ : ٩٣ : « يسوطانه : يدخلان يديهما في بطنه » ، وفي شرح التلخيص ١ : ٥٦ : « يقال
 سبط اللين أو الدم أو غيرها أسوله : إذا ضربت بضته بعض ، وأسم اللود الذي يضرب به السوط .
 (٤) في الأصل : « قال : نفرجت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ .
 (٥) انتقم لونه : تفتتت جلدة وجهه من خوفه أو مرض ، وذهب دمه . (٦) في سيرة ابن هشام
 ١ : ١٧٤ : « فأذيت طلي كتحيين » . (٧) في الأصل : « أضاه له قصرى وبصرى من أرض الشام » ،
 والمثبت عن شرح المواهب ١ : ١٥٠ : « وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ : « أضاه له قصور بصرى » .

وقال محمد بن سعد في كتابه المترجم بالطبقات عن الواقدي : كان عمره يوم شق بطنه أربع سنين ، وإن حليمة أتت به أمه آمنة بنت وهب وأخبرتها خبره وقالت : إنا لا نرذه إلا على جدع أنفنا ؛ ثم رجعت به أيضا ، فكان عندها سنة أو نحوها ، لا تدعه يذهب مكانا بعيدا ، ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، فأقرعها ذلك من أمره ، فقيدمت به إلى أمه لترذه وهو ابن خمس سنين ، فأضلها في الناس ، فالتصته فلم يجده ، فأت عبد المطلب فأخبرته ، فالتصه فلم يجده ، فقام عند الكعبة فقال :

لَا هُمْ رَدُّ رَاكِي مُحَمَّدًا * أُرِدُّهُ رَبِّي وَأَصْطَلِعَ عِنْدِي بِدَا
أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضْدًا * لَا يَبْعِدُ اللَّهُرُّ بِهِ فَيُبْعِدَا
* أَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا *

قال ابن اسحاق : يزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا : هذا أبناك وجدناه بأهل مكة ، فآخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يؤذنه ويدعوله ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة . وعن خالد بن معدان الكلابي : أت نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله : أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم . أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، وأسترضعت في بني سعد بن بكر ، فينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرى بهما لنا ، إذ أتاني رجلان

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٦ ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٩٤ .

(٢) قله ابن هشام ١ : ١٧٦ . (٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٣ : ١١٨ . وقد روى

هذا الخبر ابن هشام في السيرة ١ : ١٧٥ . (٤) انظر عيون الأثر ١ : ٣٥ .

عليهما ثياب بيض يطست من ذهب مملوءة تلجا ، فأخذاني فشقا بطني ، ثم أخرجنا قلى فشقا ، فاستخرجنا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا بطني وقلى بذلك التلج حتى أقباه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أخته . فوزني بهم فوزتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أخته ، فوزني بهم فوزتهم ، ثم قال : زنه بألف من أخته ، فوزني بهم فوزتهم ، فقال : دعه عنك ، فلو وزنته بأخته لو زنها .

قال محمد بن إسحاق^(٢١) : وحدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه وسالوها عنه وقلوبه ثم قالوا لها : لناخذك هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا ، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فلم تكذبنا به منهم .

وقال محمد بن سعد^(٢٢) : أن أمانة أم النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعت له حلبية السعدية قالت لها : احفظي أبني ، وأخبرتها بما رأت ، فترها اليهود فقالت : ألا تحذوني عن أبني هذا ؟ فإني حملته كذا ، ووضعت كذا ، ورأيت كذا ، كما وصفت أمانة^(٢٣) ، فقال بعضهم لبعض : أقتلوه ! ثم قالوا : أيتيم هو ؟ فقالت : لا هذا أبوه وأنا أمه ، فقالوا : لو كان يتيمًا لقتلناه ، قالت : فذهبت به .

وحصنته صلى الله عليه وسلم أم أيمن^(٢٤) [الحبشية حتى كبر] ، فاعتقها وزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من أبيه . والله أعلم .

(١) كذا في عيون الأثر : ٣٥ ، وفي سيرة ابن هشام : ١٧٥ : « ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجنا » . (٢) قال ابن هشام في السيرة : ١٧٧ . (٣) الطبقات : ١ : ٧١ (ضم أول) ، وانظر السيرة الحلبية : ١ : ٩٠ . (٤) في السيرة الحلبية : ١ : ٩٥ : « لها أمه » . (٥) في السيرة الحلبية : ١ : ٩٥ : « يتيمًا قتلناه » . (٦) عن السيرة الحلبية : ١ : ١٠٥ .

ذكر وفاة أمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال الواقدي وغيره من أهل العلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه
 أمنة بنت وهب ، فلما بلغت سنه ست سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدي بن
 النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين ، فنزلت به في دار
 النابتة ، فأقامت به عندهم شهرا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت
 في مقامه ذلك لما نظر إلى أمهم بنى عدي بن النجار عرفة وقال : كنت لأعجب أئيسة
 جارية من الأنصار على هذا الأظم ، وكنت مع غلمان من أخواله ، ونظر إلى الدار
 فقال : ها هنا نزلت بي أمي ، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله ، وأحسنتم الوسم في قبر
 بنى عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختفون ينظرون إليه ، فقالت أم أيمن :
 فسمعت أحدهم يقول : هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك
 كله من كلامه ، ثم رجعت به إلى مكة ، فلما كانوا بالأبواء [توفيت أمنة بنت وهب
 فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدبوا عليهما إلى مكة ، وكانت
 تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم [في عمرة
 الحديبية قال : " إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه " فأتاه صلى الله عليه وسلم فأصلحه
 وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه ، فقبل له ، فقال : أدركتني رحمتها فبكت .
 والله الرحمن .

- (١) في الأصل ، وطيقات ابن سعد : « النابتة » بالتون ، وفي شرح المواهب للزرقاني ١ : ١٦٣ :
- « النابتة بقوية فرحة فهلة : رجل من بنى عدي بن النجار » .
- (٢) في الزرقاني ١ : ١٤٦ : « ينظرون إليه » ، قالت أم .
- (٣) الأبواء ، بفتح الهجمة : موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب . معجم البلدان ٩٢ : ١
- (٤) ما بين المربعين عن الزرقاني ١ : ١٦٤ ، وطيقات ابن سعد ١ : ٧٧ (قسم أول) .
- (٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٠٥ : « قتل له في ذلك » .

ذكر كفالة عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: ولما توثقت أمه آمنة قبضه إليه جده عبد المطلب وصنمته إليه ورث عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقر به منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بني إجلال له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤثروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا أبنی، فو الله إن له لساناً، ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنا لم نرقدهما أشبه بالقدم التي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء.

وسند كز إن شاء الله خبر سيف بن ذي يزن مع عبد المطلب، وما بشره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

قالوا: وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: على يا أبنی فيؤتي به إليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين سنين، هلك عبد المطلب بن هاشم، ولما حضرته الوفاة أوصى أبنه أبا طالب بحفظه وكفالاته، وكانت وفاة عبد المطلب ابن هاشم ثلاثين مضي من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحجون، وهو يومئذ

(١) بنو مدلج: قبيلة من كنانة، وهم القادة العارفون بالآثار والعلامات، وانظر السيرة الحلبية

٢٧
١٤

ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل ابن مائة وعشرين سنين حكاه السهيلي^(١١)؛ قال : « وهو أول من خطب بالسواد من العرب » .

قال ابن قتيبة : إنه كبر وعجى ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رموس الجبال ، ويقال له الفياض لجوده ، ومُطْعِم طير السماء . قال ابن الأثير^(١٢) : « وهو أول من تحنَّت بحراء ، فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين » .
ويستل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : نعم .
أنا يومئذ ابن ثمانين سنين ، قالت أم أيمن : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يركي خلف سرير عبد المطلب .

قال : ولما هلك عبد المطلب ولَّى زمزم والسقاية عليها بعده أبنته العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده ، فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما مضى .

ومن عباده بن عباس وغيره ، قالوا : لما توفى عبد المطلب قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب^(١٣) ، قيل بوصية من عبد المطلب ، فأجبه جأ شديداً ، وكان لا يفارقه ، وكان يختصه بالطعام^(١٤) ، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى

(١) في عمر عبد المطلب أقوال أخرى تجددها في السيرة الحلبية ١ : ١١٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٨٩ .

(٢) الذي حكاه السهيلي ١ : ٥ ، ونقله عنه الزرقاني ١ : ١٨٩ ، أنه عاش مائة وأربعين سنة .

طلع هذا القول سقط من نص التويري .

(٣) في المارث ص ٣٣

(٤) في الكامل ٢ : ٦

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « وكان يختصه بأحسن الطعام » .

(٦) هو قول حكاه الزرقاني . ونقله الزرقاني ١ : ١٨٩

١١

٢٠

لم يَسْبَعُوا^(١١)، وإذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم سَبَعُوا؛ فكان إذا أراد أن يَفْذِيَهُمْ^(١٢) قال: كما أتم حتى يَحْضُرَ أَبِي؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأكل معهم، فَيَقْبِضُونَ من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يَسْبَعُوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك؛ وكان الصبيان يَصْبَحُونَ رَمَضًا شُعْثًا، وَيُصْبِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهْنَةً يَحْيَلًا^(١٣).

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

مع عمه أبي طالب، وخبر يَحْيَا الرَاهِب

قالوا: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أثنى عشرة سنة وعشرة أيام، خرج أبو طالب في رَحْضٍ تاجراً إلى الشام، فلما تَبَيَّأَ للرَّحِيلِ تعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرق له أبو طالب وقال: والله لأُخْرِجَنَّ^(١٤) به، ولا يَفَارِقُنِي ولا أَفَارِقُهُ أبداً، فنفرج به معه، فلما نزل الرُّكْبُ بَصْرَى من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له يَحْيَا في صَوْمَعَةٍ له، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصَّوْمَعَةِ راهبٌ إليه يصير علمهم عن كُتُبٍ فيها يتوارفونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام يَحْيَا وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبل ذلك، وهو لا يكلمهم، فصنع لهم طعاماً كثيراً^(١٥)، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في صومعته، في الرُّكْبِ حين أقبلوا، وعمامةٌ تَظُلُّهُ من بين القوم،

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلاً من المال . انظر السيرة الحلبية ١ : ١١٤

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « ... أن يَفْذِيَهُمْ أو يَمْسِكُهُمْ يقول لهم » .

(٣) في النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧١ : « يَصْبِحُونَ رَمَضًا رَمَضًا » . ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم

صقيلاً، دحيثاً يَحْيَلًا . وانظر الزرقاني ١ : ١٨٩

(٤) انظر السيرة الحلبية ١ : ١١٤

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « حتى كان ذلك العام صنع لهم » .

فلما نزلوا في ظل نخبة قريباً منه ، نظر إلى الغمامة وقد أظلت الشجرة ، وتنهضت
 أعضائها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى بئيراً ذلك
 نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إلى القوم فقال : إني
 قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فإنا أحب أن تَحضُرُوا كلَّكم ؛ صغيركم
 وكبيركم ، وعبدكم وحرَّكم ؛ فقال له رجل منهم : يا بئيراً إن لك لساناً اليوم : قال
 له بئيراً : صدقت ، قد كان ما تقول فاجتمعوا إليه ، وتخلَّف رسولُ الله صلى الله
 عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنة في رجال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر
 بئيراً في القوم لم ير الصفة التي يعرف ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلَّف منكم
 أحد عن طعامي ، قالوا : ما يتخلَّف عنك أحد فينبى أن يأتيك إلا غلام ، وهو
 أحدث القوم سناً تخاف في رحالم ، قال : لا تفعلوا أدعوه فليحضر ، فقال رجل من
 قريش : والآلات والعزى إن كان للوُأ بنا أن يتخلَّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن
 طعام من بيتنا ، ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بئيراً جعل يحفظه لحظاً
 شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ
 القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بئيراً فقال له : يا غلام ، أسألك بحق الآلات
 والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال : لا تسألني بهما ! فوافقه ما أبغضت
 شيئاً قط بقبضهما ، فقال له : فيأفقه إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ! فقال : سألني

(١) تنهضت : تهللت عليه .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « كان صلى الله عليه وسلم رجلاً قد سبقوه إلى في الشجرة ،
 فلما جلس مال في الشجرة عليه » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « . . . قريش ، وأحب أن تحضروا » .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : « ثم قام إليه فاحتضنه » ، وفي شرح المراهب ١ : ١٩٤ :
 « فقال رجل من قريش ثم قام الحارث بن عبد المطلب فأق به » .

عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه، وهيبته، وأموره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، وكان مثل أَرْمَحِيمٍ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى؟ قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا؟ قال: فإنه ابن أختي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلدك فاحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، لَيَبْتِغَنَّهُ شَرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريرا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

- ١٠ رَوَى أَنَّ زُذَيْرًا وَمَسَامًا وَدَرِيْسًا، وَهَم نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلْبِ، قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا رَأَى بَحِيرًا فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرَادُوهُ، فَزَكَّمَهُمْ عَنْهُ بَحِيرًا، وَذَكَّرَهُمُ اللَّهَ وَمَا يَجْعِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لَمْ أَرَادُوا بِهِ لَإِيْخُلُصُوا إِلَيْهِ، فَعَرَفَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ فَتَرَكُوهُ وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ؛ قَالَ: فَتَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكُلِّهِ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحِوُّهُ لَمْ يَرِدْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَأَصْطِفَائِهِ إِنَّهُ خَيْرُ الْخَافِظِينَ. وَأَتَاهُ الْمُعِينُ.

(١) في شرح المواهب ١ : ١٩٦ : « عن أشياء من حاله ونومه ... الخ » .

(٢) هذه رواية ابن هشام ١ : ١٩٣ أيضا، وفي السيرة الخلية ١ : ١١٩ : « ما هو ابنك » .

(٣) في ميون الأثر ١ : ٤٢، والسيرة الخلية ١ : ١١٩ : « إلى بلاده، واحذر » .

(٤) كذا في ميون الأثر ١ : ٤٢، وفي السيرة الخلية ١ : ١١٩ : « وأرادوا به سوءا فزكَّمَهُمْ عَنْهُ بَحِيرًا » .

٢٠

(٥) في السيرة الخلية ١ : ١١٩ : « يخلصوا إليه، فقد ذلك تركوه وانصرفوا عنه »، وفي سيرة

ابن هشام ١ : ١٩٤ : « ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصنفوا بما قال، وتركوه » .

ذِكْرُ رَعِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما من نبي إلا قد رعى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا . وعن
أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بعث الله
نبيا إلا راعى غنم " ، قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ، رعيتهما
لأهل مكة بالقراريط .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سأروا على النبي صلى الله عليه وسلم
بشر الأراك فقال : عليكم بما أسود منه ، فأتى كنت إذ أنا راعى الغنم ، قالوا :
يا رسول الله ، رعيتهما ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا قد رعاها .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين ، هاجت حرب الفجار ،
فشبهها صلى الله عليه وسلم ، وكان يُنبَل على أعمامه أى يرد عليهم النبل .

(١) رعيته : يفتح الراء بمعنى رعيه ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٥ .

(٢) في معنى « القراريط » في هذا الحديث خلاف ؛ قيل : هى أجزاء من الفروم والذئابة ؛
قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط ؛ وقيل : القراريط موضع مكة ، ولم يقم في الحديث
القراريط من الذهب والفضة ؛ لأن العرب لم تكن تعرف القراريط بهذا المعنى . وانظر السيرة الحلبية
١ : ١٢٦ . (٣) السيرة ١ : ١٩٥ .

(٤) قال ابن هشام ١ : ١٩٨ ، قلا عن ابن إسحاق : « وإنا سمى يوم الفجار بما استحل
هذان الحيان ، كناية وقيل حيلان ، فيه من الحارم » .

(٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٩٨ : « ... كنت أنبل على أعمامى : أى أردت عليهم نبل عدوهم إذا
مروهم بها » .

وقد تقسم ذكر حرب الفجار في وقائع العرب، وذلك في الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا؛ وهو في السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفق للصواب وإليه المرجع .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

- قال محمد بن عمر بن واقد [بسند] يرفعه إلى حكيم بن حزام : كان حلف الفضول منصرف قريش من حرب الفجار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة ، وكان الفجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط ، وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فأجتمعت بنو هاشم وزهرة ، وبنو أسد بن عبد المزى وبنو تميم في دار عبد الله بن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، تتعاهدوا وتماهدوا بالله ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه " ما بل بحر صوفة " ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

(٢) وقال ابن هشام : تتعاهدوا وتماهدوا على ألا يخذلوا بمكة مظلوما من أهلها ، وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ؛ وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته .

- وعن جبير بن مطعم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحب أن لي بحليف حضرته في دار ابن جُدعان حمر التمر وأني أغدبه ؛ هاشم وزهرة وتيمم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم " ما بل بحر صوفة " ، ولو دُعيت به لأجبت ، وهو حلف الفضول .

(١) انظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٩ (٢) السيرة ١ : ١٤١

(٣) أي أني لا أحب التمدد وإن أعطيت حر التمر في ذلك .

(٤) يعني لو قال قائل من المظلومين في الإسلام : يآل حلف الفضول لأجبت .

قال الواقدي : ولا نعلم أحدا سبق بنى هاشم بهذا الحلف . وحكى أبو الفرج الأصفهاني في سبب تسمية هذا الحلف حلف الفضول : أن قوماً من قريش قالوا في هذا الحلف : حذ وثقه فضل من الحلف . فسمى حلف الفضول . قال : وقال آخرون : تعاضوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم في هذا الأمر لا يهرون ظمناً بطن مكة إلا غيروه ؛ وأسمائهم : الفضل بن شراعة . والفضل بن قضاة ، والفضل بن سماعة .

٢٩
١٤

وروي أيضاً بسنده إلى أبي إسحاق بن الفضل قال : إنما تمت قريش هذا الحلف حلف الفضول لأنهم قرأ من جرهم يقال لهم الفضل والفضل والفضل فحالفوا على مثل ما تحالف عليه قريش ، قال : وقال الواقدي : والصحيح أن قوماً من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا فلما تحالفت قريش بهذا الحلف سموه بذلك . والله الموفق للصواب .

١٠

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

المرة الثانية في التجارة وحديث نستور

قال : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحسا وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب : أنا رجل لا مال لي ، وقد أشئت الزمان علينا ، وهذه غير قومك قد

١٥

(١) الأغانى ١٦ : ٦٥

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١٣١ : « هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل ، وهم همل

ابن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث » .

(٣) في الأغانى ١٦ : ٦٥ : « الأمر أن لا يقررا » .

(٤) الأغانى ١٦ : ٦٧

٢٠

(٥) الأغانى ١٦ : ٧٠

(٦) في الأغانى ١٦ : ٧٠ : « على مثل هذا في أيامهم ، فلما » .

- حَضَرَ خُرُوجَهَا إِلَى الشَّامِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ تَبِعَتْ رَجَالَ مَنْ قَوْمِكَ فِي صِيَرَاتِهَا، فَلَوَجِبَتْهَا فَعَرَضَتْ فَسَكَ عَلَيْهَا لِأَمْرَعَتْ إِلَيْكَ؛ وَلَبِغَ خَدِيجَةُ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ قَوْلَ: أَنَا أَعْطَيْكَ ضِعْفَ مَا أُعْطِيَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: هَذَا رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْكَ، نَخْرِجُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ غَلَامٌ خَدِيجَةٌ، وَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يُوْصُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِيرِ، فَسَارُوا حَتَّى قَدِمُوا بُصْرَى، فَتَزَلَّ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ تَسْطُورُ^(١) الرَّاهِبِ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ. ثُمَّ سَأَلَ مَيْسِرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَفَى عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا تَفَارِقُهُ؛ قَالَ: هُوَ نَبِيٌّ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ؛ ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلْعَةً فَوَقَعَ يَدُهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ تَلَاجٍ، فَقَالَ لَهُ: احْلُفْ بِالْأَلَتِ وَالْعَزَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لِأَمْرٍ فَأَعْرِضْ عَنْهُمَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الْقَوْلُ قَوْلُكَ، ثُمَّ قَالَ لِمَيْسِرَةَ: هَذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ تَجِدُهُ أَجْبَارًا مُنْعَوَاتًا فِي كَتَبِهِمْ، وَكَانَ مَيْسِرَةَ إِذَا كَانَتْ الْمَاحِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَوِيرِيُّ مَلِكِينَ يُظَلِّلَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّمْسِ، فَوَعَى ذَلِكَ كُلَّهُ، وَبَاعُوا تَجَارَتَهُمْ، وَدَخِلُوا ضِعْفَ مَا كَانُوا يَرْجُونَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا وَكَانُوا بِبَرِّ الظُّهْرِ، قَالَ مَيْسِرَةُ: يَا مُحَمَّدُ! انْطَلِقْ إِلَى خَدِيجَةَ فَأَخْبِرْهَا

- (١) جمع الجمع لغير.
(٢) بضم الموحدة: مدينة حوران فتمت صلحا سنة ١٣ ١٥ وهي أول مدينة فتمت بالشام.
انظر الزرقاني ١: ١٩٤.
(٣) بفتح التثنية وسكون السين وضم الميم وألف مقصورة. عن الزرقاني ١: ١٩٨.
(٤) كانت هذه الحفرة في بياض عين، وهم الشكة، وجاء في وصفه أنه كان أشكل العينين.
(٥) رواية الزرقاني ١: ١٩٩، والسيرة الحلبية ١: ١٣٣: «هو هو»، وهو آخر الأنبياء.
(٦) في السيرة الحلبية ١: ١٣٤: «ثم قال الرجل لميسرة».
(٧) من الظهران: وادي بين مكة وعسفان، وهو الذي تسميه العامة بطن مرو، وهو المعروف الآن ببادي قاطمة. عن السيرة الحلبية ١: ١٣٥.

بما صَنَعَ اللهُ على وجهك، فإِنتها تعرف [لك] ذلك، ففَضَّم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حتى دخل مكةَ في ساعة الظُّهيرة وخديجةٌ في عُلْيَا لها، فَرَأَتْ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وهو على بعيره، ومَلَكٌ كان يُظَلِّلان عليه، فَأَرْتَه نساءها، فُسَبِّحنَ لذلك، ودخل رسولُ اللهِ ﷺ اللهُ عليه وسلم عليها فغَبِرها بما رَجَّحوا في وَجْهِهم ذلك، فَسُرَّت به، فَلَمَّا دخل مَيْسرة عليها أَخْبَرَتْه بما رَأَتْ، فقال: قد رَأَيْتَ هذا مَذْخَرَجنا من الشام، وأخبرها بما قالَ تَسْكُورا، وبما قالَ الآخرُ الذي حالَّقَه في البيع، وَقَدِم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِبِيارِها، فوَبَّحَتْ ضَعْفَ ما كانت تَرْجِج، وَأَضْعَفَتْ لَهُ ما تَمَّت لَهُ . والله المَعِين .

ذَكَرَ تَرْوِيجُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ قالَ الواقدي بِسندٍ يرفعه إلى نَفِيسة بنتِ مَنِيَّةٍ؛ قالت: كانت خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بنِ أَسَدٍ بنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ بنِ قُصَيٍّ امرَأَةً حَازِمَةً جَلْدَةً شَرِيفَةً لِيَبِيَّةٍ، وهى يومئذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، وَكُلُّ قَوْمِها كان حَرِيبًا على نَكَاحِها لو قَدَّرَ على ذلك، قَدْ طَلَبوها وَبَذَلُوا لها الأَمْوالَ، فَأَرْسَلَتْنِي دَسِيسًا إلى عَدُوِّها أَنْ رَجَعَ في عِيَرِها من الشام، فَقُلْتُ: يا مَعْجَدُ، ما يَمْنُكَ أَنْ تَتَرْوِجَ؟ قالَ: ما بِيَدِي ما أَتَرْوِجُ بِهِ، قُلْتُ: فَإِنَّ كُفَيْتَ ذلك، وَدُعِيتَ إلى الجَمالِ والمالِ والشَّرَفِ والكِفافِ أَلَا تَجِيبُ؟ قالَ: فَنَ هِيَ؟ قلتُ خَدِيجَةَ، قالَ: وكيف لِي بِذلك؟

(١) الوجه: الوجهة . (٢) عن طبقات ابن سعد: ١: ٨١٢ (نعم أنزل).

(٣) اللبية: الثرة . (٤) في الأصل: «بغيرها»، والمثبت من ابن سعد، والسيرة الحلبية: ١: ١٣٥، وفي شرح المراهب: ١: ١٩٩: «فأخيرها» . (٥) حالَّقَه: استلقه .

(٦) في الأصل: «بنت منه»، تصحيف . (٧) في السيرة الحلبية: ١: ١٣٧: «أوسط نساء قريش نسبا» .

(٨) في السيرة الحلبية: ١: ١٣٧: «وذكر لها الأموال» .

(٩) الدسيس: من دسسه ليأتيك بالأخبار .

٣٠
١٤

قلت على^(١)، فانا أفضل، فذهبت فاختبرتها، فأرسلت إليه: أن آئت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها. وقيل: إنها أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: يا بن النعم ! إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرقت في قومك، وسيطتك^(٢) وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك؛ ثم عرضت نفسها عليه، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن أمية عمها، وكان شبيها كبيرا وهو الصحيح، فخطبها إليه. قيل: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

- « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معد^(٣)، وعنصر مضر^(٤)، وجعلنا حضنة بنته، ومواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحراما آمنا، وجعلنا الحكم على الناس؛ ثم إن ابن أخي هذا عهد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا ربح به، فإن كان في المال قل فإن المال نيل زائل، وأمر حائل، وعهد من قد صرتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا، وهو والله بعد هذا له نبا عظيم، وخطب جليل^(٥). فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وخديجة يومئذ بنت ثمان وعشرين سنة، وقيل: بنت أربعين سنة، وأصدقها صلى الله عليه

(١) في السيرة الحلبية ١: ١٣٧: « بنك، فقلت بلى وأنا أفضل »:

(٢) سيطتك: شرقت.

(٣) ضئضئ معد: أى معدة وأصله.

(٤) عنصر مضر: أى أصله.

(٥) في شرح المواهب ١: ٢٠١: « وعهد من قد صرتم ».

(٦) في السيرة الحلبية ١: ١٣٩، وشرح المواهب ١: ٢٠٢: « عظيم، دخل جليل ».

وسلم ثلثي عشرة أوقية وثنتا ذهاباً الأوقية أربعون ، والثلث عشرون ، فذلك
نعمائة درهم .

وروى ابن هشام ^(١١) : أنه أصدقها صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها

قالوا : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحسا وثلاثين سنة شهيد هدم
الكعبة وبناءها ، وتراضت قريش بحكمه فيها ؛ وكان سبب هدم الكعبة وبناءها
ما روي عن ابن عباس ، وعبد بن جبير بن مطعم ، قالا : كانت الجُرُوف ^(١٢) مطلة على
مكة ، وكان السيل يدخل من أعلاها حتى يدخل البيت فانصدع ، فغافوا أن
ينهدم ، وسرق منه حليته وغزال من ذهب كان عليه دُرُوجوه .

قال محمد بن إسحق ^(١٣) : وكان كثر الكعبة في بئر في جوفها ، فوجد عند دؤيك
مولى لبي مليح بن عمرو بن نزعاة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ،
وزعمت قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دؤيك .

وكانت الكعبة فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وكانوا يسمون بذلك
ويهايون هدمها ، فلما سرق الكثر حملهم ذلك على هدمها وبناءها ؛ قال ^(١٤) :
وكان البحر قد رعى بسفينة إلى جنة ليل من تجار الروم فتشطمت . قال
الواقدي : كان رأس أصحاب السفينة رجلا روميا اسمه باقوم ، فحجبتها ^(١٥) الريح إلى

(١) السيرة ٢٠١ : ١ . (٢) في الأصل وطبقات ابن سعد ٩٣ : ١ (نعم أوله) ، «الجوف
مطة» . (٣) تقييد ابن هشام في السيرة ٢٠٥ : ١ ، ومباركه : «وذلك أن قرا مرقوا كثر الكعبة ،
وإنما كان يكون في بئر» الخ . (٤) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ٢٠٥ : ١ .
(٥) باقوم ، بموحدة فألف فحاف مضمومة فواو ساكنة فيم ؛ ويقال : باقول باللام ؛ وهو بفتح
فيم . ونحوه : «وغيره» ، وانظر الزركاني ٢٠٣ : ١ . (٦) نجبتا : أي دفنتا .

(١) الشَّيْبَةُ ، وكانت مَرْنَا السُّفْنُ قَبْلَ جُبَّةٍ فَتَحَطَمَتْ ؛ فَفُجِرَ الْوَلِيدُ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ فَأَتَابَعُوا خَشَبَهَا ، وَقَدِمَ مَعَهُمْ بِأَقْوَمِ الرَّوْمِيِّ .

(٢) قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ : فَأَعْتَدُوا الْخَشَبَ لَتَسْقِيفِهَا ، وَكَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ قَيْطِيُّ نَجَارٍ ، فَتَبَيَّنَ لَمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضٌ مَا يُصْلِحُهَا ، وَكَانَتْ حَيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ بَنَاءِ الْكُفَّةِ الَّتِي كَانَ يُطْرَحُ فِيهَا مَا يُهْدَى لَهَا ، فَتَشْرِقُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى جِدَارِ الْكُفَّةِ ، وَلَا يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا احْرَأَلَتْ (٣) أَيْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا وَكَشَتْ وَفَتَحَتْ فَاهَا ، فَكَانُوا يَهَايُونَهَا ، فَبَيْنَمَا هِيَ يَوْمًا تَتَشَرَّقُ بَسَتْ اللَّهُ طَائِرًا فَأَخْطَطَهَا فَذَهَبَ بِهَا ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ لَمْ نَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ رَضِيَ مَا أَرَدْنَا ، عِنْدَنَا حَامِلٌ رَفِيقٌ ، وَعِنْدَنَا خَشَبٌ ، وَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ الْحَيَّةُ .

(٤) فَلَمَّا أَتَوْهُمُ عَلَى هَدْمِهَا وَبَنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهَبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنُ طَائِلِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ غَزْوَمٍ ، وَهُوَ خَالَ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنَازَلَ مِنَ الْكُفَّةِ حَجْرًا ، فَوَقَّبَ مِنْ يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بَنَائِهَا مِنْ كَتَبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرَبَتِي ، وَلَا يَبِيعُ رَبًّا ، وَلَا مَظْلَمَةً أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . وَيُقَالُ إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَزْوَمٍ هُوَ الَّذِي قَالَ هَذَا الْقَوْلَ .

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ : فَأَتَمَرُوا بِبَيْعِ الْحِجَارَةِ ، وَبَنَاءِ الْكُفَّةِ مِنْهَا ؛ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ ، وَكَانُوا يَضَعُونَ أَثَرَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ ، فَعَمَلُ

(١) معجم البلدان ٥ : ٢٧٥ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .

(٣) تشرق : تبرز للشمس . من الخشن ١ : ٦٣ .

(٤) في شرح الخشن على سيرة ابن هشام ١ : ٦٣ : « احْرَأَلَتْ : رفعت ففها » .

(٥) صوت باحكاك بعض جدها ببعض . من الخشن ١ : ٦٣ .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ : « أمرهم في » .

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فليط به : أى سقط من قيام ، وتودى : عورتك ! فكان ذلك أول ما تودى ، فقال له أبو طالب : يا بن أختى اجعل إزارك على رأسك ، فقال : ما أصابني [ما أصابني ^(١)] إلا من اتعرت ، فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عورة بعد ذلك .

قال ابن إسحاق ^(٢) : ثم إن قريشاً جرأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح ومعهم ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار ابن قصي وبني أسد بن عبد المزى وبني عدى بن كعب ، وهو الحطييم ^(٣) .

وقال الواقدي : وقع لبني عبد مناف وزهرة وجه البيت ، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر ، ووقع لبني أسد بن عبد المزى وبني عبد الدار ما بين ركن الحجر إلى ركن الحجر الآخر ، ووقع ثيم ومخزوم ما بين ركن الحجر إلى الركن اليماني ، ووقع لهمم وجمح وعدى وعامر بن لؤي ما بين الركن إلى الركن الأسود .

قال ابن إسحاق ^(٤) : ثم إن الناس هابوا هدمها ، وقروا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدأكم في هدمها ، فآخذ المول ، ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ^(٥) ،

(١) في الأصل : « ما أصابني إلا في تعري » ، والكعبة والتصويب عن الواقدي ١ : ٢٠٦ .

والسيرة الحلبية ١ : ١٤٣ . (٢) قال ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، والطبري ٢ : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) في الأصل والطبري ٢ : ٢٠٠ : « تجزأت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ .

(٤) الشق : الناحية . (٥) سمى حطيا لأن الناس يزدحون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا .

وانظر شرح السيرة للشمس ١ : ٦٣ . (٦) قال ابن هشام . (٧) لم ترع : لم تراع .

قال السجستاني ١ : ١٣١ : « وهي كلمة يقال عند تسكين الروح والمأنيس » ، وإظهار اللين والبر في القول ،

ولأن روع في هذا الوطن فيني ، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر ، فذلك تكلوا بها .

ويقال : لم تَزَعْ^(١١) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير؛ ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس به تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فهدم ، فأصبح الوليد من بيته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام ، فافضوا إلى حجارة خضر كالأسنة^(١٢) أخذ بعضها بعضا ، فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة^(١٣) بأسرها ، فاتوها عن ذلك الأساس .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، وبسوا حتى بلغ البنيان موضع الركن . والله المستعان .

١٠ ذكر اختلاف قريش في رفع الركن وتراضيه

بالحبي صلى الله عليه وسلم وخبر التحدى

قال ابن إسحاق^(١٤) : ولما بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا وتحالفوا واعتدوا للقتال^(١٥) ، ففرقت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تماقدوا هم وبنو عدى بن كعب

(١) لم تَزَعْ : لم تزل من ديك ، ولا تزعج ، وانظر اسحق ١ : ٦٣ . (٢) عن الطبري ٢ :

٢٠١ . (٣) جمع حنان ، شبهها بأسنة الرماح في الخفرة ، وتروى : « كالأسفة » . وانظر سيرة

ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، وفتح المراهب ١ : ٢٠٤ ، والروش الألف ١ : ١٣٢ .

(٤) تنقضت : اهتزت ، ورواية الطبري ٢ : ٢٠١ : « انقضت » .

(٥) القاتل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ ، والطبري ٢ : ٢٠١ .

(٦) يريد الجمر الأسود لأنه مبقى بالركن قسمي رثاء ، وفي تاريخ الطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى إذا

بلغ البنيان موضع الركن » . (٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ . (٨) في سيرة ابن هشام ،

والطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى تحاوزوا [] انحاز كل إلى قبيلة [] ، وتحالفوا وأعدوا للقتال » .

ابن ثوي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم ، فُسِّمُوا لَعَنَةُ الدَّمِ ، فَكُنْتُ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ فَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا ، فَقَالَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَحْزُومٍ ؛ وَكَانَ إِذْ ذَٰلِكَ أَسْنَنَ قُرَيْشٌ كُلُّهَا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِتْنًا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلُ دَاخِلٍ يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ ، هَذَا مَجْدُ رَضِينَا بِهِ ، فَلَمَّا اتَّهَى إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلُمُّ إِلَى ثَوْبٍ فَأَتَيْ بِهِ ، وَقِيلَ : بَلْ يَسْطُرُ رِداءَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَيْتَ مِنْ كُلِّ رُجْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ قُرَيْشٍ رَجُلٌ ، فَكَانَ مِنْ رُجْعِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ حُتَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَفِي الرُّجْعِ الثَّانِي أَبُو زَمْعَةَ ، وَالرُّجْعِ الثَّلَاثُ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَالرُّجْعِ الرَّابِعُ قَيْسُ بْنُ عَدَى .

هَكَذَا قَتَلَ الْوَاقِدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِزَاوِيَةِ مَنْ زَوَايَا التَّوْبِ ثُمَّ أَرْفَعُوهُ بَحِيمًا فَفَعَلُوا ، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فِي مَوْضِعِهِ ، فَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ لِيَتَاوَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْرًا يَسْتَسِدُّ بِهِ الرُّكْنَ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : لَا وَتَحَاهُ ، وَنَاوَلَ [الْعَبَّاسُ] رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْرًا ، فَشَدَّ بِهِ الرُّكْنَ ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ حِينَئِذٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي مَعْنَى فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَنًى ، فَقَالَ النَّبِيُّ : يَا عَجَبًا لِقَوْمِ أَهْلِ شَرَفٍ ، وَعُقُولٍ ، وَبَيْنٍ ، وَأَمْوَالٍ ، عَمِدُوا إِلَى أَصْغَرِهِمْ سِنًا ، وَأَقْلَهُهُمْ مَالًا ، فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ فِي مَكْرَمَتِهِمْ وَجُودِهِمْ كَانَهُمْ (١) فِي سِيرَةِ ابْنِ شَامٍ ١ : ٢٠٩ : « ... فِيهِ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْبَضُ بَيْنَهُمْ فِيهِ قَطْعُوا ، فَكَانَ أَوَّلُ دَاخِلٍ » ، وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ٢ : ٢٠١ .

(٢) فِي الْأَسْلَافِ وَطَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٩٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « لِيَأْتِي » تَصْحِيفٌ .

(٣) عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٩٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) .

جَدَّم لَهُ ، أَمَا وَاقَهُ لِيُفَرِّقَهُمْ شَيْعًا ، وَلِيَقْسِمَ بَيْنَهُمْ حَقْلَوْظًا وَجِدودًا . وَيُقَالُ إِنَّ
التَّجْدِيَّ الْيَهُودِيَّ لَمْ يَسْأَلْهُ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ ^(١) :

إِن لَنَا أَوْلَاهُ وَأَخْرَهُ فِي الْحَكْمِ وَالْمَنْدَلِ الَّذِي لَا يُشْكِرُهُ
وَقَدْ جَهَدْنَا جَهْدَهُ لِنَعْمُرَهُ ^(٢) وَقَدْ حَمَرْنَا خَيْبَهُ وَأَكْثَرَهُ

* فَلَا يَكُنْ حَقًّا فَعَيْنَا أَوْفَرَهُ *

قَالَ : ثُمَّ بَنَوْا حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْخَشَبِ ، وَكَانَ نَحْمَةُ عَشْرَ جَائِزًا سَقَفُوا الْبَيْتَ
عَلَيْهِ ، وَبَنَوْهُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ ، وَأَعْرَجُوا الْيَجُرَّ مِنَ الْبَيْتِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ قَوْمَكَ اسْتَقْصَرُوا فِي بَنِيَانِ
الْكُتَيْبَةِ ، وَلَوْلَا حِدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالْشَّرِكِ أَضَدْتُ فِيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَإِنْ بَدَأَ الْقَوْمُ
مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ ، فَهَلُمَّ أَرِيكَ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ فِي الْيَجُرِّ ،
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَبَلَغَتْ لَهَا بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا ، أَمْدُوزِينَ لَمْ كَانَ قَوْمُكَ
رَفَعُوا بَابَهَا ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي . قَالَ : تَعَزَّزْنَا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ^(٣) : وَكَانَتِ الْكُتَيْبَةُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وَكَانَتْ تُكَمَّى الْقَبَائِلُ ^(٤) ثُمَّ كُسِيتِ الْبُرُودُ ^(٥) ، وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا الدِّيَابِجُ الْجَمَّاحُ
ابْنُ يَوْسُفَ ^(٦) .

(١) فِي الْأَصْلِ : «لِيُفَرِّقَهُمْ شَيْعًا ، وَلِيَقْسِمَ بَيْنَهُمْ حَقْلَوْظًا وَجِدودًا» . وَانْظُرِ السُّورَةَ الْخَلْفِيَّةَ ١ :
١٤٥ ، وَطَبَقَاتُ ابْنِ خَلْدُونٍ ١ : ٩٤ (تَمِيزُ الْأَوَّلِ) . (٢) انْظُرِ الرُّوسَ الْأَفْعَ ١ : ١٣٢ .
(٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ خَلْدُونٍ : «وَأَكْثَرَهُ» . (٤) الْجَائِزُ : هُوَ الْخَشَبَةُ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَيْهَا أَطْرَافُ
الْعَوَاضِ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ . وَفِي الْأَصْلِ : «حَاوِيًا» تَصْغِيرُ . (٥) فِي الْأَصْلِ : «اسْتَقْصَرُوا
مِنْ» ، وَانْظُرِ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ ٢ : ١٤٦ . (٦) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ٢ : ١٤٧ : «قَالَ جَرِيرٌ :
فَخَزَرَتْ مِنَ الْيَجُرِّ سِتَّةُ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا» . (٧) فِي السُّورَةِ ١ : ٢١١ . (٨) الْقَبَائِلُ :
ثِيَابٌ بَيْضٌ كَانَتْ تَصْنَعُ بِمِصْرَ . (٩) الْبُرُودُ : ثِيَابٌ بَيْضَةٌ . (١٠) فِي الرُّوسِ الْأَفْعَ ١ :
١٣٠ : أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَسَاهَا الدِّيَابِجَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ بَنِي كَلَابٍ مِنْ كَسَاهَا الدِّيَابِجَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

وحيث انتهينا إلى هذه الغاية من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلنذكر من بشره .

ذكر المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك

جاءت البشائر برسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب الله تعالى المنزل على
أنبيائه صلوات الله عليهم ، وفيما قيل إلينا من كلامهم ، ووجد بخطهم ، وبشره
أخبار يهود ، وعلماء النصارى ، عما انتهى إليهم من العلوم التي تلقوها عن الأنبياء
صلوات الله عليهم ، وتلقوها من صحفهم ، وتحدثت كتبهم ، وذخائر أسرارهم ، حتى
اعترف قوم بنوته صلى الله عليه وسلم قبل مولده وظهوره بما شاء الله من السنين ،
وأوصوا به من بعدهم ؛ (فَمَنْ مِّنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّقَهُ) ؛ وبشره
أيضا قبل مبعثه كهان العرب ، عما كان يأتيهم من أخبار السماء على لسان شياطينهم
الذين كانوا يسترقون السَّمْعَ ويُنصِتُوا بالشَّهْبِ ، كما أخبرنا الله تعالى في قوله : (وَإِنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدِثْ لَهُ شَيْئًا بِأَرْصَادٍ) ، ونطق الجان من
أجواف الأصنام بالإشارة به ، فكان ذلك سببا لإسلام من سمع أصواتها من سبقت
له من الله الحسنى ، وهداه وأرشده إلى اتباع الحق ، والإيمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه .

فأما ما جاءت به الكتب المنزل من الله تعالى مما يدل على نبوة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء ذلك في القرآن العزيز ، وفي التوراة ، والإنجيل ،
وزبور داود ، وكتب الأنبياء : شعيا ، وشمعون ، وحزقييل عليهم السلام .

فأما ما جاء في القرآن العزيز فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاغْمُذُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . قال أهل التفسير : أخذ الله الميثاق بالوحي ، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له عهده وسمته ، وأخذ عليه ميثاقه : إن أدركه ليؤمنن به ، وقيل : أن يُبَيِّنَه لقومه ، يأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لحمد صلى الله عليه وسلم .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه قال : لم يبعث الله نبيا من آدم قَبْلَ بَعْدِهِ ، إلا أخذ عليهم المهود في عهد صلى الله عليه وسلم : لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنّه ، يأخذ العهد بذلك كل قومه . ونحوه عن السُّدِّي وقادة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ . روى عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنتُ أولَ الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث . قال القاضي عياض : فلذلك وقع ذكره مقبلا هنا قبل نوح وغيره ، صلى الله عليهم أجمعين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري عيسى » الحديث . يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارا عنه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(١) في الأصل : « عليهم » ، وانظر شرح المراهب ١ : ١٦٣ (٢) انظر شرح المراهب ١ : ١٦٣

وأما ما جاء في كتب الله السالفة ، فقد علمنا أن أهل الكتاب بدّلوا في كتب الله تعالى الميزلة على أنبيائهم ، وحرفوا كلامها عن مواضعه ، وحذفوا منها أشياء فيها صريح ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتحهم وحسداً ومُحوداً ونكلاً واقترأ على الله تعالى . هذا لا مِرْيَةَ عِندَنَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ ، وقد اتفقوا على أشياء في كتبهم وترجموها بالعربية ، تدل على نبوة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحن نذكرها إن شاء الله ، وكتبوا فيها ما أخبر به من أسلم من أحبار يهود وغيرهم ، وعرض ذلك على من استقر على كفره ، فلم يسعه إنكاره بل اقتربه ، على ما نذكر إن شاء الله تعالى في مواضعه .

فأما ما اتفقوا عليه مما جاء في التوراة وترجموه بالعربية ورضوا ترجمته فن ذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال قَارَان » . وفي ترجمة أخرى كذلك : « تجلّى الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال قَارَان » . قال العلماء : وفي هذا تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الطور هو الجبل الذي اصطفى الله تعالى موسى عليه بشكايه ، وساعير : جبل بالشام منه ظهرت نبوة عيسى بن مريم ، والقرب منه قرية الناصرة التي ولد فيها ، وقَارَان : هي مكة شرفها الله تعالى .

(١) في معجم البلدان ٦ : ٣٢٣ : « ... وفي التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من قَارَان » ، فجيء من سيناء ، تكليمه لموسى ، وإشراقه من ساعير (وهي جبال فلسطين معجم ٥ : ١٠) : إزاله الإنجيل على عيسى ، واستلانه من جبال قَارَان : إزاله القرائن من عهد صلى الله عليه وسلم . وقَارَان : جبال مكة .

(٢) في الأصل : « الطور وهو » . وانظر « خير البشر » لابن عفرى ٩ .

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم محمد بن ظفر في كتابه المترجم بخير البشر: ^(١)
لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب . قال : « وأما قوله : جاء الله من ^(٢)
طور سيناء فإن محيى الله هو محيى كتابه وأمره كما قال الله تعالى : (فَأَنآهَمْ أَهْلٌ مِنْ ^(٣)
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) ؛ أى أَنآهَمْ أَمْرُهُ . وقوله : « وأشرق لنا من ساعير » كناية عن ^(٤)
ظهور أمره وكلامه ، قال : وكذلك قوله : « واستعلن من جبال فاران » . أى ظهر ^(٥)
أمره ، وكتابه ، وقوحينه ، وحجده ، وما شرعه رسولهُ من ذكره بالأذان والتلبية ^(٦)
وغير ذلك ، قال ابن ظفر : « وقرأت في ترجمة للتوراة خطاباً لموسى عليه السلام ، ^(٧)
والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرجفة خصوصاً ، ثم سائر بني إسرائيل ^(٨)
عموماً ، وأبغى ربك يقيم نبياً من إخوتك ، فأستمع له كالذى سمعت ربك في حوربت ^(٩)
يوم الاجتماع حين قلت : لا أعود أسمع صوت الله ربى لثلاث أموت ، فقال الله لى : ^(١٠)
يَتِمُّ مَا قَالُوا ، وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيقول لهم : ^(١١)
كُلُّ شَيْءٍ أَمْرُهُ بِهِ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِيعْ مِنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِى فَإِنِى أَنْتَقِمُ مِنْهُ .

وفى هذا أدلة على نبوة نبينا صل الله عليه وسلم ، منها قوله : « من إخوتهم » ، ^(١٢)
وموسى وقومه من بنى إسماعيل ، وإخوتهم بنو إسماعيل ، ولو كان الموعود من ^(١٣)

- (١) فى الأصل : « هشام » تصحيف . (٢) من ٩ .
(٣) فى خير البشر : « سيناء ، نجى » . (٤) فى الأصل : « ظهور أنوار كلامه »
والثبت عن ابن ظفر . (٥) فى خير البشر (روفة هـ من النسخة المخطوطة) : « وما شرعه لرسوله
من الآداب والتلبية » . (٦) فى خير البشر من ١٠ وانظر الزرقاني ٦ : ٣٠٠ . (٧) فى خير البشر
من ١٠ من المخطوطة : « قلت لا أسمع صوت الله » ، وفى المخطوطة (ق هـ ب) : « أسمع كلام الله ربى » .
(٨) فى المخطوطة من خير البشر (ق هـ ب) : « فقال الله لى ، نعم ، نعم » .
(٩) فى خير البشر (ق هـ ب) : « وفى هذا الكلام أدلة » .
(١٠) فى خير البشر (ق هـ ب) : « ولو كان هذا النبي الموعود » .

بني إصحق ، لكان من أنفسهم ، لا من إخوانهم ، كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم في دعوته : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ » ، وكما قال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » ، ومنها قوله : « نيلنا مثلك » ، وقد قال في التوراة : « لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثلك موسى » ، وفي ترجمة أخرى : « مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبدا » ، ومنها قوله : « أجعل كلامي في فم » ، فهو واضح أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن معناه : أوحى إليه بكلامي فينطق به ، وقوله : « أيما رجل لم يقطع من تكلم باسمي فإني أنقم منه » دليل على كذب اليهود في قولهم : « إن الله أمرنا بمعية كل نبى دعا إلى دين نبي نسي نسيما لبعض ما شرعه موسى صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم .

وأما ما اتفقوا عليه ، ورضوا ترجمته مما في الإنجيل فن ذلك ما ترجموه ١٠
في الإنجيل : أن عيسى عليه السلام قال : « إِنْ أَحْبَبْتُمُونِي فَأَحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَى أَبِي فَيُعْطِيكُمْ بَارَقِيلُطَ آخَرَ يَكُونُ مَعَكُمْ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، فَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُ سَيُعْطِيهِمْ مِنْ يَوْمٍ مَقَامَهُ ، وَيَنْوِبُ عَنْهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، وَسِيَّاسَةِ خَلْقِهِ مَنَائِهِ ، وَتَكُونُ شَرِيعَتُهُ بَاقِيَةً مُخَلَّاةً أَبَدًا » ، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم . ١٠

ومنه ما ترجموه : « إِنْ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ لَيْسَ هُوَ لِي ، بَلْ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي ، فَكَلِّمُوا بِهِذَا وَأَنَا مَعَكُمْ ، فَمَا الْبَارَقِيلُطُ : رُوحُ الْقُدُسِ الَّذِي يُرْسِلُ أَبِي بِاسْمِي ، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ » ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِجَمِيعِ مَا أَقُولُ لَكُمْ .

قال ابن ظفر : قولهم : « أُنْبِ » : فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرفة ، وليست مُنْكَرَةً الِاسْتِعْمَالِ عند أهل الكُتَاتِينَ إِشَارَةً إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ ، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ لَفْظَةٌ

تعظيم يخاطب بها المتعلم مُعَلِّمَهُ الذي يستمد العلم منه؛ قال : ومن المشهور مخاطبة النصارى عظمة دينهم بالآباء الرسانية؛ قال : وأما قوله : « يرسله أبى باسمى » فهو إشارة إلى شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة، وما تضمنته القرآن من مدحه وتزجيده عما افتركه اليهود في أمره .

- وما ترجموه ورضوا ترجمته قولهم : إنه قال : « إِذْ قَالَ الْبَارَقِيلُطُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْأَبِّ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَيْضًا لِكَيْتُوتَكُمُ مَعِيَ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي » .

قال : قوله « رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْأَبِّ » كُنْهٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ الْمُتَقَلِّطِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوسًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ .

- ١٠ وقوله : « يَشْهَدُ لِي » تصريحُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ لَمْ يَشْهَدْ لِّلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَالتَّزَامَةُ عَمَّا اقْتَرَى عَلَيْهِ ، وَأَبَانُهُ رُوحُ اللَّهِ وَكُنْهُهُ وَصْفُهُ وَرَسُولُهُ ، كِتَابُ سِوَى الْقُرْآنِ ، وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ تَكْتُمُ الْمُتَعَمِّينَ الْمَسِيحَ ، وَالْيَهُودُ يَفْتَرُونَ الْعِظَامَ مِنَ الْهَيْبَانِ ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدَ الْمَسِيحَ بِمَا شَهِدَ بِهِ حَوَارِيُّوهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ ، وَلْمُهَنْتَدُونَ مِنْ أَمْتِهِ .

- ١٥ قال : وَمَا رَضَوْهُ مِنَ التَّرْجُمَةِ أَيْضًا عَنِ الْإِنْجِيلِ قَوْلُهُ فِيهِ : « إِنْ أَنْطَلَقَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِأَنِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمُ الْبَارَقِيلُطُ ، فَإِذَا أَنْطَلَقْتُ أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاءَ فَتَدَّ أَهْلَ الْعِلْمِ » . قال : فَهَذَا ظَاهِرٌ ، وَقَوْلُهُ : « أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ » إِنْ كَانَ سَالِمًا مِنَ التَّحْرِيفِ ، فَعِنَاهُ مِثْلُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمْ » ، وَقَوْلُهُ : « فَتَدَّ » وَصَفٌ صَرِيحٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ الَّذِي فَتَدَّ عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَمَا أَطْبَقُوا عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ قُتِلَ وَصُلِبَ بَعْدَ أَنْ حُذِّبَ ، وَمَا انْفَرَدَ

به علماء اليهود من بُهتانهم في القطن على المسيح ، وما افترد به علماء النصارى من الدعوة إلى ألوهية المسيح ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم فتد جميعهم . والتفتيد : التخطئة وتفتيح القول والرأى .

قال ابن ظفر : وقرأت في ترجمة أخرى للإنجيل : أنه قال : « البارقليط لا يبيحكم ما لم أذهب ، وإذا جاء ونج العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاؤه نفسه ، ولكنه ما يسمع يكلمهم به ، ويسوسهم بالحق ، ويخبرهم بالحوادث والغيوب » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ونج العلماء من أهل الكتاب على كتمان الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وبيع الدين بالثمن البس من صراط الدنيا ، وهو الذي أخبر بالحوادث والغيوب .

وقال ابن ظفر : والذي سمع عندي في معنى البارقليط : أنه الحكيم الذي يعرف السر ، وقد تقدم ما يدل على أنه الرسول .

وأما ما جاء في زيور داود عليه السلام مما ترجمه أهل الكتاب ، فمن ذلك قوله : « اللهم أجعل جاعل السنة يحيا ، يعلم الناس أنه بشر » ، ويضهم من هذا : أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النصارى في المسيح إذا أرسله ، من أنه إله معبود ، فدعا الله سبحانه بأن يبعث عبدا صلى الله عليه وسلم فيعلمهم أن المسيح بشر .

وفيه أيضا مما ترجموه : « أنه فاضت الرحمة على شفيعك ، من أجل ذلك أبارك عليك ، إلى الأبد ، فقلد السيف ، فإن بهامك وحدك الغالب ، واركب كلمة الحق ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة عيئك ، والأمم يخرون تحتك » ، قال : فالذي قرئت شريسته بهيبة عيئه ، وخرت الأمم تحت ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها، وذكر رجلاً فقال : « فإذا قام جاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى منقطع البر، ونزح أهل الجزائر قدماه على وجوههم وركبهم، وحس أعداؤه التراب لهيته، وجاءته الملوك بالقرابين، ودانت له الأمم بالطاعة؛ لأنه بخلص الضعيف المغلوب البائس من هو أقوى منه، ويقوى الضعيف الذي لا ناصر له، ويرحم المساكين، ويصلّي ويبارك عليه في كل وقت، ويدوم ذكره إلى الأبد » .

فهذا في غاية الظهور أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ترجموه من كتاب شعباً عليه السلام ورضوا ترجمته فقبوله :
 « عيسى الذي مّرت به نفعي أنزل عليه وحي، فيظهر في الأمم على،
 ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته في الأسواق؛^(١) يفتح العيون
 العمور، والأذان الصم، ويحيي القلوب الغلظ؛ وما أعطيه لا أعطى أحداً،^(٢) مشفق
 يمد الله حمداً جديداً، يأتي من أقصى الأرض - تفرح البرية وسكانها يهللون الله
 على كل شرف، ويكررونه على كل رابية، ولا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى
 ولا ينزل الصالحين الذين هم كالقصبية الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن
 المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ، أمر سلطاناً على كتفيه » .

(١) في خير البشر لا ينظر من ١٩ : « فقال إذا جاز من البحر » .

(٢) ويقال أيضاً : « سيا »، بين مهمة، و« أشياء » . وانظر السيرة الحلية ١ : ٢١٣ ،

٢١٨ ، وتاج العروس ١٠ : ١٨٨ . (٣) في الأصل : « قوله » .

(٤) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « .. ولا يسمع صوته في الأصوات لأن ضحكته كان التيسم » .

(٥) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « .. وما أعطيه لا أعطيه أحداً » .

(٦) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : شفع بالثين المحببة والحاء المهملة : أي زاهي » وانظر

الزيتاني ٦ : ١٨٩ .

قال ابن ظفر: ^(١) هذه ترجمة السريانيين، وعبر العبرانيين عنه بأن قالوا: «صلى
كفيه علامة النبوة»؛ فهذا كله صريح في البشارة به صلى الله عليه وسلم، مع ما فيه
من ذكر قيام دولة العرب بقوله: «تفرح البرية وسكانها»؛ وأما قوله: [مُسَقَّح] ^(٢)
فهو محمد، لأن الشَّقْعَ بالفتحهم الحمد.

وبما ترجموه منه أن شعياه عليه السلام قال: «قم نَظَّاراً فانظر ما ترى، فأخبر به،
فقلت: أرى رَكَّيْنِ مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على بَئَلٍ، يقول أحدهما
أصاحبه: سَقَطْتُ بِأَيْلٍ وأصنامُها» فهذه بشارة صريحة بمحمد صلى الله عليه وسلم؛
لأنه راكب البَئَلِ لا محالة، ولأن مُلْكَ بَابِلٍ إنما ذهب بنبوته صلى الله عليه وسلم
وصلى يد أصحابه، على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

قال: ^(٣) وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة بَئَلٍ من نحاس،
عليه راكب من نحاس، في هيئة العرب مؤتزِرُ مُرْتِدٍ، عليه عمامة، وفي رجليه
نعلان، كلُّ ذلك من نحاس؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم: أعطني حتى
قبيل أن يخرج هذا فيأخذني بحق منك، شئت أو أبيت، ولم يزل الصَّمَمُ على
ذلك حتى أفتتح عمرو بن العاص أرض مصر، فنبَّهوا الصَّمَمَ.

ومنه: «أَيْتَبَا الماقر! افرح وأهتري وانطلق بالتسبيح، فإن أهلك يكونون
أكثر من أهل»، قال: فالماقر مكة، لأنها بؤاد خير ذي زرع، أو لأن الله لم يبعث

(١) كذا في خير البشر ص ١٤، وانظر السيرة الحلبية ١: ٢١٩.

(٢) في الأصل: «وأما قوله فوجده»، والجملة من خير البشر لابن ظفر، وانظر السيرة

الحلبية ١: ٢١٩.

(٣) ورد هذا الخبر في السيرة الحلبية ١: ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا.

(٤) القائل ابن ظفر في خير البشر ص ١٧.

بها نيا في ذلك الزمن دون غيرها، فهي حاقرة، وقوله : « انطلق بالتسبيح » إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله ، وقوله : « يكون أهلك أكثر من أهل » ، قال : إن سلم من التحريف وسوء العبارة « فإِنَّ » زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده ، وقد أحبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أئنته أكثر أهل الجنة. والآل والأهل يكتنن بهما عن [الجماعة] الخاصة، قال عبد المطلب بن هاشم : نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلًا على عهد آدم

ولما رجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافه عمر بن الخطاب وقيل له : ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا فظًا غليظًا ؟ فقال : أقول تركتُ على أهلك خير أهلك . والله القائل .

- ومن كتاب شمعون عليه السلام مما ترجموه ورضوا ترجمته قوله : « جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلات السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته . وقد تقدم أن جبال فاران هي جبال بكة شرقها الله، وبيء الله هو بيء كتابه .

- ومن كتاب حزقيل عليه السلام مما ترجموه من قصة ذكر فيها ظهور اليهود وعزيتهم ، وكفرانهم للنعم ، فشبههم فيها بالكومة حيث قال : « لم تلبث تلك الكومة أن قُلبت بالسحطة ، ووسى بها على الأرض ، فأحرقت السمائم أثرها ، فنسد ذلك غرس غرس في البدو ، وفي الأرض المهمللة السطحي ، فخرجت من أغصانه الفاضلة فأرنا كالت تلك الكومة حتى لم يوجد فيها قضيب » .

(١) في طبر البئر : « يكونون أكثر طاعة لله وتوحيده » . (٢) في الأصل : « بهما من الخاصة » ، والتكلمة عن خير البشر . (٣) في الأصل ، وغير البشر ص ٩ . « إلا » .

(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن عفر ، والرواية عنه : « جاء الله بالبيان » .
(٥) في الأصل : « بالكومة ثم قال » . والنجت عن خير البشر .
(٦) في طبر البئر : « أن تخلص » .

قال : فلا شك أن أرض البندو المهيمنة العظمتى هي أرض العرب ، وغرس
الله الذى غرسه فيها هو عهد صلى الله عليه وسلم ، وقد أنزى الله به اليهود
والله أعلم .

٣٦
١٤

ومما قل من كلام خيِّقوq ، وهو الذى زعمت اليهود أنه ادعى النبوة فى عهد
بُخْتَنَصْر ، وحكوا عنه أنه قال : « إذا جاءت الأمة الآخرة يسَّع بهم صاحبُ الجمل
— أو قال : راكبُ الجمل — تسبيحا جديدا فى الكتَّاس الجدد ، فافرحوا ، وسيروا
إلى صهيون بقلوب آمنة ، وأصوات طالية ، بالتسبيحة الجديدة التى أعطاكم الله
فى الأيام الآخرة ، أمة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين ، فينتقمون من الأمم
الكافرة فى جميع الأقطار » مولا شك أن راكب الجمل أو صاحب الجمل من الأنبياء
هو عهد صلى الله عليه وسلم ، والأمة الجديدة هي العرب ، والكتَّاس الجدد هي
المساجد ، وصهيون : مكة ، والتسبيحة الجديدة : « لِيَكُ اللَّهُمَّ لِيكَ » .

وقل أيضا عن خيِّقوq هذا أنه قال : « جاء الله من اليمن ، وظهر القدس على
جبال فاران ، وامتلاَّت الأرض من محمد أحمد ، وملك يمينه رقاب الأمم ،
وأضاءت الأرض لنوره ، وسُحِلت خيله فى البحر » . والله أعلم .

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليه السلام ما روى مَعمر بن الزُّهري أنه
قال : أتخصني هشام بن عبد الملك إلى الشام ، فلما كنتُ بالبقاء وجدتُ حجرا
مكتوبا عليه بالخط البراقى ، فطلبتُ مَنْ يقرؤه ، فأُرشدت إلى شيخ ، فانطلقتُ
به إلى الجحر ، فقرأه وضحك ، فقلت : ممّ تضحك ؟ قال : أمر عجيب ، مكتوب على
هذا الجحر : يا سمك اللهم جاء الحق من ربك ، لسان عربى مبین ، لا إله إلا الله
محمد رسول الله . وكتبه موسى بن عمران بخط يده .

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى صلى الله عليه وسلم إنما يكتب بخطه ما تلقاه عن الله تعالى ، أو عن كُتبه المُنزلة ؛ وهذا الذي أوردناه مما جاء في كتب الله السالفة هو الذي أبداه أهل الكتاب وأئمتوه ، وترجموه ورضوا ترجمته في تحريفهم وتبديلهم .

وأما ما كتبه أهل الكتاب مما فيه صريح ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل عليه وأخبارنا به من أسلم منهم ممن جاز لنا أن نروى عنه وقَبَل روايته ؛ مثل وهب ، وكتب الأحبار ، وأبي ثعلبة بن أبي مالك .

- (٢١) فأما ما جاء عن وهب بن منبه . فإنه رُوي عنه أنه قال : قرأت في بعض كتب الله المنزلة على نبي من بني إسرائيل : « أن قم في قومك ، فقل يا سماء اسمي ، ويا أرض انصتي ؛ لأن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل : أني ربهم ينمعي ، وأرتبهم بكرامتي ، وأخترتهم لنفسى ، وأنى وجدت بني إسرائيل كالنعم الشاردة التي لا راعى لها ، فرددت شاردتها ، وجمعت ضالّتها ، وداويت مريضها ، وجبرت كسيرها ، وحفظت سمينها ؛ فلما فعلت بها ذلك يطورت ، فتناطحت بكائنها ، فقتل بعضها بعضها . فويل لهذه الأئمة الخاطئة ، وويل لهذه القوم الظالمين ؛ إني قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حقا ، وجعلت له أجلا مؤجلا لا بد منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمت . وويل لمن يكون ذلك ، فإنى مظهره على الدين كله ، فليخبروك متى يكون هذا . سرّهم به . ومن أعوانه وأنصاره ، إن كانوا يعلمون الغيب فإنى باعث بذلك رسولا من الأميين ليس بقبط ولا غليظ ، ولا حجاب في الأسواق ، ولا نقال بالهضير والنجلى ، أسدده

(١) في الأصل : « به ابن أسلم » تصحيف .

(٢) في الأصل : « وأما » .

بكل جميل ، وأحب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة على لسانه ، والتسوى
 ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعرفة خلقه
 والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والإسلام مته ، أرفع به من الوضيعة ، وأغني
 به من القيلة ، وأهدي به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة ، وأهواء
 متخلفة ، وأجعل أتمته خير الأمم إيمانا بي وتوحيدا لي ، وإخلاصا بما جاء به رسولى ،
 أئيمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لي فى صلواتهم وساجدكم ومقلّهم ومثوالم ،
 يخرجون من ديارهم وأموالم آتباء مرضاقى يقاتلون فى سبيل صفوفا ، ويصلون لي
 قياما وركوعا ومجودا ، يكبرونى على كل شرف ، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، ذلك
 فضل أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم .

٣٧
١٤

ومنه ما روى عنه أنه قال : قرأت فى بعض الكتب القديمة : « قال الله تبارك
 وتعالى : وعزّرتى وجلالى لأتزلن على جبال العرّب نورا يملا ما بين المشرق
 والمغرب ، ولأخرجن من ولد إسماعيل نيا عربيا أقيا يؤمن به عدد نجوم السماء
 ونبات الأرض ، كلهم يؤمن بى ربّا ، وبه رسولا ، ويكفرون بمثل آبائهم ، ويخزون
 منها . قال موسى : سبحانك وتقدّست اسمائك ! لقد كرّمت هذا النبي وشرفته ،
 قال الله عز وجل : يا موسى إني أنتقم من عدوّه فى الدنيا والآخرة ، وأظهر دعوته
 على كل دهوة ، وسلطاته ومن معه على البر والبحر ، وأخرج لهم من كنوز الأرض ،
 وأذل من خالف شريعته ، يا موسى : بالعدل ربيته ، وبالقسط أخرجته ،

- (١) فى خير البشر لآين نظر : « . . . وتوحيدا بى ، وإخلاصا لما جاء به » .
 (٢) فى الأصل : « والتعبد فى صلواتهم » . والمحب من خير البشر .
 (٣) فى الأصل : « ويصلون قياما » ، والتكلم عن ابن تفرح فى الفضل عنه .
 (٤) فى خير البشر : « ومن أتبه » . (٥) فى خير البشر : « بالعدل ربيته » .

- وعزّزنى لاستغفرتك به أهما من النار ، فتحت الدنيا بإبراهيم ، وختمتها بمحمد ،
 مثل كتابه الذى يبيع به ، فأعقلوه يا بنى إسرائيل مثل السقاء الملوأ لنا يُخَصُّصُ
 فيخرج زُبناً ، بكتابه أخيم الكتب ، وبشريته أخيم الشرائع ، فمن أدركه ولم يؤمن
 به ولم يدخل فى شريته فهو من الله برى ، أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض
 ومغاربها مساجد ، إذا ذكر أسمى فيها ذكر أسمى ذلك النبي معى ، لا يزول ذكره
 من الدنيا حتى نزول .

- وأما ما جاء عن كعب الأحبار رحمه الله ، فمن ذلك ما روى أن عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه قال : يا كعب ، أدركت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
 علمت أن موسى بن عمران تمى أن يكون فى أيامه فلم تسلم على يده ، ثم أدركت
 ١٠ أبابكر وهو خير منى فلم تسلم على يده ، ثم أسلمت فى أيامى ، فقال : يا أمير
 المؤمنين ، لا تجعل على ، فإنى كنت انتهت حتى أنظر كيف الأمر ؟ فوجده
 كالذى هو فى التوراة . قال عمر : كيف هو فيها ؟ قال : رأيت فى التوراة أن
 سيد الخلق ، والصفوة من ولد آدم ، يظهر من جبال فاران من منابت
 القُرْط من الوادى المقدس ، فيُظهر التوحيد والحق ، ثم يتقل إلى طيبة ،
 فتكون حروبه وأيامه بها ، ثم يُقبض فيها ، ويُدْفَن بها . قال عمر : ثم ماذا
 ١٥ يا كعب ؟ قال كعب : ثم يلى بعده الشيخ الصالح . قال عمر : ثم ماذا ؟
 قال كعب : ثم يموت متيماً . قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى بعده
 القرن الحديد — وفى لفظ : مدرع من حديد — قال عمر : وأدقراً^(١) ! ثم ماذا ؟
 قال كعب : ثم يُقتل شهيداً ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى صاحب
 ٢٠ (١) الدهر بالذال المهملة : التن ، وقد عمر التواضع ، فذكر رائحة الحديد وأعرض عن صفاته
 الحسنة من القوة والقطع .

الحياة والكرم ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يُقتل مظلوما ، قال عمر :
ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم على صاحب المحبة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب
الشرف الثام ، والعلم الجام ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يموت شهيدا
سعيدا ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يقتل الأمر إلى الشام ، قال عمر :
حسبك يا كعب .

ومما جاء عنه ما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رجلا جاء
إلى كعب الأحبار من بلاد اليمن فقال له : إن فلانا الخبير اليهودي أرسلني إليك
برسالة ، قال كعب : هاتها ! فقال : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيّدا شريفا
مطاما ؟ فإ الذي أحريك من دينك إلى أمة محمد ^(٢) ؟ فقال له كعب : أترك
راجعا ؟ قال : نعم ، قال : فإن رجعت إليه تغذ بطرف ثوبه لتلا يفر منك
وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذي رد موسى إلى أمه ، وأسألك بالذي
فلق البحر لموسى ، وأسألك بالذي ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم
كل شيء ، ألتست تجد في كتاب الله أن أمة محمد ثلاثة أملاك ، فلت يدخلون
الجنة بنير حساب ، وثلاث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلاث يحاسبون حسابا يسيرا
ثم يدخلون الجنة ، فإنه سيقول لك : نعم . فقل له : يقول لك كعب : اجعلني
في أي هذه الثلاثة شئت .

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه ^(١) أنه قال : أجد في السوراة :
أحمد عبدي المختار ، لا قُط ، ولا غليظ ، ولا محتاب في الأسواق ، ولا تجنّز

(١) كما في خير البشر ص ٢٧ . والمعروف : « الجمل » . (٢) في خير البشر ص ٢٨ :

« أمة أحمد » . (٣) في خير البشر ص ٢٥ : « فرق البحر لموسى » . (٤) في خير
البشر ص ٢٨ : « أبو صالح عن كعب الأحبار » .

بالسيئة السيئة ، ولكن يَغْفِرَ وَيَصْفَحَ وَيُغْفِرَ ، أَمْتَهُ الْحَمَادُونَ ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَيَسْتَعِينُونَ فِي كُلِّ مَقَرَّةٍ ، وَيَكْبِرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، يَأْتِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَصُونُونَ أَطْرَافَهُمْ ، وَهُمْ رُعَاةُ الشَّمْسِ ، وَمُؤَنِّهِمْ يَسَادَى فِي جَوِّ السَّمَاءِ ، وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ رَهْبَانٌ بِاللَّيْلِ ، أَسَدٌ بِالنَّهَارِ ، لَهُمُ بِاللَّيْلِ دِيوَى كَدْوَى النَّحْلِ ، يَصَلُّونَ الصَّلَاةَ حِينَئِذٍ أَدْرَكْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، مَوْلِدُهُ مَكَّةُ ، سُهَابُهُ طَابَةٌ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَنْصِبَ بِهِ الْأُمَّةَ الْمَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيُفْتَحَ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا ثَمِيًّا ، وَأَذَانًا صَمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا .

ومنه ما روى أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب : دُلَّنِي عَلَى أَهْلِ النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى لِأَسْمَعُ كَلَامَكَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ رَجُلًا مَقِيَّ الْيَهُودِ بِالْبَيْتِ ، فَاشْتَبَهَهُ إِلَيْهِ ، فَجَمَعَ مُعَاوِيَةَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ : أَسْأَلُكَ بِالَّذِي فَرَّقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى أَنْتَجِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَرْتِلَ أَنْتَ مُوسَى نَظَرَ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ أُمَّةً مَرْحُومَةً ، وَهِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُتْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْآخِرِ ، وَيَقَاتِلُونَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ ، حَتَّى يَقَاتِلُوا الْأَعْيُورَ الْكَذَّابَ ، فَأَجْلَسَهُمْ يَا رَبُّ أُنْتَقَى ، قَالَ : هُمُ أُمَّةُ أَحْمَدَ ؟ قَالَ الْحَبَرُ : نَعَمْ أَجَدُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : كَعْبٌ لِلْحَبَرِ : أَنْشُدْكَ اللَّهُ الَّذِي فَارَّقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى ، أَنْتَجِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَرْتِلَ أَنْ مُوسَى نَظَرَ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي أَجِدُ أُمَّةً إِذَا أَشْرَفَ أَحَدُهُمْ عَلَى شَرَفٍ كَبَرٍ ، وَإِذَا هَبَطَ وَادِيًا حَمِدَ اللَّهَ ، الصَّعِيدَ

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاحِبِ ١ : ٣٦١ : « يَشْدُونَ أَوْسَاطَهُمْ ، وَيَطْهَرُونَ أَطْرَافَهُمْ » ، وَشَدَ الْوَسْطَ مَبَادِرَةً عَنِ الْإِبْهَادِ فِي الْبَادَةِ ، وَتَطْهِيرُ الْأَطْرَافِ كِتَابَةٌ عَنِ الْوَضْوِ .

(٢) قِيلَ : الْكِتَابُ الْأَوَّلُ هُوَ التَّوْرَةُ ، وَقِيلَ : الْمَرَادُ جَنْسُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ . انْظُرِ السِّمَةَ الْخَلْقِيَّةَ

٢١٧ : ١

(٣) هُوَ الْقُرْآنُ . انْظُرِ السِّمَةَ الْخَلْقِيَّةَ ١ : ٢١٧ .

لم ظهور ، يتطهرون به من الجنابة كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ،
 حيث كانوا فلهم مسجد ، غُرسَ حَجَلُونَ مِنَ الْوُضوءِ ، فاجعلهم أمتي . قال :
 هم أمة أحمد ؟ فقال الحبر : نعم أجد ذلك ، قال : أئشدك الله الذي فرق
 البحر لموسى ، أتعبد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني
 أجد أمة إذا همَّ أحدُهم بحسنة ولم يعملها كُتِبَتْ له حسنةٌ مثلُها ، وإذا عملها
 أضعِفَتْ له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وإذا همَّ بسئلة ولم يعملها لم تُكْتَبْ
 عليه ، فإذا عملها كُتِبَتْ عليه سيئةٌ مثلُها ، فاجعلهم أمتي ، قال : هم أمة أحمد ؟
 قال الحبر : نعم ، أجد ذلك ، قال كعب : أئشدك الله الذي فرق البحر لموسى ،
 أتعبد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني أجد أمة
 يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم ، إنهم يُطعمونها مساكينهم ولا يُعْرِقونها كما كان
 نعيم من الأمم يفعل ؟ . وجاء في حديث آخر غير هذا بما هو منسوب إلى كعب
 الله الصالفة : « يا كلون قرأ بينهم ^(١) في بطونهم » . والمراد الضعفايا .

ومنه ما روى عنه أنه قال : كان لأبي سفيان من التوراة يعمل في تابوت
 ويحتم عليه ، فلما مات أبي فتحت ، فإذا فيه : إن نيا يخرج في آخر الزمان هو
 خير الأنبياء ، وأقته خير الأمم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، يكبرون الله على
 كل شرف ، ويصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال ، قلوبهم مصاحفهم ،
 يأتون يوم القيامة غُراً حَجَلِينَ ، اسمه أحمد ، وأُمته الحمدون ، يحمدون الله على كل
 شدة رخاء ، مولده مكة ، ودار هجرته طابة ، لا يلقون عدواً إلا وبين أيديهم

(١) في خير البشر : « قرباتهم » .

(٢) في الأصل : « آخر الأنبياء » .

ملائكة معهم رِياح ، تَحْنَنُ الله عليهم كَتَحْنَنُ الطير على فراخها ، يدخلون الجنة ^(١) ؛
 يأتي ثلث منهم يدخلون الجنة بنير حساب ، ثم يأتي ثلث منهم بذنوب وخطايا : ^(٢)
 فيُغْفَرُ لهم ، ويأتي ثلث بذنوب وخطايا عظام ، فيقول الله : اذعَبُوا بِهَمِّ فِرْزُونِهِمْ ^(٣) ،
 وانظروا إلى أعمالهم ، فِرْزُونِهِمْ ويقولون : ربنا ! وجدناهم قد أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ ،
 ووجدنا أعمالهم من الذنوب أمثال الجبال ، فیرَأْنَهُمْ كَانُوا يشهدون أن لا إله إلا الله .
 فيقول الله : وعِزَّتِي لا أجعل من أخلص لي الشهادة كَنَ كَفَرِي ، قال كعب :
 فانا أرجو أن أكون من هذه الثلاثة إن شاء الله تعالى .

ومنه ما روى أن رجلين جلسا يتحدثان وكعبُ الأحبار قريبٌ منهما ، فقال
 أحدهما : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشِرُوا ، فرأيت النبيين كلهم لهم نوران
 نوران ، ورأيت لأشياهم نوراً نورا ، ورأيتُ عهدا صلى الله عليه وسلم وما من ^(٤)
 شجرة في رأسه ولا جسده إلا وفيها نور ، ورأيت أتباعه ولهم نوران نوران ، فقال
 له كعب : اتق الله تعالى يا عبد الله ! وانظر ما تحدثت به ، فقال الرجل : إنما
 هي رؤيا متام أخبرت بها على ما أُرِيَتْهَا ، فقال كعب : والذي بمت عهداً بالحق
 صلى الله عليه وسلم ، وأُنزل التوراة على موسى بن عمران ، إن هذا لفي كتاب الله
 المنزل على موسى بن عمران كما ذكرت .

٢٩
١٤

وأما ما جاء عن أبي ثعلبة وهو أبو مالك ، وكان من أحبار يهود ، فقد روى
 الواقدي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : يا أبا مالك ! أخبرني

(١) في الأصل : « كَتِين » . (٢) في غير البشر : « تأتي ثلثة منهم فيدخلون » .

(٣) في غير البشر : « تأتي ثلثة » . (٤) في الأصل : « فِرْزُونِهِمْ » تصحيف .

(٥) في غير البشر : « لأشياهم » . (٦) في غير البشر : « ما تحدثت » .

(٧) انظر غير البشر لأن ظفر ص ١٠ .

بصفة النبي - صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال : إن صفته في توراة بني إسرائيل ^(١)
 التي لم تُبدل ولم تُغير أحدٌ، من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو
 النبي - العربي ، يأتي بدين إبراهيم الحنيف ، ياتر على بسطه ، ويفضل أطرافه ،
 في عليه حُمره ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس
 الشملة ، ويمتري بالبنفة ويركب الحمار ، ويمشي في الأسواق ، سيفه على ^(٢)
 عاتقه ، لا يزال من لقي من الناس ، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا
 بالطوفان ، ولو كانت في قوم عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت في نوح ما أهلكوا
 بالصيحة ، مولده مكة ، ومثواه وبه نبوته بها ، ودار هجرته يرب بين لابق
 حرة ونخل وسبعة ، وهو أئى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، وهو الحاد يمد الله
 على كل شنة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من
 قومه أذى شديدا ، ثم يدال عليهم فيحصدهم حصدا ، تكون له وقعات يثرب ،
 منها له ومنها عليه ، ثم له العاقبة ، معه قوم هم إلى الموت أسرع من الماء من
 رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم أناجيلهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوت النهار
 رهبان الليل ، رعب عدوه منه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه حتى يفرج ويكلم ،
 لا شرطة معه ولا حرس ، الله يحرسه .

وكان من هؤلاء أيضا عبد الله بن سلام ^(٣) وخيرى ^(٤) ، وسند ذكر أخبارهما إن
 شاء الله تعالى عند ذكر إسلامهما بعد الهجرة على ما اتفق عليه هناك .

هذه رواية من أسلم من أهل الكتاب .

- (١) في خير البشر ص ١٠ : « بنى هارون » .
 (٢) في خير البشر : « ويصارع على البطة ، ويركب الجمل » .
 (٣) بتقريب اللام كما في الرض الألف ٢ : ٢٥ ، وانظر شرح الشفا مخارج ٢ : ٢٦٤ .
 (٤) في الأصل : « خريق » تصحيف ، والتصحيح عن سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٤ ، وانظر
 الرض الألف ٢ : ٢٦ ، ونسب الرياض ٢ : ٢٦٥ .

وأما من بشر به صلى الله عليه وسلم من أهل الكاين ممن لم يسلم ظاهرا ، ولا علما لم لإسلام ، ومن أقرب بنوته صلى الله عليه وسلم ولم يدركه مكان .

(١) فن هؤلاء من بشر به وأخبر بنوته قبل مولده ، ومنهم من ذكر ذلك حال مولده لقرائن كان يقرب وقوعها تدل على مولده فوقعت ؛ ومنهم من بشر به في حال طفولته ، ومنهم من بشر به قبل مبعثه ، ومنهم من ذكر صفته بعد مبعثه ورؤيته له ، وذكر قومه بها وحقق عندهم أنه هو ، ودليل كل منهم ما كان يحده عنده من أخباره في الكتب السالفة التي تلقاها عن أسلافه ، ومنهم من أظهر مصفا كانت عنده فيها صريح ذكره وصفته ، ومنهم من أظهر بمثال صورته ، وصورة بعض أصحابه وهيتهم ، وكان ذلك مصورا في بيوت في يديهم على ما نذكر ذلك مسجبا إن شاء الله .

١٠

فأما من بشر به وأخبر بنوته وصفته صلى الله عليه وسلم قبل مولده ؛ فن ذلك ما حكاه ابن إسحاق في خبر تبسيع الأول ، قال : وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها ، وكان له وزراء ، واختار منهم واحدا ، وأخرج معه ، وكان يسمى عمار يشا ، وأخذته لينظر في مملكته ، وأخرج معه مائة ألف من الفرسان ، وثلاثة وثلاثون ألفا ، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجال ، وكان إذا أتى بلدة يختار منها عشرة رجال من حكائها ، حتى جاء إلى مكة ، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكام الذين اختارهم من البلدان ، فلم يهبه أهل مكة

١٥

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « سبيا » .

(٣) وردت هذه الشري في ثمرات الأوراق ص ١١٠ .

(٤) في ثمرات الأوراق هنا وفيما يأتي : « عمار يا » .

٢٠

ولم يعظموه ، فغضب لذلك ، ثم دعا وزيره عماريا وقال : كيف شأن أهل هذه البلدة ؟ لأنهم لم يهابوني ، ولم يخافوا عسكري ، فقال : أيها الملك إنهم قوم عرب جاهلون لا يعرفون شيئا ، وإن لهم بيتا يقال له كعبة ، وهم مُعجبون بهذا البيت ، وهم قوم يعبدون الطواغيت ، ويسجدون للأصنام . فقال الملك : وهم مُعجبون بهذا البيت ؟ قال : نعم ، فنزل بفسكه ببطحاء مكة ، وفكر في نفسه دون الوزير ، وعزم على هدم الكعبة ، وتسميتها نخربة ، وأن يقتل رجالهم ، ويسبي نساءهم ، فأخذه الله بالصُداع ، وقبَّح من عيِّه وأذنتيه ومنغريه وفه ماء مثنين ، فلم يصبر عنه أحد طرفة عين من تن الریح ، فاستيقظ لذلك وقال لوزيره : إجمع العلماء والحكماء والأطباء وشاورهم في أمري ، فاجتمع عنده الأطباء والعلماء والحكماء ، فلم يقدروا على المقام عنده ، ولم يمكنهم مداواته ، فقال : إني جمعت الأطباء والعلماء والحكماء من جميع البلدان ، وقد وقعت في هذه الحادثة ولم يقدروا على مداواتي ، فقالوا بإجمهم : إنا نقدر على مداواة ما يمرض من أمور الأرض ، وهذا شيء من السماء لا نستطيع رد أمر السماء ، ثم اشتد أمره ، وتفوز الناس عنه ، ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل ، بغاء أحد العلماء إلى الوزير وقال : إن بني وينك سرا ، وهو إن كان الملك يصدقني في حديثه عاجلته ، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده ، وحمله إلى الملك ، وأخبره بما قال الحكيم ، وما اتهمه من صدق الملك ، حتى يبالغ قنسه ، فاستبشر الملك بذلك ، وأذن له في الدخول ، فلما دخل قال : أريد الخلو ، فأخذ له المكان ، فقال : نويت لهذا البيت سوءا ؟ قال : نعم ، إني نويت نرايه ، وقتل

(١) في ثمرات الأوراق : « عماريا » وقال كيف شأنت هذه البلدة .

(٢) في الأصل : « عربيون » والتصويب من ثمرات الأوراق .

- رجالهم ، وسَيَّ قَدَارِيَّهم ، فقال له : إئتِ وجعلك وما بُليتَ به من هذا . اعلم أن صاحب هذا البيت قَوِيٌّ يعلم الأسرار ، فبادر وأخرج من قلبك ما هممتَ به من أذى هذا البيت ولك خير الدنيا والآخرة ، قال الملك : أفعل ، قد أخرجتُ من قلبي جميع المكروهات ، ونويت جميع الخيرات ، فلم يخرج العالم من عنده حتى برئ من جلته ، وعافاه الله بقدرته ، فأمن بالله من ساعته ، وخرج من منزله صحيحاً .
- ٥ على دين إبراهيم عليه السلام ، وخلع على الكعبة سبعة أثواب ، وهو أول من كسا الكعبة ، ودعا أهل مكة ، وأمرهم بحفظ الكعبة ، ونحوه إلى يثرب ، وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت مبنى ولا بناء ، فقتل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ، ومعهم رئيسهم عمارشاً الذي كان يرى رأيه .
- ١٠ ثم إن العلماء والحكماء اجتمعوا ، وكانوا أربعة آلاف ، فأخرجوا من بينهم أربعمائة هم أعلمهم ، وباع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وإن ضاربهم الملك أو قتلهم ، فلما علم الملك ما قد عزموا عليه ، قال للوزير : ما شأنهم يتبنون عن الخروج معي ، وأنا محتاج إليهم ؟ وأتى حكمة في نزولهم في هذا المكان ، واختيارهم إياه على سائر النواحي ، فلما أتاها الوزير وسأله عما عزموا عليه ، واختيارهم المقام بهذه البقعة ، قالوا له : أيها الوزير ! إن أشرف ذلك البيت ،
- ١٥ وأشرف هذه البقعة التي نحن فيها يشرف رجل يبعث في آخر الزمان ، يقال له محمد ووصفوه ، ثم قالوا : طوبى لمن أدركه وآمن به ، وقد بلغنا على رجاء أن تُدركه أو يدركه أولادنا ، فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم ، فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا ، فقالوا : لا فعل ، وقد أعلنا الوزير بحكمة مقامنا ، فدعا
- ٢٠ الوزير فأخبره بما مع منهم ، ففكر الملك وهم أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدركهم صلى الله عليه وسلم ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار ، لكل رجل من العلماء

دار ، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها بربل منهم ، وأعطى كل واحد منهم عطاءً جزيلاً ، وأصرهم أن يقيموا في ذلك الموضع إلى أن يهيء زمانُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كتب كتاباً وختمه بخاتم من ذهب ، ودفعه إلى العالم الكبير ، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه ، وإلا أوصى به أولاده بمثل ما أوصاه به ، وكذلك أولاده حتى ينتهي أمره إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وكان في الكتاب : أما بعد فإني أمنتُ بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، وأنا على دينك وسُنتك ، وأمنتُ بربك ورب كل شيء ، وأمنتُ بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام ، فإن أدركك فيها وقِعتُ ، وإن لم أدركك فاشفع لي ، ولا تنسني يوم القيامة ، فإني من أمتك الأولين ، وتابعيك قبل عيشتك ، وأنا على ميثاقك وميثاق أبيك إبراهيم عليه السلام . ثم ختم الكتاب ونقش عليه : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبدالله نبي الله ورسوله ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم ، من تبع الأول حميد بن حمير ابن وردع أمانة في يد من وقع إليه إلى أن يوصله إلى صاحبه ، ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبراه من علقته . وصار تبع من يقرب حتى مات بقلسان من بلاد الهند .

وكانت من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص ، وكان الأنصار الذين نصرُوا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، سأله أهل القبال أن يترز عليهم على ما نذكرك ذلك إن شاء الله تعالى ، فكانوا يتعاقبون بناقته وهو يقول : خلوا الناقة فلأنها مأمورة ، حتى جاءت إلى دار أبي أيوب ، وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعاً برأيه .

- قال ابن إسحاق: واستشار الأنصارُ عبدَ الرحمن بن عوف في إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا ظهر خبره قَبْلَ هجرته ، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة ، فاختاروا رجلا يقال له أبو لَيْلَى وكان من الأنصار ، فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه ، فأخذ الكتاب ونرج من المدينة حل طريق مكة ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة من بني سليم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه وقال : أنت أبو لَيْلَى ؟ فقال : نعم ، قال : معك كتابٌ تُبَيِّحُ الأول ؟ قال : نعم ، فبقى الرجل متفكرا ، وقال في نفسه : إن هذا من العجائب ، ثم قال له أبو لَيْلَى : مَنْ أنت ، فإني لست أعرُفك ؟ إن في وجهك أثر السحر ، وتوهم أنه ساحر ، فقال له : بل أنا محمد رسول الله ، هات الكتاب ، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى عليّ كرم الله وجهه ، فقرأه عليه ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامَ تُبَيِّحُ قال : مرحبا بالأخ الصالح ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثم أمرَ أبا لَيْلَى بالرجوع إلى المدينة ، فرجع وبشّر القوم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم .
- ومن ذلك ما روى أنسُ أبا كَرَبٍ تَبَان بن أسعد ملك اليمن أحد التابعين^(١) لما قصد بلاد الشرق ، جَسَلَ طريقه على يَنْثَرِب ، فلم يهجع أهلها ، وخلف بين أظهرهم أبنا له ، قُتِلَ غِيْلَةً ، فَعَدِمَهَا وهو مُجْمَعٌ لِإِخْرَابِهَا واستنصاف أهلها وقطع نخيلها ، فجمع له أهل المدينة وذيئهم يومئذ عمرو بن طَلَّة أحد بني النجار ، وهو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن النجار ، وطَلَّةُ أمه ، وهي بنت عامر بن زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة^(٢) .

(١) انظر الكامل لابن الأثير في « ذكر حوادث العرب أيام قباذ » .

(٢) في التيجان ص ٢٩٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢١ : « المشرق » .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢١ .

قال محمد بن إسماعيل^(١) :

وكان رجل من بني عدى بن النجار يقال له أحر، عادى على رجل من أصحاب
تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده في علق له يحميه ، فضربه بمنجله فقتله ،
وقال : إنما التمر لمن أتره ، فزاد ذلك تبعاً حتى قتلوا ، فكان أهل المدينة ،
وهم هذا الحى من الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ، فيسجبه ذلك منهم
ويقول : والله إن قومنا ليكرام . وفي ذلك يقول حسان بن ثابت من قصيدة
لم يذكر فيها قومه :

قروا تبعاً يبيض المواشى سخفاً وكوم عشار بالعشيات نهض

قال فيينا تبع على ذلك من حربهم إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة
عالمان راجعان ، حين سمعا بما يريد من إهلاك يثرب وأهلها ، فقالا له : أيها
الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك
ماجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ قالا : هي مهاجرة نرى يخرج من هذا الحرم
من قريش آخر الزمان ، تكون داره وقواره ، فرأى تبع أن لها علماً ، فأنصرف عن
المدينة واتبعهما على دينهما .

٤٢
١٤

ومن ذلك خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة^(٢) .
روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : حدثني سلمان الفارسي
من فيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جى ،

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢١ ، وانظر الخميس للديلمى ١ : ٢٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢ : « فيينا تبع على ذلك من قتالهم » .

(٣) انظر البداية والنهاية ٢ : ٣١٠ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٨ .

وكان أبي دِهْقَانٌ قَوِيَّةً ، وكنت أحبُّ خلقَ الله إليه ، ثم لم يزل به جبهٌ إِيَّايَ حتَّى
 حَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحَسُّسُ الْجَارِيَّةُ ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجْمُوسَةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنُ النَّارِ^(١)
 الَّذِي يوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَحْبُوسَاعَةً ؛ قَالَ : وَكَانَ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَشَغِلَ فِي بَنِيَانِ
 لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ يَا بَنِي : إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ فِي بَنِيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا ،
 فَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يَرِيدُ ثُمَّ قَالَ : وَلَا تَحْتَسِسْ عَنِّي ، فَإِنَّكَ إِنِ احْتَسَسْتَ عَنِّي كُنْتُ
 أَمْرًا إِلَى مَنْ ضَيْعَتِي وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي ؛ قَالَ : فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ الَّتِي
 بَعْنَى إِلَيْهَا ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كُنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ،
 وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ بِحَسَبِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ
 دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبْتَنِي صِلَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ
 وَقُلْتُ : هَذَا وَاللهُ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاقَهُ مَا بَرَحْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ،
 وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي فَلَمْ أَتِهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ ،
 فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي وَقَدْ بَسَتْ فِي طَلْبِي ، وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ :
 أَيُّ بُنَى ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهِدْتُ ؟ قُلْتُ : يَا أَبَتِ ! مَرَرْتُ
 بِأَنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبْنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاقَهُ مَا زِلْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ
 حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، قَالَ : أَيُّ بُنَى ! لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ ، دِينُكَ وَدِينُ
 آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قُلْتُ لَهُ : كَلَّا وَاللهِ ! إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا ، قَالَ : تَخَافُنِي لِحُصْلِ
 فِي رَجُلٍ قَبْلًا ثُمَّ حَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، فَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَدِمَ
 عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ تَجَارَ فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ ، قَالَ : قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ رَكِبَ مِنَ الشَّامِ تَجَارَ
 مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ ، فَقُلْتُ : إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ

(١) الدِهْقَانُ رَئِيسُ الْإِسْلَامِ ، أَوْ مَقْدَمُ الْقَرْيَةِ أَوْ زَعِيمُ قَلَاعِ الْمَدِينَةِ (٢٤ — دِهْقَن)

(٢) قَطَنُ النَّارِ : خَادِمُهَا . (٣) فِي السِّيرَةِ ١ : ٢٢٩ : « لِحِيس » .

إلى بلادهم ، فأَذِنُونِي بِهِمْ ، فلما أرادوا الزجعة أخبروني بهم ، فالتقيت الحديد
من رجل ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمت قلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ
هذا الدين صلماً ؟ قالوا الأُسْقُفُ في الكِنيسة ، فجئتُه فقلت : إني رَغِبْتُ في هذا
الدين ، وأحببْتُ أن أكون مَعَكَ وأُحِلَّ مَعَكَ وَكِتَبَتَكَ ، وأتَمَلَّ مَعَكَ ، وأصِلَّ
مَعَكَ ، قال : أَدْخُلْ ، فَدْخَلْتُ مَعَهُ ، فكان رَجُلٌ سُوءٌ ، يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ
وَيُرْقِيهِمْ فِيهَا ، فإذا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئاً مِنْهَا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ ولم يُعْطِ الْمَساكِينَ ، حتى
جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ ، قال : وَأَبْضَعْتُ بَعْضاً شَدِيداً لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ،
ثم مَاتَ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سُوءٌ ، يَأْمُرُكُمْ
بِالصَّدَقَةِ وَيُرْقِيكُمْ فِيهَا ، فإذا جَمَعْتُمُوهُمُ اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ ، ولم يُعْطِ الْمَساكِينَ مِنْهَا
شَيْئاً ، فقالوا لِي : وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ ؟ قلت : إِنْ أَدَلَّكُمْ عَلَى كَتَرِهِ ، قالوا : فَدَلُّنَا
عَلَيْهِ ، فَأَرْيَهُمْ مَوْضِعَهُ ، فَاسْتَخْرَجُوا سَبْعَ قِلَالٍ مَلْمُوءَةٍ ذَهَباً وَوَرِقاً ، فلما رَأَوْهَا
قالوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفَنُهُ أَبَداً ، فَصَلَّيْوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، وجاءوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَعَمَلُوهُ
مِثْلَهُ . قال : يَقُولُ سَلْمَانُ : لَمَّا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يَصِلُ الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ،
وَأَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا إِرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا أَدَابَ لَيْلاً وَنَهَاراً مِنْهُ ، قال : فَأَحْبَبْتُهُ
حَباً لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئاً قَبْلَهُ ، فَأَمَلْتُ مَعَهُ زَمَاناً ، ثم حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ
إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حَباً لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئاً قَبْلَكَ ، وَقَعَدْتُ حَضْرَكَ مَا تَرَى مِنْ
أَمْرِ اللَّهِ ، فإِذَا مِنْ تَوَصُّي بِي وَبِمِ تَأْمُرُنِي ؟ قال : أَيُّ بَيْتٍ ، وَاهُ مَا أَهْلُ الْيَوْمِ
أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَبَدَلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ،
إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ ، وَهُوَ فُلَانُ ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَالْحَقُّ بِهِ . قال : فلما
مَاتَ وَغُيِّبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنْ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ
مَوْتِهِ أَنْ أَلْحِقَ بِكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ ، فقال لِي : أَقِمَّ عِنْدِي ، فَأَقَمْتُ عِنْدِهِ

- فوجدته خير رجل على أثر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له :
يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني بالقبول بك ، وقد حضر بك من أمر
الله ما ترى ، فإلى من توصي بي ويوم تأمرني ؟ قال : يا بُنَيَّ والله ما أعلم رجلا
على مثل ما تكلم عليه إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فإلحق به ، فلما مات وغُيِبَ
لَحِقْتُ بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبي ، فقال : أقم
عندى ، فألفت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فألفت مع خير رجل ، فوالله
ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى
بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ويوم تأمرني ؟
قال يا بُنَيَّ والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا ، فلما مات وغُيِبَ لَحِقْتُ بصاحب
عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندى ، فألفت عند خير رجل على هدى
أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل
به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى
فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى
بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ويوم تأمرني ؟ قال : يا بُنَيَّ والله ما أعلمه
أصبح أحد على مثل ما تكلم عليه من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلم زمان
نبي هو مبسوط يدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى
أرض بين حرتين بينهما نخيل ، به علامات لا تحصى ، يا كل الهديّة ولا يا كل
الصدقة ، بين كفتيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافصل ،
قال : ثم مات وغُيِبَ ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر
من كلب ثجار فقلت لهم ، املأوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتى هذه ،

٤٣
١٤

وَحَنِينِي هَذِهِ ، قَالُوا : نَعَمْ . وَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ ، حَتَّى [إِذَا] بَلَغُوا وَادِي
الْقَرْيَةِ ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عَنْدهُ ، وَرَأَيْتُ النَخْلَ ؛
وَرَجِيتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحِقِّقْ فِي نَفْسِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا
عِنْدَهُ ، إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَابْتَدَأَنِي مِنْهُ ، فَخَمَلَنِي
إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاقَهُ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَمَرَقْتُهَا بِصَفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا . وَبُسْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعَا أَنَا فِيهِ
مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاقَهُ إِنِّي لَقِي رَأْسَ مَلَقٍ لِسَيِّدِي أَهْمَلُ لَهُ
فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ يَحْتَجِي إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ
فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَبِيلَةٍ ^(١) ، لَأَنَّهُمْ وَاقَهُ الْآنَ كَجَمْعٍ بَقِيَاءَ ، عَلَى رَجُلٍ
قَدِيمٍ مِثْلِهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُهُ أَخَذْتَنِي الْعُرْوَاءُ ^(٢)
حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَاقِطٌ عَلَى سَيِّدِي ، فَزُلْتُ عَنْ النَخْلَةِ فَخَمَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ :
مَاذَا تَقُولُ ؟ فَغَضِبَ سَيِّدِي وَلَكِنِّي لَكَمَّةٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟ أَقِيلُ
عَمَلِي عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ لَا شَيْءَ إِنَّمَا أُرَدْتُ أَنْ أَسْتَبِيحَ عَمَّا قَالَ . قَالَ سَلَامًا : وَكَانَ
عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَسْبَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَقِيَاءَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ،
وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُوا حَاجَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَرَأَيْتُكُمْ
أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، قَالَ : فَفَزَبْتُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ! وَأَمْسَكَ يَدَهُ

(١) يريد الأوس والخزرج ؛ لأن قبيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج . وانظر سيرة ابن هشام

٢٣٢ : ١

(٢) بقاء ، بالضم : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاعص إلى مكة .

(٣) العرواء : الزبدة والانتفاض من الحلى والبرد .

(٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٣ : « أُنِي سَاقِطٌ » .

٢٠

- فلم يأكل . قال : قلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفْتُ عنه بجمعتُ شيئاً ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت : إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتُك بها ، قال : فأكل منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : قلت في نفسي : هاتان مئتان . قال : ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يبيع الفَرَقْدَ^(١) قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، على ثَمَلْتَانِ لِي ، وهو جالس في أصحابه ، فسألت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وُصف لي ، فلما رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدرته ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَنْتَيْتُ مِنْ شَيْءٍ وَصِفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَأَكْبَيْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلَهُ وَأَيْكَى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحول ! فحولتُ فبَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ .
- ثم شغل سلمان الرُّقَى حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُرٍّ وَأُحَدٌ . قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ ، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ مِائَةِ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، يَعْنِي الْآبَارَ الصَّغَارَ ، وَارْبَعِينَ أُوقِيَةً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أَهْبُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالْخَلِّ وَالرَّجُلُ ثَلَاثِينَ وَدِيَّةً^(٢) ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسِ عَشْرَةِ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَذْهَبَ يَا سَلْمَانَ تَفْقِرُ لَهَا ، فَإِذَا فَرِغْتَ فَأَتْنِي ، أَكُنْ أَنَا .

(١) ببيع الفرقد : مقبرة أهل المدينة .

(٢) الودى : صغار النخل وأحدها ودية .

(٣) فقرها : أى أخفها .

أضْمُهَا يَسْدَى . قال : فقُتِرَتْ ، وأَعَانِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ جِثَّتْ فَأَخْبَرْتُهُ ،
فَجَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِيَ إِلَيْهَا ، فَجَعَلْنَا نَقُوبُ إِلَيْهِ الْوَدَى ، وَيَضَعُهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ حَتَّى إِذَا فَرَعْنَا ^(١) ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ
مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً ، فَأَذِيْتُ النُّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا قِيلَ
الْفَارِسِيِّ الْمُكَاتَّبِ ؟ قَالَ : قَدْ عَيْتُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا لِي يَا سَلْمَانُ ،
قَالَ : وَقُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى ؟ قَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي
بِهَا عَنْكَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّبَهَا عَلَى لِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ :
خُذْهَا فَأَوْفِقْهُمْ مِنْهَا . قَالَ : فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهَا مِنْهَا — وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ —
أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً ، فَأَوْفَقْتُهُمْ حَقَّقَهُمْ مِنْهَا ، وَعَتَقَ سَلْمَانُ . فَتَشَدَّدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدَثِ قُرْأ ، ثُمَّ لَمْ يُفَتْنِي مَعَهُ مُشْهَدٌ .

٤٤
١٤

قال محمد بن إسحاق بسند رفعه إلى عمر بن عبد العزيز ، أنه قال : حَدَّثْتُ
عَنْ سَلْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَخْبَرَهُ : إِنْ صَاحِبُ
عُمُورِيَّةٍ قَالَ لِي : أَتَيْتَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَإِنْ بَا رَجُلًا بَيْنَ غَيْصَتَيْنِ ^(٢) يَخْرُجُ
فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْغَيْصَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَيْصَةِ يَعْطُرُهُ ذَوَا الْأَسْقَامِ ، فَلَا يَدْعُو
لَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا شَيْئًا ، فَأَسْأَلُهُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي تَبْتَغِي ، فَهُوَ يُبْرِكُ عَنْهُ ، قَالَ سَلْمَانُ :
فَجَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ حَيْثُ وَصَفَ لِي ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا بِمَرْضَاهُمْ هُنَاكَ ،

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٥ : « حتى فرغنا » .

(٢) قوله ابن هشام ١ : ٢٣٦ -

(٣) الغيبة : الشجر الملتف .

(٤) في الأصل : « من هذه الغيبة ستيجزا ذوا الأسقام » ، والمثبت من سيرة ابن هشام

حتى يخرج لهم تلك اللبلة مُستجيزاً من إحدى القِيَضَتَيْنِ إلى الأُخرى؛ فشبهه الناس
بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شُغِي ، وظُفِرَ عليه ، فلم أُخْلَصْ إليه حتى دَخَلَ
القِيَضَةُ التي يريد أن يدخل إلى منكِه^(١) ، قال : فتناوَلْتُهُ ، فقال : من هذا ؟ والتفت
إلي ، قلت يرحمك الله أُخِرَنِي عن الحَنَفِيَّةِ دين إبراهيم ، قال : إنك لتسألني عن
شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، وقد أظَلَّ زمانٌ نَجِيْعَتُ بهذا الدين من أهل
الحَرَمِ ، فآيَه ، فهو يَحْمِلُكَ عليه ، ثم دخل . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن كنت صدقني يا سَلْمَانُ ، لقد لقيت عيسى ابن مريم .^(٢)

وقد رُوي حديثُ إسلام سَلْمَانَ على غير هذا الوجه ، إلا أنه غير مُتَّافٍ له فيما
هو مختصُّ برسول الله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب
وإليه المرجع .

وأما مَنْ بَشَّرَ به عند مولده صلى الله عليه وسلم للقرآن التي كان يتوقع وقوعها
تدل على مولده ، فوقعت .

فمن ذلك ما رُوي أن يهودياً قال لعبد المطلب جدُّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا سيد البطحاء إن المولود الذي كُنْتُ حَدِّثُكُمْ عنه قد وُلِدَ البَارِحَةَ ، فقال
عبد المطلب : لقد وُلِدَ لي البَارِحَةَ غلام ، قال اليهودي : ما سَمِيَتْ ؟ قال : سَمِيَتْ
هَذَا ، قال اليهودي : هذه ثلاثُ يَشْهَدُنَ على نبوته ؛ إحداهن : أن نَجْمَهُ طَلَعَ البَارِحَةَ ،
والثانية : أن اسمه هَدَى ، والثالثة : أنه يُوَلَّدُ في صُبَايَةِ قَوْمِهِ ، وأنت يا عبد المطلب صبايتهم .^(٣)

(١) رواية ابن هشام ١ : ٢٣٦ ، والبدية ٢ : ٢١٤ : « إلا منكبه » . (٢) ابن هشام ١ :
٢٣٦ : « قلت » . (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٦ ، والبدية ٢ : ٣١٤ : « لئن صدقني » .
(٤) لم في هذا الحديث كلام نجهه في البداية لابن كثير ٢ : ٣١٤ . (٥) في الأصل :
« صبايتهم » ح صباية القوم : خالصتهم وغيارهم » . وهي حاشية أدخلت بالمتن فيما أظن .

ومنه ما روي أن حسان بن ثابت قال : والله إنني لملئ أطعمي^(١) فارع في الشجر
إذ سمعت صوتا لم أسمع قط صوتا أفعد منه ، وإذا هو صوت يهودي على أعلم من
أطام اليهود معه شُعلة نار ، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صراخه فقالوا : مالك
ويك ! قال حسان : فسمعت يقول : هذا كوكب أحمر قد طلع ، وهو كوكب
لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد ، قال حسان : فجعل الناس
يضحكون منه ويسجون لما أتى به ، قال : وكان أبو قيس أحد بني عدى بن
النجار قد ترقب وليس المسوح ، فقيل له يا أبا قيس ! أنظر ما قال هذا اليهودي !
قال : صدق وإن انتظار أحمد هو الذي صبح به ما صبح ، ولعل أن أدركه فأومن
به ، فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكة آمن به ، وقدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة وقد نالت السن من أبي قيس .

١٠

وقد أشرنا إلى خبر حسان هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم . والأخبار في هذا الباب كثيرة ، فلا نطول بسردها .

وأما من بشر به صلى الله عليه بعد مولده في حال طفولته وحداثته منه .

فمن ذلك خبر سيف بن ذي يزن ، وقصته مع عبد المطلب ؛ وكان من خبره
ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بدلائل
النبوة قال : أخبرنا أبو سهل محمد بن نصرويه بن أحمد المروزي بنيسابور ، قال :
حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري ، قال : حدثنا أبو يزن الحميري إبراهيم
ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن زوعدة بن سيف بن ذي يزن ، قال :

١٥

(١) الأطم : حنن بني بجارة ، أو كل بيت مرج سطح .

(٢) في خبر البشرى : « : « أقعدته » .

٢٠

(٣) في الأصل : « وإذا صوت يهودي » ، والمثبت من ابن علقم : « . »

- حدثني عمي أحمد بن حبيش بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي عُفَيْر ، قال :
حدثني أبي زُرْعَةَ بن سيف بن ذِي يَزَن ، قال : لما ظهر سيف بن ذِي يَزَن
على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين سنة وفود
العرب وأشرافها وشعراؤها لتبتهته ، وتذكُّر ما كان من بلائه وطلبه بنار قومه ،
وأناه وفد قريش ، منهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله
ابن جُدعان ، وأسد بن عبد المزي ، وهب بن عبد مناف ، وقصى بن عبد الدار ،
فدخل عليه آذنه وهو في قصر يقال له عُثْمَان ، والمُلك مُضْمَغُ البعير ، وعليه
برْدان أخضران ، مُرتد أحدهما مُتَرُّ بالآخر ، سيفه بين يديه ، وعن يمينه وشماله
الملك ، فأخبر بمكانهم فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فدنا منه عبد المطلب فاستأذنه
في الكلام ، فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك قصد أذناك ، فقال :
إن الله عز وجل أحلَّ أيها الملك محلا رفعا شائعا منيا ، وأنتك نبانا طابت
أرومتك ، وعظمت جُزئومتك ، وثبت أصلك ، وبسق فرجك ، في أطيب موضع
وأكرم معدن ، وأنت — أبيت اللعن — ملك العرب الذي عليه الاعتماد ،
ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن
يهلك ذكر من أنت خلقه ، ولن يجل ذكر من أنت سلفه ، نحن أهل حرم الله
وسدنة بيت الله ، اشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا ،
فنحن وفد التَّهَّة ، لا وفد المرزنة .

قال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم ،
قال : ابن أخينا ؟ قال : نعم ، قال : أدته ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :

(١) في دلائل النبوة البيهقي (ق ٩٥ ر) : « وان يجل من » .

(٢) في دلائل النبوة البيهقي : « الملك ومن » .

مرحبا وأهلا [وأرسلها مثلا] ، وكان أول من تكلم بها ، وناقاة ورحلا ،
ومستنخا سهلا ، وملكا وبجلا ، يُعطى عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقاتكم ،
وعرف قرابتكم ، وقيل وسيلتكم ، فإنكم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ،
والجلباء إذا ظعنتم ، ثم أنهبوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجريت عليهم الأتزال^(١) ،
فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، ثم اتقه لهم اتقاة
فأرسل إلى عبد المطلب فادناه ثم قال له : يا عبد المطلب ، إني مفيض إليك من سرتي
علي امرأ لو غيرك يكون لم أجد به ، ولكني رأيتك معديته ، فأطعك عليه ، فليكن
عندك غنيا^(٢) حتى يأخذ الله عز وجل فيه ، إني أجد في الكتاب المكتون ، والعلم
المحزون الذي آذنته لأنفسنا ، واحتجته دون غيرنا ، خيرا عظيما وخطرا جسيما ،
فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهلك كافة ، ولك خاصة ، فقال له
عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرور وبر ، فما هذا فذاك أهل البرزمرأ بعدؤمر ؟
قال : إذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزمامة ،
إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أبت بغير ما آت به الله وإفد
قوم ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه ، لسانته من بشارته إياي ما أزداد به
سرورا . قال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد ، اسمه محمد ، يموت أبوه
وأمه ، ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مرارا ، والله باعته جهارا ، وبأصل له منا

- (١) عن دلائل النبوة البيهقي . (٢) الرجل يكسر الزا ، ويقع الباء : الكثير السطاء .
(٣) الأتزال جمع نزل ، وهو قرى الضيف والإقامة . (٤) في دلائل النبوة البيهقي :
« أطلقه الله » . (٥) في دلائل النبوة البيهقي : « غنيا » . (٦) في الأصل :
« واحتجته » . والمنت من البداية : ١ : ٣٢٩ . (٧) في الأصل : « وأن يطل » تصحيف .
(٨) في دلائل النبوة البيهقي : « فاهو » . (٩) في البداية : ١ : ٣٢٩ : « غلام به
علامة ، بين كتفيه » . (١٠) في الأصل : « من سارته »

- أنصاراً يُعزِّبهم أوليائهم، ويُذل بهم أعداءهم، ويُضرب بهم الناس عن عرض،
 ويستفتح بهم كرائم الأرض، يُعبد الرحمن، ويُدحض أويذر الشيطان، وتُخذ
 النيران وتُكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه مثل، يأمر بالمعروف، ويفعله،
 وينهى عن المنكر ويُبطله. قال له عبد المطلب: عز جدك، ودام ملكك، وعلا
 كعبك، فهل الملك ساوئى بإفصاح؟ فقد أوضح لى بعض الإيضاح، قال له سيف
 [ابن ذى يزن^(١)]: والبيت ذى الحُجُب، والعلامات على التَّصَبُّ، إنك لجلسده
 يا عبد المطلب غير كذب، قال: نفر عبد المطلب ساجدا، فقال له سيف ارفع
 رأسك، طلع صدرك، وعلا كعبك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت؟ قال:
 نعم أيها الملك، إنه كان لى ابن وكنت به مُعجبا، وعليه رفيقا، وإنى زوجته كريمة
 من كرائم قومي أمانةً بَلَّتْ وَهَبَ بن عبد مناف، بغلامٍ وسميته محمدا، مات أبوه
 وأمه، وكفله أنا وعمه. قال له ابن ذى يزن: إن الذى قلت لك كما قلت، فاحتفظ
 بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، وأطو
 ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لست آمن أن تُدخلهم النَّفَاسَةَ،
 من أن تكون لكم الرياسة، فيصيبون لَه الحياثل، ويبيعون له الفوائل، وهم فاعلون^(٢)
 ذلك أو ابتلاؤهم من غير شك، ولولا أنى أعلم أن الموت محتاج قبل مَبْتَه، لمرت
 ١٥

٤٦
١٤

- (١) فى البداية ٢ : ٣٢٩ : « ويستفتح بهم » .
 (٢) عن دلائل النبوة للبيهق ، وفى البداية ١ : ٣٣٠ : « فقال ابن ذى يزن » .
 (٣) فى البداية ، ودلائل النبوة للبيهق : « على القعب » .
 (٤) فى البداية ١ : ٣٣٠ : « وعلا أمرك » .
 (٥) البداية : « كرائم قوم » . (٦) فى الأصل : « فاحفظ من ابنك » .
 (٧) فى الأصل : « دينون له » : تصحيف .
 (٨) فى الأصل : « وأبتاقم عن شك » .

بجَيْسِلَ وَرَجُلٍ حَتَّى أَجَىءَ بِثَرْبٍ دَارَ مُلْكِهِ ، فَإِنِ أَجَدَ فِي الْكَتَابِ النَّاطِقُ ، وَالْمَسْمُومُ
السَّابِقُ ، أَنِ بِثَرْبٍ اسْتَحْكَمَ أَمْرُهُ ، وَأَهْلُ نُصْرَتِهِ ، وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ ، وَلَوْ لَا أُنِيَ أَفِيهِ
الْآفَاتُ ، وَأَحْذَرُ عَلَيْهِ السَّاهَاتُ ، لِأَعْلِيَتْ عَلَى — حَدَاثَةِ سَنَةِ — أَمْرِهِ ، وَلَأَوْطَأَتْ عَلَى
أَسْنَانِ الْعَرَبِ كَتَبِهِ ، وَلَكِنْ سَاصَرَفُ ذَلِكَ إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ مِنْ مَعَكَ ، ثُمَّ دَهَا
بِالْقَوْمِ ، وَأَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِعَشْرَةِ أَعْيُدٍ سَوْدَ ، وَعَشْرِ إِمَاءٍ سَوْدَ ، وَحَلَّتَيْنِ مِنْ
حُلِّ الْبُرُودِ ، وَخَمْسَةِ أَرْطَالٍ ذَهَبٍ ، وَعَشْرَةِ أَرْطَالٍ فِضَّةٍ ، وَدَائِمَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَكَرْشٍ
مَمْلُوءٍ عَنَبًا ، وَلَعَبْدٍ الْمَطْلَبِ بِعَشْرَةِ أَضْعَافِ ذَلِكَ ، وَقَالَ [لَهُ ^(١٣)] : إِذَا حَالَ الْحَوْلُ
فَاتَّقِ بِخَبْرِهِ ، قَالَ : فَهَاتِ سَيْفَ بَنِي ذِي يَزْنَ قَبْلَ أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ، وَكَانَتْ
جَبْدُ الْمَطْلَبِ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لَا يَنْطِقُنِي رَجُلٌ مَتَكِّمْ بِمِزِيلِ عَطَاءِ
الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَثُرَ ، فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ ، وَلَكِنْ يَنْطِقُنِي بِمَا يَبْقَى لِي وَلَقَبِي ذِكْرَهُ وَنَفْرَهُ ،
فَإِذَا قِيلَ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : سَيَعْلَمُ مَا أَقُولُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا عَنْ الْكَلْبِيِّ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَمِنْ ذَلِكَ رُؤْيَا رَقِيقَةَ بِنْتُ أَبِي صَيْفَى وَفَصْلَةَ اسْتِسْقَاءِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ
وَكَانَ مِنْ خَبَرِهَا مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدٍ عَنْ
عُثْمَانَ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أُمِّهِ رَقِيقَةَ بِنْتُ أَبِي صَيْفَى بْنِ هَاشِمٍ ، وَكَانَتْ لِدَّةَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ،
قَالَتْ : تَنَابَسْتُ عَلَى قُرَيْشٍ سَنُونَ أَجْلَلْتُ الضَّرْعَ ، وَأَرْقَتِ الْعِظْمَ ، قَالَتْ :
(١٤)

(١) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ الْبَيْهَقِيُّ : « حَتَّى أَصِيرَ بِثَرْبٍ دَارَ مُلْكِي » . وَفِي الْأَصْلِ : « حَتَّى أَجَىءَ ثَرْبٍ » .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ ١ : ٣٣٠ : « وَلَأَوْطَأَتْ أَسْنَانُ الْعَرَبِ كَتَبَهُ » .

(٣) عَنِ الْبَدَايَةِ ١ : ٣٣٠ . (٤) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ (رَقَّة ٩٧ و) .

(٥) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ : « أَجْلَلْتُ الْجِلْدَ » . (٦) فِي الْأَصْلِ : « الْعِظْمُ فَيْتَا » .

- فبينما أنا نائمة اللهم أو مَهْومَة إذا هاتَفُ يصرخ بصوتٍ صَحِيلٍ صَبِيٍّ يقول : مشر
قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلمكم أيامه ، وهذا إبان نجومه ، وفي رواية
عنها : مبعوث منكم ، وهذا إبان تخرجه بجيلاً بالخير والخصب ، وفي رواية بالحيا
والخصب ، ألا فانظروا وجلا منكم وسيطاً عظيماً جُساماً أبيض بَضاً ، أو طَفَ
الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العينين ، له نَفَرٌ يكفلُ عليه ، وسنة تهدي إليه ،
ألا فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجلٌ فليشئوا من الماء ، وليمسوا
من الطيب ، ثم ليستلموا الركن . وفي رواية وليطوفوا بالبيت مسجعا ، ثم ليرتقوا
أبا قُيَيسٍ فليستسقى الرجل ، وليؤمِّن القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته ،
ألا يُعَيِّم شتم وعشتم] ، قالت : فأصبحتُ — عِلِمُ الله — مذعورة قد اقتُسر جلدِي ،
وربِّه عَظِيٌّ ، واقصصتُ رؤياي ، فوالحرمة والحرم ما بي أبطعُ إلا قال : هذا شَيْبَة
الحمد ، هذا شَيْبَة ، وتأتيت إليه رجالات قُريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل ،
فشئوا وطبَّبوا ، واستلموا وطاقوا ، ثم ارتقوا أبا قُيَيسٍ ، وطفقوا جنايَه ما يبلغ
سَمْعِهِمْ مَهَلَةً ، حتى إذا استوى بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم غلام قد أبقِعَ أو كَرَّبَ ، فقال عبد المطلب : اللهم سادَّ الحلة ،
وكاشف الكربة ، أنت مُعَلِّمٌ ، وفي رواية عالم غير مُعَلِّمٍ ومستول غير مُبْتَخَلٍ ، وهذه
عبد أؤك وإماؤك عذرات حرمك يتكُونُ إليك ستتهن أذهبت الخُفَّ والظلف ، اللهم
فامطرن عَيْنًا مُغْدِقًا مَرِيحًا ، فوالكهبة ما رأوها حتى تقجرت السماء بامائها ، واكتض
(١) في دلائل النبوة : « وليلدت إليه » . (٢) الشن : الصب المتقطع . وفي رواية البيهقي أيضا :
« فليشربوا من الماء » . (٣) من دلائل النبوة البيهقي ورقة ٩٦ ظ . (٤) في الأصل :
« الحمد وتناقت » . (٥) في الأصل : « فشتوا ومشوا » . (٦) في الأصل :
« بعد حرمك » ، والمختب عن البيهقي . (٧) في دلائل النبوة البيهقي : « منهم التي قد أظلمت »
(٨) كذا في الأصل ، وفي نسخة دلائل النبوة البيهقي ورقة ٩٦ ظ : « وكنت » .

الوادى بَحِيحِهِ ، فَسَمِعْتُ شَيْخَانِ قَرِيشٍ وَجَّهَتْهُمَا : عَبْدَ اِهْ بْنِ جُدْعَانَ ، وَحَرْبَ ابْنِ اَمِيَّةٍ ، وَهَشَامَ بْنِ الْمُثِيرَةِ ، يَقُولُونَ لِعَبْدِ الْمُطَلَبِ : هَيْتَا لَكَ اَبَا الْبَطْحَاءِ اِىْ عَاشَ بِكَ اَهْلُ الْبَطْحَاءِ ، وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ رُقِيَّةُ :

بَشِيَّةُ الْحَمِيدِ اَسْقَى اِلَهَ بِلَدَتِنَا * لَمَّا فَقدْنَا الْحَيَا وَاجْلُودَ الْمَطَرُ
بِحَادٍ بِالْمَاءِ جَوْنُ لَه سَيْل * دَانٍ فَعَاشَتْ بِهِ الْاَنْعَامُ وَالشَّجَرُ
مَتَا مِنْ اِلَهٍ بِالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ * وَخَيْرٍ مِنْ بَثْرَتِ يَوْمَا بِهِ مُضَرُ
مِبَارَكَ الْاَمْرِ يُسْتَسْقَى الْقَهْمُ بِهِ * مَا فِى الْاَنْعَامِ لَه عَيْلٌ وَلَا خَطَرُ

وَأَمَّا مَنْ بَثَرَ بِهِ صَلَّى اِلَهٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِيلَ مَبْعَثِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ خَبَرُ الْيَهُودِيِّ الَّذِى هُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ . وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ أَحَدُ بَنِي الْحُسَيْنِ الْيَشْقِى بِسِتْدِهِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ ، قَالَ : كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا يَهُودِيٍّ ، فَخَرَجَ عَلَى نَادِي قَوْمِهِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَذَكَرَ الْبَيْعَتَ وَالْقِيَامَةَ وَالنَّارَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ ، فَقَالَ ذَلِكَ لِأَعْصَابٍ وَثَنٍ لَا يُرَوْنَ أَتَى بِمَتَا كَلَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اِلَهٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : وَيْحَكَ يَا فُلَانُ ، وَهَذَا كَلَّتْ ؟ إِنْ النَّاسَ يَبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ ، يُحْزَنُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ ، لَوِ دِدْتُ أَنْ حَقَّقْتُ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَنْ تُوقِدُوا أَعْظَمَ تَنْوِيرٍ دَارَكُمْ فَتَجْعَلُونَهُ ، ثُمَّ تَقْدِفُونَنِي فِيهِ ، ثُمَّ تُطْلِقُونَا عَلَى ، وَأَتَى أَنْجُوَ مِنَ النَّارِ غَدَاةً فَقِيلَ لَهُ يَا فُلَانُ ، فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَاحِيَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَيْخَانِ مِنْ » ، رَأَيْتُ مِنْ الْبَيْقِ (دُرَّةُ ٩٦ ط) .

(٢) رَوَاةُ الْبَيْقِ (ق ٩٧ و) : « وَقد فَقَدْنَا » .

(٣) رَوَاةُ الْبَيْقِ : « بِهِ الْأَمَارُ » .

(٤) رَوَاةُ الْبَيْقِ : « سَيْلٌ مِنْ » .

وإيمن . قالوا : فتي تراه ؟ فرمى بطرفه ، فرأى وأنا مضطجع بفناء باب أهلي ، وأنا أحدث القوم [فقال] : إن يستفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لحى بين أظهرهم قائماً به وصديقناه ، وكفر به بغيا وحسداً ، فقلنا له : يا فلان ، ألسنت الذى قلت ما قلت وأخبرتنا ؟ فقال : بلى . ولكن لا أؤمن به .

ومنه خبر إسلام أسيد وثعلبة ابني سمعة وراشد بن عبيد .

روى البيهقي رحمه الله عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة ، قال : هل تدرون عم كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سمعة ، وأسد بن عبيد ، قهر من بني هذيل لم يكونوا من بني قريظة ، ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا .

قال : فإنه قديم علينا رجل من الشام يقال ابن الهيثبان ، وكنته أبو شمير ، كذا ذكره الواقدي ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قط لأوصل الخنسن خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، نكحاً إذا أحبطنا وقل علينا المعطر تقول : يا ابن الهيثبان ، اخرج فاستسقي لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تقدموا أماماً نخرجكم صدقة ، فتقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مدين من شعير

(١) أسيد بفتح الحزة وكسر الهمزة كافى الروض الأنف .

(٢) روى حديث إسلامهما ابن هشام في السيرة ١ : ٢٢٦ بالسند نفسه ، وابن كثير في البداية ٢ : ٣٠٩ وانظر غير البشر ص ٣٥ وما بعدها .

(٣) في الأصل : « وراشد بن عبيد » تصحيف . والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٤) هذيل بفتح الهاء والهمزة أيضاً ، وقيل يسكون الهاء . انظر السيرة الحلبية ١ : ١٨٥ .

(٥) في تاريخ الطبري : « وهم قهر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسهم فوق ذلك ، هم بنوهم القوم » . وفي سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ « هذيل إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساعدهم في الإسلام » .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٥ : « صاعاً من تمر » .

فُخْرِجَهُ ، ثُمَّ يُخْرِجُ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ ، فَيَسْتَقِي ، فَوَاللَّهِ مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ
 حَتَّى يَمُوتَ السَّحَابُ ؛ قَدْ قَبِلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ ، وَلَا ثَلَاثَةً ، فَخَضِرَتْهُ الْوَفَاةُ ،
 وَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، مَا تَرَوْنَهُ أُخْرِجَنِي مِنْ أَرْضِ الْحَمْرِ وَالْخَمْرِ إِلَى أَرْضِ
 الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ ؟ قَالُوا : أَنْتَ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَنِي [أَنْ] أَتَوَقَّعَ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ
 أَظْلَمَ زَمَانُهُ ، هَذِهِ الْبِلَادُ مُهَاجِرَةٌ ، [وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَبْعَثَ] فَأَتَيْتُهُ ، [وَقَدْ أَظْلَمَ
 زَمَانُهُ] فَلَا تُسَبِّقُنِّي إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ السَّمَاءِ ، وَسَيُ
 الدَّرَارِي وَالنِّسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَلَا يَنْصَحُكَ ذَلِكَ مِنْهُ ، ثُمَّ مَاتَ ؛ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ
 الَّتِي قُتِصَتْ فِيهَا قَرْيَةُ قَالَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ الْفَتَنَةَ ، وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَانًا : يَا مَعْشَرَ
 يَهُودَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَبِيِّ الَّذِي ذَكَرْ لَكُمْ ابْنُ الْهَيْثَانَ ، فَقَالُوا : مَا هُوَ ، قَالُوا : بِلِ
 وَاللَّهِ ! إِنَّمَا لَصِيفَتُهُ ، ثُمَّ نَزَلُوا فَاسْتَوُوا ، وَخَلَّوْا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ ، فَلَمَّا
 فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ الْحِصْنَ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

٤٨
١٤

وَمِنْهُ مَا رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا ، قَالَ : نَخْرَجُ إِلَى الْيَمَنِ فِي تِجَارَةٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 فَتَرَلْتُ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْأَزْدِ عَالِمٍ ، قَدْ قَرَأَ الْكِتَابَ وَحَوَّى عَالِمًا كَثِيرًا ، وَأَتَى عَلَيْهِ مِنْ

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ، وَالسِّيَرَةِ الْخَلِيفَةِ : « فَخْرِجَهَا ثُمَّ يُخْرِجُ بِنَا ... فَيَسْتَقِي »

(٢) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ، وَالسِّيَرَةِ الْخَلِيفَةِ : « حَتَّى يَمُوتَ السَّحَابُ ، وَنَسَقِي » .

(٣) فِي السِّيَرَةِ الْخَلِيفَةِ ١ : ١٨٥ : « مِنْ أَهْلِ الْحَمْرِ » ، بِالنَّصَرِيَّةِ ، وَبِاسْتِكَانِ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ الشَّجَرُ الْمَلْفُ .

(٤) عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٢٧ .

(٥) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٢٨ : « وَاقَّةٌ لَهُ لَوْ بَصِفَتْ » .

(٦) انْقِلَابُ خَيْرِ الْبَشَرِ لَابْنِ تَقْرِصٍ ٥٨ — ٥٩ ، وَالسِّيَرَةِ الْخَلِيفَةِ ١ : ٢٧٤ .

(٧) رِوَايَةُ ابْنِ تَقْرِصٍ ٥٨ . « مَا أَنَا قَالٌ » .

السن ثلاثمائة وتسعون سنة، فلما تأملنى قال: أحسبك تيمياً قفقت: نعم، أنا من تيم^(١)
ابن مرة^(٢)؟ أنا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة،
قال: بقيت لى فيك واحدة، قلت: ماهى؟ قال: اكشف لى عن بطنك، قلت:
لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك، فقال: إنى لأجد فى العلم الصريح الصادق أن تيباً
يُبْعَثَ بالحرم يساويه على أمره قتي وكهل، فاما القتي نفواض غمرات، وكشاف
مُعْضَلَات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى خفيه اليسرى
علامة، ولا عليك أن تريبنى ماخفى على^(٣)؛ قال أبو بكر رضى الله عنه: فكشفت
له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتى، فقال: هو أنت ورب الكعبة،
وإنى متقدم إليك فى أمر فاحذره، قلت: وما هو؟ قال إياك والميل عن الهدى
وتمسك بالطريقة المثل، وخيف الله عز وجل فبأعطاك وخولك.

قال أبو بكر رضى الله عنه: ففضيت باليمن أرانى، ثم أتيت الشيخ لأودعه،
فقال: أحامل أنت منى أنباء إلى ذلك النبي؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول:

(١) ابن حجر: «من السن ثلاثة وتسعون».

(٢) فى خير البشر لابن حجر: «أحسبك حرمياً» فقال أبو بكر: قفقت، وفى السيرة الحلبية

١٥ • ٢٧٥: «أحسبك حرمياً، أحسبك قرشياً، أحسبك تيمياً» وانظر الزرقانى ١: ٢٤٠.

(٣) فى خير البشر: «بن سعد».

(٤) فى الأصل: «قفت»، تصحيف - والتصويب عن خير البشر، والسيرة الحلبية ١: ٢٧٥.

(٥) فى خير البشر: «فلا عليك».

(٦) فى خير البشر والسيرة الحلبية ١: ٢٧٥ وشرح المواهب ١: ٢٤٠: «أنت هو».

٢٠ (٧) كذا فى السيرة الحلبية ١: ٢٧٥، ورواية ابن حجر فى خير البشر: «الشيخ أودعه».

(٨) فى خير البشر، وشرح المواهب ١: ٢٤٠: «أحامل أنت منى أبحاثاً إلى ذلك النبي،

قفقت»، وفى السيرة الحلبية: «أحافظ حتى أبحاثاً فى الشر فقلت فى ذلك النبي، قلت نعم».

ألم تر آتى قد سمعت معاشرى • ونفسي وقد أصبحت في الحى راها^(١)
حيث وفي الأيام للسوء صبرة • ثلاث مئين ثم تسعين آينا^(٢)
وصاحبت أجبارة أناروا بعليهم • غيايب جهل ما ترى فيه طائنا^(٣)
وكم راهب فوق عنشيل قائم^(٤) • لقيت وما غادرت في البحث كاها
وكلهم لما تمطشت قال لي • بأن نيبا سوف تلقاه دائنا^(٥)
بمكة والأوثان فيها عزيرة • فيركبها حتى تراها مصراينا^(٦)
فما زلت أدموا في كل حاضر • حلفت به يرا وجهرا معالنا
وقد نهدت منى شرارة قوتي • وألفيت شيئا لا أطيع الشواجنا
وأنت ورب البيت تلقى محمدا • بعامك هذا قد أقام البراهنا
لحقى رسول الله حتى فاني • على دينه أحيأ وإن كنت واهنا^(٧)
فباليقي أدرهكته في شيبتي • فكنت له عبدا وإلا العباينا^(٨)
عليه سلام الله ما ذر شارقي • تألق هفا من النور هافنا^(٩)

- (١) في خير البشر ٦٢ : « الزامن : المقم الثابت » . (٢) رواية ابن ظفر
« ثلاث مئين ثم تسعين » . (٣) في مخطوط خير البشر ١٤ ط : « وصانيت » .
(٤) الطائين : المعارف بالثى . (٥) كذا في الأصل .
(٦) في مخطوطه خير البشر : « كانا » .
(٧) في الأصل : « ... والأوثان منها ... كراها » .
(٨) الشواجن : الطرق المتداخلة المتخالفة ؛ أى لا أطيع السير في هذه الأرض ، عن ابن ظفر .
(٩) الواهن : الضعيف . (١٠) السباهن : الخدام .
(١١) كذا . وفي خير البشر ٦٢ : « وقوله : هافنا هو الضعيف » . ولم أجد في معاجم اللغة
ما يزيد ، ولعلها : « آتنا » .

فمن ذلك ما روي أن صفية بنت جُحَيٍّ بن أخطب قالت : كنت أحب الناس إلى أبي ، وكان عمي أشدَّ حبا لي ، فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم بقاء ، ثم رجعا من عنده ثقلين لا يلتفتان نحوي ، ولا ينظران إلي ، فسمعتُ عمي يقول لأبي : هل تعرفه ؟ قال : نعم . قال فإذا عندك فيه ؟ قال : صدأته إلى آخر الدهر ، قال عمي لأبي : أُنشدك الله أن تطيعني يا بني في هذا ، ثم أعصني فيما سواه ، فلم تبعه ، فقال أبي : لا ، والله لا أراك له صدوا ، فقال عمي : إنك تُهلكنا ، وتهلك نفسك ، إن هذا نبي السيف ، وجعل عمي يكلِّمه وهو يأي إلا كلامه الأول ، قالت صفية : فلما كان الليل ، وجدت نسوة من بني النضير جالسات يقطن : والله ما أحسن حُيَّ ابن أخطب بخلاف أخيه ، إنا لنعلم أن هذا نبي مذكور في الكتب ، وقالت تجوز منه ؟ سمعتُ أبي يقول لإخوتي : إن نيا من العرب يقال له أحمد ، مولده بمكة ، ودار هجرته يثرب ، وهو خير الأنبياء ، فإن نرج وأتم أحياء ، فاتبعوه ، قالت صفية : وإذا من كلهن يُرين علي أبي ، ويتعتبن طبعه فله .

ومنه ما قاله كعب بن عمرو لبني قريظة عند حصارهم . وسنذكر ذلك إن شاء الله في الفزوات ، وقد تقدّم خبر بغيره ، ونسْطور ، فلا فائدة في إعادته هنا .

وأما من أظهر مُخفا كانت عنده فيها صريح ذكره صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما روي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة ورثها عن أبيه عن جدّه ، وذكر أن سلفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر ، فإذا فيها : « اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين في تبيار ، هذا ذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يأترون على أوساطهم ، وينسلون أطرافهم ، ويخوضون البحر إلى أمدانهم ، فيهم صلاة

لو كانت في قوم نوح ما هلكوا في الطوفان ؛ أو في عمود ما أهلكوا بالصيحة » .
قال : فقرأت الورقة على الناس ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظها .

- ومنه ما روى أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه نزل بالبلخ إلى جانب دير ،
فأناه قِيمَ الدير فقال يا أمير المؤمنين : إني ورثت عن آبائي كتاباً قديماً كتبه أصحاب
المسيح عليه السلام ، فإن شئتَ قرأته عليك ، قال : نعم ، هات كتابك ، فجاء بكتاب
فإذا فيه : الحمد لله الذى قضى ما قضى ، وسطر ما سطر ، إنه باعث في الأميين
رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويُلِّمهم على سبيل الجنة ، لا قَطُّ ولا غَلِيظ ،
ولا خَصَاب في الأسواق ، ولا يَمْزِي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته
الْمُحْسِنُونَ لله في كل هُبوط ونَشْرٍ وُصُود ، تَذَلُّ ألسنتهم بالكبير والتَّهْلِيل ، يُنْصَر
دينهم على كل من تأواه .

- ومنه ما روى أن أبا ذؤيب الزاهد قال : دخلت في سباحتي ديراً فقلت
للراهب القِيم عليه : أَعِنْدَكَ فائدة ؟ قال : نعم . لك يا عَرَبِيّ ، قلت : هاتها !
قال : فأخرج لي ورقة فيها أربعة أسطر ، فذكر أنها من الكتب المنزلة ؛
ففي السطر الأول منها : يقول الجبار تبارك وتعالى : أنا الله لا إله إلا أنا وحْدَى
لا شريك لي ؛ والسطر الثاني : محمد المختار عبدي ورسولي ؛ والسطر الثالث :
أمته الحمادون ، أمته الحمادون ، أمته الحمادون ، والسطر الرابع : رعاة الشمس ،
رعاة الشمس ، رعاة الشمس .

وأما من أظهر تَمَثُّل صورته صلى الله عليه وسلم وصور بعض أصحابه رضى الله
 عنهم ، وذلك مصوّر عندهم في بيوت في بيوتهم .

٥٠
١٤

فمن ذلك ما روى عن دحية بن خليفة الكلبي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر أنه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدمشق ، فأدخلت عليه خاليا ، فناولته الكتاب فقبل خاتمه وقبضه وقرأه ، ثم وضعه على وسادة أمامه ، ثم دعا بطارقه وزعماء دينه فقام فيهم على وسائد بُنيت له ، ثم خطبهم فقال : هذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح ، وأخبر أنه من ولد إسماعيل ، قال : فتخروا نخرة عظيمة ، وحاصبوا فأوى إليهم بيده أن اسكنوا ، ثم قال : إنما جئكم لأرى غضبك لدينكم ، ونصركم له ، وصرهفهم ، ثم استدعاني من الدد فأخلفني ، وأتسنى بحديثه ، وأدخلني بيتا عظيما فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم فقال : انظر من صاحبك من هؤلاء ، فنظرت فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم كأنما ينطق ، فقلت : هو هذا ، فقال : صدقت ، ثم أراني صورة عن يمينه فقال : من هذا ؟ قلت : هذه صورة رجل من قومه اسمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره ، فقلت : هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر رضي الله عنه ، فقال : إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يوم الله أمره . قال دحية : فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ، قال : صدق ، بأبي بكر وعمر يوم الله هذا الأمر بعدى . والله الموفق .

ومنه ما روى عن حكيم بن حزام قال : دخلت الشام للتجارة قبل أن أسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأرسل قيصر إلينا ، فبغثناه ومعنا أمية بن

(١) في الأصل : « وصره » . (٢) في الأصل : « صلى الله عليه » . (٣) حديث حكيم هذا مررى في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « الشام لتجارة » . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « فأرسل إلينا ملك الروم » .

- أَبِ الصَّلْتِ التَّقَى ، فقال : من أى العرب أتم ؟ وما قرأتكم من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال حكيم : قلت أنا ابن عمه ، بمعنى وإياه الأب الخامس ، فقال : هل أتم صادقى فيما أُرِيكوه وأسالكم عنه ؟ قلنا : نعم ، نصدّقك أيها الملك ، فقال : أتم من أتبعه أو من ردّ عليه ؟ قلنا : ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه ، ولكنا نصدّقك مع هذا ، قال : أحلفوا لى بألھكم لتصدّقننى فى جميع ما أسالكم .
- ٨ . صه وأخبر صه عليكم ، خلفنا له وأعطيناه من الموائيق ما أرضاه ، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بها ، ثم نهض واستمضنا معه ، فاتى كنيسة فى قصره ، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه ، وجاء إلى سترٍ وأمر بكشفه فإذا صورة رجل ، قال : أتعرفون من هذه صورته ؟ قلنا : لا . قال :
- ٩ . هذه صورة آدم ، ثم تَبَعَ أبواباً يفتحها ويكشف عن صور الأنبياء واحدا بعد واحد ، ويقول : هذا صاحبكم ؟ فنقول : لا . حتى فتح باباً وكشف لنا سقرا عن صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، هذه صورة صاحبنا ، فقال : أتدرون منذ كم صُورْت ؟ قلنا : لا . قال : منذ أكثر من ألف سنة ، فإن صاحبكم نبي مرسل فأتبعوه ، ولوددت أنى عنده فأشرب ما يزيل من قدميه .
- ١٠ . وقد ورد فى الصحيحين خبرٌ قصّر مع أبى سفيان لما سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « أما هذا صاحبكم » .

(٢) فى السيرة الحلبية : « وإن صاحبكم لنبى » .

(٣) فى الأصل : « قدمه » .

(٤) صحيح البخارى ١ : ٤٠٨ : ٤٥٠ .

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم^(١) أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم : خرجتُ تاجرا إلى الشام ، فأرسل إلى عظيم الأساقفة فأتيته فقال : هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة ، يزعم أنه نبي ؟ قلت هو ابن عمي ، فأخذ يسدي وأدخلني بيتا فيه تماثيل وقال : انظر ترى صورته هنا ؟ فنظرتُ فلم أَر شيئا فأخرجني من ذلك البيت ، وأدخلني بيتا أكبر منه فيه مثلها ، وقال : انظر هل تراه هنا ، فنظرتُ فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة أبي بكر وهو آخذ بقبب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة عمر وهو آخذ بقبب أبي بكر ، فقال : هل رأيته ؟ قلت : نعم هوذا ، قال : أتعرف الذي أخذ بقببه ؟ قلت : نعم ، هو ابن أبي حنيفة ، قال : وهل تعرف الذي هو آخذ بقببه ؟ قلت : نعم ، هذا عمر بن الخطاب ابن عُمّ ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، وأن هذا هو الخليفة من بعده ، وأن هذا هو الخليفة من بعده هذا .

وهذا باب متسع لو استقصيناه لعلال ، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لا نبسط هذه السيرة ، ونخرجت عن حد الاختصار ، وفيما أوردناه كفاية .
فلنذكر بشارت كُهان العرب والله أعلم .

وأما من بشارته صلى الله عليه وسلم من كُهان العرب فقد قدمنا في الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني من كتابنا هذا أخبار الكهنة ، وذكرنا طرقا من إخبارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما تستثنيه في هذا الموضع ، ونذكر ما صداه ، ولا يشترط الاستيعاب لتعذرهُ ، ولا إثباتُ جميع ما وقفنا عليه أيضا من ذلك لأنه يُوجب البسط والإطالة ، بل نذكر من ذلك ما وقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية ، وإن كانت نبوة نبيتنا صلى الله عليه وسلم أظهر

(١) نقله في السيرة الحلية مختصرا ١ : ١٨٦ .

وأشهر وأقطع من أن يحتاج فيها إلى ذكر ما ذكرناه ، وما نذكره ، وإنما نُورد ما أوردناه ليقف عليه من لم يتبع أحواله صلى الله عليه وسلم ، ولا طالع سيره ، وليعلم أن امره صلى الله عليه وسلم لم يَفْجأ الناس ، بل جاءهم على بَيِّنَةٍ واستبصار ، وآثار وأخبار ، ومعجزات ظهرت ، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

• فَبِإِشَارَةِ الْكُتَّانِ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ وَأَوَّلِ سَطِيطٍ وَشَقَّ لَهَا .

قال محمد بن إسحاق بن يسار ^(١١) المَطْلَبِيُّ : كان رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرٍ مَلِكَ الْبَلَدِ بْنِ أَضْغَافٍ مَلُوكِ التَّنَابُضَةِ ، فَرَأَى رُؤْيَا هَائِلَةً [وَقَطَعَ بِهَا] ، فَلَمْ يَدَعْ كَاهِنًا وَلَا سَاحِرًا وَلَا [عَاقِبًا وَلَا] مُنْجِيًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَائِلَتِي وَفَطَمْتُ بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَبَتَاوِيلِهَا ، قَالُوا لَهُ : اقْصُصْهَا عَلَيْنَا فَخَبَّرَكَ بِتَاوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبَرِكُمْ مِنْ تَاوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَحْفَرُ تَاوِيلُهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيطٍ وَشَقَّ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَهْلُ مِنْهُمَا ، فَانْهَمَا يُخْبِرَانِهِ بِمَا مَالَ عَتَهُ .

قال ابن هشام : واسم سَطِيطٍ : رَبِيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ بَازَنْ بْنِ ذَيْبِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ مَازَنْ بْنِ غَسَّانٍ . وَشَقَّ بْنُ صَعْبٍ بْنُ يَشْكُرٍ بْنُ رُحْمٍ بْنُ أَرْكَفَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَجْفَرٍ بْنِ ثَمَارٍ بْنِ نَزَارٍ .

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١٥ : ١ ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٨٦ . (٢) زيادة عن ابن هشام ١٥ : ١ ، وقطع بالأمر : اشتد عليه . (٣) يذكر عن وهب ابن منبه أنه قال لسَطِيطٍ أَنَّ لَكَ هَذَا الْعِلْمُ ، فَقَالَ : لِي صَاحِبٌ مِنَ الْبَلَدِ اسْتَمَعَ إِلَى أَخْبَارِ السَّيِّئِ مِنْ طُورِ سَيْئَةٍ مِثْنِ كَلِمَةِ اللَّهِ مُوسَى . فَهُوَ يَزِيدُ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ مَا يَزِيدُهُ . انظر الروض الأنف ١٨ : ١ . (٤) في المعبرين ص ٥ — ٢ . (٥) في الأصل : « من حسان » والمثبت عن سيرة ابن هشام ١٦ : ١ .

قال ابن إسحاق :

- فَبَعَثَ إِلَيْهَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيعٌ قَبْلَ شِقْ ، فَسَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ
رَوْيَا هَالِكِي وَفَطِمَةَ بِنَا فَأَخْبِرْنِي بِهِمَا ، فَإِنَّكَ إِنْ قَضَيْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا ، قَالَ : أَفْضَلُ ؛
رَأَيْتُ حُمَةَ ، خَرَجْتُ مِنْ طُلُوسَ ، فَوَقَعْتُ بِأَرْضِ تَهْمَةَ ، فَأَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ
جَحْجَمَةٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيعُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟
قَالَ : أَلْحَقْتُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ حَشٍّ ، لَتَهْوُنَ أَرْضُكُمْ الْحَبَشَ ، فَلَيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ
أَبِينِ إِلَى جُرَشَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : وَأَبِيكَ يَا سَطِيعُ إِنْ هَذَا لَنَا لِفَائِظٌ مُوجِعٌ ، فَتَى هُوَ
كَأَنَّ : أَيْ زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ ، أَكْثَرَ مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ،
يَمْضِينَ مِنَ السِّنِينَ ، قَالَ : أَقِيدُومَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ يَنْقَطِعُ
لِبَضْعِ سَبْعِينَ مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ وَيُخْرَجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ ، قَالَ : وَمَنْ عَلَى ذَلِكَ
مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِسْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : إِلَيْهِ إِزْمُ ذِي يَزْنَ ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرُكُ
مِنْهُمْ أَحَدًا بَالِينَ ، قَالَ : أَقِيدُومَ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ ،
قَالَ : وَمَنْ يَنْقَطِعُهُ ؟ قَالَ : نَجِي زَكِي ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعِلِّ ، قَالَ : وَمَنْ لِمَا
النَّبِيِّ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ
إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آتَرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامَ : ١٦ : « فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ أَصَبْتَ » . (٢) الْحَمَةُ : قَلْبَةُ

مِنْ نَارٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : « جَحْجَمَةُ » . تَصَوُّفٌ . (٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامَ : ١٦ : « بِأَرْضِ

تَهْمَةَ » . وَالْتِهَامَةُ : الْأَرْضُ الْمُنْقَطِعَةُ ، انْظُرِ السَّبِيلَ ١ : ١٩ . (٤) الْجَحْجَمَةُ : الزَّرَاسُ .

(٥) الْحَرَةُ : أَرْضٌ فِيهَا حِمَارَةٌ سَوْدٌ . خَشْيٌ ١ : ٨ . (٦) أَيْزُ : فَتْحُ الْحِمْدَةِ وَتَنْكُسَرُ :

بَلَدٌ بِالْأَيْمَنِ . انْظُرِ السَّبِيلَ ١ : ١٩ ، وَالْمَشْقَى ١ : ٨ . (٧) جُرَشٌ : بَضْعٌ الْجَمِّ وَفَتْحُ الزَّاءِ . مِنْ

مُخَالِفٍ الْإِيمَنِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ ، وَقَبْلَ مَدِينَةِ الْبَلَيْنِ . (٨) فِي دَلَالَةِ أَبِي نَعِيمٍ : ٨٧ : « لِبَضْعِ

وَسِتِينَ » . (٩) رَوَاةُ أَبِي نَعِيمٍ : « إِلَيْهِ ابْنُ ذِي يَزْنَ » .

والآخرون، يَسْمَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ، قَالَ: أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي؟
قَالَ: نَعَمْ، وَالشَّقِيقُ وَالْقَسِيقُ، وَالْفَالِقُ إِذَا أَمْسَقَ؛ إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌّ.

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ يَشْقَى فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لَسَطِيطٍ، وَكَتَمَهُ مَا قَالَ سَطِيطٍ، لِيَنْظُرَ
أَيُّتَقَانُ أَمْ يَخْتَلِفَانُ؟ فَقَالَ: ^(١) نَعَمْ، رَأَيْتُ حُمَةً ^(٢) نَجَرَتْ مِنْ عُلْمَةٍ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ
رَوْضِيَّةٍ وَأَكْمَةٍ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلُّ ذَاتِ نَسَمَةٍ.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُمَا قَدْ أَتَفَفَا، وَأَنْ قَوْلَهَا وَاحِدٌ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:
مَا أَخْطَأْتَ يَاشِقُ مِنْهَا شَيْئًا، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟ فَقَالَ: أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ
الْحَرْتَيْنِ مِنْ إِنْسَانٍ، لِيَتَرَنَّ أَرْضَكُمْ السُّودَانَ، فَلْيَقْلِبَنَّ عَلَى كُلِّ طِفْلَةٍ الْبَنَانِ، وَيَجْعَلَنَّ
مَا بَيْنَ آيَيْنِ إِلَى تَجْرَانِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَأَبِيكَ يَاشِقُ، إِنَّ هَذَا لَنَا نَائِلَةٌ مُوجِبٌ،

فَتَيُّهُ هُوَ كَأَنِّي زَمَانِي أُمَ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ بَعْدَهُ زَمَانٌ، نَعَمْ يَسْتَفْذِكُمْ مِنْهُمْ عَظِيمٌ
ذُو شَانٍ، وَيَذِقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ، قَالَ: وَمِنْ هَذَا الْعَظِيمِ الشَّانِ؟ قَالَ: ضَلَامٌ
لَيْسَ بَدَنِي وَلَا مَدَنِي ^(٤) يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي زَيْنٍ، قَالَ: أَفِيدُومُ سُلْطَانُهُ أَمْ يَنْقَطِعُ؟
قَالَ: بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ،
يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْقَضَلِ، قَالَ: وَمَا يَوْمُ الْقَضَلِ؟ قَالَ: يَوْمٌ تُجْزَى

فِيهِ الْوَلَاةُ، يَدْعَى فِيهِ مِنَ الْمَاءِ بَدَعَوَاتٌ، يُسْمَعُ فِيهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، وَيُجْمَعُ
فِيهَا النَّاسُ لِلْيَقَاتِ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ أَتَى الْقَوْرُ وَالْخَيْرَاتِ، قَالَ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ؟
قَالَ: لَأَيَّ وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفْعٍ وَخَفَضٍ، إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌّ
مَا فِيهِ أَضْضٌ، قَالَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَبِيعَةَ بْنِ نَعْرَمَةَ مَا قَالَا، فَجَهَّزَ بَيْنَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ

(١) فِي الْأَسْلِ: «عَالَ» - (٢) فِي دَلَالِ أَبي نَعِمْ ص ٨٧: «حُجْمَةٌ» تَصْحِيفٌ.

(٣) الطَّلَفَةُ: النَّاعِمَةُ الرَّغِيصَةُ. (٤) الْمَدَنِي: الْقَصْرِ فِي الْأُمُورِ أَوِ الْقَرْيَةِ عَسِبَهَا.

(٥) الْمَدَنِي: الْقَرْيَةُ جَمْعُ الضَّغْفَرِ مَعَ الْهَاءِ. وَانْظُرِ الرَّوْضَ الْأَثَرُ ١: ١٩.

(٦) الْأَضْضُ: الشَّكُّ أَوْ الْبَاطِلُ. عَشَقَى ١: ٨. وَانْظُرِ ابْنَ شَامٍ ١: ١٩.

إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له ساور ،
فأسكنهم في الحيرة ، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر الثعلبي المنذر .

ومن ذلك ما روي أن عمرئد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاهها بفنائم
عظيمة ، فوجد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهتفون به ، فرفع الجحباب عن
الوافدين ، فأوسعهم خطاء ، واشتد سروره بتقريظ الخطباء والشعراء ، فبينما هو على
ذلك أرى في المنام رؤيا أخافته وذعرته وهاتته في حال منامه ، فلما اتقىه أنيسها
حتى ما تذكر منها شيئا ، وثبت ارتياحه في نفسه لها ، فاققلب سروره حزنا ،
فاحتجب عن الوفود حتى أساموا الظن به ، ثم حشد الكهان ، فجعل يغلو بكاهن كاهن
ثم يقول : أخبرتني عما أريد أن أسألك ، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى
لم يدع كاهنا عليه ، فتضاعف قلقه ، فقالت له أمه ، وكانت قد تكهنت : أبيت
اللعن ! إن الكواهن أهدي إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجن
الطلف من أتباع الكهان ، فأمر بمحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهان
فلم يجد عند واحدة منهم علم ما أراد علمه ، فلما يس من طلبته سلا عنها ، ثم إنه
بعد ذلك ذهب يتصيد فأوقل في الصيد ، وافرد عن أصحابه ، فرفعت له آيات
في ثرى جبل وقد لقعه المجير ، فعدل إلى الآيات ، وقصد منها بيتا منها كان
منفردا عنها ، فبرزت إليه منه عجوز فقالت : انزل بالرحب والسعة ، والأمن
والدعة ، والجنة المبهمة ، والعبية المترعة ، فزل عن جواده ودخل البيت ،
فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم
المجير ، فجلس يسمع صليبه فإذا بين يديه قناة لم ير مثلها جمالا وقواما ،
فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك المأمم ! هل لك في الطعام ؟ فاشتد إشفاقه ،
وخاف على نفسه لما رأى أنها قد صرقت ، وتصامم عن كليتها . فقالت له :

- لا حذر ، فذاك البشر ، بعثك الأكبر ، وحفظنا بك الأوفر ، ثم قربت إليهما
 ثريدا وقديدا وحَيًّا ، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سقته لبنا صريفا
 وضربا فشرب ما شاء ، وجعل يتأمله مقبلة ومدبرة فلاث عينه حسنا ، وقلبه
 هوى ، ثم قال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عُفراء ، قال لها : من الذى
 دعوته الملك الهام ؟ قالت : مرثد العظيم الشأن ، الحاشر الكواحين والكُهان ،
 لمعضله يُسل بها الجبان ، قال يا عُفراء : أتعلمين ما تلك المعضلة ؟ قالت : أجل أيها
 الملك الهام ، إنها رؤيا منام ، ليست بأضقات أحلام ، قال : أصبت يا عُفراء ، فما
 تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زواج ، بعضها لبعض تابع ، فيها لمب لاعم ،
 ولها دُخان ساطع ، يقفوها نهر متدافع ، وصممت قيا أنت سامع ، دماء ذى جرس
 صادع : هابوا إلى المِشارع ، هابوا إلى المِشارع ، روى جارع ، وغرق كارع .
 قال الملك : أجل هذه رؤياى ! فما تأويلها يا عُفراء ؟ قالت : الأعاصير الزواج ،
 ملوك تباع ، والنهر علم واسع ، والداعى نبى شافع ، والجارع ولى له تابع ،
 والكارع عدو له منازع . قال : يا عُفراء أسلم هذا النبى أم حرب ؟ قالت : أقسم
 برفع السماء ، ومُتزل المساء من الماء ، إنه لمبطل السماء ، ومنطق العقائل نطق
 الإمام . قال الملك : إلام يدعو يا عُفراء ؟ قالت : إلى صلاة وصيام ، وصلبة
 أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام . قال الملك : يا عُفراء ،
 من قومه ؟ قالت : مضر بن زرار ، ولهم منه تقع مثار ، يتجلى عن ذبح وإسار ، قال :
 يا عُفراء : إذا ذبح قومه فمن أعضاده ؟ قالت : أعضاده عطاريف يمانون ، طائرهم
 به ميمون ، يعز بهم فيعزون ، ويدمئ بهم الحزون ، فإلى نصره يسترون ، فاطرق
- (١) فى الأصل : « قالت : الزواج » . (٢) فى الأصل : « ومُتزل الماء » . والثى
 أنبت عن تاريخ الخليس ١ : ٢٩ . (٣) فى تاريخ الخليس : « ينز بهم فيعزون » .

الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت : أبيتُ اللعن ! إن تابى غيور، ولا مرمى صبور . وتاكى مقبور، والكلف بن ثبور . فنهض الملك مُبادراً، فخال في صهوة جواده . وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كُوماء .

ويشبه ما ذكرناه رؤيا المويّذان وقد تَقَدَّمت في أخبار الكهان .

ومن ذلك ما روى عن لبيب بن مالك اللّهيّ أنه قال : حَصُرْتُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الكهانة فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! نحن أوّل من عرف حراسة السماء وزير الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خَطَر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة سنة ومِائَتون سنة ، وكان أعلم كَهَنَانًا ، فقلنا له : يا خطر^(١) ، هل عندك علم من هذه النجوم التي يُرمَى بها ؟ فإنا قد فرغنا لها ، وقد خفنا سوء عاقبتها ، فقال : اثنوني بِسُحْرٍ ، أخبركم بالخبر ، بخير أم ضرر . وأمين أم حذر ؟ قال : فأنصرفنا عنه يومئذ ، فلما كان من غد في وجه السحر أتينا ، فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينيّه . فتأديناه يا خطر ، فأوما إلينا أن آمسكوا

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « حصر مع » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « فذكرت عنه الكهانة » .

(٣) رواية السيرة الحلبية : « وقد أتت عليه مائتا سنة ... وكان من أعلم » . وفي النجاشي ١ : ٣٠ :

« قد أتى عليه من العمر مائة ومِائَتون سنة ، وكان من أعلم » .

(٤) خطر بانخاء المصجمة والطلاء المهمة والراء . عن السيرة الحلبية .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « اثنوني قبيل القبحر » .

(٦) هكذا رواية الديار بكرى في النجاشي ١ : ٣٠ ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « الخبر ،

الخبر أم الضرر » .

فامسكاً، فاقصَّ نِجَم من السماء عظيم، فصَرَخ الكاهن : أصابَه إصابَه ^(١)، خامره عقابه، ما جلّه عذابه، أحرّقه شهابه، زابله جوابه، يذوبه ما حاله، بلبله بلباله ^(٢)، عاوده خباله، تقطعت خباله، وضعت أحواله، ثم أمسك طويلاً، ثم قال :
يا معشر بني حطّان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة ذات الأركان، والبلد المؤمن السكان ^(٣). قد منع السمع عتاة الجبان، بناقِب يكفّ ذى سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالتتريل والفرقان، وبالمُهدى وقاضل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال : قلنا يا خطر، إنك لتذكر أمراً عجيباً، فإذا ترى لقومك ؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يقيموا خير نبي الإنس

١٠ برهانه مثل شماع الشمس * يبعث من مكة دار الحين ^(٤)
* بحكم التتريل فير اللبس *

قلنا : يا خطر، وممّ هو ؟ فقال : والحياة والعيش، إنه لمن قُرَيْش . ما في حكمه طيبش، ولا في خلّقه هيش ^(٥)، يكون في جيش وأى جيش، من آل حطّان وآل ريش ^(٦). قال : قلنا بين لنا من أى قريش هو، قال : والبيت ذى الدعام، والركن

١٥ (١) إصابه : جمع وصب بكمّل وجمال، فالحمزة بدل من الواو . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ .
والمعروف أن جمع وصب أوصاب .

(٢) اللبيلال : لقم .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « السدان » ، والسدان : الخدم .

(٤) الخمس : بضم الخاء المهملة وإسكان الميم . هم قريش، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

٢٠ (٥) في تاريخ الخلفاء : « وعن » .

(٦) هيش : أى ليس في طبيعته وبجبهه قول قبيح . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(٧) إيش، ويقال : ويش، ٢٠٤ . قاله ابن الجوزي . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

والأحاثم، إنه لمن تجل هاشم، من معشّر أكلم، يُبعث باللاحم، وقيل كلّ ظالم، ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الحاق؛ ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، واقطع عن الحق الخبر؛ ثم سكّت فأخفى عليه، فإفاق إلا بعد ثلاث فقال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده». والله أعلم.

ومنه ما روى أن سفيان بن عياض بن عمار بن دهم اختل دياره كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فدخل إلى حمى من تميم، فاذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: «العزيز من والآه، والدليل من خاله، والموفور من ماله، والموفور من باده»؛ قال سفيان: من تذكّر من الله أبوك؟ قالت: «صاحب جمل وجرم، وهدي وطم ويطيش وطم، وحرب وسلم، رأس رموس، ورائض يموس، وماجي بوس، وماهد ووعوس، ونايش منعوس»؛ قال سفيان: من هو الله أبوك؟ قالت: «نوح مؤيد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكاتب لا يغتد، اسمه عهد»؛ قال سفيان: الله أبوك، أعربى هو أم عجمي؟ قالت: «أنا والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفنان، إنه لمن معبد بن عدنان، ففسدك يا سفيان»؛ فامسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان ولد له غلام فسماه محمداً، رجاء من أن يكون النبي الموصوف.

ومنه ما روى أن عمرو بن معد يكرب عتب على ارتداده عن الإسلام فقال: والله ما هو إلا الشقاء، ولقد طبت أن محمداً رسول الله قبل أن يوحى إليه، قيل: كيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال: حدثت بين بني زُبَيْد تناجش وطمطم، ونجا.

- (١) الأحاثم جمع الجمع لـ «حوم»، ويريد بها يترززم. باظفر السيرة الحلبية ١: ٢٠٩.
- (٢) في السيرة الحلبية: «ثم سكن وأخفى». (٣) في السيرة الحلبية: «بعد ثلاثة أيام».
- (٤) كذا. وطمط «يموس». (٥) في النص كلمات غير واضحة لم تهتد إلى تصويبها.

- إلى أن سفك بعضهم دماء بعض ، ففزع حلفائهم إلى كاهن لم رجوا أن يكون عنده المخرج مما نزل بهم ، فقال الكاهن : « أقيم بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الأدرج ، والريح ذات العجاج ، والبحار ذات الأمواج ، والجبال ذات القجاج ، إنك هذا الإمرج والارتجاج ، للفلاح ذو نتاج » ؛ قالوا : وما نتاجه ؟ قال : « ظهور نبي صادق ، بكاتب ناطق ، وحسام والقي » ، قالوا : أين يظهر ؟ وإلام يدعو ؟ قال : « يظهر بصلاح ؛ ويدعو إلى الفلاح ، ويُبطل القذاح ، ويُنبئ عن الرّاح والسّفاح ، وعن كل أمر قُبّاح » ؛ قالوا : بمن هو ؟ قال : « من ولد الشيخ الأكرم ، حافير زمزم ، ومُطعم الطير الحوّم ، والسباع الصّوم » ؛ قالوا : وما اسمه ؟ قال : « اسمه مجد ، وعزّه سَرمَد ، وخصمه مُكَد » .

- فهذه جملة كافية من أخبار الكُهان . فلنذكر مناطق به الجاثق من أجواف الأصنام ، وما تُسمع من المواتف ، وواقه المستعان .
وأما من بشر به عليه الصلاة والسلام من الجاثق الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر .

- فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سبب إسلام عمر ، وأنه كان قد ضمن لقريش قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ونرجع لذلك ، فتر يقوم من خُزاعة وقد اعتمدوا صمّا لم يريدون أن يتحاكوا إليه ، فقالوا لعمر : أدخل لتشهد الحكم ، فدخل معهم ، فلما مثلوا بين يدي الصّتم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول :
يا أيها الناس ذوّوا الأجسام * ما أنتم وطائش الأحلام^(٢١)

- (١) رواية السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ : « وحسام فائق » . (٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ : « كان أبرهيرة يحدث أن لوما من خشم كانوا عند صنم لم جلوسا ، وكانوا يلجأون إلى أصنامهم ، فيبذلون الخدميون عند صنم لم إذ سمعوا هاتفاً يهتف ويقول » . وانظر شرح المراهب ١ : ٢٧٦ (٣) رواية الأبيات بهذه الصورة في شرح المراهب ١ : ٢٧٦ ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ تختلف روايتها عما هنا زيادة ونقصا ، وانظر دلائل أبي نعم ص ٧٨ .

وَمُسْتَدَّ الْحَكَمُ إِلَى الْأَصْنَامِ * أَصْبَحَتْ كَرَائِحِ الْأَنْصَامِ
أَمَّا تَرْوَنبُ مَا أَرَى أَمَامِي * مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلَامِ
قَدْ لَاحَ لِلنَّاظِرِ مِنْ تِهَامِ * وَقَدْ بَدَأَ لِلنَّاظِرِ الشَّامِ
عَجْدُ ذُو الْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ * أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ
قَدْ جَاءَ بَعْدَ الشَّرْكَ بِالْإِسْلَامِ * يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ
وَالسَّيْرِ وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ * وَيُزَيِّرُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ
فِيَادِرُوا سَبَقًا إِلَى الْإِسْلَامِ * بِلَا تَسْوِيرٍ وَبِلَا إِجْهَامِ

قال : فتفرق القوم عن الصنم ولم يحضره يومئذ أحد إلا أسلم ؛ ثم ذكر ابن عباس انطلاَقَ عمر إلى منزل أخته على ما نذكر ذلك أو نحوه عند ذكرنا إسلام عمر رضي الله عنه . ١٠

قال : ثم خرج لقصيدة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقبه رجال من بني سليم قد تنافروا إلى صنم لهم ليحكم بينهم اسمه الضَّارُّ ، فدعوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل ، فلما وقفوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفا من جوفه يقول :

أَوَدَى الضَّارُّ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً * قَبْلَ الْكِتَابِ وَقَبْلَ بَعْثِ عِشِّ
إِنْ الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى * بَعْدَ ابْنِ صَرِيمٍ مَنْ قُرَيْشٍ مَهْتَدَى
سَيَقُولُ مَنْ عَبَدَ الضَّارَّ وَمِثْلَهُ * لَيْتَ الضَّارُّ وَمِثْلَهُ لَمْ يُعْبَدْ

(١) رواية السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ : « ويستندوا » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨ .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ : « ... حين بن مرداس قال : كان لمرداس السلمي رثن .

يهدى يقال له ضار » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٩ .

(٣) ضار بكسر الصاد المعجمة ومع مخففة بعدها ألف ثم راء مخففة ، عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٧ « يهدى » .

أبشر أبا حفص بدين صادق * تهدي إليه بالكتاب المرشد
 واصبر أبا حفص قليلاً إنه * يأتيك عن قرقي أعزُّ بنِ عدي
 لا تعجلن فأنت ناصر دينه * حقاً يقينا باللسان وباليد
 قال : فعجب القوم منه ونكسه عمر ، وغير الله ما في صدره من عبادة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما روى أن وائل بن حجر وكان ملكاً مطاعاً ، وكان له صم من المقيق
 الأجر يعبده ويحبه حباً شديداً ، ولم يكن يكلم منه ، إلا أنه كان يرحو ذلك ، فيكثر
 له السجود ، ويتر له العنائر ، فيينا هو نائم في الظهيرة أيقظه صوت منكر من المخدع
 الذي فيه الصم ، فقام من مضجعه وأثاء فسمجد أمامه ، فإذا قائل يقول :
 يا عجيباً لوائل بن حجر^(١١) * يُخَال يدرى وهو ليس يدرى

ماذا يربى من تحيت مخير * ليس يدرى عرف ولا ذى نكر^(١٢)
 ولا يدرى تقع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى
 قال وائل : فرفعت رأسي واستويت جالسا ، ثم قلت : قد أسمعتم أيها الناصح ، فإذا
 تأمروني ؟ فقال :

ارحل إلى يثرب ذات النخل * وسر إليها سير مشمعل^(١٣)
 تدين بدين الصائم المصل * بجهد المرسل خير الرسل

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وكان قِلا من أقبال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وإذا قائل » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « راجعيا » .

(٤) الجبر : العقل . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « أيها الماخذ الناصح » .

(٦) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « تدين دين » .

(٧) في السيرة الحلبية : « جهد النبي » .

قال وأهل : ثم حزن الصنم بوجهه فأكسر أنه ، وأندقت غنقه ، فقامت إليه بفعلته
رُفًا ، ثم مرت مسرعة حتى أتيت المدينة ، وذكر إسلامه بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم . والله المعين .

ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه

رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند قال : كان مازن الطائي بأرض عمان بقرية
تدعى سمائل ، وكان يسكن الأصنام لأهله ، وكان له صنم يقال له باجر ، قال مازن :
فصارت ذات يوم حيرة العتيرة : الذبيحة ، فسمعت صوتا من الصنم يقول :
يا مازن : أقبل إلى أقبل ، تسمع ما لا يسمع ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق مقل ،
فأمن به كي تعدل ، عن حر نار تسعل ، وقودها بالخلندل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجب ، ثم مرت بعد عشرة أيام عتيرة
أخرى ، فسمعت صوتا آخر آتين من الآتون وهو يقول : يا مازن أسمع قسرت ،
ظهور خير ويكن شر ، بعث نبي من مضر ، بدين الله الأكبر ، فدع تحيتا من
حجر ، تسلم من حر سقر ، قال مازن : فقلت إن هذا والله لعجب ، إنه
لتخبر يراد بي ، وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر ورايك ؟ قال :

- (١) له ترجمة في أسد الغابة ٤ : ٢٦٩ ، وخبره هذا في دلائل أبي نعم ص ٧٦ .
(٢) في دلائل أبي نعم ص ٧٦ : « سمائل » ، وفي تاج العروس (مثل) : « وسمائل » اسم
قرية ويقال باليمن ، وهي من أرض عمان . (٣) باجر ، بفتح الجيم ويكسر ، ويقال بالحداد
المهمة . واطر تاج العروس (بجر) . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فترتا » .
(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « وهي القديجة مطلقا ، وقيل في رجب خاصة » .
(٦) رواية أبي نعم ص ٧٦ : « الله الأكبر » . (٧) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ،
ودلائل أبي نعم ص ٧٧ : « قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لن أراه » .

خرج رجل بتهامة يقول لمن آتاه : أجيئوا داعي الله عز وجل ، يقال له أحمد ، قال : فقلت هذا والله نبأ ما سمعت ، ففرت إلى الصنم فكسرتة أجذاذا ، وشددت راحتي ورحلت ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح إلى الإسلام فأسلمت ، وأنشأت أقول :

- كسرتُ باجر أجذاذا وكان لنا • ربا نطيف به ضللاً بتضلالٍ
فالمشيمى هدانا من ضلالتنا • ولم يكن دينه متى طل بال^(١)
ياراكجا بلفن عمرا وإخوته • أتى لما قال ربى باجر قالى^(٢)

قال مازن : فقلت يا رسول الله ، إنى امرؤ مواع بالطرَب وشرب الخمر ، وبالمولوك من النساء ، وألحت علينا السنون فأذهبن الأموال ، وأهزلن الدراوى والرجال ، وليس لى ولد ، فأذخ الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتينى بالحيا ، ويحب لى ولدا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أبطله بالطرَب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، [وبانخر رداً لا إثم فيه ، وبالمهر عفة الفرج]^(٣) وأتته بالحيا ، وهب له ولدا . قال مازن : فأذهب الله عنى كل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وهب لى حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

- ١٥ (١) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « نزلت إلى الصنم »
(٢) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « ديه شينا » .
(٣) فى دلائل أبي نعيم ص ٧٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « عمرا وإخوتها » ؛ ويبنى بعمرو وإخوتها بنى الصامت وبى خطامة ، وهى بطن من طي .
(٤) المولوك من النساء : القابرة .
(٥) ألحت علينا السنون : دامت علينا أيام القحط .
(٦) من ميون الأثر ١ : ٧٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ .
(٧) فى دلائل أبي نعيم ص ٧٧ : « حرائر ، وحففت شطر القرآن » ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، وعبود الأثر ١ : ٧٦ .

إليك رسول الله خبت مطيتي * تجوب القيا في من عُمان إلى العرج
 تشفع لي يا خير من وطئ الحصا * فيغفر لي ربي فأرجع بالقُلج^(١)
 إلى معشر خالفت في الله دينهم * فلا رابهم رأيت ولا شرجهم شر^(٢)
 وكنت أمراً بالمهر والمهر مولماً * شباني حتى آذن الجسم بالنهج^(٣)
 فبذلني بالحمو خوفاً وخشية * وبالمهر احساناً وحسن لي فرح^(٤)
 فأصبحت همي في جهادٍ وبقي * فله ما صومي والله ما يحكي

٥٦
١٤

قال مازن: فلما رجعت إلى قومي أتبوني وشقوني، وأمرؤا شاعرهم فهجاني،
 فقلت إن هجوتهم فلأنما أهجو نفسي، فتركهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكنت
 القيم بأمورهم، فقالوا ما عسى أن نصنع به، بلاء من أرفلة عظيمة فقالوا: يابن
 عم، عينا عليك أسراً فنهيناك عنه، فإذا أيت فنحن ناركوك، أرجع معنا، فوجعت
 معهم، فأسأموا بعد كلهم.

ومازن هذا هو الذي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض عمان.

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوساً عند صنم لنا،
 فإذا صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى السَّجَب، وتوقعوا حادثاً قد اقترب،
 استراق السمع ذهب، وتروى [الجن] بالشَّهْب، لنبي من العرب، هاشمي السب؛

(١) في السيرة الحلبية ١: ٢٠١، ٢٠٢: «ليغفر لي ذنبي»، والقول: «القوز والقنقر»

(٢) الشرح، بالثنين: الشكل والطريق. عن السيرة الحلبية ١: ٢٠٢: «في الأصل: «مرجه»

مرجى». (٣) في الأصل: «بالرجب» والنصوب عن السيرة الحلبية ١: ٢٠٢: «وذاقل

أبي نعيم ص ٧٨. (٤) النهج: الليل. وانظر التباية ٤: ١٨٥.

(٥) الأرفلة: فتح الحزمة والقاء: الجماعة من الناس؛ في الأصل: «إن قلة» تصحيف.

مولده بمكة ، ومهاجره يثرب ، قال : وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنه ما روى عن عبد الله بن ساعدة الهذلي أنه قال : كنا نعيد صنما يقال له سواع ، وكانت لي غم بغيريت فسقطت إليه وأدبنيته منه أرجو بركته ، فسمعت مباديا من جوف الصم يقول : العجب كل العجب ، شذلت العجب ، وريميت الجفن بالشهب ، وسقطت النصب ، ونزل خير الكتب ، على خير العرب ، قال : فسقت غنى وعدت إلى أهل ، وقد بُنِضت إلى الأوثان ، خلعت أقطب عن الحوادث حتى بلغني ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجيت فأسلمت .

وسند ذكر إن شاء الله تعالى في خبر إسلام الجفن ما مضوا به فأسلم بسببه من أسلم لنا ميموا - ما يقف عليه هناك .

وخيت ذكرنا ما ذكرنا من المبشرات ، فلنذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ،

ذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بدئ به من النبوة

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به

رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا

الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح ،^(١) وحجب الله إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٣٣ : « الرؤيا الصالحة » ، قال : فالمراد بالصالحة الصادقة . وانظر

سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٩

(٢) فلق الصبح : ضياؤه .

وروى محمد بن إسماعيل بن يسار المظلي عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان^(١)
ابن العلاء بن حارثة الثقفي^(٢) ، وكان واعية^(٣) ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وأبداه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته
أهدى حتى تحسر عنه البيوت^(٤) ، ويضي إلى شأب مكة^(٥) ويطول أوديتها^(٦) ، فلا يمر
بشجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فيلتفت حوله عن يمينه
وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فكث صلى الله عليه وسلم كذلك
يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو
بجاء في شهر رمضان .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : بعث الله نوحا صلى الله عليه وسلم
وله يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأناه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له
بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في حراء ، وهو أول
موضع نزل فيه القرآن .

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن محمد بن موسى الخسارزمي قال : بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين
من عام الفيل . فكان من مولده إلى أن بعثه الله عز وجل أربعون سنة ويوم .

(١) في الأصل : « بن عبد الله » ، والذي صححه عن ابن هشام ٢٥١

(٢) في سيرة ابن هشام : « جارية » .

(٣) الراجعة : الحافظ الحقبة ، والظاهر البالغة .

(٤) تحسر : تبتدعه ، ويخل منها . عن الخشني ١ : ٧٥ .

(٥) الشهاب : المواضع الخفية بين الجبال . عن الخشني ١ : ٥٧ .

(٦) في الأصل : « وتطوف » ، وصحبت عن سيرة ابن هشام ٢٥٠ : ١

- وعن عبد الله بن الزبير وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور في حراء [شهراً] من كل سنة ، يطعم من المساكين ، فإذا قضى صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبداً به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه من كرامته ما أراد ، من السنة التي بئته فيها ، وذلك في شهر رمضان ، خرج صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج بجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسائه ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنا نائم بنفث من ديباج فيه تحاب ، فقال : اقرأ ، [قال] : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع . فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسي أنظر [إلى السماء] ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا

٥٧
١٤

(١) من سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠ . (٢) حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة .

مجمع البلدان ٣ : ٢٣٩ . (٣) الخط : ضرب من الثياب المصنعة .

(٤) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٥) فتني ، وفي رواية : غطني ، أي صرقت صرّاً شديداً حتى وجدت من المشقة .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « فكانا كتبت » .

جبريل، [قال]: فوقفتُ أنظرُ إليه، فما أتقدمُ وما أتناخر، وجعلتُ أصرف وجهي [عنه] في آفاق السماء، فـأ أنظرُ في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدمُ أمامي وما أراجع ورأى حتى بعثتُ خديجة رُسَلها في طلي، فبلغوا [أعلى] مكة^(١) .
ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني .

وانصرف راجعا إلى أهل حتى أتيت خديجة، فجلست إلى نغذها [مضيفا إليها]^(٢)
فقال: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوافقه لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا [أعلى]^(٣)
مكة ورجعوا إلي، فحدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا بن عم وأبنت،
فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة^(٤) .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد المزي، وهو ابن عمها، وكان قد تصبر في الجاهلية وقرأ الكتب، وسمع
من أهل التوراة والإنجيل، فآخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
رأى ومسمع، فقال ورقة: قُدُّوس قُدُّوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت
صديقني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي
هذه الأمة، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فآخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره
وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقبه ورقة بن نوفل وهو

(١) عن سيرة ابن هشام ١: ٢٥٢، ٢٥٣ . (٢) عن سيرة ابن هشام ١: ٢٥٣ .
ويقال أخفت إلى الرجل: إذا ملت نحوه وعلقت به، عن الخشني ١: ٧٦ .
(٣) في سيرة ابن هشام ١: ٢٥٣: «ثم حدثها» .
(٤) ابن هشام، وعبود الأثر ١: ٨٦: «إني لأرجو» .
(٥) في سيرة ابن هشام: «الزبي بن قصي وهو ابن عمها وكان ورقة قد» .

يطوف بالكعبة فقال: يَا أَيُّهَا أُنْثَى، أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتِ وَصِمْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي تَقْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَةُ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى، وَتُكَذِّبُهُ، وَلَتُؤَدِّبُهُ، وَلَتُخْرِجَنَّهُ، وَلَتُؤَلِّمَنَّهُ، وَلَتَنُصَرَّنَّ اللَّهُ نَصْرًا بَعْدَهُ، ثُمَّ أَذَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبِلَ يَأْتُوهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَثَلِهِ.

ودكر الإمام السدس سليمان التيمي في سيره أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبر خديجة عن جبريل، ولم تكن سميت باسمه قط، وركبت إلى يَمِينِ الرَّأبِ إِلَى الشَّامِ، قَالَ الزَّهْرِيُّ هُوَ حَبْرٌ مِنْ يَهُودِ تِمَاءَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ جَبْرِيلَ، فَقَالَ لَهَا: قُلُوسُ قُلُوسَ، يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشَ، أَتَى لَكَ بِهَذَا الْاِسْمِ؟ فَقَالَتْ: بَعَثَ ابْنُ عَمِّي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَأْتِيهِ، فَقَالَ: قُلُوسُ قُلُوسَ مَا طَعِمَ بِهِ إِلَّا نَجَسًا، فَإِنَّهُ السَّفِيرُ مِنَ اللَّهِ وَيَنْبِئُ بِأَنْبِيَائِهِ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَجْتَرِئُ أَنْ تَمُتَلَ بِهَذَا وَلا تَمِيسِيَ بِهِ .

وكان غلاماً لعنية بن ربيعة بن عبد شمس اسمه عتاس من أهل يثرب مذبذب^(٥)
يوسف عليه السلام، عنده علم من الكتاب أرسلت قسأه عن جبريل فقال : فقلوس
[قلوس]^(٦) أئني هذه البلاد يذكر جبريل يا سيدة نساء قريش ؟ فأخبرته بقول النبي
صلى الله عليه وسلم ، فقال عتاس مثل قول الراهب .

(١) الماء الحصة بهذه الأفعال الستة .

(٢) نقله في السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ عن ابن دحية . وانظر ترجمة سليمان بن جلال النيمي في تهذيب

التعليق لابن جرير ٤ : ١٧٥ .

(٣) في السيرة الحلبية ١: ٢٤٤ : « كتبت إلى بھرا » .

(٤) في السورة الخلية ١ : ٢٤٤ : « فان الشيطان لا يجترئ أن يقتل به ، ولا أن يسمي » . ٢٠

(٥) مسير البهائم : ٨ : ٣٦٨ •

(٦) من السيرة الحلبية ١ : ٢٤٣ .

وروى البخارى^(١) - رحمه الله - في صحيحه بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على^(٢) ، فيفهم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول. قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد، فيفهم عنه وإن جبينه ليترعد عرقا^(٣).

٥٨
١٤

وبسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما يدعى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يلحق بغار جراء ، فيتحدث فيه ، وهو التمهيد لليلالى نوات المدد قبل أن يتروح إلى أهله ، ويتروّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيترود لثيلها ، حتى جاء الحق وهو فى غار جراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قل : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذنى فغطىنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطىنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطىنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : رملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد

(١) صحيح البخارى ١ : ٦ • (٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حرك •

(٣) يفهم عنى : يطلع • (٤) يغصد : يسبل مرقا • (٥) صحيح البخارى ١ : ٧ •

- خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كَلَّا والله، ما يُخْزِيكَ الله أبداً، إنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ،
وتَحِلُّ الْكَلَّ، وتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّعِيفَ، وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،
فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ مِم
خَدِيجَةٍ، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرِفُ إِلَى الْإِهْلَافَةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ^(١)، فَيَكْتُبُ
مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدِ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ
خَدِيجَةٌ: يَا بَنَ مِم أَسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أُنْحَى، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جُذْعًا، لِيَتَنَى أَكُونَ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ تُخْرِجِيَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي،
وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، فَمِم لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفَى، وَقَرَّ الْوَحْيُ.
قال ابن شهاب: ^(٢) وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله
الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينما أنا أمشي
إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على
كرسي بين السماء والأرض، فوعيت منه، فوجدت قلبي: زَمَلُونِي زَمَلُونِي،
فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتَوَّابًا فَطَهِّرْ وَالْجَنَّةَ قَاهِرًا﴾،
لحمى الوحي وتناجى.

قال محمد بن إسحاق: ^(٣)

- وحديثي إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة أنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن مِم، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا
(١) رواية البخاري ٦: ١٧٤: «وكان يكتب الكتاب العربي»، ويكتب من الإنجيل بالعربية
ما شاء الله. (٢) لا يزال النقل عن صحيح البخاري ١: ٧.
(٣) نقله ابن هشام في السيرة عنه ١: ٢٥٤.

الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كانت يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني قالت : قم يا بن عم فاجلس على نخذي اليسرى ، فقام فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فأقعد على نخذي اليمنى ، قال : فتحوّل فقعّد على نخذي اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاجلس في سجري ، فتحوّل فجلس في سجيرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم : قال : تخمّرت وألقت نحارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في سجيرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يا بن عم : أثبت وأبشر ، فوالله إنه للملك ، ما هذا بشيطان .

وكانت خديجة رضى الله عنها أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به . وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه ، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه . قال : وقال الشعبي : أخبرت أن إسرائيل تراه له ثلاث سنين . وروى ابن عبد البر بسنده إلى الشعبي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين ، ووكل به إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين ، ثم وُكِّل به جبريل عليه السلام . وفي رواية عنه : ثم بعث إليه جبريل بالرسالة . وعنه أيضا قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين ، فقرن نبوته إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين ، وكان يعلمه الكلمة والثيء ، ولم ينزل عليه القرآن حل لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة .

(١) في سورة ابن هشام ١ : ٢٥٥ : « فاجلس » .

(٢) رواية ابن هشام : « فجلس » .

ذكر فترة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل بعد فترته

قال : ^(١) وقر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة حتى شق ذلك عليه وأحزنه . واختلف في مدة فترة الوحي ، فقال ابن جريج : احتسب عنه الوحي اثني عشر يوما ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خمسة عشر يوما ، وقيل : خمسة وعشرين . وقال مقاتل : أربعين يوما . والله أعلم .

روى البخاري - رحمه الله - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وموافق الحديث بنحو ما تقدم ، قال : وقر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيها بلغنا حزنا غدا منه مرأواكى يتردى من رموس شواقي الجبال ، فكلما أوقى ينزوة جبل لى يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوقى ينزوة جبل تبدى له جبريل وقال له مثل ذلك . قال : وتكلم المشركون عند فترة الوحي بكلام ، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : ^(٢) (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا يَحِيَّ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ) السورة بكاملها ، وقيل في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ترك قيام الليل ليلتين أو ثلاثا ^(٣) لشكوى أصابته ، فقامت امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ^(٤) لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاث ، فأنزل الله تعالى السورة .

(١) القائل ابن إسحاق . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ : « فترة في ذلك حتى » .

(٣) الجامع الصحيح ٦ : ١٧٢ ، ١٧٤ ، وانظر ميون الأثر ١ : ٨٥ .

(٤) التكميل : المرض . (٥) في الأصل : « أو ثلاثا » .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ^(١) تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى لنبيه وتوحيه به وتظيمه إياه سنة وجوه :

الأول — القسم له عما أخبر به من حاله بقوله : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى »
أى وربّ الضحى ، وهذا لمن عظيم درجات المبرة .

الثاني — بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله : « مَا وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَّ »
أى ما تركك وما أبغضك ، وقيل ما أهملك بعد أن أصطفاك .

الثالث — قوله : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » .

قال ابن إسحاق : أى مالك فى مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك الله من كرامة الدنيا . وقال سهل : أى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك فى الدنيا .

الرابع — قوله : « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى » ، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإتمام فى الدارين والزيادة .

قال ابن إسحاق : ^(٢) يرضيه بالفلاح فى الدنيا والثواب فى الآخرة . وقيل : يعطيه الحوض والشفاعة ، وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس فى القرآن آية أرحى منها . ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار » .

(١) انظر شرح التلخيص على الشفا ١ : ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) قال ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٥٩ ، وبإسناده « ترضى من الفلاح فى الدنيا والثواب » .

وانظر رسم الرياض ١ : ٢٠٧ . والفلاح : الفوز والنظر .

(٣) هو على بن أبى طالب ، أو الحسن بن محمد بن الحنفية . وانظر رسم الرياض ١ : ٢٠٧ .

الخامس — ما عده الله تعالى عليه من نعمة، وقرره من آلائه قبله في بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفسير، ولا مأل له فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتيا لجذب عليه عمه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: يتيا لا مثال لك فأورك إليه، وقيل المعنى الميمذك فهدى بك ضالاً، وأغنى بك عائل، وأوى بك يتيا، ذكره هذه المين، وأنه — على المعلوم من التفسير — لم يجعله في حال صغره وغيلته ويئمه، وقبل معرفته به ولا وقده ولا قلاده، فكيف بعد اختصاصه واصطفاؤه . والله أعلم

السادس — أمره بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به ينشره وإشادة ذكره بقوله: (وَأَمَّا يَنْعِمَ رَبِّكَ لَخُلُوتٍ)، فإت من شكر النعمة التحدث بها، وهذا خاص له، عام لأئمه .

وقال ابن إسحاق^(١): أى بما جملك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، لخلت بها أى أذكها وأدع إليها . قال: لجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة صراً إلى من يطعن إلى الله من أهله . قال: ثم فُرِضت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . والله الموفق لطاعته .

ذكر فرض الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
روى عن عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — أنها قالت: افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعاً، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال محمد بن إسحاق :

- ١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٢) في الأصل: «النبوة ببرى»، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : « افترضت عليه ركعتين » .

وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين أقرضت على رسول الله صلى

الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بقيقه في ناحية الوادي،

فأنفجرت منه حين فتوحاً جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر [إليه] ليريه ^(١)

كيف الطهور للصلاة، ثم توحاً رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل

توحاً، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته،

ثم انصرف جبريل، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة فتوحاً لها ليريه ^(٢)

كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوحات كما توحاً [لها] رسول الله صلى

الله عليه وسلم، ثم صلى بها كما صلى به جبريل فصلت بصلاته ^(٣)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أقرضت الصلاة على رسول

الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالَت الشمس، ثم صلى به

العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به

العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصلى

به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم

صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين

ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق، ثم قال: يا محمد

الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس» ^(٤)

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : «جبريل عليه السلام ورسول» . (٢) عن سيرة

ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦ : «جبريل عليه السلام بخا» .

(٤) عن ابن هشام، والسيرة الحلبية ١ : ٢٦٤ . (٥) السبل في الروض الألف ١ : ١٦٢

كلام في هذا الحديث ومثله يحسن الوقوف عليه . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٦٤ .

(٦) رواه ابن هشام ١ : ٢٦١ .

(٧) في الأصل : «الفجر ثم صلى به الظهر حين كان» واقى أثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢ .

(٨) ناقش السبل في الروض الألف ١ : ١٦٣ إيراد هذا الحديث هنا، لأن هذه القصة كانت

في النصف من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبي الله صلى الله عليه وسلم بخمسة أعوام . ثم ذكر كلامهم في ذلك .

ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله

صلى الله عليه وسلم وصديق بما جاء به من عند الله

قد تقدم أن أول من آمن خديجة رضي الله عنها، وذهب محمد بن إسماعيل إلى
أن أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصديق بما جاء به من الله
تعالى علي بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم. وسند ذكر إن شاء الله لإسلام كل واحد منهم.
أما لإسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فالذي عليه الأكثرون أنه أول من
أسلم من الذكور، وقد روى أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه المترجم (بصفة
الصفوة) عن ابن عباس، وحسان بن ثابت، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم النخعي،
قالوا كلهم: أول من أسلم أبو بكر، قال: وقال يوسف بن يعقوب بن المساجشون:
أدركت أبي وشيختنا محمد بن المنكدر، وريمعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح
ابن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهم لا يشكون أن أول
القوم [إسلاماً] أبو بكر.

وروى أبو الفرج بسنده عن ابن عباس أنه قال: "أول من صلى أبو بكر
رضي الله عنه"، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت:

إذا تدحرجت شعوا من أنى بقية • فاذكر أخاك أبا بكر بما فعل
خير البرية ألقاها وأمدتها • إلا النبي، وأولاهها بما حملا
الثاني التالي محمود مثله • وأول الناس حقاً صدق الرُسل

والله يهدي من يشاء.

(١) قوله ابن هشام في السيرة ١: ٢٦٢. (٢) في سيرة ابن هشام ١: ٢٦٢: «بما جاء».

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١: ٢٦٤، وأسد الغابة ٢: ٢٢٤. (٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٦٦.

(٥) ١: ٨٩. (٦) عن مفة الصفوة ١: ٨٩. (٧) حفة الصفوة ١: ٨٩.

٦١
١٤

وأما إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فقد اختلف في سنة حال إسلامه ؛ ف قيل : أسلم وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : تسع سنين ، وقيل اثنتي عشرة سنة ، وقيل أكثر من ذلك إلى عشرين سنة ، وهو بعيد ، لأنه آمن في ابتداء الأمر وظهور النبوة . والله أعلم .

وكان من حديث إسلامه ما رواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيع ^(٢٦) عن مجاهد بن جبر بن أبي الجحاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراد به من الخير أن قرينا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ، وكان من أمير بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه ^(٢٧) [من عياله] وأخذ من بيده رجلا ، وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه ^(٢٨) ، فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى نلقيا أبا طالب ، فقالا [له] : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى يتكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لها [أبو طالب] : إذا تركتني لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ، ويقال قال : عقيلا وطالبا ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عيلا فضمه إليه ، وأخذ العباس

- (١) قل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق ، ثم ذكر بقية الأقوال في سه يوم أسلم . (٢) قل ابن هشام في الميرة : ٢٦٢ . (٣) في الأصل : « فلتنف من عياله » ، والقي أثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ . (٤) في الأصل : « وتأخذ رجلا » ، والمثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ . (٥) في الأصل : « فنكفهما » ، والمثبت عن ابن هشام ص ١٥٩ (طبعة أوروبا) . (٦) في سيرة ابن هشام : ٢٦٣ : « حتى أتيا » . (٧) في الأصل : « فقالا إنا نريد » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام : ٢٦٣ . (٨) في الأصل : « فقال لها إذا » ، والمثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ .

١٥

٢٠

جعفرًا [فضمَّه إليه ^(١)] ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً فاتبعه على وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم .
قال ابن إسحاق :

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبي طالب ^(٢) مستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا فكذا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبيينا إبراهيم ، بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعانني عليه ، أو كما قال . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني والله لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا ينخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت .

وذكروا أنه قال لابنه علي : أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال :

يا أبت ، آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقته بما جاء به ، ووصلت منه الله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

(١) في الأصل : « جعفرًا لم يزل » ، والثبت عن ابن هشام : ٢٦٢ .

(٢) في سيرة ابن هشام : « حتى أسلم واستخفى عنه » .

(٣) في الأصل : « فيصليان الصلاة » ، والثبت عن سيرة ابن هشام : ٢٦٣ .

(٤) في سيرة ابن هشام : ٢٦٣ : « أيينا إبراهيم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني » .

(٥) في سيرة ابن هشام : ٢٦٤ : « إني لا أستطيع » .

وأما إسلام زيد بن حارثة رضى الله عنه ^(١) — فقال محمد بن إسحاق :

ثم أسلم زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نسب ابن الكلبي فقال : زيد ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن جدوة بن امرئ القيس بن نعان بن عمران بن عيد عوف بن عوف ابن ثخان بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو ابن مرة بن مالك بن حنيس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال أبو عمر : وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها . ^(٢) قال : ولم يتابع ابن إسحاق على قوله « شراحيل » وإنما « شراحيل » . ^(٣)

وقال ابن الكلبي : وأما زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت ، من بني معن من طيء ^(٤) .

(١) تربية زيد بن حارثة في الاستيعاب ١٩١ ، وأسد الناقة ١ : ٢٣٤ .

(٢) في الأصل : « قال » .

(٣) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ٦٢٤ : « العزى بن امرئ القيس » .

(٤) في الاستيعاب ص ١٩١ .

(٥) في الأصل : « وزيادة في شيء منها » . والمثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، حيث نقل عنه .

(٦) القائل ابن عبد البر .

(٧) في الأصل : « على شيء منها » وإنما هو شاحيل « تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وانظر أسد الناقة ٢ : ٢٢٤ .

(٨) في الأصل : « عامر بن طيء » ، والذي أثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وأسد الناقة

- قال ابن إسحاق: ^(١) وصلّ زيد بعد عليّ بن أبي طالب . قال أبو محمد عبد الملك ابن هشام: وكان حكيم بن حزام بن خُوَيْلِدٍ قديم من الشام برقيق منه زيد بن حارثة، وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خُوَيْلِدٍ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها: اختاري يا عمة، أيت هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيدا، فأخذته، فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها، فاستوّهه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جرما شديدا وبكى عليه حين فقهه، ثم قديم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شئت فأقيم عندي، وإن شئت فانتقل مع أبيك»، قال: بل أقيم عندك، فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعته الله، فصداقه وأسلم وصلّ معه، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ قال: أنا زيد ابن حارثة . وقد روى أبو عمرو وغيره أن حارثة لما فقد ابنه زيدا قال:

- بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحيى يربى أم آتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل ^(٢)

- (١) نقله ابن هشام ١ : ١٦٤ .
(٢) في سيرة ابن هشام : « فميم زيد » .
(٣) كذلك الاستيعاب ص ١٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « أحيى يربى » .
(٤) في سيرة ابن هشام :
« ... أدرى وإنى لساقل * أغالك بسدى السبل ... »
ورواية المؤلف عن ابن عبد البر في الاستيعاب .
(٥) ابن هشام : « أوبة » .
(٦) بجل بمسى حسب . وفي أسد الغابة ٢ : ١٩٥ : « ل غل » .

تذكرنيهِ الشمسُ عند طلوعها * وتعرض ذكره إذا قاربَ الطفلُ^(١)
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره * فبا طول ما حزن عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسام التلطواف أو تسام الإبل
حياتي أو تأتي علي منيى * وكل أمرئ فإن وإن غره الأمل^(٢)
سأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيدا ثم من بعده جبل^(٣)
يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد ، وزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب
ابن ثراحيل .

قال : ^(٤) فحج ناس من كلب فראوا زيدا ففرقهم وعرفوه ، وقال لهم : أبلغوا
أهل هذه الأبيات ، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي ، فقال :
أحسن إلى قومي وإن كنت نائيا * فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجائكم * ولا تملوا في الأرض نص الأباغر
فإني بمحمد الله في خير أسيرة * كرام معد كابر
فأطلق الكليون فأعلموا إياه ، فقال : ابني ورب الكعبة ، فوصفوا لموضوعه
وعند من هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا ثراحيل لفدائه ، وقدما مكة^(٥) ، فسالاه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، فقبل : هو في المسجد ، فدخل عليه فقالا : يا بن عبد المطلب ،

(١) رواية ابن هشام : « ... ذكره إذا غر بها أفل »

(٢) ابن هشام : « فكل أمرئ » .

(٣) هذا البيت لم يورده ابن هشام .

(٤) القائل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ١٩٢

(٥) في الأصل « أناس من كلب » ، والتصويب من الاستيعاب ص ١٩٢

(٦) في الاستيعاب ص ١٩٢ : « أبلغوا عني أهل » .

(٧) في الاستيعاب ص ١٩٢ ، وأسد الناقة ٢ : ٢٢٥ : « قدما » .

يَا بَنِي هَاشِمٍ، يَا بَنِي سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَتَيْتُمْ أَهْلَ حَرَمِ اللَّهِ وَجِيعَاتِهِ، تَفْتَكُونَ الْمَانِيَّ، وَتُطْلَعُونَ الْأَسِيرَ، جِئْتُكُمْ فِي أَيْتَانَا عِنْدَكُمْ، فَاغْنُنِي طِينًا وَأَحْسِنِ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ؟ قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟^(١) قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا غَيْرَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «أَدْعُوهُ فَأَخْبِرْهُ، فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَهُوَ لِي، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيَّ مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا»^(٢). قَالُوا: قَدْ زِدْتَنَا عَلَى النَّصْفِ وَأَحْسَنْتَ إِلَيْنَا، فِدَاءَهُ نَقَالُ: «بَعْدَ تَعْرِفِ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، قَالَ: «فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتُ، وَقَدْ رَأَيْتُ صَحْبِي لَكَ، فَاخْتَرْنِي أَوْ اخْتَرِهَا»، فَقَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ طَيْفِكَ أَحَدًا، أَنْتَ مَنِ مَكَانُ الْأَبِ وَالْعَمِّ، فَقَالَا: وَيَحُكُّ يَا زَيْدُ! اخْتَارَ الْعَبوديةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، وَعَلَى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِي يَتَنَكَّرُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنِّي زَيْدُ ابْنِ أَبِي يَرْبُوعٍ وَأَرِيْتُمْ؟ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ نَفْسُهُمَا وَانْصَرَفَا. وَدُعِيَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَتَزَلَّتْ: «(أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ)»، فَدُعِيَ يَوْمَئِذٍ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَدُعِيَ الْأَدْعِيَاءُ إِلَى آبَائِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَنْ هُوَ قَالَ» وَالنَّبْتُ مِنَ أَسَدِ النَّبَاةِ، وَالِاسْتِيبَابُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «فَأَخْبِرْهُ».

(٣) فِي الْإِسْتِيبَابِ وَأَسَدُ النَّبَاةِ: «قَالَا».

(٤) فِي الْإِسْتِيبَابِ ١: ٢٢٨: «وَأَحْسَنْتَ فِدَاءَهُ».

(٥) عَنِ الْإِسْتِيبَابِ، وَانْظُرْ أَسَدَ النَّبَاةِ ٢: ٢٢٥.

(٦) فِي أَسَدِ النَّبَاةِ ٢: ٢٢٥: «تَدْعُرُفَتْ».

(٧) فِي أَسَدِ النَّبَاةِ ٢: ٢٢٥: «قَالَ: مَا أُرِيدُهَا، وَمَا أَنَا بِالَّذِي».

(٨) فِي الْإِسْتِيبَابِ ص ١٩٢: «وَعَلَى أَهْلِ».

ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق - رضوان الله عليهم -

قال محمد بن إسحاق^(١) .

لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب فريش لفريش، وأعلم فريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروف، وكان رجالٌ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لمأبىه وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يشاء ويحسب إليه، فأسلم^(٢) بدعائه رضي الله عنه، عثمان بن عفان^(٣)، والزبير بن العوام^(٤)، وجند الرحمن بن عوف^(٥)، وسعد بن أبي وقاص^(٦)، وطلحة بن حبيد الله^(٧)، فبأبى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استجابوا له، فأسلموا وصلوا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبرة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي خفافة، ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » .

(١) قاله ابن هشام في السيرة ١ : ١٦٥

(٢) المؤلف : الموضع الذي يافقه الناس، ووصف أبي بكر به على نوع من التجوز .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « إلى الله وإلى الإسلام » .

(٤) الخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ - ترجمته في الاستيعاب ١ : ٤٨٧، والعلامة الخرجي ص ٢٢١ .

وغيرهما . (٥) ابن عمة رسول الله، توفي سنة ٣٦ بعد وفاة الجبل . وانظر الاستيعاب ٢٠٧ .

(٦) المتوفى سنة ٣٢ على خلاف، وانظر الاستيعاب ٤٠٢ .

(٧) آخر العشرة المبشرين موتاً، مات بالحقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على

خلاف . وانظر الاستيعاب ٥٥٨ .

(٨) أحد العشرة أيضاً، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخضير . مات يوم الجمل

سنة ٣٦ . وانظر الاستيعاب ٢١٣ (٩) في الأصل : « وسلم حتى » .

(١٠) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩ : « كانت فيه عتة كبرة » .

(١١) باعكم : ما طيبت .

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء الثغر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام للناس
فصلوا وصدقوا بما جاء من الله .

- ثم أسلم أبو عبيدة ، وأسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، وأبو سلمة ، وأسمه
عبد الله بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ابنا
مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر ،

- (١) أحد عشرة ، توفي سنة ١٨ في طاعون حمّاس . وانظر الاستيعاب ٤٦٠ .
(٢) ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأخوه من الرضاة . توفي بعد مرجعه
من بدر . وانظر الاستيعاب ص ٣٧٩ .
(٣) هوساع من أسلم ، وهو من البدرين ، توفي سنة ٥٥ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٥٠ ،
والإصابة ٢٨ : ١ .
(٤) أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر إلى الحبشة ، توفي في السنة الثانية من الهجرة ، وانظر الإصابة
٤٦٤ : ٢ والاستيعاب ٤٩٤ .
(٥) يكنى أبا عمرو ، هاجر المجرئين وشهد بدرا ، مات في خلافة علي ، واختلفوا في تحديد سنة وفاته .
وانظر الإصابة ٣ : ٢٢٩ ، والاستيعاب ٥٤٨ .
(٦) أبو محمد ، هاجر إلى الحبشة ، وقد وردت أخباره في ترجمة أخيه عثمان في الإصابة ٤٦٤ : ٢ ،
٣٧١ : ٢ ، وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .
(٧) كان رأس بن عبد مناف ، هاجر وشهد بدرا ، واستشهد بها ، وانظر الإصابة ٤٤٩ : ٢ ،
والاستيعاب ٤٢٢ .
(٨) اختلف بالتحقيق سنة ٥١ وهو أحد عشرة ، وانظر ترجمته في الاستيعاب ٥٥٢ .
(٩) تكنى أم جميل ، ولما أترف إسلام الخليفة عمر . انظر ترجمتها في الإصابة ٤ : ٣٨١ ،
والاستيعاب ٧٧٤ .

وأسماء ومائشة بنت أبي بكر، وكانت عائشة صغيرة، وخبّاب بن الأرت^(٢)
 حليف بن زُهيرة، وشمير بن أبي وقاص أنمو سعد، وعبد الله بن مسعود^(٥)،
 ومسعود بن القاري، وهو مسعود بن ربيعة، [أو الربيع]^(٦)، وسليط بن عمرو
 ابن عبد شمس، وعياش بن أبي ربيعة بن الأنخيرة، وأمرأته أسماء بنت سلامة^(٧)
 ابن مخزبة التميمية، وعتيس بن حذافة بن قيس^(٨)، وعامر بن ربيعة حليف^(٩)
 آل الخطاب، وعبد الله بن جهم وأخوه أبو أحمد بن جهم حليفا بن أمية^(١٠)
^(١١) ^(١٢) ^(١٣)

- (١). كانت تسمى ذات الطالقين، وقد رويت عنها أحاديث. توفيت بمكة سنة ٧٢ عن من مائة،
 وانظر الاستيعاب ٧٢٤.
- (٢). زوج النبي صلى الله عليه وسلم، روى عنها كثير من الأحاديث. توفيت سنة ٥٧. وانظر
 الاستيعاب ٧٦٤.
- (٣). أبو عبد الله التيمي، عذب في سبيل الله، ومات بالكوفة سنة ٣٧. وانظر الاستيعاب ٦٤٨.
- (٤). قتل يوم بدر فبيدأ له من العمر ١٦ سنة. وانظر الاستيعاب ٤٣٦.
- (٥). أبو عبد الرحمن، من زهاد الصحابة، توفي بالمدينة سنة ٣٢. وانظر الاستيعاب ٣٧٠.
- (٦). يكنى أبا حمير، وهو من القارة، وهم الهون بن خزيمة بن مدركة. مات سنة ٣٠. وانظر
 الاستيعاب ٢٨١. وفي الأصل: «بن ربيعة وسليط».
- (٧). من المهاجرين الأولين، شهد بدرا وسافر عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأيمامة، وقتل سنة
 ٤١٤. وانظر الاستيعاب ٥٩٦.
- (٨). في الأصل: «وعواد»، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣: ١، والاستيعاب ٥٠٨: ٢.
- (٩). وانظر الإصابة ٤٧: ٥.
- (١٠). في الأصل: «ابن جهم»، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣: ١. وانظر الإصابة ٧: ٨.
- (١١). من المهاجرين الأولين، مات بأحد. وانظر الاستيعاب ١٦٩، وسيرة ابن هشام ٢٧٤: ١.
- (١٢). كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة، شهد بدرا وسائر المشاهد. وتوفي سنة ٣٣
 على خلاف. وانظر الاستيعاب ٤٦١، سيرة ابن هشام ٢٧٤: ١. وفي الأصل: «حليف الخطاب».
- (١٣). حليف لثني عبد شمس، أو لحوب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين، مات يوم أحد
 وظل به، ودفن مع حزة في قبر واحد. وانظر الاستيعاب ٣٥٢، سيرة ابن هشام ٢٧٤: ١.
- (١٤). في اسمه عبد جهم، وكان شاعرا. انظر ترجمته في الاستيعاب ٦٤١، وسيرة ابن هشام
 ٢٧٤: ١.

- وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس^(١١)، وحاطب بن الحارث بن معمر^(١٢)،
وامرأته فاطمة بنت الحبل بن عبد الله^(١٣)، وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيمة^(١٤)
بنت يسار^(١٥)، ومعمر بن الحارث بن معمر^(١٦)، والسائب بن عثمان بن مظعون^(١٧)، والمطلب^(١٨)
ابن أزهر بن عبد عوف^(١٩)، وامرأته رمة بنت أبي عوف بن صبرة^(٢٠)، والنحام واسمه^(٢١)
نعم بن عبد الله^(٢٢)، وعامر بن قهيرة مولى أبي بكر الصديق^(٢٣)، وخالد بن سعيد بن العاص^(٢٤)
ابن أمية^(٢٥)، وقد روي أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد^(٢٦)
سعد بن أبي وقاص^(٢٧)، حكاة أبو عمرو^(٢٨)، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد^(٢٩)، وحاطب^(٣٠)
- (١) مات يوم مئة وله من العمر ٤١ سنة . وانظر الاستيعاب ٨١ ، وسيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ . (٢) هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها . وانظر أخبارها في الاستيعاب ٧٢٥ ،
وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .
- (٣) الاستيعاب ١٣٣ ، وفي ترجمته ذكرت امرأته فاطمة وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ .
- (٤) الاستيعاب ١٤٩ ، وقد ذكرت أيضا مع امرأته وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ .
- (٥) هو ابن أخت عثمان بن مظعون ، أخت النبي يمه وبين ما ذكره عفر ، وتوفي في خلافة عمر .
وانظر الاستيعاب ٢٧٨ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .
- (٦) هو أخو عثمان بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا . وانظر الاستيعاب ٥٨٨ ، وسيرة
ابن هشام ٢٧٦ : ١ .
- (٧) مات بالحبشة مهاجرا ، وانظر الاستيعاب ٢٦٨ ، والإصابة ٨ : ٨٦ ، وسيرة ابن هشام
٢٧٦ : ١ .
- (٨) أسلم قبل عمر ، وكان يكتم إسلامه . واختفى في وقته ، قيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ،
وانظر الاستيعاب ٣١١ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٦ : ١ .
- (٩) كان ملكا للقبيل بن عبد الله ، فأسلم وهو ملك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، ووافق النبي وأبا بكر
في هجرتهما . وانظر الاستيعاب ٤٦٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .
- (١٠) أسلم مع أبي بكر وهاجر إلى الحبشة ، واستلمه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات مذبح ،
وعلى صفاء الجن . وفي مكان وفاته خلاف . وانظر الاستيعاب ١٥٤ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .
- (١١) في الاستيعاب ١٥٤ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .
- (١٢) الاستيعاب ٧٢٦ ، واسم امرأته عند ابن عبد البر « أمية » ، وانظر أسد القباة ٥ : ٢٠٤ .

ابن عمرو بن عبد شمس^(١١)، وأبو حذيفة واسمه مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس^(١٢)
ابن عبد مناف، ويقال في اسمه هشيم، ويقال هاشم، وواقف بن عبد الله بن عبد مناف^(١٣)
ابن عشرين بن ثعلبة، وخالد، وطامر، وعاقيل، وإياس، بنو البكر بن عبد المطلب^(١٤)
وعمار بن ياسر حليف بن غزوم، وصهيب بن سنان^(١٥) .
قال ابن إسحاق^(١٦) :

ثم دخل الناس [في الإسلام]^(١٧) أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر
الإسلام [بمكة وتحت به]^(١٨) .

ولندكر من كانت له سابقة في الإسلام غير من ذكرنا والله الموفق للصواب .

- (١) جابر إلى الحبشة وشهد بدرا، وانظر الاستيعاب ١٣٣ .
- (٢) قتله ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٥٣ في ترجمة أبي حذيفة هذا، وانظر الأروض الأنف ١٦٧: ١ .
- (٣) الاستيعاب ٦٢٢ .
- (٤) انظر سورة ابن هشام ١: ٢٧٨، والاستيعاب ٦٢٣ .
- (٥) حالف في الجاهلية قبيل بن عبد المزي جد عمر بن الخطاب، فهو ولده حلفا، بن عدى، قتل سنة أربع من الهجرة . وانظر الاستيعاب ١٥٦ .
- (٦) يقال فيه أيضا : ابن أبي البكر . وانظر الاستيعاب ٤٦١ .
- (٧) كان اسمه فاضلا، فبناه النبي عاقلا . قتل بيدروسه ٣٤ سنة، وانظر الاستيعاب ٥٢٤ .
- (٨) يقال فيه أيضا : إياس بن أبي البكر، أسلم في دار الأرقم، له ترجمة في الاستيعاب ٤٧ .
- (٩) هو عيسى النسب وحالف بن غزوم، عذب في والله وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر : " يقتل عمارقة الباغية " . وانظر الاستيعاب ٤٣٤ .
- (١٠) يقال فيه ابن سنان الروى لأنه تعلم لسان الروم حيث سبوه وهو صغير، وهو من الثرثرين قاسط، وكان أبوه عاملا لكسرى على الأبط . وانظر ترجمته في الاستيعاب ٣٢٥ .
- (١١) قتله ابن هشام في السيرة ٢٨٠: ١ .
- (١٢) من ابن هشام ٢٨٠: ١ .

ذكر مُسَمِّية من كانت لهم سابقة في الإسلام

من العرب من غير قريش

كانت لجماعة سابقة إسلام، وهم من غير قريش، فرأينا أن نذكرهم في هذا

الموضع لسابقتهم في الإسلام .

- منهم أبو ذرٍّ جُنْدُب بن جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ، واخْتَلَفَ في اسمه اختلافا كثيرا، والمشهور ما ذكرناه، واخْتَلَفَ أيضا فيما بعد جُنَادَةَ، فُقِيلَ جُنَادَةُ بن قَيْس بن عمرو ابن صُعَيْر بن حرام بن غِفَار، وقِيلَ جُنَادَةُ بن صُعَيْر بن حُيَيد بن حرام بن غِفَار، ويقال جُنَادَةُ بن سُفْيَان بن حُيَيد بن [صُعَيْر بن] حرام بن غِفَار، أسلم أبو ذرٍّ بعد ثلاثة، وقِيلَ: بعد أربعة، فكان خامسا، وله في سبب إسلامه حديث حسن، نذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبار وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد غِفَار على ما تحف عليه، وهو في السفر السادس عشر من كتابنا هذا . وأسلم بسبب إسلامه أخوه أنيس بن جُنَادَةَ وأُمُّهُمَا رَمْلَةُ بنت الوقيعة الْغِفَارِيَّة . ومنهم عمرو بن عَبْسَةَ بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عَتَّاب بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم، يكنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب . قال أبو عمرو بن عبد البر: رويانا عنه من وجوه أنه قال: أُلِّيَ في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعت رجلا وأنا أنكم بذلك، فقال: يا عمرو، إن بمكة رجلا يقول كما تقول، قال: فاقبلت إلى مكة

٦٤
١٤

- (١) في صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٣٨:١ وما بعدها، ترجمة مفصلة لأبي ذر الغفاري، وانظر الحلية لأبي نعيم ١٥٦:١ والاستيعاب ٨٢ .
- (٢) عن تاج العروس (ص ٢) .
- (٣) كان أكبر من أخيه أبي ذر . له ترجمة في الإصابة ١: ٨٨ .
- (٤) له ترجمة في الإصابة ٤: ٣٠١ .
- (٥) في الأصل: «عمرو بن عبسة» . وانظر ترجمته في أسد الغابة ٤: ١٢٠، والاستيعاب ٤٤٣ .
- (٦) في الاستيعاب ص ٤٤٣ .

أَوَّلَ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ، فَقِيلَ لِي : إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْقِيلِ حِينَ يَطُوفُ، فَجُمْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْكُفَّةِ فَمَا شَعُرْتُ إِلَّا بِصَوْتِهِمْ هَلْ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ، فَقُلْتُ وَمَا نَبِيُّ اللَّهِ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ، قُلْتُ وَبِمَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ : بَأَن يُعْبِدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، وَتُكْتَمَرَ الْأَوْثَانُ وَتُحْفَنَ الدَّمَاءُ، [وَتُؤَمَّلَ الْأَرْحَامُ]، قُلْتُ : وَمَنْ مَمْلَكٌ عَلَى هَذَا؟ قَالَ : حُرٌّ وَعَبْدٌ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَبِلَالًا، فَقُلْتُ : أَسْبَطْ يَدَكَ أَبَايُكَ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، قَالَ : قُلْتُ أَقِيمْ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «لَا. وَلَكِنْ أَخْلُقْ بِقَوْمِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ أَنَّي قَدْ خَرَجْتُ فَاتَّبِعْنِي» قَالَ : فَطَعَنْتُ بِقَوْي، فَكُنْتُ دَهْرًا مُنْتَظَرًا خَبْرَهُ حَتَّى أَتَتْ رَفَقَةٌ مِنْ يَثْرِبَ فَسَأَلْتُهُمُ الْخَبْرَ، فَقَالُوا : خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ : فَارْتَحَلْتُ فَاتَّبَعْتُهُ فَقُلْتُ : أَعْرِفْنِي؟ قَالَ : «نَعَمْ، أَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْنَا بِمَكَّةَ». وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ : «رَغِبْتُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ، يَمْدُونُ الْجِمَارَةَ، وَهِيَ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، قَالَ : فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُتَابِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ الدِّينِ، فَقَالَ : يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ مَكَّةَ يَرْضَخُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَيَدْعُو إِلَى خَيْرِهَا، وَهُوَ يَأْتِي بِأَفْضَلِ الدِّينِ، فَإِذَا سَمِعَتْ بِهِ فَاتَّبَعَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ

(١) هكذا في الاستيعاب ٤٤٣، وفي أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : «خفف» .

(٢) في الاستيعاب ٤٤٣ : «قال أن» . (٣) من أسد الغابة ٤ : ٢٢٠ .

(٤) في أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : «والذي رجع» .

(٥) في الأصل : «بقوى»، وكنت دهرًا منتظرًا، «واقى أثبت عن الاستيعاب ٤٤٣، وانظر

أسد الغابة ٤ : ١٢٠ .

(٦) في الاستيعاب : «فسألتهم من الخبر» . (٧) في الاستيعاب ص ٤٤٤ .

(٨) في الأصل : «عبسة»، وانظر الاستيعاب ٤٤٤ . (٩) في الأصل :

«آله باطل»، وانظر الاستيعاب . (١٠) في الاستيعاب : «والجارية لا» .

- إلا مكة أسأل هل حدث فيها حادثة^(١)؟ فيقولون: لا، فانصرف إلى أهل، وأهل من الطريق غير بعيد، فأعرض الركبان خارجين من مكة فأسألم هل حدث فيها حادثة؟ فيقولون: لا، فإني لقاعد على الطريق يوماً^(٢) إذ مرّ بي راكب فقلت من أين أنت؟ قال: من مكة، قلت: هل فيها من خبر؟ قال: نعم، رجل رغب عن أهله قومه ودعا إلى غيرها، قلت: صاحبي الذي أريد، فشددت راحتي، وجئت مكة، وتزلت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه، فوجدته مستخفياً، ووجدت فردشاً إلى أبي عليه، فقلّقت حتى دخلت عليه، فسألت ثم قلت: من أنت؟ قال: «نبي الله»، قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: من أرسلك؟ قال: «الله»، قلت: ثم أرسلك؟ قال: «أبى تَوَصَّلَ الأرحامُ، وتحقّق الدماءُ، وتوُمن السبيلُ، وتكثر الأوثان، ويُعبَد الله وحده لا يشرك به شيء». فقلت: نعم ما أرسلت به، أشهدك أني قد آمنت بك وصنّفتك، أمكث معك أم ما تأمرني؟ قال: «قد رأيت كراهة الناس لما جئت به، فأمكث في أهلك، فإذا سمعت أني خرجت مغرباً فاتبعني»، فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرّت حتى قدست عليه فقلت: يا نبي الله، هل تعرفني؟ قال: «نعم، أنت السلمي الذي جئتني بمكة فقلت لي كذا، وقلت لك كذا»^(٣).

١٥

(١) في الاستيعاب ص ٤٤٤: «حدث فيها أمر».

(٢) في الاستيعاب: «الطريق إذ مر».

(٣) في الأصل: «من أين قال».

(٤) رواية الاستيعاب: «قال نبي»، قلت: وما النبي؟ قال: رسول، قلت:

(٥) في الاستيعاب: «أم تأمرني أن آتي أهل».

(٦) في الاستيعاب: «به أنه خرج».

(٧) في الاستيعاب: «كذا وكذا».

٢٠

ومنها عتبة بن غزوان بن جابر، ويقال عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر
ابن وهب بن قسب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن [الحارث بن]
مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار المازني
حليف لبني نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا غزوان، كان
إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة [في إسلامه]، وقد قال ذلك في خطبته
بالبصرة: "لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سابع سبعة"
مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قويت أشدأقنا". رضى الله عنهم أجمعين.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسماعيل:

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب،
فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم
يصلون، فتكروهم، واطبوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلهم، فغضب سعد بن أبي وقاص
يومئذ رجلا من المشركين يلحى بعير، فشد به، فكان أول دم هريق في الإسلام.

(١) ترجمه في الاستيعاب ٥٥٥، وأسد الغابة ٣: ٣٦٣، والإصابة ٤: ٤٤٨.

(٢) كذا في الاستيعاب، وفي أسد الغابة: «وعيب». (٣) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٣.

(٤) كذا في أسد الغابة وفي الأصل: «بن قيس بن عيلان». (٥) في أسد الغابة،

والاستيعاب: «مناف بن قيس يكنى». (٦) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٤، والاستيعاب

ص ٥٥٥، وفي الأصل: «سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا».

(٧) قوله ابن هشام ١: ٢٨١ - (٨) الخشني ١: ٨١ «الحق: العظم الذي على الخلد».

(٩) شجيرة جرحه في وجهه أو رأسه.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به من عند الله ^(١) وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى الله تعالى، فكان يدعو ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاة ^(٢).

قال محمد بن سعد: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ^(٣) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ^(٤): لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم الناس نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قالت عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال [لم]: «يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله»؛ قيل: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك، فبلغ عند ذلك الرسالة.

ومن الزهري ^(٥) قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرا وجهوا، فاستجاب لله تعالى من شاء من أحداث الرجال وضمفاء الناس حتى كثروا آمن بالله؛ وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إن غلام بن عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آباؤهم الذين ماتوا على الكفر، فعند ذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكروه، واجمعوا علاقة ^(٦).

(١) انظر طبقات ابن سعد ١: ١٣٢ (قسم أول). (٢) رواية ابن سعد: «ما جاء من».

(٣) رواية ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول): «يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين». (٤) في الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول). (٥) في دلائل النبوة للبيهقي ورقة ١٤١.

(٦) عن دلائل النبوة للبيهقي. (٧) طبقات ابن سعد ١: ١٣٣. (٨) العلاقة: المصومة.

قال ابن عباس رضي الله عنه : لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم :
 (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال :
 "يا معشر قريش" ، فقالت قريش : محمد صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا ، فقالوا :
 مالك يا محمد ؟ فقال : "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بَسَفَحَ هَذَا الْجَبَلَ أَكُنْتُمْ تَصَدَّقُونَنِي ؟"
 قالوا : نعم ، أنت عندنا غير مُتهم ، وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : "فإني نذير لكم بين
 يدي عذاب شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة" ، حتى
 عدد الأنفاد من قريش "إن الله أمرني أن أنذِر عشيرتي الأقربين ، وإني لا أنفك
 لكم من الدنيا منقعة ، ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله" قال : فقال
 أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعنا ؟ فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ)
 السورة كلها ، قال الواقدي : لما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام
 ومن معه ، وفشا أمره بمكة ، ودما بعضهم بعضا ، فكان أبو بكر يدعوا ناحية سرا ،
 وكان سعيد بن زيد مثله ، وعثمان مثل ذلك ، [وكان عمر يدعو علانية وجمرة
 ابن عبد المطلب ^(٤)] وأبو عبيدة بن الجراح ، ففضيحت قريش من ذلك ، وظهر
 منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد والبغى ، وأشخاص ^(٥) ثمة منهم رجال فيادوه ،
 وتسر آخرون وهم على ذلك الزأى ، إلا أنهم يُترهون أنفسهم عن القيام والإختصاص
 برسول الله صلى الله عليه وسلم .

- (١) قال ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) ، وابن كثير في البداية ٣ : ٣٨٨ على خلاف في الرواية .
 (٢) قال ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
 (٣) في طبقات ابن سعد : « زيد مثل ذلك ، وكان حيان » .
 (٤) عن ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
 (٥) أشخاص : ألقوه .

ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين جاهروا بالعداوة

- قالوا : ^(١) كان أهل العداوة والمباينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين يطلبون الجدل وألصومة : أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن قيس بن عدى ، والوليد بن المغيرة ، وأمّية وأبني أبنا خلف ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ^(٢) ، والعاص بن وائل ، والنضر ابن الحارث ، ومُتَنَبِّه بن الحجاج ، وزُهَيْر بن أبي أمية ، والسائب بن صفيح ^(٣) بن عابد ، والأسود بن عبد الأسد ، والعاص بن سعيد بن العاص ، والعاص بن هشام ^(٤) ، وعُقبة بن أبي معيط ، وأبو الأصدي ^(٥) ، وهو الذي نطحت الأروى ، والحكم ابن أبي العاص ، وعدى بن الحمراء ، وذلك أنهم كانوا جيرانه ، والذين كانت تتبى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعُقبة ابن أبي معيط ، وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب أهل عداوة ، ولكنهم لم يُشخصوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا كمنحوقريش ، ولم يسلم من هؤلاء إلا أبو سفيان والحكم بن أبي العاص .

٦٦
١٤

- ١٥ (١) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
(٢) عن ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
(٣) عن ابن سعد أيضا .
(٤) في طبقات ابن سعد : « ابن هاشم » .
(٥) ابن سعد : « وابن الأصدي المذل » .
(٦) في الأصل : « وائى كانت » تصحيف .
(٧) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٤ : (قسم أول) ، وشرح المراهب ١ : ٢٨٢ ، والبداية

ذَكَرَ دُخُولَ قُرَيْشٍ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمَخَاوِرَاتِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ^(١) :

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُعْتَبَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَذَبَ عَلَيْهِ، وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُمْ، مَتَى رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، وَهُمْ : حُثَيْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ تَحْضُرُ بْنُ حَرْبٍ، وَأَبُو الْبَيْهَرِيِّ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَأَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ، وَنَيْبُهُ وَمُنْبَةُ ابْنَا الْحِجَّاجِ ابْنِ حَامِرٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ أَلْهَتَنَا وَطَابَ دِينُنَا وَسَقَمَ أَهْلَانَا وَضَلَّ آبَاؤُنَا، فَمَا أَنْ تَكْفَهُ عَنَّا، وَإِنَّمَا أَنْ تَخْلَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى سَبِيلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَتَكْفِيكَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرَى الْأُمُورَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَايَعَدَ الرِّجَالُ وَتَفْضَاغُنُوا، وَكَثُرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا، فَتَذَامَرُوا فِيهِ، وَحَصَّنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ،

(١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٨٢ ، وانظر حيون الأثر ١ : ٩٩ .

(٢) لا يعضهم ؛ يقال استعصى فأحسه ؛ أى أرضه وأزلت الناب عنه .

(٣) في حيون الأثر ١ : ٩٩ : « ولم يسلمه » .

(٤) في الطبري ٢ : ٢١٨ وحيون الأثر ١ : ٩٩ ، والبداية ٣ : ٤٧ : « على مثل » .

(٥) شرى الأمر : اشتد واستفحل ، وفي الأصل : « سرى » تصعيف .

(٦) تذامروا : أى تلاوموا على قوت القرصة ، أو حصن بعضهم بعضا على الجدة القتال . وانظر

شرح المراهب لفرزقاني ١ : ٢٤٨ .

- ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومزلةً
 فينا ، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإننا والله لا نصبر على هذا ، من
 شتم أبائنا ، ونسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكف عنه ، أو ننازله وإياك في ذلك
 حتى يهلك أحد الفريقين ؛ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه
 وعداوتهم ، ولم يطلب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ولا خذلانه .
 فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بن أخي ، إن قومك قد
 جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقي على وصى نفسك ، ولا تخجلني من الأمر ما لا أطيع ؛
 قال : ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه ، وإنه خافله ومسايله ،
 وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له : ^(١) « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس
 في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه
 ما تركته » ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام ، فلما ولي ناداه أبو طالب
 فقال : أقبل يا بن أخي ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب
 يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

- قال : ^(٢) « ثم إن قريشاً لما عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفرأهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بمارة
 ابن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أتهددني في قريش
 وأجله ، فخذ فلك عقله ونصره ، واتخذ ولدنا فهو لك خير ، وأسلم لنا ابن أخيك هذا
^(٣) » .

- (١) في الأصل : « قد يهلك » .
 (٢) في البداية (٣ : ٤٨) من ابن إسحاق : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم .
 (٣) في سيرة ابن هشام : ٢٨٥ ، وحيون الأثر : ١٠٠ ، والبدية ٣ : ٤٨ : « وسلم فبكى ثم قام » .
 (٤) القائل ابن إسحاق ، وانظر السيرة لابن هشام : ٢٨٥ ، وحيون الأثر : ١٠٠ .
 (٥) في سيرة ابن هشام : ٢٨٥ ، وحيون الأثر : « حين عرفوا » .
 (٦) أتهد : أشد وأخفى .

الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم فنقتله،
فإنما هو رجلٌ برجل، قال: والله لبئس ما تسومونى، أنسطونى ابنكم أفذوه لكم،
وأعطيك ابنى تقتلونوه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً، فقال له العظيم بن حدى^(١)
ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا
على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؟ فقال له أبو طالب: والله
ما أنصفونى، ولكلك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على^(٢)، فاصنع ما بدا لك،
فحقب الأمر، وحيث الحرب، وتناهد القوم، وبأدى بعضهم بعضاً.
قال الواقدي^(٣):

لما أجاهم أبو طالب بما قدمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له: فأرسل
إليه فلنُعطيَه النصف، فأرسل إليه أبو طالب، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال: يا بن أختي، هؤلاء عمومتك، وأشبائ قومك، وقد أرادوا ينصفونك، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا أسمع" قالوا: تدعنا وأهلتنا، وندعك وأهلك،
قال أبو طالب: قد أنصفك القوم فاقبل منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"أرايتكم إن أعطيتكم هذه هل أتم معطي كلمة إن أتم تكلمت بها، ملكتم بها العرب،
ودانت لكم بها العجم؟" فقال أبو جهل: إنا هذه لكلمة مريجة، نعم، وأبيك

- (١) في الأصل، ويعون الأثر: «رجل كرجل»، وانظر البداية ٣: ٤٨.
- (٢) في سيرة ابن هشام ١: ٢٨٥: «قال».
- (٣) في الإمل: «أنسطون».
- (٤) في الأصل: «فقال له المعلم» تصحيف، وانظر الطبري ٢: ٢٢٠.
- (٥) في سيرة ابن هشام ١: ٢٦٨، ويعون الأثر: «قد أجمعت».
- (٦) حقب الأمر: زاد واشتد.
- (٧) قال ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٥: (قسم أول).
- (٨) في رواية ابن سعد: «أرايتكم».

لَنَقُولُهَا وَعَشَرَ أَمْثَلَهَا ، قَالَ : « قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، فَاشْتَأَزُوا وَقَرُّوا مِنْهَا وَغَضِبُوا ، وَقَامُوا وَهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ وَأَصِيرُوا خَلَّيْتُمْ هَذَا لَتَنِيَّ رِيَادٌ ﴾ ، وَيَقَالُ :
 إِنْ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهَا عَقِبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَقَالُوا : لَا تَتَوَدُّ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَمَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ
 تَتَنَالَ عَهْدًا . فَلَمَّا كَانَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، قَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَاءَ
 أَبُو طَالِبٍ وَنُحُمَتُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَجَمَعَ فِتْيَانًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ،
 ثُمَّ قَالَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ حَدِيدَةً صَارِمَةً ، ثُمَّ لِيَتَّبِعَنِي إِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَلْيَجْلِسَ
 كُلُّ قَوْمٍ مِنْكُمْ إِلَى عَظِيمٍ مِنْ عَظَمَتِهِمْ ، فَبِهِمْ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ ، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْسِبْ
 عَنْ شَرِّ أَنْ كَانَ عِدَ قَدْ قِيلَ ، فَقَالَ الْفِتْيَانُ : نَفْعَلُ ، بَجَاءِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، فَوَجَدَ
 أَبَا طَالِبٍ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقَالَ : يَا زَيْدُ ، أَحَسَسْتَ^(١) ، ابْنَ أُمَيٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ
 مَعَهُ آنَفًا ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : لَا ادْخُلْ بَيْتِي أَبَدًا حَتَّى أَرَاهُ ، فَخَرَجَ زَيْدٌ مَسْرُوعًا حَتَّى
 أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصُّفَا ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يَتَخَذَتُونَ ،
 فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، بَجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمَيٍّ ،
 أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَكُنْتُ فِي خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ادْخُلْ بَيْتَكَ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَالِبٍ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ
 بِيَدِهِ فَوَقَفَ عَلَى أُنْدِيَةِ قُرَيْشٍ وَمَعَهُ الْفِتْيَانُ الْمَاشِيُونَ وَالْمُطَّلِبِيُّونَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
 قُرَيْشٍ ، هَلْ تَدْرُونَ مَا أَهَمَّتْ بِهِ ؟ قَالُوا : لَا . فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، وَقَالَ لِلْفِتْيَانِ :
 اكْشِفُوا عَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ ، فَكَشَفُوا فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ مَعَهُ حَدِيدَةٌ صَارِمَةٌ ، فَقَالَ :
 وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُمُوهُ مَا بَقِيْتُ مِنْكُمْ أَحَدًا حَتَّى تَنْفَتَانِي نَجْنِ وَأَتَمَّ ، فَانْكَسَرَ الْقَوْمُ ، وَكَانَ
 أَشَدَّهُمْ انْكَسَارًا أَبُو جَهْلٍ .

(١) ابْنُ سَعْدٍ : « يَتَنَالَ عَهْدًا » . (٢) ابْنُ سَعْدٍ « كَانَ مَسَاءَ تِلْكَ » .

(٣) أَحَسَسْتُ : هَلْ رَأَيْتُ .

ذكر تحزب قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأذاهم له ولاصحابه

قال ابن إسحاق^(١) :

لما أيسر قريش من أبي طالب، وأنه لا يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسليه أبدا، تأمروا بينهم^(٢) على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [الذين أسلموا معه] ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يمدونهم ويقتنونهم عن دينهم ، فقام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ذلك في بني هاشم وبني المطلب ، قد علم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بدينه ، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب فإنه تمادى على غيه وكفره .

قال : ثم اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة ، وكان ذا بين فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ؛ إنه قد حضر هذا الموسم ، وإنا وفود العرب سنجد عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيه كذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا ؛ قالوا : فأنس يا أبا عبد شمس قتل ، وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أتم قولوا أسمع ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا ، والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان لما هو برمزمة^(٣)

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ « تذامروا » وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٢٩ .

(٣) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٢٩ .

(٤) القائل ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٨ وحيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٥) في حيون الأثر : « ستقدم » .

(٦) في الأصل : « برممة » .

- الكاهن ولا يصحبه، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو مجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو مجنونه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو شاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجته وهزجه وقرينه ومقبوضه ومبسوطة فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : سائر ، قال : ما هو سائر ، لقد رأينا السعار ويحرم ، فما هو بتمته ولا عقده ، قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقولي لحلاوة ، وإن أصله لعنق ، وإن فرعه بلحاة ، وما أتم قائلين من هذا شيئا إلا صُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : سائر ، جاء بقول هو محرف يُفَرَّق بين المرء وأبيه ، وبين المرء [وأخيه ، وبين المرء ^(٥) وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجلسوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم ، لا يترجم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَّفْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَيْنَ شُهودًا وَمَهَلْتُ لَهُ مَهْلِدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِيدًا ﴾ أي خصميا مخالفا ﴿ سَأْرِهَ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ . قال ابن هشام : بسرأى كره وجهه ، ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرُ يُوْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ .

(١) في حيون الأثر : « واقع ما هو » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ : « بنقهم ، ولا مقدم » .

(٣) يروى أيضا : « لعنق » بنق مبيحة ، وكره الدال ، وفي الأصل : « لده » ، واظفر

شرح المراهب ١ : ٢٥١ : « وحيون الأثر ١ : ١٠١ » .

(٤) في حيون الأثر ١ : ١٠١ : « يفرق به بين » .

(٥) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ : « وحيون الأثر ١ : ١٠١ » .

(٦) في السيرة ١ : ٢٨٩ .

قال ابن إسحاق^(١) :

وأُزيل الله في النَّفَر الذين كانوا معه يَصْنِفُونَ الْقَوْلَ في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من عند الله : (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) أى أصنافا (فَوَدَّكَ لِنَسَائِلِهِمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

قال ابن إسحاق^(٢) :

وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتسرت ذِكْرُهُ في بلاد العرب كلها . قال : ثم ابتدأت قُرَيْش في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فَأَغْرَوْا به صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُظْهَرٌ لِأَمْرِ الله لَا يَسْتَعْفِي به ، مُبَايَ لَمْ بِأَيُّهُمْ مِنْ حَيْبِ دِينِهِمْ ، وَاعْتَزَلَ أَوْلِيَانَهُمْ ، وَفِرَاقَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

قال محمد بن إسحاق^(٣) :

حدثني يحيى بن صُرُوق عن الزُّبَيْر عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قلت له ما أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَصَابُوا مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الْحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مَا رَأَيْنَا صَبْرًا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ، سَفَهُ أَحْلَامُنَا ، وَشَمَّ آبَاءُنَا ،

(١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٩٠ .

(٢) قتله ابن هشام ١ : ٢٩١ ، وانظر صيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٣) قتله ابن هشام ١ : ٣٠٨ .

(٤) في الأصل : « وفراق آباءهم » تحريف .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ .

(٦) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « أصابت ... كانت تظهر » .

- وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب أمتنا ؛ لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا ؛ فيينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فتمزوه ببعض القول ، قال : فعرفتُ ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مر بهم الثالثة فتمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ^(١) » . قال : فأخذتُ كلته القوم حتى ما منهم رجلٌ إلا كأمس على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة ^(٢) قبل ذلك ليرقوه بالحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فو الله ما كنتُ جهولاً ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الجحر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا دنا منكم وبأدأكم بما تكرهون تركتموه ، فيينا هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كنا وكلنا لما كان يقول من عيب ألفتهم ودينهم ، فيقول : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك » . قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ يجمع رداءه ^(٣) ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول : « أَتَقْتُلُون رجلاً أن يقول ربي الله » ، ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشد ما رأيتُ قريشاً نالوا منه قط .

(١) زاد أبو نعيم في اللآلئ ص ١٦٥ : « ... وأشار بيده إلى حلقه » . وفي الأصل :

« بالريح » ، راجع من ابن هشام ٣٠٩ : وانظر شرح المصاب ١ : ٢٥١

(٢) الوصاة : الرمية . (٣) ليرقوه : يهذه .

(٤) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « يجمع رداءه » .

(٥) ذكر هذا الخبر بمناه في شرح المصاب ١ : ٢٥١ ، وانظر الطبري ٢ : ٢٢٣ .

قالت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جَبَنُوهُ بِلِحِيته ، وكان رجلاً كثير الشعر .

وشرح الترمذی الحكيم في «توادر الأصول» ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : اجتمعت فريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث فأرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل هذا يجهأ وهذا يَبْتَلِهُ^(١) ، فاستغاث النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفته أحد إلا أبو بكر وله صغيرتان ، فأقبل يجهأ ذا وَيْتَلِلُ ذَا ، ويقول بأعلى صوته : وَيْلَكُمْ ، (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) ، والله إنه لرسول الله ، فقُطِعت إحدى صَفِيرَي أبي بكر يومئذ ، فقال علي^(٢) : والله ليوم أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل كتم إيمانه فأَتَى الله عليه في كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبَدَل ماله ودمه لله عز وجل : قال ابن هشام^(٣) :

حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من فريش : أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كَذَبه وأذاه [لا] حرولاً عبداً ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه ، فأُزِل الله عز وجل عليه : (يَا أَيُّهَا الْمَذْذَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ)^(٤) .

(١) في الأصل : «نوق» ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٠ .

(٢) في شرح المراهب ١ : ٢٥٢ : «وملأ يتيه» .

(٣) نقله بمناه في شرح المراهب ١ : ٢٥٢ .

(٤) في السيرة ١ : ٣٨٠ .

(٥) في الأصل : «وأذاه حرولاً» .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

صل الله عليه وسلم.

قال محمد بن إسماعيل^(١) :

- حدثني زجل^(٢) من أسلم كان وأعية : أن أبا جهل بن هشام مر برسول الله
صل الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، وقال منه بعض ما يكره من العيب
لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاه
لعبد الله بن جُذَمان تسمع ذلك ، ثم انصرف أبو جهل عنه عامداً إلى نادى
قريش عند الكعبة ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوتخاً قوسه ، واجمعا^(٣)
من قتيص له ، وكان حمزة أعز فتى في قريش وأشدته شكيمة ، فلما مر بمولاه
ابن جُذَمان قالت له : يا أبا عُمارة ! لو رأيت ما لى ابن أخيك عهداً أنفاً من أبى جهل
ابن هشام ، وجده ههنا جالساً فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه
ولم يكلمه عهد ، فغضب حمزة ، فخرج يسعى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبى جهل
جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها ، فشجه
شجّة منكّرة ، ثم قال : أقتنمته؟ فأتاه على دينه أقول ما يقول ، فرد ذلك على - إن
استطعت ، فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل :
دعوا أبا عُمارة ، فإنى والله لقد سبّحت ابن أخيه سباً قبيحاً ، وتمّ حمزة على إسلامه ،
وعلى ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ؛ فلما أسلم حمزة عرفت

(١) قوله ابن هشام في السيرة ١ : ٣١١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥٥ .

(٢) في حيون الأثر ١ : ٤٠ : « وكان وأعية » .

(٣) في حيون الأثر : « متوتخاً سيفه » .

(٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٦ : « وأنا » .

(٥) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ : « ما تابع » ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٦٥ .

قُرَيْشٌ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّزَ وَأَمْتَعَ، وَأَنْ حِزْمَةَ سَيْمَعَةَ، فَكَفُّوا
عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ قَبْلُ، قَالَ : وَكَانَ إِسْلَامُ حِزْمَةَ قَبْلَ إِسْلَامِ عَمْرِ
ابْنِ الْخَطَّابِ — وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ^(١).

ذِكْرُ مَشْيِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمَاعِهِمَا الْقُرْآنَ، وَاعْتِرَافَهُمَا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ شَيْئًا
مِنْ كَلَامِهِمْ، وَمَا أَشَارَ [بِهِ] عُتْبَةُ عَلَى أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٢) :

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ قَالَ : حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ
رَبِيعَةَ — وَكَانَ سَيِّدًا — قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأَكْتُمُهُ
وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُتْعِلَ بِهَا شَاءَ وَيَكْتَفِ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ
حِينَ أَسْلَمَ حِزْمَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْتُرُونَ،
فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَنُفِّمْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا بْنَ أُمَيٍّ، إِنَّكَ مَنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ
فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَحْسَرِ عَظِيمٍ فَرَّقَتْ بِهِ
جَمَاعَتَهُمْ، وَسَفَّهَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ^(٣)، وَعَيَّيْتُ بِهِ أَلْهَمَهُمْ وَدِينَهُمْ، وَكَفَّرْتُ بِهِ مَنْ مَضَى

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاحِبِ ١ : ٢٥٦ : « سِتَّةَ سِتٍّ مِنَ التَّبَوُّعِ وَقِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ »، وَانْظُرْ أَسَدَ

النَّبَاةِ ٢ : ٤٦ — ٥٥٠ (٢) قَتْلُهُ ابْنَ هِشَامٍ فِي السَّيْرِ ١ : ٣١٣، وَابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ

فِي عَيُونِ الْأَثَرِ ١ : ١٥٥ (٣) فِي عَيُونِ الْأَثَرِ : « ابْنُ أَبِي زِيَادٍ ».

(٤) فِي الْأَصْلِ : « حَيَّتْ »، وَالْمُتَّبِعُ رَوَاةُ ابْنِ هِشَامٍ.

- (١١) من آياتهم ، فاستمع مني أعبر من طبعك أمورا تنظر فيها لطائف تعجب منها بعضها ، قال :
 « قل يا أبا الوليد اسمع » ، قال : يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد مما جئت به من هذا
 الأمر مالا جمعا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا
 سودناك علينا حتى لا تقطع امرأ دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن
 كان هذا الذي ياتيك رغبة لا تستطع رده من نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه
 أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال
 له . حتى إذا فرغ حبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أفد فرغت
 يا أبا الوليد » ؟ قال : نعم ، قال : « فاستمع مني » ، قال : أفعل ، قال : (وَسَمِعَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
 حَمْدَ تَزْيِيلِ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَتَبَ فَضَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ : بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها حبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
 يستمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ، ثم قال :
 « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك » .

- فقام حبة إلى أصحابه فقال بمضيم ليمض : نحلف بالله لقد جاءكم
 أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ٢١٣ ، وفي شرح المراهب ١ : ٢٥٨ : « ما » .

(٢) الرئي بفتح الراء فهزة مكسوة فياء مشددة : الحاج من الجن ، وقيل : التابع المحبوب من

الجن . وانظر التباية (رأى) ، وشرح المراهب ١ : ٢٥٨ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٤ : « يستمع » .

(٤) سورة فصلت الآيات من ١ - ٤ .

(٥) في الأصل : « حنذا عليها » ، والمثبت رواية ابن هشام .

(٦) حيون الأثر ١ : ١٠٦ : « السجدة منها فسجد » .

٧٠
١٤

يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ نبأ [عظيم^(٢)] ، فإن تعبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فللكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٥) بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : قال أبو جهل والملا من قريش : لقد انتشر علينا أمر عد ، فلو اتقسم رجلا طلبا بالسحر والكهانة والشعر فكلّمه ، ثم أتانا بيسان أمره ؟ فقال عتبة : لقد سمعتُ بقول السحرة والكهانة والشعر ، وعليت من ذلك طلباً ، وما يخفى علىّ إن كان كذلك ، فأتاه حُبة فقال : يا عد ، أنت خير أم هاشم ؟ [أنت خير أم عبد المطلب^(٦)] ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فم تنتم آلهتنا ، وتفضل آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألوقتنا لك ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان بك الباه زوجتناك عشر نسوة نخار من أى بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ، فلما فرغ من حديثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في سيرة ابن هشام : « أنى قد سمعت » .

(٢) في الأصل ، وحيون الأثر ١ : ١٠٦ : « نبأ فإن » ، والرواية المتيعة من ابن هشام ١ : ٣١٤ :

(٣) في الأصل : « لغيركم » . (٤) في سيرة ابن هشام ، وحيون الأثر : « قالوا » .

(٥) دلائل النبوة روضة ١٤٦ . (٦) في دلائل النبوة : « فأتاه » ، فلما أتاه قال له حبة .

(٧) من دلائل النبوة .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ . تَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَحَابُّ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ)^(١) حتى يبلغ قوله تعالى : (صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)^(٢) ، فأمسك عتبة علي في النبي صلى الله عليه وسلم ، وناشدته الرحم أن يكف ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ؛ فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حبسنا إلا أنك صبيت إلى عهد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُنفيك عن طعام عهد ، فنضرب وأقسم بالله لا يكلم هذا أبدا ، وقال : لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أهنته ، وقص عليهم القصة ، قال : فاجبني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة ، قرا علي : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ) إلى قوله : (مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فأمسكت يفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمت أن هذا قال شيئا لم يكذب فيه ، نفقت أن ينزل بك المذاب .

وأما الوليد بن المغيرة فقد روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكانه رقى له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أنتجت هذا لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ،^(٣) وأنت كاره له ، فقال : وما ذا أقول ؟^(٤) فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما ينسبني الذي يقول شيئا من هذا ،^(٥) [والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثير أعلاه ، مثير أسفله ، وإنه ليعلم وما يُعلم ، وإنه ليحطم ما تحته . قال :

- ٢٠ (١) سورة فصلت الآيات من ١ - ٣ (٢) سورة فصلت آية ١٣
 (٣) دلائل النبوة ورقة ١٤٥ . (٤) في دلائل النبوة : « سكرنا »
 (٥) في دلائل النبوة : « قال » . (٦) تكملة من دلائل النبوة

لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال :
هذا يجرؤثر ، ياثره عن غيره ، فنزل قوله تعالى : ^(١) (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ...)
الآيات .

وعن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :
اقرأ علي ، فقرأ عليه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(٢) ، قال : أعد علي ، فأعاد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله إن له للحلاوة ، وإن ^(٣) [عليه للحلاوة ، وإن] أملاه
لثيمر ، وإن أسفله لمغديق ، وما يقول هذا بشر .

ذكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٧١
١٤

وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يُريهم ويُخبرهم به من القصص ، وأخبار
من سلف وغير ذلك من غيهم ، وما أنزل عليه في ذلك مما سذكروه إن شاء الله
تعالى ، ويُترجم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القصص بما يدل عليها ،
وبيئنها من التراجم وإن كانت داخلة فيها .
قال محمد بن إسحاق ^(٤) :

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش ، في الرجال والنساء .
وقريش تحبس من قَدَرَتْ على حبسه ، وتقن من استطاعت فتنته
من المسلمين ، ثم أجمعت أشراف قريش من كل قبيلة ، كما ووي عن سعيد بن

(١) في الأصل : « فاثره عن غيره » وانظر دلائل النبوة ورقة ١٤٥ .

(٢) سورة المائدة آية ١١ .

(٣) سورة النمل آية ٩٠ .

(٤) في الأصل : « للحلاوة ، وإن أملاه » ، وانكته عن البيهق حيث نقل عنه .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٥ .

- جُبَيْرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ : اجْتَمَعَ حُبَّةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْبَخْرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسْوَدُ ابْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغيرةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَثَيْبَةُ وَثَيْبَةُ ابْنَةُ الْحِجَاجِ السَّهْمِيَّانِ ، وَأُمَيَّةُ ابْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكُفَيْيَةِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ائْتُوا إِلَى عِدِّ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تَمِيزُوا فِيهِ ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ : إِنْ أَشْرَافُ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكَلِّمُوكَ ، فَأَتَيْهِمْ بِغَاءِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيحًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فَيَا كَلِّمُهُمْ فِيهِ بَدَاءً ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَيْهِمْ ، يُحِبُّ وَرُشْدَهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا : يَا عِدِّ إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاهِدٌ لَنَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ [عَلَى قَوْمِكَ] ، قَدْ شَقَّتْ الْآيَاءُ ، وَجِئْتَ الدِّينَ ، وَسَبَّتَ الْآلِهَةَ ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فَيَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ ، وَكَلِّمُوهُ بِغَوْ مَا كَلَّمَهُ بِهِ حُبَّةُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى مَا قَدَّمْنَا آفَاءً . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَا بِي [مَا] تَهْوُونَ ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ أَطْلُبُ بِهِ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ اللَّهُ يَمْنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، قِيلَتْ لَكُمْ رَسَائِلَاتِي رَبِّي وَنَصِيحَتِي لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ بَعْدَ قَوْلِهِ « وَرُشْدَهُمْ » : « رِيْزٌ عَلَيْهِ هَتَمٌ » .

(٢) تَكْلَافٌ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ٣١٥ .

(٣) فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « وَشَقَّتْ الْآلِهَةَ » .

(٤) تَكْلَافٌ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٥) فِي ابْنِ هِشَامٍ « عَلَيَّ » وَهُوَ الصَّوَابُ .

تزدوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم" أو كما قال — صلى الله عليه وسلم — [قالوا يا محمد^(١) : فإن كنت خير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا، ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي يمشك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آباءنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فليسلمهم مما نقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنت لنا ما سألناك عرفنا به منزلك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما نقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بهذا بُعثت إليكم ، إنما جئكم من الله بما يعني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " . قالوا له : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما نقول ، ويراجعنا عندك ، وسأله فليجل لك جناحاً وقصصورا وكنوزا من ذهب وقضة يفنيك بها عما نراك تهني ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتشمس المماشى كما تشمس ، حتى نموت ففعلك ومنزلت من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا " ، — أو كما قال — " فإن قبلوا ما جئكم به فهو حظكم

(١) تكملة عن ابن هشام يقتضيا سياق الكلام .

(٢) رواية ابن هشام « وليفجر » .

- في الدنيا والآخرة، وإن ترقوه على- أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ .
- قالوا : فأسيط السباء علينا كسفا كما زعمت أذ ربك إن شاء فنزل ، فإنا لا تؤمن لك إلا أن تفعل . فقال صلى الله عليه وسلم : “ذلك إلى الله، إن شاء فعله بكم قل” قالوا : يا محمد ، أفأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب ، فيتقدم إليك فيعطيك ما تراجعتنا به ، ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا، إذنا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يملك هذا رجل بالجماعة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا تؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أمدننا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نتركك أو نهلكا . وقال قائلهم : نحن نعيد الملائكة ، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن تؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام منهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة - وهو ابن عمته - فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفوا بها منزلك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما يخوفهم به من المذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتينا ، ثم تأتى معك بصك ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم أنصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما كان يطمح به من قومه حين دعوه .

ذكر قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهدته من حماية الله تعالى لنبيه ، وكفايته إياه ورجوعه إلى قومه وإخبارهم بما شاهد

قال ابن إسحاق : ولما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إنني عهدا قد أبي إلّا ما تزوّن من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وسب أئمتنا ، وإنّي أعاهد الله لأجلست له غدا ببحر ما أطيق حمله ، فإذا مجد فضحت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو أمتوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نُسليك لشيء أبدا ، فأمض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يقدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى بيت المقدس : وكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود : وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وقام يصلي وقريش في أيديهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما مجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أتى نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما متقيعا لوته ، مزعوبا قد يست يدها حل حجيره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : قتلت إليه لأفضل [به] ما قلت لكم البارحة ، فلما دونت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته

(١) في السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٩ : « وشتم » .

(٢) حجارة السيرة « أنبل » .

(٣) تمكلة من ابن هشام .

ولا قَصْرَةً^(١) ولا أنبياء لنحلي قط ، فهم أن يا كُفَى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاك جبريل لو دنا لأخَذَهُ » .

- ومثل هذه القصة أيضاً ، مارواه ابن إسحاق قال : قدم رجل من إراش — ويقال إراشة^(٢) — بإيل له مَكَّة فأتاها منه أبوجهل ، فطَلَّه بآثامها ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ناي من أندية قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد جالس ، فقال الإراشي : يا منشر قريش ، من رجل يُؤدِّي على أبي الحكم بن هشام ، فأتى رجلٌ غريبٌ أبى سبيل ، وقد ظننى على حق ، فقال له القوم : أترى ذلك الرجل الجالس ؟ — يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرمون به — اذهب إليه فهو مؤدبك عليه ، فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم قد ظننى على حق لى قبَلَه ، وأنا غريبٌ وأبى سبيل ، ولقد سألت هؤلاء القوم من رجل يُؤدِّي عليه فأشاروا لى إليك ، فغضت لى [حتى منه يرحمك الله ، قال : « أنطلق إليه » ، وقام معه صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام [معه] قالوا الرجل ممن معهم : اتبعه فأنظر ماذا يصنع ؟ قال : ونرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه ، فقال : من هنا ؟ قال : « محمدٌ فأخرج لى » . فخرج وما فى وجهه والحة^(٣) (أى دم) قد أنتقع لونه فقال : أعط هذا الرجل حقه

٧٣
١٤

(١) القصرة (بالضم) : أصل القس . (٢) إراشة (بالكسر) : بطن من خشم .

(٣) من يؤدِّي على أبي الحكم : أى على أخذ حتى به ، من آداء على فلان أى أماته وقواه . ورواية ابن كثير ج ٣ ص ٥٥ : « يدين » ، وهو بضماء .

(٤) تكة عن ابن هشام .

(٥) أى أنه مغطى من الخوف . وادى فى ابن كثير ج ٣ ص ٥ : « خرج وما فى وجهه قشرة دم » .

(٦) انتقع لونه (بالياء المجهول) : تغير لما نزل به .

قال : نعم ، لا يبرح حتى أُعطيَه ^(١) [الذي له] ، ودخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشئ : الحق بشأك ، فأقبل الإراشئ حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاء الله خيرا ، فقد والله أخذ لي حتى ، وجاء الرجل الذي بعثوه معه فأخبرهم الخبر ، قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وَيْلَكَ ! والله ما رأينا مثْلَ ما صنعتَ قط ! قال : ويحكم ! والله ما هو إلا أن ضُربَ على بابي ، وسمعتُ صوته ، فليثتُ رُعبا ، ثم خرجتُ إليه وإنا فوق رأسه لَنَحْلًا من الإبل ما رأيتُ مثلَ هابيته ولا قصرته ولا أنياه لِفعل قط ، والله لو آيئتُ لأكلني .

ذكر خبر النضر بن الحارث ، وما قال قريش ، وإرسالهم إياه إلى يثرب إلى أحبار يهود وعُقبة بن أبي معيط وما عاذا به

قال : ولما رجع أبو جهل إلى قريش ، وألقى الحجر من يده وقص عليهم ما شاهد قام النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيت له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشهب — وقد جاءكم بما جاءكم به — فقم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ، فقمم وعقدتم . وقلم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة ، فحاجلهم ، وسمنا بصعهم . وقلم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمنا أصنافه كلها ،

(١) في ابن هشام : « لا يبرح » .

(٢) نسخة من ابن هشام ج ١ ص ٢٢٨ .

هَزَجَهُ وَرَجَّهَ . وَقَتَّمُ يَجْتُونُ ، لَا وَاثَهُ مَا هُوَ يَجْتُونُ ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ ، مَا هُوَ
بِجَنَّتِهِ ، وَلَا وَهْوَ سَتِهِ ، وَلَا تَخْلِيطُهُ ، يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ ، فَأَنْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ ، فَإِنَّهُ
وَاثُهُ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

- قال ابن إسحاق : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان
يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة
وتعلم بها أحاديث ملوك القُرس ورسم وإسفتديار ، فكان إذا جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله وجدَّ قومه ما أصاب من قبلهم من
الأمم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا أقام ، ثم قال : والله يا معشر قريش
أنا أحسنُ حديثاً منه ، فقلتم فانا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك
فارس ورسم وإسفتديار ، ثم يقول : بماذا عهد أحسن حديثاً مني !

- قيل : والنضر هذا هو الذي قال [فيما بلغني] : ^(٢) (سَأُنْزَلُ مِثْلَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ) ، قال
ابن عباس : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قوله تعالى (إِذَا مَثَلٌ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ) ، وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن . قال : فلما قال لهم النضر بن الحارث
ما قال بمنه ، وبعثوا معه عتبة بن أبي مَيْعُطٍ إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهم : سلام
عن محمد ، وصفاً لهم صفته وأخبارهم بقوله ، فأنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم

(١) هو رسم بن ريسان من ملوك الترك في زمن الكنانة قتله إسفتديار بن كيشناسف .

وفي تاج العروس « إسفتياد » .

(٢) ورد في ابن هشام ، بعد هذه الكلمة قوله « إل » .

(٣) زيادة من ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله « فيما بلغني » .

(٤) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٥) سورة القلم آية ١٥ .

علم حسن - ليس عندنا - من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قَدِمَا المدينة فسألَا
أَحْبَارَ يَهُودَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لم أَمَرَهُ ، وأخبرهم ببعض
قوله ، وقالوا لهم : أنتم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ،
فقال لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبي
مُرْسَلٌ ، وإن لم يفعل فالرجل متقولٌ ، قرأوا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ ؛ وسلوه عن
رجل طوافٍ قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟
فإن أخبركم بذلك فأتبعوه فإنه نبيٌ ، وإن لم يفعل فهو رجل متقولٌ قرأوا فيه رأيكم .
فاجأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر
الأول قد كانت لهم قصةٌ عجيبةٌ ؛ وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض
ومغاربها ؛ وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أخبركم بما سألتهم عنه غداً » ، ولم يستثنِ بالمشيئة ، فأنصرفوا عنه ، فكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة لا يُحدث الله في ذلك وحياً ،
ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة
قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألتناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ؛ ثم جاءه جبريل
من الله بسورة الكهف فيها خبر ما سألوا عنه ، فيقال : إنه صلى الله عليه وسلم
قال بليريل حين جاءه : لقد أحتسبت عني حتى سؤئت ظننا ؛ فقال له جبريل :

٧٤
١٤

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر القوم .

(٢) كذا في ابن هشام . وهو الصواب . والذى في الأصل : « لا تخبروا » ؛ وهو تحريف .

﴿ وَمَا تَسْأَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا ﴾^(١).

ذكر ما أشمكت عليه سورة الكهف مما سأله عنه

- قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله تعالى : إنفتح الله عز وجل السورة بحمده ، وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ ، يعنى عبدا . قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَبِيًّا ﴾ أى متضللا لا اختلاف فيه . قوله : ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ أى عاجل عقوبته فى الدنيا وهذا بابا فى الآخرة . قوله : ﴿ وَيُنْذِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ هُمْ أُجْرًا حَسَنًا . مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أى دار الخلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبت به فيهم ، وعملوا بما أمرتهم من الأعمال . قوله : ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يعنى قرشنا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله . قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنِهِمْ ﴾ الذين أعظموا قراهم^(٢) . قوله : ﴿ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا لِلْحَدِيثِ قِسْفًا ﴾ أى قسفا . قوله : ﴿ فَلَمَّا كَبُخِعَ نَفْسُكَ عَلَى أَنْتَاهِمُ أَنْ لَمْ يُؤْمِرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ أى مهلك نفسك لحزنه صلى الله عليه وسلم عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل . قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أى أيهم أنجع لأمرى ، وأعمل لطاعتى . قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَاصِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ أى الأرض ،

(١) سورة مريم آية ٦٤ (٢) زاد فى ابن هشام والقرطبي قوله : « وعيب دينهم » .

(٣) سورة الكهف الآيات من ١ - ٨ . والصعيد : وجه الأرض . والجرز : الأرض التى

وإنا ما عليها نصان وزائل ، ولكن المرجع إلى فأجرى ^(١) كلاً بفعله ، فلا تأس ، ولا تحزنك ما ترى وتسمع فيها . ثم استقبل القصة فيما سألوه عنه من غان الفتنية .

قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَكْثَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) ،

أى قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حجبى ما هو أعجب من ذلك . قال ابن هشام : والرقيم الكتاب الذى يرقم فيه خبرهم ، وجبته رقيم .

ثم قال : (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) إلى قوله : (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا) أى لم يشركوا بى كما أشركتم [بى] ما ليس لكم به علم . قال : والشطط ، الغلو ومجاوزة الحق . قوله : (هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) ، أى بصيغة بالغة . (لَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) إلى قوله : (وَهُمْ فِي بَلْوَةٍ مِنْهُ) .

قال ابن هشام : تراور ، تميل ، وهو من الزور ، و (تَقْرُسُهُمْ ذَاتَ الشَّيْلِ) ، أى تجاوزهم ويتركهم عن شملها . والفجوة : السمة ، وجمعها الفجاء . قوله : (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ)

أى فى الآية على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسالكتهم فى صدق نبؤك بتحقيق الخبر عنهم . قوله : (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)

إلى قوله (بِالْوَصِيدِ) ^(٢) الوصيد : الباب . قال عبيد بن وهب الميمى متشدا :

بأرض فلاة لا يُسَدَّ وصيدها على ومعروفى بها غير مُتَكِّر

(١) رواية ابن هشام ص ١٩١ « ثم استقبل قصة الخبير فيما سألوه » الخ .

(٢) عبارة ابن إسحاق : « من جسمى » .

(٣) نكته من ابن هشام والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٤٩ .

(٤) فى الأصل : « الغلو » بالهقة ، والتصويب عن ابن هشام .

(٥) سورة الكهف الآيات من ٩ - ١٨ .

(٦) كذا فى الأصل وابن هشام . والذى فى القرطس ج ١٠ ص ٣٥١ « عبيد بن وهب » .

- والوصيد أيضا الفناء، وجمعه وصائد ووُصِدَ ووُصِدَانُ قوله: ﴿لَوْ أَطْلَقْتِ عَلَيْهِمْ﴾
إلى قوله ﴿قَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَىٰ آمُرِهِمْ﴾ أهل الملك ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.
قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يعني أحبار
يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم، فانهم لا علم لهم بهم . قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ﴾ إلى قوله ﴿رَشَدًا﴾ أى لا تقولن لشيء سألوك عنه
كما قلت في هذا : إني غيبركم غداً، وأستثنى بمشيئة الله ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي﴾
لتحير مما سألتنى عنه وشدا ، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك . قوله :
﴿وَلَيُنْزِلُنَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أى سيقولون ذلك . ﴿قُلِ اللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا لِيُثْرُوهُ﴾ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَمْ يَنْ دُونِهِ مِنْ
شَيْءٍ وَلَا يُشِيرُكَ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أى لم يخف عليه شيء مما سألوا عنه ، وقال الله
عز وجل ، فيما سألوه عنه من أمر الطوفان ، وهو ذو القرنين : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ الآيات ، إلى آخر خبره . وقد ذكرنا قصة ذي القرنين في الباب
الأول من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا ، وهى في الجزء الثانى عشر
من هذه النسخة ، ولا فائدة في إعادتها .

- وقال تعالى فيما سألوه عنه من [أمر] ^(٣) الروح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٤) روى عن عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال

(١) سورة الكهف الآيات من ١٨ — ٨٢ (٢) من بحرزة المؤلف .

(٣) تمكة عن ابن هشام ص ١٩٦

(٤) في تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبي في جاسمه ١٠ : ٣٢٣ .

(٥) سورة الإسراء آية ٨٥

أحبار يهود : يا محمد، أرايت قولك : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ^(١) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا . قالوا : فإنك تتلو فيا جاءك إنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه » . فأنزل الله تعالى عليه فيا سأله عنه من ذلك : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(٢) ، أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فيا سأله قومه لأنفسهم من تفسير الجبال ، وتقطع الأرض وبعث من مضى من آياتهم من الموتى ، وما سأله لنفسه ، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم فيا سأله قومه لأنفسهم فيا قدما ذكره ؛ قوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ ^(٣) الْأَرْضُ أَوْ خَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ فِيهِ الْآزْمُ جَمِيعًا) ، أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت . وأنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ما سأله أن يأخذ لنفسه قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا هَلْدُنَا الرَّسُولُ يَا كُلِّ الْعُلَمَاءِ وَيَمْنَى فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَبْهُوتَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ^(٤) . (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) ^(٥) ، أي من أن تمشي في الأسواق

(١) سورة الإسراء : ٨٥ (٢) سورة لقمان : ٢٧ (٣) سورة الرعد : ٣١

(٤) سورة الفرقان : ٨٤٧ (٥) سورة الفرقان : ١٠٦

وتلتزم المعاش (جاءت تجري من تحتها الأنهار ويحمل لك قصورا). وأنزل عليه في ذلك : (وَمَا أَوْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا^(١)) ، أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رسل ولا يخالقوا لفعلت. وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أمية : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوءًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَعِيمٍ وَعَيْنٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَنْصِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ الْمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ طِينًا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّيْلِ وَالْمَلَكِ كَقِيلَا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفُوقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَكَّابًا تَقْرَأُ فِيهِ مِصْحَانٌ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا^(٢)) ، وأنزل عليه في غولم : إنا قد بلغنا [أنك] إنما يملك رجل بالجماعة يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبداً ، قوله تعالى : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا طَوِيلٌ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ^(٣)) . وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما همز به قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى^(٤)) إلى آخر السورة . قال ابن هشام : للفسق : لنجذب ولناخذة . والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم ، وجمعه أندية . يقول : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ^(٥)) أى أهل ناديه ، كما قال تعالى : (وَأَنسَأِلُ الْقُرَى^(٦)) أى أهل القرية . وأنزل عليه فيما عرضه عليه من أموالهم : (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٧)) .

(١) سورة الفرقان : ٢٠ (٢) سورة الإسراء : ٩٠ - ٩٣

(٣) الزيادة من ابن هشام : ٢٢٢ (٤) سورة الرعد : ٣٠ (٥) سورة الملق : ١٢٠ ١١٠ ١٢٠ ١٢٠

(٦) سورة الملق : ١٧ (٧) سورة يوسف : ٨٢

(٨) سورة سبأ : ٤٧

ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم^(١)

قال : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، عرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوهم عتوا على الله واستمروا في طغيانهم وعلى كفرهم ، فقال قائلهم : **(لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَكُمْ ثَقُلُونَ^(٢))** فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه فلكم . فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله وما جاء به من الحق — : يا مشر قريش ، يزعم جد أئمتنا جنود الله الذين يذبونكم في النار ويحسبونكم فيها تسعة عشر ، وأتم أكثر الناس عددا [وكثرة^(٣)] ، أفيجز كل مائة رجل منكم من رجل منهم . فأنزل الله تعالى في ذلك : **(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا^(٤))** إلى آخر القصة . قال : ولما قال بعضهم لبعض : **(لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ^(٥))** جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو في صلاته يتفوقون عنه ، ويأبون أن يسموا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم قرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذا هم أن يستمع ، وإن خفض صلى الله عليه وسلم صوته ظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم أصاح له يستمع منه ، فأنزل الله تعالى قوله : **(وَلَا تَجْهَرُ**

(١) عقودهم ، أي عهودهم ، من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أي بالعهود .

(٢) سورة فصلت : ٢٦ .

(٣) للزيادة عن ابن هشام ١٠ ص ٣٣٥ .

(٤) سورة الحديد : ٣١ .

بَصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^(١) يقول : لا تبهر بصلاتك فيفتروا
عناك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترقها دونهم
لعله يرقى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

- روى عن عروة بن الزبير عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . قال : اجتمع يوما أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما ممت قريش هذا القرآن
يُجهر لها به قط من رجل يُسمِعُموه . فقال عبد الله بن مسعود : أنا ؛ قالوا :
لأننا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنونه من القوم إن أرادوه ، قال :
دعوني إن الله سميع ، قال : ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في وقت الضحى
وقريش في أندية ، ثم قال رافعا صوته : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ
الْقُرْآنَ ﴾^(٢) ثم استقبلها يقرؤها ، وتأملوه بفعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم
قالوا : إنه ليتو بعض ما جاء به جد ، فقاموا إليه بفعلوا يضربون في وجهه وهو
يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم أنصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ،
فقالوا : هذا الذي خشيونا عليك . قال : ما كان أمداً الله أهون على من الآن ،
وإن شئتم لأغاديتهم بمثلها غدا ؛ قالوا : لا ، حبسك ، قد اسمعتهم ما يكرهون .
والله الموفق .

٧٧
١٤

- (١) سورة الإسراء : ١١٠ . (٢) رواية ابن هشام « فيضقروا » .
(٣) كذا في الأصل . ورواية ابن هشام « فمن رجل » بصيغة الاستفهام والخفي عليها يستقيم أيضا .
(٤) آية ٢٤١ من سورة الرحمن .
(٥) عبارة ابن هشام « ثم أثروا في وجهه » .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أذى قريش وعذابهم ليفتنهم عن دينهم

قال محمد بن إسماعيل : ثم إنهم عذّوا على من أسلم وأتبع رسول الله صلى الله

عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، بفعلوا

يحبسونهم ويمدّبونهم بالضرب والجوع والمطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من

استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، ففهم من يفتن من شدّة البلاء الذي يصيبه ،

ومنهم من يعصمه الله ، فكان بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنهما

لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم ، وكان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، فكان

أمية بن خلف يخرجه إذا حيت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يامر

بالمصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو

تكفر بعمد ، وتبعد آلات والمزى فيقول — وهو في ذلك البلاء — أحد أحد ، فكان

ورقة بن نوفل يخر به وهو يعذب بذلك وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد

والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول : أحلف بالله

لئن قتلتموه على هذا لا تحذّنه حنانا ، حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه

يوما وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأمية : ألا تنق الله في هذا المسكين ، حتى تموت !

فقال : أنت أفسدته فأهذه بما ترى ، قال : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه

وأقوى ، وهو على دينك ، أعطيك به . قال : قد قبلت ، قال : هولاك . فاعطاه أبو بكر

(١) في الأصل : « فن يفتن » وما أثبتاه من ابن هشام (٢٠٥ : ١) .

(٢) في الأصل ما يفيد أن بلالا كان من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك ، فإن

بلالا هذا كان من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مواليه . انظر المعارف ص ٨٨ ، وابن كثير

ج ٣ ص ٥٧ . (٣) لأجل أن قبره موضع حنان ، فأزوره وأتمرك به .

- غلامه ذلك، وأخذته فاعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة
 سِتَّ رِقَابَ، وهم جابر بن جُهيرة، شهد بدرًا واحدًا، وأمُّ حمص،^(١) وزيّة^(٢) - وكانت
 رومية لبنى عبد الدار - فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب
 بصرها إلا الآلات والمزى، وما ينبغي أن يفد الله إليها بصرها، وأعتق الهندية
 وابنتها، وكانت امرأة من بنى عبد الدار، فزبها وقد بهتتا سيديهما بطحين
 لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدا، فقال أبو بكر: ^(٣)حل يا أم فلان، فقالت:
 حل أنت، أنستهما فاعتقتهما، قال فيكم هما؟ قالت: بكنا وكذا، قال: أخذتهما
 وهما حران، أرجما إليها طحينها، قالتا: أو نفزع منه يا أبا بكر ثم رزقه إليها،
 قال: وذلك إن شئنا. ومرة بخارية من بنى مؤثّل (حن من بنى عدى بن كعب)
 - وكانت مسلمة - وكان عمرُ يمسّها للترك الإسلام، وعمرُ يومئذ مشرك،
 وهو يضربها حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، لم أتركك إلا ملالة، فيقول:
 كذا يفعل الله بك. فأبتاعها فاعتقها، فقال أبو خافة لأبي بكر: يا بني، أراك تفتق
 رِقَابًا ضنفا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلا جُلدا يمتنعوك ويقومون
 دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد الله عز وجل ما أريد، فيقال:
 إن هذه الآيات أنزلت فيه رضى الله عنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَهْطَى
 وَأَتَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

قال محمد بن إسحاق: وكان بنو مخزوم يخرجون بشار بن ياسر وبأبيه وأخته
 وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حيت الظهيرة يعتذبونهم برمضاء مكة، فيمز
 بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: «صبرا آل ياسر موعدكم الجنة»،

(١) زاد في ابن هشام ٢٠٣: «وقتل يوم بدر سنة ثمان». (٢) في الأصل «أم خيس»
 بالياء، والصواب عن ابن هشام - (٣) أي تحلل من بينك. (٤) الآيات ٢١٦٥ من سورة البقرة.

فأما أمته فقتلوا وهي تآبى إلا الإسلام^(١) . قال أبو عمر : وهي سمية ، كانت أمة لأبي حذيفة بن المنيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فزوجهما من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العبسي ، فولدت له عمارة ، فاعتقه أبو حذيفة . وسميته هذه أول شهيدة في الإسلام . وجاءها أبو جهل بحربة في قلبها فقتلها ، فقال عمار : يا رسول الله ، بلغ منا - أو بلغ منها كل مبلغ - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صبرا يا أبا اليقظان ، اللهم لا تمذب أحدا من آل ياسر بالنار »^(٢) .

٧٨
١٤

قال ابن إسحاق : وكان أبو جهل هو الذي يشرى بهم في رجال قريش إذا سمع رجل قد أسلم ، فإن كان له شرف ومئة أنبه ونخزه : فيقول : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لتسقين سلبك ولتفيلن رأيك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجرا ، قال : والله لنكيدن تجارتك ، ولتلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به . وروى عن سعيد بن جبير قال : قلت لأبن عباس رضي الله عنهما : أكان المشركون يلبغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدكم ويجمعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به ، حتى يعطيمهم ما سألوهم من الفتنة حتى يقولوا له : الآلات والعزى إلهان من دون الله ، فيقول : نعم ، حتى إن الجبل ليمز بهم فيقولون له : هذا الجبل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداه منهم مما يلبغون من جهده . والله المعين .

(١) كذا في ابن هشام ١ : ٣٤٢ ، روى ابن كثير ج ٢ ص ٥٩ : « فقتلوا عاتق إلا الإسلام » ، وألقى في الأصل : « فقتلوا عاتق الإسلام » ، ولا يخفى ما فيه من تحريف .
(٢) في الروض الأنف : « آل عمار » . (٣) لفيلان ، من قبل رأيه : خطأ .
(٤) في الأصل : « لتكفرن » . بصحيف . والصواب عن ابن هشام ١ : ٣٤٢ ابن كثير ج ٢ ص ٥٧ .

ذكر هجرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة ، وهى الهجرة الأولى

- قال محمد بن إسحاق : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يتمتعهم بما هم فيه قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مملكا لا يظلم عنده أحد — وهى أرض صدق — حتى يجعل الله لكم قريبا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك من نخرج منهم مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

- قال الواقدي : خرجوا متسللين سرا ، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، حتى أتوها إلى الشَّعْبَةِ^(١) منهم الراكب والماشى ، ووفق الله لهم ساعة جاءوا سفيتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان يخرجهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجست قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم .

- قال ابن إسحاق . كان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه أسرته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بنى عبد شمس : أبو حذيفة بن عتبة ، معه أسرته سهيلة ابنة سهيل ، ولدت بأرض الحبشة محمد بن^(٢) [أبى] حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام . ومن بنى عبد الدار : مصعب بن عمير بن هاشم . ومن بنى زهرة بن كلاب :

(١) الشَّعْبَةُ بكهية : مرسى السفن من ساحل بحر الهجاز ، كان مرسى سفن مكة قبل جدة .

(٢) ساقطة من الأصل . والفتحة عن ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ .

عبد الرحمن بن عوف . ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة . ومن بنى بجم : عثمان بن مظعون بن حبيب . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليل بنت أبي حشمة بن غانم ، ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ، ومن بنى الحارث ابن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة . قال : هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عليهم عثمان بن مظعون . وزاد الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، فحملهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة . قال : فقد منّا أرض الحبشة ، فهاورنا بها خير جارية ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا تؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه . والله أعلم .

١٠ ذكر رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل في سبب رجوعهم

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه كفّا عنه ، جلس خاليا ، فتمنى فقال : ليتني لا ينزل على شيء ينفرهم عني ، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم [قومه ودنا منهم ودنوا منه ، فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرأ عليهم (والنجم إذا هوى) ^(١) حتى بلغ : (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) ^(٢) . ألقى الشيطان على لسانه كلمتين : « تلك الفرائيق الملا ، وإن شفاعتهن لترجى » . ولما بلغ « الفرائيق الملا » ، وفي أخرى : « والفراقة الملا ، تلك الشفاعة ترجى »

- (١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سبرة كانت معه امرأة أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٦٧ : ٣) . وابن هشام (١ : ٣٥٢) .
- (٢) زاد ابن هشام (١ : ٣٥٨) . هنا قوله : « النجاشي » .
- (٣) - سابقة من الأصل . (٤) سورة النجم الآيات ١ - ٢٠ .
- (٥) كذا في الكشف للزغزلي ج ٢ ص ٨٨ طبع بولاق .

قال الواقدي: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها، ومجد ومجد القوم جميعاً، ورفع المغيرة بن الوليد تراباً إلى جبهته فمسح به عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود. ويقال: إن أبا أحبة سعيد بن العاص أخذ تراباً فمسح به عليه، ورفع له إلى جبهته — وكان شيخاً كبيراً — فمضوا بما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن ألفتنا هذه تشفع لنا عنده، فأما إذ جعلت لها نصيباً عندك فتحن منك، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى جلس في البيت فلبس أسى أتاه جبريل فمرض عليه السورة، فقال جبريل: ما جعلت بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلت على الله ما لم يقل». فأوحى الله إليه: ﴿وَأَنْتَ كَادُرًا كَيْفَتُنَوِّكُنَا عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتُفْهَرَمَ صَلَاتِنَا فِيمَهُ وَإِذَا لَا تُحْشَدُونَ خَلِيلًا﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾. وقال: ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة، فبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة قد سجدوا فأسلموا، حتى إن الوليد بن المغيرة وأبا أحبة قد سجدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال القوم: فمن يبق بمكة إذا أسلم هؤلاء! قالوا: عشارنا أحب إلينا، فخرجوا راجعين، حتى إذا كانوا دور مكة بساعة من نهار لقوا رجلاً من كنانة، فسألوه عن قريش

(١) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن ١٢ ص ٨١: إن هذا الحديث الذي فيه الترائيق الملا وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في طبع مصنف مشهور. الخ .. وذكر القاضي عياض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الإتيان عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصد ولا سهواً ولا غلطاً... الخ. ونحن قطع أن هذا لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المعصوم الصادق في التبليغ.

(٢) في الأصل: «فبين». والصواب عن (السيرة الحلبية ١: ٣٠٤)، (ومعجم الأثر ١: ١٢٠).

(٣) في الأصل: «حين»، وما أتيته من معيون الأثر:

ومن حاملهم ، فقال الركب : ذكر عهد أمتهم بخير ، فتابعه الملا ، ثم ارتد عنها ، فناد
يستم أمتهم ، وعادوا له بالشر ، فتركاهم على ذلك ، فأنتم القوم في الرجوع إلى أرض
الجبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا ، ندخل فنتنظر ما فيه قريش ، ويحدث عهدا من أراد
بأهله ، ثم نرجع . قال : قد خلوا مسكة ، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار ، إلا
ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ، ثم رجع إلى أرض الجبشة . قال الواقدي : فكان
خروجهم في شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوة ^(١)) ، فاقاموا شعبان ورمضان
وقدِموا في شوال من السنة .
وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء في توهينه .

ذكر ما ورد في توهين هذا الحديث والكلام عليه

في التوهين والتسليم

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض رحمه الله ، في كتابه المترجم (بالشفا
بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم :
اعلم أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما في توهين
أصله ، والثاني [على] تسليمه .

أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل
الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقله ، واضطراب رواياته ،
واقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقايل يقول : إنه في الصلاة ، وآخر
يقول قالما في نادى قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالما وقد أصابه
يسنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسما ، وآخر يقول : إن الشيطان قالما على

(١) هذه من قول المؤلف . انظر الفهارز والأعلام لابن سلام الباهر ص ٢٠٤ (طبع الوهية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أجتاحتها عن الشفا القاضي عياض ج ٢ ص ٢٨

- لسانيه ، وأنت النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأئك ؛ وأتريقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ؛ فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : « والله ما هكذا أنزلت » إلى غير ذلك . من اختلاف الرواة ، ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة وأهية ، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب — الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة — وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسند عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نُبِّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه .
- وأما حديث الكلبي لما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره ، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار البزار إليه ، قال : والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (والتَّجْمِ) وهو عكة ، فسجد ومجد معه المسمون والمشركون والجن والإنس . هذا توهيته من طريق النقل ، والله أعلم بالصواب .

وأما جهة المعنى : فقد قامت الحجة ، وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم وزايعته عن مثل هذه التذيلة . أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آله غير الله وهو كافر ، أو أن يتصور عليه الشيطان ، ويشبهه عليه القرآن حتى

يُجْعَل فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، وَيُعْتَقَدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِنَ الْفِرْكَانِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، حَتَّى يُنْفِثَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مُنْتَفِعٌ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ يَقُولُ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ عَمْدًا — وَذَلِكَ كُفْرًا — أَوْ سَهْوًا ، وَهُوَ مَعْصُومٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ بِالْبُرْهَانِ وَالْإِجْمَاعِ عَصَمَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جِرْيَانِ الْكُفْرِ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا ، أَوْ أَنَّ يَتَشَبَّهُ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ الْمَلَكُ بِمَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ، أَوْ يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ ، أَوْ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ ؛ لَا عَمْدًا وَلَا سَهْوًا ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ طَلَبْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ ^(١) الْآيَةُ ، وَقَالَ : ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِمَفَ الْحَيَاةِ وَضِمَفَ الْمَمَاتِ ﴾ ^(٢) الْآيَةُ .

وَوَجْهَانِ ، وَهُوَ أَسْتَحَالَةُ هَذِهِ الْقِصَّةِ نَظَرًا وَعُرْفًا ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَوْ كَانَ كَمَا رَوَى لَكَانَ بَعِيدَ الْاِتِّسَامِ ، مُتَنَاقِضَ الْأَقْسَامِ ، مُمْتَرِجَ الْمَدْحِ بِالذَّمِّ ، مُتَخَالِفَ التَّالِيفِ وَالتَّنْظِيمِ ؛ وَلَيْسَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا مِنْ بَحْضَرَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَصَنَادِيدِ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ — وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى تَأَمُّلٍ — فَكَيْفَ بِنِ رَجْعِ حَلْمِهِ ، وَأَتَمَّعَ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَمَعْرِفَةِ فَصِيحِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ؟ !

وَوَجْهٌ ثَالِثٌ ، أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ عَادَةِ الْمُنَاقِقِينَ ، وَمَعَانِدَى الْمُشْرِكِينَ ، وَضَعْفِ الْقُلُوبِ وَالْجَهْلَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَوَرَّعُوا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَتَحْلِيطِ الْمَدَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَقْلَ فِتْنَةٍ ، وَتَعْيِيرِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَارْتِدَادِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِمَّنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ لِأَقْلَ شَبْهَةٍ ، وَلَمْ يَحْكُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ شَيْئًا مِثْلَ مَوْسَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الضَّعِيفَةِ الْأَصْلِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَوُجِدَتْ قَرِيشٌ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّوْبَةَ ، وَلَأَقَامَتْ بِهَا الْيَهُودُ عَلَيْهِمُ الْحِجَّةَ ، كَمَا فَعَلُوا فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَقِصَّةِ الْقِضْبَةِ ، وَلَا فِتْنَةَ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ لَوْ وَجِدَتْ ،

(١) زَادَ حَتَّى الشَّفَاءُ ص ١٣٠ قَوْلُهُ : « مَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ » . (٢) سُورَةُ الْحَاقَّةِ : ٤٤ .

(٣) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : ٧٥ . (٤) فِي الْأَصْلِ : « الْإِلْتِمَامُ » تَصْحِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ

مِنْ الشَّفَاءِ . (٥) رَاجِعْ شَرْحَ الشَّفَاءِ ج ٤ : ١١٢ فِي قِصَّةِ الْقِضْبَةِ .

ولا تشييب للنادى حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أسكنت ؛ فإروى عن معاند فيها كلمة ، بولا عن مسلم بسببها بنت شفة ؛ فدل على بطلها ، واجتثاث أصلها . قال القاضي عياض : ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مقبلي الحديثين ، ليلس به على ضعفاء المسلمين .

وبوجه راجع ، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ) الآيتين ، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رَوَّاهُ ، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ، وأنه لولا أن ثبت لكاد يركن إليهم ، فحسموه هذا .

ومفهومه أن الله عصمه من أن يفترى ، وثبت حتى لم يركن إليهم قليلا ، فكيف كثيرا ! وهم يروون في أخبارهم الواحية أنه زاد على الركون والافتراء مدح آلتهم ، وأنه قال عليه السلام : « اقترت على الله وقالت ما لم يقل » ، وهذا ضد مفهوم الآية ، وهي تضعف الحديث لومع ، فكيف ولا محصلة له ! ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون ، قال الله تعالى : (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)^(١) ، ولم ينهب . قال القاضي القشيري^(٢) : ولقد طالبه قريش وتقيف إذ مر بهم آلتهم أن يقبل بوجهه إليها ، ووعدوه الإيمان به إن فعل ، فما فعل ولا كان ليفعل صل الله عليه وسلم .

وأما المأخذ الثاني — وهو مبنى على تسليم الحديث لومع ، وقد أضاف الله من صحته — فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ذكرها القاضي عياض وضعف بعضها ، وأستحسن بعضها ، فذكر منها ما أستحسنه وجوزته إن شاء الله .

(١) أي ولا تهب لفته والشر . (٢) سورة النور : ٤٣ .

(٣) في الأصل : « القشيري » وهو تصحيف صواب ما أتينا كما في القاضي عياض ص ١٢١ .

(٤) الفتاوى ج ٢ ص ١١٦ — ١٢٣ .

منه) ما ذكره القاضي أبو بكر في أجوبته عن هذا الحديث ، قال :
 لعل النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أثناء تلاوته ، على تقدير التقرير والتوبيخ
 للكفار ، لقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ على أحد التأويلات ،
 يريد : أهذا ربِّي ؟ ! وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا ﴾ بعد السكت وبيان الفصل بين
 الكلامين ، ثم رجع إلى تلاوته ، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقريئة تدل على المراد ،
 وأنه ليس من المتلو . قال القاضي عياض : ولا يمتزج على هذا بما روي أنه كان
 في الصلاة ، فقد كان الكلام فيها قبل [غير] ممنوع ، قال : والذي يظهر ويترجح
 في تأويله عند القاضي أبي بكر ، وعند غيره من المحققين على تسليمه ، أن النبي
 صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ، ويفصل الآي
 تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثقات عنه ، فيمكن ترصد الشيطان تلك السكات
 ودنسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات مما يكا نعمة النبي صلى الله عليه وسلم
 بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي صلى الله عليه
 وسلم وأشاعوها ، ولم يقدم ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على
 ما أنزل الله تعالى ، وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان
 وصيها ما عرفت منه . وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا ، وقال :
 إن المسلمين لم يسمعوها ، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وفلوجهم .
 قال القاضي عياض : ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
 لهذه الإشاعة والشبهة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

(١) سورة الأنعام : ٦٦ - (٢) سورة الأنبياء : ٦٣ .

(٣) مائة من الأصل . والفتحة عن النفاذ ج ٢ ص ١٢٢ .

- وَلَا تَجْزِي إِلَّا إِذَا تَمَّتْ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيهِ ^(١)) الآية ، فعني ^(٢)) تَمَّتْ) تلا ، قال الله تعالى : (لَا يَمْلِكُونَ الْكَلْبَ إِلَّا أَمَانِي ^(٣)) أي تلاوة ، وقوله : (فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُنْقِي الشَّيْطَانُ ^(٤)) أي يذهب ويزيل اللبس به ، ويحكم آياته ، قال : وما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة : «والفراقة العلاء» . فإن سألنا القصة قلنا : لا يبعد أن هذا كان قرآنا ، والمراد بالفراقة العلاء . وأثبت شفاعته لنزجي : .
- الملائكة حل هذه الرواية ، وبهذا فسر الكلبي الفراقة أنها الملائكة ، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله : (أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْآتِثَى ^(٥)) ، فأنكر الله كل هذا من قولهم ، ووجه الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ، وليس عليهم الشيطان ذلك ، وزينه في قلوبهم ، وألقاه إليهم ، تسخ .
- الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما للتليس سبلا ، كما تسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته . قال : وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة ، وفي تسخه حكمة ، ليضل به من يشاء ، ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين ، و (لِيَجْعَلَ مَا يُنْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ^(٦)) .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة [وبلغ إلى ذكر

اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذنبا ، فسبقوا

(١) سورة الحج : ٥١ ، وذكر القرطبي خبر القاضي حياض عند تفسيره الآية بـ ١٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : ٧٨ . (٣) سورة الحج : ٥٢ . (٤) سورة النجم : ٢١ .

(٥) سورة الحج : ٥٣ .

إلى [مدحها بتلك الكلمتين؛ ليخطوا تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشعروا عليه على عادتهم، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ونُسب هذا الفعل إلى الشيطان لجملة لم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأت النبي صلى الله عليه وسلم حزن لذلك من كثبتهم واقتراثهم عليه، فسلاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية، وبين للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لئس به العدو؛ كما صيغته الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية، هذا ما ورد في الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تمة أخباره وسيره صلى الله عليه وسلم تسلياً كثيراً.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٠

قال الواقدي: لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم، ونيطت بهم عشايرهم، ولقوا منهم أذى شديداً، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله؛ فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى التناجى؟ ولست معنا، فقال صلى الله عليه وسلم: أتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرةتان جميعاً، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

١٥

قال ابن سعد: وكان مدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرايب. وقد عدهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حصفاً رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار — رحمه الله تعالى —

(١) ساقطة من الأصل، والتكفة عن الشفا. ١٢٤ : ٣ (٢) سورة فصلت : ٢٦

(٣) سورة النحل : ٤٣ (٤) سورة الحجر : ٩

فلم يزد على ذلك . وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الترمذي رحمه الله في كتاب (الاستيعاب) ؛ في تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام ، نحن نذكرهم إن شاء الله تعالى وثقه عليهم .

قال ابن هشام : كان منهم من بنى هاشم بن عبد مناف ، جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت حميس ^(١) ولدت بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، ومن بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان رضي الله عنه ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ، وأخوه خالد بن سعيد ، معه امرأته أمية بنت خلف بن أسعد الخزرجية ، ويقال فيها هُتَيْة ، ولدت بأرض الحبشة سعد بن خالد ، وأمته بنت خالد . ومن خلفائهم من بنى أسد بن خزيمه عبد الله بن جحش بن رباب ، وأخوه عبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب . وذكر أبو عمر في ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبي أحمد وعبد الله ، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة ؛ واسمه عبد بن جحش ، وكان أعمى ، وعد أيضا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرا .

١٥

قال ابن هشام : وقيس بن عبد الله رقيق ^(٢) من بني أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار [مولاة] ^(٣) أبي سفيان بن حرب ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ؛ [وهؤلاء] ^(٤) آل سعيد بن العاص .

(١) في الأصل « عيس » والصواب عن ابن هشام ، والبيرة الحلبية ، والاستيعاب .

(٢) رواية ابن هشام « سعيد بن خالد » . (٣) ساقطة من الأصل . والتكلمة من ابن هشام ١ : ٣٤٦ ، وابن كثير ٣ : ٦٧ . (٤) ساقطة من الأصل . والتكلمة عن ابن هشام .

وفي ابن كثير ٣ : ٦٧ « وهو من موالى سعيد بن العاص » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .
قال أبو عمر : معه أمراءه سهلة بنت سبيل بن عمرو ، ولدت له هناك
مجد بن أبي حذيفة . قال ابن هشام : وأبو موسى الأشعري وأسمه عبد الله
ابن قيس . قال أبو عمر في ترجمة عبد الله بن قيس : الصحيح ^(١١) أن أبا موسى رجع بعد
قدومه مكة ، ومخالفته من حالف من بنى عبد شمس إلى بلاد قومه ، فأقام بها حتى قدم
مع الأشعريين نحو خمسين رجلا في سفينة ، فالتفتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة
فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها ، فأتوا معهم ، وقدمت السفيتان معا : سفينة
الأشعريين ، وسفينة جعفر وأصحابه . والله تعالى أعلم بالصواب .

٨٣
١٤

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان حليف لهم من بنى مازن ؛
ومن بنى زمة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة .
قال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد : إنه هاجر
إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، فنهشته حبة ، فمات في الطريق قبل وصوله .
والله المستعان وإليه المرد .

ومن بنى عبد [الدار] ^(٣) بن قصى مصعب : بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، وسويط بن سعد بن حريملة بن مالك بن حريملة بن السباق
ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد الدار
معه أمراءه [أم] حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية — ويقال : حريملة —
وابنائه عمرو بن جهم ، وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ؛

(١) الاستيعاب ١ : ٣٩٢ (٢) في الاستيعاب ١ : ١٥٩ : «أسيد» . (٣) الزيادة
عن ابن هشام ١ : ٢٤٧ (٤) في الأصل «وسط» تصحيف . (٥) في ابن هشام وغيره :
«حمة» . (٦) الزيادة عن ابن هشام ١ : ٣٤٧ ، والاستيعاب ، وابن كثير .

ابن عبد الدار بن قُصَي أخو مصعب ، وفراس بن النضر بن الحارث بن علقمة
ابن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار . وقال أبو عمر في ترجمة أبي بكر : مولى لبني
عبد الدار ؛ قال يقال : إنه من الأزد كان ممن عذب في الله فلم يزل كذلك حتى
كانت الحجرة الثانية مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن أبي وقاص ،
وأبو وقاص مالك بن وهيب ، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف ، معه أمراته رملة
بنت أبي عوف ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . قال أبو عمر بن عبد البر :
وطليب بن أزهري بن عبد عوف وأخوه المطلب ، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة
وبها ماتا جميعا .

- ١٠ قال ابن هشام : ومن خلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود .
ومن بهراء المقيداد بن عمرو بن قُصَي ، وكان يقال له : المقيداد بن الأسود
ابن عبد يغوث بن عبد مناف بن زُهرَة ، وذلك أنه كان تبنّاه في الجاهلية وحالفه .
حكاه ابن إسحاق .

- ومن بني تميم بن مرة الحارث بن خالد بن مخزوم ، معه امرأته زَيْطَة بنت الحارث
١٥ ابن جبيلة ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ، وزينب بنت الحارث ،
وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .
ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ، معه
امراته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، ولدت له بأرض الحبشة زينب ،
وشامسا واسمها عثمان بن عثمان بن الشريد ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد ، وأخوه
عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وسَلَمَة بن هشام بن المغيرة

(١) كذا بالأصل ، ولم نشر مثل هذا القول لابن عبد البر في كتاب : الاستيعاب ، في ترجمة أبي بكر .

(٢) زاد ابن هشام « عائشة بنت الحارث » .

وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة . ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر — وهو الذى يقال له عَيَّامة — ونسبه أبو عمر فقال : معتب بن عوف بن عمر بن الفضل ابن غنيفة بن كليب بن حشيشة . قال ابن هشام ، ويقال : حُشيشة بن سلول ، وهو الذى يقال له : معتب بن حمراء ، وعمار بن ياسر . ذكره أبو عمر ، وشك فيه ابن هشام .

ومن بنى جُمح عثمان بن مظعون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخوه قدامة وعبد الله ابنا مظعون . قال أبو عمر : والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وهو آخر عثمان لأبويه ، حكاه عن العدوى . قال ابن هشام : وحاطب ابن الحرث بن معمر ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله ، وابناه محمد والحارث ، وقيل ولدا هناك ، وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وقيل له ابنه محمد هناك ؛ وسفيان بن معمر بن حبيب معه ابنه : جابرجنادة ، ومعه امرأته أمهما حسنة ، وابنها شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله أحد بنى النوث بن مرة ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : هو شرحبيل بن عبد الله من بنى جُمح ، وثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب ابن حذافة بن جُمح . قال الواقدي : وثنية بن عثمان بن ربيعة . والله أعلم .

٩٤
١٤

ومن بنى مهم بن عمرو بن هُصَيص : خُنيس بن حذافة ، وعبد الله ابن الحارث ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذافة ، وأبو قيس بن الحارث ابن قيس ، وعبد الله بن حذافة بن قيس ، والحارث بن الحارث بن قيس ، ومعمر ابن الحارث بن قيس ، وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمته من بنى تميم ، يقال له : سميد بن عمرو ، وسميد بن الحارث بن قيس ، والسائب

(١) في الأصل « خطاب » ورواه ابن كثير — وللمصواب عن ابن هشام والاستيعاب ،

رأس الثانية .

ابن الحارث بن قيس . وقال أبو عمرو : وتميم بن الحارث بن قيس ، والحارث
ابن قيس بن عدى ، وهو والد ثمة والحارث ، وعُمير بن رثاب بن حذيفة ، وحجية
ابن جزة حليف لهم . من رُبَيْد .

ومن بني عدى بن كعب معمر بن عبد الله بن نضلة ، وعروة بن عبد العزى ،
وعدى بن نضلة وابنه النعمان ، ثمة عدى بالحيشة ، فورثه ابنه النعمان ، وهو أول
وارث في الإسلام ، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب ، معه امرأته لَيْسَل
بنت أبي حشمة .

ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم
بنت سُبَيْل بن عمرو ، وعبد الله بن عثمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سُبَيْل بن
عمرو بن عبد شمس ، وسَلِيط بن عمرو بن عبد شمس . وأخوه السكran بن عمرو ، معه
امرأته سودة بنت زيمة ، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعدى ،
وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن .

ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وسُبَيْل بن وهب
وهو ابن بَيْضَاء ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة ، وحياض بن زهير بن أبي شداد ،
وعمر بن الحارث بن زهير ، وحيان بن عبد قُحْم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس
ابن قَيْطِيق بن عامر ، والحارث بن عبد قيس بن قَيْطِيق . وقال أبو عمرو بن عبد البر :
إن عبد الله بن عُرْفَلَةَ بن عدى بن أمية بن خدادة بن عوف بن النجار بن الخزرج
الأَنْصَارِيَّ هاجر إلى أرض الحيشة مع جعفر بن أبي طالب ، وهو حليف لبني
الحارث بن الخزرج ، وذكره ابن منته ^(١) أيضا بجميع من هاجر إلى هذا الحكم

٢٠ (١) في الأصل «الحارث» وصوبناه من ابن عبد البر . (٢) أبو ذر أعشى بن عبد الوهاب
ابن منته الأمغاني ، ولد سنة ٤٣٤ ، ومات سنة ٥١٢ . بإصفهان . ابن خلكان (٥ : ٢١٧) .

بما فيه من زيادات ابني جدد البر؛ خلا أبناءهم الذين خرجوا معهم صفوا، ومن ولد هناك أنسان وتسعون رجلا، وثماني عشرة امرأة، والأبناء الصغار سبعة .
والله أعلم

ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة،

وطلبهم منه وإسلامه

عن أم سلمة رضي الله عنها ^(١) قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاؤنا بها خير جار، النجاشي، [أمينا] على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذني، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا أتمسروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا بما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقه وطريقها إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وقالوا لها : ادفعا إلى كل طريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلأه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : نخرجنا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بغير دار، فلم يبق من بطارقه وطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل طريق منهم : إنه قد طوى إلى بلد الملك منا غلمان مسفهاء فأرخوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم إشراف قومهم لنقدم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم . فقالوا : نعم، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها، ثم كلماه فقالا : أيها الملك، إنه قد

- (١) ضوى إلى بلدك متبا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، جاءوا بدين أبدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم لتردهم عليهم ففهم أعل بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت : ولم يكن شئ أبغض إلى عبد الله وعمره من أن يسمع إلى كلامهم التجاشي ، فقالت بطارقتة : صدقا أيها الملك ، قومهم أعل بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فأسلمتهم لما فليردهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب التجاشي وقال : لاها الله ! إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، وزلوا بلادى ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوه فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما وردتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

- قالت : ثم أرسل إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا أجبتموه ، قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا نينا ، كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا وقد دعا التجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سالم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذي كلفه جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، تكا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأفئ الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونؤسئ ما لجوار ، ويأكل القوى

(١) ضوى : بلا - (٢) في الأصل : « قال » ، والصواب عن (ابن هشام ١ : ٣٥٩) .

(٣) كذا في الأصل - رواية ابن هشام والله ياربى في تاريخ الخميس ١ : ٢٩٠ « منعتهم منها » .

(٤) في ابن هشام والله ياربى « جشوه » - (٥) الزيادة من ابن هشام .

(٦) في ابن هشام والله ياربى « قطع » .

من الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبَه وصدقَه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و] الأوثان ^(١) ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهاينا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدا لله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمتنا [ما] ^(٢) حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن تستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجينا في جوارك ورجونا ألا تظلم عندك أيها الملك ، فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ، قال : نعم ، قال : فاقرأه علي ، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) ^(٣) ، قال : فبكي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلت مصابحهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكفلون .

قالت : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضرهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإن لم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم

(١) ساقطة من الأصل . (٢) في الأصل : « ما » والصواب من ابن هشام .

(٣) سورة مريم : ١

- عبد. قالت: ثم خدا عليه [من] القند فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فأسألمهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فأسألمهم عنه. قالت أم سلمة: ولم يزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كما كنا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا المود. فانخرت بطارقه من حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، والله أتم شيوع بأرضي — والشُّيُوم: الآثون — من سبكم غيرم، من سبكم غيرم، من سبكم غيرم! وما أحب أن لي قبرا من ذهب، وأنى آذيت رجلا منكم — والدُّبُر: بلسان الحبيشة الجبل — ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فواقه ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه. قالت: نفردا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقنا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

٨٦
١٤

- قال الزهري: أخذت عروة بن الزبير حديث أم سلمة قال: هل تدري ما قوله: «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي. فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حدثتني

(١) زيادة عن ابن هشام. (٢) نخرت الأساهة: تكلمت بلسانهم. (الديار بكري ١: ٢٩١). (٣) في الأصل «حدثت» والصواب ما اجتنبناه عن ابن هشام، والديار بكري.

أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بيننا: لو أننا قتلنا أبانا النجاشي، وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا النلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا يتوارثون^(١) ملكه من بعده، فعدوا على أخيه النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه، فكتبوا على ذلك حينا، ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لتخوف أن يملك علينا، وإن ملكنا علينا قتلنا أجمعين، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه. فشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإننا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم أقتلوا أباه بالأس وأقتله اليوم! بل أخرجه من دياركم، فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجار بمائة درهم، فخذفه في سقيقته وانطلق به حتى إذا كانت العشاء من ذلك اليوم، حاجت محابة من محائب الحريف، فخرج عمه يستطرح تحتها، فاصابته صاعقة فقتلته، ففزع الحبشة إلى ولده، فإذا هو بمحمق ليس في ولده خير، فخرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تملأوا والله أن ملككم^(٢) الذي لا يقيم أمركم غيره للذي يعم غدة^(٣)، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فادركوه، قال: فخرجوا في طلبه، فأخذوه من الرجل الذي باعوه له، ثم جاءوا به ففقدوا عليه التاج، وأقعدوه على ممرير

(١) في الأصل « يتوارثوا » وهو محريف.

(٢) في الأصل « طبت » والصواب عن ابن هشام (١ : ٢٢٢).

(٣) في الأصل « ملك » والصواب عن ابن هشام « والله ياركى ».

(٤) في الأصل « يقيم » والصواب عن ابن هشام « وفي الديار يركى » بفتح.

الملك وملكوه، بغاءهم التاجر الذي باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني ملئاً، وإما أن أكله
في ذلك، قالوا: لا نمطيك شيئاً، قال: فإذا وافقه أكله، قالوا: فدوتك. بغاء بفلس
بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاماً من قوم في السوق بستائة درهم، فأسلموا
إلى خلاصى، وأخذوا دراهمى، حتى إذا سرت بتلاصى؛ أدركونى فأخذوه منى،
وتمعنوا دراهمى، فقال لهم النجاشى: لتعطنَّ دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده؛
فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نمطيه دراهمه، قالت: فذلك يقول: «ما أخذ الله
منى الرشوة حين ردَّ على ملكى، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطاع الناس
فيه»، قال: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا

- لـللنجاشى: إنك فارقت ديننا، ونرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهبأ لهم
سفنًا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أتم، فإن هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بجيت
شتم، وإن ظفِرْتُ فاجتئوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله
إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها
إلى مريم، ثم جعلها في قبائه عند المنكب الأيمن، ونرج إلى الحبشة وصغوا له،
فقال: يا معشر الحبشة، ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف
رأيت سبقي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكُم؟ قالوا: فارقت ديننا،
وزعمت أن عيسى عبد، قال: فأتقولون أتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله
فقال النجاشى: ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن مريم،
لم يزد على هذا شيئاً. وإنما يعنى ما كتب، فرضوا وأنصرفوا، فبلغ ذلك النبي

(١) كذا في الأصل. والذى في ابن هشام «جمله» وهو أظهر.

(٢) في الأصل: «اللاق»، وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى عليه، وأستغفر له . وسند كز إن شاء الله تعالى خبر إسلامه .

ذِكْرُ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو أبي جهل بن هشام» . وعن سعيد بن المسيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عمر بن الخطاب أو أبا جهل بن هشام قال : «اللهم أشدد دينك بأحبهما إليك»
 فشدد دينه بعمر، وعنه صلى الله عليه وسلم : «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب» .
 قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد في طبقاته : ليس بينهما تناف إلا في مغايرة بعض الألفاظ ، أو زيادة أوردها أحدهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين إيرادها منها .

- قال : نرجع عمر بن الخطاب متوثباً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب أربعين : من بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي خفافة ، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين
 ١٥ ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن نرجع إلى أرض الحبشة ، فلقيه نعيم بن عبد الله النخعي ، وهو رجل من قومه من بني هدي بن كعب كان قد أسلم وهو يخفي إسلامه عن عمر، فقال : أين تريد يا عمر؟ فقال :

(١) في الأصل : «أبا جهل» ، وهو تحريف .

(٢) رة ابن هشام : «وهم قريب من أربعين : ما بين رجال ونساء» .

(١١) أريد جدا، هذا الذي فوق أمر قريش وسقّه أحلامها. وعاب دينها، وسب آلهتها فاقبله. فقال له نعيم : لقد غرّك نفسك يا عمرة أترى بجى عبد مناف أراك تمشى على الأرض وقد قتلت جدا ! هذا حبيب . ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذى أنت عليه يا قال . فلا أدفننى حتى للعجب يا عمر ! إنا حننك وأحلك قد صبوا وتركنا دينك الذى أنت عليه .

- قال ابن هشام : فقال له نعيم : ألا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : حننك وأبن عمك سعيد بن زيد بن عمرو . وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسدا وتابا جدا على دينه، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر حامدا إلى أخته وخنته، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها : (طه) يقرهما إياها، فلما سمعا حسن عمر تغيب خباب في مخدع لم - أوتى بعض البيت - وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت ثيابها ، فلما دخل عمر قال : ما هذه المينة التى سمعت ؟ قال : ما سمعت شيئا ، قال : بل والله ، لقد أخبرت أنكما أتبعنا جدا على دينه . فقال له حنن : أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ! فوثب عمر على حنن فبطش به ووطئه وطمأ شديدا ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها ، فضر بها فشجها ، فلما فعل ذلك قال : نعم قد أسلمنا وأمانا بالله ورسوله ، فأصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم قدم على ما صنع

(١) رواية ابن هشام : « هذا الصابي الذى فوق أمر قريش »

(٢) في ابن هشام « نفسك من نفسك » .

(٣) زاد في ابن هشام : « وقد سمع عمر حين دعا إلى البيت قراءة حجاب عليها » .

(٤) المينة : الكلام الذى لا يفهم .

(٥) في ابن هشام : « تابعا » .

(١) فارغوى، وقال [لأخته] (٢) : أعطيت هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آما أنظر ما هذا الذي جاء به جد — وكان عمر كاتبها — فقالت له أخته : إنا نخشاك عليها (٣) ، قال : لا تخافى، وحلف لها بألمته ليردنها إذا قراها إليها ، فطعمت في إسلامه وقالت له : يا أبا أنس إنك تجس على شركك . وإنه لا يمسيها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (٤) طه ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أميس يقول : ” اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمربن الخطاب “ ، فأنه الله يا عمرا ! فقال له عمر : فدلني على عهد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوجه ، ثم عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب ، فراه وهو فزع (٥) ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة : فأذن له ، وإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إياذن له “ فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ بحجزته — أو بجمع رداءه — ثم جده جبنة شديدة ، وقال : ” ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ “ فراه ما أرى أن تنهى سميتي يتزل الله بك قارة “ . قال أنس بن مالك في روايته : ” حتى يتزل الله بك من الخنزى

(١) ادرى : كيف . (٢) الكلمة عن ابن هشام (١ : ٣٦٩) .

(٣) في الأصل « طه » ، وما أتيتاه عن ابن هشام .

(٤) زاد ابن هشام « فراه متوشحا بالسيف ، فزجج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع » .

ما أنزل بالوليد بن المغيرة" . فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم .

قال محمد بن سعد بن منيع في طبقاته : أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابن الأرقم بعد أربعين أو ثمانين وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله .

وقال ابن المسيب : أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشرين نسوة .

وعن عبد الله بن ثعلبة قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة .

وربما هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ؛ وقد تضافرت الروايات أن أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلاً ، ولعل إسلامه وقع وفي مكة من أسلم هذه العدة التي ذكرت ، خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي قريش أقل للحديث ؟ قيل : جميل بن معمر الجمحي^(٢) ، قال : ففدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل

(١) في ابن هشام « نافع مولى عبد الله بن عمر » .

(٢) جميل بن معمر هذا هو الذي يقال له : ذو القلدين ، وفيه نزاع « ما جعل الله لرجل من خلقين

في جوفه » وفيه يقول الشاعر :

وكيف ترائي باللهدية بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال: أعلست يا جميل أنى أسلمت
ودخلت في دين جد؟ قال: فوالله ما راجعته حتى قام يجر رداءه، وأتبعه عمر
وأتبعته أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش
— وهم في أنديتهم حول الكعبة — ألا إن ابن الخطأب قد صبا^(١)، فيقول عمر
من خلفه: كذبت، ولكنى أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده
ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم.
قال: وطلّح — يعنى أعيأ — وقاموا على رأسه وهو يقول: إفضلوا ما بدا لكم،
فأحلف بالله لو قد كاث ثمانية لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى،
حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر، قال: قد أرى رجلا
أختار لنفسه أمرا فإذا تريدون؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم
صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه.
قال: فقلت لأبى سعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة، من الرجل الذى زجر القوم
عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، جزاه الله خيرا؟ قال: ذاك العاص
أبن وائل السهمي، لا جزاه الله خيرا.

قال عبد الله بن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر،
فلما أسلم قاتل قريشا وصلى عند الكعبة وصلينا معه. وقال: إن إسلام عمر كان
فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة.

(١) في الأصول: «أعزل»، وهو تصغير، وما أثبتناه عن ابن هشام وابن كثير (٣: ٨١)
والمراد (١: ٣٣٢). (٢) صبا، ككرم ومنع: خرج من دين إلى دين.
(٣) الحيرة: ضرب من يرود اليمن.

وعن صُويب بن سنان قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودُعي إلى الله ملائمة ، وجلسنا حول البيت حلقا ، وطفنا بالبيت ، وانصفتنا بمن غلط علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتى به .

وكان إسلام عمر في ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة .

ذكر تعاقده قریش على بنى هاشم وبنى المطلب

وأنحياز بنى هاشم وبنى المطلب إلى أبي طالب ودخولهم في شعبه

- قال محمد بن إسماعيل وغيره من أهل السير : لما رأت قریش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا فيه أمنا وقرارا ، وأن التجاش قد أكرهم ، ومنع [من بلأ^(١) إله] منهم ، وإن عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب ، وجعل الإسلام يفسد في القبائل ، اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يتباعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم طفقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .
- وكان كاتب الصحيفة منصوب بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن

(١) الزيادة من أين هشام .

- (٢) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة . وفي المواهب : أنه هشام ابن عمرو بن الحارث ، وقيل طلحة بن أبي طلحة ، وقيل منصور بن عبد شريحيل . راجع ابن هشام (١ : ٣٧٥) ، والسيرة الحلبية (١ : ٣٦٦) ، وحيون الأثر (١ : ١٢٦) ، والبدایہ بنوری (١ : ٢٩٧) ، والبدایہ (٣ : ٩٦) ، والمواهب (١ : ٣٣٥) .

عبد الدار بن قصي ، ويقال : عمه بنيف بن عامر ، قاله الزبير وأبن الكلبي ،
— ويقال : النضر بن الحارث — قَتَلَتْ يَدَهُ .

قال محمد بن عمر بن واقد : وحصرُوا بني هاشم في شِعب أبي طالب ليلة^(١)
هلال المحرم سنة سبع من نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحاز بنو المطلب
إلى أبي طالب في شِعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو طالب إلى قريش ، وظاهرهم حل
بني هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم الميرة والمناقة ، فكانوا لا يخرجون إلا من
موسم إلى موسم ، حتى بلغهم الجهد ، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب ،
فن قريش من سره ذلك ، ومنهم من ساءه ، وقال : انظروا ما أصاب كاتب
الصحيفة ! فأقاموا في الشعب ثلاث سنين ، ثم أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
حل أمر صحيفتهم ، وأن الأرض قد أكلت ما فيها من جور وظلم ، وبقي ما كان فيها
من ذكر الله .

قال : فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب ، فذكر ذلك
أبو طالب لإخوته ، وخرجوا إلى المسجد ، فقال أبو طالب لكفار قريش :
إن ابن أمي قد أخبرني — ولم يكذبني قط — أن الله سَلَطَ حل صحيفتكم الأرضة
فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رِحم ، وبقي فيها ما ذكر به الله ،
فإن كان ابن أمي صادقاً زعمت عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم
فقتلوه أو استحييتموه . قالوا : قد أنصفتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها .
فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقط في أيديهم ، ونكبوا حل
زومهم . فقال أبو طالب : سلام تحييس وتحصر وقد بان الأمر ؟ ثم دخل هو
وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة . فقال : اللهم أنصرنا حل من ظلمنا ، وقطع

(١) ويرف يشعب أبي يوسف ، انظر معجم البلدان .

- أرحامنا ، وأستحل ما يحرم عليه منا . ثم أنصرفوا إلى الشعب . وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم : فيهم مُطِيع بن عديّ ، وعدى بن قيس ، وزُفْعَة ابن الأسود ، وأبو البختريّ بن هشام ، وزهير بن أبي أمية . ولبسوا السلاح ، ثم نرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا ، وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من النبوة ، وقيل : كان مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشعب ستين .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام ، عن أبي عبد الله محمد بن إصحاق — رحمه الله — في سبب نقض الصحيفة غير ما قدمناه مما حكاه محمد بن سعيد عن الواقدي .

- قال ابن إصحاق بعد أن ذكر من شدة ما لاقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من الضائقة ما ذكر : ثم إنه قام في نقض الصحيفة — التي تكاثرت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب — فقرأ من قريش ، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك ابن حنبل بن حاصر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أختي تفضلة بن هاشم بن عبد مناف لأخته ، وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه ، فكان يأتي بالخير وبسوء هاشم وبسوء المطلب في الشعب ليلا ، وقد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبله فم الشعب خلغ خطاه من رأيه ، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ، ويأتي به قد أوقره برا ، فيفعل به مثل ذلك .

- قال : ثم إنه مضى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي — وكانت أمه حاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، وقد رضيت أننا نأكل الطعام ونلبس
- (١) في الأصل : « عمر » ، والصواب عن ابن هشام ، والمواهب ، وعيون الأثر ، والإستيعاب .

التياب ، وننكح النساء ، وأخواتك حيث قد ملئت لا يتاحون ولا يتأتع منهم ، ولا يتكحون ولا يتنكح إليهم ، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا ، قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ؟ أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقميت في تقضيها حتى اتقضا ، قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : إيتنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن مديئ فقال له : يا مطعم أقدر رضىت أن يملك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق لفريش فيه ! أما والله لئن أمكثتموه من هذه لصجدت إليهم سرايا ، قال : ويحك ، فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : إيتنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ، قال : إيتنا رابعا ، قال : فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحو ما قال لمطعم ، فقال : وهل من أحد يمين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : فمن هو ؟ قال زهير والمطعم وأنا معك ، قال : إيتنا خامسا ، فذهب إلى زمعة بن الأسود ابن المطلب ، فكلبه وذكر له قرابتهم وحققهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم ، فأتعدوا خطم الحجون ليلا بأهل مكة ، فاجتمعوا هناك وتماثلوا على القيام في الصحيفة حتى يتقضوها .

٩٠
١٤

وقال زهير : أنا أبذركم فاكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى نديتهم ، وضد زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنا كل الطعام وثلبس التياب وبنو هاشم هلكني لا يتاحون ولا يتأتع منهم ! والله لا أقصد حتى تئسق هذه الصحيفة القاطمة الظالمة . فقال أبو جهل

(١) كما بالأصل . وغنم الحجون : آفة النادره ، وراقت في ابن هشام والبدية بالهمة ، والحم : الموضع الذي حل من ، أي لم يبق مقطعا .

— وكان في ناحية المسجد — : كذبت ، والله لا تُسَقِّ ! قال زُعمَةُ بن الأسود :
 أنت والله أكذب ، ما رُضينا كتابها حيث كُتبت ، قال أبو البختري : صدق زُعمَةُ ،
 لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا يَقْرَءُ به ، قال المعلم : صدقها وكذب من قال غير ذلك ؛
 نبأ إلى الله منها ومما كُتِبَ فيها !

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قَضِيَ بِلِيل ، وتشوُّور فيه بشير هذا المكان — وأبو طالب
 جالس في ناحية المسجد — وقام المعلم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد
 أكلتها ، إلا « باسمك اللهم » .

ثم حكى ابن هشام نحواً مما ذكره الواقدي من خبرها على ما اقتضاه ، وأن
 أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا مما ذكرناه بعد كلام أبي طالب .
 والله تعالى أعلم .

ذُكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها ، وكيف دخلوا مكة
 قال ابن إسحاق رحمه الله : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
 خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا
 دَنَوْا من مكة بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلامهم كان باطلاً ، فلم يدخل أحد
 منهم إلا محوَّراً أو مُستخفياً . فكان من قدم عليه مكة ، منهم فأقام بها حتى هاجر
 إلى المدينة فشهد بَدْرًا وأُحُدًا ، ومن حبس عنه حتى فاته ذلك .

ومن مات منهم بمكة من بني عبد شمس : عثمان بن عفان معه أمر أنه رقية
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، معه أمر أنه
 صَهِيل بنت صُهَيْل .

(١) في الأصل « مل » وهو تحريف . (٢) في الأصل « تشوور فيه لبير » وهو تحريف .

- ومن حلفائهم عبد الله بن بختش بن رتاب .
- ومن بني توفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم .
- ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام .
- ومن بني عبد الدار مُصعب بن عمير، وسُوَيْط بن سعد .
- ومن بني عبد [بن] قصي طَلَب بن عمير .^(١)
- ومن بني زُهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن عمرو؛ حليف لهم، وعبد الله بن مسعود؛ حليف لهم .
- ومن بني تَحْزُوم أبو سَامة بن عبد الأسد ؛ معه أمرأته أم سَامة، وشماس : ابن عثمان، وسَانة بن هشام ، حبسه عنه بمكة فلم يهاجر إلا أنه الخندق^(٢) ، وحِياش : ابن أبي ربيعة بن المغيرة، ومن حلفائهم عمار بن ياسر . ومنتهب بن عوف من نزاعة .
- ومن بني بَجَح عثمان بن مظعون وابنه السائب بن عثمان ، وقُدَامة وعبد الله أبنا مظلوم .
- ومن بني سَهْم حُثَيْس بن حُذافة ، وهشام بن نُدَاص بن وائل ؛ حبس بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق .
- ومن بني عَدَى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، معه أمرأته لَيْل بنت أبي حَثمة .
- ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن عَثُومة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو .
- حبس بعد المعجزة ، فلما كان يوم بدر أبحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (١) من ابن هشام .
- (٢) في ابن هشام (٢ : ٦) ، « فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق » .
- (٣) في ابن هشام ما نعه : « إن عماراً يشك في » ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا .

- عليه وسلم، وأبو سبرة بن أبي رهم، معه امرأته أم كلثوم، والسكان بن عمرو معه
 أمراؤه سودة بنت زغبة، مات بمكة قبل الهجرة، ومن حلفائهم سعد بن خولة.
- ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الحارث، وعمرو
 ابن الحارث بن زهير، وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.
- بنفيع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلا، فكان من دخل منهم بجوار عثمان
 ابن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يندو ويروح في أمان من الوليد، قال: والله
 إنك فذئب ورواحي أمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يقولون
 من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لتقص كبر في نفسي، فمشى إلى الوليد
 ابن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفئت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك؟
 فقال له: يا بن أنس، لعله أذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار
 الله، ولا أريد أن أستجير بشيئه. قال: فأطلقني إلى المسجد فرد عليّ جوارى
 علانية كما أجزتك علانية، فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد
 جاء رد عليّ جوارى، قال: صدق، وجدته كريما وفيّ الجوار، ولكني أحببت
 ألا أستجير بشيئه الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان.
- وأبو سلمة بن عبد الأسد دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب، فمشى
 إليه رجال من بني مخزوم فقالوا: يا أبا طالب، منعت منا ابن أخيك عدا، فمالك

٩١
١٤

(١) في ابن هشام: «أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو».

(٢) في الأصل: «أصحاب». وما أتينا من ابن هشام.

(٣) في ابن هشام: «وفيا كريم الجوار».

(٤) في الأصل: «يا أبا المطلب»، وما أتينا من ابن هشام.

ولصاحبنا تمنعه مِنّا ! قال : إنه استجارَ بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أُمّي ، فقام أبو هُب فقل : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم حل هذا الشيخ ، ما تزالون توثّبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتلتحق عنه أولتقومنّ معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد ، فقالوا : بل نَصِرُف عما نكره يا أبا عُبّة . قال : وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة ، فقدموا بعد فتح خير ، وقد رأينا أن نذكرهم في هذا الموضع ؛ لتكون أخارهم متواليّة .

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بَحَيْرٌ ، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق : كان من قدم منهم إلى خير في سنة سبع من الهجرة مع جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه في السّيفيتين ستة عشر رجلا ، وهم من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب ، معه امرأته أمّماء بنت عُحميس ، وابنته عبد الله ؛ ولد بأرض الحبشة .

ومن بني عبّد شمس خالد بن سميد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف ، وإبناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولتتبعهما بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ، وميقيب بن ^(١١) أبي فاطمة ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه عبد الله بن قيس .

ومن بني أسد الأسود بن تُوَيْل بن حُوَيْلِد ^(١٢) .

(١) في الأصل : « ميقيب » . وما أثبتناه من (ابن هشام : ٤ : ٤) .

(٢) في الأصل : « الأسد » . والصواب من ابن هشام .

ومن بنى عبد الدار [بن] قُصَى جَهْم بن قيس ، معه ابناه عمرو بن جَهْم ،
ونُزَيْعة بنت جَهْم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود؛ هلك
بأرض الحبشة .

ومن بنى زُهرة بن كلاب عامر بن أبي وقاص ، وعُتْبَة بن مسعود حليف
لهم من هذيل .

ومن بنى تميم بن مُرّة الحارث بن خالد بن تخفر ، هلك امرأته رَيْطلة
بالحبشة .

ومن بنى بُحس حنان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بنى سَهْم نجبة بن الجزء حليف لهم من بنى زُبيد .

ومن بنى عَدَى بن كعب مَعمر بن عبد الله بن نُضلة .

ومن بنى عامر بن لؤى أبو حاطب بن عمرو ، ومالك بن ربيعة : معه
أمرأته عمرة بنت السعدى .

ومن بنى الحارث بن فهر الحارث بن [عبد] قيس بن لقيط ، وحمل معهم
نساء من نساء من هلك هناك .

هؤلاء الذين قديموا مع جعفر في السفينتين . وقدم بعد ذلك ستة وعشرون
رجلا ، وهم :

من بنى أمية قيس بن عبد الله الأسدى . أسد نخزيمة ، حليف لهم .

(١) ساقطة من الأصل . وما أثبتناه من ابن هشام .

(٢) كما ضبط هذا الاسم في التاج والكنة من ابن هشام .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

ومن بنى أسد يزيد بن زَمعة بن الأسود، قتل يوم حنين شهيدا .
ومن بنى عبد الدار : أبو الروم بن عُمر، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلثة .
ومن بنى تميم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو .
ومن بنى مخزوم هبار بن سفيان ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة
ابن المغيرة .

ومن بنى جُحج سفيان بن مَعمر ، وأبناء جُنادة وجابر ، وأمهما حسنة^(١) .
وأخوهما لأبيهما شُرَحْبِيل بن حسنة .

ومن بنى مِهْصم قيس بن حذافة بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ،
وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له : سعيد بن عمرو .
وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعُمير بن رثاب .
ابن حذيفة .

ومن بنى حاصر بن لؤي سَلِيط بن عمرو .
ومن بنى الحارث بن فهر عثمان بن عبد غَمٍّ ، وسعيد بن عید قيس بن لَقِيط^(٢) ،
وعياض بن زهير بن أبي شَداد .

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية ، وهم :
من بنى عبد شمس ، من خلفاتهم عبيد الله بن جحش بن رثاب ، تنصروا
بأرض الحبشة نصرانيا ، وكانت معه أمهات أم حبيبة بنت أبي سفيان ، خلف
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا ضبط هذا الاسم بالتحريك في التاج ضبطا بالبدوة .

(٢) ويقال فيه سعد كما في ابن هشام والاستيعاب .

ومن بنى أسد عمرو بن أمية بن الحارث .

ومن بنى زهرة بن كلاب المطلب بن أزهري بن عوف ، ومعه أمراؤه رملة بنت أبي عوف ، فولدت له هناك عبد الله بن المطلب .

ومن بنى جُمح حاطب بن الحارث بن معمر ، وكان معه أمراؤه فاطمة بنت المحلل بن عبد الله ، وابناه محمد والحارث ، فقدمت أمراؤه وآبناؤه مع جعفر .
 ابن أبي طالب رضى الله عنه في أحد السيفيتين ، وأخوه حطاب بن الحارث ، وكان معه أمراؤه فُكَيْهة بنت يسار قدمت مع جعفر أيضا .

ومن بنى سهم عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب عُرْوَة بن عبد العزى بن حُرثان ، وكان مع عدى ابنه النعمان ، فقدم مع من قدم من المسلمين .

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم ابن إسحاق ، وعلمهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، وحصر عينتهم كما تقدمت . وأما من ذكرنا من ذكر أبو عمرو يوسف بن عبد البر في كتابه أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة فلم نقف على تاريخ هجرتهم فندكره .

ذكر من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : ولما حى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش ومنه منها ، وقام معه أبو طالب وقومه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب دونه ، وحاولوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، جعلت قريش يهزونه ويستنزفون به ويخاصمون به ، والقرآن ينزل فيهم ، منهم من ساء الله تعالى ، ومنهم من نزل فيه في عاقبة من ذكر الله من الكفار .

(١) في بعض نسخ ابن هشام وأسد النابغة «المجمل» بالهمز :

فكان من سمى من نزل فيه القرآن أبو لب بن عبد المطيب ، وأمرأته
 أم جميل بنت حرب بن أمية ، حاملة الخطب ، فأنزل الله فيهما قوله : (تَبَّتْ يَدَا
 أَبِي لَبٍّ وَتَبَّ . مَا أَفْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَأَمْرَأَتُهُ
 حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) . قال : وإنما سماها الله تعالى
 حاملة الخطب لأنها كانت تحمل الشوك فطرعه في طريق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

[قال ابن إسحاق : فذكر لي أن أم جميل حاملة الخطب ، حين سمعت ما أنزل
 فيها ، وفي زوجها من القرآن أنت رسول الله^(١) وهو جالس في المسجد عند الكعبة ،
 ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة^(٢) فلما وقفت عليهما
 أخذ الله بصبرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت :
 يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا
 الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة :

مَدَّمَا عَصَبِنَا • وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا

وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم أنصرفت .
 قال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ قال : ما رأيته ، لقد أخذ الله
 بصبرها حتى .

وأمية بن خلف بن وهب الجثي ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حمزه ولمزه ، فأنزل الله تعالى فيه قوله : (وَيَلْ لَّكَ لَحْمٌ مُمِيزٌ لِمُزَّةٍ) ، السورة كلها .

(١) الزيادة من ابن هشام : (١ : ٣٨١)

(٢) الفهر : الجراقي يلا الكف .

قال ابن هشام : الهَمَزَةُ : الذي يَسْتَمُّ الرجل علانية ، و يَكْشِرُ عينه عليه
و يَفْزِزُه . وَالزَّزَّة : الذي يعيب الناس سراً و يؤذيهم .

والناس بن وائل السهمي ؛ كان إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : دعوه فإنما هو رجل أبر لا عيب له ، لو قد مات أقطع ذكره واسترحم
منه ، فأزل الله تعالى في ذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

والكوثر : ماء هو خير من الدنيا وما فيها ، وقيل : الكوثر : العظيم ، وقيل :
الخير الكثير .

- وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا الكوثر الذي أعطاك الله ؟ فقال :
نهر في الجنة كما بين صنعاء إلى أيلة ، ^(١) آيته كعمد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ
أبداً ، وأزل الله فيه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَتُتِّبَنَّ مَالًا
وَوَلَدًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِنَا فَتَدَا ﴾ ، وكان سبب ذلك أن خباب بن الأرت
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نشأ بمكة يعمل السيوف ، وكان قد
باع من الناس بن وائل السهمي سيوفاً عملها له ؛ حتى كان له عليه مال ، بغناه
يتقاضاه ، فقال : يا خباب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن
في الجنة ما أبتنى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ! قال خباب :
بلى ، قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة حتى أرجع إلى تلك الدار ؛ فأقضيك هنالك
حُكْمَك ، فوالله لا تكون أنت وأصحابك أتر عند الله منى ، ولا أعظم حُفْلاً في ذلك ،
فأزل الله ذلك فيه .

- (١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم على نال الشام . وقيل من أول الجواز آخر الشام ؛ سميت بأيلة
بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . (معجم البلدان) . (٢) سورة مريم (٧٧ - ٨٠) .

وأبو جهل بن هشام؛ لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : والله يا عدو لتركب سب أهلكنا أولئسن إهلك الذى تبعه، فأزول الله فى ذلك : (وَلَا تُسَبِّحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا يَبْغِي عِلْمٌ) ، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب أمتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

ولما ذكر الله شجرة الزقوم نحوفا لم قال أبو جهل : يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها عدو قالوا : لا ، قال : عَجْوَةٌ يثرب بالزبد ، والله لئن استمكننا منها لتركناها ، فأزول الله فيه : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ . طَعَامُ الْآثِمِينَ . كَأَنَّهُمْ يَتَلَفَتُونَ فِي الْبُطُونِ . كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ^(١)) ، أى ليس كما يقول .

والنضر بن الحارث بن كاذبة بن طقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي؟ كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه إلى الله ، وتلا فيه القرآن ، وحذر فيه قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه فى مجلسه إذا قام فحدثهم عن رسم وملوك الفرس وإسفينديار ، ثم يقول : والله ما عهد بأحسن حديثا منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين أكتبها كما أكتبها ، فأزول الله فيه : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَتْ لَهَا فِيهِ بُرْكََةٌ وَأَصِيلًا . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا^(٢)) . وأزول الله فيه : (إِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(٣)) . ونزل فيه : (وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُغْمِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ مَغْبَذٌ أَلِيمٌ^(٤)) ، والأفَّاك : الكذاب .

(١) سورة الأنعام (١٠٨) . (٢) سورة العنكبوت (٤٣ - ٤٦)

(٣) سورة الفرقان ٥ - ٦ . (٤) سورة القلم ١٥ .

(٥) سورة الجاثية ٧ - ٨ .

- قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، بغشاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهما ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النَّضْر فكله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَمْ يَأْتِهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ^(١) ﴾ ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزُّبَيْرَى السهمي حتى جلس ، فقال له الوليد بن المغيرة : والله ما قام النَّضْر بن الحارث لابن عبد المطلب آتفاً وما قد ، وقد زعم عهد أنا وما تعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ! فقال عبد الله بن الزُّبَيْرَى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسألوا عدا : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبيده ؟ ، فعن نبي الملائكة ، واليهود تعبد عُزَيْرًا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم ، فعجب الوليد ومن كان حاضر معه في المجلس من قول عبد الله ، وراوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبيده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا يُعْصَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَيِّثُمْ سَبَّوْا وَهُمْ قَيَّامًا أَتَشْتَبِهُ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ^(٢) ﴾ ، أي عيسى بن مريم ، وعُزَيْرٌ وَمَنْ يُعبدوا من الآجبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

(١) سورة الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠١ - ١٠٢ .

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله قوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
 يَعْمَلُونَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
 نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

ونزل فيما ذكر من أمر موسى عليه السلام أنه يُعبد من دون الله ،
 ويحب الوليد ومن حضر من حجته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
 يَصْتُلُونَ ﴾ ^(٢) ، أي يصدون عن امرئك ، ثم ذكر موسى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عِبْدٌ مُتَّعًا عَلَيْهِ
 وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ كَلَّاكَةً فِي الْأَرْضِ فَتَلْفُتُونَ .
 وَإِنَّمَا كُنَّا لَعَلُّكَ لِسَاعِيَةً فَلَا تَمُتْكَ فِيهَا ﴾ ^(٣) ، أي ما وضعت على يديه من الآيات من أحياء
 الموتى ، وإبراه الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : ﴿ فَلَا تَمُتْكَ فِيهَا
 وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٤) .

والأخفش بن شريك بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زُهرة ، وكان
 من أشرف القوم ، ومن يستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويرد عليه ، فأزل الله فيه : ﴿ وَلَا تَطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْلِهِ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ زَنْبِيرٌ ﴾ ، والزَّيْم : المديد للقوم ^(٥) .

والوليد بن المغيرة قال : أُنزل على عهد وأترك أوانا لبيب فريش وسيدھا
 ويترك أبو مسعود عمرو بن حمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عطيا الفريتين أ فانزل

- (١) سورة الأنبياء ٢٩ . (٢) سورة الزمزم ٥٧ . (٣) سورة الزمزم
 ٥٩ - ٦١ . (٤) سورة الزمزم ٦١ . (٥) سورة القلم ١٠ - ١٣ .
 (٦) المديد : الرجل يدخل نفسه في قبلة ليدفن بها ، وليس له فيها مشقة .
 (٧) في الأصل : « نحن » وما حوينا من ابن هشام (١ : ٢٨٧) .

الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ .
أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنَحْنُ قَسَمًا بِيَوْمِهِمْ أَنُبَشِّرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، إلى قوله :
(خَيْرٌ مِّمَّا يَحْكُمُونَ) .

- وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جريح ، وعقبة بن أبي معيط — وكانا متصافيين حسنا ما بينهما — بغلس عقبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ،
فبلغ ذلك أبا ، فأتى عقبة فقال : ألم يبلغني أنك جالست عدا وسمعت منه ! ثم قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلمك — وأستغلف من اليمين — إن أنت جلست أو سمعت منه ، أو لم تأت فتضل في وجهه . ففعل مدق الله عقبة بن أبي معيط ،
فأرسل الله إليهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بِالَّذِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ . ومضى أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [بسظم] بال قد أرفت ، فقال : يا عدا ، أنت ترم أن الله يبعث هذا بعدما أرى ؟ ثم فته بيده ونفضه في الرمح نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا أقول ذلك ، يبعث الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ،
ثم يدخلك النار ، فأرسل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ .

(١) مسودة الزئرف ٣١ - ٣٢ . (٢) في الأصل : « ألم يبلغك أني » ، وما أثنائه

من ابن هشام . (٣) سورة الفرقان ٢٧ - ٢٩ (٤) الزيادة من ابن هشام .

(٥) أوس : نضر وسمت . (٦) في آين هشام : « وأرم » . (٧) سورة يس ٢٠

وأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب
ابن أسد، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والماس بن وائل — وكانوا ذوي
أسنان في قومهم — فقالوا : يا محمد ! هلم فلتعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد؛ فلتترك نحن
وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا كما قد أخذنا بحفظنا منه، وإن كان
ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحفظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم :
(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) ... السورة .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى الإسلام، وكلهم فاطح، فقال له
زمنة بن الأسود، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبي بن خلف،
والماس بن وائل : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويرى ملك !
فأنزل الله تعالى في ذلك : (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفِئَتْ
الْأَمْشُومُ لَا يَنْظُرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ)^(١)
وإنه المستعان .

ذكر خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة

وعوده، وجواره وردّه الجوار

قال : وكان أبو بكر رضي الله عنه كما روى الزهري عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من
تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من

مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة^(١)، ويقال فيه: الدغينة — أخو بني الحارث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة، والهُون بن نُزَيعَة بن مُدْرِكَة، وبني المُصْطَلِق بن نُزَاعَة، تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش^(٢) لحلف — فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أنخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولم؟ فواجهك لَتَرَيْن العسيرة، وتعين على النواذب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، أرجع وأنت في جوارى. فرجع معه حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أبرجت ابن أبي لحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير، فكفّوا عنه.

قال: وكان لأبي بكر مسجد على باب داره في بني جُمَح، فكان يصل فيه، وكان رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن استبكى، تنقف عليه الصبيان والعبيد والنساء فيعجبون لما يرون من هيئته، فبشئ من قريش إلى ابن الدغنة رجال فقالوا: إنك لم تُجبر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرا ما جاء به عهد يرق، ونحن نخشع على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأنه فسرهُ أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء.

قالت: فبشئ ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أبرك لتؤذى قومك، إنهم قد كرموا مكانك الذي أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أردت عليك جوارك، وأرضى بجوارقه؟ قال: فاردد عليّ جوارى، قال: قد رددته عليك، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي لحافة قد رد عليّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

(١) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش. (٢) يقال إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشى،

تفاشق لهم من هذا الاسم، (راجع الروض الأثف ١: ٢٣١).

ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومُنَى أشراف قريش إليه في مرضه ، وما قالوه وأنزل فيهم
كانت وفاة أبي طالب بعد تقبض الصحيفة ، ونروج بن هاشم وبني المطلب
من الشَّعب ثمانية أشهر واحد وعشرين يوما ، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام .
حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الديلمى رحمه الله في مختصر السيرة
النبوية .

وقال محمد بن سعد : كان بينهما شهر وخمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : لما أُنسِكى أبو طالب وبلغ قريشا قتلَه ، فَنُي إليه
أشراف قريش وهم : عُبَبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ،
وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ،
إنك منا حيث قد ماتت وقد حضرنا ما ترى ، ونحذركم عليك ، وقد ماتت الذي
بيننا وبين ابن أخيك ، فأدعه نفلَه منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ،
وليدعنا وديننا ، وندهه ودينه .

فبعث إليه بجاءه فقال له : يا بن أُمى ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ،
ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمة واحدة تملكون
بها العرب ، وتدين لهم بها المعجم » فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، فقال :
« تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تبدون من دونه » ، قال : فصبقوا بأيديهم ،
وقالوا : أنريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ، إن أمرنا لعجب ! ثم قال

(١) ابن سعد : ١٤١ (٢) سيرة ابن هشام : ٢ : ٥٨ . (٣) في ابن هشام :

٢ : ٥٩ : « نعم ، كلمة واحدة تعطوننا ، تملكون بها العرب وتدين لكم بها المعجم » .

بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . فقال أبو طالب : والله ما وأبنتك سألتهم شططا .

قال : فلما قال أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، بفعل يقول له : "ياحم فأنث فقلها ، أستعمل بها لك الشفاعة يوم القيامة" ، قال : يا بن أخي لولا مخافة السببة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى قتلها جزما من الموت لقتلها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

قال ابن عباس : فلما تهاوب من أبي طالب الموت ، نظر العباس إليه بمزك شفيعه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال : يا بن أخي ، والله لقد قال أى الكلمة التى أمرته أن يقولها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لم اسمع" ، ثم هلك أبو طالب .
والذى ورد فى الصحيح . أن آمن ما سمع من أبي طالب ، هو على دين عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأزل الله فى الرهط الذين أجمعوا إلى أبي طالب وقالوا ما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي حِزْبِهِ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا بِوَلَائِ حِينَ سَأَلُوا . وَغَيَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَائِرُ كُذَّابٌ . أَجَعَلِ الْآيَةَ لِمَا وَأَحَدًا إِلَّا هَذَا لَشَيْءٍ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُنَا ^(١) 》 . قال : يريدون بالملة الآخرة النصارى ، لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ^(٢) 》 .

(١) فى ابن هشام ٢ : ٥٩ : « ، إسلامه » .

(٢) سورة ص ١ - ٧ . (٣) سورة المائدة : ٧٣ .

ذكر وفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي

صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها

كانت وفاة خديجة رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب كما تقدم ، وماتت قبل المعجزة بثلاث سنين على ما مضىه الشيخ شرف الدين البياطي رحمه الله في مختصر السيرة النبوية ، قال :

وبقيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوفاة خمس عشرة سنة ، وبعد تسع سنين وثمانية أشهر ، وهي أول من أسلم من النساء بلا خلاف ، ولعلها أول من أسلم من الناس ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزير صدق . روى أن آدم عليه السلام قال : « إني آسيد البشر يوم القيامة إلا رجلاً من ذريتي فضل عليّ باثنين ، كانت زوجته حواء له ، وكانت زوجته حواء عليّ ، وأمانه الله على شيطاناه فأسلم ، وكفر شيطاني » . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أبشر خديجة بنيت في الجنة من قصب ، لا تحبب له ولا نصب » ، قالوا : والقصب ما هنا : القللو . ودفنت خديجة بالجحون ، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعودته إلى مكة قال : لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تناله في حياة عمه .

قال محمد بن سعد : فبلغ ذلك أبا لهب ، بغاه فقال : يا عبد ، امض لما أردت وما كنت صانماً إذا كان أبو طالب حياً فاصنمه ، لا والآلات ، لا يؤصل إليك

- حتى أموت ، قال : وسبّ أبى التَّيْطَلَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأقبل عليه أبو لُحَب فثأل منه ، فوثق وهو يصيح : يا معشر قريش ، صَبِّأَ أَبُو عَتْبَةَ ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لُحَب فقال : ما فارقتُ دين عبد المطلب ، ولكنى أُمْنَعُ أَبْنَائِي أَنْ يُضَامَ ، حتى يمضى لما يريد ، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصلت الزَّحْمَ ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يذهب ويأتى ، ولا يمترض له أحد من قريش ، وهاجوا أبا لُحَب إلى أن جاء جُفَّةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وأبو جهل ابن هشام إلى أبي لُحَب فقالا : أخبرك ابن أخيك ابن مدخل أميك ؟ فقالا له : يا هُجْدُ ابن مدخل عبد المطلب ؟ قال : «مع قومه» ، نفرج أبو لُحَب إليهما فقال : قد سألتُه فقال : «مع قومه» ، فقالا : يزعم أنه في النار ، فقالا : يا هُجْدُ ، أيدخل عبد المطلب النار ؟ قال : «نعم» ، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار . فقال أبو لُحَب : والله لا برحت لك صلوًا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار ، فاشتد عليه هو وسائر قريش ، نفرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

- قال محمد بن سعد : نخرج وسعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال بقرين من شوال سنة عشر من حين النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشrafهم إلا جاءه وكنسه ، فلم يبيوه ، وخافوا على أحدائهم ، فقالوا : يا هُجْدُ ، أخرج من بلدنا والحق بإيالك من الأرض . وأغروا به سفهائهم ، فحملوا يرمونه بالمجارة حتى إن رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلميذا ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه . حتى لقد شُجَّ في رأسه شجايبا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

٩٧
١٤

(١) في الأصل : « فقال » ، وما أتينا من ابن سعد ١ : ١٤٢

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٣٨٥ : « بنتهاك » .

وقال ابن إسحاق^(١) : لما أغروا به سفهاءهم ، بلغا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، فجلس في ظل حيلة^(٢) ، وأبنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فتحركت له رحمتها ، فدعوا غلاما لها نصرانيا يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطعا من هذا العنب فضمه في هذا الطبق ، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ، ففعل عدّاس ، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وقال له : كُلْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بسم الله" فأكل ، فنظر عدّاس إليه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له صلى الله عليه وسلم : "ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟" قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل يثرب^(٣) ، فقال له : "أمن قرية الرجل الصالح يونس بن مئى" ؟ فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس ؟ قال : "ذاك إنسى ، كان نبيا وأنا نبي" ، فأقبل عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل رأسه وقدميه ويديه ، فقال أحد ابني ربيعة لصاحبه : أتما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عدّاس قالوا له : ويلك ! ما لك تحبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا العبد ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قالوا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

قال : ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة حين يؤس من خير خفيف ، حتى إذا كان مخفلة^(٤) أتاه جنّ نصيبين^(٥) ، حل ما نذكر ذلك إن شاء

- (١) ابن هشام ٢ : ٦١
(٢) الحيلة : هجرة النيب .
(٣) يثربى : من قرى الحوصل .
(٤) مخفلة : محلة ما بين مكة والطائف .
(٥) نصيبين : قاعدة ديار ربيعة .

الله في أخبار الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تحقق عليه هناك، وهو في آخر وفادات العرب .

- قال : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بَقْلَةَ أياما ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فقال : " يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى قَرِيبًا وَغَرِيبًا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه " ، ثم أتتهى إلى جرّاء ، فأرسل رجلا من نِزَامَةِ إلى مُطْعِم بن عدى يقول : " أدخل في جوارك " ؟ فقال : نعم ، ودعا إليه وقومه ، فقال : تلبّسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت ، فأتى قد أجرت هذا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه زيد بن حارثة حتى أتتهى إلى المسجد الحرام ، فقام مُطْعِم بن عدى على راسلته فتنادى : يا معشر قريش ، إني قد أجرت هذا ، فلا يهتبه أحد منكم ، فأتتهى صلى الله عليه وسلم إلى الزكن فاستلمه ، وصل ركعتين ، وأنصرف إلى بيته ، ومُطْعِم وولده مُطِيفُونَ به ، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصاري في رثائه لمطعم من قصيدته :

فلو كان مجدٌ يُخلّد الدهرَ واحداً * من الناس أبى مجده اليومَ مطعماً
أجرت رسول الله منهم فأصبعوا * عبيدك ما لى مهلاً وأحرماً

- وحكى محمد بن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأخنس بن شريق ليُعيّره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يُعيّر ، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال : إن بني عامر لا يُعيّر على بني كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى فاجابه .

(١) رواية الهيران بشرح البرقوقي : ٣٩٨

ولم أن مجداً أخذه الدهر واحداً * من الناس أبى مجده الدهر مطعماً

(٢) في الأصل « أن من بني عمر » ، وهو تحريف . وصوبناه عن ابن هشام ٢ : ٢٠ ،

ذكر خبر الإصراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى البيت المقدس ، وخبر المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ، وإلى سِدْرَةِ المنتهى ، وما شاهد في ذلك من الكرامة والأصطفاء والمناجاة ، وفرض الصلاة ، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى ، صلى الله عليه وسلم

وجبر الإصراء برسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة . أما الكتاب العزيز ، فقد قال الله عز وجل :
 ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَلَنَجْجِمْ إِذَا هُوَ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَّى فَقَدَلَى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْسَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْسَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُهَارُونَ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَنْفُثُ السُّدْرَةَ مَا يَنْفُثُ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾^(٢) .

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى .

وكان الإصراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ل سبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد أئنت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر .

وقال ابن سعد في طبقاته عن عائشة وأم ماني وآبن عباس قالوا : أُمرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب [إلى بيت المقدس ^(١)] . والله أعلم .

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة ، وقد رأينا أن نبداً منها بأكلها وأجمعها ، وهو حديث ثابت البتاني عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، ثم نذكر زيادات عن غيره يتبين ذكرها .

أما حديث ثابت البتاني ^(٢) فهو مما روينا بإسناد متصل عن مسلم بن الحجاج ، قال حدثنا شيبان بن فروخ ، قال حدثنا حماد بن سلمة ، قال حدثنا ثابت البتاني عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه » . قال : « فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت بجأني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه ، ففتح لنا فإذا بأدم صلى الله عليه وسلم ، فرحب بي ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابن الخالفة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم ، فرحبا بى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ،

(١) التكملة من ابن سعد . القسم الأول من الجزء الأول ص ٤٤٢

(٢) الحديث في الشفاء : ١ : ١٤١ وما بعدها .

وذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صل الله عليه وسلم، وإذا هو قد أعطى
شطر الحسين، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم خرج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر
مثله، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم خرج بنا إلى السماء الخامسة،
فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم خرج بنا إلى السماء
السادسة، فإذا أنا بموسى فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم خرج بي إلى السماء
السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مستندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المنتهى،
وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقفل^(١). قال: "فلما غَشِيْنَا من أمر الله
ما غَشِي تغيرت، فإحد من خلق الله يستطيع أن ينبتنا من حسنها، فأوحى الله
إلى ما أوحى، ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقلتُ إلى موسى،
فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: أرجع إلى ربك
فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل".
قال: "فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عني أُنْقَى، فخط عني خمسا،
فرجعت إلى موسى فقلت: خط عني خمسا"^(٢)، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك،
فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف. قال: "فلم أزل أراجع بين ربي تعالى، وبين
موسى حتى قال: يا محمد، إنني خمس صلوات، كل يوم وليلة بكل صلاة عشر،
فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها

(١) في الأصل: «موسى» — وما أُنْتَبَاه عن مسلم، والشفاء.

(٢) في دلائل النبوة: ١٩٦ والبخاري: ٤: ٧٢: «نبتا كأنه ثلث نهر».

(٣) في حيون الآثار: ١٤٥: «لا تخلف».

(٤) في الأصل: «قلت»، وهو تحريف.

كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمِنْهُمْ سِتَّةٌ قَلَّمَ يَعْمَلُهَا لَمْ تَكُتِبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سِتَّةٌ وَاحِدَةً. قَالَ : «فَنَزَلْتُ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ : أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ^(١) فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى أَسْتَحْيِيَتْ مِنْهُ » .

- وروى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَحْتَمِلُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «فُتِّحَ سَقْفُ بَيْتِي، فَزَلَّ جَبْرِيلُ ففَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ خُضِلَ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ، ثُمَّ جَاءَ وَطَسَّتْ مِنْ فُهْبٍ مِثْلُ حِكْمَةِ وَإِمَامًا فَأَفْرَضَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ففَرَجَ بَنِي آلِ السَّاءِ » . فذكر القصة .

- وروى قتادة عن أنس عن مالك بن صُعَصُعة الحنْذَلِيّ بِمِثْلِهِ ، وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَزِيَادَةٌ وَنَقْصٌ، وَخِلَافٌ فِي تَرْتِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالسَّمَوَاتِ؛ وَحَدِيثٌ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُنَّ وَاجِدُونَ . وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَدْلَانِ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَقَّ جَوْفَهُ عِنْدَ الْإِسْرَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخَبَرُ أَنَّهُ شَقَّ جَوْفَهُ وَهُوَ عِنْدَ ظِلْفَرِهِ فِي حَالِ طُفُولِيَّتِهِ، فَيَكُونُ عَلَى هَذَا شَقَّ جَوْفَهُ مَرَّتَيْنِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

- وقيل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبي الحسن الصمعيّ في مختصر السيرة الحديث له قال : روى أبو داود الطيالسيّ في مسنده ^(٢)، قال : حَدَّثَنَا حَادِدُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ هُوَ وَخَدِيجَةُ شَهْرًا، فَوَافَقَ ذَلِكَ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَمِعَ : السَّلَامَ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ رَفَعَهُ الْحَقُّ ^(٣)، فَقَالَ :

(١) في الأصل : « فتركت » ، وما أتيته من الشفاء : ١٤٣ ، وميون الأثر : ١٤٥ .
 (٢) في ميون الأثر ، وصحيح مسلم ١٠٢ : ١٠٣ ، وفي رواية بمكة : « يعني ما أتيتك » .
 (٣) ص ٢١٥ . (٤) في مسند الطيالسي : « بقادة الجز » ، والمحق هنا : الموت .

”أنشروا فإن السلام خير“، ثم رأى يوما آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قالت: فبنت منه، قالت: فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال: ”فكلمني حتى أنست به ثم وعدني موعدا، بغفت لموعده، واحتبس على جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، وبني ميكائيل بين السماء والأرض“، قال: ”فأخذني فسلقني ليلالة القفا، وشق^(١) عن بطني، فأخرج منه ماشاء الله، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده، ثم كفاني كما يكفوا الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم، ثم قال لي: (اقرأ يا أيم ربك) ولم اقرأ كتابا قط، فأخذ يحلق حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال: (اقرأ يا أيم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق) إلى قوله: (ما لم يعلم)“، قال: ”لما نسبت بهد، فوزني برجل فوزنته، ثم وزني بأخر فوزنته، ثم وزني بثالثة، فقال ميكائيل: تبعته أمته ورب الكعبة“، قال: ”ثم جئت إلى منزلي، لما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت حل خديجة فقالت: السلام عليك يا رسول الله“.

فبدل هذا الحديث على أنه شق جوفه أيضا عند الوحى، كما فيكون شق جوفه ثلاث مرات، مرة وهو عند طلقة، ومرة عند الوحى في أول النبوة، كما يقتضى هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء، كما روى عن أبي ذر: ومالك بن صمعة . والله أعلم .

(٢) في الأصل « قال » وما أجتهد عن مسند الطيالسي ٢١٥ .

(٢) سلقني ليلالة القفا : أى ألقاني على ظهري . وذكر الطيالسي : « سلقني » ، والأول أشهر .

وإنما أوردنا حديث الطيالسي في هذا الموضع على سبيل الاستطراد ، لأن موضعه يصلح أن يكون عند ذكر حديث المبعث ، وقد أثبتنا هناك الأحاديث الصحيحة ، فنرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسماء .

وأما ما ورد في الأحاديث الأخر من الروايات التي يتعين ذكرها :

- فلما حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي : " مرحبا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح " .

وفيه من طريق ابن عباس رضى الله عنهما : " ثم خرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الأقدام " .

وعن أنس : " ثم أنطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لم أدر ما هي " ، قال : " ثم أذيعت^(١) الجنة " .

١٠

وفي حديث مالك بن صمصة : " فلما جاوزته — يعنى موسى — بكى ، فنودي ما يبكيك ؟ قال : رب ، هذا غلام بعثته بسدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمي " .

 $\frac{1}{1}$

وفي حديث أبي هريرة : " وقد رأيته في جماعة من الأنبياء ، خانت الصلاة فأمتهم فقال قائل : يا عهد ، هذا مالك خازن النار قسّم عليه ، فالتفت فبدأنى^(٢) بالسلام " .

١٥

وفي حديث أبي هريرة : " ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة ، قالوا : يا جبريل من هذا

(١) زاد في حيون الأثر : ١٤٥ ، دلائل النبوة ١٩٨ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٣ « فإذا فيها

٢٠

جناذ القزور وإذا زارها المسك » .

(٢) في دلائل النبوة ١٩٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٩ : « فالتفت إليه » .

معك ؟ قال : هذا عهد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه من أخ وخليفة ! فنعم الأخ ونعم الخليفة ! ثم لقوا أرواح الأنبياء فأتوا على ربههم . وذكروا كلام كل واحد منهم ، وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان . ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وإن عهدا صلى الله عليه وسلم أتى على ربه ، فقال : " كلّم أتى على ربه ، وأنا أتى على ربي ، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء ، وجعل أمّتي خیرامة ، وجعل أمّتي أمة وسطا ، وجعل أمّتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لي صدري ، ووضع غنى وكرى ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحا وخاتما " . فقال إبراهيم : بهذا فضلكم عهد . ثم ذكر أنه عُرِجَ به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ، نحو ما تقدم .

وفي حديث ابن مسعود : " وأتته بي إلى سِدْرَةِ المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ؛ إليها يَتَمَيَّ ما يُعْرَجُ به من الأرض فيقبض منها ، وإليها يَتَمَيَّ ما يهبط من فوقها فيقبض [منها] " . قال تعالى : (إِذْ يَفْتَشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْتَشَى) ، قال : فَرَأَى من ذهب .

وفي رواية أبي هريرة رضى الله عنه ، من طريق الربيع بن أنس : " فقيل لى : هذه سِدْرَةُ المنتهى ، يَتَمَيَّ إليها كل أحد من أمّتك خلا على سبيلك " . وهى السِّدْرَةُ المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من نخل لينة للشاربين ، وأنهار من حسل مصفى . وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق . فنشينا نور ، وغشينا الملائكة .

(١) فى الأصل : « يقبض » ، وما أتقناه من صحيح مسلم ١ : ١٠٩ ، والشفا .

(٢) الزيادة من صحيح مسلم ، والشفا .

(٣) خلا على سبيلك : أى مضى على طريقتك وسفرك .

قال : فهو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَنْشِئُ السَّدْرَةَ مَا يَنْشِئُ﴾ فقال تبارك وتعالى له :
 «سل» : فقال : «إِنَّكَ آتَخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَكَأَمْتَ مُوسَى
 تَكْلِيًا ، وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَآتَيْتَ لَهُ الْحَسَدِيدَ ، وَصَفَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ ،
 وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَصَفَّرْتَ لَهُ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ ، وَأَعْطَيْتَهُ
 مُلْكًا لَا يُلْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْتَهُ يَرَى
 الْأَنْجَمَ وَالْإِبْرَصَ ، وَأَعَدَّتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَلِبُهُمَا سَبِيلٌ» .
 فقال له ربه : « قَدْ آتَخَذْتُكَ حَبِيبًا » فهو مكتوب في التوراة : « مجد حبيب
 الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أمك [هم] الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخَرُونَ ،
 وجعلت أمك لا تجوز لم حُطْبَةٍ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وجعلتك أَوَّلَ
 النَّبِيِّينَ خَلَقًا ، وَآخَرَهُمْ بَعَثًا ، وَأَعْطَيْتَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَافِي وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ،
 وَأَعْطَيْتَكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَثَرِ تَحْتِ عَرْشِي ، لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَجَعَلْتُكَ
 فَاتِحًا وَخَاتِمًا » .

وفي الرواية الأخرى ، قال : فَأَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا :
 أَعْطَى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَفُفَّرَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا
 مِنْ أَمْتِهِ الْمُفَصَّحَاتِ .^(١٥)

وَقَالَ : ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ، الْآيَتَيْنِ . قِيلَ : رَأَى جَبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ
 لَهُ سَمَاءَةٌ بِجَنَاحَ . وَفِي حَدِيثِ شَرِيكَ : « أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ » قَالَ : بِتَفْضِيلِ

(١) في الأصل : « وقال » وما أثبتناه عن الشفاء .

(٢) في الأصل : « أرسلك » وما أثبتناه عن الشفاء .

(٣) بإضافة من الأصل ، والزيادة عن الشفاء ..

(٤) لـ ابن جرير : سورة : انظر صحيح مسلم ١ : ١٠٩

.. بالتحقيق : بخلاف من القلوب .

كلام الله، قال : « ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله ، فقال موسى : لم أظن أن يُرفع عليّ أحد » .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل عليّ جبريل عليه السلام فوكر بين كفتي^(١) ، فقممت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر ، فبعد في واحدة ، وقعدت في الأخرى فتمت حتى سدت الخافقين ، ولو شئت لمسست السماء ، وأنا أقلب طرفي ، ونظرت جبريل كأنه جالس لا يطع^(٢) ، فعرفت فضل علمه بالله عليّ ؛ وفتّح لي باب السماء ، ورأيت النور الأعظم ، وإذا دوني الجحباب وقُرحه الدر والياقوت ، ثم أوحى الله إليّ ما شاء أن يوحى " .

وذكر البزار عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بداية يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فأستصعبت عليه ، فقال لها جبريل : أسكني ، فو الله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، فركبها حتى أتى بها إلى الجحباب الذي يلي الرحمن تعالى ، فبينما هو كذلك إذ نزع ملك^(٣) [من] الجحباب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا جبريل ، من هذا ؟ " . قال : والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه ، فقال الملك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الجحباب : صدق عبدي ؛ أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك : أشهد أن

(١) في دلائل النبوة : « فسمت وأرقت » .

(٢) المجلس : كساء ، رقيق يوضع تحت القتب أو البرذعة . ولا طئ : لاصق بالأرض — والمراد أن جبريل لما قرب من السماء تشبه مهابة حتى خضع والقصق بالأرض .

(٣) في الأصل : « لاملأ » ؛ وهو غير . (٤) تكملة من الشفاء .

لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب : «صدق عبدي، أنا لا إله إلا أنا» . وذكر مثل هذه في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : «حق على الصلاة، حق على الفلاح» ، وقال : ثم أخذ الملك بيد محمد فقصمه ، فأتم أهل السماء فيهم آدم ونوح .^(١)

- قال القاضي عياض بن موسى رحمه الله : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المشجورون ، والبارى جل أسمى منزته عما يحجبهم ، إذ الجُبُّ إنما تُحيط بمقدّر محسوس ، ولكنَّ حُجَّةً على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كقوله : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٢) . قال : فقوله في هذا الحديث : «الحجاب» يجب أن يقال : إنه حجاب مُحِبٌّ به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته ، وبحجاب ملكوته وجبروته . ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي تخرج من وراءه : إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه ، فدلَّ [على] أن هذا الحجاب لم يختص بالذات .

- ويدل عليه قول كعب في تفسيره : سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، قال : إليها ينتهي علم الملائكة ، وعندها يحلون أمر الله لا يجاوزها علمهم .
- قال : وأما قوله «الذي يلي الرحمن» ، فيُحتمل على حذف المضاف [أى] الذى يلي عرش الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه عما هو أعلم به ، كما قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ﴾^(٣) أى أهلها .

(١) زاد في عاشى الشفاء ج ١ ص ١٤٩ : ه إبراهيم

(٢) في الأصل : «محسوس» ، وما أثبتناه من الشفاء .

(٣) سورة المطففين ١٥ . (٤) ساقطة من الأصل ، وما أثبتناه من الشفاء .

(٥) الزيادة عن الشفاء . (٦) سورة يوسف ٨٢ .

وقوله : « فقيل من وراء الحجاب ، صدق عيسى ، أنا أكبر » فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(١) [أى ^(٢) وهو لا يراه ، حجب بصره عن رؤيته ، فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رُفِعَ الحجاب عن بصره حتى رآه . والله أعلم بالصواب .

ذكر من قال : إن الإسماء كان بالجسد وفي اليقظة

قد اختلف العلماء على ثلاث مقالات ، فذهبت طائفة إلى أنه إسماء بالروح ، وأنه رؤيا منام . وذهبت طائفة إلى أن الإسماء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح . والذي عليه الأكثرون — وقال به معظم السلف — أنه إسماء بالجسد ، وفي اليقظة .

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض : وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبي حبة البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وأبن شهاب ، وأبن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبن جريح ، وهو قول الطبري ^(٣) . وأبن حنبل ، وغيرهما ، وقد أبطلوا حجج من قال خلاف ذلك بأدلة يطول علينا شرحها .

١٠٢
١٤

قال القاضي عياض : والحق [من هذا] والصحيح إن شاء الله أنه إسماء بالجسد والروح في القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار والأخبار —

(٢) الزيادة عن الشفاء : ١ : ١٥٠

(١) سورة الشورى : ٥١

(٣) زيادة من الشفاء .

- ولا يُعَدَّلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل [إلا] عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسمه وحالٍ يَقْظُهُ استحالة، إذ لو كان مناما لقال: بروج عبده، ولم يقل: «يُعْبَدُهُ» — وقوله: «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى» (١). ولو كان مناما لما كانت فيه آيةٌ ولا معجزةٌ، ولما استبعد الكفار ولا كذبوه فيه، ولا أرتد به ضعفاء من أسلم وأقننوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا يُنْكَرُ، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أنه خبره إنما كان عن جسمه وحالٍ يَقْظُهُ إلى ما ذُكِرَ في الحديث من ذكر صلته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس، أو في السماء حل ما روى غيره، وذكر جبريل له بالبراق، وخبر الميراج وأُسْتُفْتَحَ السماء، فيقال: (٢) ومن معك؟ فيقول: عهد، ولقاءه الأنبياء فيها، وخبرهم معه، وتريحيم به، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك، وفي بعض هذه الأخبار: «فاخذ — يعني جبريل — بيدي، فخرج بي إلى السماء» إلى قوله: «ثم صَرَجَ بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صوت الأقدام» (٣)، وأنه وصل إلى سِدْرَةِ المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره».

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام، والآي في ذلك كثيرة، والأدلة واضحة، فلا نطوّل بسردها، وفيما أوردناه منها فيما قدّمنا ذكره كفاية. والله أعلم.

(١) ساقطة من الأصل، وما أُتْبِتَهُ من الشفاء.

(٢) بالرفع مطوفاً على كلمة «الآية» في الصفحة السابقة. وانظر شرح الشفا لقاري ٢٣٣/١

(٣) في الأصل: «فيقول»، وما أُتْبِتَهُ من الشفاء.

(٤) في الشفا: «صريف»، وهو يرافقه ما في حيون الأثر، وصحيح مسلم.

ذكر ما ورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه تبارك وتعالى ، ومناجاته له ، وكلامه ودثوه وقرينه من ربه
عز وجل ، ومن جاوز ذلك ومن منعه ، وما قيل في مشكل
حديث الدثوة والقرب

• أما الرؤية فقد اختلف السلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ،
فأنكرته عائشة .

روى عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها : يا أُمّ المؤمنين ، هل رأى
عبد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ؛ ثلاث من حديثك بهن فقد كذب ،
[من حديثك أن عبدا رأى ربه فقد كذب] ثم قرأت ^(١) ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ^(٢)
الآية [ثم ذكر الحديث ^(٣)] . وقالت جماعة بقول عائشة ، وهو المشهور عن ابن
مسعود .

ومثله عن أبي هريرة : إنما رأى جبريل ، وأخيلف عنه . وقال بإنكار هذا
وأمتناع رؤيته في الدنيا [جماعة ^(٤)] من المحدثين والفقهاء والمتكلمين .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى بعينه . وزوى عطاه عنه : رآه بقلبه ،
وعن أبي العالije [عنه ^(٥)] رآه بفؤاده مرتين .

وذكر ابن إسحاق : أن ابن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ابن عباس رضي
الله عنهما يسأله : هل رأى عبد ربه ؟ قال : نعم ، والأشهر ^(٦) [عنه] أنه رأى ربه
بعينه . وقال : إن الله أختص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلعة ، وعجدا بالرؤية .

(١) قف شعري : وقف من الفزع . (٢) الزيادة من الشفا ١ : ١٥٨

(٣) سورة الأنعام ١٠٣

وحجته قوله : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفَتَأْتُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى) .

وقال الماوردي : قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى وعهد ، فراه عهد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

- وحكى أبو الفتح الرازي ، وأبو الليث السمرقندي^(١١) ذكرهما عن كعب . وروى عبد الله بن الحارث ، قال : أجمع ابن عباس وكعب ، فقال ابن عباس : أما نحن بن هاشم فنقول : إن عهدا قد رأى ربه مرتين ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال . وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى وعهد ، فكلمه موسى ، ورآه عهد بقلبه . وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي ، وربيح بن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رأيت ربي " — وذكر كلمة — فقال : " يا محمد فم ينضمهم الملأ الأعلى " . الحديث .

- وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله . لقد رأى عهد ربه ، وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة ، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود ، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة : هل رأى عهد ربه ؟ فقال : نعم . وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس ،
١٥ بينه رآه ، حتى أقطع نفس أحمد .

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود ، فحكى عن ابن مسعود ، وعكرمة : رآه بقلبه .

١٠٣
١٤

وعن الحسن وابن مسعود : رأى جبريل . وعن ابن عطاء في قوله تعالى :
(أَلَمْ تُشْرَحْ لَكَ صَدْرُكَ)^(١٢) ، قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .
٢٠

(١) أى الحكاية التى ذكرها الماوردي . (٢) سورة الانشراح ١

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه : إنه رأى الله بصره وعين رأسه وقال : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبيا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله : والحق الذي لا أمراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ، وعال أن يحيل شيء ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى : (لَنْ تَرَانِي) أي لن تطبق ولا تحتمل رؤيتي ، ثم ضرب له مثلا بما هو أقوى من نية موسى وأثبت وهو الجبل . قال : وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا ، بل فيه جوازها على الجملة ، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة .

قال : ولا حجة لمن يستدل على منعها بقوله : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) لاختلاف التأويلات في الآية ، وقد استدلت بعضهم بهذه الآية فصيحا على جواز الرؤية ، وعدم استحالتها على الجملة . وقد قيل : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) ، أي لا تحيط به ، وهو قول ابن عباس ، وقد قيل : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) . وإنما يدركه المبصرون . قال : وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها ، وحيث نتطرق التأويلات وننسلط الاحتمالات ، فليس للقطع سبيل ، وكذلك وجوب الرؤية لبنينا صلى الله عليه وسلم ، والقول بأنه رآه بعينه . فليس فيه قاطع أيضا ولا نص ، إذ المعول فيه على آيتي النجم ، والتنازع فيما ماثور ، والاحتمال لها ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) في الأصل : « وعين رأسه » ، وما أبتناه عن الشفاء .

- وأما المناجاة والكلام والقرب والدنو وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث ؛ فقد اختلف في الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بقوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ، وهل كانت ذلك الوحي بواسطة أو بغير واسطة ؟ فأكثر المفسرين على أن الموحى الله إلى جبريل ، وجبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . [فذكر عن^(١) جعفر بن محمد الصادق ، قال : أوحى الله إليه بلا واسطة . ونحوه عن الواسطي ، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس ، وأنكره آخرون . وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ دَنَا قَتَدَلٌ ﴾ ، قال : " فارقتي جبريل ، وأقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي ، وهو يقول : ليهذا روطك يا محمد ، أدن أدن " . وقد تقدم ذكر حديث الأذان ، وقول الملك : الله أكبر الله أكبر ، فقل من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

- وقد احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾^(٢) ، فقالوا : هي ثلاثة أقسام ؛ من وراء حجاب كتكليم موسى ، وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء ، وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم ، الثالث قوله : ﴿ وَحْيًا ﴾ . قالوا : ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشاهدة ، وقد قيل : الوحي هنا ما يلقى في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة ، وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممنوع .

- وأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا قَتَدَلٌ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ فأكثر المفسرين أن الدنو والتدنى متقسم ما بين محمد وجبريل طيعهما السلام ، أو مختص

$$\frac{104}{14}$$

بأحدهما من الآخر، أو من سِدْرَةِ المنتهى . وقال ابن عباس : هو عهد دنا فتدلى من
من ربه . وقيل : معنى دنا قرب ، وتدلى : زاد في القرب ، وقيل : هما بمعنى
واحد أى قرب . وحكى مكى^(١) والمأوردى عن ابن عباس ، هو الرب دنا من عهد
فتدلى إليه ، أى أمره وحكمه . وحكى القناش عن الحسن ، قال : دنا من عبده
عهد صلى الله عليه وسلم ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته .
قال وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر، تدلى^(٢) الزفرى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج ، فجلس عليه ، ثم رفع فدنا من ربه . وفى الصحيح عن أنس بن مالك :
” خرج بى جبريل إلى سِدْرَةِ المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه
قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسين صلاة “ . الحديث .
وعن محمد بن كعب : هو عهد دنا من ربه ، فكان قاب قوسين . وقال جعفر
ابن محمد : أدناه ربه منه ، حتى كان منه كقاب قوسين ، قال جعفر : والدنو
من الله لا حد له ، ومن العباد بالحدود . وقال أيضا : انقطعت الكيفية عن
الدنو ، ألا ترى كيف حَبَّبَ جبريل عن دتوه ، ودنا عهد إلى ما أودع قلبه من
المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه ، وزال عن قلبه الشك والارتياح !
وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث ، فقال القاضى عياض رحمه الله : اعلم أن
ما وقع من إضافة الدنو والتقرب هنا من الله وإلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى ، بل كما ذكرنا^(٣) عن جعفر الصادق ليس بدنو حد ، وإنما دتو النبي صلى الله عليه
وسلم من ربه ، وقربه منه إبانة عظيم منزلته ، وتشريف رتبته ، وإشراق أنوار
معرفته ، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له ممرة وتأنيس ، وبسط

(١) الزفرى : البساط الأخضر .

(٢) فى الأصل : « بل كان ذكر » ، وما أبتناه من الشفاء : ١٦٧

وإكرام، ويتأول فيه ما يتأول في قوله : ”يقرن ربنا إلى سماء الدنيا“ على أحد الوجوه ، نزول إفضال وإجمال ، وقبول وإحسان . وقال الواصلي : من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة ، بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بسندا ، يعني عن درك حقيقته ، إذ لا تدنو للحق ولا بعد .

- وقوله : (قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ، فن جعل الضمير مائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ، ولطف المحل ، وإيضاح المعرفة ، والإشراف على الحقيقة من عهد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحق ، وإثابة المنزلة والمرتبة من الله له ، ويتأول [فيه] ما يتأول في قوله : ”من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن أتاني بمشي آتيته هرولة“ ، قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتسجيل المأمول .

وقد أخذ الكلام في هذا المعنى حقّه ، فلنذكر ما كان بعد الإسماء [من] الأخبار .^(٢١)

ذكر ما كان بعد الإسماء من إنكار قرئش لذلك

- وما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وصفه لهم البيت المقدس ، وإخباره لهم بخبر عيرهم ، وارتداد من ارتد روى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ فذكر نحو ما تقدم من خبر الإسماء ، وفيه زيادة ونقص ، قال : وفيه أن جبريل عليه السلام أنزله فصلى بيثرب ، ثم صلى

بمدن عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام، ثم صلى في المسجد الأقصى، وأنه صلى الله عليه وسلم مرة بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا قد جمعه فلان، قال : " فسامت عليهم فقال بعضهم هذا صوت عهد "، قال : " ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة ، فأتاني أبو بكر فقال : يا رسول الله ، أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك " ^(١) فقلت : علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة ؟ ، فقال : يا رسول الله ، مسيرة شهر ! فصه لي ، قال : " فتفتح لي صراطا كأي أنظر إليه ، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه " . فقال : أشهد أنك رسول الله حقا ، فقال المشركون : انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، فقال : " إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، يتزلون بكذا وكذا ، ويأتونكم يوم كذا وكذا ، يقدمهم جل آدم عليه مسيح أسود ، ^(٢) ^(٣) وحراران سوداوان " . وإنهم أشرفوا ينظرون . فأقبلت العير نصف النهار على ما وصفت لهم صلى الله عليه وسلم .

١٠٥
١٤

وفي رواية يونس بن بكير في زيادة المخاضى : أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير ، قالوا : متى يجيء ؟ قال : " يوم الأربعاء " . فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولى النهار ولم يجيء ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزید له في النهار ساعة ، وحسب عليه الشمس .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد رأيته في الجحر وقريش تسألني عن مسراى ، فسألوني عن أشياء

(١) دلائل النبوة : « فقال » . (٢) جل آدم : أبيض مع سواد اقلتين .

(٣) المسح : الكساء من الشر .

من بيت المقدس ، لم أنبتها فكبرت كربا ما كبرت مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ^(١) .

- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدّثون بذلك ، فأرتد ناس من آمنوا به وصدّقوه ، وسعوا إلى أبى بكر فقالوا : هل لك فى صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به
- الليلة إلى بيت المقدس ، وجاء قبل الصبح ! قال : نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روضة ، فلذلك سمى أبو بكر رضى الله عنه الصديق .

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب

فى المواسم

١٠

- قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى خير واحد ، قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ؛ يوافق المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم بمكائظ ومجتمعة ، وذى الحجاز يدعوهم ؛ حتى بلغ رسالة ربه تعالى ، وأبو لهب يمشى وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب ، فيقولون : أمرتُك وعشيرتُك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، فيقول : "اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا" ، قال الواقدي :
- ١٥ فكان من سبى لنا من القبائل الذين أنامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، ومحارب بن خصفة ، وفزارة ،

(١) لم أنبتها : لم أحفظها لاشتغال بأمر منها . والكرى : القم .

(٢) عكاظ ومجتمعة وفزارة : أسماء أسواق كانت لعرب فى الجاهلية .

(٣) فى الأصل : « خصفة » وهو تصحيف .

وغيثان^(١)، ومرة، وحنيفة، وسلم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكنانة،
وكلب، والحارث بن كعب، وعُدرة، والحضارمة؛ فلم يستجب منهم أحد .

قال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال :
سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي قال : أتني لفلان شاب مع أبي يمني، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : " يا بني فلان ،
إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تحملوا
ما يبعد من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنوني حتى أبين
عن الله ما يعني به " ، قال : وخلفه رجل أحول وضى له غدبرتان ، عليه حلة
مدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك
الرجل : يا بني فلان ؛ إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلكوا اللات والعزى من
أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ؛ إلى ما جاء به من البدعة^(٢)
والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا
الرجل [الذي] يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ،
أبو لهب .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني حامر
ابن صمصمة فدعاهم إلى الله ، ومرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم يقال له
بجيرة بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ،

(١) في الأصل : « حسان » وهو تصحيف . (٢) في شرح المواهب : كعب .

(٣) في الأصل : « يحده » وما أثبتناه من ابن هشام ، وابن كثير ، والمواهب .

(٤) إلى هذا الحرف تسب الإبل الأفيشية .

(٥) هذه الزيادة من ابن هشام .

- ثم قال له : أ رأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك
 أيكون لنا الأمر بسدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له :
 أفنهدف نحورنا [للعرب دونك ^(١)] ؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا
 بأمرك ، فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت
 أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه
 حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه في ذلك العام ، سالم عما كان
 في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ؛ ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نجت
 يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا ، قال : فوضع الشيخ يده على
 رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذلنا بها من مطلب ^(٢) ! والذي
 نفس فلان بيده ، ما تقولها إسماعيل - قط ، وإنما الحق ، فإن رأيكم كان عنكم .
 قال : وحدثنى عاصم بن عمر عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا :
 قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف [مكة ^(٣)] حاجا أو معتمرا ، وكان
 سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل بلطاه وشرفه ونسبه وشعره ، قصصى له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له
 سويد : قلل الذي مек مثل الذي معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 وما الذي مек ؟ قال : مجسلة لثمان ^(٤) (بني حكمة لثمان) فقال له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : اعرضها علي ؛ فعرضها عليه ، فقال : "إن هذا لكلام حسن ،

(١) نهدف : أي نجعلها هدفا لسببهم . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) هذا مثل مشهور يضرب لما فات . وأصله من ذئاب الطائر إذا أظمت من الحيلة فطلبت الأخطى .

(٤) في الأصل وعبير الأثر : ١٠٤ « عبور » وما أبتناه عن ابن هشام وشذرات الذهب .

ج ٥ : ٥٣ (٥) الزيادة عن ابن هشام . (٦) المجلة : الصميفة .

لكن الذى معى أفضل من هذا؛ قرآن أنزل الله علىّ هو هدى ونور". فخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعده، وقال: إن هذا لقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال: لأن كان رجال من قومه يقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل بُعث^(١).

قال ابن إسحاق أيضا: وحدثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ عن محمود بن ليبد، قال: لما قدم أبو الحخمير أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يتمسون الحلف من قريش على قومهم من بني الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتاهم مجلس إليهم فقال: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا: وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله، يعنى إلى العباد أدهمهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأزل على الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال لهم إياس بن معاذ: وكان غلاما حدثا: أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحخمير حقنة من [تراب^(٢)] البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ؛ وقال: دعنا منك، فلعنمى لقد جئنا لنفري هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا إلى المدينة، فكان وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس ابن معاذ أن هلك. قال محمود بن ليبد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون بهليل الله ويكبره، ويمجده ويسبحه حتى مات، لما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، لقد كان استنشر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع. والله أعلم.

(١) قبل بعاث: أى قبل يوم بعاث. (٢) نكبة من ابن هشام ج ٢: ٦٩

ذكر خبر مفروق بن عمرو وأصحابه وما أجابوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعائه قبائل العرب

- روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس ،
قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ فِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْضَى نَفْسَهُ بِمَا قِبَائِلُ الْعَرَبِ وَنَاجُوا
مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَدَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ،
وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَابَةً ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ الْقِسْمُ ؟ قَالُوا
مِنْ رِبْعَةٍ ، قَالَ : وَأَيُّ رِبْعَةٍ أَنْتُمْ ؟ مِنْ هَامِيهَا أَمْ مِنْ لَهَا زِمَها ؟ فَقَالُوا : بَلْ مِنْ
الْهَامَةِ الْعَظْمَى ، [فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَيُّ هَامِيهَا الْعَظْمَى] أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مِنْ ذُحُلِ
الْأَكْبَرِ ، قَالَ : مِنْكُمْ عَوْفٌ الَّذِي يُقَالُ [لَهُ] : " لَا حُرَّ يُوَادِي عَوْفًا " ؟ قَالُوا :
لَا ، قَالَ : فَهَنْتُمْ جَسَّاسَ بْنِ مَرْثَةَ ، حَامِيَ الدَّمَارِ ، وَمَنْعَ الْجَارِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ :
فَهَنْتُمْ بِسْطَامَ بْنَ قَيْسٍ ، أَبُو اللِّوَاءِ ، وَمَنْتَهَى الْأَحْيَاءُ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهَنْتُمْ
الْحَوْفَزَانَ قَاتِلَ الْمُلُوكِ ، وَمَالَهَا أَنْفُسُهَا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهَنْتُمْ الْمَزْدَلِفَ صَاحِبَ
الْهَامَةِ الْقُورَةِ ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهَنْتُمْ أَخْوََالَ الْمُلُوكِ مِنْ كَنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا .

١٠٧
١٤

- ١٥ (١) الخبر في دلائل النبوة المجلد الأول ، الورقة ٢١٠
(٢) في الأصل : « أهلها » وهو تصحيف . والهازم جمع لحزم : وهو في أصل القصة :
الظم الثاقب تحت الأذن . (٣) الزيادة عن دلائل النبوة .
(٤) في الأصل : « يقول » ؛ وما أئبناه عن دلائل النبوة ؛ وانظر جمع الأمثال ٢ : ١٥٧
(٥) الحوفزان : لقب الحارث بن شريك الشيباني .
(٦) المزدلف : لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ؛ لقب بذلك ؛ لاقترابه من الأقران
في الحروب وازدلاله إليهم ؛ وكان إذا ركب لم يسمه غيره (انظر تلح العروس) .

قال فنكم أصهار الملوكة من نلم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلمن من دُهل
الأكبر ، أتم من دُهل الأصغر . قال : فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له
دُهل حين بقل وجهه ، فقال :

إنا على سائلنا أن نسأله • والعيب لا نعرفه .

يا هذا ، إنك قد سألنا فأخبرناك ، ولم نكتفك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر .
أنا من قريش ، فقال الفتى : يَحْيَى ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أى القريشين أنت ؟
قال : من ولد تيم بن مرة . فقال الفتى : أمكنت والله الراعى من مساواة
أمنكم قصي الذى جمع القبائل من فهر ؟ فكان يدعى فى قريش مجمعا ؟ قال : لا ،
قال : فنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسير نجاف ؟ قال : لا ،
قال : فنكم شيبة الحمد عبد المطلب ، مطعم طبر السباء ، الذى كأت وجهه القمر بضيء ،
فى الليلة الداجية ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ،
قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال :
لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الرقادة أنت ؟ قال :
لا ، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال الغلام :

صَادَفَ دُرَّ السَّيْلِ دُرَّأ يَدْقُمُهُ ^(٣) • يَبِيضُهُ جِنَا وَحَيْثَا بِصَرْمَةٍ

(١) بقل وجهه : أى أكل ما تبنت لحية . وفى الدلائل : « تين » .

(٢) يشير إلى قول ابن الزبير :

مرو السلاء هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسيرون نجاف

اللسان مادة (سنت) .

(٣) فى الأصل : « صادف درسيل دزة » وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن دلائل النبوة .

أما والله لو شئت لأخبرتكم من قريش، فتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال علي: قلت: يا أبا بكر! لقد وقعت من الأعراب على باقة^(١)، قال: أجل يا أبا الحسن، ما من طاعة إلا وفوقها طاعة، و«البلاء موكل بالمنطق».

- قال: ثم دفنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم وقال:
- من القوم؟ قالوا: من شيان بن ملحمة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بني وأمي هؤلاء غرر الناس! وفيهم مفروق بن عمرو، وهاني بن قيس، والمثنى بن حارثة، والنعان بن شريك، وكان مفروق قد ظلمهم جمالا ولسانا، وكانت له خديرتان تسقطان على تربيته، وكان^(٢) أدنى القوم مجلسا، فقال أبو بكر: كيف السدود فيكم؟ فقال مفروق: إنا لتزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة، قال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين تلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نقضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح^(٣)، والنصر من عند الله، يُدبِلنا مرة، ويُدبِل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، والإمام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس، وقام أبو بكر يُظَلِّه بشوبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

(١) الحاجة: الرجل الذي العار لا يفته شيء. (٢) الترية: أمل صدر الإنسان

تحت الإذن. (٣) اللقاح: الإبل، واحدة قروح، بالفتح.

وإن عهدا عبده ورسوله ، وإلى أن تأووني وتنصروني ، فإن قريشا قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسلك ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد .

فقال مفروق بن عمرو : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ، فلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قُلْ تَعَالَوْا أَنَا خَيْرٌ مِّمَّا يَدْعُونَ) إلى قوله : (وَمَا كُمْ بِهِ لَكُمْ يَتَّقُونَ) ، فقال مفروق : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، قال : فلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، إلى قوله : (لَكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، فقال مفروق :

دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أهلك قوم كذبوك وظاهروا عليك . — وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هاني بن قبيصة فقال :

وهذا هاني شيخنا وصاحب ديننا . قال هاني : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، وإلى أرى إن تركنا ديننا وآبعتك على دينك يجلس جلسته إلينا ليس له أقل ولا آخر ، إنه زائل في الرأي ، وقلة نظره في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ورتجع ، وتنظر وتنظر في العاقبة ، وكأنه أحب أن يشركه المتني بن حارثة ، فقال : وهذا المتني شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المتني : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، والجواب فيه جواب هاني بن قبيصة

في تركنا ديننا ، ومشايكتك على دينك ، وأنا إنما نزلنا بين صيرين : الإمامة والسياسة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما هذان الصيران " ؟ . فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبه خير مغفور ، وعذره

(١) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٢ (٢) سورة النمل ٩٠

(٣) ألك : كذب . (٤) ظاهروا عليك ، أي أطاعوك .

(٥) الصير بالهمزة : الماء يحضره الناس ، ويرى : بين صيرين ، فقه .

- غير مقبول، وأما ما كان مما على مياه العرب، فذهب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإننا إنما نزلنا على عهد أخذه طيناً؛ أنا لا نحيث حدّثاً، ولا تأوى عديتاً، فإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أبا قريش مما يكره الملوك، فإن أحببت أن تأويك ونصرك مما على مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أسأتم في الرد إذ أفصحت بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلّا من حاطه من جميع جوانبه. أرايت إن لم تلبثوا إلّا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتستبجون الله وتفتدسونه؟" فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذلك، قال: فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ ﴾^(١)، ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: "يا أبا بكر، آية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم من بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم"، قال: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فاستنهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سرّ بما كان من أبي بكر، ومعرفته بأنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

- قال محمد بن إسحاق: فلبّ أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإتمام موعده له خراج رسول الله صلى الله عليه وسلم [في] الموسم الذي لقي فيه الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: "من أتم؟" قالوا:

(١) سورة الأحزاب ٤٥ — ٤٦ (٢) من ابن هشام: ٢ : ٧٠

(٣) في ابن هشام: «الذي لقيه فيه الغر من الأنصار».

ففر من الخلدوج، قال : « أئمن موالى يهود » ؟ قالوا : نعم ، قال : ^(١) « أفلا تجلسون
أكلهم » ؟ قالوا : بلى ، جلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم [الإسلام :
وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان يهود معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ،
وكانوا هم أهل شرك وأوثان ، وكانوا قد غرّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء
قالوا لهم : إن ثيابا مبعوث الآن قد أظلم زمانه تنقيح فقتلكم معه قتل عاد وإرم ،
فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
لبعض : يا قوم ، تعلموا والله أنه للنبي الذي توعد به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ،
فاجابوه فيها دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ،
وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشتم ما بينهم ، وعسى أن
يجمعهم الله بك ، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك
إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ^(٢) : فاختلِف طينا في أول من أسلم من
الأنصار وأجاب . فذكروا الرجل بعينه ، وذكروا الرجلين ، وذكروا أنه لم يكن
أحد أوّل من السنة . وذكروهم .

وقال محمد بن عمر بن واقد : هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيه ، وهو الجمع عليه ،
وهم من بنى النجار : أسعد بن زُرارة بن عدس ، وعوف بن الحارث [وهو]
ابن عفرأ . ومن بنى زريق : رافع بن مالك . ومن بنى سلمة بن سعد : قطبة

(١) في الأصل « قالوا » وهو محريف . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) في ابن هشام : « توعدكم » . (٤) الطبقات ١ : ١٤٦ .

(٥) تكملة من ابن هشام ، وهذا هو أمه (وانظر أسد الغابة ٤ : ١١٥) .

ابن عامر بن حديدة . ومن بنى حرام بن كعب : عتبة بن عامر بن نابی . ومن بنى عبيد بن عدی بن ساعدة : جابر بن عبد الله ، ولم يذكر ابن إسحاق غيرهم .
 قال : ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام ، فأسلم من أسلم ، ولم تبق فار من الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 قال الواقدي : وأول مسجد قرئ به القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق .
 والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثانية

$\frac{109}{14}$

(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال : فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً .

- قال محمد بن سعد : ليس [فيهم] ^(١) عندنا خلاف ، فلقوه بالعقبة ، وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يقرض عليهم الحرب ، وكان من هؤلاء خمسة ممن حضر البيعة الأولى من الستة المجمع عليهم ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وعقبة بن عامر ، وقُطَيْبَةُ بن عامر بن حديدة ، ومنهم من وقع الاختلاف فيه : هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدها ؟ وهم ستة نفر : معاذ بن الحارث ^(٢) [وهو] ابن عفراء ، أخو عوف ، وذكوان بن [عبد] ^(٣) قيس بن خلدة ، وعباد بن الصامت ابن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، وعويم بن ساعدة ، وهما من الأوس .

ومن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف : العباس بن عباد بن نضلة .

(١) الزيادة عن ابن سعد . (٢) من ابن هشام ج ٢ : ٧١ (٣) من ابن سعد .

روى محمد بن إصحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا ألفي عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء — وذلك قبل أن تفرض الحرب — على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن عَشِيتُم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب ، وإن شاء غفر . قال : فلما أنصرف عنه القوم بست رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة ، وكان منزله على أسعد بن زرارة .

قال محمد بن سعد : ثم انصرفوا إلى المدينة ، فأظهر الله الإسلام ، وكان أسعد ابن زرارة ^(١) يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وروى أن مصعب كان يجمع بهم . والله أعلم

ذكر بيعة العقبة الثالثة

وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ، عن محمد بن عمر بن واقد ، بإسناد إلى عبادة بن الصامت ، وسفيان بن أبي العوجاء ، وقائدة ، ويزيد بن رومان ، قال الواقدي : دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما حضر الحج مشى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج ، وموافاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة ، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين في نحر الأوس ^(٢) والخزرج ،

(١) يجمع : يؤمهم في صلاة الجمعة .

(٢) النحر : جماعة الناس وكثرتهم .

- وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فسأموه عليه ،
ثم وعدهم منى ، وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول ؛ إذا هدأت الرجل [أن] يوافوه^(١١)
في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة ، وأمرهم ألا ينهوا نائما ،
ولا ينتظروا غائبا . قال : نخرج القوم بعد هذمة يتسللون ، الرجل والرجلان ، وقد
سيفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الموضع ، معه العباس بن عبد المطلب ،
ليس معه غيره .

وقال محمد بن إصحاق : إنهم سبّوه إلى الشعب وانتظروه ، وهم ثلاثة وسبعون
رجلا وأمرأتان : نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدى ، حتى أقبل
ومعه عمه العباس .

- قال ابن سعد : فكان أول من طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم : رافع
ابن مالك الأزرق ، ثم تواقى السبعون ، ومعهن أمراأتان ، فكان أول من تكلم العباس
ابن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج ، إنكم قد دعوتهم هذا إلى ما دعوتهموه
إليه ، وعهد من أحسن الناس في عشيرته ، يمنعه والله منا من كان على قوله ، ومن
لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف ، وقد أبى عهد الناس كلهم غيركم ، فإن^(١٢)
كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب ، واستقلال بمناواة العرب قاطبة ، ترميكم
عن قوس واحدة ، فارتثوا رأيكم ، ولا تفرقوا^(١٣) إلا من ملأ منكم وأجتماع ،
فإن أحسن الحديث صدقته .

١١
١٤

- (١) الزيادة عن ابن سعد ج ١ ق ١ : ١٤٩ .
(٢) في الأصل : « من نأيا سفل » وما أئنتاه من الطبقات .
(٣) زاد في ابن سعد : « وارتثوا رأيكم » .
(٤) في الأصل : « منكم » . وما أئنتاه عن ابن سعد .

وقال ابن إسحاق^(١) : إن العباس قال : يا معشر الخوارج ، إن عهدنا حيث قد طبعتم ، وقد منعنا من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وما نوهتم خالفه ، فأتوا وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسليوه وخاذلوه بسد الخرج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال ابن سعد : فقال البراء بن معمر : قد سمعنا ما قلت ، وإنا والله لو كان في أنفسنا خير مما تنطق به لقلناه ، ولكننا نريد الوفاء والصدق ، وبذلك مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق — فإرواه بسنده عن كعب بن مالك : قلنا له : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نغذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ثم قال : ^(٢) «أبايعكم هل أن تمنعوني فيما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» . قال : فأخذ البراء بن معمر بيده ، ثم قال : نعم والذي بعتك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أئمتنا — ^(٣) فإبنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ورثناها أكبرا عن أكابر .

قال ابن سعد : ويقال : إن أبا الهيثم بن التيمان كان أول من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : تقبله على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، قال : ولتخطوا . فقال العباس وهو أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر ابن هشام : ٨٤٢ ، إنتاج الأسماع : ٣٥ . (٢) الأورد : جمع لزار ككتاب ، وهو التوب ، وكثيرا ما يكتنون عن المرأة بالإنذار ، كما يكتنون منها بالتياب ، والقراش .
(٣) في ابن هشام : «أبناء الحروب» . (٤) زاد في ابن سعد قوله : «وصدته» .

- صلح : انخروا برسلكي فإن علينا عيونا ، وقدموا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يؤن
 كلفنا منكم ، فلما نكص قومكم عليكم ، ثم إذا بأيتم ففزعوا إلى عالمكم . فتكلم
 الله بن مبرور ، فاجاب العباس ، ثم قال : أبسط يدك يا رسول الله ، وكان أول
 من ضرب على يد رسول الله البراء بن مبرور — ويقال : أبو الهيثم بن التيهان ،
 ويقال : أسعد بن فولرة — ثم ضرب السجون كلهم على يده وبايعوه ، فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : " إني موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيابة فلا يبدق
 منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ، فأنسا ينجارلى جبريل " ، ثم قال للنقباء :
 " أقم هؤلاء على غيركم ، ككفالة الحواريين ليسي بن مريم ، وأنا كفيل على
 قومي " ، قالوا : نعم ، قال : فلما بايعوا وكلوا ، صاح الشيطان على العقبة
 بأجس صوت سمع : يا أهل الأخاشب ، هل لكم في عهد والصباة معه قد اجتمعوا على
 حريمكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انفضوا إلى رحالكم " ، فقال العباس
 ابن عبد الله بن قتيبة : يا رسول الله ، والذي بئسك بالحق لمن أحببت لنيلتي على
 أهل مني بأسيافنا ، وما أحبب عليه سيف تلك الليلة غيره ، فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : " إنا لم نؤمر بذلك فانهضوا إلى رحالكم " ، ففزعوا إلى رحالهم ،
 فلما أصبح القوم فطمت عليهم جلة قريش وأشرفهم حتى دخلوا شعب الأنصار ،
 فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا بلغنا أنك لقيتم صاحبتنا البارحة ، وواعدتموه أن
 تبأيه على حربنا ، وأيم الله ما حى من العرب أفض إلينا إن شئت بيننا وبينه
 الحرب منكم ، قال : فأنبئت من كان هناك من الخزرج من المشركين يملفون لهم

(١) حجارة ابن سعد : « فلما تحيرم قال للنقباء » الخ .

(٢) في الأصل : « إنا إن نأمن بذلك » ، والصواب من ابن سعد .

(٣) في ابن سعد : « نقب » .

بأنه ما كان هذا وما علمنا ، وجعل ابن أبي يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ، وما كان قومي يفتاتوا على بئس هذا ، لو كنت بيّرت ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني ، فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن مبرور ، ففقدتم إلى بطن يأجج ، وتلاحق أصحابه من المسلمين ، وجعلت قريش تطلبهم في كل وجه ، ولا تصدّوا طريق المدينة ، وحزبوا عليهم ، فأدركوا سعد بن عبادة ، فجعلوا يذره إلى عقبه ينسعه ، وجعلوا يضربونه ويمزقون شعره ، وكان ذا جمة حتى دخلوا مكة ، فقام مطيع بن عدي ، والحارث بن أمية بن عبد شمس لخلصاه من أيديهم ، وأثرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يكرّوا إليه ، فإذا سعد قد ظلم عليهم ، فرحل القوم جميعا إلى المدينة .

ذكر تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله

صلى الله عليه وسلم

١١١
١٤

قال محمد بن إسحاق : كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، فكان من شهدها من الأوس أحد عشر رجلا ، وهم أسيد بن الحضير ، وأبو الهيثم بن النعمان ، وسليمان بن سلامة بن وقش ، وظهير بن رافع بن عدي ، وأبو بردة هاني بن نيار ، ونهير ابن الهيثم بن ناي ، وسعد بن خيشمة بن الحارث ، ورقاعة بن عبد المنذر ، وعبد الله ابن جبير بن النعمان ، ومعن بن عدي بن الحشد بن عجلان ، وعويم بن ساعدة . وشهدها من الخزرج أحد وستون رجلا : منهم من بنى النجار أحد عشر رجلا ،

(١) يأجج كيسع وينصر ويضرب : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة .

(٢) في ابن سعد : « طرق » . (٣) النسبة بالكسر : سير مضفور يجهل زمانا الجبر وغيره .

(٤) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين ، وهي أكثر من الوفرة .

(٥) في ابن سعد : « أذطره » .

وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، ومعاذ بن الحارث بن وقاعة، وأخوه عوف
ابن الحارث، وأخوه معوذ بن الحارث، ومحمارة بن حزم بن زيد، وأسد بن زُرارة
ابن مُدَسَّس^(١)، وسهل بن حَيْثَك بن النعمان، وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام،
وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وقيس بن أبي صمصمة، وعمرو بن غُزَيَّة
ابن عمرو بن ثعلبة .

ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر، وهم : سعد بن الربيع بن عمرو،
وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وعبد الله بن ربيعة، وبشير بن سعد بن ثعلبة،
وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن جدره، وخَلَاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وعُقبة
ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة^(٢) .

١٠ ومن بني بياضة بن عامر بن ذُرَيْق ثلاثة نفر، وهم : زياد بن لَيْد بن ثعلبة
ابن سنان، وفروة [بن] عمرو بن ودقة^(٣)، وخالد بن قيس بن مالك بن السجلان .

ومن بني ذُرَيْق بن عامر بن ذُرَيْق ثلاثة نفر : رافع بن مالك بن السجلان
ابن عمرو، وذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مَخْلَد بن عامر بن ذُرَيْق — وكان
نرجس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بمكة فهاجر، فكان يقال له :
مهاجرى أنصارى — وعبد بن قيس بن عامر بن خالد .

١٥ ومن بني سَلَمَة بن سعد بن حلّ بن أسد أحد عشر رجلاً : البراء بن معرور
ابن محضر، وابنه بشر بن البراء، ويستان بن صيفى بن محضر، والطفيل بن النعمان

(١) مدس : قال ابن بَرى : صوابه بضمين، وقال الجوهري : كقَم .

(٢) في الأصل : « قسیر » ، وما أثبتناه من ابن هشام والاستيعاب .

(٣) تكلّف من ابن هشام . (٤) في الاشتقاق : ودقة بفتح ميمه وثاقف ،
وفي الاستيعاب : ودقة ، بفتح واو ، قال ابن هشام : هو الأصح .

ابن خنساء ، ومقبل بن المنذر بن سرح ، ويزيد بن المنذر بن سرح ، ومسمود
ابن يزيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد ، ويزيد بن حرام بن سبيع ، وجبار
ابن صفير بن أمية بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : كعب بن مالك بن أبي كعب
عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، وهو الشاعر .

ومن بني غنم بن سواد بن غنم خمسة نفر ، وهم : سليم بن حديدة ، ويزيد
ابن عامر بن حديدة ، وهو أبو المنذر ، وأبو اليسر ، واسمه كعب بن عمرو ، وصيفي^(١)
ابن سواد بن عباد ، وقُطَيْبَةُ بن عامر بن حديدة ، أخو يزيد .

ومن بني ثاوي بن عمرو بن سواد بن غنم خمسة نفر : ثعلبة بن غنمة بن عدى^{١٠}
ابن ثاوي ، وعمرو بن غنمة بن عدى ، وعيس بن عامر بن عدى . وعبد الله بن أنيس
حليف لهم من قضاة ، وخالد بن عمرو بن عدى .

ومن بني حرام بن كعب سبعة نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو بن حرام ، وابنه
جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، وثابت بن الحذع — والجذع ثعلبة
ابن زيد — ، وعمر بن الحارث بن ثعلبة ، وخديج بن سلامة بن أوس ، ومعاذ
ابن جبل بن عمرو بن أوس ، مات يسمواس عام الطاعون .

ومن بني عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم : عبادة بن الصامت بن قيس ،
والعباس بن عبادة بن فضالة — وكان ممن نخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة فأقام^(٣) فكانت يقال له : مهاجرى أنصاري ، قتل يوم أحد —

(١) كذا في ابن هشام - والقي في الأصل : « ابن » .

(٢) في الأصل : « خمسة » — وما أثبتناه من ابن هشام ١٠٧ : ٢ .

(٣) في ابن هشام ١٠٧ : ٢ « فأقام سه بها » .

وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بني عَصِيَّة من آلَيْ ، وعمسرو بن الحارث بن ثَبَدَةَ بن عمرو .

ومن بني سالم بن خُثَم بن عوف — وهم بنو الحُطَيْل — رجلان : رفاعه بن عمرو ابن ثعلبة بن مالك ، وعقبة بن وهب بن كلفة بن الجعد حليف لهم ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان : سعد بن عبادة بن دُلَيْم ابن حارثة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وأمرأتان ، وهما : نسيبة ابنة كعب ابن عمرو ، وهى أم عمارة ، وأم منيع ، واسمها أسماء بنت عمرو بن عدى بن ثامى ، ولم يصلحهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كَانَ لا يصلح النساء ، وإنما كان يأخذ طليق ، فإذا أقرن قال : أذهبى ، وكان الثقباء من هؤلاء اثنى عشر رجلا ، وهم : أسعد بن زُرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو ، وعبد الله بن ربيعة ابن امرئ القيس ، ورافع بن مالك بن السجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ^(١) ويقال : ابن خُنَيْس ، هؤلاء من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة نفر : أسيد بن حَضَبِر ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وأهل العلم يسمون أبا الهيثم بن النيثان ، ولا يسمون رفاعه . والله أعلم بالصواب .

١١٢
* ١٤

ذكر أول آية أنزلت في القتال

قال محمد بن إسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة الأولى لم يؤذَن له في الحرب ، ولم يُحَلَّل له السماء ، وإنما أُمِر بالدماء إلى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد أضطهدت من اتبعه من قومه حتى قتلهم عن دينهم ، وأخرجهم من بلادهم ، فلما عَثَّت قريش على الله ، أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه تعالى له في الحرب ، قوله تعالى : ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ عُلُوًّا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلِيلٌ يُفْزِزُ . الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِيهِ حَاكِمٌ أَلُمُّ الْأُمُورِ ﴾ . ثم أنزل الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ، أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ، أى حتى يعبد الله لا يعبد غيره .

ذكر أول من هاجر من مكة إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : لما أذن الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وبايحه الأنصار على الإسلام ، والنصرة له ولبن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والمهجرة إليها ، والوقوف بإخوانهم من الأنصار ،

- وقال: «إن الله قد جعل لكم إخوانا، ودارا يأمنون بها»، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الإذن من الله في الهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سامة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله المخزومي، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم من أرض الحبشة، فلما آذنه قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فزل بقرية بني عمرو بن عوف بقباء على أحمد بن مبشر ابن عبد المنذر، ثم كان أول من قدمها بعد أبي سامة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليل بنت أبي حنمة بن غانم^(١)، ثم عبد الله بن جحش ابن رثاب، حليف بني أمية ابن عبد شمس، اختل بهم بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة بغير قائد، وكانت عنده القرعة بنت أبي سفيان بن حرب، زل هؤلاء كلهم بقباء على أحمد ابن مبشر أيضا، ثم قيع المهاجرون أرسالا، ثم خرج عمرو بن الخطاب رضي الله عنه، وعياش بن أبي ربيعة في عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن قيسيل، وحنظلة ابن حذافة الميمى، وواقد بن عبد الله التيمي حليف بني عدي، وعبد الله وعمر بن أمية بن المتمر—ويقال: عمر بدل عمرو—وخولي بن أبي خولي، حليف الخطاب، وأخوه مالك—ويقال: هلال بن أبي خولي بدل مالك—وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وخالد، ومامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله ابن عمر.

(١) أرسالا: جماعات.

(٢) في أسد النابتة: «حنمة بن غانم».

١١٣
١٤

قال ابن إسحاق: فترى عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة في بني عمرو ابن عوف بقباء، بغاء أبو جهل والحارث أبنا هشام إلى عياش إلى المدينة، وكان ابن عهمما وأخاهما لأهمما، فكلهما في الرجوع، وقالوا: إن أمك قد نذرت أن لا يمشط رأسها مشط، ولا تستظل من شمس حتى تراك، ففرق لها. قال عمر ابن الخطاب: قلت له: يا عياش، إنه والله إن يريك القوم إلا [ليفتنوك^(١)] عن دينك فأحذرهم، فوالله لو أدى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت. فقال: أبرت قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه. قال عمر: قلت له: يا عياش، والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معها. قال: فإني إلا أن يخرج معهما، قلت: أما إذ فعلت فخذ نأقي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول، فألزم ظهرها، فإن رايك من القوم ريب فأنج عليها، فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أحمق والله لقد استغلظت^(٢) بعيري هذا، أفلا تعقبني هل نأفك؟ قال: بلى، فأنأخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استوتوا بالأرض أوقفاه^(٣) رباطا، ثم دخلا به [مكة^(٤)]، وقتناه فأفقتن. رواه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن إسحاق: ودخلا به مكة نهرا موثقا، وقالوا: يا أهل مكة، هكذا فأفعلوا بسفهاكم كما فعلنا بسفينا هذا. قال ابن عمر في حديثه فكذا نقول: ما الله بقابل من أفتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى

(١) الزيادة من ابن هشام ٢ : ١١٨

(٢) تعقبني هل نأفك: من قولهم أعقب زيد عمرا، أي وكجا بالقرية.

(٣) في ابن هشام: ٢ : ١١٩ « صدوا عليه فأوقفاه وربطاه ».

(٤) الزيادة من ابن هشام.

الكفر لبلاء أصحابهم ، وكانوا يقولون ذلك لأنهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنهم : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَيُّوبُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصَرِّحُوا . وَاتَّقُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(١)) ، قال عمر : فكشفتها ببسدى في صحيفة ، وبشت بها إلى هشام بن العاص ، فلما قرأها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني مَنْ أَتَى به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : «مَنْ لِي بِبَاشِ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ ، وَهَشَامِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ؟» فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدان يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين الهيوين — تمنيعهما — فتمهما حتى عرف موضعهما ، وكانا قد حُبسَا في بيت لا سقف له ، فلما أُميَّ سَوَّرَ طليهما ، ثم أخذ مَرَوْه فوضعهما تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما^(٢) ، ثم حملهما على بعيره وسار بهما ، فعثر فدميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت ۝ وفي سبيل الله ما لقيت

نعود إلى تمة أخبار عمر في هجرته — قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين نزل المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمر بن عبد الله

(١) سورة الأعراف ٥٣ — ٥٥ .

(٢) المروة : واحة المرو ، وهي حجارة بيض بياقة تورى النار .

(٣) زاد في ابن هشام بعد هذا : « فكان يقال لسيفه : ذوا المروة ذلك » .

(٤) في ابن هشام : « قدم » . ومؤذى الزرايين واحد .

أبنا سُراقَةَ بنَ المعتَمِر، وَخُنَيْس بنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ—وكانَ صهرَهُ على أَيْتِهِ حَفْصَةُ
خَلَفَ عليها رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بَعْدَهُ—وسَمِعَ بنَ زَيْد بنَ عمرو بنَ نُفَيْل،
ووَاقِد بنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيَّ، حَلِيفَ لَهِمْ، وَخولُ بنَ خولَى، وَمالك بنَ خولَى،
حَلِيفانِ لَهِمْ، وَبنو البَكْرِ الأربعة : إِيَّاس، وَعَاقِل، وَطَاسِر، وَخَالِد، حَلِفاؤُهُمْ،
وَهُمْ مِنْ بَنِي سَعْد بنِ لَيْث، على رِفاةِ بنِ المُنْذِرِ بَقِيَّةً^(١)، ثُمَّ تَباعِ المَهاجِرُونَ، فَتَزَلَّ
طَلْعَةُ بنَ حَبِيدَةَ اللَّهِ، وَصَهِيب بنَ سَنانَ على خُيَيب بنِ إِسافِ أنْشَى بِلحارِث بنِ
الْخَزْرجِ،^(٢) وَيُقالُ : بَلْ تَزَلَّ طَلْعَةُ على أَسْعَد بنِ زُرَّارة، وَتَزَلَّ حمْزةُ بنِ عَبْدِ المَطْلَبِ،
وَزَيْد بنَ حارِثَةَ، وَأَبو مَرْثَدَةَ تَخْزَأَ بنَ جَضمِين، وَأَبْنَهُ مَرْثَدَةُ الفُضُولِيَّانِ حَلِيفاُ حمْزةَ
ابنِ عَبْدِ المَطْلَبِ، وَأَنَسَةُ وَأَبو كُبَيْشَةَ مَوْلِيا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ على كُلِّ مَوْمٍ
ابنِ هِدْمِ أنْشَى بَنِي عمرو بنِ عوفٍ بَقِيَّةً— وَيُقالُ : بَلْ تَزَلُّوا على سَعْد بنِ خَيْثَمَةَ،
وَيُقالُ : بَلْ تَزَلَّ حمْزةُ على أَسْعَد بنِ زُرَّارة— وَتَزَلَّ عَيْدَةُ بنِ الحارِثِ بنِ المَطْلَبِ،
وَأَخوَاهُ الطَّفِيلُ وَالْحَصِينُ، وَمُسَطَّلَح بنُ أَثَّاثَةَ بنِ عَبادِ بنِ المَطْلَبِ، وَوَسْوَيطُ بنِ
سَعْد بنِ حَرْمِلَةَ،^(٣) أَخُو بَنِي عَبْدِ النُّارِ، وَطَلِيب بنِ عَميرِ أَخُو بَنِي عَبْدِ بنِ قَعْمَى،
وَخَبَّابُ مَوْلَى عَتْبَةَ بنِ غَرْوانَ على عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَلَمَةَ أنْشَى بِلُجَجلانَ بَقِيَّةً، وَتَزَلَّ

(١) قَباء : على فَرَحٍ مِنَ المَدِيحَةِ .

(٢) في الأَصْل : « المَهاجِرِينَ » ؛ وَهو غُطَّاءٌ مِنَ النَّاسِ .

(٣) وَيُقالُ فِيهِ : « بِيَّاف » بِياءٍ مُفْتَحَةٍ : وَهو ابنُ عَتْبَةَ : وَلَمْ يَكُنْ يَزَلُّ المَهاجِرُونَ طَلِعَةَ
سَلَمَةَ، بَلْ أُنْزِلُ إِسلامَهُ حَتَّى يَخْرُجَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إِلى بَدْرٍ (عَنِ الاسْتِبابِ لِطَخْصَا) .

(٤) زَادَ في ابنِ هِشامٍ بَعْدَ هَذِهِ الكَلِمَةِ قَوْلَهُ : « بِالسَّخِ » .

(٥) في أَصَدِ التَّابَةِ : « ابْنِ هَرَمٍ »، بِالراءِ - وَفي ابنِ سَعْدٍ، وَالاسْتِبابِ : « ابْنِ المَدَمِ » .

(٦) كَلَّافٌ في الأَصْل، وَابْنُ هِشامٍ، وَفي الاسْتِبابِ، وَأَصَدُ التَّابَةِ، وَالنَّجَّاجِ، وَالإِمَابَةِ : « حَرَمَةُ » .

- عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أنى بلغارث
ابن الخزرج في دار بلغارث ، ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن
عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالمصبة دار
بنى بججي^(١) . ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد النار على سعد بن معاذ
أبن النعمان في دار بنى عبد الأشهل . ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم
مولى أبي حذيفة ، وعتبة بن غزوان بن جابر بن عباد بن بشر بن وقش أنى
بنى عبد الأشهل في دار بنى عبد الأشهل . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت
أبن المنذر أنى حسان بن ثابت في دار بنى النجار . وكان يقال : نزل العزاب من
المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزابا .

- ١٠ ذكر اجتماع قريش في دار الندوة ، وتشاورهم في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم ، واتفاقهم على قتله ، وحماية الله تعالى له ،

وخبر الشيخ النجدى ، وهو إبليس ، نراه الله

- قال محمد بن إصحاق ، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا : لما رأنا
قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيع وأصحاب من غيرهم
من غير يلداهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا
دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فخذروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ،
وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فأجتمعوا في دار الندوة — وهى دار قصي بن

(١) مصبة ، كهمة ، وكذا ضبطه ياقوت ، وذكر أنه حسن بقاء ، ونقل من ابن هشام أيضا أنه
ضبطه بالضم ثم السكون . (٢) بججي : جد أحيحة بن الجلاح الليثي .

(٣) ابن هشام ٢ : ١٢٤

كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها — يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما اجتمعوا لذلك ، واتموا له ، غدوا في يوم المسود ، وهو اليوم المسمى يوم الزحمة ^(٢) ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بَت ^(٣) — قال الواقدي : مشتمل الصاء في بَت — قال : فوقف على باب الدار ، فلما رأوه قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي أتدتم له ، فغضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى ألا يُدِمكم منه رأيا ونصحا ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع أشرف قريش ، وهم : عتبة ، وشيبة ابن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وطُمية بن صدق ، وجُبَيْر بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث بن كَلْدَة ، وأبو البختري ابن هشام ، وزُمنة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل ابن هشام ، وثُيَيبه ومنبه ابن الحجاج ، وأمية بن خلف ، وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ممن قد أتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : أحسنوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير والنابغة ، ومن مضى منهم حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، والله إن حسستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم

(١) في ابن هشام : « حين خافوه » .

(٢) سمي يوم الزحمة لأنهم أشرف القبائل القرشية في دار الندوة .

(٣) في ابن هشام : « بطة » ، والبطة والمبت : الكساء الفليظ .

(٤) واشتال الصاء هو أن يشتد الزيل بالتراب حتى يجال به جسده ولا يرفع منه جانبا ، فيكون فيه

فرجة يخرج منها قدم ، وهو التلع ، (السان — شمل) .

- دونه إلى أصحابه ، ولأوشكوا أن يثبوا عليكم فيقتروه من أيديكم ، ثم يكتاروكم حتى ينيلوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في ضربه ، فتشاؤروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فتغيبه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فواقه ^(١) [ما] نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا قاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لئن فعلتم ذلك ما أينتم أن يصل على حق من العرب ، فيطلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم ليسير بهم اليكم حتى يطاكم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : إنا في فيه رأيا ما أراكم وقسم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة قتي شابا جليدا تسييا وسيطا قويا ، ثم نعطى كل قتي منهم سيفا صارما ، ثم يمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، [فلم يقدّر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ^(٢)] ، فرضوا منا بالعقل ، ففقلناه لهم . فقال النجدي : القول ما قال الرجل ؛ هذا الرأي لا أرى غيره ^(٣) .
- ١٥ وحكي أن هذا الرأي كان رأى الشيخ النجدي ، وأنه لما أشار به قالوا : كلهم : صدق النجدي ، صدق النجدي ! والله أعلم .
- قال : فتفرق القوم وقد أجمعوا على ذلك .
- فأتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر ، وقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، قال : فلما كانت صلاة
- ٢٠ (١) من ابن هشام . (٢) من ابن هشام . (٣) ابن هشام : « لا رأى غيره » .

من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينسام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : "تم على فراشى، وتَسَجَّ يردى هذا الحضرمى الأخضر، فسمّ فيه ؟ فإنه لن يخلّص إليك شيء تكرهه منهم" .

قال : فقال أبو جهل ومنّ معه على الباب : إن محمدا يزعم أنكم إذا تابعتوه على أمره كنتم ملوك العرب والمجم ، ثم بعث من بعد موتكم ، فخلعت لكم جنان بكتان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعث من بعد موتكم ، فخلعت لكم نار تحرقون فيها . قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : "نعم أنا أقول ذلك ، أنت أهدمهم" ، وأخذ الله على إصبعه فلا يرويه ، فخلع ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس : (يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) . إلى قوله : (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)^(١) .

ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد ، فاناهم آيت من لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : هذا ، قال : خيكم الله ، قد والله نخرج عليكم هذا ، ثم مارك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وأطلق حاجته ، أفأترؤن ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جلسوا ينظرون فيه فيرون طلاء على الفراش متسجيا يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نأعسا عليه برده . فلم يرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى :
 ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
 وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ^(١)﴾ وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّأْنَاهُ مِنْ رِيبِ السَّنُونِ .
 قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْصِرِينَ ^(٢)﴾ .

٥ ذكر ابتداء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبى بكر رضى الله عنه

قال محمد بن إسحاق : لما هاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 المدينة ، أقام هو بمكة بدمهم ينظر الإذن من الله تعالى في الهجرة ، ولم يظف
 معه بمكة إلا أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، ومن حُسب
 أوفق . وكان أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة كثيرا
 فيقول له : " لا تجعل لعل الله أن يعمل لك صاحبا " ، فيقطع أبو بكر أن يكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه .

وروى عن عائشة أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها
 قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد
 طرقي النهار إما بكرة وإما عشيّة ، ^(٣) [حتى] إذا كان اليوم الذى أذن الله تعالى فيه
 لرسوله في الهجرة والخروج من مكة أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة
 في ساعة كان لا يأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ،

(٢) سورة الطور ٣٠ — ٣١

(١) سورة الأفعال ٣٠ .

بفلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخرج عني من عندك " قال : يا رسول الله ، إنما هما أبنتاي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ قال : " إن الله أذن لي في الخروج " . فقال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله ! قال : " الصعبة " . قالت : فوالله ما شرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان كنت أعدتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقط — وقيل : الأرقط — اللبني وكان مشركا ، يدلما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده برطاهما لمعادهما . قال ابن إسحاق : ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبي بكر ، وعلى بن أبي طالب ، أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده ، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس .

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أنى أبا بكر فخرجا من غوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار ثور — جبل بأففل مكة — فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن ينسجعهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يرجعها عليهما إذا أمسى في الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن قال : لما آتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليل دخل أبو بكر قبل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمس النار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال ابن إسحاق : فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش يسمع ما يأمرون به ، وما يقولون في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرمى في وءاء من أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غم أبي بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره الغنم حتى يقف عليه .

- ١٠ وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة النار أمر الله شجرة فنبئت في وجهه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر العنكبوت ففسجت على وجهه فسترته ، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بغم النار ، وأقبل فتیان قريش من كل بطن رجل بأسيا فهم وعصمهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم لم قدر أربعين ذراعا ، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه : مالك لم تنظر في النار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بغم النار ، فعرفت أن ليس فيه أحد .
- ١٥ فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، فعرف أن الله عز وجل درأ عنه بهما . وقال بعض من حضر في طلبه : إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد . وقال أبو بكر رضي الله عنه : فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن في النار وهم على رؤوسنا فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا ، فقال :
- ٢٠ "يا أبا بكر ، ما ظنك بأثنين الله ثالثهما ؟" قال : ممكن في النار ثلاث ليال بيت عندهما عبد الله بن أبي بكر .

قال محمد بن سعد : قالت عائشة رضى الله عنها : وجهزناهما أحب الجهاز ، وصنعنا لها سُفرة في حِراب ، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فأوَكَّأت به الحِراب ، وقطعة أخرى صيرتها عصا ما لعم القربة ؛ فلذلك سميت أسماء ذات النطاقين .

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أنها قالت : لما نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخرج أبو بكر معه آتِهم ماله كله معه ، — خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف — فأطلق بها معه ، فدخل علينا جدى أبو حنيفة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد بلغكم بماله مع نفسه ، قال فقلت : كَلَّا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت أسماء : فآخذت أحجارا فوضعتها في كُوزة البيت حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : ضع يا أبت يَدَكَ على هذا المال ، فوضع يده عليه وقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، فلا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك . والله أعلم .

٧ ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه

من الغار ، وتوجههما إلى المدينة ، وما كان من أمر سُراقَة بن

مالك ، وأم مغبد وغير ذلك إلى أن أتتهما إلى المدنة

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه من الغار ليلة الاثنين لأربع حُلُوت من شهر ربيع الأول ، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة ، وسكنَ عنهما الناس أُنهما عبد الله بن الأرقط براحتيهما وبغير له ، فقترب أبو بكر رضى الله عنه الراحتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم له أفضلهما ^(١)

(١) فى الأصل : «نصلهما» والصواب ما أثبتناه كافى ابن هشام ج ٢ : ١٣١

ثم قال : اركب فداك أبي وأمي يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "إني لا أركب بعيرا ليس لي"، قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ! قال :
 "لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به" ؟ قال : كنا وكذا ، قال : "قد أخذتها بذلك".

قال محمد بن سعد : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم من ثمن بني قُشَيْرٍ ، فأخذ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما وهي القُصْوَاء .

قال ابن عساق : فربما وأطلقا ، وأردف أبو بكر رضى الله عنه مولاه
 عاصم بن فهيرة خلفه ليخدمهما في الطريق .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أسرينا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم
 الظهيرة وأقطع الطريق ، ولم يزل أحد ، رُفِعَتْ لَنَا حَصْرَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ
 الشمس . قال : فسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا في ظلها ، وكان معي قُرُو
 ١٠ ففرشته ، وقلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ثم حتى أنقض ما حولك ، فخرجت فإذا
 أنا براج قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردت ، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت :
 ياراعي ، لمن أنت ؟ قال : لرجل من أهل المدينة بنى مكة ، قال : قلت : هل في شالك
 من لبن ؟ قال : نعم ، قال : يخافني بشاة فجعلت أسمع النُبَارَ عن ضَرْعِهَا وحلبت
 في إداوة معي كُثْبَةً من لبن ، وكان معي ماء للنبي صلى الله عليه وسلم في إداوة فصبيْتُ
 ١٥ على اللبن من الماء لأبرده ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام من
 نومه فشرِبَ وقال : "ما آن الرحيل" ؟ قلت : بلى ، قال : فأرسلنا حتى إذا كنا
 بأرض صلبة جاء سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُحْشَمٍ ، فبكى أبو بكر وقال : يا رسول الله قد أُتِينَا ،
 قال : "كلا" ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرتطم فرس سُرَاقَةَ — أى

٢٠ (١) في الأصل : «ابتعتها» ، و«أخذتها» والصواب : عن ابن هشام .

(٢) كنية : ثليل .

احتبس إلى بطنه — فقال : قد أعلم أن قد دعوتما عليّ — فادعوا لي ، ولكما عليّ — أن أردّ
الناس عنكما ولا أضركما . قال : فلبنا له فرجع ووفى وجعل يردّ الناس ويقول : قد
كفيت ما هاهنا . وقد روى عن سراقه أنه قال لأبي جهل بن هشام :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهداً * لأمرى جوادى إذ تسوخُ قوائمه
علمتَ ولم تشككْ بأنَّ عدا * رسولُ يرهانُ في ذا يقاومه !
عليك بكف القوم عنه فإني * أرى أمره يوما ستبدو معالته
بأمر يودّ الناس فيه بأسيرهم * بأنَّ جميع الناس طرا تسالمة^(١)

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك
ابن جشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقه بن مالك قال : لما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت فيه قريش مائة فاقة لمن يردّه عليهم ،
فبينما أنا جالس في نادى قومي أقبل رجلٌ منا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيتُ
ركبةً ثلاثة مرّوا عليّ — أفأنا ، إني لأراهم عدا وأصحابه ، قال : فإومأت إليه ببنى أن^(٢)
أسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يتفنون ضالةً لهم ، قال : لله . ثم قلت قد دخلت
بيني وأمرت فرمى فقيده إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحي فأخرج من دُبر^(٣)
مُجرى ، ثم أخذت قِداحي التي استقيم بها ، ثم أنطلقت فلبيت لآثتي ، ثم أخرجتُ
قِداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره : « لا يضركه » ، قال : وكنت أرجو
أن أردّه علي قريش فأخذ المائة ، فركبت الفرس في أثره ، فبينما فرمى يشتدّ بي عثر
فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم

(١) في الأصل : « طورا » وهو تصحيف .

(٢) في الدلائل : قال : « لله » ، ثم سكت قال فكنت فليلاً ثم قت .

(٣) في الأصل : « الذي » ، ما أثبتناه من ابن هشام ١٣٤ : ٢٠

- الذي أكره ولا يضره» ، قال فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورايتهم عثري فرمى فذهبت يده في الأرض وسقطت عنه ، ثم أنزع يده من الأرض وتبعهما دُخَانٌ كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منح مَنى وأنه ظاهر ، فناديت القوم : أنا سراقه بن جشم ، أنظروني أكلمكم ، فوالله لا يأتينكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ^٥ « قل له وما تنبغي منا ؟ » فقال لي ذلك أبو بكر ، قلت : تكتب لي كتابا يكون بيني وبينك ، قال : ^٥ « اكتب له يا أبا بكر » فكتب لي كتابا في عَقْمٍ أو في رقة أو في خرقه ثم ألقاه إلى فاحذته بفمته في كِنَانِي ، ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرع من حُتَيْنٍ والطائف ، فرحت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجمرانة ، فدخلت في كِنِينَةٍ من خيل الأنصار فجعلوا يفرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ماذا تريد ؟ قال : فدوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، وأله إني لأنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة ، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك أنا سراقه بن جشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^٥ « يوم وفاء وبر » ، أدته ^٥ ، قال فدوت منه فأسألت . والله الهادي للصواب .

- ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وأسمة أم معبد طائكة بنت خالد بن منقذ ابن ربيعة ، ويقال : طائكة بنت خالد بن خليف ، وكانت برزة جلدة تجلس بفناء

- (١) الجمرانة بكسر الجيم وتشديد الزاء : ما بين مكة والطائف على مسيرة أميال من مكة .
(٢) الفرز لرحل : هو كالكتاب للسر ، وفي الله لائل واللباية : « كأنه جمارة » ، والجمرارة : قلب النقة ومحماتها . (٣) في الأصل : « خلف » ، وما أتبعناه من أسد الناقة ، والمراهب .
(٤) البرزة : التي تظهر الناس .

(١١) اللقبة تَسْقُ وتُطعم ، فسألوها تَرا ولما بَشَرُونَهُنَّهَا ، فلم يَصْبِيُوا عندها من ذلك شيئا ، وكان القوم مُرْمِلِينَ مُسَلِّتِينَ ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسْر الخيمية ، فقال : " ما هذه الشاة يا أم معبد " ؟ قالت : شاة خلقها الجهد عن الفم ، قال : " هل بها من لبن " ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : " أتأذنين أن أحلبها " ؟ قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشح بيده ضرعها وسمى الله ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجت عليه — أى فتحت ما بين رجليها — وقد رت ، ودعا بإناء يُرْبِض الرِّقْع — أى يُرويه — فحلب فيه نجاة ثم سقاها حتى رويت ، ثم سبق أصحابه حتى رَوَوْا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب إناءه حتى ملاء ثم غادره عندها ، ويايعها وأرتحلوا عنها ، وأصبح صوت بككة عال يسمعون ، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه • رفيقن قالا خيمتي أم معبد
ها زلا بالبر وأرتحلا به • فافزع من أمي رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم • به من قال لأجباري وسودد
لبيبي كي كمي مكث فتاتهم • ومقعدها للأمنين بمروءد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها • فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاهها بشاة حائل فتعلبت • له بصريح ضرة الشاة مزيد
فأدركها رهنا لديها لحالب • تلذ بها في مصدر ثم موريد

(١) في الأصل : « الحنه » وهو تصعيف ، والتصعيف من البرة الخلية ، وفي اللاتيل ونيرها : « الخية » . (٢) مرطين : قد زادهم . وسخين : مجدين . (٣) ثجا : أى لبنا كثيرا . (٤) قالا : زلا وقت القيلولة . (٥) زوى : صرف . (٦) تجارى : بالراء ، وفي رواية بالزاي . (٧) الصريح : اللبن الخالص . (٨) الضرة : أصل الضرع . (٩) في مصدر ثم موريد : أى يحلبها مرة ثم أخرى ، والمعنى : ترك الشاة عندها ذات لبن .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقم سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ^(١) أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما أسفل أنج ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديده ^(٢) . ثم أجاز بهما من مكانه فلك فسلك بهما الخزاز ، ثم سلك بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما ^(٣) لَقْفًا - ويقال ^(٤) لِقْطًا - ثم أجاز بهما ^(٥) مَذْبَحَ لَقْفٍ ، ثم استَبْطَنَ بهما مَذْبَحَ مجاج ، ثم سلك بهما ^(٦) مَرَجَ مجاج ، ثم تَبَطَّنَ بهما [مَرَج] من ذى القُضُونِ ، ويقال : ^(٧) المَصُونِ ، ثم بطن ذى كُشْرٍ ، ثم أخذ بهما على الجُدَايِدِ ، ثم حل الأجر ، ثم سلك بهما ذا سلم ^(٨) [من بطن] أَعْدَاءَ مَذْبَحَةِ تَعْمِنَ ، ثم حل العَبَايِدِ - ويقال : ^(٩) العَبَايِبِ ، ويقال :

١١٩
١٤

- (١) عسفان كُثبان : موضع بين مكة والمدينة . (٢) أجاز : طه بين مكة والمدينة فيه مراوح .
- (٣) قديده : موضع قرب مكة . (٤) الخزاز : موضع قرب المدينة .
- (٥) ثنية المرة : موضع ، تخفيف المرأة . (٦) لقف : موضع كثير الماء لا يزرع فيه .
- (٧) لقت : وادى طريق المدينة ، وقد وقع اختلاف فى لقف ولقت فى حديث المجبرة وكلامهم صحيح ، وهذا موضع ، وقال آخر .
- (٨) المذبلعة : الحوض الذى فُرخ فيه السابق دلوه .
- (٩) مجاج : بفتح الميم موضع ، وفيه خلاف . راجع ياقوت .
- (١٠) ساقطة من الأصل : وما اجتناه من ابن هشام ٢ : ١٣٦ ، وانظر ياقوت .
- (١١) ذى القُضُونِ : بفتح اللين والفاء المجهتين تنية القضاء .
- (١٢) فى الأصل « كشد » ، وهو تحريف . وكثر : موضع بين مكة والمدينة .
- (١٣) الجُدَايِدِ : جمع جديد بضم الجيمين وهى البئر القديمة . ياقوت .
- (١٤) الأجر : أحد جبلي جهينة ، بين المدينة والثمام .
- (١٥) ذو سلم : واد من أرض بني البكة على طريق البصرة إلى مكة .
- (١٦) الزيادة عن ابن هشام .
- (١٧) تعمن : عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا ، بين مكة والمدينة . والأطفا : التواضى .

العيانة... ثم أجاز بهما الفاجعة ^(١) ، ويقال : القاعة ، ثم هبط بهما المروج ^(٢) ، وقد أبطلنا عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقال له : أوس بن حجر على حمل له إلى المدينة ، وبثت معه فلاناً له يقال له : مسعود بن هذيلة ، ثم خرج بهما دليلهما من المروج ، فسلك ثنية العائر من بين ركوبة ^(٣) — ويقال الفار — حتى هبط بهما [بلن] ^(٤) ، ثم قدم بهما قباء على بن عمرو بن حوف . قال الشيخ شرف الدين الدبباطي : وكان عبد الله بن الأريقط على كفره ، ولم يعلم له إسلام .

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر

رضي الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : كان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء يوم الاثنين لاتفق عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى ، وكانت الشمس تبتل ، وهو صلى الله عليه وسلم آبن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة . وقال الخوارزمي : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً يوم الاثنين ، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، ويوم عشرين من أيلول ، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا بخروجه من مكة وتوكلوا قدومه ، يخرجون إذا صلبوا

(١) الفاجعة والقاعة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة ، قبل السبأ بمجربيل .

(٢) المروج : مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكره السبأ .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عند المروج .

(٤) ساقطة من الأصل ، والزيادة عن ابن هشام

(٥) توكلوا : استشعروا قدومه وانتظروه .

- الصباح إلى ظاهر الحسرة ينتظرونه ، فلا يرجون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيدخلون ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا على عادتهم ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت ، فكان أول من وآه رجل من يهود ، نصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ^(١) ، هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثل سنته ، وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فأقبل الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى إذا زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفوه عند ذلك ، قال : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن كوثوم بن هذم أمي بن عمرو بن عوف ، وهو الأصم ، وكان إذا نرج من منزل كلثوم جلس للناس في بيت سمع بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان منزل العزّاب من المهاجرين ، ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إصاف أحد بني الحارث بن الخزرج بالشنع ، وقيل : بل نزل على خارجة بن زيد . وأقام علي بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال ، حتى أتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل معه علي بن كوثوم بن هذم ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقياء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام .

(١) بدو : هم الأنصار ، وقيل : اسم جدة كانت لهم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء
وتحويله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد
قال محمد بن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من
منزل كلثوم فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصيلاها في المسجد الذي في بطن
الوادي ، وادي راتونا^(١) ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . قال محمد بن سعد :
صلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة . قال ابن إسحاق : فأنه عتيان بن
مالك ، وعباس بن عباد بن فضالة ، في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا :
يا رسول الله ، أقم عندنا في المدد والمنعة ، قال : «^{١٢٠} خلوها سبيلها فإنها مأمورة »
فلما سبيلها ، فأطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة ، أقرضه سعد بن عباد ،
والمثنى بن عمرو في رجال من بني ساعدة ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال
لأولئك ، فخلوا سبيلها ، فأطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج
أقرضه سعد بن الزبيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة في رجال من بلعات
من الخزرج ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال ، فخلوا سبيلها فأطلقت ، حتى
إذا مرت بدار بني عدى بن النجار وهم أخواله أقرضه سليط بن قيس ، وأبو سليط
أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : «^(١٢) يا رسول الله هلّم^{١٠}
إلى أخوالك إلى المدد والمنعة والمنعة ، فقال كما قال لأولئك ، فخلوا سبيلها
فأطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ يريد لفلانين يقيمون من بني النجار ، في حجر^(١٣)

(١) راتونا بنون : بين قباء والمدينة بين مع بطعان في دار بني زيد .

(٢) الذي في أمد الناية : « أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك » .

(٣) يريد : الموضع الذي يجتمع فيه الزوج والفرقة الجفيف .

معاذ بن عفره وهما سهل وسهيل أبنا عمرو ، فلما بركت ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ، فاصوت خير بعيد ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحللت^(١) ورزمت ووضعت رحلتها ، فقتل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : لما بركت الناقة جعل الناس يكلون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول عليهم ، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب لحظ رحله فأدخله منزله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^{٢٠} للمرء مع رحله ، وجاء أسعد بن زُرارة فأخذ بزمام راحته فكانت عنده ، قال زيد بن ثابت : فأول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها إناء قصعة مرقود فيها خبز ومن ولين ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : ^{٢١} بارك الله فيك ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أرم الباب حتى جاءت فصعة سعد بن عباد ، ثريد وعراق ، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر .
- وقال ابن إسحاق : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الفاخلة ، حتى بقي له فيها مسجده ومسكنه . والله أعلم .

- (١) في الأصل : « تجللت » ، وما أنبتاه من ابن هشام : وقال السيل : إن ابن تينة فسره بتلحلت — بتقديم الهمزة — وزنت مكانها ، وكذا فسره في التباية : تلحلت أفادت وزنت مكانها ولم يرحض تحللت . وزنت الناقة : إذا أفادت من الكلال ، ورجلتها : عضها .
- (٢) فلم أرم : لم أبع .
- (٣) عراق : جمع عرق وهو جمع نادر ، والعرق بالكسرة : العظم إذا أخذ منه عظم اللحم .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة ،
 وأبا راع ، وأعطاهما بغيرين وخمسة درهم ، فقدموا إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم
 عليهما السلام أبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة زوجته ،
 وأسامة بن زيد ، وحمل زيد بن حارثة أسرته أم أيمن مع أبنائها أسامة بن زيد ،
 وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم ببالي أبي بكر فيهم عائشة ، فقدموا المدينة فانزلهم
 في بيت حارثة بن النعمان ، وكانت رقيقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحيشة
 مع زوجها عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق بسنده إلى أبي أيوب قال : لما نزل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ،
 فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون
 تحتي ، فإظهر أنت وكن في العلو ، وتنزل نحن ونكون في السفل ، فقال :
 " يا أبا أيوب ، إني أرتقي بنا ومن يشاء أن يكون في سفلى البيت " ، قال : فلقد
 أنكسر حب لنا فيه ماء ، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ،
 فنشفت بها الماء ، تخوفنا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، قال :
 وكنا نصنع له العشاء ثم نبيت به إليه ، فإذا ردت علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع
 يده فاكلنا منه ، نجتني بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعثاته ، وقد جعلنا له فيه
 بصلا أو ثوما ، قال : فرتبه ولم أن يده فيه أثرا ، بلحنته فزعا ، فقلت : يا رسول الله
 بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فكنت إذا رددته علينا
 تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة ، قال : " فإني وجدت فيه ريح هذه
 الشجرة ، وأنا رجل أناجي فاما أنتم فكلوه " ، فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة .
 والله المستعان .

ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنيته بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال : حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع المسجد ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زُرارة ، فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجدا فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى صلى الله عليه وسلم حتى آتاهه منهما . قال ابن سعد : وقال غير معمر عن الزهري : فأتاهه بشرة دنانير ، وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك ، فكان جدارا مجتريا ليس عليه سقف ، وقلته إلى بيت المقدس ، وكان أسعد بن زُرارة بناء ، فكان يصلي أصحابه فيه ، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي بالحديقة وبالفرقة الذي فيه أن تقطع ، وأمر باللين فضرب ، وكان في المربد قبور جاهلية فأمر بها فنبشت ، وبالعظام أن تُنقب ، وكان في المربد ماء مُستنجل فسيروه حتى ذهب ، فأسس رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأسسوا معه ، فعملوا طوله مما إلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مربع ، ويقال : كان أقل من المائة ، وجعلوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، ثم بنوه باللين ، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل ينقل الحجارة معهم بنفسه ، ويقول : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرين ، اللهم أرحم المهاجرين والأنصار " قال : وقال قاتل من المسلمين يرتجز :

لَئِنْ قَسَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ * لَنَالِكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضَلُّ

(١) مستنجل : مستنقع ، والنبيل الماء الذي يخرج من الأرض نزا .

قال : ودخل عمار بن ياسر وقد اتفعلوه بالين فقال : يا رسول الله ، قتلوني ، يحملون عليّ ما لا يحملون ، قالت أم سلمة : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض ^(١) وفترته بيده ، وكان رجلاً جمداً ، ويقول : " ويح ابن عمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية " ، قال ابن سعد : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باباً في مؤخره ، وباباً يقال له : باب الرحمة ، وهو الباب الذي يدعى باب عائكة ، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل طول الجدار بسطة ، وعمده الجذوع ، وسقفه جريداء ، فقيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : " عريش كعريش موسى خشيبات وتسام الشأن أعجل من ذلك " قال : وبني بيوتاً إلى جنبه بالين ، وسقفها بمجذوع النخل والجريد ، فلما فرغ من البناء ، بنى لمائشة رضي الله عنها [في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد] على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل ففُطِع ، وبقيور المشركين ففُتِشت ، وبالنخرب فسويت ، قال : فصنعوا النخل قبلة ، وجعلوا عضادتيه حجارة .

ذكر بناء المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبي غريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال : لما حُرِفَت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسسّه ، وقال :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شصّة الأذن . (٢) العريش : كل ما يستظل به ، مثل الحسن من معنى " عريش موسى " فقال : إذا رضع يده بلغ العريش أي السقف ، وفي النهاية : قيل لرسول الله إلى من تصل تحت هذا الجريد ؟ فقال : " ما بي رغبة عن أخى موسى عريش كعريش أخى موسى " . (٣) الظام : تيمت خفيف يمد به خصاص البيوت . (٤) الزيادة من أين سعد ، وفي الأصل : « بنا لمائشة » وهو خطأ (راجع ابن سعد ج ١ : ٢ : ٢) . (٥) الضادة : جانب النية من الباب ، والضمير المسجد .

- ”جبريل يؤم في البيت“، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحجارة لبنائمه .
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ماشيا، وقال صلى الله عليه وسلم :
 ”من توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلّى فيه كان له أجر حمرة“ ، وكان
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس ، وقال : لو كان
 بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل . قال : وكان أبو أيوب يقول :
 هذا المسجد الذي أسس على التقوى . وكان أبي بن كعب وغيره يقولون : بل
 هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

$$\frac{122}{14}$$

ذكر ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة ، ودعاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم لهم

- ١٠ روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم المدينة قدما وهي أوثأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها
 بلاءٌ وسقم ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت : فكان
 أبو بكر رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة وبلال ، موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت
 واحد فأصابهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا [الحجاب]^(١)
 وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوطئ ، فدنوت من أبي بكر فقلت : كيف
 تهمك يا أبت ؟ فقال :

كل أمرئ مَصْبِحٌ في أهله • والموت أدنى من شرك تَسْلِيهِ

قالت : فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول ، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة ، فقلت :
 كيف تهمك يا عامر ؟ فقال :

(١) الزيادة عن أبي يار بكرى ١ : ٣٥٠ ، ودلائل النبوة .

لقد وَجَدْتُ الموتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ * إِنَّ الجَبَانِ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ ^(١)
كَلَّ أَمْرِي مُجَاهِدَ بَطْوَقِهِ * كَالثَّوَرِ يَمْحَى جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ ^(٢)

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول ؛ قالت : وكان يَلال إذا تَرَكته الحمى أضطجع
بضائه البيت ؛ ثم يرفع عقيرته فيقول : ^(٣)

الْأَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةً * بَسَجَ وَحْشُونِي إِذْ نَزَّ وَجَلِيلُ ^(٤)
وَهَلْ أَرَدْتُ يَوْمًا مَيَّاهَ مَجْنِيَةً * وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَأْنَةً وَطَفِيلُ ^(٥)

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ؛ فقلت : إنهم
ليَهْزُونَ ، وما يعقلون من شدة الحمى . فقال : " اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبِبتَ
إلينا مكة ، وأشدّها ، وبارك لنا في مُدّها وصانعها ، وأَنْزِلْ وباءها إلى مَهِيعة " ؛ وهي المَهْفُة .

١٠ ذكر مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى محمد بن سعد عن
الزهري وغيره قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آتَى بين
المهاجرين وبعضهم لبعض ، وآتَى بين المهاجرين والأنصار ، آتَى بينهم على الحق
والمواساة ، يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام ، وكانوا تسمين رجلاً بحصة

(١) الحصف : الهلاك . (٢) الروق : القرد . (٣) عقيرته : صوته .

(٤) بلغ : موضع خارج مكة فيه ما ؛ أَقْبِلَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عزم .

(٥) الإذن : من نبات مكة طيب الرائحة . (٦) الجليل : هو الضام .

(٧) مجنة ، بكسر الميم وفتحها وهو الأكثر : موضع أسفل مكة حل أبيال ، كانت تقام فيها
سوق للعرب .

(٨) شامة وطفيل : قيل هما سيلان بنواحي مكة ، وقيل هما عيان .

وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصار ، قال ويقال : مائة ،
نحسون من المهاجرين ، ونحسون من الأنصار ، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى :
﴿ وَأَلُوُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١) ﴾ .
ففسخت هذه الآية ما كان قبلها ، وانقطعت المؤاخاة في الميراث .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بكتبه

بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة يهود ، وإقرارهم على دينهم ،

وما اشترطه فيه عليهم ولهم

كان مضمون الكتاب على ما أورده ابن هشام عن ابن إسحاق : "بسم الله الرحمن

الرحيم ، هذا كتاب من عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] بين المؤمنين والمسلمين

من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون

الناس ، المهاجرون من قريش على رببتهم يتماقلون بينهم ، وهم يقدون ^(٢) حائيم

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على رببتهم يتماقلون معاقلمهم الأولى ،

وكل طائفة تغدى حائيا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على رببتهم

يتماقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تغدى حائيا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو ساعدة على رببتهم يتماقلون بينهم معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تغدى حائيا

(١) سورة الأنفال ٧٥ (٢) الزيادة من ابن هشام . (٣) دبة كنية : حالة حسنة .

أمرهم الذي كانوا عليه ، وفي التباية : « إنهم أمة واحدة مل رباعتهم » ، يقال : القوم مل رباعتهم

« ويأصهم أى مل استغاثتهم » يريد أنهم مل أمرهم الذي كانوا عليه . « ربوه : يتماقلون : القتل

التي لا تنجب مل المافقة ، وهى دية الخطأ ، والمافقة : عصبة القتلى . (٤) العاني : الأسير .

(٥) معاقلمهم الأولى : أى يكرنون مل ما كانوا عليه من أخذ الهبات وإعطائها ، والمماقل

الهابت .

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشم على ربهم يتماثلون معانهم الأولى ،
 وكل طائفة تخذى عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو القنجر على ربهم
 يتماثلون معانهم الأولى ، وكل طائفة تخذى عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،
 وبنو عمرو بن عوف على ربهم يتماثلون معانهم الأولى ، وكل طائفة تخذى
 عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، [وبنو النبت على ربهم يتماثلون معانهم
 الأولى ، وكل طائفة تخذى عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] وبنو الأوس على
 ربهم يتماثلون معانهم الأولى ، وكل طائفة تخذى عانها بالمعروف والقسط بين
 المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو قتل ،
 وأنه لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بنى منهم ، أو ابتغى
 دسيسة ظلم ، أو أثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعا ولو
 كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا يتصر كافرا على مؤمن ، وإن
 ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ،
 وإنه من [تبعنا من] يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ،
 وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله عز وجل
 إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غزاة غزيت معنا يُقرب بعضها بعضا ،
 وإن المؤمنين يجر بعضهم عن بعض ، بما نال دماءهم في سبيل الله عز وجل ،

(١) زيادة عن ابن هشام : ٢ : ١٤٨ (٢) القسح : المقتل بالنزول والكثير العيال ،
 وفي الأصل : « فندحا » . وما أتينا من ابن هشام . (٣) ولا يحالف : الحائفة : القواصة
 والحائفة . (٤) الدسيسة : الطية ، أى طلب أن يدفروا له طية على سبيل الظلم .
 (٥) الزيادة من ابن هشام ، وفي الأصل : « وأنه من يهود فإن له النصر » . وهذا خطأ .
 (٦) السلم بالكسر ويفتح : الصلح يذكر ويؤت .
 (٧) يجر ، هو من البواء : أى المساقاة .

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يُعبرُ مشركٌ مالا لقريش ولا نقسا ولا يحول دونه على مؤمن ، وإن من أعطي^(١) مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به ، إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة^(٢) ، ولا يحل لهم [إلا] القيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُعذَّبا ولا يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدلٌ ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن سرده إلى الله وإلى عهد [صلى الله عليه وسلم]^(٣) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأعضامهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن يهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن يهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، [وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جُثم مثل ما ليهود بنى عوف] ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من بنى ثعلبة [كأفسهم]^(٤) وإن لبنى الشُّطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأفسهم ، وإن بطانة يهود كأفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن عهد ، وإنه لا يَحْجِزُ على ثارٍ ورجح ، وإنه من قَتَلَ فبفسه [فَكَتْ] ، وأهل بيته [إلا من ظلم ، وإن الله على أبرهنا] ، وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، [وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم] ، وإنه لم يَأْمُرْ

(١) أعطى : قتل بلا جناية كانت منه ولا جيرة توجب قتله ، والقود يقتل بنين : القصاص .

وفي الأصل : « فردى » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) كافة : بجمع .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

(٤) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

(٥) على أبرهنا : أى على الرماح .

بجليفه ، وإن النصر للظلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا عمارين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة^(١) ، وإن الجار كالنفس غير مُضَار ولا آثم ، وإنه لا تُجَار حُرْمَةٌ إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فسادَه فإن مرَّه إلى الله وإلى عهد رسول الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لم يلج المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرِّ المحض من أهل هذه الصحيفة — ويقال مع البرِّ المحسن — وإن البرِّ دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وآثم ، وإن الله جارئ لمن برَّ وأتقى وعهد رسول الله ” .

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أنزل

فيهم من القرآن

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين ، وأضم بعضه إلى بعض ، وأورده جملة واحدة ، فإن ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة ، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع ، وفرقه في الفزوات وغيرها ، فأثرت جمعه في هذا الموضع ، وما كان قد وقع في غزاة أو حادثة نبهت عليه في موضعه على ما وقف عليه إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) في الأصل : « إنسان » والمجتب من ابن هشام .

- قال محمد بن إسحاق رحمه الله : كان رجال من الأوس والخزرج ممن أبلم وهو على جاهليته ، فكانوا أهل ففاق على دين آبائهم من البشرك والتكذيب بالبعثة ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنة من القتل ، وناقضوا في الشر ، وكان هؤلاء مع يهود ، لتكذيبهم وجمودهم الإسلام ، فكان منهم من الأوس من بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى لؤذان بن عمرو بن عوف :
- ٥ ذؤيب بن الحارث ، ومن بنى حبيب بن عمرو : جلاس بن سويد بن ضامت ، وأخوه الحارث بن سويد ، قال : وجلاس هو الذي قال عند تحلقه عن فزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحجير ، فرغم ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد ، وكان في حجر جلاس خلف على أنه بعد أبيه ، فلما تكلم جلاس بهذا قال له عمير : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلى ، وأحسنهم عندى ، وأعزهم على أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتنا إليك لأفضحتك ، ولئن صحت عليها ليهلكن ديني ، ولإحداهما أيسر على من الأخرى ، ثم مضى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال ، خلف جلاس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَجِلُونَ بِآيِهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ عَاكِمٌ يَكُمُ يَتَالُوا وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَلِيلٍ وَلَا نَصِيرٍ ١٥ ﴾ ، قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير . والله أعلم بالصواب .

وأما أخوه الحارث بن سُوَيْد فإنه قُتِلَ المَجْدَر بن ذِيادَ الْبَلَوِيِّ في يوم أُحُدٍ
ولحقَ بقرشٍ ، وكانَ المَجْدَر قُتِلَ سُوَيْد بن صَامِت في بعضِ الحروبِ التي كانت
بينِ الأوسِ والخزرجِ ، فلما كانَ يومَ أحدٍ قُتِلَ بَأْبِيهِ . قالَ ابنُ إسحاقَ : وكانَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرونَ - أمرَ عمرَ بنَ الخطابِ رضى الله عنه
بقتله إنْ هو ظفِرَ به ففاته ، وكانَ بمكةَ ثم بعثَ إلى أخيه جُلَاسٍ يطلبُ التوبةَ
ليرجعَ إلى قومته ، فأنزلَ الله فيه - فيما حكى عن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما (كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(١) إلى آخرِ القصة . وكانَ منَ المنافقينَ من بنى ضُبيعةَ
ابنَ يزيدَ بنِ مالكٍ بنِ عوفٍ بنِ عمرو بنِ حوفٍ بنِ جَدادٍ بنِ حِثانٍ بنِ عامِرٍ . ويُنْتَلِ
ابنُ الحارثِ ، وهو الذي قالَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى : « من أحبَّ
أنْ ينظرَ إلى الشيطانِ فلينظرَ إلى نَبَلِ ابنِ الحارثِ » ، وكانَ رجلاً جَسِيًّا أَدْلَمَ ، نَازِلُ
شَمْرِ الرَّاسِ ، أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ ، أَسْفَعُ الْخَدَيْنِ ، وكانَ يَأْتِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
ويُتَحَدَّثُ إليه ويَسْمَعُ منه ، ثم ينقلُ حديثه إلى المنافقينَ ، وهو الذي قالَ : إِنَّمَا
عِدْتُ أَذُنًا ، مِنْ حَدَثِهِ شَيْئًا صِدْقُهُ . فأنزلَ الله تعالى فيه : (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ
وَيَقُولُونَ هُوَ أُوذِيَ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٢) ، وأخبرَ جبريلُ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم به وببعضه قِيَا حَكاهُ ابنُ إسحاقَ . وأبو حنيفةَ بنُ الأزهرِ ، وكانَ
مِنْ بَنِي مَسْجِدِ الضَّرَارِ . وثعلبةُ بنُ حاطبٍ ، ومُعْتَبٌ بنُ قُشَيْرٍ ، وهما الذَّانِ عَاهِدَا
اللهِ (لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ)^(٣) ، ومُعْتَبٌ هو الذي

١٢٥
١٤

(١) سورة آل عمران ٨٦ (٢) الأدم : الأسود الطويل . (٣) النج : كسوداد

شرب بجرة . (٤) سورة التوبة : ٦١ (٥) سورة التوبة : ٧٥

- قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمور شيء ما قُتِلنا ها هنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : (**وَمَا يَفْقَهُ قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ**)^(١) إلى آخر القصة . وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان عهد يصدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الفاط ، فأنزل الله فيه : (**وَأَذْ بَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**)^(٢) . والحارث بن حاطب — وقال ابن هشام : حلبة والحارث أبنا حاطب ، هما من بنى أمينة بن زيد من أهل بدر ، وليسا من المنافقين — والله أعلم . ومنهم عبادة بن حُثيف أخو سهل ، وبجرح ، وهو من بنى مسجد الضرار ، وعسرو بن خُذَام ، وعبد الله بن نَبتل ، وجارية بن عامر ابن العَطَاف وأبناء زيد وُجَّع ، وهم ممن بنى مسجد الضرار . وكان يُجمع فعلا ما حدثنا
- ١٠ قد جمع من القرآن أكثر ، فكان يصلي بهم فيه ، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلَّم عمر في مُجَّع ليصل بنى عمرو بن عوف في مسجدهم ، فقال عمر : لا ، أوليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار ! فقال : يا أمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا ، فزعموا أن عمر تركه يصلى بقومه . ومن بنى أمية بن زيد بن مالك وديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما نحن نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله : (**وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا أَكُنَّا نَخْوِضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**)^(٣) إلى آخر القصة .
- ومن بنى عبدة بن زيد بن مالك خُذَام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد . ومن بنى النبيت مِزْعَن بن قَيْظٍ وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز حاطبه ، ورسول الله
- ٢٠

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ (٢) سورة الأحزاب : ١٢ (٣) سورة التوبة : ٦٥

صلى الله عليه وسلم حامداً إلى أحد : لا أحل لك يا عبد إن كنت نبياً أن تزجعا على ،
 وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب
 غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصرة" ، وضربه سعد بن زيد بالقوس
 فشجبه ، وأخوه أوس بن قيطي ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
 الخندق : إن بيوتنا غورة ، فأذن لنا أن نرجع إليها ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ
 يُرِيتَ غَوْرَةً وَمَا مِنْ مَّوْرَةٍ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ^(١) ۚ وَمِنْ بَنِي ظَفَرٍ — وَأَسْمَ ظَفَرٍ
 كَسِبَ — حَاطِبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ رَافِعٍ ، وَبَشِيرُ بْنُ أَبِي عَرٍ ، وَهُوَ أَبُو طَمِيمَةَ سَارِقُ الدَّرْعَيْنِ
 الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ وَلَا يُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَفْغَمَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُهَيِّجُ مَنْ كَانَ
 خَوَافًا أَتِيًّا ^(٢) ۚ وَقُرَيْشٌ حَلِيفٌ لَهُمْ ۚ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : "إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ" ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدَ قَاتَلَ قَتَالًا شَدِيدًا حَتَّى
 قَتَلَ سَعَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَثْبَتَهُ الْجِرَاحَةُ ، فَجُمِعَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ رِجَالُ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ : أَبَشِرْ يَا قُرَيْشَانُ ، فَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ ، وَقَدْ أَصَابَكَ مَا تَرَى فِي اللَّهِ ، قَالَ :
 بِمَاذَا أَبَشِرُ ، وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ إِلَّا حِمِيَّةَ مِنْ قَوْمِي ، فَلَمَّا أَشَدَّتْ بِهِ جِرَاحُهُ أَخَذَ سَهْمًا
 مِنْ كُنَاتِهِ ، فَقَطَعَ بِهِ رَوَاهِشَ يَدِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي
 عَبْدِ الْأَشْهَلِ مُنَاقِقٌ وَلَا مُنَاقِقَةٌ إِلَّا ابْنُ الضُّحَّاكِ بْنِ ثَابِتٍ أَحَدِ بَنِي كَسْبِ رَهْطِ
 سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ قَدْ كَانَ يُتَمِّمُ بِالْفُتُوحِ وَحُبِّ يَهُودَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ جُلَاسَ
 ابْنِ سُوَيْدٍ قَبِيلَ تَوْبَةَ ، وَمَعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَرَافِعُ بْنُ زَيْدٍ ، وَبَشِيرٌ ، هُمُ الَّذِينَ دَعَاهُمْ
 رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي خُصُومَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حُكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُتْرِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُتْرِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّكِبُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١) إلى آخر القصة . فهؤلاء الذين ذكرناهم من الأوس .

- ومن الخزرج من بنى النجار رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو ابن قيس ، وقيس بن عمرو بن مهمل . ومن بنى جُثَمَ بن الخزرج الجَدَّ بن قيس ، وهو الذى يقول : يا عبد ائذن لى ولا تَقْتَتِ ، فأنزل الله تعالى فيه : ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى وَلَا تَقْتَتِ اَلَا فى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ))^(٢) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال له وهو فى جهازه إلى تبوك : ” يا جد ، هل لك العام فى جلد بنى الأصفر ؟ ” قال : يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تَقْتَتِ ؟ فوافقه لقد عرف قومه أنه ما من رجل أشدَّ عجا بالنساء منى ، وإنى أحسنى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ” أذنت لك ” ، فأنزل الله تعالى فيه ما أنزل . ومن بنى حوف بن الخزرج عبد الله بن أبى بن سلول ، وكان رأس المنافقين وكانوا يسمعون إليه ، قال محمد بن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وسيد أهلها عبد الله بن أبى بن سلول ، لا يختلف عليه فى شرفه من قومه أثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين — حتى جاء الإسلام — غيره ، قال : ومعه رجل من الأوس هو فى قومه شريف مطاع ، وهو أبو عامر عبد الله ابن عمرو بن صبيح بن النمان ، أحد بنى ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وهو أخو حنظلة النسيب^(٣) وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب ، فشقى بشرفها .

٢٠

(٢) سورة التوبة ٤٩

(١) سورة النساء ٦٠

(٣) سبى النسيب لأن الملائكة غلبه ، وذلك أنه خرج جنباً حين سمع الصيحة يوم أحد فأتى وهو يقاتل فى سبيل الله ، فأخبر صل الله عليه وسلم أن الملائكة لنفسه .

فاما عبد الله بن أبي - فكان قومه قد نظموا له الخمرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ،
 بفاعم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه
 الى الاسلام ضيقين ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا ، فلما
 رأى قومه قد أبوا إلا الاسلام دخل فيه كارها ميصرا على ففاق . وقد روى عن [أسامة
 ابن زيد] بن حارثة قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن جباد
 يعودوه من شكوى أصابته ، على حمار عليه إكاف فوقه قتيقة فذكية محتطمة بجبل
 من ليف ، وأردفتي صلى الله عليه وسلم خلفه ، قال : فربعيد الله بن أبي بن سلول ،
 وهو في ظل مزاحم أطمه ، وحواله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تدم من أن يحاوزه حتى يتزل ، فزل فسلم ثم جلس قبالا القرآن ، ودعا إلى
 الله عز وجل ، وذكر بالله وحذر وأبشر ، قال : وهو زام لا يتكلم ، حتى إذا
 فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاله ، قال : يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك
 هذا إن كان حقا ، فأجلس في بيتك فمن جاءك له خذته إياه ، ومن لم يأتك فلا تغشه
 به ، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه . فقال عبد الله بن رباحة في رجال كانوا عنده
 من المساجين : بلى فأغشنا به وأتانا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مانحيب ،
 وما أكرمتنا الله به وهذا نا له ، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :
 متى ما يحكي مولاي خصمك لم تزل * تذل ويصبرك الذين تصارع
 وهل تهض البازي بغير جناحه * وإن جد يوما ريشه فهو واقع
 قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن جباد وفي وجهه
 ما قال عنقله ، فقال سعد : والله يا رسول الله ، إني لأرى في وجهك شيئا ، لكأنك

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) مزاحم : أسم الأطم . والأطم : الحسن .

(٣) تدم : استنكف . (٤) زام : رافع رأسه لا يخيل عليه كبرا .

- سمعت شيئا تكبره . قال : " أجل " ، هم أخبره بما قال ابن أبي ، فقال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له النحرز لتوجهه ، فإنه ليرى أنك قد سلبت ملكا . وكانت مقالة عبد الله بن أبي هذه قبل تلفظه بالإسلام ، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره في الغزوات ، وأنحيازه عن المسلمين بثلب الناس يوم أحد ، وما قاله في غزوة المريسيع وغيرها ما خفف عليه في مواضعه ، مما تستدل به على صحة نفاقه ، وإصراره في الباطن على كفره . وأما أبو طاهر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره ، وفارق قومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا ، فسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وهو أول من أشتب الحرب يوم أحد على ما ذكره إن شاء الله تعالى . قال : وكان أبو طاهر قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال : ما هذا الذي جئت به ؟ قال : " جئت بالحنيفية دين إبراهيم " ، قال : فأنا عليها ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنك لست عليها " ، قال : بلى ، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها ، قال : " ما فعلت ولكن جئت بها ببيضاء قبية " ، قال : الكاذب أماته الله طريدا غربيا وحيدا — يُعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى إنك ما جئت بها كذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أجل " ، فن كذب يفعل الله به ذلك " ، فكان هو ذاك ، خرج إلى مكة ، فلما أقتحمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، مات به طريدا غربيا وحيدا .

ومن المتأففين من أخبار يهود

- من تموز بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق : سعد بن حنيفة ، وزيد بن العيص ، وثمان بن أرق ، وثمان بن أبي أرق . وزيد (١) سأل ثلاث أنه ابن أبي أرق .

أَبْنُ الْقَبِيْثِ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِسَوْقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : يُزْعِمُ عَجْدُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَجَاءَهُ الْخَبَرُ بِمَا قَالَ وَدَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا — : ” إِنْ فَلَانَا قَالَ : يُزْعِمُ عَجْدُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا آتِيكُمْ إِلَّا مَا عَلِمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الشَّجَرِ ، فَقَدْ حَبَسْتُهَا بِزِمَامِهَا “ ، فَذَهَبَ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدُوهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمَا وَصَفَ . وَمِنْهُمْ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِةٍ وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ : ” قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنَ عِظَاءِ الْمُنَافِقِينَ “ . وَرِفَاعَةُ [بْنُ زَيْدٍ^(١) بْنِ التَّائِبِ] ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَبَّتْ رِيحٌ وَهُوَ قَافِلٌ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَشْتَدَّتْ ، حَتَّى أَشْفَقَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ : ” لَا تَخَافُوا ، فَإِنَّهَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ عِظَاءِ الْكُفَّارِ “ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مَاتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي هَبَّتْ فِيهِ الرِّيحُ . وَسَيْلِسَةُ بْنُ بَرَّهَامَ ، وَكِنَانَةُ بْنُ صُورٍ .

وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ يَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : فَأَجْتَمَعَ يَوْمًا مِنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ ثَامِسٌ ، فَرَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ بِأَقْصَى أَصْوَاتِهِمْ^(٢) ، قَدْ لَصِقَ بِمَعْضَمِ بَعْضٍ ، فَأَمَرَهُمْ فَأَنْزَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ إِنْجَارًا عَنيفًا ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى عُمَرُو بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي النِّجَارِ — وَكَانَ صَاحِبَ أَلْهَمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ — فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ يَسْحَبُهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أُنْخَرِجُنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مِرْيَدٍ بَنِي ثَعْلَبَةَ ! ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ أَيْضًا إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ أَحَدِ بَنِي النِّجَارِ فَلَبَّيْهِ

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) في ابن هشام : « خافض أصواتهم » .

بردائه ، ثم تراه شديداً ، ولطم وجهه وأخرجه ، وهو يقول : أَفَّ لَكَ مَنَاقِفَا
 خَيْثَا ! أَدْرَا جَكَ يَا مَنَافِقِي مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقام عُمَارَةُ
 ابْنُ حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو — وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ الْحَيَّةِ — فَأَخَذَ بِحَيْثِهِ فَقَادَهُ بِهَا
 قَوْدًا عَنيفًا حَتَّى أَخْرَجَهُ ، ثُمَّ جَمَعَ عُمَارَةُ يَدَيْهِ فَلَمَّمَهُ بِهَا فِي صَدْرِهِ لَدَمَةً تَرَمَّ مِنْهَا ، فَقَالَ :
 خَدَشْتُ قِيَّ يَا عُمَارَةُ ، قَالَ : أَبْهَكَ اللَّهُ يَا مَنَافِقِي ، فَإِنَّ اللَّهَ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّ
 مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا تَقْرُبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقام أَبُو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ
 ابْنِ أَوْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَهْلٍ ، وَكَانَ قَيْسٌ غُلَامًا شَابًا
 وَلَا يَعْلَمُ فِي الْمَنَافِقِينَ شَابٌ فَرِهَ ، يَجْعَلُ يَدْفَعُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ . وقام عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ الْحَارِثِ مِنْ بَلْخَدْرَةَ رَهْطُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَلْدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ
 ذَا بَجْمَةٍ ، فَأَخَذَ بِجَمَّتِهِ فَسَجَّهَ بِهَا سَجًّا عَنيفًا عَلَى مَامِرِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى أَخْرَجَهُ ، فَقَالَ :
 لَهُ : لَقَدْ أَغْلَقْتَ يَا ابْنَ الْحَارِثِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ أَهْلٌ لَلَّذَلِكَ — أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ — لَمَّا
 أُنْزِلَ فِيكَ ، فَلَا تَقْرُبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّكَ تَجْسُ . وقام
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ إِلَى أَخِيهِ زُورِيِّ بْنِ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ إِنْجَارًا عَنيفًا ،
 وَأَنْفَ مِنْهُ ، وَقَالَ : ظَلَبَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ

١٢٨
١٤

• قَالَ : فَهَؤُلَاءِ مِنْ حَضَرِ الْمَسْجِدِ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمَنَافِقِينَ ، وَفِي هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَنَافِقِينَ ،
 وَفِي أَجْبَارِ يَهُودٍ أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى صَدْرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمَائَةِ مِنْهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
 فَالَّذِي مِنْهَا مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْمَنَافِقِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَآلَاؤُهُمُ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَيَعْلَمُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، وَقَوْلُهُ :

(١) تَرَاهُ : جَلْبُهُ • (٢) أَدْرَا جَكَ : أَيُّ أَرَجَسَ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي بَحَثَ مِنْهَا •

(٣) الْقَدَمُ : الْقَرِيبُ بَيْنَ الْكَفِّ • (٤) بَلْخَدْرَةُ : بَرِيدُ بْنُ الْخَلْدَةِ •

(٥) أَنْفَ مِنْهُ : أَيُّ قَالَ لَهُ أَفَّ • (٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٨ • (٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٥ •

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) أى شك فزادهم الله شكاً، وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) لأنهم كانوا يقولون: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، وقوله: (وَإِذَا خُلَا إِلَى شِيَابِئِهِمْ) أى من تهود (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أى على مثل ما أنتم عليه (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) أى إنما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم، ثم ضرب الله لهم مثلاً فقال: (مَثَلُهم كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا) الآية؛ أى يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم وفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق، ثم قال تعالى: (صُمُّ بَكْمٌ عُيٌّ فَنَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (١) أى عن الخير، لا يرجعون إلى هدى، وقوله: (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) (٢) الصَّيْبُ: المطر، قال ابن إسحاق: أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، على الذى هم عليه من الخلاف والخوف لكم، على مثل ما وُصِفَ، من الذى هو في ظلمة الصَّيْبِ، يجعل أصابعه في آذنيه من الصوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ، (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) أى مثل ذلك بهم من النعمة، وقوله: (يَكَادُ الْبَرَقُ يَحْطِفُ أَبْصَارَهُمْ) أى لشدة ضوء الحق (كَلِمَاتُهَا هُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) أى يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متعبرين، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَنَلَّحَبَّ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٣) أى لما تركوا الحق بعد معرفته، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) سورة البقرة ١٤

(٢) سورة البقرة ١٣

(١) سورة البقرة ١٠

(٦) سورة البقرة ١٩

(٥) سورة البقرة ١٨

(٤) سورة البقرة ١٧

(٧) سورة البقرة ٢٠

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المتأقين ، فلنذكر أخبار يهود ، وجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدم .

ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل فيهم من القرآن

- قال : لما أظهر الله تعالى دينه ، وأطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ،
 أجمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار ، وأستحكم أمر الإسلام ، نصبت
 أخبار يهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنينا وحسدا ، مع تحقهم نبوته ،
 وصحة رسالته ، وأنه الذي نص الله تعالى عليه في التوراة ، فكانوا يسألون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ويتمتونه ، وهم من بني النضير : حُيَّ بن أخطب ، وأخواه
 ١٠ أهوياسم وحدي ، وسلام بن مشكم ، وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، والربيع
 ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمر بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، والحجاج بن عمرو
 خليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس حليفه أيضا . ومن بني ثعلبة بن
 الفظيوني^(١) — ويقال فيه الفظيوس — عبد الله بن صوريا الأحمري ، وهو أعلم أهل زمانه
 بالجماز بالتوراة ، وابن صلوا ، ومحيي بن قيس ، وكان جبرهم . ومن بني قينقاع : زيد بن
 الثعلبي — ويقال فيه الثعلبي — وسعد بن حنيف ، ومحمد بن سنان ، وعزير
 ١٥ ابن أبي عزيز ، وعبد الله بن صيف — ويقال ابن صيف — وسويد بن الحارث ،
 ورفاعة بن قيس ، وفتحاص ، وأشجع ، وثمان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاس
 ابن عدى بن قيس ، وزيد بن الحارث ، وثمان بن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ،
 وعدى بن زيد ، وثمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمد بن دحية ، ومالك بن
 صيف ، وكعب بن راشد ، وعازد ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن
 ٢٠

(١) النطرون : كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من دنا اليهود وملكهم .

أبي أنار - ويقال فيه : أزرب بن أبي أزرب - ورافع بن حارثة ، ورافع بن خارجة ،
وبالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان
حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحَصِين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله .

١٢٩

١٤

ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن سُمُوَال ، وصعب
ابن أسد . وتَمِيمِيل بن زيد ، وجبل بن عمرو ، والقمام بن زيد ، وقَرْدَم بن
كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ،
والحارث بن عوف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيْلة ،
وجبل بن أبي قَشِير ، ووهب بن يُوْدَا .

ومن يهود بني دُرَيْق لَيْد بن أَصَم الساحر . ومن يهود بني الحارثية : كنانة
ابن صُورِيَا . ومن يهود بني عمرو بن عوف قَرْدَم بن عمرو . ومن يهود بني النجار :
سَيْسِلَة بن بَرَهَام ، هؤلاء أحبار يهود ، وأهل المداوة لله تعالى ورسوله ، لم يستن منهم
إلا عبد الله بن سلام ومُخَيْرِيق ، لأنهما أسلما . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع .

ذكر إسلام عبد الله بن سلام ، ومُخَيْرِيق

أما عبد الله بن سلام فإنه كان عالما حبرا من أحبار يهود ، حكى محمد بن
إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بَعْضِ أَهْلِهِ عنه قال : لما سمعت برسول الله
صلى الله عليه وسلم عرفت صفته وإسلامه وزمانه الذي كَانَتْ تَوَكَّفُ^(١) له ، فكنت
مُسِيرًا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين ، سلام بالتخفيف في اليهود . وجميع

(الروض الأثافي ٢ : ٢٥) . (٢) تَوَكَّفُ له : أي تَخْطَرُ وقَرَعَه .

- فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدمه، وأنا على رأس نخلةٍ أعمل فيها ، وعمتي خلدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعتُ الخبر كبرتُ ، فقالت عمي حين سمعت تكبيري : خيبك الله ! والله لو كنت سمعت موسى بن عمران قادمًا ما زدت . قال : قلت لها : أي عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعث بما بُعث به ، قالت : أي ابن أختي ، هذا النبي الذي تكلمت به أنه يبعث مع قيس السامة ؟ قلت نعم ، قالت : فذاك إذا ، قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ، فلما رجعتُ إلى أهل بيتي فأمسرتهم فأسلموا ، وكنتُ إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنك يهود قومٌ بُعثتُ ، وإني أحب أن تدخلني بعض بيوتك فتخبرني عنهم ، ثم تسالم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي ، فأنهم إن علموا به يهتوني ، قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلوه وساءلوه ثم قال لهم : "أي رجل الحصين بن سلام فيكم" فقالوا : سيدنا وابن سيدنا وعالمنا ، فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجددونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله ، وأومن به ، وأصدق وأعرفه ، فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي ، فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بُعثتُ ، أهل غدر وكذب وفسق ؟ قال : وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خلدة بنت الحارث فحسن إسلامها .

(١) ويقال : « خالدة » . (٢) بيت : جمع بيوت ، والبيوت : المباحث بمبالغة في أسم الفاعل ، من اليتان وهو الكذاب (راجع نهاية ابن الأثير) .

وأنا مُخَيَّرٌ بِـ قال ابن إسحاق : كان حبرا عالما ، وكان غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في عليه ، وطلب عليه ألف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد وهو يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ففرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتل في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما أقتل الناس قاتل حتى قُتِل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى يقول : «مُخَيَّرٌ خير يهود» ، وقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .



قال : وكان مما أنزل الله تعالى في أمر اليهود صدرا من سورة البقرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) أي إنهم قد كفروا بما عندك من ذكر لهم ، ومجدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا !

وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشَاوَةٌ ﴾ أي من الهدى لن يصيبوه أبدا ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) أي بما هم عليه من خلاق .

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي وَأَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون . وَأَيُّنَا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ تَكْفُرُونَ . وَلَا تَكْفُرْ بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون . وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ بِالْبَاطِلِ

وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١)) ، أى لا تكتُموا ما عندكم من المعرفة برسول
وبما جاء به ، وأنتم تجلدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم .

ثم قال الله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٢)) أى تهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة ، وتتركون

- أنفسكم ، وأنتم تكفرون بما فيها من هدى إليكم فى تصديق رسول ، وينقضون
ميثاق ، وتجدلون ما تعلمون من كتابي . [ثم] مدد عليهم أحداثهم فيما سلف ، فذكر
لم السبل ، وقولهم لموسى : (أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَكَ^(٣)) وَصَفَّقْنَاهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ، ثم إحياء الله لهم
وإظلالهم بالنعام ، وإزاله عليهم المن والسلوى ، وقوله لهم : (ادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدِئًا
وَقُولُوا حِطَّةٌ^(٤)) أى قولوا ما آمركم به أحط به دنوبكم عنكم ، وتبديهم ذلك ، إلى
ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى .

١٠

ثم قال الله تعالى والخطاب لنبه صلى الله عليه وسلم ولن معه من المؤمنين :
(أَتَعْطَمُونَ أَنْ يَدُنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٥)) قال الفريق الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وهم الذين قالوا لموسى صلى الله عليه وسلم :

- يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا ، فأسمعنا كلامه حين يكلبك ، فطلب موسى
ذلك من ربه لم ، فقال تعالى : مرهم فليطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ،
ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتى الطور ، فلما غشهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجودا
وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ما سمعوا ، ثم آنصرف بهم
موسى إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرف فريق من سمع ما أمرهم به ، وقالوا

٢٠ (١) سورة البقرة ٤٠ - ٤٢ (٢) سورة البقرة ٤٤ (٣) الزيادة من أين هشام

(٤) سورة النساء ١٥٣ (٥) سورة البقرة ٥٨ (٦) سورة البقرة ٧٥

حين قال موسى لبنى إسرائيل : إنا الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق :
 إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله تعالى لهم ، فهم الذين عنى الله تعالى . ثم قال :
 ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ^(١) أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إلىكم خاصة .
 وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا نتحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم
 تستفتيهم به عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا
 بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) أى يتركون بأنه نبي ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كان ينتظرونه وعنده
 في كتابنا ، أبعدوه فلا تحدثوا لهم به ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَيَنْهَى الْأُمِّيُّوتَ لَا يَسْمَعُونَ الْكُتَابَ إِلَّا أُمَامِيٍّ وَإِنْ هُمْ
 إِلَّا يَنْظُرُونَ ﴾ ^(٣) أى إلا بلالة ، والأُمِّيُّ هو الذي يقرأ ولا يكتب ، معناه أنهم
 لا يسمعون الكتاب فلا يدرون ما فيه ، فهم يصعدون نبوتك بالغان . وقوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُحَدِّثُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ
 عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) قال ابن عباس رضى الله عنهما : قدم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود يقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ،
 وإنما يعذب الله تعالى الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا
 في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ، ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله تعالى
 ذلك ، ثم قال : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ ﴾ ^(٥) أى من عمل مثل
 أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط كفره بما له من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٦) . ثم قال تعالى يذمهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

(٢) سورة البقرة ٧٧ ، ٧٨

(٣) سورة البقرة ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤

٢٠

(٥) سورة البقرة ٨١

(٤) سورة البقرة ٨٠

يَٰٓإِسْرَٰئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ^(١)) أى تركتم ذلك كله . (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تُنْفِرُونَ^(٢)) .

- قال ابن عباس : أقررت على أن هذا حق من ميثاق طيكم ، (ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْعَلُونَ أُنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهُرُونَ عَنْهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ^(٣)) ، أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ، (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ سَارَىٰ فَقَاتِلُوهُمْ) وقد عرفت أن ذلك طيكم في دينكم ، (وَهُوَ حَرَمٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَهُمْ أَتْقُونُ يَتَوَلَّوْنَ بَعْضُ الْكُفَّارِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ) أى أنقادونهم مؤمنين بذلك ويخرجونهم كفارا بذلك (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا نَجْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^(٤)) فانهم بذلك من فعلهم ، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمايتهم ، واقتضى عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين ، منهم بنو قينقاع ولقهم حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة ، ولقهم حلفاء الأوس ، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يسفكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم

(١) سورة البقرة ٨٣ . (٢) سورة البقرة ٨٤ . (٣) سورة البقرة ٨٥ .

(٤) سورة البقرة ٨٥ . (٥) لقهم ، أى من مدتهم .

التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، لا يعرفون جنة ولا نارا ، ولا بمثا ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] ^(١) أخذوا أسرارهم تصديقا لما في التوراة وأخذوا به ، يقتدى بنو قيثاق ما كان من أسرارهم في أيدي الأوس ، [و] ^(٢) يقتدى بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلبون ما أصابوا من الدماء ، وقتل من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم ؛ يقول الله تعالى : ﴿ أَتَوْتُمُونَنَّا بِمَعْشَرَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِمَعْشَرَ الْآيَاتِ الَّتِي بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِيهَا مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهَا عِلْمٌ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، وفي حكم التوراة : ألا تفعل : [تقتله] ^(٤) ، وتخبره من داره ، وتظاهر عليه من شرك بالله ويعبد الأوثان ابتغاء عرض الدنيا ، ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَيَّنَا مِنْ بَيْنِهِ الرُّسُلَ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أي الآيات التي كانت له من إبراهيم الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، والخبر بكثير من النيوب مما يأكلون وما ينجرون في بيوتهم ، ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبُكُمْ وَقَرِيبًا تَقْتُلُونَ ﴾ ^(٥) ثم قال : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُومُونَ . وَلَوْ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ لَقَالُوا لَهْمُكُمْ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ بَلْ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٦) ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للأَنْصَارِ لما كانوا على جاهليتهم : إن نبيا يبعث الآن قد أظلم زمانه ، نبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أتبعه الأنصار

(١) تكة من ابن هشام . (٢) تكة من ابن هشام .

(٣) في الأصل : « ويطلبون » ؛ والصواب ما أثبتناه من ابن هشام . ويطلبون هنا : يطلبون .

(٤) البقرة ٨٥ (٥) تكة من ابن هشام . (٦) البقرة ٨٧

(٧) البقرة ٨٨ ، ٨٩

وكفر به يهود ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا أَشْكُرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنِّي كُفَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنِّي بَرَكْتُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَّاهُوا يَفْغِبُ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ، غَضِبَ الله عليهم فيما صنعوا من مخالفتهم حكم التوراة ، وغَضِبَ عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي أرسل إليهم ، ثم أنبهم برفع الطور ، واتخاذ العجل إلهًا من دون الله ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١) أى أدموا بالموت على أى الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك ، فأعلمهم أنهم لم يمتنوه فقال : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(٢) أى بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودى إلا مات ، ثم ذكر رغبته في الحياة فقال : ﴿ وَلَتَمَنَّيَنَّكُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ ^(٣) أى ما هو بممتنجه ، وذلك أن المشرك لا يرجو بشئ بعد الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودى قد عرف ماله في الآخرة من الخبز بما صنع فيما عنده من العلم . والله تعالى الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

- ١٥ ذكر سؤال أحبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأشراطهم على أنفسهم أنه إن أجابهم عما سألوه آمنوا به ،
ورجوعهم عن الشرط

١٣٢
١٤

- وذلك أن قسرا من أحبار يهود جادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
يا عبد ، أخبرنا عن أربع نسائك هنن ، فإن فعلت آتبعناك وصدقتك وآمنا بك ،
فقال : «عليكم بهذا عهد الله وميثاقه إن أخبركم بذلك لتصدقننى ؟» قالوا : نعم ؛
(١) سورة البقرة : ٩٠ (٢) سورة البقرة : ٩٤ (٣) سورة البقرة : ٩٥ (٤) سورة البقرة : ٩٦

قال : « فأسألو عما بدا لكم » قالوا : أخبرنا كيف يُشبه الولد أمه ، وإنما لنطفة
من الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أأنشدكم بالله وبأيامه عند بني
إسرائيل هل تعرفون أن نطفة الرجل بيضاء فليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة
فأيتهما علت صاحبها كان لها الشبه » ؟ قالوا : اللهم نعم ، قالوا : فأخبرنا كيف
نومك ؟ قال : « أأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذي
يرمضون أنى لست به تنام عينه وقلبه يفتان » ؟ [قالوا : اللهم نعم ، قال :
« ففكتلك نوى ، تنام عيني وقلبي يفتان »] قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على
نفسه ؟ قال : « أأنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب
الطعام والنشرايب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه أشتكى شكوى فعااه الله منها ،
فحرم على نفسه أحب الطعام والنشرايب إليه شكرا لله تعالى ، فحرم على نفسه لحوم
الإبل وألبانها » ؟ قالوا : اللهم نعم ، قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : « أأنشدكم
بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني » ؟ قالوا :
اللهم نعم ، ولكنه يا عبد ، لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة وبسفك الدماء ،
ولولا ذلك لأكتبته ، فأنزل الله فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى
قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كُنَّا صَاهِدُوا هَذَا نَبَلَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا
مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلْطَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلْطَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ

النَّاسِ السَّحَرِ) وذلك إنا النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان في المرسلين قال بعض أحبار يهود : ألا تعجبون من عهد ! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، وواجه ما كان إلا ساحرا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ أي باتباعهم السحر وعملهم به ، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِأَيْلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(١) ، قال ابن إسحاق : وحديثي من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : الذي حرم إسرائيل على نفسه : زائدتا الكيد ، والكُلتان ، والشحم ، إلا ما على الظاهر ، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقرآن فتأكله النار . والله أعلم بالصواب .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه

إلى يهود خيبر

١٠

من ابن عباس رضى الله عنهما : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من عهد رسول الله صاحب موسى وأخيه ، المصدق بما جاء به موسى ، ألا إنا الله قد قال لكم : يا معشر أهل التوراة — وإنكم تجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاءً فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا شَطَاطًا فَآذَرَهُ فَاِسْتَنَفَطَ فَاَسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّيْرَاعَ لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَمَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢) ، وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطلعكم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي أيس البحر لآبائكم حتى

١٣٣
١٤

٢٠

(١) سورة البقرة من ٩٧ - ١٠٢ (٢) سورة التفتح ٢٩

أنجامهم من فرعون وعمله إلا اخبرتمونا هل تجدون فيها أنزل عليكم أن تؤمنوا بحمد؟
فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم؛ (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)^(١)
فادعواكم إلى الله وإلى نبيه^(٢) .

ذكر ما قاله أحبار يهود في قوله تعالى : (الْم) ، و (الْمَص) ،
و (الر) ، و (المر)

حكى محمد بن إسحاق أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتلو: (الْم) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ^(٣) ، فأتى أخاه حمّ بن أخطب في رجال
من يهود ، فقال : تعلّموا ، والله لقد سمعت محمدا يتلو فيها أنزل عليه : (الْم) . ذَلِكَ
الْكِتَابُ^(٤) ، فقالوا : أنت سمعته؟ قال : نعم ، فثنى حمّ في أولئك النفر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيها أنزل عليك : (الْم) ؟
فقال : "بلى" ، قالوا : أجابك بها جبريل من عند الله؟ قال : "نعم" ، فقالوا :
لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لحيّ منهم ما مائة ملكه ، وما أكل أمته
غيرك . فاقبل حمّ بن أخطب على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام
ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون في ديني^(٥) هذه مائة
ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : "نعم" ، قال : ماذا؟ قال : (الْمَص)
قال : فهذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والعباد
تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة^(٦) ، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال : "نعم" (الر) .
قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والزاء مائتان ، فهذه

(١) البقرة ٢٥٦ (٢) في الأصل : «إيس» ؛ سواه ما أثبتنا في ابن هشام ٢ : ١٩٤

(٣) البقرة آية ١ - ٢ (٤) في الأصل «وللاثون» وهو خطأ سواه ما أثبتنا .

إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا عهد ؟ قال : « نعم (الآمر) » قال :
 هذه أقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ،
 فهذه إحدى وسبعون ومائتا ستة ، ثم قال : لقد لئس علينا أمرك يا عهد حتى
 ما ندرى أقللا أعطيت أم كثيرا ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حمي : ولن
 معه من الأخبار : ما يدريكم ، لعله قد جمع هذا كله لحمد ؛ سبعمائة وأربع
 [وثلاثون] ستة ، قالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيقال : إن قوله تعالى :
 (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُنْشَاهَاتٌ) ^(١)
 نزلت فيهم ، وقيل : إنما نزلت في وفد نجران ، هل ماند كره إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من مقالات أخبار يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك

١. كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن النخيف حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد إليهم فيه ، فقال :
 والله ما عهد إلينا في عهد عهد ، وما أخذ له علينا ميثاق ، فأنزل الله عز وجل فيه :
 (أَوْ كَلِمَاتٍ يَتَوَلَّوْنَ أُولَئِكَ فَهُمْ يَحْمِلُونَ أُنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُفْرِمُونَ) . وقال ابن صُلَوب ^(٢)
 الفطويوني رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عهد ، ما جئنا بنبى نرفعه ، وما أنزل
 عليك من آية بينة فتبكي بها ؛ فأنزل الله تعالى : (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ يَتَوَلَّى
 وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) ^(٣) .

(١) في الأصل : « وأربع سنين » والتصويب عن ابن هشام . (٢) آل عمران ٧

(٣) وفي ابن هشام : « النخيف » ؛ بالصاد المهملة ، وهما روايتان كما تقدم . (٤) البقرة ١٠٠

(٥) قال في الرض الأنف : « الفطويوني كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولّى أمر اليهود

وقال رافع بن خرملة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد،
 آتينا يكاتب تزل علينا من السماء قرؤه ، وبقر لنا أنهارا تبكم ونصدقك ،
 فأنزل الله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلَ وَمَنْ
 يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ^(١) ﴾ قال : وكان حمي بن أخطب
 [وأخوه أبو ياسر بن أخطب ^(٢)] من أشد يهود العرب حسدا ، فكانا جاهدين
 في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله عز وجل فيهما : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاصْبِرُوا وَأَصْبرُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٣) ﴾
 قال : ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم
 أحوار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن خرملة :
 ما أتتم على شيء ، وكفر بيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى
 لليهود : ما أتتم على شيء ، وحمد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى :
 ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَسِيتَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى نَسِيتَ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ
 وَهُمْ يَسْلُونِ الْكِتَابُ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ^(٤) ﴾ . وقال رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد،
 إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله يكلنا تكليبا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله
 تعالى في ذلك : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^(٥) ﴾ .
 وقال عبد الله بن صوريا الفطيفي - الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهذى

١٣٤
١٤

(١) سورة البقرة ١٠٨ (٢) هذه التكلة أتيناها من ابن هشام ٢ : ١٩٧
 (٣) سورة البقرة ١٠٩ (٤) سورة البقرة ١١٣ (٥) سورة البقرة ١١٨

إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا عدي تهتد ، وقالت النصاري مثل ذلك ، فانزل الله تعالى في أنفواهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تَسْأَلُونَهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١) ﴾ . وتكلموا عند صرف القبله بما نذكره إن شاء الله في حوادث السنة الثانية .

- قال : وسأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد ، نهرًا من أحبار
 ٥ يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتمهم لياه وأبوا أن يجزروهم ، فانزل الله فيهم :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
 أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ^(٢) الْأَنْصَارُ ﴾ . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى
 الإسلام ورجعهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ، فقال رافع بن خارجه ، ومالك بن
 عوف : بل تتبع يا عدي ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا ، وخبرنا منا ،
 ١٠ فانزل الله في ذلك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ
 آبَاءَنَا أَوَّلُوا ^(٣) كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

- قال : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر جمع يهود
 في سوق بني قينقاع ، وقال لهم : " يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله مثل
 ١٥ ما أصاب به قريشاً " فقالوا : يا عدي ، لا يفترقك من نفسك أنك قتلت نهرًا
 من قريش ، كانوا أعمارًا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن
 الناس ، وأنت لم تقاتلنا ، فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا سَبِيلُونَ وَيُحْمَسَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا

(١) سورة البقرة من ١٣٥ - ١٤١ (٢) سورة البقرة ١٥٩ (٣) سورة البقرة ١٧٠

(٤) الأعمار ، جمع غمر ، مثلثة اللين : وهو الذي لم يجرب الأمور .

فَتَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ رُوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَهُ
مَنْ يَشَأْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝

قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ،
فدعاهم إلى الله عز وجل ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : وعلى أى دين
[أنت] يا محمد ؟ قال : « على ملة إبراهيم ودينه » قالوا : فإن إبراهيم كان يهودياً ، فقال لما
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهل إلى التوراة نفى بيننا وبينكم » ، فأنزل الله فيهما :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمْسَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
وَعَرَّضْنَاهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝﴾ وقال أخبار يهود نصارى نجران حين أجمعوا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا ، فقال الأخبار : كان إبراهيم يهودياً ،
وقالت النصارى : كان نصرانياً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُجُونَ
فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَيْتِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَٰئِنُمَّ هَٰؤُلَاءِ
حَاجِّجَتُمْ فَيَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فَيَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ
أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ وقال
عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض ، قَالُوا ثَمَنَ

بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غُدُوَّةً ، ونكفروا به عشية ، حتى تلبس عليهم دينهم ، فأنزل
الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

(١) سورة آل عمران ١٢ — ١٣ (٢) بيت المدراس : بيت اليهود بتدارسون فيه كتابهم .

(٣) الزيادة من ابن هشام . (٤) سورة آل عمران ٢٣ ، ٢٤

(٥) سورة آل عمران من ٦٥ — ٦٨ (٦) قال ابن هشام : « ويقال ابن صيف » .

تَمْلِكُونَ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَكْثَبِ آمَنُوا بِالَّذِي نَزَّلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَعَلَهُ النَّهَارُ
وَأَقْفَرُوا آخِرَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَرْجِعُونَ. وَلَا تَقُولُوا إِلَّا لِمَنْ يَشَاءُ رَبُّكُمْ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِحُكْمِ
اللَّهِ أَن يَأْتِيَنَّكُمْ مِثْلُ مَا أَتَوَيْتُمْ أَوْ يُخَاجِكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِحُكْمِ اللَّهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وقال أبو رافع القُرظي: حين اجتمعت الأحزاب من يهود

- والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد، تريد منا أن
نمهلك كما بعث النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس:
أولئك تريد منا يا محمد، وإليه تدعون؟ أو كما قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
”معاذ الله أن أبعدهم من الله، أو أمر ببنادق غيره، ما يذكركم بنى ولا أمرى“، فأنزل
الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاعِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُفْسِدُونَ الْكِتَابَ
وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخَلِّدُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَوْ أَبَاءَ أَيُّكُمْ أَنْ تُكْفِرُوا
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾، والربانيون هم العلماء والفقهاء، ثم ذكر تعالى ما أخذ طهيم
وعلى أنبيائهم من الميثاق بتعديده إذا هو جاءهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْيَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ ﴾ إلى آخر القصة. والله أعلم.

- ١٥ ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج
من الفتنة، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم
قال عبد بن إصحاق: مر شأس بن قيس، وكان شعيخا عظيم الكفر، شديد
الغش على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الأوس والخزرج، قد اجتمعوا في مجلس يتحدنون، فغافه مام عليه

٢٠ (١) سورة آل عمران من ٧١-٧٣ (٢) سورة آل عمران من ٧٩-٨٠

(٣) سورة آل عمران ٨١

من الألفة والجماعة وصلاحي ذات الدين على الإسلام، بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد أجمع ملا^(١) بن قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا أجمع ملوهم بها من قرار؛ فاصر شابا من يهود كان معه أن يجلس معهم، ثم يذكروهم بمات وما كان قبله، وأنت يفسدكم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم مات، وهو يوم أقتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الفقير في الأوس، وكان عليهم يومئذ حضير بن سماله الأشملي، أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو ابن النعمان البياضي، فقتل جميعا، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتنازعوا، حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب؛ أوس بن قيطي - الأوسي، وجبار بن صخر الخزرجي، فضاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئت رددناها الآن جثة^(٢)؛ فنضب الفريقان جميعا، وقالوا: قد فعلنا، مودكم الظاهرة، وهي الحرة، وقالوا: السلاح السلاح، ونزعوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم، فبينما هم من المهاجرين، فقال: "يا معشر المسلمين، الله الله! أريدوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وأستغذكم به من الكفر، وألف بينكم" - عرف القوم أنها ترعة من الشيطان، وكيد من ملوهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم أنصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس: (قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَآلِهِ شَهِيدٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

(١) قيلة: هي أم الأوس والخزرج.

(٢) في الأصل: "سه"، وصوبناه عن ابن هشام ج ٢: ٢٠٤.

(٣) يوم مات: من أيام الحرب، معروف - وسألت بعد.

(٤) رددناها الآن جثة: أي رددنا الأشرار إلى الله: (٥) سورة آل عمران ٩٨، ٩٩.

وَأَنزَلَ فِي أَوْسَ بْنِ قَيْطَى وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِرُءُوسِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصِصَةٌ يُمْسِكُهُمْ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَفَقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾

١٣٦
١٤

ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم

وما أنزل الله تعالى في ذلك

قال : لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سَعْدَةَ، وأُسَيْدُ بْنُ سَعْدَةَ، وأَسَدُ بْنُ حُبَيْدٍ، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدقوا، قال أهل الكفر من أجبارة يهود : ما آمن محمد وأتبعه إلا شِرَارًا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ونفعوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِيسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾،

(١) سورة آل عمران ١٠٠ - ١٠٥ . (٢) هو ابن إسحاق .

(٣) سورة آل عمران ١١٣ - ١١٤ .

قال : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من
الحوار والخلق في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُوَنكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَٰئِنْتُمْ أَوَّلَاءِ
يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، [أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من
الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبنضاء لهم منهم لكم] ،
﴿ وَإِذَا لَقَوْهُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا فَضَاؤُا عَلَيْكُمْ الْإِنَّمَالِ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا
يَقْبِضُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَسْتَكْسِبُ حَسَنَةً تَسْأَلُهُمْ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴾ ، قال : ودخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى بيت المدراس على
يهود ، فوجد جماعة كثيرة منهم قد اجتمعوا إلى جبر . من أحبارهم يقال
له فنحاص ، ومعه جبر آخر يقال له أشجع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك
يا فنحاص ! أتق الله وأسلم ، فوالله إنك تعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم
بالحق من عنده ، يمدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال لأبى بكر :
والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، لوما نتضرع إليه
كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بفقير ، ولو كانت عنا غنيا
ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، إنها كم عن الرِّبَا ويُعطيناها ، ولو كان
عنا غنيا ما أعطانا الرِّبَا . فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدا

(١) الكلمة من ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة آل عمران ص ١١٨ — ١٢٠

(٣) انظر هامش رقم ٢ من صفحة ٣٧٧ من هذا السفر .

- وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك، أي مدوّاه.
- فذهب فتخاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا جعد، أنظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ما حملك على ما صنعت؟" .
- فقال: يا رسول الله، إن مدوّاه قال قولاً عظيماً — وذكر قوله — فلما قال ذلك غضبت له وضربت وجهه، فبعد فتخاص ذلك، وقال: ما قلت [ذلك]،
- فأزول الله في ذلك تصديقاً لأبي بكر رضى الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَكَتَ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآثِيَاءَ بَغِيْرَ حَقٍّ وَقَوْلُ دُعَاؤِ الْحَرَبِيِّ﴾، وأزول الله تعالى في أبي بكر وغضبه في ذلك: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصِيرُوا فِي شَيْءٍ مِنَ الْفَقْرِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . قال: وكان كزّدم بن قيس، وأسامة بن حبيب
- ونافع بن أبي نافع، وبجسري بن عمرو، وحجّ بن أخطب، ودفاع بن زيد بن العابد، يأتون رجلاً من الأنصار ينتصحوهم لم يقولون: لا تشفقوا أموالكم، فإنما نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في الصدقة، فإنكم لا تلتزبون غلام يكون، فأزول الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِأَمْرٍ النَّاسَ بِالْخَلِّ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً . وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُمْ رَأَى النَّاسُ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً . وَمَاذَا طَلَبْتُمْ تَوَافَرُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَأَغْفُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ قال: وكان دفاع بن زيد بن العابد من عظماء يهود، إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٧
١٤

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) سورة آل عمران ١٨١ (٣) سورة آل عمران ١٨٦
(٤) سورة النساء ٣٧ — ٣٩ (٥) كما في الأصل، عن ابن هشام: «كلم رسول الله» .

لَوَّى لِسَانَهُ وَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَعَكُمْ يَا عِدِّي حَتَّى تَقْتُلُوهُ ، ثُمَّ طَمَنَ فِي الْإِسْلَامِ وَهَابَهُ ،
فَازِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا .
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنِيعَ غَيْرُ مُسْمِعٍ
وَرِيعًا لَيَّا بِالْيَسْتِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَمَّعُوا وَانْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَنَبِّئَنَّهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) . قَالَ : وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ ، مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ صُورٍ وَالْأَعُورُ ، وَكَمَبُ
ابْنُ أَسَدٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، أَتَقُولُوا اللَّهُ وَأَسْلَمُوا ، فَوَاللَّهِ إِنَّا نَكْمُ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي
جِئْتُمْ بِهِ لَحَقٌّ ، قَالُوا : مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ يَا عِدِّي ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ ، فَانْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَطْغَمَ وَجُوهًا قَرَّتْهَا عَلَى أَذْيَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّاهُمْ أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا ^(٢) . قَالَ : وَقَالَ سُكَيْنٌ ، وَعِدِّي بْنُ زَيْدٍ : يَا عِدِّي ، مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ
مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَى ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَيَعْقِي وَيُوسُفَ
وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا . وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَرَسُولًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِيمًا . رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(٣) . وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ : ﴿ مَا نَعْلَمُهُ : وَمَا نَشْهَدُ عَلَيْهِ ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
[الْبَكْرَةِ] ^(٤) ١٢٣ قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ : وَمَا نَشْهَدُ عَلَيْهِ ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

(٢) سورة النساء ٤٧

(١) سورة النساء من ٤٤ — ٤٦

(٤) - انظر زيادة من آية همام .

(٣) سورة النساء ١٦٣ — ١٦٥

(١) لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ بِعَيْنِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نمان بن أضاء، وبجيري بن عمرو، وشاس ابن عدى، فكلّمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم قبحته، فقالوا: ما نحوفنا يا محمد،

نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ

وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ

بِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ. قال: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام، ورغبهم

فيه، وحذرهم عقوبة الله، فأبوا وكفروا ومجدوا، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد

ابن عباد، وعقبة بن وهب: يا مشريه، آتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه

رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبثته، وتصفونه بصفته، فقال رافع

ابن خزيمة، وهوب بن يهود: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى

ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ

جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (٢)

ذكر قصة الرّجيم

١٥

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت

الميراث حين قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد زنى رجل بينهم بعد

إحصائه بأمرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: آيمثوا بهذا الرجل وهذه المرأة

إلى عهد، فأسالوه كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما

٢٠

(١) سورة القاء ٦٦٦ (٢) في الأصل: «على» والنصيب عن ابن هشام ج ٢: ٢١٢

(٣) سورة المائدة ١٨ (٤) سورة المائدة ١٩ (٥) في ابن هشام: «منهم»

بمعلمكم من التجبية — والتجبية: الجلد يحبل من ليف قد طلي بقار، ثم تسود وجوههما،
ثم يحلان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أديار الحمارين — فأتيوه فلأما
هو ملك، وصدفوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نجي، فأحذروه على ما في أيديكم أن
يسلبكموه، فاتوه فقالوا: ياخذ، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بأمرأة قد ^٩ حُتَّتْ،
فأحكم فيهما، فبشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيوتهم ^{١٠}،
فقال: "يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم"، فأخرجوا إليه عبد الله بن مسعود،
وأياب بن مسعود، وأخطب، ووجب بن يهودا، فقالوا: هؤلاء عباؤنا، فسأهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا: هذا عبد الله بن مسوريا أعلم من بقي بالثورة،
فغلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فقال له:
"يا ابن مسوريا، أئنتك الله، وأذترك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله
حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟" قال: اللهم نعم، أما والله
يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يصدونك، فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر برجمهما، فرجما عند باب مسجده، ثم كفر بعد ذلك
ابن مسوريا، وتجد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ لَا يُحْزِنُكَ الَّذِينَ يُفَارِغُونَ فِي الْكُفْرَيْنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُرُوفٍ
الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾،
أي الرجم، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
أَنْ يَبْطِرْ قُلُوبَهُمْ فَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَزْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
أَكَاوَنَ لِلْسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرَّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحْكَمُونَ

٥

١٠

١٥

٢٠

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمٌ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ .
 إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهِ الَّذِينَ آسَأُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِلُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا
 النَّاسَ وَاتَخَشَّوْنَ اللَّهَ لَا تَسْتَرَوْا بِمَا بِآيَاتِنَا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ^(١) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فُرِجَا بَابَ مَسْجِدِهِ ، فلما وَجَدَ اليهوديَّ مَسَّ الحِجَارَةَ قام إلى صاحبته لِحْنًا عليها يقيها مَسَّ الحِجَارَةِ حتى قُتِلَا جميعا .

- وعن عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لما حَكَمُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دمامم بالتوراة ، وجلس خبرٌ منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرِّجْمِ ، فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يا نبي الله آية الرِّجْمِ ، يَأْتِي أَنْ يَتْلَوْهَا عَلَيْكَ ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ! مَا دَعَاكُمْ إِلَى تَرْكِ حُكْمِ اللَّهِ وَهُوَ بِأَيْدِيكُمْ " ؟ فقالوا : " أَمَا إِنَّهُ كَانَ فِينَا يُعْمَلُ بِهِ ، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه من بيوت الملوك وأهل الشرف فتمتعه الملك من الرِّجْمِ ، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يَرْجِمَهُ فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ ، وأما تَوَا ذَكَرَ الرِّجْمَ وَالْعَمَلُ بِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَ اللَّهِ وَتَحَابَهُ وَعَمِلَ بِهِ " . ثم أمر بهما فُرِجَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ ، قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما : [كُنْتُ^(٢)] لَيْمَنْ رَجِمَهُمَا . قال : وَاجْتَمَعَ كَعْبُ بْنُ أَسَدَ

٢٠ (١) سورة المائدة من ٤١ - ٤٤ (٢) خط عليها : أى أكب عليها ، ويرى « حنا » .

(٣) تكملة من ابن هشام .

١٢٩
١٤

وَأَبْنِ صَلَوبًا، وعبد الله بن صُورِيَا، وشاس بن قيس . وقال بعضهم لبعض : آذنبوا إلى عبد ، لعلنا نقتنه عن دينه ، فلما هو بشر ، فأنوه فقالوا : يا عبد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن آتبعناك آتبعك يهود ولم يخالفونا ، وإن مبتدأنا وبين بعض قومنا خصومة ، ألتصا بهم إليك لنقض لنا عليهم ، وتؤمن بك وتصدقك ؟ فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَمَا تَعْلَمُ أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ أَنْ يُرِيدَ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ فَتَأْسِفُونَ . أَلَمْ تَكُنْ لِلْمَاجِلِيَّةِ يَهُودَ وَمِنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، ومازدر بن أبي حازم ، وعلاء بن زيد ، وأزار بن أبي أزار ، وأشجع ، فسألوه عن يؤمن به من الرسل ، فقال صلى الله عليه وسلم : " تؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من دهم لا تهزق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " . فلما ذكر عيسى جعلوا نبيوه ، وقالوا : لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِمَّا آتَىٰ آتَمًا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَتَحْكُمُونَ ﴾ . قال : وأما صلى الله عليه وسلم رافع ابن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن النخيف ، ورافع بن خزيمة فقالوا : يا عبد ، ألتستزعم أنك على ملّة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ،

(١) سورة المائدة ٤٩ - ٥٠ . (٢) قال ابن هشام : « ويقال أزد بن أبي أزد » .

(٣) سورة المائدة ٥٩ .

وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : « بلى ، ولكنكم أحدثتم وجمدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكنتم منها ما أصرتم أن تينوه للناس ، فبرئت من أحدائكم » .
 قالوا : فلما نأخذ بما في أيدينا ، فلما على الهدى والحق ، ولا تؤمن بك ولا نقيمك ،
 فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

قال : وأما صلى الله عليه وسلم التَّحَامُّ بن زيد ، وقَرَدَم بن كعب ، وبَجْرِي ابن عمرو ، فقالوا : يا جعد ، أما تعلم مع الله إلها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إله غيره ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو » ، فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم : ﴿ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَقَسِبُنَّ أَنْ مَعَ اللهُ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِّىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آمَنَّاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسُوَيْد بن الحارث قد أظهرَا الإسلام وناقفا ، فكان رجال من المسلمين يوادونهما ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلْيَاءَ وَاقْوُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ . وقال جبل بن أبى قشير ، ويحيى بن زيد لرسول الله صلى الله عليه

١٠ (١) سورة المائدة ٦٨ (٢) سورة الأنعام ١٩ — ٢٠ (٣) سورة المائدة ٥٧ — ٦١ (٤) فى الأصل : « جبل بن بشير » والتصويب من ابن هشام .

وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿بَسْأَلُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ تَمَّتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَنَّةٌ يُسْأَلُوكَ كَأَنَّكَ خَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(١)﴾ .

وقال محمود بن سبحة ونعمان بن أضاء ، وبجزي بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن مشكم ، وفتاح ، وعبد الله بن صوريا ، وأبن صلوبا ، وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به حق من عند الله ؟ فإننا لا نراه متسقا كما لتسقى التوراة ؟ فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٢) «أما والله إنكم لتعرفون أنه

من عند الله ، تعبدونه مكتوبا عندهم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا به ما جاءوا به » فقالوا عند ذلك : يا محمد ، أما يملك هذا إنس ولا جن ؟

فقال : ^(٣) «أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأنى لرسول الله ، تعبدون ذلك مكتوبا عندهم في التوراة » قالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه

ما يشاء ، ويفسر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء تقرأه ونعرفه ، ولا جنتك بمثل ما تأتي به . فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ لَنَبِّئَنَّ أَجْمَعَتِ

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٤)﴾ ، والظاهر : ^(٥) القرآن .

قال : وأنى رُبط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا محمد ، هذا الله خالق الخلق فمن خلقه ؟ فنضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

• (٢) سورة الإسراء ٨٨

• (١) سورة الأعراف ١٨٧

• (٣) في ابن هشام : « أنى رسول الله » .

- حتى أَنتَقِصَ لَوْنُهُ، بقاءه جبريل عليه السلام قَسَّصَتْهُ، فقال : خَفَضَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٢)، فلما تلاها عليهم قالوا : فصف لنا كيف خلقه ؟ كيف ذراهه ؟ كيف عضده ؟ فنضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، فأناه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله بجواب ما سأله فقال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٣)، وكانت سؤالات يهود وصفتهم وبغيتهم وتعريفهم وتبديلهم كثيرة، قد نطق بذلك كله القرآن، وجاء بألفاظ عليهم وبكتبيهم وتعريفهم، ثم سلط الله عليهم المسلمين، وحكم لهم بنوهم فقتلهم وأجلهم وأسألوهم شأفتهم، وأسروا وسبوا منهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الغزوات والسرايا، فلما إيسوا وأبلسوا عبدوا إلى تقييلات آخر من السحر والسحر.

- ذكر ما ورد من أن يهود صحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية سنة ست من مهاجرة، ودخل الحرم سنة سبع، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة من يظهر الإسلام وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم اليهودي حليف بني ذريق، وكان ساحرا، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر والسوم، فقالوا له : يا أبا الأعصم أنت أصغر منا، وقد تعمرنا هذا، فسحره منا الرجال والنساء فلم تصنع شيئا، وأنت

(٢) سورة الإخلاص

(١) أنتق لون : تغير

(٣) سورة الزمر ٦٧

ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأُجِلَّ، ونحن نجعل لك على ذلك
 جُعلا على أن تسحر لنا سمرا يتكوه، ففعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعمد إلى مشط وما يُمسَّط من الرأس من الشعر
 فعمد فيه عُمداً وقفل فيه ثغلا، وجعله في جُفِّ طُلعةٍ ^(١) ذكر، ثم انتهى به حتى جمعه
 تحت أُرعوفة البئر، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرا أنكره، حتى يُجَبِّلَ
 إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دلَّه الله على ذلك، فدعا جُبَيْرَ
 ابنِ إياس الزرقى وكان ممن شهد بدرا فدلَّه على موضع في بئر ذُرَّوان تحت أُرعوفة
 البئر، فخرج جُبَيْر حتى استخرجه، ثم أرسل إلى ليث بن الأعصم، فقال: "ما حملك
 على ما صنعت، فقد دُلِّي الله على صمرك وأخبرني بما صنعت؟" فقال: "حب الدنانير
 يا أبا القاسم. قال محمد بن سعد، قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمن
 ابن كعب بن مالك بهذا الحديث، فقال: إنما سمعه بنات أعصم أخوات ليث،
 وكُنَّ أُمَّهم من ليث وأُخْبِتْنَ، وكان ليث هو الذي ذهب به فأدخله تحت أُرعوفة
 البئر، قال: فلما عمَّدوا تلك المقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة
 بصره، ودس بنات أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة تفقيرتها عائشة - أو سمعت
 عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره - ثم خرجت إلى
 أخواتها وإلى ليث فأخبرتهم، فقالت إحداهن: إن يكن نبيا فسيُخْبَر، وإن يك

(١) في الأصل: « راجلا » وهو مخربف، والتصويب عن ابن سعد .

(٢) الجف: وما الطلع، وهو اللثاء الذي يكون فوقه . و « ذكر » صفة جف .

(٣) الأرملة والزاهرة: حمزة ترك في أسفل البئر إذا حفرته، تكونت ثائلا، فإذا أرادوا

تنقية البئر جلس المنن طليا . وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المنن عليه .

(٤) في الطبقات: « دلَّه الله عليه » .

(٥) بئر ذُرَّوان: بالمدينة في بيتان بن زريق من اليهود .

غير ذلك فسوف يذهب هذا السحر حتى يذهب عقله ، فيكون بما قال من قومنا وأهل ديننا . فله الله عليه :

- وفي الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم
 حَصِرَ ، ^(١) حتى كان يجيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه ، حتى إذا كان ذات يوم
 رأيته يدعو ، فقال : ^(٢) « أَشْعَرْتُ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَتَانِي فَمَا أَسْتَنْتِيهِ ، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ
 أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي » ، فقال أحدهما : ما وجع الرجل ؟
 فقال الآخر : مَغْلُوبٌ ، فقال : من طَبِّهِ ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فم ؟
 قال : في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ ، قال : فإين هو ؟ قال : في ذِي
 ذَرْوَانَ ، فإناطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع أخبر عائشة فقال : « كَأَنَّ
 نَحْلَهَا رَعُوسَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نَقَاعَةُ الْحَيَاءِ » ، قالت فقلت : يا رسول الله ،
 فأخرجته للناس ، قال : ^(٣) « إِنَّمَا وَاللَّهِ قَدْ شَفَانِي ، وَتَجَشَّيْتُ أَنْ أَتُورَعَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا » .
- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مرض رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأخذ ^(٤) عن النساء وعن الطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان وهويين النائم
 واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال : أحدهما لصاحبه :

- (١) دله : حميره وأدمته . وفي الأصل « دله » ، وهو مصحف .
 (٢) في الطبقات : « حصره » .
 (٣) اشعرت : أحللت . والخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها .
 (٤) المني : أجايف عما سألته عنه .
 (٥) مطرب : مسحور ؛ مبر عن السحر بالطلب كما صيروا عن الدينغ بالسلم تفاؤلا .
 (٦) في الصحيح : « في بَرْدَرِوَان » ، وما رواه يان .
 (٧) قال القسطلاني : « المشر تذكر السحرة وتطيه ، وهو من باب ترك المصلحة خوفاً من العسدة » .
 (٨) أخذ : حبس بالسحر .

ما شكواه ؟ قال : طَبَّ — يعني حُجِرَ — قال : ومن فعله ؟ قال : لَيْبِدُ بْنُ أَعْقَمَ
اليهودي ، قال : فَنَى أَي شَيْءٍ جَمَلُهُ ؟ قال : فِي طَلْعَةِ ، قال : فَأَيْنَ وَضَعَهَا ؟
قال : فِي بئرِ ذُرْوَانَ تَحْتَ صَخْرَةٍ ، قال : فَمَا شَفَاؤُهُ ؟ قال : تُرْجِعُ البئرَ ، وَتُرْفَعُ الصخرةُ
وَتُستخرجُ الطَّلعةُ . وَارْتَفَعَ الملكان ؛ فَبَعَثَ النبي صلى الله عليه وسلم إِلَى عليٍّ وَعَمَّارٍ
فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا الرَّكْبَ فَيَفْعَلَا الَّذِي سَمِعَ ، فَأَتَيَاهَا وَمَاؤُهَا كَانَهُ قَدْ خُضِبَ بِالْحِنَاءِ
فَتَرَحَّاهَا ، ثُمَّ رَفَعَا الصخرةَ فَأَنْجَبَا طَلْعَةً ، فَإِذَا فِيهَا إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً ، وَزَلَّتْ
هَاتَانِ السُّورَتَانِ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، فَعَمِلَ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا قَرَأَ آيَةَ أَنْجَلَتْ عُقْدَةً ، حَتَّى أَنْجَلَتْ الْعُقْدَ ، وَأَنْتَشَرَ
نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلنِّسَاءِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَا رَسُولَ اللَّهِ صلى
الله عليه وسلم بِشَأْنِ السَّحْرِ ، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ لَيْبِدًا ، فَأَعْتَرَفَ لِمَعَا عَنهُ ،
رَوَى عَفْوُهُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ ، قَالَ عِكْرَمَةُ : ثُمَّ [كَانَ] يَرَاهُ بَعْدَ عَفْوِهِ فَيَعْرِضُ
عَنْهُ . وَحَيْثُ ذَكَرْنَا حَدِيثَ السَّحْرِ فَلَا بَأْسَ أَنْ نَضْمِلَهُ بِالْكَلَامِ عَلَى مَشْكَاهُ .
وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

ذِكْرُ الْكَلَامِ عَلَى مَشْكَالِ حَدِيثِ السَّحْرِ

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْقَاضِي عِيَّاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَّاشٍ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : هَذَا
الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحْخِهِ ، وَقَدْ صُلِّحَتْ فِيهِ الْمُلْحِدَةُ ، وَتَدَرَّجَتْ بِهِ لِسَخْفِ
عَقُولِهِمْ . وَتَلْبِيهِمْ عَلَى أَمْتَالِهِمَا إِلَى التَّشْكِيكِ فِي الشَّرْعِ ، وَقَدْ تَرَاهُ اللَّهُ الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ
صلى الله عليه وسلم عَمَّا يُدْخِلُ فِي أَمْرِهِ نَفْسًا ، وَإِنَّمَا السَّحَرُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ

(١) قَالَ فِي نَفْسِهِ : « كَوْنُ الْخَطِّ عَنِ السَّحْرِ تَهْلُكًا بِالْإِلهِ » ، كَمَا كُنَّا عَنْ الْهَدْيِ فَقَالُوا : « سَلِمَ » .

(٢) الْإِسْلَامُ مِنْ نَفْسَاتٍ .

- وعارض من اللعل يجوز عليه كالأعراض ، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله^(١١) في شيء من تبليغه وشريعته ، ويقدح في صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصيته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروء عليه في أمر دنياء التي يبعث بسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور ما لا حقيقة له ، ثم يجعل عنه كما كان .
- وأيضاً فقد فسر هذا الحديث الآخر من قوله : " حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهم " . وقد قال سفيان^(١٢) : وهذا أشد ما يكون من السحر ، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول ، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله ، وإنما كانت خواطر وعيالات . وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل لشيء أنه فعله ، وما فعله لكنه تخيل لا يستقد محتمة ، فتكون اعتقاداته كلها على السداد ، وأقواله على الصحة . قال : هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث . قال : لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل أجل وأبعد من مطاعين ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما : سحر يهود بن زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بفعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسكر بصره . ثم دله الله على ما صنموا ، فأستخرجه من البئر .

١٤٢
١٤

- فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يسلط على ظاهره وجوارحه ، لا على قلبه واعتقاده وعقله ، وأنه إنما أتى في بصره ، وحسبه عن وطء
- (١) الاغلة : القصة والريب والفساد . (٢) هرازين مينة كما صرح به في سنده .
في البخاري . (٣) أي ما أبصره ، أو ينكر نفس رؤيته فأنكر السحريه (شرح الشفاء) .

نسائه ، ويكون معنى قوله : " يخجل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن " ، أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء ، فإذا دنا منهن أسابته أخذته بالسحر ، فلم يقدر على إتيانهن ، كما يعقري من أخذ وأعترض ، قال : ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر . والله أعلم بالصواب .

ذكر خبر الشاة التي سم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ذلك في غزاة خيبر ، بعد أن أنتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وذلك أنه لما أنتح خيبر وحصونها وأطماق ، أهدت إليه زينب ابنة الحارث
أمرأة بسلام بن مشكم وهي ابنة أنس مَرْحَبُ الذي إدرى يوم خيبر ، وقتل — على
ما نذكره إن شاء الله — شاة مَصْلِيَّة ، وقد سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، وأكثرت فيها السم ، ثم تمت
سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول
الذراع ، فلاك منها مضفة فلم يسفها ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، فأخذ
منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاما بشر فأساغها ، وأما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلفظها .

وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة أنه صلى الله عليه
وسلم أساغها ، ثم قال لأصحابه : " أرفعوا أيديكم فإن كثيف هذه الشاة يخبرني أنها
قد بُيِّتُ فيها " ^(١) ، قال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي
أكلت ، لما معنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن انفصلك طعامك ، فلما أمتت

(١) الحديث في الدلائل منه : « يخبرني أن قد بُيِّت فيها » ، بُيِّت : طلبت ، من بني بني بئاء .

بالضم ، إذا طلب . (نهاية ابن الأثير) .

- ما في فيك لم أكن لأرغب بشعنى عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعترفت، فقال: "ما حلك على ذلك؟" قالت: بلغت من قوى ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً أسترحت منه، وإن كان نبياً فسبحر، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر بن البراء . والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها، قيل: سألها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها . والله تعالى أعلم .
- * * *
- وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه، فلنذكر هنا حوادث الستين بعد الهجرة خلا النزوات والسرايا والوفود، فإنا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما توقف عليه .

- ١٠ ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية على حكم الستين، من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما أسستيناه، وقدمناه

حوادث السنة الأولى

- فيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم بشهر . وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حين أرغل من قباء إلى المدينة، صلاها في طريقه بنى سالم على ما تقدم، وهي أول جمعة صلاها، وأول خطبة خطبها في الإسلام . وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ومسكنه، ومسجد قباء على ما تقدم . وفيها آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بخمانية أشهر، وقد تقدم ذكر ذلك . وفيها أسلم عبد الله بن سلام . وفيها ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة . وفيها مات أبو قيس كلثوم بن الملهد، وهو أول من مات من المسلمين بالمدينة . ومات سعد بن زُرارة أبو أمانة . وفيها أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها .

حوادث السنة الثمانية

١٤٣
٤٤

في هذه السنة توفيت رُقيّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيدو، وتوفي عثمان بن مظعون بعد [رجوع] رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر وشهدا عثمان . وفيها صُرفت القبلة .

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

وما تكلم به اليهود وما أنزل الله تعالى في ذلك من القرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة يصلي إلى بيت
المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، كما ورد في صحيح البخاري وغيره .
وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، فقال : " يا جبريل وددت أن الله تعالى
صرف وجهي عن قبلة يهود "، فقال جبريل : إنما أنا عبد فأدع ربك وسله .
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء،
فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

قال محمد بن سعد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر

في مسجده بالمسامين، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فأستدار إليه، ودار معه
المسامون، قال ويقال : بل زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء
ابن معرووف بن سُلَيمَة، فصنعت له طعاما، وحانت الظهر، فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة، فأستدار إلى الكعبة،
واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجد القبلتين، وذلك يوم الاثنين للنصف من
شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من هجرته صلى الله عليه وسلم .

وروى البخاري - أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة العصر، وصل معه قوم، فخرج وجعل من كان صلى معه، فتر على أهل المسجد وهم راكعون، قال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت .

- قال ابن إسحاق : ولما صُرِفَت القِبْلَةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة ابن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج ابن عمرو ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكانه بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقالوا : يا عهد ، ما ولّاك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت ترم على ملّة إبراهيم ودينه ؟ أرجع إلى قبلك التي كنت عليها [تَبَكُّك] وتصدّقك - وإنما يريدون فتنه من دينه - فأنزل الله : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَتَدَيَّ مِنْ يَسَارِهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى حَقْبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّفٌ رَحِيمٌ) ،
- أى إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، وأتباعكم إياه إلى القبلة الأخرى . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِخُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ
الْمُخْذَلِينَ (١) . والله أعلم ،

ذكر خبر الأذان

١٤١
١٤

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع بن جبير، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم،
وسعيد بن المسيب ، قالوا : كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن
يؤمر بالأذان ينادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : « الصلاة جامعة » فيجتمع
الناس فلما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة أُمِرَ بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أتمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة (٢)، فقال
بعضهم : البوق ، وقال بعضهم : الناقوس ، فبينما هم على ذلك إذ نام عبد الله
ابن زيد الخزاز حياً، فأرى في المنام أن رجلاً مَرَّ وعليه ثوبان أخضران وفي يده
ناقوس ، قال فقلت : أتبيع الناقوس ؟ قال : ماذا تريد به ؟ فقلت : أريد أن
أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال : فانا أحدثك بخير لكم من ذلك ؛
تقول : الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى صلى
الصلاة، حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله . فأتى عبد الله
ابن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « قم مع بلال فأتني
عليه ما قبيل لك ولْيُؤَذَّنْ بِذَلِكَ » ، ففعل . وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فقال : لقد رأيت مثل الذي رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فله الحمد »

(١) سورة البقرة ١٤٤ - ١٤٧ .

(٢) في الأصل : « رافع بن جبير » وهو صحيف، والتصويب عن ابن سعد، وتهذيب التهذيب .

(٣) في الأصل : « شيطا » وما أتبعناه من ابن سعد .

فذلك أئمت . قالوا : وأُذِّن بالأذان ويقى يُنادى في الناس : « الصلاة جامعة » ؛
للأمر يحدث ، فيحضرُونَ له يُحْبَرُونَ به ، مثل قَتَح يُقَرَأ ، أو أمر يؤمرُونَ به ،
فينادى : « الصلاة جامعة » ، وإن كان في غير وقت الصلاة . وقد قدّمنا خبر
الأذان من رواية علي بن أبي طالب في قصة الإسراء . والله أعلم .

- وفي هذه السنة فُرض صوم رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من
الهجرة ، وفُرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وفيها خُفِيَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكبشين ، أحدهما عن أمته ، والآخر من عهد وآله ، وفيها وُلِدَ النعمان بن بشير ،
وفيها أمرس علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورضى عنهما . والله أعلم

حوادث السنة الثالثة

١٠

فيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى
الله عنهما . وفيها توفى عثمان بن مظعون عند بعضهم . وفيها تزوّج عثمان بن عفان
رضى الله عنه أُمّ كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة . وفيها ولد
الحسن بن علي رضى الله عنهما في النصف من رمضان .

حوادث السنة الرابعة

١٥

فيها حُرِّمت الخمر في شهر ربيع الأول ، وقيل : حُرِّمت في السنة الثالثة .
وفيها صل رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع . وفيها
قُصِرَت الصلاة . وفيها وُلِدَ الحسين بن علي رضى الله عنهما . وفيها ماتت زينب
بنت نُزَيْمة الهلالية أم المؤمنين . وفيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمّ سَلَمَةَ

في شوال ، وتزوج زينب بنت جحش في ذى القعدة على الصحيح . ونهب
نزل المجاب .

ذكر نزول المجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب نزول المجاب مارواه البخاري عن ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن
مالك ، قال : كان أول ما أنزل المجاب في مَبْتَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش ، أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً ، فدعا القوم فأصابوا من
الطعام ، ثم خرجوا ، وبقي منهم رَهْطٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلوا
المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرج ونرجت معه كي يخرجوا ،
فبشي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه ، حتى جاء عَتَبَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،
ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خرجوا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورجعت معه حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا ، فرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى بلغ عَتَبَةُ عَجْزَةً عَائِشَةَ ، فظن أن قد خرجوا
فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، وأنزل الله المجاب ، فضرب بيني وبينه
سِتْرًا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ إِنْ كَانَ عِلْمُكُمْ غَيْرَ ظَاهِرِينَ إِنْهَاءٌ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِهُوا
وَلَا مُسْتَأْذِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُرْوَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۖ ﴾ الآية . وعن عُرْوَةَ بنت
الزبير أن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : كان عمر رضوان الله عليه يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أحجب نساءك يا رسول الله ، قالت : فلم يفعل . وكان أزواج

١٤٥
١٤

النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلاً إلى كَيْل قبل المتأصيع^(١) تفرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة، فرأى عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: عرفتك يا سودة — حرماً على أن يزل الحجاب — فأنزل الله [الحجاب]^(٢). وفي هذه السنة فُرِضَت الزكاة في المال.

حوادث السنة الخامسة

- فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ريمانة بنت زيد النضرية، وجويرة بنت الحارث المصطلقية، وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ"^(٣). وفيها ساقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخليل. وقد تقدم ذكر ذلك في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث في الجزء التاسع من هذه النسخة. وفيها كانت غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسِع. وحدث في هذه الغزوة وقائع نذكرها في هذا الموضع؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمم.

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع

وما قاله عبد الله بن أبي بن سلول المنافق

- قال محمد بن إسحاق: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المريسيع وهو ماء لبنى المصطلق^(٤) — في نزوله عن غزوته لإياهم، وودت وأردت الناس،

(١) المتأصيع (جمع متصع): معبد واسع أكرم المدينة جهة البقيع.

(٢) الزيادة من البخاري، وبالأصل بياض.

(٣) استعجب: طلب أن يحب أي يسترضى؛ تقول: استعجبته فأعجبني؛ أي استرضيته فأرضاني.

(٤) في الأصل: «والآراء» ولا معنى له.

(٥) بنو المصطلق: هم بنو جذية بن كعب؛ من خزاعة.

ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بنى غفارة، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه،
فأزدهم جهجاه ومستان بن وبرا الجهنى — حليف بنى عوف بن الخزرج — على
الماء، فاقْتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر
المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبى، وعنده رطل من قومه، فبهم زيد بن أرقم —
غلام حدث — فقال: أَوْ قَدْ فَعَلُوها! قَدْ نَافَرُوا وَكَافَرُوا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعْدَا
وَجَلَايِبَ قَرِيشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كُكُّكُ، أَمَا وَاقَهُ لَنْ
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثُمَّ أَجْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ
وَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ! أَحَلَّتُمْوهم بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمْوهم أَمْوَالَكُمْ، وَاللَّهِ
لَوْ أَسْكَمْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لِتُحْوِلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. قَالَ: فَشَى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ
عُمَرُ: مَرَّ بِهِ عِبَادُ بْنُ يَسْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَفَيْكَ
يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ عَدَا يُقْتَلُ أَصْحَابَهُ! لَا، وَلَكِنْ أَذْنُ بِالرَّحِيلِ"، فَأَرْتَحِلَ
النَّاسُ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا، وَجَاءَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
أَبِيٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَ بَاغِهِ: مَا قُلْتَ مَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ
عَنِّي. وَمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَصَى أَنْ
يَكُونَ الْغُلَامُ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، وَلَمْ يُحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ.

فَلَمَّا اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقِيَهُ أُتِيْدَ بِنِ حُضْبِرٍ فَقَالَ: يَا نَجِيَّ
اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحَّتْ فِي سَاعَةٍ مَنَكْرَةٌ مَا كُنْتُ تَرَوْجُ فِي مِثْلِهَا. قَالَ: "أَوْ مَا بَلَغَكَ

(١) جلايب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين؛ فقيم بذلك المشركون، وأصل الجلايب:

الأزراة الغلاط، وكانوا يلتحفون بها، فلقبهم بذلك.

(٢) في الأصل: «أحلتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم»، وما أتيتاه من ابن هشام.

« قال صاحبكم ؟ » قال : « أى صاحب ؟ » قال : « عبد الله بن أبي » قال ، وما قال يا رسول الله ؟ قال : « زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرنة منها الأذل » قال : فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإث قومه لينظّمون له . انخرز ليتجوه ، فإنه ليرى أنك استلبته منك . قال : ثم متن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذاك حتى أسمى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى أخذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا مس الأرض فوقوا نياما . قال : وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان من عبد الله بن أبي . »

قال : ثم هبت ريح شديدة تحوفاها الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار » . فلما قلعوا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن النابوت أحد بني قبيصاع — وكان من عطاء يهود ، وكهفها المنافقين — مات ذلك اليوم . »

ونزلت السورة التى ذكر الله تعالى فيها المنافقين فى آية أبي ومن قال بقوله ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : « هذا الذى أوفى الله بأذنه » . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ما كان من أمر أبيه . فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه . فإني كنت فعلا فرقي به فانا أحمل إليك رأسه ، إني أخشى أن تأمر غيرة فيقتله فلا تدعنى . فإني أنظر إلى قاتل عبد الله يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل

٢٠ (١) من الناس : أى ما يريهم يومه أجمع .

(٢) فى الأصل : « آذنه » ؟ وما أتيناك عن آية هشام .

النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترقق به وتحسن صحبته ما بق معنا"، وكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويستقونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بقتله ذلك من شأنهم : "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قتل لي أقتله لأزددت^(١١) [له] أنف لو أمرتها اليوم [بقتله] لقتلته^(١١)"، فقال عمر: قد واقه عابت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

✱ ✱ ✱

ومن الحوادث في هذه الغزوة حديث الإفك .

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما ١٠ هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسير، فمنهم من زاد فيه زيادات كثيرة، وذكر محامل من تحامل في أمر الإفك، وتعصب من تعصب، فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضى أن يصير في نفس من سمعه من أهل السنة شيئاً ممن تكلم عليه بما تكلم، ولعل ذلك لم يقع، فرأيت أن أقصر منه على ما ثبت في صحيح البخارى، وأتصل لنا بالرواية الصحيحة، وذكرت زيادات ذكرها ابن إسحاق - رحمه الله - ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرر فيه، نهت عليها بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنبداً بحديث البخارى^(١٢) :

١٤٧
١٤

حدثنا الشيخان المسندان المعمران؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى - الجبّار، وسيت الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضى شمس الدين عمر ابن أسعد بن المنجا التتوخية الدمشقيان قراءة عليهما وأنا أسمع، بالمدرسة المنصورية ٢٠

- التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزية، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة،
قالا : حدثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى
الزبيدي، في سؤال سنة ثلاثين وسبعمائة، بدمشق بالجامع المظفرى بسفح جبل
قاسيون، قال : حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قراءة
عليه ونحن نسمع ببغداد، في آخر سنة اثنتين وأول سنة ثلاث ونحسين وسبعمائة،
قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي في سؤال
وذي القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن حويه السرخسي في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف بن مطر الفرزي بفرسنة ست عشرة وثلاثمائة، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قراءة عليه بتهريز سنة ثمان وأربعين ومائتين،
وحرره في سنة آتنتين ونحسين، قال : حدثنا يحيى بن بكير، قال : حدثنا الليث عن
يونس عن ابن شهاب، قال : أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب،
وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لما أهل الإنفاك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا،
وكل حديث طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضها، وإن كان
بعضهم أوعى له من بعض، الذي حدثني عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم، أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج

(١) السجزي : نسبة إلى مجستان مل غير قياس، وفي الأصل «المتجري» وهو تصحيف.

(٢) في الأصل «الداودي»، ومقرناه عن السماقي.

(٣) فربر : بلد قريب بجاري.

أفرع بين أزواجه، فأُتيهنَّ نخرج سهمها نخرج^(١) [بها] رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأفرع بيثنا في غزوة غزاها نخرج سهمي، نخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الجحباب، فأنا أُحمل في هودجٍ وأُنزل فيه، فمرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تلك وقفل، ودنونا من المدينة قاطلين، أذن ليلة بالرحيل، فقممت حين آذنوا بالرحيل، فشيئت حتى جاوزت الجليش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رجلٍ فإذا عَقْدِي من جَزَع ظفار قد أُنقطع، فألتصت عَقْدِي وحسني أبتاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرملون لي، فأحتملوا هودجِي فراحلوه على بعيري الذي كنتُ ركبتُ، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفَافاً لم يُثقلهنَّ اللحم، إنما تأكل المَلَقَة من الطعام، فلم يستنكر القوم خِفَةَ الهودج حين رفعوه، وكنتُ جارية حديثة السن، فبمشوا الجبل وساروا، فوجدتُ عَقْدِي بعدما أستمز الجليش، بفتتُ منازلهم وليس بها داج ولا عيب، فأملتُ منزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فيها أنا جالسة في منزلي غليتي صني فتمتُ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الدمشقي من وراء الجليش، فأذبح فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرلني حين رأيته، وكان يراني قبل الجحباب، فأستيقظتُ باسترجاعه حين عرلني، ففكرتُ وجهي يجلباني، ووالله ما كللتني كلمة، ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحته، فوطئ علي يدها فركبتها، فأنتطلي يقود بي الراحلة حتى أتينا الجليش

(١) الزيادة من البطاري . (٢) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة .

(٣) الجوزع : نمرض معروف في سواده كالبروق . ونقله : مدينة باليمن . ويروي « أظفار »

بالهزة المقترحة وسكون الفاء . (٤) الفتحة ككرة : تقليل .

- بعدما نزلوا موعريرين في شحر الظهيرة : فتهلك من هلك . . وكان الذي تولى الإنفك^(٢) عبد الله بن أبي بن سلول . . فقلعنا المدينة ، فاشتكت حين قدمت شبرا ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإنفك ، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني في وجعي ؛ أتى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى ، إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم ينصرف ، فذلك الذي يريني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما تقهت ، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع . . وهو مبرزنا . وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز [قيل]^(٣) الفائط . . فأطلقت أنا وأم مسطح ، وهى بنت أبي رهم بن عبد مناف ، وأما بنت حمير ابن عامر خالة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وأبنا مسطح بن أثانة ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل يتي قد فرغنا من شأننا ، فمترت أم مسطح [في مرطها]^(٤) ، فقالت : نيس مسطح ؛ فقلت لها : بئس ما قلت : أنسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ ! قالت : أى هتاه ، أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإنفك ، فأزددت مرضا عل مرضى ، قالت : فلما رجعت إلى بيتي ، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « كيف تيك » ؟^(٥) فقلت : أتأذن لي أن أتى أبوي ؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ؛ قالت : فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغت أبوي ،

$$\frac{148}{14}$$

(١) موعريرين : داخلين ، وبحر الظهيرة : هو حين تبلغ الشمس منهاها من الارتفاع .

(٢) أى بسبب الإنفك . (٣) يريني (فتح أوله ويضه) : أى يشككني ويومئني .

(٤) زاد البخاري بعد هذا : « ثم يقول كيف تيك ... الخ » .

(٥) الزيادة عن البخاري .

فقلت لأخي : يا أختاه ، ما تحدثت الناس ؟ قالت : يا بُنَيَّة ، هوئي عليك ،
فوالله لقدما كانت امرأة قَطُّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن
عليها ، قالت فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدثت الناس بهذا ؟ ! قالت : فبكيت
تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكمعل بنوم حتى أصبحت أبكي ،
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله
عنهما حين استلبت الوحي يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فاما أسامة بن زيد ،
فأشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم
في نفسه من الوُدِّ ، فقال : يا رسول الله ، أهلك وما نعلم إلا خيرا . وأما علي بن
أبي طالب — رضي الله عنه — فقال : يا رسول الله ، لم يُضَيِّقْ الله عليك ، والنساء سواها
كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك : قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ،
فقال : ” أي بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ “ قالت بريرة : لا والذي بهتك
بالحق ، إن رأيت عليها أمرا أغمضه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن
عجبن أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من
عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر :
” يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه في أهل يثرب ! فوالله
ما علمتُ على أهل إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمتُ عليه إلا خيرا ، وما كان

- (١) لا يرقأ : لا ينقطع . (٢) الوحي : بالرفع فاعل ؛ أي طال ليث زوره ، وضهد
بالنصب على أنه مفعول به ؛ أي استلبت النبي صلى الله عليه وسلم الوحي .
(٣) في الأصل : « كثير من تسأل ... الخ » ، وما أجتهد عن البخاري .
(٤) إن رأيت : ما رأيت . وانغمضه : أغمضه .
(٥) الداجن : الغاة التي تألف للبهوت ولا تخرج إلى المرقع .
(٦) من يعذرنى : من يقوم بعذري إن كافأته عن فيج نده ، ولا يلومني ! أو من يعصمني !

- يَسْئَلُ عَلَى أَهْلِ الْإِمَامِ . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله ، أنا أُعَذِّبُكَ مِنْهُ ؛ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتُ أَنْ نَفْعَلَا أَمْرَكَ . قالت : فقام سعد بن حَبَّادَة وهو سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنْ اِمْتَلَتْهُ الْحَبِيَّةُ . قَالَ لِسَعْدِ : كَذِبْتَ ، لَعَنَ اللَّهُ لَا تَقْتُلُهُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ ، وَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ — وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ — فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ حَبَّادَة : كَذِبْتَ لِمَرَّةٍ لِقَتْلِهِ ، فَوَازَكَ مَنَافِقَ تَجَادَلُ عَنِ الْمَنَافِقِينَ . فَتَنَاورَ الْحَيَّانُ : الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى مَاتُوا أَنْ يَهْتَمُّوا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْفَظُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ .
- قَالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمَ ذَلِكَ لَا يَرِقَا لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَمِلُ بَنُومٌ ، قَالَتْ : وَأَصْبَحَ أَبُو بَرٍّ عِنْدِي ، وَقَدْ بَكَيتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَمِلُ بَنُومٌ وَلَا يَرِقَا لِي دَمْعٌ ، يَظُنُّ أَنَّ الْبَكَاءَ فَالِقُ كَيْدِي ، فَقَالَتْ : فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَمْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَادْنَتْ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِيَ ، قَالَتْ : فَبَيْنَا نَخْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قَبْلِ مَا قَبِلَ قَبْلَهَا ، وَقَدْ لَبِثْتُ شَهْرًا لَا يَوْسَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي ، قَالَتْ : فَتَشْهَدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : ” أَمَا بَعْدَ يَا عَاشَةَ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَّغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسِيرْتُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمِيتِ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصْرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ “ .
- قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَاتِلَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ ، قَالَ : وَاقَّة

١١٨
١٤

ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأخي : أجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقز في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت بأمر الله يعلم إني بريئة منه لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف ، قال : (^(١) فصبوا جيسل والله المستعان على ما تصفون) . قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم إني بريئة ، وإن الله يبرئني براءتي ، ولكن والله ما كنت أعلم أن الله منزل في شأني وحيا ، بل ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر بل ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رأيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما يأخذه من البرءاء ^(٢) ، حتى إنه ليتحد منه مثل الجمان ^(٣) من العرق — وهو في يوم شات — من يقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة ، أما الله لقد برأك » ، فقالت أختي : قومي إليه ، قالت فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله من وجل ، وأنزل الله تعالى : (^(٤) إنا الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل أمري منكم ما آتيت من الأنبياء والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . ^(٥) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين . ^(٦) لولا جاءوا عليه ربابة شهداء

(١) ما رام : أي ما فارق . (٢) البرءاء : العرق من شدة نقل الروح .

(٣) الجمان : القز .

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقَوْهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ^(١) ، قَالَتْ حَانِثَةُ : فَلِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا فِي بَرَاءَتِي ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يَنْفَقُ عَلَى يَسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ وَفَقَرِهِ : وَاللَّهِ لَا أَتَفَقُّ عَلَى يَسْطَحِ شَيْئًا أَبَدًا .

١٠ . بعد الذي قال حانثَةُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — مَا قَالَ ، فَانْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

(وَلَا يَأْتَلِي أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْتُمْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُجَاهِدُوا وَلْيَصْغَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا وَاللَّهِ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى يَسْطَحِ النِّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفَقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَزْعُجُهَا مِنْهُ أَبَدًا . قَالَتْ حَانِثَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِى فَقَالَتْ : ^٢ « يَا زَيْنَبُ ، مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتَ ؟ » ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْمَى سَمِىَ وَبَصْرَى ، مَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا ، قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِيْنِي ^(٣) مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَحَّحَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفِيفَتْ أَخْبَتَهَا حَنَّةٌ مُحَارِبٌ لَهَا ، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِسْلَامِ . أَنْتَهَى حَدِيثُ الْبُخَارَى .

(١) سورة النور ١١ — ٢٠ (٢) سورة النور ٢٢

(٣) تسامى : أى تضاهى ، وتفاخرت بها لما ومكاتبته عند النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى حُريرة بن الزُّبير ، وعبد الله
 ابن عبد الله بن حُثَيْبَة ، وعبد الله بن الزُّبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، كلهم يُحدث
 عن عائشة — رضى الله عنهم — بنحو هذا الحديث ، وزاد فيه من قول أسامة
 ابن زيد ، فأتى خيرا ، وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا تعلم إلا خيرا ،
 وهذا هو الكذب والباطل . قال : وأما علي بن أبي طالب فإنه قال : يا رسول الله ،
 إن النساء لكثير ، وإنك لتأدرى أن تستخلف ، وأسأل الجارية لأنها ستصدقك .
 قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـريرة يسألها ، فقام إليها علي بن أبي طالب
 فضربها ضربا شديدا ، وقال : أصدق رسول الله ، وساق نحو ما همم .
 وقال في خبر الوحي : قالت فو الله ما يروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه
 حتى يتبشَّاه من الله ما كان يتبشَّاه ، فسُجِّي بشوْبه ، ووُضعت له وصاة من آدم
 تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت ما آتت فو الله ما فزعمت ولا باليت ، قد عرفت
 أني منه بريئة ، وإن الله غير ظالمى ، وإنما أبواى ، فواللهي نفس عائشة بيده .
 ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لصخرجن أنفسهما فزعا من
 أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . وساق الحديث بنحو ما تقدم . ثم قال : قالت
 ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخطبهم ، وكلام طيب ما أنزل عليه
 من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثينة ، وجنان بن ثابت ، وحنيفة بنت
 جهمش ، وكانوا ممن أصبح بالفاخشة فضرىوا حنم ، فقال رجل من المسلمين
 في ذلك :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله * وحننة إذ قالوا قبيهاً ومسطحاً^(١)
 فطافوا برجم النيب زوج نبيهم * ونحطة ذى العرش الكريم قاتل حوا^(٢)

(١) الحبيب : النعمش من القول . (٢) الحرم : القن ، وأزحوا : أبحوا .

وَأَذْنُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا بِفُكُلَا • تَحَارَى تَبَنَى عُمُومَهَا وَفُضُّعُهَا

وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ مَحْصَدَاتُ كَانَهَا • شَايِبٌ قَطْرٍ مِنْ دُرَى الْمَرْزَنِ تَسْقَعُ^(١)

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح - وهو عوف بن أمانة بن جباد

ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر

خالة أبو بكر الصديق . قال : وذكر الأُموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال .
أبو بكر يذكر مسطحا :

يَا عَوْفُ وَيَحْكَ هَلَّا قَلَّتْ عَارِفَةٌ • مِنْ الْكَلَامِ وَلَمْ يُتَبِعْ بِهَا طَمَعًا

وَأَدْرَكَكَ حُبًّا مَمَّشِيرٌ أُنْف • وَلَمْ تَكُنْ قَاطِعًا يَا عَوْفُ مِنْ قِطْعًا

هَلَّا حَرِثْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ إِذْ حَسَدُوا • فَلَا تَقُولُ وَلَوْ عَايَنْتَهُ قَدَمًا

لَمَّا رَمَيْتَ حَصَانًا غَيْرَ مُقَرَّبَةٍ • أَمِينَةَ الْحَبِيبِ لَمْ نَعْلَمْ لَهَا خَطَمًا

فِيمَنْ رَمَاهَا وَكُنْتُمْ مَمَّشِرًا أَفْسَا • فِي مَوَى الْقَوْلِ مِنْ لَفْظِ الْحَنَاءِ شَرَمًا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا فِي بَرَامَتِهَا • وَبَيْنَ عَوْفٍ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا حَصَمَا

فَإِنْ أَحْسَ أَجْرٌ عَوْفًا عَنْ مَقَالَتِهِ • شَرُّ الْجَسَاءِ إِذَا أَلْفَيْتُهُ تَبَعًا

ولعل هذا الشعر إن صح عن أبي بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى :

(وَلَا يَأْتِيهِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) الآية . فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها :

والله إني أحب أن ينفر الله لي ، ورجع إلى مسطح الثقة التي كان ينفي عليه ،

وقال : والله لا أزعمها عنه أبدا .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار :

أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ألا تسمع ما يقول

(١) محمّدات : يعني سباطا بحكمة القتل شديداً . شايِب : جمع شوبوب ، وهو المنفعة من

الخط . والقرى : الأطلال . وتسقع : تسيل .

الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنيت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنيت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك . فلما نزل القرآن يذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإنك ، ثم قال : ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا)) ، أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه . قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت قال شعراً يعرض فيه بصفوان بن المفضل ، فاعترضه صفوان فضر به بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنْكَ لَأَنَّى • غَلَامٌ إِذَا هُوجِبْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان بن المفضل حين ضرب حسان بجمع يديه إلى عنقه بجمل ، ثم أنطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ! ضرب حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله ، فقال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد أجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان ، فقال صفوان : يا رسول الله ، أذاني وهجاني ، فغملي النضب فضر به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا حسان ، آتوهني على قومي أن هداهم الله للإسلام » ثم قال : « أحسن يا حسان في الذي قد أصابك » قال : هي لك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً عنها بئرحا — وهى قصر بنى حذيلة — كانت مالا لأبى طلحة وتصلق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه

١٥١
١٤

(١) قال السبيل : « معناه أما جعلك محجب ، تقول محبت من الشيء وأعجبني الشيء . إذا كان ذلك المحجب من مكره أو محبوب » . (٢) آتوهني على قومي : أقبحت ذلك من قلمهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله .

سيرين — أمة قَيْطِيَّة — فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لقد سُئِلَ عن ابن المعتل فوجدوه رجلاً حَصُورًا ما يأتي النساء ، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

وقال حسان بن ثابت يمتدح من الذى كان منه فى شأن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها :

- حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُرْتُ بِرِيَّةٍ * وَتُصْبِحُ فَرَقًى مِنْ لُحْمِ الْغَوَافِلِ ^(١)
حَقِيلَةُ حَمِيْنٌ لَوْىَ بْنِ غَالِبٍ * كِرَامُ الْمَاعِىِ عَجْدَمٌ غَيْرُ زَائِلِ ^(٢)
هَذَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا * وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ ^(٣)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ لَقِيتُ الَّذِي قَدْ رَزَمْتُمْ * فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى أَنَابِلِ
وكيف وودى ما حَيَّيْتُ وَتَصَرَّقُ * لَأَكِلَ رَسُولُ اللَّهِ زَيْنَ الْهَافِلِ ^(٤)
لَهُ رَتَّبُ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ * تَقَاعَصَ عَنْهَا سُورَةُ التَّنَابُلِ ^(٥)
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاطِيطٍ * وَلَكِنَّهُ قَبُولُ أَمْرِيَّ بِي مَا حِلِ ^(٦)

وقد روينا عن البخاري رحمه الله بالإسناد المتقدم ، قال : حدثنا محمد بن

يوسف ، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة .

- (١) الحصان : البقية . الرزان : الملازمة موضعها ، التي لا تنصرف كثيراً . ما تزن : أى ما تهم . غرى : جائنة . الغوافل : جمع غافل ؛ أى لا ترفع فى أعراض الناس .
(٢) القبة : الكريمة . الماعى (جمع سماء) : وهو ما يسي فيه من طاب المجد والكرم .
(٣) التيم : الطبع والأصل . (٤) السورة : الميزة ، والرتبة .
(٥) اللات : اللاتى واللاتق . (٦) كذا فى الأصل ، والذي فى ديوان حسان :
الدهر يمل قول أَمْرِيَّ بِي مَا حِلِ *

المحل المتنا ، بأنهم .

رضى الله عنها قالت : جاء حسان بن ثابت يبتأذن عليها ، قلت : أأأذنين لهذا ؟
قالت : أو ليس قد أصابه مذاب عظيم ؟ قال سفيان : تعني ذهاب بصره ، فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُرْنُ بِرِسَةٍ * وَنُصِيعُ غُرْقَى مِنْ لُحُومِ التَّوَائِلِ
قالت : لكن أنت^(١) .

وعن ميمون أيضا قال : دخل حسان على عائشة فشبب فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ ... البيت . قالت : لست كذلك ، قلت : تديمين هذا يدخل
عليك وقد أنزل الله : (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) ؟ قالت : وأي مَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى !
وقد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر خير التيمم

من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت في غزوة المريسيع ، ومنهم
من ذهب إلى أنها أنزلت في غيرها . روى أبو عبد الله محمد البخاري رحمه الله بسنده
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء — أو بذات الحليش — أقطع عقدي ،
فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ،
فاتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت
برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . فجاء
أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على نخذي قد نام ، فقال :

(١) إشارة إلى أنه أفتأنها في قصة الإفك .

(٢) المريسيع : ماء لتي خذاة به بين الفسح (بضم الفاء) والراء) سيرة يوم ، وهذه الغزوة
هي غزوة بني المصطلق . (المواهب) .

حَسِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ ، وَلِيسُوا عَلَى مَاءٍ ، وَلِيسَ مَعَهُمْ مَاءٌ !
فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَا تَنْتَئِي أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَعَلَ يَطْعَنُنِي بِسَدِّهِ
فِي خَاصِرَتِي ، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
تُخَذِي ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ
التَّيَمُّمِ تَتِمُّمُوا ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضَيْرِ : مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ .
قَالَتْ : تَبِعْتُنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَصْبَحْنَا الْمَقْدَحَ تَحْتَهُ .

١٥٢
١٤

حوادث السنة السادسة^(١)

فَهِمَا كَانَتْ غَزْوَةُ الْحُدَيْيَةِ ، وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ ، وَهَدَنَةُ قُرَيْشٍ ، حَلِي مَا نَذَكَرُ
ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْغَزَوَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَفَهِمَا حَقَّطَ النَّاسُ ، فَاسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فُسُقُوا ، وَفَهِمَا هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومُ .

ذِكْرُ هِجْرَةِ أُمِّ كَلثُومَ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هِجْرَةِ النِّسَاءِ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْحُدَيْيَةِ ، بَعْدَ أَنْ حَلَّتِ
الْمُدَّةُ ، وَتَقَرَّرَتِ الْقَضِيَّةُ ، وَكَانَ فِيهَا وَقَعَ عَلَيْهِ الصُّلْحُ : أَنَّهُ مِنْ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَيْتَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَرَدَّ مِنْ رَدِّ مَنْ رَجُلَا
المُسْلِمِينَ ، حَلِي مَا نَذَكَرَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْغَزَوَاتِ . ثُمَّ هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومَ بِنْتُ
عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، فَفَرَّجَ أَخْوَاهَا
عُمَارَةَ وَالْوَلِيدَ ، أَبْنَاءَ عَقْبَةَ ، حَتَّى قَدَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ أَنْ
يَرُدَّاهَا عَلَيْهِمَا بِالْمَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) فِي الْأَوَّلِ : « الثَّلَاثَةُ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ .

أَنْزَلَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ قَامَتَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنَّ عَلَيْهِنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَمَنْ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَتَوْهُنَّ مَا نَفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنْفِقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكِمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ قَاتَلْتُمْ شَيْءًا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ خَفَعْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ^(١) ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ لَذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِنَّ إِلَيْهِمْ إِنْ هُمْ رَدُّوا عَلَى الْمَسَامِينِ صَدَقَاتٍ مِنْ حَسَبِ مَا نَسَأْتُهُمْ .

قال ابن إسحاق : ولما أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ ﴾ ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طلق أمرأته قُرَيْبَةَ ابنة أبي أمية ابن المغيرة ، فزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وأم كلثوم بنت جبرول أم حبيد الله ابن عمر الخزازية ، فزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، وكانوا إذ ذاك على شركهم . والله أعلم .

[حوادث السنة السابعة ^(٢)]

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وصَفِيَّة بنت حُجَيٍّ بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية . وفيها أسلم أبو هريرة — وأمه في الجاهلية عمير بن حاصر بن عبد ذى الشَّرَى ، وفي الإسلام عبد الرحمن بن مضر الدؤسي ، وأسماؤه كثيرة بحسب ما ورد من اختلاف أقوال الرواة ، وقد صححوا ما ذكرناه ، والله أعلم — وعمران بن حصين . وفيها حرمت الحُرُّ الأهلية ، ومُتْعَةُ النِّسَاءِ

على ما نذكر ذلك إن شاء الله في غزوة خيبر . وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل إلى الملوك ، وقدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقدوقس بمارية بنت شمعون القبطية أم إبراهيم عليه السلام وأختها شيرين . وفيها قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان قد بقى من المهاجرين بأرض الخبشة ، وقد تقدم ذكرهم .

حوادث السنة الثامنة

فيها ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية . وفيها توفيت زليخ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها وهبت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يومها لعائشة رضى الله عنها حين أراد طلاقها . وفيها حُمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفه .

١٥٣
١٤

ذكر اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وخطبته عليه

روى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً ، فقال : " إن القيام قد شق على " ، فقال له تميم الداري : ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ؟ ، فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في ذلك ، فرأوا أن ينفذه ، فقال الباس بن عبد المطلب : إن لي غلاماً يهال له كلاب ^{١٥} أتمل الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مره أن يعمل " ، فأرسله إلى أخته بالنسابة فقطعها ، ثم عمل منها درجتين ومقعدا ، ثم جاء به فوضعه في موضعه [اليوم] ^(١) ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال : " منبري هذا على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبري رواتب في الجنة " . وعن سهل بن سعد

(١) الزيادة من ابن سعد .

وقد مثل عن ميثبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى عهد هو ؟ فقال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قلائنة - امرأة سماها - فقال : "مُصْرِي غلامك التجار يعمل لى أعوادا أكلم الناس عليها" ، فعمل هذه الثلاث درجات من طُرُق الغابة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى هذا الموضع . وقد رُوى عن بأقوم الرومى أنه قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبرا من طرفاء ، ثلاث درجات : القعدة ودرجتيه ، رواه عنه صالح مولى التُوَيْمَةِ ^(١) . حكاه أبو عمر فى ترجمة بأقوم . ولما أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كَانَتْ من حُصَيْن الحُدُوع ما تذكره إن شاء الله تعالى فى معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة أسلم عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، على ما نشرح ذلك .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ما حكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن العاص ، قال عمرو : لما أنصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رائي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلموا والله أنى أرى أمرا محمدا يعلو الأمور علوا متكبرا ، وإنى قد رأيت أمرا غائبا ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلقى بالتجاشى فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كما عند التجاشى ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا

(١) التوامة : هى بنت أمية بن خلف الجهمى ، وإنما قيل لها : التوامة لأنها كانت معها أخت لها فى بطن . (انظر أسد الغابة) .

- لرائى، قلت : فاجعوا ما يهدى له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الآدم ،
 بفمعتنا أذما كثيرا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن
 أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر
 وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم نرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن
 أمية ، ولو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانية فضربت عنقه ، فإذا فعلت
 ذلك رأيت قريش أنى قد أجزأت عنها ، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ،
 فقال لى : مرحباً بصديقى ، أهديت لى من بلادك شيئا ؟ قلت : نعم أيها الملك ، قد
 أهديت لك ألبما كثيرا ، ثم قربته إليه فأعجبه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد
 رأيت رجلا يخرج من عندك ، وهو رسول رجل عدولنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد
 أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فنفضب ، ثم مذىده فضرب بها أنفه ضربة
 ظننت أنه قد كسره ، فلو أنشقت الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم قلت له :
 أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألنى أن أعطيك
 رسول رجل يأتيه الباقوس الأكبر الذى كان يأتى موسى صلى الله عليه وسلم لتقتله !
 فقلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ، أظننى وأتبعه ، فإنه والله
 لعل الحق ، وليظهره على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال :
 قلت : أفتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام ،
 ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتهم إسلامي .

١٥٤
١٤

- ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيت خالد بن الوليد
 وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : لقد استقام المنيمن^(١) ،
 (١) استقام القسم : ساء بين الطريق وريح ، وقى الأصل : «المبسم» وقى ابن هشام «المبسم»
 والتصويب عن الخشني ، وابن الأثير .

وإن الرجل لنبي ، أذهب وأذهب فأسلم فحتى متى ! قال قلت : والله ما جئت إلا لأسلم ، قال : قدمدنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يتفرق لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر ، فقال : ” يا عمرو : بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها “ ، فبايعت ثم أنصرت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما .

حوادث السنة التاسعة

فيها آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه ، وأقسم ألا يدخل طيباً شهراً . وكان سبب الإيلاء ما رواه البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء ، وكان إذا أنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ففترت ، فسألت عن ذلك فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها حكة عسل ، فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت : أما والله لاحتال لي ، فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقول له : أكلت مفاير ، سيقول لك : لا ، فقول له : ما هذه الريح التي أجده ؟ فإنه سيقول لك : سقني حفصة شربة عسل ، فقول له : جرسن نحل العرط ، وسأقول ذلك ، وقول أنت يا صغية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على

(١) يجب : يقطع ويحرق . (٢) جرسن : أكلت ، يقال لنحل الجوارس ، والعرط :

شجر الطلح ، وله صمغ كزبة الرائحة ، فإذا أكلته النحل حصل في صلبها من ريحه .

الباب فأردت أن أبادته بما أمرتني به فرقاً منك . ومن رواية مسلم - قالت تقول
سودة : فوالذي لا إله إلا هو لقد كيدت أبادته بذلكي قيت لي . وإنه لم يلب الباب فرقاً
منك . قال البخاري : فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، أكلت مفاير؟
قال : " لا " قلت : فما هذه الريح التي أجده منك ؟ قال : " نسفتني حفصة شربة
عسل " فقالت : جرسست تحمله العُرقط ، فلما دار إلى قلت له نحو ذلك ، فلما دار
إلى صغيفة قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له : ألا أسقيك منه ؟ قال :
" لا حاجة لي فيه " قالت : تقول سودة والله لقد حرمتاه ، قلت لها : أسكتي .^(١)
وفي رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب
بنت جحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أنيتنا دخل عليها فقتلنا له :
أكلت مفاير ، إني أجده منك ريح مفاير ، قال : " لا ، ولكني كنت أشرب عسلاً
عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد حلفت لا أخبري بذلك أحداً " ، فأنزل
الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٢) .

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ،

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا معشر قريش قوما تغلب النساء ، فلما
قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطَفِقَ نساؤنا يتَمَلَّعن من نسايتهم ،
وكان متلى في بني أمية بن زيد بالعوالي ، فتغصبت يوماً على أمرائي ، فإذا هي
تُراجعي ، فأبكرت أن تراجعي ، فقالت : ما شكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم ليأرجعن ، ويهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، فانطلقت فدخلت

(١) حرمتاه : منعا من العسل . (٢) قلت لها أسكتي : أي قالت السيدة عائشة لسودة
أسكتي : فلا يظهر ما دبرته لحفصة . (٣) سورة التحريم آية ١

- ٩ على حفصة ققلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : نعم [نقلت : أنهجه إحدائكم إلى الليل ؟ قالت : نعم ، ققلت^(١)] : قد خاب من فعل ذلك منك وخسر ، أفتأمن إحدائكم أن يفضب الله عليها لفضب رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فإذا هي قد هلكت ، لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا ، وسئلي ما بدا لك ، ولا يفترق أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، يريد عائشة .

١٥٥
١٤

- ومن رواية البخاري قال : خرجت حتى دخلت على أم سامة لقرابتي منها فكلمتها ، فقالت أم سامة : عجبا لك يا بن الخطاب ! دخلت في كل شيء حتى تبغني أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجده . فخرجت من عندها .

- رجعنا إلى حديث مسلم . قال عمر : وكان لي جار من الأنصار فكنا نقاوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترل يوما ، وأنزل يوما ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك ، وكنا نتحدث أن غسان^(٢) تيعل الخليل لفسزونا ، فترل صاحبي ، ثم أتاني عشاء فضرب بائي ، ثم ناداني فخرجت إليه ، فقال : حدث أئمر عظيم ، ققلت : ماذا ، أجابت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ، طلق النبي صلى الله عليه وسلم نسائه ، ققلت : قد خابت حفصة وخسرت ، وقد كنت أظن هذا كائنا ، حتى إذا صليت الصبح شدت على ثيابي ، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي ، ققلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في هذه المشربة ، فأنيت غلاما له أسود ققلت : أستاذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرت لك له فصمت ، فأنطلقت

(١) الزيادة من صحيح مسلم ج ٤ : ١٩٣ . (٢) في مسلم : « لفسزونا »

حتى أتيتُ إلى المنبر فجلستُ ، فإذا عنده رَهْطٌ جلوس يبكي بعضهم ، بخلست قليلاً ثم غلبني ما أجد ، ثم أتيتُ الغلام فقلت : أستاذي لعمر ، فدخل ثم خرج إلى ، فقال : قد ذكرك له فصمت ، فَوَلَّيتُ مدبراً ، فإذا الغلام يدعوني ، فقال : أَدْخُلْ فقد أذن لك ، فدخلتُ فسألتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مُتَّكِئٌ على رُمْلٍ حَصِيرٍ قد أَتَرَفَ جنبه ، فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟
 ٥ فرفع رأسه إلى وقال : " لا " قلت : الله أكبر ، لو رأيَنا يا رسول الله ، وكنا معشر قريش قوما تغلب النساء ، فلما قَدِمْنَا المدينة وجدنا قوماً تغلب نساؤهم ، فطَلَّقَ نساؤنا يتعلَّمن من نساءهم ، فَغَضِبْتُ على أمرأتي يوما فإذا هي تراجعي ، فأنكرتُ أن تراجعي ، فقالت : ما تُنكران أراجحك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه ويهجره إحداهنَّ اليوم إلى الليل ، فقلت : قد خاب
 ١٠ من فعل ذلك منهنَّ وخير ، أفتأمن إحداهنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد دخلت على حَفْصَةَ فقلت : لا يُفَرِّقُكَ أن كانت جَارَتِكَ هي أَوْسَمَ مِنْكَ وأحبَّ إلى رسول الله منك ، فتبسم أخرى .

ومن رواية البخاري - قال عمر : فغصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أُمِّ سَلَمَةَ تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر التَّبَسُّمَ فيما قبلها .

قال مسلم في حديثه : فقلت أستاذي يا رسول الله ؟ قال : " نعم " بخلستُ فرفعتُ رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر

١٠ (١) رمل حصير : نسجه ، ليس له وطاء سواء .

(٢) المراد بهذه الكلمة الاستكثان في الأئس والمحادثة ، كما يستفاد من الشرح .

إلا أهباً ثلاثة، فقلت : أدع الله يا رسول الله أن يُوسِّعَ على أمتك ، فقد وسَّعَ على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً ثم قال : ” أفى شك أنت يا ابن الخطأب ، أولئك قوم مُجَلَّتْ لهم طيباتهم في الحياة الدنيا “ فقلت : أستغفرُ يا رسول الله ، قال : وكان أقسم ألا يدخل طيبن شهراً من شدة موجده^(٢) طيبن حتى عاتبه الله عز وجل .

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم — بدأ بي — فقلت : يا رسول الله ، إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً ، وإنك دخلت من تسع وعشرين ، أعتُفِرُ ؟ فقال : ” إنا الشهر تسع وعشرون “ ثم قال : ” يا عائشة ، إني ذاك لك أمراً فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمرى أبويك “ ثم قرأ على الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ فقالت عائشة : قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفساذه ، فقلت : أو في هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وفيها هدم رسول الله مسجد الضرار .

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن آخذه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضرار عند مُنْصَرَفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة

تبوك ، وكان أصحابه الذين بشوه آثني عشر رجلاً : وهم خذام بن خالد ومن داره نرج ، وطلحة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيشة بن الأزعر ، وعبد ابن حنيفة ، وجارية بن عامر ، وأبناء مجمع وزيد ، وتبطل بن الحارث ، ويحزج من بني ضبيعة ، ويحماد بن عثمان من بني ضبيعة ، وديعة بن ثابت ، فأثوا رسول الله

(١) الأهب : الجلود . (٢) الموجدة : الغضب . (٣) سورة الأحزاب آية ٢٨ — ٢٩

- صلى الله عليه وسلم وهو يجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، قد بنينا مسجدا
لدى العيلة والجماعة والمطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا نتصل بنا
فيه ، فقال : " إني على جناح سقر وحال شغل — أو كما قال صلى الله عليه وسلم —
ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه " فلما أقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل يذى أوان — بلد بينه وبين المدينة ساعة
من نهار — إناه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن النخشم
أخا بني سالم بن عوف ، وممن بن عدى ، أو أخاه حاصم بن عدى ، فقال :
" أظنك إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّاه " فخرجا سريعين حتى أتيا
بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن النخشم ، فقال مالك لمعن : انظرني حتى
أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل إلى أهله فأخذ سيفا من النخل فأشعل فيه نارا ،
ثم [خرجا] يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله لحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل
فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفَرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ
أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ .
أَلَمْ أُسَسِّ بُيَاتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِنْ أُسَسِّ بُيَاتِهِ عَلَى شِقَا
جُرْفٍ هَارٍ فَأَنَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُيَاتُهُمْ
الَّذِي بَنَوْا رِيسَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ١٧ ۝ ١٨ ۝ ١٩ ۝ ٢٠ ۝ ٢١ ۝ ٢٢ ۝ ٢٣ ۝ ٢٤ ۝ ٢٥ ۝ ٢٦ ۝ ٢٧ ۝ ٢٨ ۝ ٢٩ ۝ ٣٠ ۝ ٣١ ۝ ٣٢ ۝ ٣٣ ۝ ٣٤ ۝ ٣٥ ۝ ٣٦ ۝ ٣٧ ۝ ٣٨ ۝ ٣٩ ۝ ٤٠ ۝ ٤١ ۝ ٤٢ ۝ ٤٣ ۝ ٤٤ ۝ ٤٥ ۝ ٤٦ ۝ ٤٧ ۝ ٤٨ ۝ ٤٩ ۝ ٥٠ ۝ ٥١ ۝ ٥٢ ۝ ٥٣ ۝ ٥٤ ۝ ٥٥ ۝ ٥٦ ۝ ٥٧ ۝ ٥٨ ۝ ٥٩ ۝ ٦٠ ۝ ٦١ ۝ ٦٢ ۝ ٦٣ ۝ ٦٤ ۝ ٦٥ ۝ ٦٦ ۝ ٦٧ ۝ ٦٨ ۝ ٦٩ ۝ ٧٠ ۝ ٧١ ۝ ٧٢ ۝ ٧٣ ۝ ٧٤ ۝ ٧٥ ۝ ٧٦ ۝ ٧٧ ۝ ٧٨ ۝ ٧٩ ۝ ٨٠ ۝ ٨١ ۝ ٨٢ ۝ ٨٣ ۝ ٨٤ ۝ ٨٥ ۝ ٨٦ ۝ ٨٧ ۝ ٨٨ ۝ ٨٩ ۝ ٩٠ ۝ ٩١ ۝ ٩٢ ۝ ٩٣ ۝ ٩٤ ۝ ٩٥ ۝ ٩٦ ۝ ٩٧ ۝ ٩٨ ۝ ٩٩ ۝ ١٠٠ ۝ ١٠١ ۝ ١٠٢ ۝ ١٠٣ ۝ ١٠٤ ۝ ١٠٥ ۝ ١٠٦ ۝ ١٠٧ ۝ ١٠٨ ۝ ١٠٩ ۝ ١١٠ ۝ ١١١ ۝ ١١٢ ۝ ١١٣ ۝ ١١٤ ۝ ١١٥ ۝ ١١٦ ۝ ١١٧ ۝ ١١٨ ۝ ١١٩ ۝ ١٢٠ ۝ ١٢١ ۝ ١٢٢ ۝ ١٢٣ ۝ ١٢٤ ۝ ١٢٥ ۝ ١٢٦ ۝ ١٢٧ ۝ ١٢٨ ۝ ١٢٩ ۝ ١٣٠ ۝ ١٣١ ۝ ١٣٢ ۝ ١٣٣ ۝ ١٣٤ ۝ ١٣٥ ۝ ١٣٦ ۝ ١٣٧ ۝ ١٣٨ ۝ ١٣٩ ۝ ١٤٠ ۝ ١٤١ ۝ ١٤٢ ۝ ١٤٣ ۝ ١٤٤ ۝ ١٤٥ ۝ ١٤٦ ۝ ١٤٧ ۝ ١٤٨ ۝ ١٤٩ ۝ ١٥٠ ۝ ١٥١ ۝ ١٥٢ ۝ ١٥٣ ۝ ١٥٤ ۝ ١٥٥ ۝ ١٥٦ ۝ ١٥٧ ۝ ١٥٨ ۝ ١٥٩ ۝ ١٦٠ ۝ ١٦١ ۝ ١٦٢ ۝ ١٦٣ ۝ ١٦٤ ۝ ١٦٥ ۝ ١٦٦ ۝ ١٦٧ ۝ ١٦٨ ۝ ١٦٩ ۝ ١٧٠ ۝ ١٧١ ۝ ١٧٢ ۝ ١٧٣ ۝ ١٧٤ ۝ ١٧٥ ۝ ١٧٦ ۝ ١٧٧ ۝ ١٧٨ ۝ ١٧٩ ۝ ١٨٠ ۝ ١٨١ ۝ ١٨٢ ۝ ١٨٣ ۝ ١٨٤ ۝ ١٨٥ ۝ ١٨٦ ۝ ١٨٧ ۝ ١٨٨ ۝ ١٨٩ ۝ ١٩٠ ۝ ١٩١ ۝ ١٩٢ ۝ ١٩٣ ۝ ١٩٤ ۝ ١٩٥ ۝ ١٩٦ ۝ ١٩٧ ۝ ١٩٨ ۝ ١٩٩ ۝ ٢٠٠ ۝ ٢٠١ ۝ ٢٠٢ ۝ ٢٠٣ ۝ ٢٠٤ ۝ ٢٠٥ ۝ ٢٠٦ ۝ ٢٠٧ ۝ ٢٠٨ ۝ ٢٠٩ ۝ ٢١٠ ۝ ٢١١ ۝ ٢١٢ ۝ ٢١٣ ۝ ٢١٤ ۝ ٢١٥ ۝ ٢١٦ ۝ ٢١٧ ۝ ٢١٨ ۝ ٢١٩ ۝ ٢٢٠ ۝ ٢٢١ ۝ ٢٢٢ ۝ ٢٢٣ ۝ ٢٢٤ ۝ ٢٢٥ ۝ ٢٢٦ ۝ ٢٢٧ ۝ ٢٢٨ ۝ ٢٢٩ ۝ ٢٣٠ ۝ ٢٣١ ۝ ٢٣٢ ۝ ٢٣٣ ۝ ٢٣٤ ۝ ٢٣٥ ۝ ٢٣٦ ۝ ٢٣٧ ۝ ٢٣٨ ۝ ٢٣٩ ۝ ٢٤٠ ۝ ٢٤١ ۝ ٢٤٢ ۝ ٢٤٣ ۝ ٢٤٤ ۝ ٢٤٥ ۝ ٢٤٦ ۝ ٢٤٧ ۝ ٢٤٨ ۝ ٢٤٩ ۝ ٢٥٠ ۝ ٢٥١ ۝ ٢٥٢ ۝ ٢٥٣ ۝ ٢٥٤ ۝ ٢٥٥ ۝ ٢٥٦ ۝ ٢٥٧ ۝ ٢٥٨ ۝ ٢٥٩ ۝ ٢٦٠ ۝ ٢٦١ ۝ ٢٦٢ ۝ ٢٦٣ ۝ ٢٦٤ ۝ ٢٦٥ ۝ ٢٦٦ ۝ ٢٦٧ ۝ ٢٦٨ ۝ ٢٦٩ ۝ ٢٧٠ ۝ ٢٧١ ۝ ٢٧٢ ۝ ٢٧٣ ۝ ٢٧٤ ۝ ٢٧٥ ۝ ٢٧٦ ۝ ٢٧٧ ۝ ٢٧٨ ۝ ٢٧٩ ۝ ٢٨٠ ۝ ٢٨١ ۝ ٢٨٢ ۝ ٢٨٣ ۝ ٢٨٤ ۝ ٢٨٥ ۝ ٢٨٦ ۝ ٢٨٧ ۝ ٢٨٨ ۝ ٢٨٩ ۝ ٢٩٠ ۝ ٢٩١ ۝ ٢٩٢ ۝ ٢٩٣ ۝ ٢٩٤ ۝ ٢٩٥ ۝ ٢٩٦ ۝ ٢٩٧ ۝ ٢٩٨ ۝ ٢٩٩ ۝ ٣٠٠ ۝ ٣٠١ ۝ ٣٠٢ ۝ ٣٠٣ ۝ ٣٠٤ ۝ ٣٠٥ ۝ ٣٠٦ ۝ ٣٠٧ ۝ ٣٠٨ ۝ ٣٠٩ ۝ ٣١٠ ۝ ٣١١ ۝ ٣١٢ ۝ ٣١٣ ۝ ٣١٤ ۝ ٣١٥ ۝ ٣١٦ ۝ ٣١٧ ۝ ٣١٨ ۝ ٣١٩ ۝ ٣٢٠ ۝ ٣٢١ ۝ ٣٢٢ ۝ ٣٢٣ ۝ ٣٢٤ ۝ ٣٢٥ ۝ ٣٢٦ ۝ ٣٢٧ ۝ ٣٢٨ ۝ ٣٢٩ ۝ ٣٣٠ ۝ ٣٣١ ۝ ٣٣٢ ۝ ٣٣٣ ۝ ٣٣٤ ۝ ٣٣٥ ۝ ٣٣٦ ۝ ٣٣٧ ۝ ٣٣٨ ۝ ٣٣٩ ۝ ٣٤٠ ۝ ٣٤١ ۝ ٣٤٢ ۝ ٣٤٣ ۝ ٣٤٤ ۝ ٣٤٥ ۝ ٣٤٦ ۝ ٣٤٧ ۝ ٣٤٨ ۝ ٣٤٩ ۝ ٣٥٠ ۝ ٣٥١ ۝ ٣٥٢ ۝ ٣٥٣ ۝ ٣٥٤ ۝ ٣٥٥ ۝ ٣٥٦ ۝ ٣٥٧ ۝ ٣٥٨ ۝ ٣٥٩ ۝ ٣٦٠ ۝ ٣٦١ ۝ ٣٦٢ ۝ ٣٦٣ ۝ ٣٦٤ ۝ ٣٦٥ ۝ ٣٦٦ ۝ ٣٦٧ ۝ ٣٦٨ ۝ ٣٦٩ ۝ ٣٧٠ ۝ ٣٧١ ۝ ٣٧٢ ۝ ٣٧٣ ۝ ٣٧٤ ۝ ٣٧٥ ۝ ٣٧٦ ۝ ٣٧٧ ۝ ٣٧٨ ۝ ٣٧٩ ۝ ٣٨٠ ۝ ٣٨١ ۝ ٣٨٢ ۝ ٣٨٣ ۝ ٣٨٤ ۝ ٣٨٥ ۝ ٣٨٦ ۝ ٣٨٧ ۝ ٣٨٨ ۝ ٣٨٩ ۝ ٣٩٠ ۝ ٣٩١ ۝ ٣٩٢ ۝ ٣٩٣ ۝ ٣٩٤ ۝ ٣٩٥ ۝ ٣٩٦ ۝ ٣٩٧ ۝ ٣٩٨ ۝ ٣٩٩ ۝ ٤٠٠ ۝ ٤٠١ ۝ ٤٠٢ ۝ ٤٠٣ ۝ ٤٠٤ ۝ ٤٠٥ ۝ ٤٠٦ ۝ ٤٠٧ ۝ ٤٠٨ ۝ ٤٠٩ ۝ ٤١٠ ۝ ٤١١ ۝ ٤١٢ ۝ ٤١٣ ۝ ٤١٤ ۝ ٤١٥ ۝ ٤١٦ ۝ ٤١٧ ۝ ٤١٨ ۝ ٤١٩ ۝ ٤٢٠ ۝ ٤٢١ ۝ ٤٢٢ ۝ ٤٢٣ ۝ ٤٢٤ ۝ ٤٢٥ ۝ ٤٢٦ ۝ ٤٢٧ ۝ ٤٢٨ ۝ ٤٢٩ ۝ ٤٣٠ ۝ ٤٣١ ۝ ٤٣٢ ۝ ٤٣٣ ۝ ٤٣٤ ۝ ٤٣٥ ۝ ٤٣٦ ۝ ٤٣٧ ۝ ٤٣٨ ۝ ٤٣٩ ۝ ٤٤٠ ۝ ٤٤١ ۝ ٤٤٢ ۝ ٤٤٣ ۝ ٤٤٤ ۝ ٤٤٥ ۝ ٤٤٦ ۝ ٤٤٧ ۝ ٤٤٨ ۝ ٤٤٩ ۝ ٤٥٠ ۝ ٤٥١ ۝ ٤٥٢ ۝ ٤٥٣ ۝ ٤٥٤ ۝ ٤٥٥ ۝ ٤٥٦ ۝ ٤٥٧ ۝ ٤٥٨ ۝ ٤٥٩ ۝ ٤٦٠ ۝ ٤٦١ ۝ ٤٦٢ ۝ ٤٦٣ ۝ ٤٦٤ ۝ ٤٦٥ ۝ ٤٦٦ ۝ ٤٦٧ ۝ ٤٦٨ ۝ ٤٦٩ ۝ ٤٧٠ ۝ ٤٧١ ۝ ٤٧٢ ۝ ٤٧٣ ۝ ٤٧٤ ۝ ٤٧٥ ۝ ٤٧٦ ۝ ٤٧٧ ۝ ٤٧٨ ۝ ٤٧٩ ۝ ٤٨٠ ۝ ٤٨١ ۝ ٤٨٢ ۝ ٤٨٣ ۝ ٤٨٤ ۝ ٤٨٥ ۝ ٤٨٦ ۝ ٤٨٧ ۝ ٤٨٨ ۝ ٤٨٩ ۝ ٤٩٠ ۝ ٤٩١ ۝ ٤٩٢ ۝ ٤٩٣ ۝ ٤٩٤ ۝ ٤٩٥ ۝ ٤٩٦ ۝ ٤٩٧ ۝ ٤٩٨ ۝ ٤٩٩ ۝ ٥٠٠ ۝ ٥٠١ ۝ ٥٠٢ ۝ ٥٠٣ ۝ ٥٠٤ ۝ ٥٠٥ ۝ ٥٠٦ ۝ ٥٠٧ ۝ ٥٠٨ ۝ ٥٠٩ ۝ ٥١٠ ۝ ٥١١ ۝ ٥١٢ ۝ ٥١٣ ۝ ٥١٤ ۝ ٥١٥ ۝ ٥١٦ ۝ ٥١٧ ۝ ٥١٨ ۝ ٥١٩ ۝ ٥٢٠ ۝ ٥٢١ ۝ ٥٢٢ ۝ ٥٢٣ ۝ ٥٢٤ ۝ ٥٢٥ ۝ ٥٢٦ ۝ ٥٢٧ ۝ ٥٢٨ ۝ ٥٢٩ ۝ ٥٣٠ ۝ ٥٣١ ۝ ٥٣٢ ۝ ٥٣٣ ۝ ٥٣٤ ۝ ٥٣٥ ۝ ٥٣٦ ۝ ٥٣٧ ۝ ٥٣٨ ۝ ٥٣٩ ۝ ٥٤٠ ۝ ٥٤١ ۝ ٥٤٢ ۝ ٥٤٣ ۝ ٥٤٤ ۝ ٥٤٥ ۝ ٥٤٦ ۝ ٥٤٧ ۝ ٥٤٨ ۝ ٥٤٩ ۝ ٥٥٠ ۝ ٥٥١ ۝ ٥٥٢ ۝ ٥٥٣ ۝ ٥٥٤ ۝ ٥٥٥ ۝ ٥٥٦ ۝ ٥٥٧ ۝ ٥٥٨ ۝ ٥٥٩ ۝ ٥٦٠ ۝ ٥٦١ ۝ ٥٦٢ ۝ ٥٦٣ ۝ ٥٦٤ ۝ ٥٦٥ ۝ ٥٦٦ ۝ ٥٦٧ ۝ ٥٦٨ ۝ ٥٦٩ ۝ ٥٧٠ ۝ ٥٧١ ۝ ٥٧٢ ۝ ٥٧٣ ۝ ٥٧٤ ۝ ٥٧٥ ۝ ٥٧٦ ۝ ٥٧٧ ۝ ٥٧٨ ۝ ٥٧٩ ۝ ٥٨٠ ۝ ٥٨١ ۝ ٥٨٢ ۝ ٥٨٣ ۝ ٥٨٤ ۝ ٥٨٥ ۝ ٥٨٦ ۝ ٥٨٧ ۝ ٥٨٨ ۝ ٥٨٩ ۝ ٥٩٠ ۝ ٥٩١ ۝ ٥٩٢ ۝ ٥٩٣ ۝ ٥٩٤ ۝ ٥٩٥ ۝ ٥٩٦ ۝ ٥٩٧ ۝ ٥٩٨ ۝ ٥٩٩ ۝ ٦٠٠ ۝ ٦٠١ ۝ ٦٠٢ ۝ ٦٠٣ ۝ ٦٠٤ ۝ ٦٠٥ ۝ ٦٠٦ ۝ ٦٠٧ ۝ ٦٠٨ ۝ ٦٠٩ ۝ ٦١٠ ۝ ٦١١ ۝ ٦١٢ ۝ ٦١٣ ۝ ٦١٤ ۝ ٦١٥ ۝ ٦١٦ ۝ ٦١٧ ۝ ٦١٨ ۝ ٦١٩ ۝ ٦٢٠ ۝ ٦٢١ ۝ ٦٢٢ ۝ ٦٢٣ ۝ ٦٢٤ ۝ ٦٢٥ ۝ ٦٢٦ ۝ ٦٢٧ ۝ ٦٢٨ ۝ ٦٢٩ ۝ ٦٣٠ ۝ ٦٣١ ۝ ٦٣٢ ۝ ٦٣٣ ۝ ٦٣٤ ۝ ٦٣٥ ۝ ٦٣٦ ۝ ٦٣٧ ۝ ٦٣٨ ۝ ٦٣٩ ۝ ٦٤٠ ۝ ٦٤١ ۝ ٦٤٢ ۝ ٦٤٣ ۝ ٦٤٤ ۝ ٦٤٥ ۝ ٦٤٦ ۝ ٦٤٧ ۝ ٦٤٨ ۝ ٦٤٩ ۝ ٦٥٠ ۝ ٦٥١ ۝ ٦٥٢ ۝ ٦٥٣ ۝ ٦٥٤ ۝ ٦٥٥ ۝ ٦٥٦ ۝ ٦٥٧ ۝ ٦٥٨ ۝ ٦٥٩ ۝ ٦٦٠ ۝ ٦٦١ ۝ ٦٦٢ ۝ ٦٦٣ ۝ ٦٦٤ ۝ ٦٦٥ ۝ ٦٦٦ ۝ ٦٦٧ ۝ ٦٦٨ ۝ ٦٦٩ ۝ ٦٧٠ ۝ ٦٧١ ۝ ٦٧٢ ۝ ٦٧٣ ۝ ٦٧٤ ۝ ٦٧٥ ۝ ٦٧٦ ۝ ٦٧٧ ۝ ٦٧٨ ۝ ٦٧٩ ۝ ٦٨٠ ۝ ٦٨١ ۝ ٦٨٢ ۝ ٦٨٣ ۝ ٦٨٤ ۝ ٦٨٥ ۝ ٦٨٦ ۝ ٦٨٧ ۝ ٦٨٨ ۝ ٦٨٩ ۝ ٦٩٠ ۝ ٦٩١ ۝ ٦٩٢ ۝ ٦٩٣ ۝ ٦٩٤ ۝ ٦٩٥ ۝ ٦٩٦ ۝ ٦٩٧ ۝ ٦٩٨ ۝ ٦٩٩ ۝ ٧٠٠ ۝ ٧٠١ ۝ ٧٠٢ ۝ ٧٠٣ ۝ ٧٠٤ ۝ ٧٠٥ ۝ ٧٠٦ ۝ ٧٠٧ ۝ ٧٠٨ ۝ ٧٠٩ ۝ ٧١٠ ۝ ٧١١ ۝ ٧١٢ ۝ ٧١٣ ۝ ٧١٤ ۝ ٧١٥ ۝ ٧١٦ ۝ ٧١٧ ۝ ٧١٨ ۝ ٧١٩ ۝ ٧٢٠ ۝ ٧٢١ ۝ ٧٢٢ ۝ ٧٢٣ ۝ ٧٢٤ ۝ ٧٢٥ ۝ ٧٢٦ ۝ ٧٢٧ ۝ ٧٢٨ ۝ ٧٢٩ ۝ ٧٣٠ ۝ ٧٣١ ۝ ٧٣٢ ۝ ٧٣٣ ۝ ٧٣٤ ۝ ٧٣٥ ۝ ٧٣٦ ۝ ٧٣٧ ۝ ٧٣٨ ۝ ٧٣٩ ۝ ٧٤٠ ۝ ٧٤١ ۝ ٧٤٢ ۝ ٧٤٣ ۝ ٧٤٤ ۝ ٧٤٥ ۝ ٧٤٦ ۝ ٧٤٧ ۝ ٧٤٨ ۝ ٧٤٩ ۝ ٧٥٠ ۝ ٧٥١ ۝ ٧٥٢ ۝ ٧٥٣ ۝ ٧٥٤ ۝ ٧٥٥ ۝ ٧٥٦ ۝ ٧٥٧ ۝ ٧٥٨ ۝ ٧٥٩ ۝ ٧٦٠ ۝ ٧٦١ ۝ ٧٦٢ ۝ ٧٦٣ ۝ ٧٦٤ ۝ ٧٦٥ ۝ ٧٦٦ ۝ ٧٦٧ ۝ ٧٦٨ ۝ ٧٦٩ ۝ ٧٧٠ ۝ ٧٧١ ۝ ٧٧٢ ۝ ٧٧٣ ۝ ٧٧٤ ۝ ٧٧٥ ۝ ٧٧٦ ۝ ٧٧٧ ۝ ٧٧٨ ۝ ٧٧٩ ۝ ٧٨٠ ۝ ٧٨١ ۝ ٧٨٢ ۝ ٧٨٣ ۝ ٧٨٤ ۝ ٧٨٥ ۝ ٧٨٦ ۝ ٧٨٧ ۝ ٧٨٨ ۝ ٧٨٩ ۝ ٧٩٠ ۝ ٧٩١ ۝ ٧٩٢ ۝ ٧٩٣ ۝ ٧٩٤ ۝ ٧٩٥ ۝ ٧٩٦ ۝ ٧٩٧ ۝ ٧٩٨ ۝ ٧٩٩ ۝ ٨٠٠ ۝ ٨٠١ ۝ ٨٠٢ ۝ ٨٠٣ ۝ ٨٠٤ ۝ ٨٠٥ ۝ ٨٠٦ ۝ ٨٠٧ ۝ ٨٠٨ ۝ ٨٠٩ ۝ ٨١٠ ۝ ٨١١ ۝ ٨١٢ ۝ ٨١٣ ۝ ٨١٤ ۝ ٨١٥ ۝ ٨١٦ ۝ ٨١٧ ۝ ٨١٨ ۝ ٨١٩ ۝ ٨٢٠ ۝ ٨٢١ ۝ ٨٢٢ ۝ ٨٢٣ ۝ ٨٢٤ ۝ ٨٢٥ ۝ ٨٢٦ ۝ ٨٢٧ ۝ ٨٢٨ ۝ ٨٢٩ ۝ ٨٣٠ ۝ ٨٣١ ۝ ٨٣٢ ۝ ٨٣٣ ۝ ٨٣٤ ۝ ٨٣٥ ۝ ٨٣٦ ۝ ٨٣٧ ۝ ٨٣٨ ۝ ٨٣٩ ۝ ٨٤٠ ۝ ٨٤١ ۝ ٨٤٢ ۝ ٨٤٣ ۝ ٨٤٤ ۝ ٨٤٥ ۝ ٨٤٦ ۝ ٨٤٧ ۝ ٨٤٨ ۝ ٨٤٩ ۝ ٨٥٠ ۝ ٨٥١ ۝ ٨٥٢ ۝ ٨٥٣ ۝ ٨٥٤ ۝ ٨٥٥ ۝ ٨٥٦ ۝ ٨٥٧ ۝ ٨٥٨ ۝ ٨٥٩ ۝ ٨٦٠ ۝ ٨٦١ ۝ ٨٦٢ ۝ ٨٦٣ ۝ ٨٦٤ ۝ ٨٦٥ ۝ ٨٦٦ ۝ ٨٦٧ ۝ ٨٦٨ ۝ ٨٦٩ ۝ ٨٧٠ ۝ ٨٧١ ۝ ٨٧٢ ۝ ٨٧٣ ۝ ٨٧٤ ۝ ٨٧٥ ۝ ٨٧٦ ۝ ٨٧٧ ۝ ٨٧٨ ۝ ٨٧٩ ۝ ٨٨٠ ۝ ٨٨١ ۝ ٨٨٢ ۝ ٨٨٣ ۝ ٨٨٤ ۝ ٨٨٥ ۝ ٨٨٦ ۝ ٨٨٧ ۝ ٨٨٨ ۝ ٨٨٩ ۝ ٨٩٠ ۝ ٨٩١ ۝ ٨٩٢ ۝ ٨٩٣ ۝ ٨٩٤ ۝ ٨٩٥ ۝ ٨٩٦ ۝ ٨٩٧ ۝ ٨٩٨ ۝ ٨٩٩ ۝ ٩٠٠ ۝ ٩٠١ ۝ ٩٠٢ ۝ ٩٠٣ ۝ ٩٠٤ ۝ ٩٠٥ ۝ ٩٠٦ ۝ ٩٠٧ ۝ ٩٠٨ ۝ ٩٠٩ ۝ ٩١٠ ۝ ٩١١ ۝ ٩١٢ ۝ ٩١٣ ۝ ٩١٤ ۝ ٩١٥ ۝ ٩١٦ ۝ ٩١٧ ۝ ٩١٨ ۝ ٩١٩ ۝ ٩٢٠ ۝ ٩٢١ ۝ ٩٢٢ ۝ ٩٢٣ ۝ ٩٢٤ ۝ ٩٢٥ ۝ ٩٢٦ ۝ ٩٢٧ ۝ ٩٢٨ ۝ ٩٢٩ ۝ ٩٣٠ ۝ ٩٣١ ۝ ٩٣٢ ۝ ٩٣٣ ۝ ٩٣٤ ۝ ٩٣٥ ۝ ٩٣٦ ۝ ٩٣٧ ۝ ٩٣٨ ۝ ٩٣٩ ۝ ٩٤٠ ۝ ٩٤١ ۝ ٩٤٢ ۝ ٩٤٣ ۝ ٩٤٤ ۝ ٩٤٥ ۝ ٩٤٦ ۝ ٩٤٧ ۝ ٩٤٨ ۝ ٩٤٩ ۝ ٩٥٠ ۝ ٩٥١ ۝ ٩٥٢ ۝ ٩٥٣ ۝ ٩٥٤ ۝ ٩٥٥ ۝ ٩٥٦ ۝ ٩٥٧ ۝ ٩٥٨ ۝ ٩٥٩ ۝ ٩٦٠ ۝ ٩٦١ ۝ ٩٦٢ ۝ ٩٦٣ ۝ ٩٦٤ ۝ ٩٦٥ ۝ ٩٦٦ ۝ ٩٦٧ ۝ ٩٦٨ ۝ ٩٦٩ ۝ ٩٧٠ ۝ ٩٧١ ۝ ٩٧٢ ۝ ٩٧٣ ۝ ٩٧٤ ۝ ٩٧٥ ۝ ٩٧٦ ۝ ٩٧٧ ۝ ٩٧٨ ۝ ٩٧٩ ۝ ٩٨٠ ۝ ٩٨١ ۝ ٩٨٢ ۝ ٩٨٣ ۝ ٩٨٤ ۝ ٩٨٥ ۝ ٩٨٦ ۝ ٩٨٧ ۝ ٩٨٨ ۝ ٩٨٩ ۝ ٩٩٠ ۝ ٩٩١ ۝ ٩٩٢ ۝ ٩٩٣ ۝ ٩٩٤ ۝ ٩٩٥ ۝ ٩٩٦ ۝ ٩٩٧ ۝ ٩٩٨ ۝ ٩٩٩ ۝ ١٠٠٠ ۝ ١٠٠١ ۝ ١٠٠٢ ۝ ١٠٠٣ ۝ ١٠٠٤ ۝ ١٠٠٥ ۝ ١٠٠٦ ۝ ١٠٠٧ ۝ ١٠٠٨ ۝ ١٠٠٩ ۝ ١٠١٠ ۝ ١٠١١ ۝ ١٠١٢ ۝ ١٠١٣ ۝ ١٠١٤ ۝ ١٠١٥ ۝ ١٠١٦ ۝ ١٠١٧ ۝ ١٠١٨ ۝ ١٠١٩ ۝ ١٠٢٠ ۝ ١٠٢١ ۝ ١٠٢٢ ۝ ١٠٢٣ ۝ ١٠٢٤ ۝ ١٠٢٥ ۝ ١٠٢٦ ۝ ١٠٢٧ ۝ ١٠٢٨ ۝ ١٠٢٩ ۝ ١٠٣٠ ۝ ١٠٣١ ۝ ١٠٣٢ ۝ ١٠٣٣ ۝ ١٠٣٤ ۝ ١٠٣٥ ۝ ١٠٣٦ ۝ ١٠٣٧ ۝ ١٠٣٨ ۝ ١٠٣٩ ۝ ١٠٤٠ ۝ ١٠٤١ ۝ ١٠٤٢ ۝ ١٠٤٣ ۝ ١٠٤٤ ۝ ١٠٤٥ ۝ ١٠٤٦ ۝ ١٠٤٧ ۝ ١٠٤٨ ۝ ١٠٤٩ ۝ ١٠٥٠ ۝ ١٠٥١ ۝ ١٠٥٢ ۝ ١٠٥٣ ۝ ١٠٥٤ ۝ ١٠٥٥ ۝ ١٠٥٦ ۝ ١٠٥٧ ۝ ١٠٥٨ ۝ ١٠٥٩ ۝ ١٠٦٠ ۝ ١٠٦١ ۝ ١٠٦٢ ۝ ١٠٦٣ ۝ ١٠٦٤ ۝ ١٠٦٥ ۝ ١٠٦٦ ۝ ١٠٦٧ ۝ ١٠٦٨ ۝ ١٠٦٩ ۝ ١٠٧٠ ۝ ١٠٧١ ۝ ١٠٧٢ ۝ ١٠٧٣ ۝ ١٠٧٤ ۝ ١٠٧٥ ۝ ١٠٧٦ ۝ ١٠٧٧ ۝ ١٠٧٨ ۝ ١٠٧٩ ۝ ١٠٨٠ ۝ ١٠٨١ ۝ ١٠٨٢ ۝ ١٠٨٣ ۝ ١٠٨٤ ۝ ١٠٨٥ ۝ ١٠٨٦ ۝ ١٠٨٧ ۝ ١٠٨٨ ۝ ١٠٨٩ ۝ ١٠٩٠ ۝ ١٠٩١ ۝ ١٠٩٢ ۝ ١٠٩٣ ۝ ١٠٩٤ ۝ ١٠٩٥ ۝ ١٠٩٦ ۝ ١٠٩٧ ۝ ١٠٩٨ ۝ ١٠٩٩ ۝ ١١٠٠ ۝ ١١٠١ ۝ ١١٠٢ ۝ ١١٠٣ ۝ ١١٠٤ ۝ ١١٠٥ ۝ ١١٠٦ ۝ ١١٠٧ ۝ ١١٠٨ ۝ ١١٠٩ ۝ ١١١٠ ۝ ١١١١ ۝ ١١١٢ ۝ ١١١٣ ۝ ١١١٤ ۝ ١١١٥ ۝ ١١١٦ ۝ ١١١٧ ۝ ١١١٨ ۝ ١١١٩ ۝ ١١٢٠ ۝ ١١٢١ ۝ ١١٢٢ ۝ ١١٢٣ ۝ ١١٢٤ ۝ ١١٢٥ ۝ ١١٢٦ ۝ ١١٢٧ ۝ ١١٢٨ ۝ ١١٢٩ ۝ ١١٣٠ ۝ ١١٣١ ۝ ١١٣٢ ۝ ١١٣٣ ۝ ١١٣٤ ۝ ١١٣٥ ۝ ١١٣٦ ۝ ١١٣٧ ۝ ١١٣٨ ۝ ١١٣٩ ۝ ١١٤٠ ۝ ١١٤١ ۝ ١١٤٢ ۝ ١١٤٣ ۝ ١١٤٤ ۝ ١١٤٥ ۝ ١١٤٦ ۝ ١١٤٧ ۝ ١١٤٨ ۝ ١١٤٩ ۝ ١١٥٠ ۝ ١١٥١ ۝ ١١٥٢ ۝ ١١٥٣ ۝ ١١٥٤ ۝ ١١٥٥ ۝ ١١٥٦ ۝ ١١٥٧ ۝ ١١٥٨ ۝ ١١٥٩ ۝ ١١٦٠ ۝ ١١٦١ ۝ ١١٦٢ ۝ ١١٦٣ ۝ ١

مات عبد الله بن أبي بن سألوف المنافق، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصل بعدها على منافق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (١) الآية .

وفيهما ماتت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تمي رسول الله صلى الله عليه وسلم التجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحيشة ، قيل : في شهر رجب . وفيها أسلم كعب بن زهير . والله أعلم بالصواب .

ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وأمتداحه

رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آنصرف عن الطائف كتب أخوه جبير بن زهير إليه يخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ممن كان يهجووه ويؤذيه، وأن من يق من شعراء قريش كأبن الزبير، وعبيدة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه . فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحدا جاءه ثانيا ، وإن أنت لم تفعل فأجج إلى تجارك من الأرض . وكان كعب قد كتب إلى أخيه جبير بلغة إسلامه :

أَلَا أَلْفَسَا عَنِّي يُمَيِّرَا رَسَالَةَ * فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَتَحَكُّ هَلْ لَكَ ؟
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كُأْسًا رَوِيَّةً * فَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
وَخَالَفْتَ أَسْبَابَ الْمُهْدَى وَأَتَّبَعْتَهُ * عَلَى أَى شَيْءٍ وَيَبْ غَيْرَكَ ذَلِكَ
عَلَى خُلُقِي لَمْ تَلَفْ أَمَّا وَلَا أَبَا * عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَحَا لَكَ

(١) سورة التوبة ٨٤ (٢) المأمون : يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش

تسميه المأمون والأمين . والهيل : الشرب الأول، والعلل : الشرب الثاني .

(٣) ويب غريك : ورج غريك .

ويروي :

على خُلُقِي لم تُلَفِ يوماً أباه * عليه وما تُلَفِي عليه أباً لكَا
فإن أنت لم تفعل فلست بأَيِّف * ولا قائل إماً عثرت : لَمَّا لَكَا!

١٥٧
١٤

- وبعث بها إليه، فلما أنت بُجَّيرًا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لما سمع ^(٢١)] قوله « سفاك بها المأمون » : « صدق وإنه لكذوب ، [أنا المأمون] » ^(٢٢) ولما سمع قوله « على خُلُقِي لم تُلَفِ أباً ولا أباً عليه » قال : « [أجبل ^(٢٣)] لم يُلَفِ عليه أباه ولا أمه » فكتب بُجَّير إلى كعب :
مَنْ مُبْلِغٌ كُتِبَ فُهَلْ لَكَ فِي الْقِي * تَلُومٌ عَلَيْهَا بِاطْلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْمَرْيَ وَلَا اللَّاتِ سَوَّحَهُ * فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُوَ وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ * مِنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زَمِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ * وَدِينُ أَبِي سُلَاسَى عَلَى مُحَرَّمُ

- قال : فلما بلغ كُتِبَ كتابُ أخيه ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عَدُوِّهِ ، فقالوا : هو مقتول ، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه ، وإرجاف الوُشَاة به من عَدُوِّهِ ،
ونخرج حتى قدم المدينة ، فقتل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهيَّة ، فغدا
به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلب الصبح فعصبي معه ، ثم أشار الجُهنيّ
لكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ،
فقام حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لما : كلمة يقال لمن مَرَّ دَعَا لَهُ أَنْ يَنْتَشِرَ مِنْ مَقْلَعَتِهِ . (٢) الزوائد من ابن هشام ،

والذي في شرح الديوان السكري : « صدق ! أنا المأمون ، وإنه لكاذب » . (٣) حاضره : حيه .

لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ،
فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم " .
فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، فوثب رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله ،
دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه عنك ،
فإنه قد جاء تائباً تائباً " . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لمسا
• صنع به صاحبهم ، وأشد كعب قصيدته ؛ وهى :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول * متى عندها لم يحز مكبول^(١٢)
وما مسعاد غداة الين إذ برزت * إلا أغن غصيص الطرف مكحول^(١٣)
هيفاً مقبلة عجزاء مديرة * لا يستكى قصر منها ولا طول^(١٤)
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت * كأنه سهل بالراح متلول^(١٥)
تجبت بذي شيم من ماء محنية * صاف ياطح أحمى وهو مشمول^(١٦)
تنفى الريح القذى عنه وأفرطه * من صوب غادية ييض بمائل^(١٧)

(١) نازعا : أى مائلا إلى الإسلام ، أو كما من الشرك .

(٢) بانت : فارقت . متبول : غلبه الحب وهبه . متى : ذله الحب . مكبول : مقيد . يرى :

« لم يجد » . من القداء . ولم يحز من الجزاء .

(٣) الين : القسراق . وروى : « غداة الين إذ دخلوا » . والأفن : الذى فى صورة خفة .

وغصيص الطرف : غائر الطرف ، أراد التشبيه . (٤) الهيف : ضرب البلى ورقة الخامرة .

(٥) العوارض : الأسنان ما بين للثنية والضرس . والظلم : ماء الأسنان ريريقها . ومنهل :

قد أهل بالراح : انخر ، والتهل : أول شربة . والمحلول : قد سق مرتين ، والهل : الشرب الثانى .

(٦) شجت : مزجت بالماء . والشيم : الماء البارد . المحنية : منطف الرادى . الأطلح :

سبل واسع فيه دفاق الحصى . مشمول : أحاط به ريح الليل فبردة .

(٧) صه : أى عن الماء الصافى . أفرطه : ملاه . الصوب : المطر . القاذية : السحابة التى

تأتى بالنداء . الملول : القدير . يرى : « من صوب سارية » .

وَيَلْ آمَهَا خَلَّةٌ لَوْ أَنَهَا صَدَقَتْ * بَوَّعُهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصِيعَ مَقْبُولٌ^(١)
 لَكِنَّا خَلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دِيهَا * بَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ^(٢)
 فَا تَقْصُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهِ * كَمَا تَلَوْنَ فِي أَنْوَابِهَا الْقُسُوفُ^(٣)
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا * وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْإِبَاطِيلُ^(٤)
 وَمَا تَمَسَّكَ بِالْمَهْدِ الَّتِي رَزَعَتْ * إِلَّا كَمَا يُمْسِكُ الْمَاءُ الْفَرَايِصِلُ^(٥)
 أَرْجُو وَأَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ فِي أَبَدٍ * وَمَا لِحُرِّ إِخَالٍ الدَّهْرَ تَعَجِيلُ^(٦)
 فَلَا يَسْأَلُكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ * إِنَّ الدَّامِنِي وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ^(٧)
 أَمْسَتْ سُمَادٌ بَارِضٌ مَا يُبْلَغُهَا * إِلَّا الْبَتَّاقُ النَّجِيحَاتُ الْمَرَايِلُ^(٨)
 وَلَا يُبْلَغُهَا إِلَّا عُثْنَانُفَرَةٌ * فِيهَا عَلَى الْآيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْقِيلُ^(٩)

- ١٠ (١) يردى : «أكرم بها خلة» . وفي الهيران : «باريها خلة» .
 (٢) سيط : خلط . النصيع : المصيبة . الولع : الكذب . يرد أنها قد خلط بدمها النصيع بالمصائب ، والكذب في الأخبار ، وإخلاف الوعد ، وتبدل خليل بآخر ، وصار ذلك سبباً لها .
 (٣) القوس : المعللة ، وهي أنق الشياطين ، سميت بذلك لأنها غيازعوا قناتهم ، أو لأنها تقرأى لم في القلوات ، وتكون بالوان شتى ، وتطعمهم من الطريق .
 ١٥ (٤) عرقوب : رجل يضرب به الخلل في خلف الوعد ، وكان بالبدية .
 (٥) يردى : «تمسك بالوصل» .
 (٦) أبدي : زمن . يرد أنه يشق الوفاء بما وعدن على محمل ولو مرة في الدهر ، وتعجيل : تصديق ، ويردى :

أرجو وأمل أن تدنو مودتها * وما إخال لدينا منك تنويل

- ٢٠ (٧) المراسيل : الخلفاء . يقول : لا يلبث سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها .
 (٨) في الهيران وابن هشام : «رزن يبلغها» . حافرة : شديدة غليظة ، والآين : الإعياء .
 الإرقال : أن تدمر وتفض رأسها ، والتبقييل : ضرب من الملعبة المخططة بالسنن .

من كل نضاجة الذرى إذا عرقت * عرضتها طامس الأعلام مجهول^(١)
 تبرى التجاد يميني مفرد ليق * إذا توقدت الحزان والميل^(٢)
 تخضم مقلدها فم مقيدها * في خلقها عن بنات الفصيل تمصيل^(٣)
 حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شميل^(٤)
 يمشى القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقرب زهايل^(٥)
 عيراة قذفت بالنحض عن عرض * مرققها عن بنات الزور مفتول^(٦)

(١) نضاجة : فوارة ، يصغها بكوم الأصل - القنرى : القنرة خلف آذن الناقة والبعر ، أول ما يحرى منها . عرضتها : منها ؛ أى قوية على السفر . طامس : داس . الأعلام : العلامات ، أى قوية على قطع الأعلام المتدسة المبهمة .

(٢) التجاد : المشرف من الأرض ، ويرى : « الغيوب » : ما غاب من الأرض . المفرد : الذى خذل عن صاحبه . المعن : الشديد البياض . الحزان (جمع حزين — بزائن) : المكان اللئيل الصاب . والميل جمع ميلاد : النفقة الضخمة من الزم ، وقيل : هو مد البصر . يقول : إنها لا تكسل ولا تقتر في الهجرة .

(٣) مقلدها : رقبها . فم : مثل ؛ ويرى : « حيل » : وهو الضخم . المقيد : الرغ . بنات الفصيل : النوق . أى لما فضل عليهن . في شرح ابن هشام يتان بعد هذا البيت ليس بالأصل :

غلباء ورجاء طكوم مذكرة * في دفها سعة قدامها ميل
 وجهها من أطوم ما يقر به * طلع بضاحية المنين مهزول

(٤) الحرف : القطعة البارزة من الجبل ، أى مثله في القوة والصلابة ، أحرقت انلطف في الرقة والضمورة . أعوها أبوها : أى جعل على أمه فرضت ناقة ، فصار الجمل أخاها وأياها . والمهجنة من النوق : الكريمة ، والتجبن اختلاف الأبرين ، وهو مدح في الإبل ، وذم في بني آدم . عمها خالها : يثن أن عمها وخالها من جنس واحد ، أى إنها كريمة الطرفين من أمها وأبها . قوداء : الطويلة الظهر والعتق . والشميل : الخفيفة السريعة .

(٥) اللبان يفتح اللام : السعد ، والأقرباب : الخواصر ، وإزهايل : اللس .

(٦) عيراة : تشبه العير في صلابتها ، قذفت بالنحض : كاملة الخلق لم يتقصها الخلب ، والنحض العلم . للعرض : الجواب ، وبنات الزور : الأضلع المقدمات ، المفتول : المدجج المحكم .

قَتَوَاهُ فِي حَرْبَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا * عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَلْدَيْنِ تَسْمِيلٌ^(١)
 كَانَتْ مَا قَاتَ عَيْتَهَا وَمَذْبَحَهَا * مِنْ خَطْبِهَا وَمِنْ الْقَتِيلَيْنِ يَرْطِيلُ^(٢)
 يُعْرِئُ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ * فِي غَاوِزٍ لَمْ تَقْصُوهُ الْأَحَالِيلُ^(٣)
 تَهْوَى عَلَى بَسْرَاتٍ وَهِيَ لَا هَيْئَةَ * ذَوَابِلُ وَقَعْنِ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ^(٤)
 تُعْمَرُ الْمَجَابَاتُ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زَيْمًا * لَمْ يَهْنِ سَوَادُ الْأُثْمِ تَتَبِيلُ^(٥)
 يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْجَرْبَاءُ مُرْتَبًا * كَانَتْ ضَاحِيَهُ فِي النَّارِ تَمْلُولُ^(٦)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلْتُ * بُعِثَ الْجَنَادُ بِرُكُضٍ نَحْلُيَ قِيلُوا^(٧)

(١) قَتَوَاهُ : فِي أَقْفَاهَا كَالطَّبْعِ ، حَرْبَاهَا : أَذْنَاهَا . وَالْعِتْقُ : الْكَرَمُ ، وَسَبْعَةُ الْخَلْدَيْنِ : سَائِلَتَاهَا
 فِيمَا مَرَّتُهُمَا الْوَجْهَيْنِ .

(٢) «الْحَجُّ» : الْخَيْمَةُ ، «الْمَذْبَحُ» : الْخَيْمَتَيْنِ . سَوَّلَ مِنْ حَادِيهِ ، أَوْ جَعَلَ سَوَّلًا ، وَمَصْفَاهَا
 بِكَمَالِهِ .

(٣) عَسِيبُ النَّخْلِ : جَرِيدُهَا . وَالغَاوِزُ : الضَّرْعُ ، قَدْ غَرَزَ وَقَالَ لَهُ . لَمْ تَقْصُوهُ : لَمْ تَقْصُصْهُ .
 الْأَحَالِيلُ : عَجَائِلُ الْبَلَاءِ . يَرِيدُ تَمْوِذُهَا عَلَى ضَرْعِهَا .

(٤) تَهْوَى : تَسِيرُ بِسُرْعَةٍ . وَيُرْوَى : «تَحْدَى» وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ . وَالْبَسْرَاتُ : الْقَوَائِمُ الْخَفِيفَةُ .
 ذَوَابِلُ : لَيْسَتْ بِهَيْئَةٍ . وَقَعْنِ الْأَرْضَ : إِشَادَةٌ إِلَى مَرَّةٍ رَفَعَهَا قَوَائِمُهَا ، وَتَحْلِيلُ : مِثْلُ تَحْلَةِ الْبَيْتِ .
 أَيْ كَمَا يَحْلِفُ الْإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ لِيَقْلَعَهُ ، فَيُفْلِحُ مَعَهُ الْبَيْتُ لِيَتَحْلَلَ مِنْ قَسَمِهِ .

(٥) سَمَرٌ : فِي أَوَانِهَا ، وَهِيَ الْبَسْرَاتُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ . الْمَجَابَاتُ : حَصْبُ بِلَاحِ الْيَدَيْنِ . زَيْمًا :
 مُتَزَيِّفَةً ، يَقُولُ : لَا يَحْتَجِجُ أَنْ يَنْظُرَ لِأَثَرِ غِلَظِ الْأَخْفَافِ .

(٦) الْجَرْبَاءُ : ذِكْرُ أَمٍّ حَيَّةٍ ، وَهُوَ حَيَوَانٌ يَتَوَلَّى أَوَانًا بِحَرِّ الشَّمْسِ . مُرْتَبًا : مُرْتَبًا ، وَذَلِكَ إِذَا
 كَانَ فَوْقَ شَرْفٍ ، وَيُرْوَى : «مَصْطَحًا» : مُتَصَبًّا ، وَيُرْوَى : «مَصْطَحًا» : تَحْلِيْلُ بَحْرِ الشَّمْسِ .
 الضَّاحِي : الْبَارِزُ لِلشَّمْسِ . تَمْلُولُ : مِنْ مَلَّتِ الْخَبْزَ ، جَعَلَتْهُ فِي الْمَلَّةِ فَفَتَحَ الْمِمْ : الْحَفْرَةُ الْمُهَيَّأَةُ ، أَوْ الرَّمَادُ الْمَخَارِ .

(٧) الْحَادِي : سَائِقُ الْإِبِلِ . يَجْعَلُ : ذَاتُ الْوَلْنِ الْأَقْبَعِ . الْجَنَادُ : جَرَادٌ صَغِيرٌ ، فِي أَشَدِّ
 مَا تَكُونُ الْحَاجَةُ بِكَوْنِ ذَلِكَ . قِيلُوا : مِنْ الْقَبُولَةِ ، وَهِيَ الْإِبْرَادُ حَتَّى الْحَاجَةِ ، وَفِي الْمَبْرُورِ : «رُوقُ
 الْجَنَادِ» ، الرُّوقُ جَمْعُ أَرُوقٍ ، وَهُوَ الْأَخْضَرُ إِلَى سَوَادٍ ، أَوْ عَلَى لَوْنِ الرَّمَادِ .

- كأن أوب ذراعها وقد عرفت * وقد ترفع بالقصور الساقيل^(١)
 أوب يدي فايد تخطئه مولى * قامت بجاوبها نكد متا كيل^(٢)
 نوحه رهوة الضبعين ليس لها * لما نبي يكرها الناعون معقول^(٣)
 تفرى اللبان بكفيا ومدرعها * مشفق عن تراقبها رعايسل^(٤)
 تسمى الوشاة بجنيها وقولم * انك يابن أبى سالى لمقول^(٥)
 وقال كل صديق كنت أمه * لا ألينك إني عنك مشقول^(٦)
 فقلت خلوا طريق لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول^(٧)
 كل ابن أثنى وإن طالت سلامته * يوما على آله حذباء محمول^(٨)
 نبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مامول^(٩)
 مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال * ممران فيها مواعيل وتفصيل^(١٠)

(١) أوب : رجع ، ترفع : تلحف ، القور جمع قارة : الأكمة ، وبيل جبل يرتفع طولاً ولا يرتفع عرضاً . والمسايل : المزاب .

(٢) خطاء : المجهول الذى لا ترجو رداً ، مولى : من العويل ، إنما أراد امرأة نعى لها ولدها . نكد جمع نكداً : الذى لا يبيض لها ولد . متا كيل جمع متكال : الذى تفقدت أولاداً كثيرة . ويرى الشطر الأول :

* شد التبار ذراعاً عيطل صف *

(٣) رهوة : مسترخية ، تلحج بسكون الباء : الضد ، يره شديدة الحركة ، والمعول : القفل .
 (٤) تفرى : متق ، اللبان : الصدر ، مدرعها قيصاً : شبه الناقه بالمرأة التى تنشق الثياب من صدرها ،
 الرعايل : الخثرة المنزقة .

(٥) تسمى من الساية : وهى الوشاة ، بجنيها : حولها ، ويرى : جنيها .

(٦) لا ألينك : لا أشفق كما أنت فيه . ويرى : « لا أقيظك » ، أى لا أكون معك .

(٧) الآلة : النش . حذباء : صرخة .

(٨) الناقه : قال ابن هشام : الناقه العلية المخلوق بها زيادة على غيرها ، وذلك إشارة إلى أن القرآن مع ما أنتم الله على نبيه به من العلوم العظيمة زيادة على تلك العلوم .

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُصَاةِ وَلَمْ • أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْإِفَاوِيلُ
لَقَدْ أَقْوَمُ مَقَامًا لَوْ يَقْضِي بِهِ • أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَيْلُ
لَقَلَّ تَرْعُدُ مِنْ • وَجِدَ بَوَادِرُهُ • إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(١)
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَتَزَعُهَا • فِي كَفِّ ذِي نَقِيَاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ^(٢)
فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذَا أَكَلْتَهُ • وَقِيلَ إِنَّكَ مَنُوبٌ وَمَسْئُولُ^(٣)
مَنْ يَصِفُ بَضْرَاءَ الْأَرْضِ مَحْدَرُهُ • فِي بَطْنِ عَمَّرَ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ^(٤)
يَغْدُو فَيَلْحِمُ ضَرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا • لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْقُورٌ تَرَازِيلُ^(٥)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَا لَا يَحِلُّ لَهُ • أَنْ يَتَرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٦)
مِنْهُ تَنْظُلُ حَيْرُ الْجَوْنَانِ فَرَّةً • وَلَا تُشْمَى بِسَوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٧)

- ١٠ (١) لَقَلَّ تَرَعُدَ جَوَابُ «لَوْ» الْأَوَّلُ يَهْدِي إِلَى جَوَابِ «لَوْ» الثَّانِيَةِ، الْوَيْدُ: شِدَّةُ الْحَزَنِ .
وَالْبَوَادِرُ: الْحُمُ الْبَاقِي مِنَ الْمَتْنِ وَالْكَتْفُ . وَآلِي فِي الشَّرْحِ :
لَقَلَّ يَرَعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ • مِنْ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
تَنْوِيلُ، مِنْ النَّازِلِ، وَهُوَ السَّعَاءُ، وَالْمَرَادُ مِنْهُ : الْغُفْرَانُ، أَيْ : فِي السَّيْرِ الْمُشَامِلَةِ بِهَذَا الْبَيْتِ :
مَا زِلْتُ أَفْطَحُ الْيَسَاءَ مَسْدُودًا • جَمَعَ الظَّلَامُ وَثُوبَ الْبَيْلِ مَسْدُودًا
١٥ (٢) أَتَزَعُهَا : أَيِ وَضَعْتُ يَمِينِي فِي يَمِينِهِ وَضَعْتُ طَاعَةَ أَتَزَعُهَا • وَيُرِيدُ بِصَاحِبِ الثَّقَاتِ : الَّذِي
مَلَئَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • لِأَنَّهُ كَانَ يَنْهَضُ مِنَ الْكُفَّارِ . الْقَيْلُ : الْقَوْلُ الصَّادِقُ .
(٣) مَنُوبٌ : مَسْئُولٌ مِمَّا صَدَقْتَكَ ، وَيُرْوَى : مَسْئُورٌ .
(٤) الْعِظِيمُ : الْأَسَدُ ، ضَرْأُ جَمْعِ ضَارٍ : مَنْ ضَرَى بِكَذَا وَلَعَبَ بِهِ ، وَالْمَشْهُورُ كَأَنَّ الشَّرْحَ :
«بَضْرَاءَ الْأَسَدِ مَحْدَرُهُ» . ضَرْ : مَوْضِعٌ بِالْأَيْنِ كَثِيرُ الْأَسَدِ ، وَالنَّيْلُ : الشَّجَرُ الْمَتَفَّ . وَيُرْوَى :
٢٠ • مِنْ خَادِمٍ مِنْ لِيُوثِ الْأَسَدِ سَكَنَهُ •
(٥) يَلْحِمُ ضَرْغَامِينَ : يَطْمَحُهُمَا لَحْمَ النَّاسِ ، مَعْقُورٌ : مَلَقٌ فِي الْغُرِّ : التَّرَابُ . تَرَازِيلُ : مِجْمَعَةٌ
وَبَهْمَةٌ : فُطَا • (٦) الْقِرْنَ : مَقَاوِصُ فِي الشَّجَاعَةِ أَوَّلُهَا ، يُسَاوِرُ : يُوَاسِبُ ، مَقْلُولٌ : مَنُزَمٌ ،
وَيُرْوَى : «مَجْدُولٌ» : مَلَقٌ فِي الْجِدَالَةِ وَهِيَ الْأَرْضُ • (٧) الْجَوْنَةُ : الرَّادِي ، وَالْبَرُ الْوَاسِعُ ،
وَيُرْوَى ضَامِرَةٌ : مَأْكَنَةٌ ، مَكَانٌ «ثَاثَةٌ» . الْأَرَاجِيلُ : جَمْعُ أَرْجَالٍ جَمْعُ رِجْلٍ .

(١١) ولا يزال يواديه أخو ثقيفة * مطروح البز والدرسين ما كؤل
 (٢) إن الرسول لنور يستضاء به * مهتد من سُرُوف الله مسلول
 (٣) أغر أبلج يستسقى الغمام به * كأت طلعت في الليل قنديل
 (٤) في عصبية من قرين قال لهم * يعطن مكة لما أسلموا زولوا
 (٥) زالوا فما زال أنكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل
 (٦) يمشون مشى الجمال الزهر يصمهم * ضرب إذا عرد السود التنايل
 (٧) ثم العرايين أبطل لبومهم * من تسج داود في الهيجا سرايل
 (٨) يبيض سوانج قد شكت لها حلق * كأنها حلق القفعا مجدول

١٥٩
١٤

- (١) البز : الثياب ، والسلاح . والدرسين : الثياب الخلفة ، ويرى : « مفرج » ، ومقول .
 (٢) الرامة المشورة : « لسيف » ، وهذه الرواية أحسن ؛ لأن النور هو الذي يستضاء به ، و
 مهتد : مطروح من حديد الهتد .
 (٣) أغر : أبيض الوجه بالنور ، أبلج : مشرق الوجه ، يستسقى : يطلب النيث به من الغمام وهو
 السحاب ، طلعت : أول ما يندوم ، القنديل : البراج .
 (٤) يرى : « ثقيفة » والمعنى واحد ، زولوا : انتقلوا من مكة إلى المدينة ، والعصبية : أراد به
 الجملة لا البلد الذي هو من عشرة إلى أربعين .
 (٥) أنكاس ، جمع نكس بكسر التون : الرجل الضميف المجهن ، كشف : جمع أكشف : الذي
 لا ترس معه ، ميل جمع أميل : الذي لا سيف معه ، أراقي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج ،
 والمعازيل جمع معزال : الذي لا سلاح معه .
 (٦) الزهر : البيض ، يصمهم : يعمى ، عرد : فر ، وتكل ، وجبن ، التنايل جمع تنال : القصيد .
 (٧) العرايين : الأنوف ، التسم : حدة في طرف الأنف مع تشديد ، لبومهم : لباسهم ، فسج
 داود : الدروع ، الهيجا : الحرب ، سرايل جمع سرايل : القميص .
 (٨) يبيض : مجلوة صافية ، سوانج جمع ساج : الطويل الثام ، شكت : أدخل يبيض حلقها في بعض
 ومجرت . ويرى : « حكمت » : ضبقت ، القفعا : شجر لها روق ومثل حلق الدروع ، مجدول : مقول .

ليسوا مقاريج إن ثالث رماحهم * قوماً وليسوا تجاراً إذا نبأوا^(١)
لا يقع الطعن إلا في محسورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل^(٢)
قال ابن إسحاق : فلما قال كعب في قصيدته : « إذا عرد السود التنايل » ،
وإنما أراد معشر الأنصار ، وخص المهاجرين من قريش بمدحتهم ، غضبت
الأنصار عليه ، فقال بد ذلك يمدح الأنصار من قصيدة له :

من سمره كرم الحياة فلا يزل * في مقنّب^(٣) من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر * إنا انليارهم بنو الأخيار^(٤)
المكرهين السّميرى بأذرع * كسواف^(٥) الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمّرة * كالجمر غير كليلّة الإنصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * لسوت ينوم تمانى وكرار^(٦)
يتطهرون يروونه نكاحهم * بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت بطن خفية^(٧) * غلب الرقاب من الأسود صوّارى
وإذا حلّت ليمعوك إليهم * أصبحت عند معاقل الأغفار^(٨)

- (١) تهليل : هروب من الحرب . (٢) المقنّب : ألف وأقل ، قاله أبو عمرو . وقال
الأصمى : هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أكثر وأقل ، واحتج أبو عمرو بقول الجدي : « بألف
يكتب أو يقنّب » . يكتب : يجمع . (٣) رواية الديوان « الكرام » .
(٤) كذا في الأصل : وصار الديوان رواية السكوى « كسوافل » وفي رواية « كسوافل » .
(٥) كذا في الأصل وابن هشام . ورواية ابن سلام « يوم الهياج وسطوة الجبار » وفي الأغاني
« عتد الهياج وسطوة الجبار » وفي ابن الأثير :
والباقيتين نفوسهم ردماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار
(٦) رواية الديوان : * يتطهرون كأنه نسك لهم * (٧) خفية : موضع كثير الأسد .
(٨) في الديوان « زلت » . والأخضر : أولاد الأروى ، واحداً غفر مضه فسكون ، والأروى : أنحو الرمل .

ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً * دَانَتْ لَوْفَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(١)
لَوْ يَسْلُمُ الْأَقْسَاؤُ عَمَى كُلَّهُ * فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارَى
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَنَاهِمُ * لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارَى^(٢)

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشد
« بأت سعاد قلبي اليوم متبول » : « لولا ذكرت الأنصار بخير ، لكان الأنصار
لذلك أهل » .

ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس

وأذن علي رضي الله عنه بسورة براءة

قال : وفي ذي القعدة سنة سبع من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحاج ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من
أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ،
ثم تزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ، ألا يصعد عن البيت أحد جاءه
ولا يُخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، فعما رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :
« أخرج هذه القصصة من صدر براءة ، فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى »

(١) علي : قالوا هو علي بن بكر بن وائل . ويقال : علي أخو عبد مناف بن ثعلبة بن خزيمة من
أمه . (شرح ديوان كعب السكري) . وفي هامش الأصل : « مل هذا الذي ذكره ، هو علي بن أمية
ابن خلف » .

(٢) المقارئ : الذين يقرؤون التيف . ويروي في الهجاء :

وهم إذا خوت النجوم فأنهم * للطارقين السالمين مقارئ

أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يصح بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُربان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته "نفرج على" ابن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم المضيء حتى أدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور، ثم مضى، فأقام أبو بكر رضي الله عنه للناس حجهم، وذلك في ذي القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أما الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يصح بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُربان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته» وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم^(١)، ثم لا عهد لمُشرك ولا ذقة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى سنة فهو له إلى مدته، فلم يصح بعد ذلك العام مُشرك، ولم يطف بالبيت عُربان، ثم قديما على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٦٠
١٤

حوادث السنة العاشرة

- ١٥ فيها كانت حجة الوداع، سذكها إن شاء الله تعالى في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيها نزل في يوم الجمعة قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢). وفيها نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَمْلِكُوا الْهَرَمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾^(٣)

(١) في ابن هشام: «أو بلادهم» . (٢) سورة المائدة ٣

(٣) سورة النور ٥٨

الآية . وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك . وفيها مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول . وفي كل سنة من هذه السنين العشر غزوات وسرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى في مواضعها ، والله المستعان المأدى .



صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع عشر في الأصل الثاني المرموز له بحرف (ا)

« كل الجزء الرابع عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ؛ للشيخ الإمام شهاب الدين أحمد التويرى رحمه الله تعالى ، على يد كاتبه أضعف الخلق وأحقهم إلى الرحمة ، نور الدين بن شرف الدين الناملى - بلدا ، الشافعى مذهباً ، غفر الله له ولوالديه ، ولأن يطالعه ويدعوله . آمين » .



تم بعون الله تعالى تحقيق الجزء السادس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية في يوم الخميس ١٧ من جمادى الثانية سنة ١٣٧٤ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٥ م .
ويليه الجزء السابع عشر ، وأوله : « ذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فهرس المراجع

- حلية الأولياء لأبي نعم ، السادة ١٣٥٧
الحاسة بشر التبريزي
حياة الحيوان للعمري ، الباب الحلي ١٣٠٥
الخبر عن البشر للقرنزي ، مخطوطة دار الكتب ٩٤٧ تاريخ .
نزهة الأدب للنداءى ، يولاى ١٢١٩
خلاصة تقييد تلييب الكمال للزرجى ، يولاى ١٣٠١
خير البشر لابن ظفر ، القاهرة ١٢٨٠
خير البشر ، مخطوطة دار الكتب ١٥ مجامع
دلائل النبوة للبيح ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢
حديث .
دلائل النبوة لأبي نعم ، حيدرآباد ١٣٢٠
الروض الأنت السيل ، الجمالية بمصر ١٣٢٢
السيرة الحلية ، مصر ١٣٢٠
السيرة النبوية لابن هشام ، مصطفى الحلبي ١٣٥٥ ، ويوتنجن
١٨٦٠ م .
شرح السيرة للشنقى ، حنية ١٣٢٩
شرح الشفاء للخطاى = فسم الرياض .
شرح الشفاء للشنقى = مؤهل الخفا .
شرح المواهب اللدنية للزرقانى ، يولاى ١٢٧٨
صفة الصفوة ، حيدرآباد ١٣٥٥
طبقات ابن سعد ، لندن ١٣٢١
طبقات القزوا ، السادة ١٣٥١
عيون الأثر لابن سيد الناس نشره القلنس ١٣٥٦
الكامل فى الضياء لابن عدى ، مخطوطة ٩٦ مصطلح .
كنوز الحقائق للناوى ، مصر ١٣٥٥
جمع الأمثال للهدانى ، يولاى ١٢٨٤
- الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
أسد الغاية فى معرفة الصحابة ، الوهية ١٢٨٠
الاشتقاق لابن دريد ، جوتنجن ١٧٥٤ م
إحسانة فى تمييز الصحابة ، الشرقية ١٣٢٧
الأصنام لأبن الكلبي ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣
الأغاني لأبن الفرج الأصفهاني ، يولاى ١٢٨٥
الاكتفا بما تضمنه من منازى المصطفى ، مخطوطة دار الكتب
٢٤٤٢ حديث .
الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ٨ مصطلح .
الإنباء على قبائل الرءاء لابن عبد البر نشره القلنس ١٣٥٠
الأنساب للسمراني ، لندن ١٩١٢ م .
البداية والنهاية لابن كثير ، السادة ١٣٥١
تاريخ ابن الأثير ، يولاى ١٢٩٠
تاريخ الخميس للديار بكرى ، الوهية بمصر ١٢٨٣
تاريخ دمشق لابن صاكر ، مخطوط دار الكتب ١٠٤١
تاريخ تيمور .
تاريخ الطبرى ، الحسينية بالقاهرة ١٣٣٦
تاريخ الجفوي ، النجب ١٣٥٨
تهذيب الأسماء واللغات للزوى ، المنيرة بالقاهرة .
تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ١٣٢٧
تهذيب الكمال للزى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢٥
مصطلح .
التيهان فى ملوك حير ، حيدرآباد ١٣٤٧
ثمرات الأرواق لابن جة ، الوهية ١٣٠٠
الجامع الصغير للسيوطى ، يولاى ١٢٨٦
جهره الأنساب لابن حزم ، المعارف ١٩٤٨ م

- | | |
|--|--|
| <p>المقدمة الفاصلة ، مخطوطة دار الكتب ١٩ تاريخ .</p> <p>المسر والقداح لابن قتيبة ، السلفية</p> <p>نسب قریش مخطوط دار الكتب ٤١٥١ تاريخ .</p> <p>نسب مدلاين الكلبي، مخطوطة ٩٩٥٩ تاريخ</p> <p>قسم الرياض ، الاساتة ١٢٦٧</p> <p>النهاية لابن الأثير ، بولات ١٣١١</p> <p>الواف بالوفيات ، مخطوطة دار الكتب ١٢١٩ تاريخ .</p> <p>وفيات الأعيان ، بولات ١٢٩٩</p> | <p>المهر لابن حبيب ، حيدرآباد ١٣٦١</p> <p>منزل الخلفاء عن أقطاب الشفاء للشنقي ، مخطوطة دار الكتب ٣٧٥ حديث .</p> <p>المعارف لابن قتيبة ، الحسينية ١٣٥٣</p> <p>معجم البلدان ، السادة ١٣٢٤</p> <p>معجم الطبراني ، مخطوطة دار الكتب ١٣٥٣ حديث .</p> <p>المعدين لأبي حاتم ، السادة ١٣٤٣</p> <p>المقتضى من سيرة المصطفى لسداده بن حبيب الموصل ، مخطوطة دار الكتب ٣٠٩ تاريخ .</p> |
|--|--|

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	ص
طالِبَة	طالِبَة	٣	١٢
نبت بن حمل	نبت ابن حمل	٥	٢
قيان بن مهلاييل	قينان ابن مهلاييل	٤	٧
أَمَر	أَمَر	٧	٨
صُلبه	صُلبه	١٢	٦
تاج العروس	تاج العروس	١٢	٢٠
حزيمَة	حزيمَة	١٣	٤
الحشفي	الحشفي	١٣	٩
سلول بن كعب	سلول بن كعب	٢١	٥
توأمان	توأمان	٣٨	١
تذم	تذم	٤٣	١٤
الميسر	المسير	٤٧	٢١
تشركونهم	تشركونهم	٤٩	٦
أنفذن	أنفذن	٤٩	١٢
السادين	السادين	٥١	١٣
خطب	خطبه	٥٧	١
القاتل ابن عبد البر : ١٢	القاتل ابن سعد... الخ	٥٧	٦
وَهَب	وَهَب	٦٢	٨
الزُّهرى	الزُّهرى	٦٤	١٤
قالت	قال	٨٢	١٠
٧٣ : ١	٧٧ : ١	٨٧	٢١

المصواب	الخطأ	س	س
يمزف	يمزف	٩١	٨
فلاني كنت أجتنيه إذ أنا	فلاني كنت إذ أنا	٩٣	٧
خير النجدي	خير النجدي	١٠٢	١١
فاران مكة	فاران جبال مكة	١٠٧	٢٠
تكذب	تكذب	١١٠	١٢
اختيارهم	اختيارهم	١٢٦	١٥
فاحتفظ	فاحتفظ	١٤٠	١١
فيهملا	فيهملا	١٤٢	٣
بستم إذا شتم	بستم شتم	١٤٢	٩
يقال له ابن الهيبان	يقال ابن الهيبان	١٤٤	١٠
البنان بن المنذر	النعمان المنذر	١٥٧	٢
فصعد بيتا منها	فصعد منها بيتا	١٥٧	١٥
ابن جريح	ابن جريح	١٧٦	٣
معن بن طيء	عامر بن طيء	١٨٣	٢٢
تقتل عمارا الفئة الباغية	يقتل عمار الفئة الباغية	١٩١	١٩
حلاقة	حلاقة	١٩٦	١٨
قالها في نادى	قالها في نادى	٢٣٥	١٨
ص ١١٨ ج ٢	ص ١١٨	٢٣٦	٢٠
خطم	خطم	٢٦١	٢١
كلدة	كلدة	٢٦٧	٢
يملكون	يملكون	٢٧٧	١٥
السيرة له	السيرة الحديث له	٢٨٦	١٥
قال : فبهت	قالت فبهت	٢٨٧	٢
عند الوحي، فيكون	عند الوحي، كما فيكون	٢٨٧	١٥



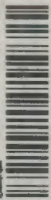
بمؤن الله وبجمل توليفه قسدت تم طبع الجزء السادس عشر من كتاب
"نبأ الأوب في فنون الأوب" مطبعة دار الكتب المصرية في شهر شعبان
سنة ١٣٧٤ هـ (مارس سنة ١٩٥٥ م) مأ

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

مطابق کونستانتینوس وشراہ
ہ خارج وقف البحر واصل بالظاہر - ۹۰۶۸
المقاصد

Bibliotheca Alexandrina



0382565